

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

نشرها الهيئة من مراكبي باني الزيتونة الحمراء

الجزء الاول | تونس في رجب عام ١٣٥٥ وفي سبتمبر عام ١٩٣٦ | المجلد الاول

شهرية وسنتها عشرة اشهر

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي بن القايني

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٣٧٠٠٧

صاحب المجلة :

محمد شاذلي بن القايني

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع

حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان



الحمد لله الذي رفع شان العلم . وشيد اركانه . وعظم اثره في النفوس واعلى بنيانه . وخصص اهله والمتتبعين اليه باكرم مزية . وجعلهم خلفاء الانبياء على اختلاف العصور بين البرية . فكانوا متحملين لاوفر قسط من اداء الامانة العظمى . التي عرضها الله على السموات والارض والجبال فايين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان جهلا وظلما . وبقدر ارتفاع الشان تكثر التكليف ويقوى المعاند . واذا عظم المطلوب قل المساعد .

والصلاة والسلام على من انبعثت بظهوره الانوار . وزال الشك وهتكت عن الباطل الاستار . سيدنا ومولانا محمد نبى الهداية والارشاد . والقاطع لدابر الشرك والضلال والفساد . المختص باعظم المزايا والمفاخر . الذي خلق الله نوره قبل سائر الكائنات حسبما يشير اليه حديث : اول ما خلق الله نور نبيك يا جابر . صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين قامت على سواعدهم قواعد الايمان . ونصروه في السر والاعلان . وفدوه بالآباء والبنين . وتلقوا راية الاسلام باليمين . فصدقوا ما عاهدوا الله عليه . واعتمدوا على ما لديه . رضى الله عنهم اجمعين . وعن كل من سار على منوالهم الى يوم الدين .

اما بعد . فان الله تعالى لما من على بعض الناس بمزية العلم . واعلى شانهم بانسابهم اليه اوجب عليهم مقابلة ذلك ان ينفقوا مما آتاهم الله ببث العلوم والمعارف بين الناس بقدر الاستطاعة . اذ العلم قدر مشام بين الناس فاذا اوتي احد فلا يجدر به ان يرضن به عن غيره . ولا سيما علم الدين . الذي فرضه الله على كل احد . اذ به قوام الاعمال كلها . سواء اعمال الانسان الخاصة او اعماله الجارية بينه وبين عموم الناس . وملاك ذلك كله الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين قال الله تعالى عنهما : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » ونحن اذا تأملنا حالة المسلمين في هذا العصر . من كل قطر ومصر . وجدناهم قد نبذوا تعاليم الاسلام ظهريا . وتجاوزوا عنه كبرا وعتيا . فسوق المفسد والضلالات في رواج . وظلام الشرك يوشك ان لا يكون له انبلاج . فكان لزاما على علماء الدين في جميع النواحي ان يشمروا عن ساعد الجد . وينفقوا كل ما لديهم من مال وجاه وكد . ويرفعوا اصواتهم بارشاد الناس ، من جميع الاجناس . حتى

يملا صوتهم الفضاء . ويصل الى غنان السماء . فينفذ الى قلوب اعمتها الضلالة . وابت عليها الجهالة . وبذلك يتميز السبيل القصد عن الجائزات من السبل وما تكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ويصرع الباطل وان شاع . ويظهر الحق وتعلو كلمة الله في جميع البقاع .

هذا وان طرق الارشاد كثيرة . واسبابها متنوعة وفيرة . فتكون بالقاء الدروس العلمية . وبالخطب الجمعية . ومن اهم تلك الطرق واكثرها فائدة واوسعها انتشارا ان تكون على طريق المجلات . فهي وسيلة سهلة يطالعها العموم في جميع الاوقات . ويستفيدون منها الفوائد الجملة من غير حرج ولا اعانت . وقد كثرت في زماننا هذا المجلات واحتلت انواعها وتعددت مشاريعها . واستفاد الفكر منها خيرا كثيرا . وعلمنا غزيرا . وكونت من العامة نخبة صالحة للتفكير . قادرة على التعبير والتحرير .

وكان مفروضا على جامع الزيتونة وهو منبع الاسلام في هذا القطر والكلية الوحيدة التي تدرس فيها علوم الشريعة وعلوم العربية بجميع ما يتعلق بهما من الاصول والفروع . ان يضرب بسهم في هذا المضمار . وكان اهله يشعرون بهذا الامر الاكيد فكانت امنيتهم الوحيدة ان يصدروا مجلة علمية دينية . تكون ترجمانا صادقا عن افكارهم . ومجالا فسيحا لعرض آرائهم وانظارهم . وتكون واسطة للتفاهم بينهم وبين علماء الكليات العلمية في جميع الاقطار . اذ الحقيقة نتيجة البحث واحتكاك الانظار . لاسيما وبلادنا التونسية وان تعددت فيها النشريات . من جرائد ومجلات . فليس بها مجلة بهذا العنوان . تحلى بزيينة العلم ويكون شعارها احياء ما اندثر من قواعد الايمان .

كانت هذه امنية الزيتونيين . وكان يحول دون اتمامها عدة اسباب . ويتكاثف في سمائها ضباب واي ضباب . حتى اراد الله ابرازها فذلت الصعاب . ولانت الرقاب . وزالت من طريقها العقبات . وقطعت الآفات . وكل شيء من الاشياء ميقات .

فصدر الاذن بها في يوم الخميس الخامس من ربيع الثاني من هذا العام . فسميناها (المجلة الزيتونية) نسبة للكلية الزيتونية التي صدرت منها . ومن ذلك الوقت شرعنا في تهيئة ما يجب لها من الاعمال وفي اعداد البرنامج الذي ستسير عليه . والخطوة التي ستسلكها وها نحن نعرض برنامج المجلة على عموم القراء سيكون في المجلة باب بعنوان (القرءان الكريم) يشتمل على مباحث تتعلق بالقراءان من مختلف النواحي . وسننشر فيه تباعا دروس التفسير التي القاها بجامع الزيتونة العالم الجليل الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي بتونس ادام الله بقاءه . وابد عزة وارتقاءه . وراينا من التعميم في الفائدة وهو المقصد الاهم للقائمين على تاسيس هذه المجلة ان ننشر تفسير الحزب الاخير من القرءان نظرا لكونه كثير التداول بين الناس ويتلونه في جميع الصلوات وغالبهم لا

يفهم ما اشتملت عليه تلك السور من المعاني والاسرار . ولطيف الاشارات . مما لا يتم الخشوع بدونه . ولا يقع التدبر مع الجهل به . وقد تكاف بهذه المهمة رئيس التحرير :

وسيكون في المجلة باب بعنوان (الحديث الشريف) يبحث فيه عن مسائل من علم المصطلح . وتشرح فيه احاديث تدعو الحاجة الى شرحها

وسنشر فيه الاختام النفيسة التي يلقيها المشايخ في شهر رمضان من كل عام طبق العادة المتعارفة بتونس . وهي اختام جامعة بين التحقيق والعلم . وسيكون من ضمنها اختام كان القاها بعض اعيان العلماء بتونس واهملتها يد النسيان . مع انها جديرة بان تشهر . ويعبق عبرها وينشر .

وسيكون في المجلة باب بعنوان (التشريع الاسلامي) يبحث فيه عن مقاصد الشريعة واسرارها . وعن حكمة الشارع سبحانه وتعالى فيما فرضه على عباده من التكاليف وما سنه لهم من التراتيب والنظم .

وقد التزم بالتحرير في هذا الباب العالم المحقق النظار الذي لا يشق له غبار الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط الملقب بالمالكي ادام الله اجلاله ومنحه لطفه ونواله .

وسيكون في المجلة باب بعنوان (الفتاوى والاحكام) ننشر فيه جواب الاسئلة التي ترد على المجلة من مختلف الاشخاص اذ لكل مسلم حق فيها والمجلة تتقبل بصدر رحب سؤاله كل سائل وتجيبه بما يجب من العناية والتحقيق ولان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم . كما ننشر فيه بعض الفتاوى التي صدرت من المشايخ في القديم والحديث التي تضمنت تحريرات لمسائل فقهية كانت تلك الفتاوى حلا لمعضلاتها وكشفا لما غمض منها .

وننشر في هذا الباب ايضا بعض احكام شرعية صدرت من المشايخ القضاة بتونس او من المجلس الشرعي الاعلى بالحاضرة من قسميه الحنفي والمالكي حيث كانت تلك الاحكام مشتملة على نظريات فقهية وتحقيقات علمية . وتصلح ان تكون نصوصا فيما صدرت فيه فيستفيد منها اهل العلم وتكون هاديا لهم فيما يستقبل من الزمان .

وهذا الباب سيكون محررا بقلم جميع مشايخ المجلس الشرعي بتونس الذين لا يتأخرون عن ارشاد ولا يتهاونون بما فيه نفع العباد والبلاد ادام الله ارشادهم .

وسيكون في المجلة باب بعنوان (الوعظ والارشاد) وهو من اعظم ابواب المجلة حيث سيكون مجالاً فسيحاً لارشاد الناس وتبشيرهم الى مواقع الخطأ فيما هم سائرون عليه حتى يقلعوا عنه ويرجعوا الى هدى الاسلام .

وسيكون في المجلة باب بعنوان (التاريخ) ننشر فيه اهم المباحث التاريخية وبالاخص ما كان منها متعلقا او مرتبطا بتونس . من ناحية المعالم او الوقائع او الاشخاص . حيث ان التاريخ التونسي مجهول عند الكثير من الناس سواء بداخل تونس او بخارجها مع انه تاريخ حافل بالمهمات . وجدير بان يعتنى به ويدرس . ويقدم للقاء بصورة محررة تطلعهم على مجد هذه البلاد . وما كانت فيه من خطوة واسعاد .

ويشارك في هذا الباب زيادة عن اعضاء المجلس حضرة العالم الفاضل الذي تقلب في مناصب الدولة فزائها بعلمه وفضله . وظهرت فيها آثار حله ونبله السيد محمد بن الخوجة المستشار لدى الحكومة التونسية ادام الله اسعاده .

وسيكون في المجلة باب بعنوان (الادب) ننشر فيه مختارات من الشعر التونسي في القديم والحديث . ومن غيره مما هو جدير بالنشر .

كما ننشر في هذا الباب مباحث تحليلية نقدية في الادب .

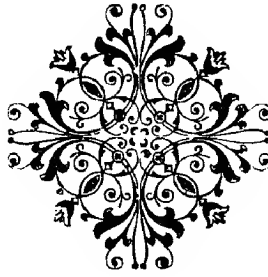
وسيكون في المجلة باب بعنوان (الاخلاق) ننشر فيه فصولا في بيان مكارم الاخلاق وبيان فضائلها وما يتعلق بها .

ورغبة منا في افساح المجال للشبان من المتعلمين حتى يجدوا مجالاً لنشر افكارهم وبث معارفهم خصصنا صفحة بعنوان (صفحة الشباب) هذا كله زيادة عما ستضمه من الابواب التي تدعو اليها الحاجة . كباب الجرائد والمجلات . وباب الحركة العلمية والادبية في تونس وفي الشرق . وباب تقرير الكتب . وباب الصحة وباب المخترعات الحديثة . هذا برنامج المجلة باختصار عرضناه على الانظار .

وسيكون شعار المجلة في جميع اعمالها وفي مختلف اطوارها . الاصلاح الديني . ومقاومة كل حركة ترمي الى الالحاد او الى التعصب الديني او المذهبي . ومقاومة البدع بجميع انواعها ما استطاعت الى ذلك سبيلا . وبث العلوم والمعارف بين الناس باقرب الوسائل واسهل الطرق وتدخل في المناقشات العلمية مع التزام الاداب في المناقشة والاخذ بالرفق واللين وتحاشي ما وقع فيه كثير من اهل العلم من تكب جادة الصواب . والخروج في المناقشة العلمية عن دائرة الاداب . بما صيرهم سخريه عند العامة فضلا عن العلماء . ومضغة في افواه الحمقا فضلا عن العقلاء . لذلك لا تنشر المجلة من الابحاث والمناقشات الا ما كان داخلا تحت هذا الشرط . اذ اهل العلم يجب ان تظهر فيهم مكارم الاخلاق باحلي مظاهرها . واكمل صورها . والا فهم غير صالحين لان يقتدي بهم احد . وما يصلح الملح اذا الملح فسد

ونبتهل اليه جل جلاله ان يديم لهذا القطر سراج الوهاج . وعمدته الذي لا يخشى مع وجوده
ضلال في الدين او اعوجاج . امير المؤمنين . وحامي حى الملة والدين . واسطة الصيد الفطارفة
من آل حسين . الذي زين بالبر والتقوى واخلص لله في السر والنجوى . المحفوف بأسرار السبع
الثاني . سيدنا احمد باشا باي الثاني . صاحب المملكة التونسية . صانها الله بوجوده من كل مصيبة وبليّة .
وايده بآل بيته الكرام . ووزرائه الفخام . خصوصا وزيرة الاكبر . الذي لا تجحد اياديه على اهل العلم
ولا تنكر . وعلى الله الاعتماد والاتكال . والتوفيق في الاقوال والاعمال . وهو المرجو ان يحقق
بفضله ما بدأنا فيه من عمل . نرجو ان يكون الصلاح شعاره . وتقوى الله عمدته ودثاره

محمد المحمّد ابن محمود



خطاب صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

شيخ الجامع الاعظم وفروعه سيدي صالح المالقي ابقاه الله للوفد الذي ام فضيلته
المتربك من صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها وعرض عليه مشروع انشاء
مجلة علمية عنوانها (المجلة الزيتونية) للاستشارة بآرائه الصائبة واخذ نصائحه في ذلك
لما يجمعهم بفضيلته من الرابطة العلمية وما ينتسبون به اليه من الصلة الابوية .
فلقيهم بكامل الحفاوة وجميل الملاحظة حسب المالوف من اخلاقه الزكية واطهر لهم
كل ارتياح لهذا المشروع كما يتجلى ذلك في نص خطابه القيم الذي قال به جنباه امام
زائريه ونحن ثبته في صدر المجلة لما تضمنه من الاغراض السامية والى القراء نصه

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

اني لمبتهج جدا لما توفقت له اليوم نخبة من ذوي المدارك الراقية . ذات المرامي السامية . من
اعيان مدرسي الجامع الاعظم التي تمثلونها الان لاعلامنا بمشروعها الجليل الذي تعاقدت عليه رغبتها
من انشاء مجلة علمية عنوانها « المجلة الزيتونية » ذات نطاق متسع جامعة لشوارد المسائل مفعمة
بالمواضيع العلمية الراقية على اختلافها يشارك فيها كافة اهل العلم وعليه الكتاب . واني ارى من واجبي
معاودة كل مشروع علمي ومديد المساعدة له . وارى مشروعكم هذا مما تتوفر الهمم لمناصرته وساقوم
بواجبي نحوه ما استطعت

وجوب ربط الصلة بين علماء الاسلام على طريق
المجلات العلمية وما كان عليه السلف في ذلك

اراه مشروعاً يربط بين علماء الاسلام ويحكم اوامر التعارف بينهم ومجالاً واسعا لتبادل الافكار
فيه فيما يخص المسائل العلمية حيث كانت صبغة المجلة علمية محضة مشروعا تنتشر معه الاراء الصحيحة
وتتجلى في سمائه شمس المعارف وتتحرر في دائرته مهمات المسائل الجديرة بالبحث فهو كدائرة معارف
يطلع منها كل من الكاتبين بها على رأي الآخر وان بعدت بينهما الشقة وتناوت بهما البلدان
على اني لا ارى اليوم مبررا لدعوى بعد الشقة . او حصول المشقة . بعدما بلغت اليه المواصلات

من السرعة ومزيد الامن فيها والتوصل الى ما يبهز العقول بما اظهره العلم اليوم من المخترعات وما عسى ان يظهره في ذلك مما نعدّه من علامات النبوة وصدق الرسالة والاخبار بالمغيبات في حديث (١) تقارب الزمان مزيلا لما اختلفت فيه الآراء من طلب تاويله كل بحسب ما بلغ اليه اجتهاده قبل ظهور المخترعات الحديثة

كانت المواصلّة العلمية بين العلماء بطريق المواصلّة الخصوصية لمن بينهما تعارف او بواسطة التاليف ونشر الكتب بين العموم لتحريّر القول في مهمات المسائل ذات النظر والابحاث الدقيقة . فهذا ابو عبد الله محمد ابن مرزوق الحفيد تلقى من عصره العالم الجليل ابي يحيى ابن عقبة القفصي مراسلة تتضمن ما عن له من اشكالات وتوقفات علمية في مسائل حجة من التفسير والحديث والاصول وغيرها وطلب منه كشف القناع عنها وابداء رايه فيها بما يزيل عنه تلك الاشكالات ويدفع تلك التوقفات فاجابه ابن مرزوق عنها في تاليف اسماه اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصه قال في طالعته ولولا ما اغتنمته في محادثته من انتهاز الفرصة . لكنني في التكلم معه بهذا الكلام كحامل التمر الى قفصه وشهادة ابن مرزوق هاته تدل على ما بلغت اليه قفصة في ذلك العصر من انتشار العلم واشتهاره بها كاشتهارها بنخلها الباسقات ليومنا هذا وناهيك ببلدة اخرجت مثل ابن راشد القفصي واضرابه وكتاب اغتنام الفرصة هذا لم يمثل للطبع لحد الآن ويوجد بمكتبة الجامع الاعظم تحت عدد ٣٢١٩ وفي املي ان اسعى في طبعه رجاء عموم نفعه لما اشتمل عليه من افاضة القول في تحرير المسائل المسؤل عنها والمكاتبة العلمية لكل من السائل والمسؤل . وهذا ابو عبد الله محمد بن سعيد صاحب حاشية الاشموني وحاشية الحبيصي على التهذيب والديوان المسمى الفلك المشحون المشتمل على مراسلاته وادبياته كانت بينه وبين بعض علماء الاستانة مراسلات علمية ومكاتبات متبادلة وبها توصل الى الحصول على بغته من جمع مادة من الكتب القيمة من تاليف الاعاجم المفقود غالبا يومئذ من الديار التونسية كانت مرجاله في تاليف حاشية الحبيصي المنوعة بها واخيرا كان بين العالم الجليل بركة القطر ابي اسحاق الشيخ ابراهيم الرياحي كبير اهل الشورى المالكية قدس الله روحه وبين العلامة المفضل الشيخ محمد عارف شيخ الاسلام بالاستانة روابط علمية ومكاتبات في عدة مسائل لا تخرج عن الدائرة العلمية كشف كل لصاحبه القناع عن محبتها بطريق المراسلة الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة والذي حدا بنا الى التعرض لهؤلاء الشيوخ هو التنويه بشانهم والقصد لتخليد ذكرهم لما تحملوه في تلك العصور من اقتحام المشاق وتجشم ارتكاب المصاعب في المواصلّة والمكاتبة لمن كان بعيد الدار عنهم

(١) اخرجهم الترمذي في سننه من طريق انس بن مالك رضي الله عنه

وطرق ابواب البحث في المسائل العلمية اما اليوم وقد تسرت اسباب المواصلات بما اتيح للعالم كله من ارتباط بعضه ببعض كما اسلفنا ذكره فلا عذر لهتواني لا سيما وان باب المكتبة مفتوح على مصراعيه بوجود المجلات العلمية والجرائد الدورية

راي الشيخ في ان الابحاث العلمية يجب ان تنشر بالمجلات المختصة بها

على اني لا ارى نشر المسائل العلمية في غير المجلات المخصصة لذلك التي تعد دواوين علمية يتجمع منها في راس كل سنة اسفار تكون كدائرة معارف يرجع اليها مما نرجوه لمجلتكم المتحدث عنها اما الجرائد الدورية فان مهمتها في نظرنا غير ذلك ووظيفتها نقل الاخبار على اختلافها وطرق سائر المواضيع العامة او المخصصة لها وبذلك تكون مصالح النشر متبادله والتخصص في كل بحسبه

نصائح الشيخ لاسرة المجلة

اما نصائحي التي تقدمها اليوم لمجلتكم فهي . التباعد عن الخصوصيات . وسلوك الطريق الحادة وتحاشي بنات الطريق . وتجنب سائر الاميال وما يثير الضغائن او يزرع الاحقاد بين الكاتبين سواء بالتصريح او بالايحاء او ما فيه لمز او حطيطة مع احترام القائل كيفما كانت حيثيته فان الكلام مع الكلام لتكون وجهة المجلة علمية محضة رائدها اظهار الحقيقة بالحجة والبرهان شعارها الرفق والمجاملة « والرفق يدوم لصاحبه . والحرق يصير الى الهرج » ولقد كان يسؤني جدا ما اراه في بعض المحررات العلمية من تطرف كاتبها وعدولهم عن المحجة المثلى وعن الاقناع بالدليل الى اللز والانتقاص من قيمة البحوث معه بما يعد من الجفا . ولا تسيفه اداب المباحثة وربما ادانى الخروج عن الموضوع الى الاعراض عن تتبع بقية الخطاب خشية مشاركتي للقايل فيما ارتكبه من صنيعه الذي لا نرى له فيه مبررا

بيان مهمة مشيخة الجامع الاعظم التي تسمى لتحقيقها

هذا وان مهمة مشيخة الجامع الاعظم التي تسمى لتحقيقها والعمل للحصول عليها ونؤمل من الكاتبين بمجلتكم طرق مواضعها هي ما ياتي

« اولا المحافظة على سمعة المعهد واتساع نطاق التعليم به لتتكون به طبقات علمية ذات نبوغ احياء لمجده التالذ . واستبقاء لذكره الخالد . تحاكى من تقدمهم من اساطين العلماء الذين طبق ذكرهم الافاق وسار في مشارق الارض ومغاربها في القديم والحديث كابن عصفور والمازري وابن عبد السلام الهواري وابن عرفة وولي الدين ابن خلدون وغيرهم

« ثانيا » المحافظة على العلوم الدينية المعتبرة به في الدرجة الاولى من التفسير وعلوم القرآن . والحديث . واصول الدين . واصول الفقه والفقه مع ادلته وحكمة التشريع وربط الفروع بالاصول والاخلاق والآداب الشرعية مع التبحر في جميع ذلك بما يحفظ على الامة قسواعد دينها اذ هو احد المعامل الثلاثة التي تضيء على العالم اجمع (١) جامع الزيتونة بالقطر التونسي (٢) الجامع الازهر بالقطر المصري (٣) جامع القرويين بالمغرب الاقصى وهي مناخ الدين بالاصقاع الثلاثة ادام الله لها عمرانا . واشاد بها لمعالم الدين اركاننا .

« ثالثا » المحافظة على اللغة العربية وآدابها وعلى انتشارها بما يظهر للعالم اجمع انها لغة حية وانها في الرتبة الاولى بين اللغات وهي الحافظة للامة امر دينها اذ هي لغة الكتاب الكريم والحديث الشريف الظاهر امرهما الى يوم ينفخ في الصور

« رابعا » التخصص في العلوم واقل مراتبه اليوم ما جاء به قانون الاصلاح من حصرة في قسمين شرعي وادبي الى ان تسمح المقادير بتعميمه لجميع العلوم لتتخصص وجهة العالم فيما تخصص به فيزداد بذلك نبوغه وتفوقه وبالسبر نعلم ان من برع من العلماء في فن تخصص به لا تكون له تلك البراعة في غيره من العلوم وان شارك فيها دليل ذلك المشاهدة والمقابلة بين افراد العلماء منذ القديم الى يومنا هذا

« خامسا » ارشاد العلماء للعامة واتقادهم من وهدة الجهالة التي لا يعذر صاحبها مع وجود العلماء وذلك بالوعظ والارشاد في الجوامع والمجتمعات العامة وتهدمهم بالموعظة كما كان عليه سلف الامة ولا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها مع ظهور اولئك المرشدين بمظهر يؤهلهم لقبول نصائحهم واتباع طرائق ارشادهم وذلك باتباعهم هم في انفسهم ما جاءت به نصوص الشريعة وتحاشيهم عما لا يليق واجتنابهم ما يهون عنه اذ العالم محل الاقتداء وتنظر اليه العامة بعين الاكبار لمكانته العلمية عندهم وقد تواعد الله سبحانه امهات المؤمنين بمضاعفة العذاب لهن ضعفين على تقدير ان يظهرن للعموم على خلاف ما يراد منهن من اجتناب النواهي كما وعدهن لامتنالهن لما يؤمرن به باتيانهن اجبورهن مرتين وذلك اعتناء منه سبحانه وتعالى بشانهن للبهزية التي خصصن بها من بين النساء وهي كونهن من بيت النبوة محل الاقتداء ضاعف الله لجميعنا الاجور . ووقفنا بفضلنا الى العمل المشكور . وفي الختام نسأل الله تعالى ان يبلغنا من اعزاز هذا الجانب ما نتمناه في ظل الحضرة الشاحخة العلية . والسدة الباذخة الاحمدية . حضرة مولانا ولي النعم . وكريم الشيم . المحفوف بسر السور والآي . سيدنا ومولانا احمد باشا باي . ادام الله دولته . وابد في سماء العز صولته . معزز الجانب بآله الكرام ووزرائه الفخام وهذا ما سمحت لنا به الفرصة الان من الذكرى ونحن احق بالموعظة واخرى والسلام عليكم ورحمة الله

✧ خطاب صاحب المجلة ✧

الذي القاه بين يدي اعضاء مجلس ادارتها في الاجتماع الاول بعد الحصول على
الاذن الدولي في اصدار المجلة

ايها السادة الاعلام والمشايخ الكرام اني لاجد نفسي عاجزا عن اداء ما يليق بمقامكم الرفيع
من عبارات التجلة والاكرام ويقصر لساني عن ان يفصح لكم عما يكنه ضميري نحوكم لتلييتكم
دعوتنا لعقد هذا الاجتماع المبارك .

واني اعد هاته الساعة من اعظم ساعات حياتي العلمية وهي الساعة التي ستنهى فيها لابراز مشروع
طلما تاقت نفوسنا اليه وسعيننا في تحقيقه وابرازه منذ زمان باوسع نطاق ولكن هي الاقدار صرفتنا عنه
قهرا لا عن اختيار .

سادتي

انتم تعلمون اننا بدأنا اعمالنا في رجب عام ١٣٥٢ بنفوس طاهرة لا تضر الكيد لاحد وان
انس لا انسى تلك الكلمة الذهبية التي صدرت من رئيسنا الهمام في ناديكم هذا الا وهي (نحن لا نضر
السوء لاحد ولو علمنا ان واحدا منا يخالج ضميرة شيء من ذلك لانفضنا من حواه) .

بل حسبنا ان الفرصة سانحة لاقامة هيكل تلتجىء اليه الهيئة العلمية الزيتونية وفتح نافذة منه يسمع
منها الكافة صوت الحق الذي يعليه الدين الحنيف ووالينا الاجتماعات واحضرنا قانون جمعية العلماء
الذي كان من جملة فصوله تاسيس مجلة علمية وبعثنا به الى الحكومة فلم ننجح في ذلك الحين . وجرى
في علم الله ان الوقت لم يهيا لنا فيه العمل وامتحنا الله فصبرنا صبر الشاكرين . وعدنا للعمل والعود
احمد فبها الله لنا الاسباب .

وها نحن اليوم نستأنف اجتماعاتنا وقد استصدرنا رخصة المجلة الزيتونية بعد ان اعترانا فشل
وقتي هو طبيعي يعقب كل مصادمة يلقاها الفرد او الجماعات ويلد لي ان اسجل بينكم كلمة شكر
لصديقي الشيخ سيدي الطاهر القصار عما بذله من التضحية وما اعاني عليه في التحصيل على رخصة
اصدار المجلة واتجاسر لا عبر باسمكم جميعا عن عظيم ممنونيتنا له وتقديرنا لما قام به في هذا المضمار
كما يلد لي ان نعترف بالجميل للمساعي التي سعاها اخي وصديقي الشيخ سيدي محمد المختار بن محمود
في تذليل الصعوبات واعمال ما في الوسع لنيل المقصود وانها لاعمال تذكر فيشكر عليها شكرا
جزيلا كما يلد لي ان اقدم لكم جميعا تشكراي القلبية عما ستقومون به من الاعمال الجليلة .

انا سنقطع بهذا العمل المفيد مرحلة من مراحل الانتاج في سبيل نشر الثقافة الاسلامية ونسعى لربط الصلة بيننا وبين علماء الاسلام ونعطي باعانة الله وتوفيقه مثالا فيما وراء هاته الديار يليق بمقام رجال العلم بجامع الزيتونة في هذا العصر الذي يوجد فيه على راس مشيخة التعليم بالجامع الاعظم ذلك الشيخ الجليل والاستاذ الكبير العامل للنهوض بهذا المعهد المحب للعاملين الذي شجعنا على هذا المشروع يوم فكرنا فيه ورغبنا في الشورى حتى يبرز كما تصبوا النفوس اليه فاعلمناه انه المبدأ السني وطدنا نفوسنا عليه .

كيف لا وهو ليس بمشروع يهم الواحد منا او الاثنين بل هو كما احسب بهم كل فرد من شيوخ التعليم بالجامع الاعظم عمره الله ونجاحه موكول بهمهم الشريفة وعزائنا الصادقة نحن الذين سيناط بعهدتنا امر ادارته - وانها لاتعاب حمة ومسؤلية خطيرة لا يتحملها الا من وطد نفسه على تعميم النفع امثالكم وسيسجل لكم في تاريخ النهضة العلمية الحديثة ما انتم صانعون .

وليس هذا هو كل ما يتطلب منا القيام به فان امامنا مهمات كثيرة تتطلب رجالا مصلحين امثالكم هي اليوم في طي الذهول او النسيان واذكر للشيخ سيدي علي بن الخوجة ما حدث عليه في الدور الاول من اجتماعاتنا من امر الوعظ وان يكون له المقام الاسمي بالنظر لنفقه العميم وسياتي اذا شاء الله يوم تبرز فيه تلك المهمات الى عالم الوجود ويقوم كل بما هو اهل له من اسباب الرقي والنهوض واني اتفاهل خيرا بالمستقبل والمستقل لله .

ساذي

لا يعزب عن انظاركم انا في زمان سادت فيه الفوضى باسم المدنية وركب الناس متن الاهواء فدفعتم الامواج المتلاطمة الى قعر عميق ظلمات بعضها فوق بعض وحكموا عقولا لم يصلحها العلم فزاغت عن رشدها والناس لا يعلمون .

فاليكم سفينة الانقاذ تسرون بها في طريق السلامة لتنقذوا من بقي من امتكم كما علمكم الله وتنبروا منار الهدى للسالكين بعد ولكم من الله الحنة ولنعم دار المتقين الهادين المهديين .

محمد شاذي بن القاسمي



ابواب المجلة

القرآن الكريم

دروس التفسير

لصاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور

شيخ الاسلام المالكي بتونس

كانت لدروس تفسير القرآن الكريم التي افتتحها فضيلة الاستاذ الامام الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي بالجامع الاعظم جامع الزيتونة المعصور في شوال عام ١٣٤١ لما ارتقى الى خطة القنارنة تقدير واعتبار لدى الاوساط العلمية لما امتاز به فضيلته من طول الباع وسعة الاطلاع في علوم الشريعة واللغة

فلقد كانت دروس الشيخ ابقاه الله روضا نضيرا تتسابق الهمم للعرف من اريجه والكريم من منله العذب الفياض وسوقا علمية تتبارى فيها افكار تلاميذه الذين بث فيهم بثائره القيمة واسلوبه الحكيم روحا علمية جريئة ونشاطا لا عهد لهم به

وكانت طرقة دروسه ممتازة بتحاشي الابحاث القليلة الجدوى والاطالة بنقل كلام المفسرين مما لا يرتبط كثيرا بالغرض المهم من معاني الذكر الحكيم صارقا همنه لا يراد ما احتوى عليه القرآن من اسرار الشريعة ونواميس الكون والعمران معتبرا جدي الاعتناء باظهار بلاغة التنزيل واعجازه في تعبير يزري بنظم الجمان وبرز فصاحة سحبان ورغبة في تعميم فائدة هذه الدروس القيمة التي كان الشيخ يسجلها بقلمه البليغ رائنا وخوب المبادرة بنشرها في فاتحة باب القرآن الكريم من هذه المجلة ولما خاطبناه في هذا الغرض الفينا منه ارتياحا وتشيطا عظيمين واسعنا بدياة تفسيره والمقدمة الاولى من مقدماته لنشر ذلك مستبعا بما يليه من بقية المقدمات ثم التفسير والى القاري الكريم نص الديباجة

مع قسم من المقدمة الاولى

ديباجة

قد كان اكبر منيتي منذ سنين . اقراء تفسير الكتاب المبين . الجامع لمصالح الدنيا والدين . والحاوي لكليات العلوم ومعاهد استنباطها . والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها . طمعا في بيان نكتة من العلم وكليات من التشريع وتفاصيل من مكارم الاخلاق كان يلوح انموذج من جميعها في خلال تدبره . او مطالعة كلام مفسره^(١) . لاسيما ونحن في زمن قد ذهل فيه كثير عن تدبر محمد دينهم القويم . ونكبوا عن اتباع صراطه المستقيم ولكنني كنت على كلني بذلك اتجهم التفحيم على هذا المجال اتقاء ما عسى ان يعرض له المرء نفسه من متاعب تنوء بالقوة . او فلتات سهام الفهم وان بلغ ساعد الذهن كما له في الفتوة . فبقيت اسوف النفس مرة ومرة اسومها زجرا فان رأيت منها تصميمها احلتها على على فرصة اخرى . وانا آمل ان يمنح الله من التيسير . ما يشجع على قصد هذا الغرض العسير . وفيما انا بين اقدام واحجام . وتخيل هذا الغرض مرة انه القناد واخرى انه الثمام . اذا انا باملي ذلك يخيل الي انه تباعد او انقضى . اذ قدر ان تسند الي خطة القضاء^(٢) . فبقيت متلهفالات حين مناص . واضمرت تحقيق هاته الامنية متى اجمل الله الخلاص . وكنت احادث بذلك الاصحاب والاخوان . واضرب لهم المثل بما وقع للحافظ ابن رشد في اتمام كتاب البيان^(٣) . ولم ازل كلما مضت مدة يزداد التمني وارجو انجازها . الى ان اوشك ان تمضي عليه مدة الحيازة . فاذا الله قد من بالنقلة لحطة الفتيا^(٤) . واصبحت الهمة مصروقة لما تنصرف اليه الهمم العليا . فتحول الى الرجاء ذلك الياس . وطمعت ان اكون

(١) اشير بهذا الى ان المهم من كلام المفسرين يرشد الى الزيادة على ما ذكروه . والذي دون ذلك من كلامهم ينبه الى تقويم ما ذكروه . (٢) في ٢٦ رمضان سنة ١٣٣١ . (٣) حيث ذكر انه شرع فيه ثم عاقه عنه تقليد خطة القضاء بقرطبة بعزم على الرجوع اليه ان اربح من القضاء وانه عرض ذلك على امير المسلمين علي ابن يوسف بن تاشفين فاجابه لذلك واعفاه من القضاء ليعود الى اكمال كتاب البيان والتحصيل . (٤) في ٢٦ رجب عام ١٣٤١

ممن اوتي الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس^(١) هنالك عقدت العزم على تحقيق ما كنت اضمرته . واستعنت بالله تعالى واستخرته وعلمت ان ما يهول من توقع تعب او غلط . لا ينبغي ان يحول بيني وبين نسج هذا النمط . اذا بذلت الوسع من الاجتهاد . وتوقيت طرق الصواب والسداد . واعتمدت على ما علمني الله من العلوم وتوسمت انواء افهام ابنائنا في مجلس الدرس الذين هم لسمائه كالنجوم . فالحمد لله الذي صدق الامل . ويسر الى هذا الخير ودل .

اقدمت على هذا المهم اقدام الشجاع . على وادي السباع . متوسطا في معترك انظار الناظرين . وزائرا بين ضباح الزائرين^(٢) . فجعات حقا علي ان اقف مواقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها وان ابدي في تفسير القرآن نكتا لم ار من سبقي اليها فان الاختصار على الحديث المعاد . تعطيل لفيض القرآن الذي ما له من نفاد ولقد رايت الناس حول كلام الاقدمين احد رجلين رجل معتكف فيما شاداه الاقدمون . وآخر أخذ ببعوله لهدم ما مضت عليه القرون . وفي كلا الحالين ضرر كثير . وهنالك حالة اخرى يكون بها جبر لجناح الكسير . وهي ان نعد الى ما شاداه الاقدمون فنهذبهم ونزيدوا وحاشا ان ننقضه او نبیداه عالما بان غمص فضائل السلف كفران للنعمة . وجحد مزايا السلف ليس من حميد صفات الامة . كيف وقد علمنا الله تعالى ما يجب علينا نحو سلفنا بقوله (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين ءامنوا ربنا انك رؤوف رحيم)

(١) اردت الاشارة الى الحديث لا حسد الا في اثنتين لانه لا يتعين ان يكون المراد الجمع بين القضاء بها وتعليمها بل يحصل المقصود ولو بان يقضي بها مدة ويعلمها الناس مدة اخرى . (٢) الزائرون هنا اسم فاعل من زار بهمزة بعد الزاي وهو الذي مصدره الزير وهو صوت الاسد قال عنترة :
« حلت بارض الزائرين فاصبحت * عسرا علي طلابك ابنة مخرم »

« المقدمة الاولى في التفسير والتاويل »

التفسير مصدر فسر الذي هو مضاعف فسر بالتخفيف (من بابي نصر وضرب)
الذي مصدره الفسر وكلاهما فعل متعد فالتضعيف ليس للتعدية
والفسر الابانة والكشف لمذلول كلام او لفظ بكلام ، اخر هو اوضح للسامع ثم
قل المصدران والفعلان متساويان في المعنى وقيل يختص المضاعف بابانة المعقولات قاله
الراغب وصاحب البصائر

وكان وجهه ان بيان المعقولات يكلف المبين كثرة القول كقول اوس بن حجر

الاعمى الذي يظن بك الظن من كان قد راي وقد سمعا

فكان تفسيراً لمعنى الاعمى وكذلك الحدود المنطقية انفسرة للمواهي والاجناس
لا سيما الاجناس العالية الملقبة بالمقولات فناسب ان يخص بالمضاعف بناء على ان فعل اذا
لم يكن للتعدية كان المقصود منه الدلالة على التكثير من المصدر قال في الشافية « وفعل
للتكثير غالبا » وقد يكون التكثير في ذلك مجازيا واعتباريا بان ينزل كد الفكر في
تحصيل المعاني الرقيقة ثم في اختيار اضبط الاقوال لابيائها منزلة العمل الكثير كتفسير
صحار العبدى البلاغة بقوله « ان تقول فلا تخطي وتجب فلا تبطي » ثم قال اقلني
« هو ان لا تخطي ولا تبطي »

ويشهد لهذا قوله تعالى « ولا ياتونك بمثل الاجثثك بالحق واحسن تفسيراً »
فاما اذا كان فعل للتعدية فان افادته التكثير مختلف فيها والتحقيق ان المتكلم قد يعدل
عن تعدية الفعل بالهمزة الى تعديته بالتضعيف لقصد الدلالة على التكثير لان المضاعف
قد عرف بتلك الدلالة في حالة كونه فعلا لازما فقارنته تلك الدلالة عند استعماله في
التعدية مقارنة تبعية ولذلك قال الزمخشري في خطبة الكشف « الحمد لله الذي انزل
القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله على حسب المصالح منجما » فقال المحققون من شراحه
جمع بين انزل ونزل لما في نزل من الدلالة على التكثير الذي يناسب ما اراداه العلامة من

التدريج والتنجيم وانا ارى ان استفادة معنى التكثير في حال استعمال التضعيف للتعدية امر من مستتبعات الكلام حاصل من قرينة عدول المتكلم البليغ عن المهور الذي هو خفيف الى المضاعف الذي هو ثقل فذلك العدول قرينة على المراد وكذلك الجمع بينهما في مثل كلام الكشاف قرينة على ارادة التكثير

واما عزاء شهاب الدين القرافي في اول انواء البروق الى بعض مشايخه من ان العرب فرقوا بين فرق بالتخفيف وفرق بالتشديد فجعلوا الاول للمعاني والثاني للاجسام بناء على ان كثرة الحروف تقتضي زيادة المعنى او قوته والمعاني لطيفة يناسبها المخفف والاجسام كثيفة يناسبها التشديد واستشطره بعدم اطراده . فليس من التحرير بالمحل اللائق وهو اشبه بالطائفة منه بالحقائق . اذ لم يراع العرب في هذا الاستعمال معقولا ولا محسوسا وانما راعوا الكثرة الحقيقية او المجازية كما قررنا ودل عليه استعمال القرآن الا ترى ان الاستعمالين ثابتان في الموضع الواحد كقوله تعالى « وقرآنا فرقنا » قرى بالتخفيف والتشديد وقال تعالى حكاية لقول المؤمنين « لا نفرق بين احد من رسله » وهي تفرقة معنوية لاجسمية كما هو واضح

والتفسير في الاصطلاح نقول هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني الفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار او توسع

والمناسبة بين المعنى الاصلي للتفسير والمعنى المنقول اليه لا يحتاج امثالكم الى تطويل فيه . وموضوعه الفاظ القرآن من حيث البحث^(١) عن معانيه وما يستنبط منه وبهذا الحثية خالف علم القراءات لان تمايز العلوم كما يقولون بتمايز الموضوعات وحيثيات الموضوعات ... (يتبع)

محمد الطاهر ابن عاشور

(١) ارى ان يتوسع اهل اللسان العربي في اضافة حث الى المفرد لان جر الاسم ءانس في السمع

مع كونه واردا عن العرب

الحديث الشريف

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ نَوْفَ
الْبَكَالِي يُزْعِمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بْنِ إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ
فَقَالَ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ حَدَّثَنَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ
فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدَّ الْعِلْمُ إِلَيْهِ
فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ
يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ فَقِيلَ لَهُ إِحْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهَوِ
ثُمَّ فَانْطَلِقْ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ وَحَمَلًا حُوتًا فِي مِكْتَلٍ حَتَّى كَانَا
عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا وَنَامَا فَانْسَلَّ الْحُوتُ مِنَ الْمِكْتَلِ فَاتَّخَذَ
سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سُرْبًا وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا
وَيَوْمَئِذٍمَا فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا
نَصَبًا وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمْرُ بِهِ
فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ قَالَ
مُوسَى ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَلَمَّا أَتَى الصَّخْرَةَ
إِذَا رَجُلٌ مَسْجِي بِثَوْبٍ أَوْ قَالَ تَسْجَى بِثَوْبِهِ فَسَلَّمَ مُوسَى فَقَالَ الْخَضِرُ
وَأَنْتَى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ فَقَالَ أَنَا مُوسَى فَقَالَ مُوسَى بْنُ إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ قَالَ

هَلْ أَتَبَعَكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّا عَلِمْتَ رَشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
 صَبْرًا يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمْنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَنْتَ
 عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكُمُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ . قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا
 أَعْصِي لَكَ أَمْرًا فَاَنْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ
 فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ فَاكَلَمُوهُمَا أَنْ يَحْمِلُوهُمَا فَعَرَفَ الْخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ
 نَوْلٍ فَبَجَاءَ عَصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَتْ نَقْرَةً أَوْ نَقَرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ
 فَقَالَ الْخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا
 الْعَصْفُورِ فِي الْبَحْرِ فَعَمِدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنَ الْأَوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ فَقَالَ
 مُوسَى قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمِدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتَغْرِقَ أَهْلَهَا .
 قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ
 فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نَسْيَانًا . فَاَنْطَلَقَا فَإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَامَانِ
 فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ فَأَقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ . فَقَالَ مُوسَى أَقْتَلْتَ
 نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ . قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا .
 قَالَ ابْنُ عِيْنَةَ وَهَذَا أَوْكَدُ . فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا
 فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ
 فَأَقَامَهُ . فَقَالَ مُوسَى لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِمْ أَجْرًا . قَالَ هَذَا فِرَاقُ
 بَيْنِي وَبَيْنَكَ . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْنَا
 لَوْءَ يَرْحَتْنِي يَقْصُ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا

البيان

بقلم العالم الجليل الاستاذ المحقق الشيخ سيدي محمد البشير النيفر الاستاذ بقسم التخصص

والمدرس بالمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط



القصص والالاخبار من علوم القرآن الحكيم ولذكرها فيه فوائد منها قيام الحجة على اهل الجحود والعناد في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن يتلو كتابا ولا يصاحب من يتلو ثم جاء الناس بكتاب يقص عليهم انباء الاولين ويسيرهم بالحق ويهدي مع هذا الى ما فيها من ضروب العظة والاعتبار وسنن الله تعالى وغير ذلك من القواعد الصحيحة للعمران والاجتماع وقد يشير الى هذه الفائدة بعض آيات القصص كقوله تعالى بعد قصة طالوت وجالوت : « تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين » فتذيل القصة بهذه الجملة : « وانك لمن المرسلين » اشارة والله اعلم الى ان ذكر مثل هذه القصة آية بينة على رسالته صلى الله عليه وسلم

واظهر من هذه الآية في تنبيه الاذهان الى هذه الفائدة قوله تعالى بعد قصة مريم عليها السلام « فمك من انباء الغيب نوحيها اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون » وقوله تعالى بعد ان قص ما قص من نبا موسى عليه الصلاة والسلام : « وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكننا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين

ومنها الاعتبار بما فيها من ضروب الهداية والارشاد الالهي . ومما ينتظم في هذا السلك تاسي نبينا صلى الله عليه وسلم بالرسل الذين من قبله كيف كان شأنهم مع الامم وشان الامم معهم ثم كانت العاقبة لهم . وحقت كلمة الله عز وجل على من كذبهم وناوهم والى هذا الاشارة بقوله تعالى « وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في ذلك الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين »

وقد ختم الله سورة يوسف عليه الصلاة والسلام بقوله : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الابواب الآية فهدانا الى الاعتبار بهذا القصص الصادق حسبنا ما ذكرنا من الفائدةين للقصص القراءانية وبعد هذا ناخذ في التنبيه على شان من شؤنها في القرآن الحكيم

ذلك ان منها ما يكرر فيه ومنها ما لا يذكر الا مرة واحدة فمن الاول قصة آدم عليه الصلاة والسلام ذكرت في القرآن سبع مرات وقصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون كررت فيه ايضا ومن الثاني قصة طالوت وجالوت وقصة ابني آدم وقصة موسى والحضر عليهما السلام

الا لا تضلك الاوهام الباطلة فتذهب الى ان ماكرر في القرآن من القصص كرر لغير فائدة ، فان الله وعظ بهذا القصص وذكر الشيء كلما تكرر تقرر اليس في تكرار قصة آدم عليه الصلاة والسلام ما يبعث التالي بتوفيق الله وعنايته على اخذ الحذر من ابليس وقبيله

اليس في تكرار قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون ما يثبت فؤادك على الاعتقاد بما لله عز وجل من العناية بالحق واهله وان دولة الباطل وان طال عمرها الى زوال اما قصة موسى والحضر فليس لموضوعهم من الخطاراة مثل ما لقصة آدم او قصة موسى وفرعون فلذا لم تذكر الامرة وان جاء فيها من ضروب العظة والاعتبار ما سنمر بوضعه ان شاء الله تعالى وتلك سنة القرآن في كل قصة وقد سبقت الاشارة اليه

ولك ان تنتزع مما ذكرنا في فائدة تكرار القصة الواحدة بالكتاب العزيز فائدة تكرار الحديث الواحد في كتاب من كتب الحديث الشريف كالحديث الوارد في قصة موسى والحضر عليهما السلام اخرج هذا الحديث الامام البخاري في اكثر من عشرة مواضع في صحيحه منها موضعان في كتاب العلم ترجم اولهما بقوله باب ما ذكر في ذهاب موسى في البحر الى الحضر عليهما السلام وهو يشير بهذه الترجمة الى ان من فوائد الحديث الرحلة في طلب العلم وترجم الثاني بباب ما يستحب للعالم اذا سئل اي الناس اعلم فيكمل العلم الى الله وهو يشير بهذه الترجمة الى ما ينبغي ان يكون عليه العالم من رد العلم الى الله تعالى واخرجه

في كتاب التفسير وكتاب قصص الانبياء وغيرهما . ذلك كله لما تنبه لك هذه القصة من الفوائد المختلفة التي احلتها من عناية الامام البخاري بالمكان المكين فكان يذكرها مرة بعد اخرى ولقد كان له في كتاب الله اسوة حسنة والقصد الآن الى ما ترجمه بقوله : باب ما يستحب للعالم اذا سئل اي الناس اعلم فيكل العلم الى الله وقبل ان نطرق باب الحديث نقول كلمة في اعراب هذه الترجمة تاسيا بالشارحين قال الشهاب القسطلاني فيكل العلم الى الله اي فهو يكل العلم الى الله وحينئذ فاذا شرطية والفاء في جوابها والجملة بيان لما يستحب . او اذا ظرف لما يستحب والفاء تفسيرية على ان يكل في تقدير المصدر بتقدير ان اي ما يستحب وقت السؤال هو الوكول الى الله تعالى اه

وحاصله ان في اذا والفاء وجهين احدهما ان تكون اذا شرطية ظرفية والفاء بعدها هي التي تقارن جزاء الشرط . و اشار رحمه الله بتقدير الضمير الى أن الفاء داخلة على مبتدأ مقدر والجملة اسمية والذي دعاه الى هذا التقدير اخذاه بمذهب سيبويه الذي يمنع ان يقترن مثل هذا المضارع بالفاء ويصرف ما ظاهره ذلك الى تقدير مبتدأ فيه حتى تكون الجملة اسمية

قال الشيخ ابن هشام في المغني بعد ذكر المسائل الست التي يلزم فيها قرن الجزاء بالفاء . وانما دخلت في نحو ومن عاد فينتقم الله منه لتقدير الفعل خبراً لمحذوف فالجملة اسمية اه قال الشمني : وهذا مذهب سيبويه وقال المبرد لا حاجة الى ذلك قال ابن جعفر ومذهب سيبويه اقيس اذ المضارع صالح للجزاء بنفسه فلولا انه خبر لمبتدأ لم تدخل عليه الفاء اه وقد بسط المسألة باوسع من هذا في اثناء الكلام على ألا . وخلاصة ما كتبه ثمت ان الشيخ ابن الحاجب صرح في الكافية بجواز اثبات الفاء وتركها مع المضارع المثبت والمنفي بلا قال الرضي اما الفاء فلانها كانا قبل اداة الشرط صالحين للاستقبال فلم تؤثر الاداة في معنهما تأثيرا ظاهرا كما اثرت في فعلت . واما تركه فلانها كانا صالحين للحال والاستقبال على الصحيح والاداة خصتهما بالاستقبال وهو نوع تأثير وبهذا التعليل يسقط التوجيه الذي ذكره ابن جعفر لاقيسية مذهب سيبويه

قال الرضي وان ثبت نحو ان غبت فيموت زيد لم يكن لمذهب سيبويه وجه اذ

لا يمكن في مثله تقدير مبتدا الا ضمير الشأن ولا يجوز الا بعد ان المخففة قياسا وان
واخواتها ضرورة اه و نتيجة البحث ان الشيخ الرضي يرجح مذهب المبرد على مذهب
سيبويه واليه ميل الشمني وعليه فلا حاجة الى تقدير ضمير مبتدا في قوله « في كل
العلم الى الله » ولكن كلام الشيخ الرضي ضعيف فانه مبني على تقدير ثبوت : ان غبت
: فيموت زيد واني لنا بثبوته !

الوجه الثاني ان تكون اذا ضرفية بحته متعلقة يستحب والفاء بعدها تفسيرية بناء
على ان المضارع في تقدير المصدر اي ما يستحب عند السؤال هو الوكول وفي رواية :
ان يكلا وهو اوضح قاله الحافظ ابن حجر .

قلت حاصل كلامه ان الضرف يتعلق يستحب واما على الاول فيتعلق بجوابه كما
هو معروف واذا علق بالجواب كان مفاد الترجمة ان الباب موضوع لبيان ما يستحب للعالم
مطلقا واذا كان كذلك لزم ان جميع ما يستحب للعالم هو ان يكل العلم الى الله اذا سئل
اي الناس اعلم وانما وضع الباب لبيان ما يستحب له عند السؤال . ولهذا صحح السندي
طريقة تعليق الظرف يستحب ولكنه يخالف الشيخ ابن حجر في جعله الفاء تفسيرية
والفعل من بعدها في تاويل مصدر بل يري الفاء فاء الفصيحة والفعل جزاء شرط مقدر
حذف صونا للكلام عن صورة التكرار مع ظهور القرينة فيؤول الكلام الى ما مثاله .
باب ما يستحب للعالم عند السؤال . اذا سئل اي الناس اعلم في كل العلم الى الله . فنقطة
الخلافا بين الحافظ ابن حجر والسندي في الفاء اهي التفسيرية ام فاء الفصيحة وفي الفعل
بعدها هو في تاويل المصدر خبر الضمير او واقع في جزاء الشرط المقدر

ويقول هذا العاجز . اما تعليق الظرف يستحب كما صححه السندي واقتصر عليه
الحافظ فهو المتبادر الظاهر ولا مجال فيه لنقد واما تقدير شرط في الكلام واعتبار الفاء مفصحة
عنه فالظاهر خلافه كما عليه الحافظ ابن حجر لوجهين

الاول رواية ان يكل العلم فهي ترجح تاويل يكل بالمصدر وتخريج الفاء على
التفسير في رواية . في كل العلم الى الله . الثاني انه اقل تقديرا . . . (يتبع)

محمد البشير النيفر

الْعُظْمَى وَالْإِشْرَافُ

الدعوة الى الاصلاح واثرها في المجتمع

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن »

(قرآن كريم)

بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لهداية الناس الى دين الفطرة - قيام علماء الاسلام
بواجب الهدي كما امرهم الله - قيام الاصلاح النبوي على الامر بالمعروف والنهي على
المنكر - وظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تختص بفريق من الامة - تقصير
العموم باهمالهم سؤال العالم واسباب ذلك - الطرق التي سلكها المصلحون - حال المربي
الاكبر عليه السلام مع قومه - اساس النجاح عدم الاياس - حاجة الامة الى المصلحين

ان الله تعالى بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويبصرهم طريق الهدى وسبل السعادة العظمى ويكشف لهم عن نقاب
المهلكات التي ما فتىء اهل الاهواء عاكفين عليها ويزيل عنهم درن الوثنية الذي ما زال
عالقا بالبشر فاهاب بالعقول من سباتها ودعاها الى التفكير في ملكوت السماوات والارض
ونبهها الى ما عليه الانسان من التقصير في هذا المضمار وما كان يجدر به ان يلتمس الدر
من الغدير ويتبع اناسا هم في موطن الحجة يترجعون بل كلمتهم نحن (وجدنا آباءنا على
امة وانا على اثارهم مقتدون)

فهداهم الى المحجة وارتنى لهم الاسلام ديننا وجعلهم امة وسطا يدعون الى اليقين
بامر من عندنا ويحذرون الضال حتى يعود اليه رشدا ويتبين له الغي فيحيد عنه ويشوب
الى فطرة الله التي فطر الناس عليها

وما زال من امة الاجابة بتوفيق الله الحكيم من يتخطى مواقع الخطا فيزيل عنها الشبهة ويحتسب فيدعو الناس الى هدى الرسول ويعرفهم بالمعروف ويرغبهم فيه بالموعظة الحسنة ويخاطبهم بالحكمة البالغة التي تشرح اليها الصدور ويضرب الباطل بسهم نافذ فيزيل عن النفوس محالبه المتمكنة منها فيسلم الظاهر والباطن ويعالج اسقامها بآداب النبوة حتى بلغوا بهم شاوا بعيدا فسلمت من امراض كان خطرها على المجتمع عظيما وما صلاحه الامع استقامتها وروضوها على الخلق الحسن فتهدبت طباعهم التي كانت قد غلبت عليها الوحشية

ولعمري ان اعظم تراث يقدم لبني الانسان ليستعمله في تاسيس المجد الذي شغف به واكبر اصلاح يحمد اثره ويشمر نبتا احسنا باذن الله واخطر خطة يتولاها اولو العزم في هذا العالم ليصلوا بقافلة البشر الى نهاية السعادة هو ترغيب الكافة بامرهم بالمعروف حتى تتحمله النفوس ويتمكن منها وتهذيبهم بنهيهم عن المنكر وصددهم عنه فيزيل تعلقه بهم . ولعظم هذا الامر وخطارته وما علق بالحيلة البشرية من الشر وما ينتسب اليه نجد الله سبحانه وتعالى لطفانه بعباده وهو اللطيف الخبير رتب على بعثة الرسل امرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بابلغة معانيهما فقام الاصلاح النبوي على هذا الاساس

ثم جعل ذلك وظيفة كل من يؤمن بالله واليوم الآخر ووعدنا عليه الثواب الجزيل قال تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) كما توعد المقصر وحذره عاقبة تقصيره حيث قال وهو اصدق القائلين (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وليست وظيفة الامر والنهي خاصة بفريق من الامة دون فريق بل المسلمون في احكام الملة سواء ومن علم حكم الله في شيء وجب عليه ان ينشره بين العموم ولا يعذر الجاهل بجهله وتقصيره بعدم السؤال والله يقول (فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) فكما انه يجب على من راي فسادا في الارض او ظلماً او عقيدة مقامة على ضلال أن يحذر الناس وينكر عليهم الدخول في هذا المضمار او راي تقصيرا من آخرين ان

يامرهم بالمعروف الى اصلاح حالهم ويرشدهم الى ما هم في غفلة عنه ويذكرهم فان الذكرى تنفع المؤمنين كذلك لزما على كل مسلم ان لا يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه

وكذلك كان حال سلفنا الصالح وبه تمت لهم المزية ونالوا مقاما حمدوا عليه وسلموا من اخطار وقع فيها من اهل هذا الركن العظيم

ومن تأمل حال المسلمين في هذه الا زمان يرى منهم اعراضا تاما عن السؤال والبحث عن احكام الله فيما يتعاطونه من الاعمال فيباشر الواحد المعاملات على اختلاف انواعها وتباين صورها ولا يبحث عن جوازها او عدمه ولا عن الصورة التي تكون بها جائزة والتي لا تكون . بل ترى اشد من ذلك وهو عدم السؤال عن مسائل العبادات وعن شروطها واركانها فترى الواحد يصلي اعواما ولا يعلم ما يصحح الصلاة وما يفسدها وكذلك القول في الصيام وهكذا في سائر العبادات

ونحن اذا بحثنا بحثا مستفيضا وراء هذا الخلق الذي منع العموم من السؤال وافضى بهم الى الخسران والندامة ولات ساعة مندم . وان كان السواد الاعظم لم تشعر حواسه بما خفي في نفسه مما نسميه ندامة وغاية ما وصل اليها زفرات تتصاعد في سواد حالك يحيط به لا تركها تصل الى الحقيقة كما هي فيبقى ينتقل من مفسدة الى اشد منها مثابرا في سيره على غير هدى

نعم اذا بحثنا في ذلك بحثا مستفيضا نجد السبب يرجع الى امور متعددة
اولها : الاعتزاز بالنفس والترفع عن السؤال . ثانيا . تأثير البيئة . ثالثا . مبدا الاباحية . رابعا : ما تفشى عند بعض الادعياء في العلم من الانكار على التقليد مع وقوعهم فيما فروا منه . خامسا : عدم اطمئنان النفس لاستجواب مرشد امين . سادسا : عدم ادراك الاخطار التي تنجر من اهمال السؤال . سابعا : ضعف الوازع الديني . ثامنا : مفعول المال والجلاء . تاسعا : الخوف من الاجابة بالمنع . عاشرها : الدعاة الضالون المضلون وفي الغزم ان نتولى بحث هاته الامور التي تقف سدا منيعا بين الانسان والنجاة . ونميط اللثام عن حقائق نحن في حاجة الى الكشف عنها

وقياما بالواجب المفروض علينا وتعميما لفائدة الارشاد حتى يبلغ هذا الصوت اسماع الكافة وتعي معانيه افئدة هي في حاجة الى بلوغ صدا لا فتحنا هذا الباب وهو « باب الوعظ والارشاد » ليلج به كل محتسب في دينه مخلص في دعوته الى الحق

واني ارى فريقا من الناس قصر وا انظارهم في هذا الامر الخطير على معالجة بعض بدع اعتادها الكافة او قسم من الامة وحسبوها فرعا من فروع الملة وانها قربة ينال بها العبد من ربه جزاء وانكروا عليهم صنيعهم ذاك وقاوموهم بشتى المقاومات فحصل خلاف المقصود وعاد الامر على عكس المطلوب واحسب ان السبب الذي اوجب ذلك هو اسلوب المقاومة الذي اتخذوا المصلحون في نشر دعوتهم المباركة بين قومهم الذين خيم عليهم الجبل وضرب برحابهم اطنابه فصور لهم الدعوة الى الحق ضلالا والتنفير من البدع الحاد اقوم هاته اخلاقهم التي شبوا وشابوا عليها الحكمة في ارجاعهم الى تعاليم الاسلام وتحذيرهم مما هم عاكفون عليه ولا يمت الى الشريعة بسبب ان تتعهدهم بالموعظة الحسنة كما امرنا بذلك فنكون مرغبين غير منفرين ولا نياش من رحمة الله فان العادة اذا استحكمت في النفوس ليس من الهين تركها والاقلاع عنها فكيف بما يرجع الى المعتقدات والقرب وقد وصف الله تعالى رسله بانهم اولو العزم بما يتحملونه من مشقة الصبر العظيم لبلوغ الغاية التي اقاموا لها الدعوة وساروا في ذلك على مقتضى ما رسنه لهم العليم الحكيم وهذا المربي الاكبر والمصلح الحكيم يخاطبه الله بقوله (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجاد لهم بالتي هي احسن)

فتلك هي الطريقة المثلى التي رسمها القرآن ولكم في رسول الله أسوة حسنة فهل يجدر بنا ان نحيد عنها ونبغي بعد ذلك النجاح

فلا بد حينئذ من امرين احدهما الدعوة الى الإصلاح بالحكمة والوصول اليها لا يكون الا بالموعظة الحسنة وثانيهما الصبر على ذلك حتى تقوم الفضيلة في النفوس مكان الرذيلة

اما اذا كان في نفوس المصلحين شيء من الحدة فان نفوس القوم اشد حدة من

من ذلك ولربما افضى بهم الامر اذا خذلهم الحجة ان يعمدوا الى منطق هو في الواقع عقيم وكثيراً ما نسمعهم يقولون ان ما تنكرونه الناس متعلقون بما هو اشد منه خطورة فهلا اعتنى المصلحون بذلك كان المرء اذا قام منكراً على احد توفرت له الاسباب في الانكار عليه ليس له ذلك ما دام في الوجود من يفعل فعله او ما هو اقبح من صنيعه

ولو علم الناس ان دعوة الاصلاح لا تختار من المنكرات فتشمل هاته وتتغافل عن تلك وحذقوا ان المصلح يتربص بقومه الفرص لهان عليهم الامر على ان امر الاصلاح كثير التشعبات متعدد المسالك وعلى كل فرد ان يقوم بما يتمكن منه وليس من الراي في شيء ان نكسر باللائمة على من هدا الله لارشاد الناس ونفسد عليه خطته التي رسمها لنفسه فتعرض له بانواع المقاومات ونشئ عليه الغارة ونظهره في اعين الكافة باقبح صورة يكون عليها الإنسان ونستعير له من الصفات ما هو مضاد لما يدعو اليه لننفر منه المجتمعين حوله بل الامر على خلاف ذلك فان المنكرات التي تمكنت من النفوس لا تدخل تحت حصر والتقصير في القيام بالواجبات شمل العظيم والصعلوك والجهل بالاحكام الشرعية هي الصفة الذاتية التي يتميز بها هذا الخلف عن اولئك الساف وكيف يتم امر الترغيب والترهيب والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من مصلح واحد او اثنين حتى يصح لنا ان نقاومه اذا افرغ وسعه للقيام بنوع من الارشاد

انما الواجب ان نرغب الناس في ذلك الى ان يتوفر عدد المصلحين بتوفيق الله تعالى وتشمل الدعوة الى الفلاح سائر الخطوب فتنتشع تلك الغيوم وتظهر شمس الهداية ويبرز اثرها للعيان

محمد شاولي بن القاسمي



﴿ طلب العلم فريضة على كل مسلم ﴾

بقلم العالم التحرير صاحب الامضاء

لا نريد ان نتعرض لبيان مزية العلم وفضله وكيف ينهض بصاحبه من حضيض الجهل والهوان الى ذروة العز والشرف فان ذلك من القضايا المسلمة بين العقلاء من جميع الامم والشعوب . وانما نريد ايقاظ العامة الى امر مهم هم عنه غافلون . من المعام ان الله تعالى ميز نوع الانسان بالعقل واختاره لعمرات هذا العالم الذي شاءت الارادة الازلية بقاءه الى اجل معلوم عنده وكان من الحكمة ان تعبدل بتكاليف وفرض عليه فرائض حتى يكون عبدا اختيارا كما كان عبدا اضطرارا . ومن تلك التكاليف ما يرجع الى العقيدة ومنها ما يرجع الى العمل . وكل من النوعين لا يقبل الا اذا كان مستوفيا لشروطه الشرعية فمعرفة تلك الشروط التي يتوقف عليها خروج المكلف عن عهدة التكليف فرض عين بمعنى انه يفترض على كل مكلف بعينه واما معرفة ما زاد عليها من العلوم التكميلية ففرض كفاية بمعنى انه يفترض على المجموع لا على كل فرد فالمراد بالعلم في الحديث معرفة ما لا بد منه لاقامة امر الدين فمن قصر فيه فهو متهاون بدينه . قال بعض الفقهاء من فرائض الاسلام تعلم ما يحتاج اليه المرء في إقامة دينه واخلاص عمله لله تعالى وفرض على كل مكلف ومكلفة تعلم علم الوضوء والغسل والصلاة والصوم وعلم الزكاة لمن له نصاب وعلم الحج لمن وجب عليه وعلم احكام البيوع للتجار ليحترزوا عن الشبهات والمكروهات وكل من اشتغل بشيء يفرض عليه تعلم احكامه ليمتنع عن الحرام فيه اه

وفي تبين المحارم لاشك في فرضية علم الفرائض الخمس وعلم الحلال والحرام وعلم البيع والشراء لمن اراد الدخول في التجارة وعلم الالفاظ المحرمة والمكفرة ولعقري ان هذا من اهم المهمات في هذا الزمان لانك تسمع كثيرا من العوام يتكلمون بما هو مكفر وهم عنه غافلون والاحتياط ان يجدد الرجل ايمانه كل يوم . فحقيق بكل مكلف ان

اليراعة

اليراعة

واذكر مآثرها وحسن خصاها	حي اليراعة وافتخر برجاها
حد الاسنة سودها وطوالها	واعجب بها عودا تبرز شباته
صرفت بالقلم الامور لآلها	سبحانك اللهم اشرف مقسم
علمت من الاسما حقيقة حاها	سطرت به اللوح العظيم ملائك
ودحى الثرى بسهولة وجباها	فهوت به جودا للذي رفع السما
ابليس مخزيا بعمار زوالها	واختص آدم بالرعاية فائسني
قعدت اسود الحرب دون نزالها	فاز اليراع بكل عويصة

يسمى جهلا في تصحيح عقائده وتعلم ما لا بد منه لاقامة امر دينه اما بالجلوس في حلقات الدروس الدينية واما بالسؤال عن كل ما يعرض له في امور العبادة فان الدار دار اسلام لا يعذر فيها بالجهل والعلماء بحمد الله كثير وليحذر الاقبال على امر دنيا والاشتغال بها معرضا عن اخرته ومعادله فذلك من التهاون بالدين والغفلة عن الله. كما نرغب من علمائنا السعي في نفع العوام والاكتثار من دروس الوعظ والارشاد بمختلف المساجد حتى يؤدوا الامانة التي ائتمنوا عليها ويخرجوا من عهدة التقصير وبعد أفليس من العار ان يكون بجامع الزيتونة من المدرسين مائة ونيف ليس بينهم من نصب نفسه لفائدة العوام وارشادهم الى صراط الشريعة الاقوم والتمسك بعروتها الوثقى ولو وفقنا لاداء هذا المهم لوجدنا من الامة ادعانا للحق وانقيادا له فان الاستعداد موجود والقيادة مفقودة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

ح . ب

وجرى بسلسال العلوم فإينعت
 وزهت لاهل الضاد دانية الجنى
 وبذي المجلة جنة من نورلا
 فإلقد تبدت كاعبا في وشيها
 زفت عروسا للنهى عربية
 وسطت على هم الصعاب بما لها
 قد شرفت نسا بمنتسب الهدى
 المسجد السامي الذرى حيث الهدا
 موصولة الحلقات موثقة العرى
 القائمين بامرها والشائدين

☆☆☆

هذي المجلة سوف يكمل حظها
 واذا الجهود توحدت لمهمة
 ان التآزر سر كل سعادة
 وكذا العظام فكرة في بدئها
 واضر ما في الناس كفر صنعة
 خزيا لمن يقضي على آماله

☆☆☆

يا شعب ان ترغب لنفسك نهضة
 وتطلب العلياء من مرقاتها
 واجهر بقولك نائرا او شاعرا
 واعد لها ما قد مضى من مجدها
 وانشر على الابواب من آدابها
 فالعلم في كن الصدور جهالة

فاعمل لها واتبع خطى ابطالها
 وابغ السعادة من طريق منالها
 وارض العروبة ما استطعت ووالها
 واهتف لدى سمع الدنيا بمقالها
 وابسط على الافهام من افصالها
 تذر الشعوب فريسة لنكالها

« التجديد في الادب »

« ابتدأت بهذا الموضوع سلسلة مقالاتي لغرضين
الاول صبوة النفس اليه واعتباره اول موضوع
يجب بحثه في زمن قعدت فيه الهمم عن فهم الادب
العربي واستجلاء معانيه الحية ، والثاني استنهاض
المنصفين من اهل الفكر للحكم في هاته القضية
اما لي او علي »

اذا تفهمنا تطورات الادب قديما وحديثا وخبرنا الاسس التي يبنى عليها تطورها
في الزمنين عرفنا سر روعته وجودته في الماضي وتدهورها وبساطة فكر ذويه في الزمن
الحاضر . ولا شك ان الشاذ في كلا العصرين لا حكم له

لمتى وانت على البرية عالة	مترقب لسخائها ونوالها
هذي النصيحة من مجلتك التي	جعلت نهوضك منتهى آمالها
وستغندي للعلم خير مطية	تتنافس الفرسان في اعجالها
في ساحة الشرف التي قد جمعت	بين العوارف في فسيح مجالها
من كل عصماء يعز منالها	وينوء بالاصداق بذل مثالها
نضدت بها آي الكتاب قلائدا	طوقن لبات النهى بجمالها
او كل تبيان يشع بلاغة	من نير العليا وقطب كمالها
طه القرشي الذي بحديثه	ازرى الفصاح وبز سحر مقالها
تلفي بها الظمأى مناهل حكمة	يجري الهدى والحق من سلسالها
ستقيم للشيم الزكية دعوة	فعل السيوف يهون دون فعالها
وستذكر الماضي بما في طيه	وتقص للخضرا حديث رجالها
وتعيد للاداب صوت جريرها	وبيان احمدها ونسج غزالها
حتى نرى بالعلم رآية تونس	تسمو لمطلع نجمها وهلالها

« الطاهر القصار »

لقد كان التجديد في الادب طبعيا يتأثر خطى المدنية ويقف وراء الحضارة والادب اكثر المظاهر احساسا واسرها تطورا. واجل، اثار لارقة المعنى بعد جفافه وشدته وجزالة اللفظ بعد ثقله وصلابته وما ذلك الا نتيجة وفرة المعاني وكثرة الصور والمشاهدات التي تجلوها رآة المدنية لابناء العصور بمقدار حظوظهم في الرقي والحضارة وبتفاوت تلك الحظوظ تختلف قيم الادب وتفاوت نتائج التفكير من الكتاب والشعراء وهو وان كان حسن النتيجة طيب الاثر في بعض العصور الغابرة الا انه لم يترك جانب الامة العربية بريئا من تهمة القصور في اللغة وعدم التضلع في آدابها وهي لعمرى تهمة شنعاء لا يزيد بها البعد عن العصر العربي الا قوة وثبوتا بما جعل ادب البعض كاهل الجزيرة والعراق ومن عاصرهم على روعته وحسنه مردود الشهادة في مجال الاستدلال على قواعد اللغة واثبات اصول اشتقاقها صوتا لها وخوفا عليها من الامتزاج واغوى عوامله تقارب الشعوب وتجاورها واتصال المدن والممالك ببعضها. واذا عرفنا ان الادب العربي قاموس جامع للغة الضاد وان اهل الضاد في عصورهم المجيدة كانوا يتكلمون العربية سجية وخليفة فيهم لا تقوى قواهم على تغييرها او النطق بغير القياس فيها اكبرنا فكرة القادح في لغة غيرهم ممن التصق بالامم الغريبة وتبادل معها الاخذ والعطاء في شتى المناحي ومختلف جهات الحياة. ولو لم يقم علماء العربية بضبط قواعد اللغة وادبها بعد ما خفقت بوارق التغيير لما بقيت لها بقية ولا صبحت كسائر اللغات الاخرى التي قوضت صرحها يد المدنية الغالبة وابقت اشكالها رموزا على الجدران والدمى لا تدرى معانيها ولا تفهم مبانها

على ان التجديد عند القدماء لم يغير الروح العربية او يبديل كيفية تصوير المعاني او يحول اسلوب الاشتقاق في اللغة إلى غير منحاه العربي وغاية اثره هو تهذيب المعاني والالفاظ بصورة تتناسب مع مدنية العصر واختراع بعض الصور اللفظية او المعنوية اختراعا لا يمت إلى غير الاسلوب العربي بصلة وما ذلك إلا لوقف همهم على رعاية الادب الصحيح واحلاله بالمنزلة السامية من نفوسهم وتشققهم بالعلوم العربية الصرفة وتعصبهم لقوميتهم ولغتهم حتى في اخريات ايامهم وما آثارهم في هذا الصدد سواء في

العصر الاموي او العباسي بالامر الذي انت عليه الايام او طوته السنون . ولنضرب مثلاً حكاية علي بن الجهم الذي يقول :

انت كالكلب في حفاظك للود د وكالتيس في قراع الكموب
ويقول :

عيون المهى بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري
فهو يستعمل الالفاظ الوحشية الغريبة عن اسماع اهل الحواضر الرافلين في شقوف الديباج والحريير والساكنين باشباه الخورنق والسدير حين لم يالف سوى الكلب والاسد والتيس والجمال ولم يتقياً غير ظلال الشيخ والقيصوم ولم ير غير الطنب والوتد . ثم هو ينظم فرائد اللؤلؤ المكنون نظماً ياخذ بالالباب والعقول لما سكن القصور . وغازل ربات الخدور . وتسمن قمم السرر المرفوعة . واتلقت امامه شمس الاكواب الموضوعة . واجال النظر فيما ابدعته يد الصناعة ووشته انامل الفن الجميل ومرح بين القاف البساتين مع الخرد الغيد والكواعب الاتراب . ومع هذا النوع من التجديد الظاهر لا تجد الروعة العربية فارقت ثاني قوله او الروح الخاصة بلسان الضاد قد ماتت فيه او وهنت وهو لم يعمد الى اتحال اساليب الغير او يلبس قوله ثوباً مستعاراً لا يحسن لمثله لبوساً ولم يركب الاثير مطية لحياله ولا سبح في سماء الخلود سعياً الى اللانهاية ولم يسند الجمال لللائكة النلاظ الشداد ولا هو تخيل بخيال غيره فتصور ان الملك صبي وسيم المحتاح حسن الطلعة له جناحان وبيدها قوس وسهم . فهو وامثاله من المجددين بحق اعظم من ان يقول قولاً اذا سئل عنه بقي مبهوتاً او اجابك بجواب هو ايضاً من النوع الذي سألته عنه .

وها اهل الاندلس يتجاوز التجديد عندهم المعاني والاساليب اللفظية الى الفن العروضي ذاته فيتصرفون فيه بزيادة فن كامل له اصوله وقواعده وهو فن التوشيح الذي لم يزاحم الى اليوم بما يقوم مقامه لا سيما في الموسيقى ولم يجد له هواة التجديد على كثرتهم في هذا العصر مشابهاً او بديلاً . ولكم نافعهم الادباء في عصور مختلفة بمعارضات شتى فاختطاً منهم سهم التوفيق غرضه وحاذ بهم جواد السباق عن مداره .

وما نشر باقل حظ في التجديد من الشعر فقد غيرت اساليبه وتنوعت مناهجه
 فارسل بعد تسجيعة واطلق بعد تقييد بفنون البديع التي من شانها غالبا التأثير على اظهار
 المعنى في صورته التامة لاسيما اذا لم تكمل مهارة الكاتب ولم يتم نضج قريحته وهاته
 الظاهرة جلية في نشر اهل الجزيرة والعراق . والعصر الاندلسي في عموميه يعد من
 العصور الادبية الزاهرة كما كان عصر المدينة والحضارة ولربما راي فيه البعض ضعفا
 ومبالغة في المجون والحلاعة بما جعله في المرتبة الثانية ازاء العصر العباسي
 واني من الافراد الذين يرون غير ذلك ويقدررون الاندلس اتم اتقدير ويشهدون
 بالتبرز لادباء الجزيرة التي انبتت تربتها امثال الغزال وابن زيدون وابن شهيد وابن خفاجة
 تلك الروضة التي احتملت الفنون باجمعها في ادواح افنانها الوارفة الظل حتى كبرت
 وترعرعت وظهرت للامم بهجة الانظار وزينة العقول . تلك الجنة التي انجبت من يقول
 في سينية مطلقها :

عسى خطرة بالركب يا حادي العيس على الهضبة السماء من قصر باديس

★ ★ ★

وحانة خمار دعانا لقصدها شميم الحميا واصطكاك النوايس
 تطلع ربانها من جداره يهينم في جنح الظلام بتقدیس
 بكرنا وقلنا اذ نزلنا بساحها عن الصافنات الجرد والضر العيس
 اينا عابد الناسوت انا عصابة اتينا لتثليث بلا ولتسديس
 وما قصدنا الا المقام بحانة وكم البس الحق المبين بتلبیس
 فانزلنا فورا على جنباتها محارب شتى لاختلاف النوايس
 ومنها :

بدرنا بها طين الختام بسجدة اردنا بها تجديد حسرة ابليس
 ودار العذارى بالمدام كانها قطى تنهادى في رياش الطوايس
 وصارفنا فيها نظاراً بمثله كانا ملانا الكاس ليلا من الكيس
 وقمنا نشاوى عند ما متع الضحى كما نهضت غلب الاسود من الخيس

الفتاوى والأحكام

حكم لبس البرنيطة في دار الحرب ودار الاسلام

بقلم خاتمة المحققين المقدس المبرور الشيخ سيدي محمد الشاذلي ابن
القاضي المدرس بجامع الزيتونة المولود عام ١٢٦٢ والمتوفي عام ١٣١٣

كان لتهاون القادة وبعض اهل النفوذ بالبلاد الاسلامية بنواميس الشرع اثر ظاهر في المبادرة بنشر التحرير التالي لانه وفي الموضوع حقه واحاط به من جميع نواحيه فان ظهور المسلم بمظهر ينافي مقررات شرعه امر لا يقره الاسلام وهو دين المدينة في كل ماسنه وشرعه وكم من لوعة يتحملها الفؤاد من رؤية افراد الامة الاسلامية يبادرون لللبس القبعة في البلاد الغربية لا سيما اصحاب الحثيات والمناصب العالية الذين يذهبون لتمثيل اممهم في المؤتمرات الدولية والمحافل الرسمية . فهذا الوفد المصري الذي ذهب اخيرا الى لندن لامضاء المعاهدة المصرية الانكليزية قد راينا صور افراده بمجلات مصر المصورة في زي غربي بحت حاملين على رؤوسهم القبعات وفي مقدمتهم رئيس الوزارة المصرية رجل الساعة وحامل لواء الوطنية في الشرق متأثرين بالغربيين في ازيائهم وعاداتهم التي ضربها الاسلام بحضارته في الصميم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد سألني العالم اللوذعي
والنحرير الاممي الدراكة الشهير والناقد البصير الجامع لما قد تنوسي الشيخ ابو عبد الله

فقال لبس المسلمون ضيوفنا فلا وايك الجبر ما نحن باليس

وهل في بني مشواك الا مبرز بحلبة شوري او بحلقة تدريس

اذا هز عسال اليراعة فاتكا اسال نجيع الجبر فوق القراطيس

فبصرف النظر عن الموضوع اخلاقياً نرى ان الصورة الوصفية التي اخرجها الشاعر

في قصيدته تكاد تبعث مع الاحياء ولا اصدق ان ريشة رفائيل او غيره من اساطين فن

التصوير قادرة على اخراج ما صوره ابن الخطيب بلسانه ... (له بقية)

الطاهر القصار

سيدي محمد السنوسي حرس الله كماله وبلغه في الدارين آماله عمن يتعمد لبس البرنيطة في بلاد الافرنج وهو قادر على استعمال الشاشية ولا يناله من استعمالها سوء فهل يعد لبسه لها من علامات الاستخفاف بالدين وان لم يقصد بلبسها الارتداد عن الدين وتجري مجرى علامات التهاون الظاهرة ! ام ينظر فيها لقصد لا بسها ؟ واذا اعتبر قصد لا بسها فهل يعتبر قضاء وافتاء ام في الفتوى فقط ؟ وهل ان قصد لا بسها بلبسها مجرد الاختلاط بسواد الافرنج حتى لا يكون معروفا فيما يفعله مما يزين او يشين استتاراً عن العيون او قصد بلبسها مجرد التشبه بالافرنج لاستحسان ما هم عليه في زيهم او التجنب اليهم بوجه من الوجوه او لبسها لمصلحة فضلها بها عن الشاشية بزعم انها تصلح الراس او تزين اللبس يكون بهاته المقاصد السيئة سالماً من موجب الردة ام ان هاته المقاصد تعتبر حجة عليه في التشبه والاستحسان المفضيين للتهاون والاستخفاف بالدين ؟ وهل من لم يخالج صدره شيء من هاته المقاصد المذكورة يحمل صنيعة على ما يترأى من الاستخفاف ام يكفي نفيه عن العود لذلك ؟ وهل لا بسها للسخرية به او الاستحسان حكمه حكم من لم يكن له قصد ام حكمها مختلف ؟ وهل من يلبسها في بيته وهو مقيم في بلاد الاسلام لقصد التبرد فيما يزعم او قصد آخر غير الارتداد يكون سالماً بقصده وهو بين اظهر المسلمين يرونها علامة مختصة بالمرتدين ام لا ؟ جوابكم الشافي لا زلتُم ناجورين وبعين العناية ملحوظين انتهى نص السؤال .

فاقول في الجواب والله الموفق للصواب . اختلف مشائخنا فيمن لبس علامة المجوسي مع القدرة على الترك قال في الفتاوى الهندية يكفر بوضع قلنسوة المجوسي على راسه على الصحيح الا لضرورة دفع الحر والبرد وبشد الزنار في وسطه الا اذا فعل ذلك خديعة في الحرب وطليلة للمسلمين اه وقال فقيه النفس قاضي خان في فتاواه مسلم وضع على رأسه قلنسوة المجوسي قال الشيخ الامام ابوبكر محمد بن الفضل رحمه الله لا يكفر بذلك قال رضي الله عنه هذا الجواب انما يصح اذا فعل ذلك ضرورة ولا يعتقد انه يصير به كافراً فان فعل ذلك وظن انه يصير به كافراً او يقصد به الاستخفاف بالدين فانه يصير كافراً . وعن عبد الله ابن ابي جعفر ان فعل ذلك يريد به تقييح فعلهم لا يكون

كفرا اه وقال في البرازية وضع قلنسوة المجوسي على رأسه قيل لا يكفر لانه موحد
 بلسانه مصدق بجناناه قال الامام رحمه الله لا يخرج احد من الايمان الا من الباب الذي دخل
 به والدخول بالاقرار والتصديق وهما قائمان وقيل يكفر لانه علامة ولا يلبسها الا من
 التزم التمجس والاستدلال بالعلامة والحكم بما دلت عليه مقرر في العقل والشرع اه
 وفي الفصول العمادية وجامع الفصولين واللفظ للثاني وضع قلنسوة المجوسي على رأسه
 قال بعض المشائخ كفر وقال بعضهم لا يكفر وبعض المتأخرين قالوا لو لضرورة كدفع
 برد او غيره لا بأس به والصحيح انه يكفر وما ذكروا من الضرورة ليس بشيء اذ
 يمكنه ان يمزقها ويخرجها عن تلك الهيئة حتى يصير شبه القطعة لبد فيدفع ضرر البرد
 عن نفسه ثم قال في جامع الفصولين شد زنارا على وسطه او وضع عسليا على كتفه كفر
 اقول لقائل ان يقول في لبس مثل هذه الاشياء ينبغي ان يكون على نيته فلو اعتقد انه
 كفر كفر والا فلا اذ الاصل ان لا يكفر احد من اهل القبلة والاسلام راجع الى الاقرار
 والاعتقاد فاذا سلم عما يوجب الكفر ينبغي ان لا يتسارع الى الكفر الا بشيء يوجب
 قطعا ويمكن رداه بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تشبه بقوم فهو
 منهم فينبغي ان يكفر به اه وقال في الاشياء ويكفر لو تزر بزنا اليهود او النصراني
 دخل كنيسهم او لم يدخل ولو قال كنت استهزى بهم ولا اعتقد دينهم صدق ديانة اه
 وقيد في البحر الكفر بلبس الزنار بما اذا كان يقصد الاستخفاف بالاسلام اما لو فعل
 ذلك خديعة في الحرب وطليعة للمسلمين لا يكفر اه

قلت واذا ثبت الخلاف في قلنسوة المجوسي ثبت في قلنسوة النصراني المسماة
 بالبرنيطة وقلنسوة غيرهم من الكفار اذ لا فرق بين الجميع وكذلك يثبت الخلاف في غير
 القلنسوة من الملبوسات التي هي علامة ظاهرة على التمجس او اليهودية او النصرانية او
 غيرها من فرق الكفر اذ لا فرق بين علامة وعلامة مع استواء الجميع في كون كل منها
 علامة ظاهرة على الكفر ثم على القول بان لابس الامور المذكورة كافر فلاحتمالات
 المذكورة في السؤال كلها سواء لان مجرد اللبس مكفر على هذا القول سواء انضم له شيء
 اخر ام لا وقد انبنى هذا القول على اعتبار ظهور العلامة في الكفر فيثبت الاستخفاف

المنافي للتعظيم . قال الكمال ابن الهمام في المسائرة ولاعتبار التعظيم في الايمان المنافي للاستخفاف كفرت الحنفية بالفاظ كثيرة وافعال تصدر من المتهتكين لدلائلها على الاستخفاف بالدين اه وعلى هذا القول فما يقضي به القاضي من الكفر هو ما يفتي به المفتي اذ لا فرق بين ما به القضاء وما به الفتوى قال في الدر المختار نقلا عن صاحب التصحيح والترجيح :

لا فرق بين المفتي والقاضي الا ان المفتي مخبر عن الحكم والقاضي ملزم به اه نعم بعض مسائل الطلاق والعتاق تختلف في كون صاحبها يصدق ديانة لا قضاء كما صرح به في البحر من كتاب الايمان واصحابنا يعبرون فيها بالديانة بقولهم فيما بينه وبين ربه وكذا بعض مسائل الردة وقد تقدمت مسألة منها في كلام الاشبال ومنها مسألة من اراد ان يقول اكلت فقلت كبرت قال في جامع الفصولين قال محمد لا يكفر قالوا هذا محمول على ما بينه وبين ربه فاما القاضي فلا يصدقه اه وكذا بعض مسائل الايمان كالحالف بالاسم المشترك كالحليم وقال اني نويت غير الله سبحانه قال في البحر نقلا عن البدائع لا يكون يمينا لانه نوى محتمل كلامه فيصدق في امر بينه وبين ربه تعالى اه اي ولا يصدق قضاء لانه خلاف الظاهر قال الامام الزيلعي لان دلالة القسم معينة لارادة اليمين اذ القسم بغيره تعالى لا يجوز اه

واما على القول بان لا لبس الامور المذكورة غير كافر ولو مع القدرة على لبس غيرها فان لم يقصد بلبسها الارتداد عن الدين فعدم الكفر ظاهر لانه لم يقصد امراً مكفراً وانما الذي صدر منه مجرد لبسها واصحاب هذا القول لم يجعلوا مجرد اللبس لعلامة من علامات الكفار من علامات الاستخفاف بالدين الذي يكفر صاحبه اذا وجد فان الظاهر ان العلامة المعتبرة عندهم هي العلامة القاطعة كوضع المصحف في القذورات والسجود للصنم فان الوضع والسجود المذكورين من العلامات القاطعة على الاستخفاف بكتاب الدين وبالشارع للدين ولا يخفى ان لبس مثل هذه الامور ليس بهذه المثابة قطعاً والا لما وقع فيها خلاف .

يؤيد ما قررناه من الدراية تعليل اصحاب هذا القول عدم الكفر بقولهم لانه موحد

بلسانه مصدق بجنانه فقد اعتبروا التصديق قائما قياما معتدا به مع ان الاستخفاف اذا تحقق تزعم التصديق لانه ينافيه فيكون التصديق مع الاستخفاف حكمه حكم العدم لأن الاستخفاف من امارات التكذيب المنافي للتصديق كما صرح به المحقق التفتزاني في شرح العقائد

ويؤيد ما قاله صاحب جامع الفصولين في البحث الذي ابداه المؤيد لقول هؤلاء من انه ينبغي ان لا يتسارع الى الكفر الابشيء يوجبه قطعاه
وحكم ما اذا لبسها لمجرد الاختلاط بسواد الافرنج حتى لا يكون معروفا فيما يفعله مما يزين او يشين استتارا عن العيون كحكم ما اذا لبسها ولم يقصد بلبسها الارتداد عن الدين لانه لم يقصد امرا مكفرا وكذلك لبسها لمصلحة فضلها بها على الشاشية بزعم انها تصاحح الراس او تزين اللابس لانه لم يقصد امرا مكفرا وكذلك لبسها لها للسخرية به لانه جعل نفسه سخرية بلبسها ففيه استخفاف بالعلامة الملبوسة وتقبيح لها وقد تقدم عن قاضي خان انه نقل عن عبد الله ابن ابي جعفر انه ان لبسها يريد تقبيح فعلهم لا يكون كافرا وكذلك لبسها لها في بيته وهو مقيم في بلاد الاسلام لقصد التبرد او قصد آخر غير مكفر فانه يكون سالما بقصد لا من موجب الردة وهو بين اظهر المسلمين يرونها علامة مختصة بالمرتدين

واما حكم لبسها لاستحسان ما هم عليه او التحجب اليهم بوجه من الوجوه فهو مختلف فان كان الاستحسان راجعا الى الديانة وكذا التحجب بحيث انه يستحسن ديانة الافرنج ويفضلها على ديانة المسلمين ويتحجب اليهم من جهة استحسانه ديانتهم فانه كفر وان كان الاستحسان والتحجب راجعا الى مجدهم عليه من اتقان امور الدنيا كالصناعات والمعارف من حيث انها موصله للكسب ورواج التجارة واصلاح البلدان والمنازل حيث لم يكن في ذلك امر راجع الى الديانة ويدخل في هذا جميع امورهم الدنيوية التي لا تمس الديانة بشيء فانه ليس بكافر قال في البحر :

يكفر بتحسين امر الكفار اتفاقا حتى قالوا لو قال ترك الكلام عند اكل الطعام حسن من المجوس او ترك المضاجعة حالة الحيض منهم حسن فهو كافر اهـ . وقال في

الاشبلاء قال التاجر ان الكفار ودار الحرب خير من بلاد الاسلام والمسلمين لا يكفر الا اذا اراد ان دينهم خير وقال في جامع الفصولين معلم صبيان قال اليهود خير من المسلمين بكثير فانهم يقضون حقوق معلم صبيانهم كفر اقول لو اول ان مراد لا تقبيح معاملة اهل بلاده وبيان تغيير الاحوال عن قانون الشرع لا اهانة الاسلام هل يكفر؟ ينبغي ان لا يكفر ديانة ولكن ينبغي ان لا يصدق قضاء اذا اطلق المسلمين بلا تخصيص قوم اهـ.

واذا علمت الخلاف في كفر لابس علامات الكفار فالذي عليه الفتوى في باب الردة في المسألة الخلافية انه لا يفتى بالكفر وانه يتعين الافتاء بعدمه قال في جامع الفصولين: روى الطحاوي عن ابي حنيفة لا يخرج الرجل من الايمان الا جحود ما ادخله فيه ثم ما يتيقن بانه ردة يحكم بها وما يشك انه ردة لا يحكم بها اذ الاسلام الثابت لا يزول بالشك مع ان الاسلام يعالو وينبغي للعالم اذا رفع اليه هذا ان لا يبادر بتكفير اهل الاسلام مع انه يقضي بصحة اسلام المكره اهـ.

وقال في الفتاوى الصغرى: الكفر شيء عظيم فلا اجعل المؤمن كافرا متى وجدت رواية انه لا يكفر اهـ . قال في البحر: ولو كانت تلك الرواية ضعيفة اهـ قال خير الدين الرملي: ولو كانت تلك الرواية لغير اهل مذهبنا ويدل عليه اشتراط كون ما يوجب الكفر مجمعا عليه اهـ . وقال في البحر: من باب البغاة يقع في كلام اهل المذهب تكفير كثير لكن ليس ذلك من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون بل من كلام غيرهم ولا عبرة بغير الفقهاء كما قاله الكمال ابن الهمام اهـ وقال في البحر من باب الردة والذي تحرر انه لا يفتى بتكفير مسلم امكن حمل كلامه على محمل حسن او كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة فعلى هذا فاكثر الفاظ التكفير المذكورة في كتب الفتاوى لا يفتى بها قال الكمال ابن الهمام وقد الزمت نفسي ان لا افتي بشيء منها اهـ وقال في البرازية ويحكى عن بعض ما لاسلف له انه كان يقول ما ذكر في الفتاوى انه يكفر بكذا وكذا فذلك للتخويف والتهويل لا لحقيقة الكفر وهذا باطل اهـ قال الفاضل الحموي في حواشي الاشبلاء والحق ان ما صح عن المجتهدين فهو على حقيقته اي فيفتى به واما ما ثبت عن غيرهم فلا يفتى به في مسألة التكفير ولذا قال الكمال ابن

الهام في الفتح ان الذي صح عن المجتهدين في الخوارج عدم تكفيرهم ويقع في كلام كثير تكفيرهم لكن ليس ذلك من كلام الفقهاء المجتهدين بل من كلام غيرهم ولا عبرة بغير الفقهاء اه وقال في الدرر اذا كان في المسالة وجوه لا توجب الكفر وواحد يمنعه فعلى المفتي الميل لما يمنعه ثم لو نيته ذلك الوجه الواحد فهو مسلم والا لم يمنعه حمل المفتي على خلافه اه ومثله في الفصول العمادية

ولا يخفى عليك ان العمومات المتقدمة لا تختص بالاقتوال بل تعمها والافعال ايضا فعلى هذا لا يقتى بكفر لابس علامات الكفار اذا لم يصحبه قصد امر مكفر واذا لم يكفر لابس هذه العلامات فانه يكون بلبسها قد فعل محرما ويؤمر بالاستغفار والتوبة وتجديد النكاح قال في المحيط :

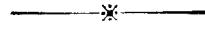
ما كان في كفره اختلاف فان قائله يؤمر بتجديد النكاح وبالتوبة والرجوع عن ذلك بطريق الاحتياط اه وقال الشرنبلالي في شرح الوهبانية ما يكون كفرا اتفاقا يبطل العمل والنكاح واولاده اولاد زنى وما فيه خلاف يؤمر بالاستغفار والتوبة وتجديد النكاح اه وقول صاحب المحيط بطريق الاحتياط معناه كما في رد المحتار ان المفتي يامر بالتجديد ليكون وطؤه حلالا باتفاق وظاهره انه لا يحكم القاضي بالفرقة بينهما اه قال في الفصول العمادية ثم ان اتى بكلمة الشهادة على وجه العادة لم ينفعه ما لم يرجع عما قال لانه بالاثبات بكلمة الشهادة على وجه العادة لا يرتفع الكفر اه

قلت وحاصله ان الرجوع لا بد ان يكون مع التبري مما قال او فعل مما يدل على الكفر

وحيث فعل بلبس العلامات الخاصة بالكفار محرما فانه يعزر قال في الاشباه كل مرتكب معصية لاحد فيها . فيها التعزير اه وقال في البحر ان كل مرتكب معصية ليس فيها حد مقدر يجب تعزيره باجماع الامة اه . نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا اللهم انا نعوذ بك ان نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه وصلى الله على على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿ سؤال وجواب ﴾

قد ورد سؤال على العالم التحرير المدرس الشيخ سيدي الناصر الصدام عن حكم دفع زكاة الحبوب
تقودا فمهد بنظمه الى نظم الجواب عنه حسبما تتبينه فيما يلي :



وتوفيقك اللهم جد لي تفضلا	ويسر اموري يا كريم وسهلا
وصل على المختار من آل هاشم	محمد المبعوث للخلق مرسلا
وبعد فوافاني سؤال مهذب	يروم جوابا محكما ومفصلا
محصله هل يجزي المال مسقطا	زكاة حبوب عندما العام احلا
اجبت نعم تجزي الدراهم عندنا	اذ المال بالحاجات تلفيه اكفلا
فاحرى يكون المال للفرص مسقطا	اذا ادخروا للقت حبا وسنبلا
يريد بنا الله اليسار تفضلا	ويدفع عنا العسر والشر والغلا
فقد قال للساعي النذير معنفا	مقالا يريك الرفق بالخلق اعدلا
الم ^(١) انهكم عن اخذ اكرم ما لهم	غداة رأى الكوماء فيما تحصلا
عليه صلاة الله ما دام رفقه	يفوق شذاها زربا وقرنفلا
كذا الال والاصحاب من رفعوا لنا	قواعد دين بالرعاية اكملا

الناصر الصدام

(١) في هذا البيت تضمنين شيء من كلامه صلى الله عليه وسلم وهو انه لما رأى الكوماء فيما سعى
الساعين غضب لذلك غضبا شديدا وقال « الم انهكم عن اخذ كرائم اموال الناس » وفيه تنبيه على
ناموس من نواميس العمران وتعليم من تعاليم الاسلام الراقية افصح عنه القرآن الكريم في قوله سبحانه
« خذ العفو الاية » ذلك ان في اخذ العفو حكما منها الوثام الذي لولاه لهلك الانام ومنها استدامة
المودة

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
ومنها تربية الوازع الديني في نفوس الماخوذ منهم وبتكامله تتكامل المقاصد وتكتسب المحامد.

صفحة الشباب

لمحة خاطفة من حياة الشباب

في العصر الحاضر

بقلم الاديب الفاضل البيحانة صاحب الامضاء

لما وضعت الحرب الكبرى اوزارها ورجعت الجنود الى مساقط رؤسها . بعد ذلك الامتزاج البالغ والارتباط الوثيق بين افراد مختلف الامم التي خاضت غمارها وانغمست في حماها السنونة . دخلت بعد ذلك الحياة العامة في مضمار تنذر دلائله بالتعقد والفوضى من جراء التفاعل الذي حصل من مزيج اخلاق متباينة واءاء متطرفة وقد ظهر اثر ذلك بارزا في حياة الشباب وعلى الخصوص الناحية الاخلاقية منه ، ولعل ذلك يرجع الى ما في طباعه من نزق وعقوله من طرق يسهلان عليه تأثرا بما يفد عليه من الآراء المستجدة والمنازع الفكرية في كل مناحي الحياة حتى يصير كقصبه تميله رياح المدنية الوافدة أنى شاءت وتتقاذفه تياراتها الجارفة الى ان تنتهي به الى سواحل الاماني الخادعة والاحلام الكاذبة وهناك يرتطم بصخرة الحقيقة القاسية فيصبح من النادمين . وضروري ان لا يتأثر كالكحول والشيوخ كتائر الشباب اذ لاولئك من الانا والتجارب ما يمنهم من الانغمار في بهرج تلك الحياة ويربأ بهم عن ان يدركوا هجيرها ويخوضوا دجاها

قلنا ان انقلاب حياة الشباب كان اثر لا ينذر بوخامة اله تي وسوء المصير ذلك ان الشباب قد استبدل من اخلاقه الذي هو ادنى بالذي هو خير ، فآثر الاثر على الغيرية واستمرأ النفاق على الصراحة فترا لا يلاقيك بابتسامته المصطنعة وهو متحمل على الحبث قد طوى كشحه على الحقد عليك والكيد لك . يهزأ بالنصيحة ويستيطب المخادعة

وهو الى ذلك قد أوزع بالمظاهر الخارجية الكاذبة دون ان يابه بزكاء النفس وسمو العاطفة ونبالة الاحساس وطهارة الوجدان فراج عندا الادب الداعر وغانض فيه الحياء وفاض على يدلا الفسوق فندت عنه الفضيلة وشاعت بينه الرذيلة وخبث منه الانسانية الكاملة وطغت عليه الحيوانية الضارئة وتوزعت لذلك اطماعه هنا وهناك حتى كنت تجد ضحاياها في كل مكان ومخازيه في كل منعرج وهو مع ذلك لا يفكر في شيء تفكيره فيما يبلغ به ابعاد غايات التمدن المزعوم ، وما درى الغمر انه يسير بخطى سريعة طائشه نحو الترددي في مهواة الانحطاط السحيقة

لو كانت جنانية هذه الطائفة مقصورة عليها لهان الم الحسرة اما وضررها يتجاوزها الى دينها ووطنها وعشيرتها فان الحسرة تتضاعف وتتضاعف جدا . وهذا ما اهـاب بالمفكرين في كل الامم الى ان يعيروا حياة الشباب جانبا من عنايتهم ويستعرضوا ادواءه ويصفوا دواءه . حتى يتقوم ما ارتبك من اخلاقه ويستقيم على الطريقة المثلى فينضو عنه اوضار المدنية الساخرة العابثة ويتدرع بالخلق الكامل ليصير عنصر نشاط في حياة الامة معتزا برجولته مسترفعا بقسطه من اكلاف الحياة الجادة

وبعد فانا لئرجو لمجلتنا هذا - وهي في اول الطريق - ان تكون خير اداة لتقويم الشباب والسير به نحو المثل الاعلى للانسانية الفاضلة حتى تؤدي بذلك ما تفرضه عليها رسالة الفضيلة والتهذيب

م العنابي

في فقر الفرائض

ظهر في عالم المطبوعات التونسية كتاب « الغرة في شرح فقه الدرة » للعالم النحوي الفرضي الشيخ الصادق الشطبي المدرس من الطبقة الاولى المالكية بجامعة الزيتونة المعمور وهو شرح نفيس على قسم الفقه من متن الدرة البيضاء مؤلفه الشيخ عبد الرحمن الاخضري نحا فيه طريقة الكتب المدرسية الحديثة من سهولة العبارة وجودة التنسيق وجعل تمارين عقب كل باب فسد ثمة في كتب الدراسة بالجامع وقد قررت مشخة الجامع تدريسه لتلامذة السنة الرابعة من المرتبة الابتدائية لما رت فيه من الصلوحية للتدريس على الطريقة البيداغوجية الجارية على اساليب التعليم الصحيحة بعد ان عرضته على لجنة علمية مشكلة خصيصا لهذا الغرض فأبدت رأيها بصلوحيته لذلك ونحن بدورنا نثني على همة الشيخ العلمية وندعوه بالاعانة والتوفيق كما نرجو من سائر شيوخ التدريس بالمعهد الزيتوني ان ينسجوا على هذا المنوال حتى يعم نفعهم ابناء عصرهم ومن سيجيء بعد من الاجيال

المرجو من القارئ الكريم تصحيح الأخطاء الآتية

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٢	١٣	عليهم مقابلة	عليهم في مقابلة
٣	١	وانت	ورانت
٣	٢	وما تكون	ولا تكون
٣	٧	واختلت	واختلفت
٣	٧	مشاريعها	مشاربها
٣	٧	الفكر	الناس
٤	٧	عبرها	عبرها
٦	٣	زين	تزين
٧	٣	رئيس	رئيس
٨	١٩	بغته	بغيته
٨	٢٠	حاشيه	حاشية
١١	١٣	ضميرة	ضميره
١٦	٣	وتوقيت	وتوخيت
٣٢	٦	هم	همم
٣٩	٨	القطعة	قطعة
٣٨	١٨	المجوسي	المجوس
٣٨	١٨	المجوسي	المجوس
٣٨	٢٠	المجوسي	المجوس
٣٩	١	المجوسى	المجوس
٣٩	٥	المجوسي	المجوس
٣٩	١٨	المجوسى	المجوس

سقط السطر الآتي من صفحة ٣٧ وهو السطر الخامس عشر ونصه « وفيما يلي نص السؤال
الوارد على صاحب التحرير من صديقه الشيخ محمد السنوسي عن الموضوع ثم نص الجواب كما هو
بنسخة بخط المجيب قدس الله روحه »

تباع المجلة بالحاضرة في الاماكن التالية :

المكتبة العلمية سوق الكتبية عدد ١٢

مكتبة الاستقامة نهج سيدي بن عروس عدد ٣٤

المكتبة العتيقة نهج سوق الصوف عدد ١٣

مكتبة السيد محمد معلا نهج سيدي ابن عروس عدد ٤٤

دكان السيد محمد بن عمر جوار ادارة الاوقاف عدد ٧٢



المجلة الزيتونية

مجلة علمية اوسية اخلاقية

تصدرها الهيئة من بربركي جامع الزيتونة بالعمور

الجزء الثاني	تونس في شعبان عام ١٣٥٥ وفي اكتوبر عام ١٩٣٦	المجلد الاول
--------------	--	--------------

شهرية وسنتها عشرة اشهر

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي بن القايمي

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القايمي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع

حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

المطبعة التونسية : نهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

من المجلة الى قرائها بقلم التحرير
المشاريع بين العزائم الصادقة والمثبطين للعزائم رئيس التحرير

القرآن الكريم

بقية المقدمة الاولى في التفسير والتأويل (٢) بقلم صاحب الفضيلة شيخ الاسلام المالكي

الحديث الشريف

شرح حديث موسى والخضر (٢) بقلم الاستاذ محمد البشير النيفر
وضع الحديث ودواعيه بقلم العلامة الشيخ محمد الصادق النيفر

الوعظ والارشاد

الدعوة الى الاصلاح وائرها (٢) بقلم صاحب المجلة

التاريخ

صحيفة من تاريخ تونس بقلم العالم المورخ سيدي محمد ابن الخوجة
المستشار لدى الحكومة التونسية

الادب

الشعر بقلم مدير المجلة

التجديد في الادب (٢)
البكاء في الشعر العربي بقلم العالم المدرس الشيخ محمد الفاضل
ابن عاشور

الفتاوى والاحكام

حكم الحالف بالحرام وباللازمة للمقدس المبرور شيخ الاسلام سيدي
احمد كريم

سؤال وجوابه

حكم تارك الصلاة والصيام بقلم الشيخ محمد الهادي ابن القاضي
الحركة العلمية والادبية رئيس التحرير

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠ | وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا
» للتلامذة ١٥ | كانت ممضاة من امين المال
» خارج المملكة (وحدة البريد) ٣٠ | والمخابرات المالية لا تكون الا معه

المجلة الزيتونية

مجلة علمية اوسمة اخلافة

نصرها الفقه من مدرسة بامع الزيتونة العصور

الجزء الثاني | تونس في شعبان عام ١٣٥٥ وفي اكتوبر عام ١٩٣٦ | المجلد الاول

شهرية وسنتها عشرة اشهر

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي بن القفاصني

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٣٧-٠٧

صاحب المجلة :

محمد شاذلي بن القفاصني

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع

حمودة باشا

مديرها :

الطاهر النقصار

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثن الجزء فرنكان

﴿ من المجلة الى قرائها ﴾

تتقدم المجلة الزيتونية بوافر الشكر وجزيل الشاء الى عموم التونسيين على ما اظهر ولا من الاهتمام بها والاقبال عليها بما دعى الى اعادة طبع العدد الاول وجعل الهيئة القائمة عليها تنظر للمستقبل بعين الفرح والابتهاج . وتتوسم في نجاح هذا المشروع الذي اقدمت عليه بدافع الواجب الديني والعلمي وتخص بشكرها وثنائها اولئك السادة الافاضل الذين عملوا على توفير عدد المشتركين فيها وعلى نشرها بسرعة في سائر انحاء القطر . وتخص بالثناء ايضا اصحاب الجرائد الذين كتبوا على المجلة فنوهوا بشاهاها ايمانا تنويه واثنوا على هيئة القائمين بها او تقدموا اليها بملاحظات دفعهم اليها مبدأ التناصح الذي بدونه لا تخلو الاعمال من اخلال . والمجلة عند ما تبتهج بذلك لا يكون ابتهاجا منظورا فيه الى ما في ذلك من النجاح المادي . وان كان به نجاحها ونموها ودوامها بحول الله . وانما تنظر الى ما هو اسمى من ذلك وارفع وهو الاعانة على نشر المبادي الدينية والنامية بين جميع الطبقات على احسن وجه واقرب اسلوب . واننا نعتزم هاته الفرصة لابتداء ملاحظة تتعلق بتحديد مبدأ المجلة الذي ستسير عليه بحول الله ليكون في ذلك جواب عن بعض ملاحظات يدفع الى ابتدائها حسن نية اصحابها مع غفلتهم عن المبدأ . ان (المجلة الزيتونية) انما اسست لخدمة العلم والدين وليست خاصة بطبقة معينة من الناس تسايروهم وتماشيهم وتعرض عن سواهم . اذن فهي تنشر المباحث العلمية الدقيقة التي قد لا تهم الا طبقات معينة من الناس . وتنشر المباحث الدينية والاجتماعية التي تهم عموم الناس فتحصل بها للعالم الذكرى ويتعلم منها غيره . الم يحط به خبرا . ومن طبيعة هذا الازدواج ان تنشر فيها مقالات تكون محررة على ما تقتضيه المباحث العلمية . من دقة في التحرير . وسمو في التعبير . ولا يكون في ذلك غضاضة في نظر الناقد البصير . ومن جهة اخرى فالمجلة في اول حياتها ولا بد لكل قادم من دهشة فهي جديدة بان تحضى من قرائها بالتسامح والاعضاء . وان ينظر اليها بعين الرضاء وان يتجاوز عما عساه ان يكون فيها من تقصير او سهو والله الموفق الى السداد . والهادي بفضلها الى سبيل الرشاد

قلم التحرير

المشاريع

بين العزائم الصادقة والمثبطين للعزائم

المشاريع مهما تعددت انواعها واختلفت مراميها وتباينت مقاصدها من دينية وعلمية وادبية واجتماعية وتجارية واقتصادية فاساس نجاحها • وشرط انتاجها صدق العزيمة في القائمين عليها •

فاذا بلغك عن مشروع انه كون اي هو بصدد التكوين و اردت ان تسلم مبلنهم من النجاح والدوام • فابحث عن القائمين به • فان تحققت ان لهم عزيمة صادقة • بشر بنجاح ذلك المشروع • والا فاحكم عليه بالاضمحلال • من يوم الاستهلال فملاك الاعمال كلها • والمحور الذي تدور عليه رحلتها هو العزيمة الصادقة • فما هي العزيمة الصادقة ؟

هي ان يكون الشارع في عمل من الاعمال معتقدا بصحته • موقنا بنتيجته • جازما جزما لا شك فيه انه سيصل الى مبتغاه بعد بذل الجهد والاعتماد على الله معرضا عن البطالين والمثبطين للعزائم • مضجيا بنفسه وباعز ما عنده في سبيل تحقيق حاجته عليه غير مكترث بما سيناله من الالام • وبما سيصادفه في طريقه من المشاكل الصعبة • فاذا تحققت هذه الشروط فذلك هو صدق العزيمة الذي هو سر النجاح • وفي اعتقادي ان تحققها غير صعب وانما يستدعي شيئا من الممارسة والتعود على الفضائل حتى تصبح كالطبيعة للانسان •

ولكن منها شرط واحد هو اصعبها تحققا واشدها مراسا • الا وهو الالام من المثبطين للعزائم • فهم الداء العضال المسلط على المشاريع الفاتك بها • فالمثبطون للعزائم مثابتهم بمثابة الحيوانات المفترسة • لان هاته فتك بارواح البشر • وهم يفتكون بارواح المشاريع • ولعل هذا النوم من الفتك بشد ضررا واحظم مسئولية من النوم الاول • لان القضاء على المشاريع هو في الحقيقة قضاء على حياتهم كاملة

ولعل مما يؤسف له : ان يكون هذا الخلق خلق تشييط العزائم متفشيا في بلادنا بصورة عجيبة وعدوانية ولا تزال تنمو بكيفية مزعجة مخيفة بحيث يخشى من خطرهما كما يخشى من جراثيم مرض الحمى والبلهرسيا . وتجب مقاومتها بأشد أنواع المقاومة كما تقاوم جراثيم هاته الامراض .

ان خلق تشييط العزائم قد قضى على هذه البلاد وعلى تقدمها وعلى انتاج اهلها وعلى عزائم قادتها وعلى قرائح نبغائها . وعلى نشاط العاملين فيها . فوقفت في مكانها وقد سارت الامم اشواطاً الى الامام . وتعطل انتاجها وقد ملأ انتاج غيرها عوالم البر والبحر والسماء . وخارت عزائم قادتها وقد صحت عزائم قادات الامم حتى صارت اصلب من الحديد . وتعطلت عقول نبغائها عن العمل المستمر وقد اينعت ثمار العقول في جميع الاقطار والبلدان . وقضى على نشاط الحازمين فيها وقد ايدوا ونصروا عند جميع الاجناس .

وما لذلك من سبب الا هذا الداء العضال داء تشييط العزائم

تفكر في مشروع من المشاريع - كاحداث مدرسة لتعليم البنات المسلمات الدين واللغة العربية وتسمى لابرارة للخارج . فيخطر ببالك ان تتحدث في شأنه مع بعض أهل بلادك كما هو الواجب . فتتحرك في نفسه نغرة التشييط ويتها لمقاومتك فيبدالك اولاً بقوله ان هذا المشروع لا تصادقك عليه الحكومة - والحكومة هي السلاح الاول الذي يتدرع به كل من لا يريد العمل فتعارضه بان هذا مشروع علمي محض زكل حكومات العالم - حتى الحكومة الحبشية المرحومة - تعين عليه فيقول لك هب ان الحكومة آذنتك بفتح هاته المدرسة فاين المال الذي ستنفقه على القيام بها - فتقول له سائق عليها مما يدفعه اولياء البنات في كل شهر ومما تجود به همم اهل الفضل والاحسان على هذا المشروع . فيعارضك بان هذه الموارد لا يصح الاعتماد عليها لان ولي البنت ان دفع شهراً فانه لا يستمر على الدفع . واهل البر ان دفعوا مرة فانهم لا يزيدون عليها . فتقول له : هذا سوء ظن بك وغفلة عما وصلت اليه امتنا من الرقي وادراك المشاريع النافعة واي مشروع انفع من تكوين شابات مسلمات يتعلمن الدين الصحيح ويكون لنا

ابناء المستقبل مشبعين بروح الدين وحب لغتهم العربية فمن غير شك ان مشروعا كهذا ستوافر همهم على اعانته وبذل كل ما يملكون في سبيله . فتبكته حجتك ولكن لا يرجع عما جبل عليه من التشييط فيسليك بك . مسلكا آخر ويقول لك : هب ان ذلك كله يتم فهناك مشكلة كبرى تحول دون اتمام هذا الموضوع وهي ان اولياء البنات ليست لهم ثقة فيمن سيباشر تعليم بناتهم من الرجال وما يدريك لعل مجالس التعليم تنقلب الى مجالس هو وفجور . فتقول له قد بلغت يا هذا في سوء النظم وخبث النفس فارجع عن هذا التفكير الاحق وحسن نيتك في ابناء جنسك فيقول لك : هذا نصيحتي اسديتها اليك وستشاهد صحتها ثم ينصرف .

وما هو في الحقيقة بناصح ولا بمريد للخير ولا بمعتقد لصحة ما يقول ولكنه خلق تشييط العزائم استولى عليه حتى تركه يهذي بما يتنزل عنه المحموم وههنا يظهر صدق العزيمة . فان كنت متحليا به فانك تعرض عن هذا الميثاق الخائن ويتجلى لك انه واحد من اعوان ابليس الذين يعملون له ما يعجز عن ان يعمله بنفسه وعند ذلك تستعيز بالله من شره وتمضي في تنفيذ مشروعك الذي فكرت فيه . وان كنت محروما من صدق العزيمة فانك تهتم بما قاله لك وتأخذ عليك مشاعرك وتقوم عندك احتمالات صحة ما اشار به اليك فتأخذ عزيمتك في الانحلال شيئا فشيئا حتى تعتقد بصعب تحقيق ذلك المشروع ثم تعتذر له ثم بتعسرا ثم باستحالة وقوعه حتى يصير ذلك المشروع عندك نسيا منسيا .

فهذا صورة من مآلات الصور التي تقف فيها المشاريع بين مد العزائم الصادقة وجزر المثبطين للعزائم . وفي الغالب تتغلب الثانية على الاولى . فتضمحل المشاريع ويقضى عليها وهي في مهدها .

ولعل بعض الناس يتساءل عن العلة النفسية لهذا الخلق الذميم . ويظهر لي ان علة ذلك ترجع الى خلق آخر وهي ان كل انسان متعصف ببعض الرذائل يتمنى فشوها بين جميع الناس . فالمقامر يبتهج بكثرة المقامر والسكير يفرح كثيرا بتفشي الخمر بين الناس . والنمام يعمل اقصى جهده لتعويد الفضلاء على النومة وهكذا . لان المتلبس

برذية يحس بانحطاط نفسه وحقارتها بالنظر لغير المتلبسين بها فهو يحرص على فشوها من الناس ليكون له بذلك تسلية عما هو فيه وتشيط الغرائم من اكبر الرذائل ايضا وهو شىء عن عدم استعداد النفوس للعمل وعدم قدرتها على تحمل مشاق المشاريع العظمية الابتكارات المفيدة وصاحب هذا الخلق يهف مقدار هذه الرذيلة ويشعر بامتهان نفسه ضعف عريمته وانه لا يعيش الاكلا على المجتمع فهو لذلك يسعى جهده في تشبيط عزائم الناس الذين يتوقع انهم يقدرون على العمل المنتج حتى يكونوا معائنين له في لكسل والبطالة وعدم الانتاج وبذلك يقضي لبانة ما انطوى عليه من خبث النفس تدرن الطوية .

غواجب على كل من يريد القيام باعباء اي مشروع من المشاريع ان يطبع نفسه على العزيمة الصادقة والاستهزاء بالمثبطين الماكرين . ون لا يلتفت اليهم ولا يقيم لهم وزنا . لانهم اعداء انفسهم واعداء اممهم بل واعداء العالم كله .

ونحن اذا قلبنا صفحات التاريخ من يوم خلق الله الارض الى يوم الناس هذا نجد ان مثل هذا الصراع بين صادقي الغرائم والمثبطين ظاهر في جميع الاطوار والنواحي والاتجاهات . فان تغلب صدق العزيمة - وهو القليل - نجحت الاعمال . وتحققت الآمال . وان تغلب التشبيط - وهو الكثير - تعطلت المشاريع وقضي عليها .

خذلك مثلا بما قصه علينا القراء ان العظيم مما وقع لرسل الله عليهم الصلاة والسلام من المشاق الكثيرة والمتاعب التي لا يقدر على تحملها الا من اصطفاهم الله لاداء الامانة وتبليغ الرسالة . فهذا سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام يبالبغ قومه في اذيته حتى يفضي بهم الحال الى القائه في النار . وهو مصر على ما جاء يدعوهم اليه من نبذ الاوثان واخلاص العبادة لله وحده . وهذا سيدنا يوسف وهذا سيدنا يوشع وهذا سيدنا ذو النون الى غيرهم من بقية الرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم قد عانوا في سبيل الله ما عانوا وكانت الغلبة لهم على اقوامهم وكان النصر حليفهم عليهم . وما ذلك الا لما اودع الله فيهم من صدق العزيمة والثبات الذي دونه ثبات الرواسي الشائعات حتى سماهم الله باولي العزم .

وقد اشار القرآن الى ان الغرض من بسط قصصهم مع اقوامهم هو تربية العزيمة الصادقة في النفوس حتى لا تكون تلك المقاومات حائلا بين الرجل وبين ما يعزم على القيام به من الاعمال الصالحة والدعايات النافعة . فقال الله تعالى (وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذا الحق ووعظة وذكرى للمؤمنين) - وقال الله تعالى (فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدن لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون)

ثم اذا التفتنا بعد ذلك الى تواريخ الامم نجد ان ابطالها وزعماءها لم يتمكنوا من النهوض بها وتغيير مجاري حياتها الا بفضل ما لهم من الثبات وصدق العزيمة والصبر على الشدائد . وتحمل المكاره . ومن اجل ذلك كان هذا النوع عزيزا في الرجال . والله در ابي الطيب في قوله :

لا يدرك المجد الا سيد فطن لما يشق على السادات فعال
لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يققر والاقدام قتال
وانما يبلغ الانسان طاقته ما كل ماشية بالرحل شمالا^(١)

فعلى كل من اراد النجاح وبلوغ الغاية التي يرمي اليها ان يتدرع بصدق العزيمة . وان لا يترك هؤلاء المشبطين عليه من سبيل .

وواجب على كل امة تريد ان تنهض بنفسها . وان تصل الى ما تصبو اليه من عز وسؤدد ان تقاوم هؤلاء المشبطين وان تعمل للقضاء عليهم . بعدم الالتفات اليهم وتركهم وشق الجمل . يلاحظون قتلهم . ويتكلمون فتسكت عنهم . ويتظاهرون بالنصح فتعمل بنقيض ما به ينصحون .

وهب ان عدة مشاريع تلاقيها عند تكوينها اعاصير الرياح فتبددها . وتصادفها موانع فتقضي عليها فلا ينبغي ان يكون ذلك مشبعا لعزائم العاملين . لان مثل هاته

(١) الشمال الناقة القوية السريعة في مشيها - ومعنى البيت ان كل انسان يجري في السيادة على قدر طاقته فليس كل احد اهلا للاضطلاع باعباء السيادة حتى يستطيع ان يسود ويبلغ مبلغ العظماء من الرجال . كما انه ليس كل ناقة مشت بالرحل شمالا .

العوارض من شأنها ان تصادف جميع الموجودات وتصادم جميع الكائنات . ولكن ليس في ذلك دليل على فساد المشاريع ولا ان فيه ما يدعو الى ترك العمل لانه يكفي الانسان فخرا ان ينجح في مشروع من مائة مشروع يسمى فيه . وقديما قالوا :

على الماء ان يسمى بما فيه نفعه ❀ وليس عليه ان تتم المطالب

وينبغي ان لا يذهل قارئ هذا المقال عن الفرق بين المشبطين الذين كنا نتحدث عنهم . واطلنا في التحذير منهم . وبين المرشدين النصحاء الذين ان انتقدوا فإصلاح خلل . وان قالوا فلتقويم اعوجاج . وان حذروا فلتهيئة القائمين على المشاريع الى مقاومة ما يحذرونهم منه . مع الصدق والجد والترفع عن سفاسف الاغراض . فهؤلاء يجب الاهتمام بهم وتنشيطهم والعمل بما به ينصحون . بل اعتقد ان هذا الصنف من الناس لا بد من وجوده او من ايجاده لانهم اراس الامناء على المشاريع من ان يتطرقها خلل او يطرأ على القائمين عليها ادنى زلل . والى مثلهم يشير شاعر الحماسة عند ما قال :

ساشكر عمرا ان تراخت منيتي ❀ ايادي لم تمنن وان هي جلت

راى خلتي من حيث يخفى مكانها ❀ فكانت قذى عينيه حتى تجلت

فعلى العاقل ان يميز بين الناس ويتبين مقاصدهم . ويفرق بين من يسر حسوا في ارتغاء . ويعمل للقضاء على المشاريع واحباط انقاصد . وبين من يكون صادقا في نصيحته ولا غرض له الا الارشاد ونفع العباد . والله الموفق والهادي الى سواء السبيل

محمد المختار بن محمود



القرآن الكريم

دروس التفسير

لصاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

بقية المقدمة الاولى في التفسير والتاويل

هذا وفي عد التفسير علما تسامح اذ العلم اذا اطلق، اما ان يراد به نفس الادراك نحو قول المنطق العلم اما تصور واما تصديق . واما ان يراد به الملكة المسماة بالعقل . واما ان يراد به التصديق الجازم وهو مقابل الجهل وهذه غير مرادة في عد العلوم واما ان يراد بالعلم المسائل المعلومات وهي مطلوبات خبرية يبرهن عليها في ذلك العلم وهي قضايا كلية ومباحث هذا العلم ليست بقضايا يبرهن عليها فما هي بكلية بل هي تصورات جزئية غالبا لانه تفسير الفاظ او استنباط معان فاما تفسير الالفاظ فهو من قبيل التعريف اللفظي واما الاستنباط فمن دلالة الالتزام وليس ذلك من القضية فاذا قلنا ان يوم الدين في قوله تعالى ملك يوم الدين هو يوم الجزاء . واذا قلنا ان قوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا مع قوله وفصاله في عامين يؤخذ منه ان اقل الحمل ستة اشهر عند من قال ذلك لم يكن شيء من ذلك قضية بل الاول تعريف لفظي والثاني من دلالة الالتزام لانهم عدوا تفسير الفاظ القراء ان علما مستقلا اراهم فعلوا ذلك لواحد من وجوه ستة الاول ان مباحثه لكونها تؤدي الى استنباط علوم كثيرة وقواعد كلية نزلت منزلة القواعد الكلية لانها مبدأ لها ومنشأ ولا شك ان . ما تستخرج منه القواعد الكلية والعلوم اجدر بان يعد علما من عد فروعه علما وهم قد عدوا تدوين الشعر علما لما في حفظه من استخراج نكت بلاغية وقواعد لغوية . الثاني ان نقول ان اشتراط

كون مسائل العلم قضايا كلية يبرهن عليها في العلم خاص بالعلوم المعقولة لان هذا اشتراط ذكره الفلاسفة في تقسيم العلوم اما العلوم الشرعية والادبية فلا يشترط فيها ذلك بل يكفي ان تكون مباحثها مفيدة كمالا علميا لمزاوها وواعيها والتفسير اعلاها في ذلك كيف وهو بيان مراد الله تعالى من كلامه وهم قد عدوا البديع علما والمعرض علما وما هي الا تعاريف لالقباب اصطلاحية . الثالث ان نقول التعاريف اللفظية تصديقات على رأي بعض المحققين فهي تؤل الى قضايا وتفرع المعاني الجملة عنها نزلها منزلة الكلية . والاحتجاج عليها بشعر العرب وغيره يقوم مقام اقامة البرهان على المسألة وهذا الوجه يشترك مع الوجه الاول في تنزيل مباحث التفسير منزلة المسائل الا ان وجه التنزيل في الاول راجع الى ما يتفرع عنها وهنا راجع لذاتها مع ان التنزيل في الوجه الاول في جميع الشروط الثلاثة وهنا في شرطين لان كونها قضايا انما يجيء على مذهب بعض المنطقيين . الرابع ان نقول ان علم التفسير لا يخلو من تقرير قواعد كلية في اثنا عشر مثل تقرير قواعد النسخ عند تفسير « ما ننسخ » وتقرير قواعد التأويل عند تقرير « وما يعلم تأويله » وقواعد المحكم عند تقرير « منه آيات محكمات » فسمي مجموع ذلك وما معه علما تغليا .

هذا وقد اعتنى العلماء باحصاء كليات تتعلق بالقرآن وجمعها ابن فارس وذكرها عنه في الاتقان وعني بها الكفوي في كلياته فلا بدع ان تزداد تلك في وجوه شبه مسائل التفسير بالقواعد الكلية . الخامس ان حق التفسير ان يشتمل على بيان اصول التشريع وكلياته فكان بذلك حقيقا بان يسمى علما ولكن المفسرين ابتدأوا بتقصي معاني القرءان فطفحت عليهم وحسرت دون كثرتها قواهم فانصرفوا عن الاشتغال بانتزاع كليات التشريع الا في مواضع قليلة . السادس وهو الفصل ان التفسير كان اول ما اشتغل به علماء الاسلام قبل الاشتغال بتدوين بقية العلوم وفيه كثر من مناظراتهم فكان هو قمطر العلوم الشرعية فمن اجل ذلك سمي علما .

ويظهر ان هذا العلم ان اخذ من حيث انه بيان وتفسير لمراد الله من كلامه كان معدودا من اصول العلوم الشرعية وهي التي ذكرها الغزالي في الضرب الاول من العلوم

الشرعية المحمودة من كتاب الاحياء^(١) لانه عد اولها الكتاب والسنة ولا شك انه لا يعني بعلم الكتاب حفظ الفاظه بل فهم معانيها وبذلك صح ان يعد راس العلوم الاسلامية كما قال البيضاوي وان اخذ من حيث ما فيه من بيان مكّي ومدني وصيفي وشتائي وناسخ ومنسوخ ومن قواعد الاستنباط التي تذكر ايضا في علم اصول الفقه من عموم وخصوص وغيرهما كان معدودا في متممات العلوم الشرعية المذكورة في الضرب الرابع من كلام الغزالي وبذلك الاعتبار عدل فيها اذ قال الضرب الرابع المتممات وذلك في علم القرآن ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كعلم القراءات والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل والى ما يتعلق باحكامه كالناسخ والمنسوخ والعام والخاص وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه انتهى وهو بهذا الاعتبار لا يكون رئيس العلوم الشرعية .

وهو اول العلوم الاسلامية ظهورا اذ قد ظهر الخوض فيه من عصر النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان بعض الصحابة يسالونه عن مشكل بعض معاني القرآن كما ساله عمر رضي الله عنه عن الكلاله ثم اشتهر فيه بعد من الصحابة علي وابن عباس وهما اكثر الصحابة قولاً في التفسير وزيد بن ثابت وابي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهم وكثر الخوض فيه حين دخل في الاسلام من لم يكن عربي السجية فلزم التصدي لبيان معاني القرآن اليهم وشاع عن التابعين واشهرهم في ذلك مجاهد وابن جبير

واما تصنيفه فاول من صنف فيه عبد الملك بن جريج المكي « المولود سنة ٨٠ والمتوفي سنة ١٤٩ » صنف كتابه في تفسير آيات كثيرة وجمع فيه اثارا وغيرها واكثر

(١) فانه قسم العلوم الى شرعية وغيرها وقسم الشرعية الى محدودة ومضمومة وقسم المحمود منها الى اربعة اصول وفروع ومقدمات ومتممات فالاصول الكتاب والسنة والاجماع واثار الصحابة والثاني الفروع وهو ما فهم من الاصول وهو الفقه وعلم احوال القلوب والثالث المقدمات كالنحو واللغة والرابع المتممات للقراءات وللغة وللانوار وهي القراءات والتفسير والاصول وعلم الرجال وليس في العلوم الشرعية مضموم الا عرضا كبعض احوال علم الكلام وبعض الفقه الذي يقصد التحليل ونحوه

روايته عن اصحاب ابن عباس مثل عطاء ومجاهد وصنفت تفاسير نسبت روايتها عن ابن عباس لكن اهل الاثر تكلموا فيها وهي تفسير محمد ابن السائب الكلبي « المتوفي سنة ١٤٦ » عن ابي صالح عن ابن عباس وقد رمي ابو صالح بالكذب حتى لقب بكلمة « دروغدت » بالفارسية بمعنى الكذاب وهي اوهى الروايات فاذا انضم اليها رواية محمد بن مروان السدي عن الكلبي فهي سلسلة الكذب ارادوا بذلك انها ضد ما لقبوه بسلسلة الذهب وهي مالك عن نافع عن ابن عمر وهنالك رواية مقاتل ورواية الضحاك ورواية علي ابن ابي طلحة الهاشمي كلها عن ابن عباس واصحابها رواية علي ابن ابي طلحة وهي التي اعتمدها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه فيما يصدر به من تفسير المفردات على طريقة التعليق دون الاسناد وقد خرج في الاتقان جميع ما ذكره البخاري من تفسير المفردات عن ابن ابي طلحة عن ابن عباس مرتبة على سور القرآن والحاصل ان الرواية عن ابن عباس قد اتخذها الوضاعون والمدلسون ملجأ لتصحيح ما يروونه كدأب الناس في نسبة كل امر مجهول من الاخبار والنوادر لاشهر الناس في ذلك المقصد .

وهنالك روايات تسند لعل رضي الله عنه اكثرها من الموضوعات الا ما روي بسند صحيح مثل ما في صحيح البخاري ونحوه لان لعل افهاما في القرآن كما ورد في صحيح البخاري ان عليا قال محببا لمن ساله اعندك شيء من العلم ليس عند غيرك فقال ما عندنا الا كتاب الله وهذه الصحيفة واخرج صحيفة فيها ذكر الديات ونحوها ثم قال الافهام يرزقه العبد في كتاب الله ثم تلاحق العلماء في تفسير القرآن وسلك كل فريق مسلكا ياوي اليه وذوقا يعتمد عليه فمنهم من سلك مسلك نقل ما يؤثر عن السلف واشهرهم محمد ابن جرير الطبري ومنهم من سلك مسلك النظر كابي السحاق الزجاج وابي علي الفارسي وشغف كثير بنقل القصص عن الاسرائيليات فكثرت في كتبهم الموضوعات الى ان جاء في عصر واحد عالمان جليلان احدهما بالمشرق وهو العلامة ابو القاسم الزمخشري فالف كتاب الكشف والآخر بالمغرب بالاندلس وهو الشيخ عبد الحق ابن عطية فالف تفسيره المسمى بالمحرر والوجيز وكلاهما يغوص على معاني الآيات وياقي بشواهدهما من كلام

العرب ويذكر كلام المفسرين الا ان منحى البلاغة على الزمخشري اغلب ومنحى الشريعة على ابن عطية اغلب وكلاهما عضادتا الباب ومرجع من بعدهما من اولي الالباب وقد جرت عادة المفسرين بالحوض في بيان معنى التاويل وهل هو مساو للتفسير او اخص منه وجماع القول في ذلك ان من العلماء من جعلهما متساويين والى ذلك ذهب ثعلب وابن الاعرابي وابو عبيدة وهو ظاهر كلام الراغب ومنهم من جعل التفسير للمعنى الظاهر والتاويل للمتشابه . ومنهم من قال التاويل صرف اللفظ عن ظاهر معناه الى معنى آخر محتتمل لدليل فيكون هنا بالمعنى الاصولي فاذا فسر قوله تعالى « يخرج الحي من الميت » باخراج الطير من البيضة فهو التفسير او باخراج المسلم من الكافر فهو التاويل وهناك اقوال اخر لا عبرة بها وهذه كلها اصطلاحات لا مشاحة فيها الا ان اللغة والآثار تشهد للقول الاول لأن التاويل مصدر اوله اذا ارجعه الى الغاية المقصودة والغاية المقصودة من اللفظ هو معناه وما اراد منه المتكلم به من المعاني فساوى التفسير من حيث انه لا يطلق الا على ما فيه تفصيل معنى خفي معقول ولذلك استعمل مجازا في التنمية والتفصيل في قول الاعشى :

على انها كانت تاول حبها ❀ تاول ربي السقاب فاصحبا

اي تفسر حبها انه كان صغيرا في قلبه فلم يزل يشب حتى صار كبيرا كهذا السقب اي ولد الناقة الذي لم يزل يشب حتى كبر وصار له ولد يصحبه قاله ابو عبيدة وقد قال الله تعالى هل ينظرون الا تاويله « اي لا ينظرون الا بيانه الذي هو المراد منه والغاية وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه لابن عباس « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » اي فهم معاني القرآن وفي حديث عائشة رضى الله عنها « كان صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القرآن » اي يعمل بقوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره فلذلك جمع في دعائه التسبيح والحمد وذكر لفظ الرب وطلب المغفرة فقوها يتاول صريح في انه فسر الآية بالظاهر منها ولم يحملها على ما تشير اليه من انتهاء مدة الرسالة وقرب انتقاله صلى الله عليه وسلم الذي فهمه منها ابو بكر وعمر وابن عباس رضى الله عنهم .

الحديث الشريف

« بقية شرح حديث موسى والخضر المنشور نصه بالجزء الاول »

بقلم الاستاذ الشيخ محمد البشير النيفر المدرس بقسم
التخصص والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

حاصل الحديث ان سعيد ابن جبير اخبر ابن عباس رضي الله عنهما بما يقول نوف البكالي ان موسى الذي قص الله من خبره مع العبد الذي آتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما ليس هو موسى بني اسرائيل بل موسى آخر فانكر ابن عباس هذا القيل بقوله كذب عدو الله وساق من حديث ابي ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة موسى والخضر ما يبطل ما ذهب اليه نوف . قال ابن التين لم يرد ابن عباس اخراج نوف عن ولاية الله ولكن قلوب العلماء تنفر اذا سمعت غير الحق فيطلقون امثال هذا الكلام لقصد الزجر والتحذير منه وحقيقته غير مرادة

وجوز الحافظ ابن حجر ان يكون ابن عباس اثم نوافي صحة اسلامه ولهذا لم يقل في حق الحر بن قيس هذه المقالة مع تواردتها عليهما . قلت اشار الحافظ الى ما اخرج البخاري في كتاب العلم في باب ما ذكر في ذهاب موسى عليه السلام في البحر الى الخضر من ان ابن عباس تمارى هو والحر بن قيس الفزاري في صاحب موسى قال ابن عباس هو خضر فمر بهما ابي ابن كعب فدعاه ابن عباس فقال اني تماريت انا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سال موسى السبيل الى لقيه الخ

وانت ترى ان الحر بن قيس لم ينكر ان يكون موسى الكلبي هو صاحب الخضر كما انكر نوافي البكالي وانما كان يماري في صاحب موسى فمستعلق الانكارين مختلف

والظاهر ان لا ينظر اليهما بعين واحدة حتى ينال الذهاب الى كل واحد مثل ما ينال
الآخر من لوم وانكار فكلام الحافظ مجال كما رايت والله اعلم

قلت وعلى ما رآه ابن التين ننتزع من كلام ابن عباس حجة لمذهب الجمهور الذين
يفسرون كذب الخبر بعدم مطابقته للواقع وان وافق الاعتقاد وما رآه ابن عباس
واحتج له هو ما عليه جمهور اهل العلم والتاريخ

قال القرطبي الجمهور من اهل العلم والتاريخ انه موسى بن عمران المذكور في
القرآن ليس فيه موسى غيره وقالت فرقة منهم نوف البكالي انه ليس موسى بن عمران
وانما هو موسى بن مشأ بن يوسف بن يعقوب وكان نبيا قبل موسى بن عمران

واحتج ابن عباس على بطلان ما قال نوف بما رواه ابي بن كعب عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال قام موسى النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في بني اسرائيل فسل اي
الناس اعلم . الحديث

قوله (قام خطيبا) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما ظهر موسى وقومه
على ارض مصر نزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار امره الله ان يذكرهم بايام الله
فخطب قومه فذكرهم ما اراهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون واهلك
عدوهم واستخلفهم في الارض ثم قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه والتي
عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سألتموه فجعلكم افضل اهل الارض ورزقكم العز
بعد الذل والغنى بعد الفقر والتوراة بعد ان كنتم جهالا فقال له رجل من بني اسرائيل
عرفنا الذي تقول فهل على وجه الارض اعلم منك يا نبي الله ؟ قال لا فعتب الله عليه اذ
لم يرد العلم اليه ذكره القرطبي ومثله في الكشف مختصرا قال ابن عطية : وما يروى
ان موسى عليه السلام انزل قومه بمصر الا في هذا الكلام بل الظاهر ان موسى مات
بفحص التيه قبل فتح ديار الجبارين والرواية عن ابن عباس توافق صريح حديث الباب
ان موسى عليه السلام سئل عن ذلك . ولكن في رواية للنسائي من طريق عبد الله
ابن عبيد عن سعيد ابن جبير بهذا الاسناد انه قام خطيبا فعرض في نفسه ان احدا لم
يؤت من العلم مثل ما اوتي وعلم الله بما حدث به نفسه .

وراية مسلم نحو من رواية البخاري في ان موسى سئل عن هذا ولا يبعد الجمع بين رواية النسائي وغيرها بان موسى صلى الله عليه وسلم عرض هذا الحاطر في نفسه وسئل عنه

وقوله في الحديث فسئل (اي الناس اعلم فقال انا اعلم قال الشهاب القسطلاني اي بحسب اعتقاده وهذا ابغ من السابق في باب الخروج في طلب العلم : هل تعلم ان احدا اعلم منك فقال لا فانه انما نفى هناك علمه وهنا على البت) هذا كلامه رحمه الله اما قوله أي بحسب اعتقاده فهو يلوح به الى درء شبهة واردا وهي ان موسى عليه الصلاة والسلام معصوم من قول غير الحق فكيف يقول انا اعلم مع ما اوحى الله به اليه : ان عبدا من عبادي بمجمع البحرين . هو اعلم منك

ونظير هذا ما اجاب به بعض العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ذي الديدن كل ذلك لم يكن من ان المعنى كل ذلك لم يكن في ظني

ونقل القاضي عياض عن بعضهم ان معنى قوله انا اعلم انه اعلم بما تقتضيه النبوة وامور الشريعة وسياسة الامة ، ويدل له قول الخضر عليه السلام انت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وانا على علم علمنيه الله لا تعلمه . واذا كان كذلك فخير لا عن ذلك صدق نقله الشيخ الابي واقرا

وللبعد فيه نظر وذلك ان الذي يفيد الحديث ان الله بين لموسى عليه الصلاة والسلام بما اوحى اليه ان عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو اعلم منك ان قوله : انا اعلم لا يتفق مع ما في علم الله تعالى وحينئذ فاما ان يكون قول موسى عليه الصلاة والسلام انا اعلم معناه انه اعلم بكل شيء ويكون الله بين له ان من عبادة من هو اعلم منه ببعض الامور ، واما ان يكون معناه انا اعلم بشيء خاص مثل ما تقتضيه النبوة وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الله قد بين له ان من عبادة من هو اعلم منه بذلك الخاص . وعلى التقديرين فقد تبين لموسى عليه الصلاة والسلام ان ما قاله لم يتفق هو وما علمه الله . واما حمل قوله انا اعلم على ان معناه انا اعلم بشيء خاص وهو ما تقتضيه النبوة وامور الشريعة وسياسة الامة كما نقله القاضي عياض عن بعضهم مع حمل متعلق علم الخضر

على غير متعلق علم موسى عليهما الصلاة والسلام وهو لا يلاقي ما اقتضاه ظاهر الحديث من ان الله بين لموسى بقوله : ان عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك ان ما قاله لا يتفق مع ما في علمه جل وعلا

والذي يتعين او يكاد يتعين ان معنى قول موسى عليه الصلاة والسلام : انا اعلم انه اعلم بكل شيء وان الله بين له ان عبدا من هو اعلم منه ببعض الامور واما قول الشهاب القسطلاني : وهذا ابلغ من السابق في باب الخروج في طلب العلم فحاصله ان الذي تقدم للبخاري في باب الخروج في طلب العلم ان موسى عليه الصلاة والسلام كان في ملا من بني اسرائيل اذ جاءه رجل فقال : اتعلم احدا اعلم منك فقال موسى لا الحديث . فرأى الشهاب ان في هذه الرواية نفي العلم . واما رواية الباب فالمنفي بها البت

وهذا عجيب من مثل الشهاب فقد رايت قريبا انه تأول قول موسى عليه الصلاة والسلام : انا اعلم بقوله : اي بحسب اعتقاده . وبهذا تتحد رواية الباب بالرواية السابقة من جهة المعنى ولا تكون الثانية ابلغ

ومما يزيدك ثقة بصحة راينا هذا قول الحافظ ابن حجر في الفتح قيل انه ^(١) يخالف لقوله في الرواية السابقة في باب الخروج في طلب العلم . قال هل تعلم احدا اعلم منك . وعندي لا مخالفة بينهما لان قوله هنا انا اعلم اي فيما اعلم فيطابق قوله : لا في جواب من قال له هل تعلم احدا اعلم منك اه ومثله للمازري وقوله في الحديث : فعتب الله عليه اذ لم يرد الامر الى الله . قال الامام المازري معنى العتب عدم الرضا بقوله شرعا واما العتب بمعنى الموجدة وتغيير النفس فلا يجوز على الله تعالى وهو يشير به الى ان الكلام من باب الكناية ومثله معروف مشهور . وقوله اذ لم يرد العلم اليه علة للعتب اورد العلم الى الله بان يقول انا والله اعلم او نحوها من هذا

وقوله في الحديث : فادحى الله اليه ان عبدا من عبادي بمجمع البحرين الخ قال في

مدارج السالكين العبودية نوعان عام وخاص فالعبودية العامة عبودية اهل السماوات والارض كلهم برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم فهذا عبودية القهر والملك قال الله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه لقد جئتم شيئا ادا يكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السماوات والارض الا آتي الرحمن عبدا) وقال : قل اللهم فاطر السماوات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون (وقال : « وما الله يريد ظلما للعباد » « ان الله قد حكم بين العباد »

واما النوع الثاني فعبودية الطاعة والمحبة وامثال الاوامر قال تعالى : يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون وقال فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه . وقال : وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا . وقال تعالى حكاية عن ابليس : لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فقال تعالى : ان عبادي ليس لك عليهم سلطان . فالخلق كلهم عبيد ربوبية واهل طاعته وولايته عبيد الوهية

وانما انقسمت العبودية الى عامة وخاصة لان اصل معنى اللفظ الذل والخضوع يقال طريق معبد اذا كان مذلا بوطء الاقدام ويقال عبدا الحب اذا ذلله . لكن اولياؤه خضعوا له وذلوا طوعا واختيارا وانقيادا لامرلا ونهيه واعداؤلا خضعوا له قهرا ورغما واذا علمت انقسام العبودية الى القسمين فعبودية الخضر من القسم الثاني وفي ضمنها القسم الاول كما هو ظاهر .

قال في المدايح والله تعالى جعل العبودية وصف اكمل خلقه واقربهم اليه فقال : لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون وقال : « واذكر عبدنا داوداد واذكر عبدنا ايوب » واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب وقال عن المسيح : ان هو الا عبد انعمنا عليه . ووصف اكرم خلقه عليه واعلاهم عنده منزلة بالعبودية في اشرف مقاماته فقال تعالى : وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا وقال : تبارك الذي نزل الفرقان على عبدا . وقال : الحمد لله الذي انزل على عبدا الكتاب فذكره بالعبودية في مقام انزال الكتاب عليه والتحدي بان ياتوا بمثله . وقال : وانه لما قام عبد الله يدعوا كادوا يكونون عليه

لبدا فذكره بالعبودية في مقام الدعوة اليه وقال : سبحانه الذي اسرى بعبداه فذكره بالعبودية في مقام الاسراء .

ولننظم في هذا السلك قوله تعالى فوجدنا عبدا من عبادنا وما جاء في حديث الباب فاوحى الله اليه : ان عدا من عبادي بمجمع البحرين الخ

وهذا العبد هو الخضر كما جاء التصريح به فيما اخرجه البخاري في غير هذا الموضع من كتاب العلم وفي كتاب التفسير ايضا وتقدم التنبيه على هذا وان ابن عباس تمارى هو والحر بن قيس في صاحب موسى الذي سأل السبيل الى لقيه وان ابي ابن كعب روى لهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يرفع الاشكال .

وقوله بمجمع البحرين : قتال الشهاب القسطلاني اي ملتقى بحر فارس والروم من جهة الشرق او بافريقية او طنجة اه

قلت اما القول بانه ملتقى بحر فارس والروم فقد عزاه القرطبي الى قتادة وعزاه ابو حيان الى مجاهد ايضا . قال ابن عطية : وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من الشمال الى الجنوب في ارض فارس من وراء اذربيجان فالركن الذي لاجتماع البحرين مما يلي بر الشام هو مجتمع البحرين على هذا القول

واما القول بانه بافريقية فقد عزاه الى أبي واما . القول بانه بطنجة حيث مجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه فقد عزاه ابو حيان الى جماعة منهم محمد بن كعب . وفيه اقوال آخر اظهرها بطلانا انه موسى والخضر لانهما كانا بحرین في العلم . قال في البحر المحيط : وهذا شبيه بتفسير الباطنية وغلاة الصوفية . والاحاديث تدل على انهما بحرا ماء . واولى هذه الاقوال بالقبول قول مجاهد وقتادة لان موسى عليه السلام كان بالشام قال الابي : وقيل ان جميع القصة كانت بافريقية وان الصخرة صخرة ابي الريم وان الجدار بالمحمدية وان السفينة من السفن التي كانت تحمل الحجر بالحنايا وهذا كله بعيد لان موسى عليه الصلاة والسلام كان بالشام فيبعد ان ياتي منها لافريقية . اشيا هذا كلامه وهو سديد

يتبع

محمد البشير النيفر

❖ الحديث الموضوع ❖

كانت دروس فضيلة العلامة النحرير الشيخ سيدي محمد الصادق النيفر نوادي عام تجمع طبقات الناس المختلفة من رجال العلم الى العامة لما كانت لاسلوبه السامي من جاذبية ولما كان لفضيلته من المقدرة الكبرى في تيسير امهات مسائل العلم على المستمع والنزول بها الى الازهان البسيطة مع المحافظة على روحها ورواقها ، ولذا كانت رحاب دروسه غاصة الجوانب مفعمة افعا . وقد تخرج منها عدد كبير من علماء تونس ورؤس مدرسي الجامع واساتذته . وها هو اليوم يمتع قراء المجلة الزيتونية بشيء من آثاره الجليلة

وضع الحديث - دواعيه - علاماته - ما اشتهر منه

ان دعامة الاسلام شيدت على اسس محكمة قويمه . ولو لاذلك لانهار الاسلام (لا قدر الله) اذ قد مني باعداء الداء يحاربونه بكره وعشيا ويرشقونه بنبال سهامهم الحسية والمعنوية وربما املوا ان يبلغوا بالثاني ما لم ينالوا بالاول وما هم ببالغيه ومن بين تلك الطرق التي حاولوا بها طعن الاسلام في الصميم وضع احاديث مكذوبة دسوها في الحديث الشريف المروي عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم وما دروا انه (والحمد لله) دين مجيد تنزيل من حكيم حميد لا ياتي به الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ولقد قيض الله له في كل عصر علماء مصلحين وخدمة للدين ناصحين فذبوا عن حياض السنة بما اوتوا من قوة وعزيمة ودمغوا صفوف الملحدين وكانوا شجا في حلق الذين تهاونوا بحديث من كذب علي^(١) فليتبوا مقعدا من النار وهو حديث كما قال ابن الجوزي ليس في الدنيا حديث نظيره اجتمع عليه العشرة المشهود لهم بالجنة وقال فيه السيوطي رواه اكثر من مائة من الصحابة

(١) سياقي ما يتعلق بزيادة لفظة متممدا

ولما اشتمل عليه هذا الحديث الصحيح من شديد الوعيد الذي ليس بعدلا من مزيد كان بعض الصحابة يقلل من رواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ففي الصحيح عن اس رضي الله عنه انه قال ليمنعني ان احديثكم حديثا كثيرا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار وفي صحيح البخاري وغيره عن عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما قال قلت للزبير اني لا اسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان قال اما اني لم افارقه منذ اسلمت ولكني سمعته يقول من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار زاد الدارقطني والله ما قال متعمدا وانكم تقولون متعمدا ولعظم ضرر الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم الذي ربما حول وجهة الدين وقلب بعض حقائقه ترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لمن عرفه هو بالامانة وكمال التقوى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه حين روى ^(١) له حدث الاستيذان لتأنيني على هذا بالبينه ققام ابو سعيد الخدري رضي الله عنه وشهد معه فقال عمر لابي موسى اني لم اتهمك ولكن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغم كون علماء الحديث خدموا الاسلام خدمة كبرى بتبيين الصحيح من الضعيف والثابت من الموضوع لم يزل بعض خطبائنا (هداهم الله للصراط السوي) يروون الحديث في خطبهم الجمعية وان كان موضوعا بقصد الترغيب الذي لا يرتضيه الشرع وينفر منه العقل والطبع كما ستقف عليه (بحول الله) مفصلا ولا نظلم الخطباء بنسبة التقصير اليهم وحدهم بل بعض الجلة من العلماء يكتفون من الاستدلال بالحديث بمجرد كونه قيل (وان لم يعلم درجة الناقل): روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

جزى الله عنا سلفنا الذين سبقونا بالايمان وخدمة اهله احسن الجزاء فليس في معرفة الحديث الصحيح من غيره اليوم كبير العناء .

فاذا ولينا وجهتنا لبيان بعض الاحاديث الموضوعية على التحقيق ^(٢) مع نتف من اسباب وضع الحديث ودواعيه كان ذلك من باب التذكير .

(١) القصة في صحيح البخاري - (٢) قلنا ذلك لان بعض من الف في الحديث الموضوع تساهل

فحكم بالوضع على احاديث ربما كانت صحيحة

الدواعي لوضع الحديث

لو لم يقف الباحث على الاسباب التي عدها علماء الحديث لما كان يظن ان يقدم على وضع الحديث الا زنديق مارق ولكن يا للأسف نجد من بينهم الزهاد والوعاظ وضعوا الحديث بدعوى الحث على الخير او الردع عن الشر ويتسلل من يضع منهم الحديث من الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم بانه كذب له لا عليه كما حكوا عن ابي عصمة المروزي انه وضع احاديث في فضائل السور وقال اني رايت الناس اعرضوا عن القرآن فوضعت هذه الاحاديث حسبة ولعمري ليس هذا بعذر يزحزحه عن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعض المبتدعة كالكرامية يجوزون الوضع في الترغيب والترهيب وهو خلاف اجماع المسلمين الذين يعتقد بهم في الاجماع .

ولا حاجة تدعوا الى ذكر اسماء الاشخاص الذين وضعوا الحديث لان الكتب المؤلفة في الجرح والتعديل والضعفاء والمدلسين قد كفتنا مؤنة ذلك وانما نذكر بعضا على سبيل التمثيل .

فمن الزنادقة الوضاعين للحديث محمد بن سعيد الشامي فزاد في حديث انا خاتم النبيين لا نبي بعدي : الا ان يشاء الله .

ومن دواعي الوضع جلب الناس الى حظيرتهم واخذهم للعمل على شاكلتهم كحديث اشتهر عندنا وهو من وضع المشركين « لو احسن احدكم ظنه بحجر لنفعه » قال ابن القيم الجوزية . هو من كلام عباد الاصنام الذين يحسنون ظنهم بالاحجار ومنها الحرص على التقرب من ذوي السلطة والحكم كمن زاد في حديث لا سبق الا في خوف او حافر او نصل او جناح لما رأى امير وقته معجبا باقتناء الحمام . .

ومنها التغالي في حب شخص كلاحاديث الموضوعه في فضل الامام ابي حنيفة او الامام الشافعي او حب بلاد كلاحاديث الموضوعه في فضل مصر او فاس ومنها الحسد وشدة البغض كلاحاديث الموضوعه في ذم الترك

التعظيم والإرشاد

الدعوة الى الاصلاح واثرها في المجتمع

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن »

الارشاد والسؤال دعائنا الاصلاح - ما يكتشف المصلح من النزعات -
الدعوة الى التجديد - المحافظون والمجددون والمحاديثون - هل التجديد
ضروري في حياة الامم - اماطة اللثام عن وجه الحقيقة في التجديد -

اذا كانت النتيجة التي بلغنا اليها في بحثنا السابق ان امر الاصلاح يعتمد على ركنين
الارشاد - والسؤال . وشرحنا بعض نطق يلزم المرشد ان يعيرها جانباً من اهتمامه . ولا
يليق بمن ينصب نفسه ليقوم بهذا الامر الخطير ان يتغافل عنها لاسيما وهو يكتشف من
النزعات ما يكون في بعض الاحيان سبباً في صداه عن بلوغ الغاية التي تصبو نفسه اليها
وحائلاً دون الهدف الذي يرمي اليه . والناس جماعات هذا متحفظ وذاك ناظم عليه

ومنها ان يرى بعض من ينتسب للصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام
ويحدثه بكلام ثم يستيقظ ويحدث بذلك الحديث من دون ان يذكر انه منام وكان
الواجب عليه بيان ذلك ليعلم السامع الحال لان رؤيا المنام لا تثبت حكماً وان كانت
رؤيته صلى الله عليه وسلم حقاً فالكلام الذي يسمعه الرائي في منامه تارة يكون تلقية
صحيحاً موافقاً وتارة يكون غير صحيح بحسب طهارة روح الرائي وجسمه
وقبل ان نسبح بك في خضم احاديث اشتهرت بين اظهرنا عامة وخاصة نعرج
بك على ذكر علامات وضع الحديث

يتبع

خادم الحديث : محمد الصادق النيفر

يرميه بالجمود ويدعوا الناس الى آراء ومبادئ جديدة هي في نظر لا نبراس الهدى للمهتدين وما الدعوة الى التجديد التي شغلت افكار ابناء هذا العصر وما يقابلها من التحفظات والمجهودات التي تبذل في صد الناس عن الاصغاء اليها والتأثر بها الا نوع من تلك النزعات التي تحف بالمرشد . وانه ليلذ لي ان ابسط في هذا المقام القول في كلا النظريتين وما يصاحبهما من الآراء

التجديد . كلمة رددتها السنة ابناء هذا العصر في مختلف الاقطار الشرقية . ونزعة توخوها لانقاذ اممهم مما بدا لهم عدم صلاحه من نظم وعادات قاسوها على ما تعارفته امة اخرى غير اممهم فادركوا ان ما عليه قومهم جدير بالنقض حتى يسهل احلال غيره محله . ولم يقف بهم السير عند منتهى هذا الطريق بل استعدوا لمقارعة ما هو اذق من هذا وذلك الا وهو العقيدة وما تدين به اممهم فزعموا ان تعاليم الدين قد التبس فهمها على الخاصة فتضلل العموم . وما حسبه الفريق الاول والثاني بانقياده له سبيل السعادة هو عند الناقد منهم لا يمت الى السعادة بسبب فنازعهم في ذلك اولئك المتحفظون وكونوا لانفسهم جبهة متراصة محكمة النظام وأسلاكاً شائكة دبروا استحكاماتها في وجه خصومهم المجددين .

وقاموا بحملات استدامة لما عليه الناس وتحفظا منهم ان يعيث اصحاب النزعات بكيان الامة مسائرة لبوارق الإصلاح التي تفتق لهم عبيرها من تلك الاكمام التي لم يتربصوا لبحثها هل هي اكمام اقحوان ظاهرة فيه نعومة الجمال وباطنه عذاب ام هي اكمام القرنفل طيب الظاهر والباطن

فنسف خصومهم هذا الزعم بمنطق غير مألوف افضى بتمسك كل طائفة بنظرياتها واتسع الخلف . ودعا كل واحد قومه لمباديه . ولكن كانت النتيجة بعد ذلك ان انقسمت صفوف الامة وتحزبت على نفسها ولا يعلم الا الله كيف ستكون النهاية اذا لم يتنبه القادة الى هاته الاخطار نعم اتسع الخلف ونحل كل فريق الى الآخر ما يناقض المبادئ التي رسمها لنفسه ووصف احد الفريقين خصمه بالاحاد فرمأه الآخر بالجمود والضلال .

وهناك فريق آخر جلس على الربوة ولم يغامر بنفسه وينضم الى احد المتنازعين
واذا خاطبت احدهم في هذا الشأن اجابك على البديهة ان هذه نتيجة طبيعية لكل امة
نامت نومة طويلة ثم نهضت من كبوتها فوجدت من ابنائها من يدعوها الى مسامرة
ناموس الحياة والتأثر بروح العصر الذي تحيا فيه والبعد عن التقليد واستنشاق نسيم
الحرية الطلق

كما وجدت من ابنائها ايضا من يحافظ على تراث الاجداد ويفهم من الحياة انها
المحيط الذي يكتفه ويستقي من مورده المألوف له ويتشائم من تبديل الخطى ويشن
الغارة على كل من لا يرى رأيه ويحذر قومه بكل ما أعطي من قوة ونفوذ سوء العاقبة
ان هو انصاع لتلك الدعاوي وهاتيك الاباطيل

وعندي ان هذا الراي الذي خامر بعض العقول فوصف احد الفريقين بالمجدد
والآخر بالمحافظ . وتصور ان هاته الحالة التي عليها الفريقان امر طبعي في حياة
الامم ورأى ان العاقل يلزمه ان يتربص حتى يرى الغلبة لمن تكون وذلك تطاحن
لا بد ان تكون له نهاية ونهايته تكون بحسب ما في الامة من معدات الحياة
انما تسرب لبعض الازهار وتأثرت به واصبح هو المنطق المألوف لهم ليخففوا به
وطأة ذلك النزاع القائم على قدم وساق ويلبسوا ثوبا يحجب عن الانظار مساوي
الاختلاف الذي استحكمت حلقاته .

ونحن اذا نظرنا نظرة الناقد البصير من غير تحيز لاحد ورسمنا لانفسنا مقدمات
اولية مسلمة من الجميع افضى بنا ذلك الى نتيجة يدعن لها العقل السليم من غير ان
يعمد بعد الى نسفها او ان يعود وهو يتعثر الى مقدماتها الاولى لنقضها او عدم تسليمها
بعد ان اذعن بصحتها وان الحلل لم يتخللها . وذلك ان التجديد كلمة واسعة النطاق
تعبر عن معان مترامية الاطراف تفسح لها اسباب تنازع البقاء مجالا لتبوءها المقام الاسمي
الذي تركز دعائمه على مقومات العالم الانساني الذي اذا توفرت له اسباب السعادة في
عصر من العصور حسبما أدرك ما هو مسمى السعادة من عاش في ذلك العصر قد يعترى
تلك الاسباب ما يزيل بعضها او كلها او تصبح غير مفضية الى انتاج ما هو من ضروريات

الحياة العامة فضلا عن غيرها من الكماليات . وهذا العقل البشري نرا كل يوم يخوض غمار البحث ويجندل بسلح التفكير ما يسجله من اختراعات العصر الذي حدث فيه وبعبارة ادق هو في كل يوم يكشف له عن سر من اسرار هذا الكون الذي شاء مبدعه ان يساير بعضه بعضا في الظهور والاستفادة منه رويدا رويدا ما قدر لهذا العالم من بقاء وما الكهرباء مثلا الا سر من اسرار الكون خفي على قسم ممن عمر هذا العالم وظهر لآخر . ولم يكن لمكتشفه يد اليجاد بعد العدم ضرورة انها موجودة في العالم من يد . خلق الله العالم بتسليم الكل حتى من المكتشف نفسه

ونقول هذا الاعلى معنى استصغاره والتحقيق من شأنه في الانظار واني لنا بمثل هاته القرائح التي توقفت لتسجيل مثل هذا الاكتشاف الذي اصبح العقل بعدا يتصور الحياة لا على نحو ما كانت عليه عند من سبقنا من الامم ويفهم من السعادة غير مستقر في النفوس بل اضاف سببا الى اسباب السعادة المنشودة التي هي غاية الجميع وقافلة الحياة لا يتسنى لها ادراك الغاية الا بقطع مرحلة تلو اخرى وهذا يعتمد على تجديد الخطأ . فلا جرم - اذا قلنا ان التجديد امر رسمه الله على صحيفة العالم واكسير الحياة بالفريزة لا بالاختيار

ولا احسب ان هناك من لا يشاطرنا على ذلك من الفريقين ونحن اذا اتصلنا بهذه النتيجة وطلبنا من الفريقين تسليمها بعد تسليم مقدماتها لم نكن قد عمدنا الى مقدمات سفسطائية لنغالط احد الفريقين ونفضي به الى ما يفر منه ترجيحاً لاحد الشقين وتلبيساً على الفريق الآخر حتى اذارام الخروج من المأزق وجد امامه جمعا من الامة تآثر بتلك المقدمات التي شرحت له واقتنع بها واذعن لنتائجها وناصرها بكل ما لديه من اسباب المناصرة ولا كنا محبذين لتلك المبادي التي دعا اليها دعاة التجديد ومعتبرين ان نزعاتهم هي الاسس التي سيقام عليها صرح مجد الامة انما غرضنا من هذا كله امطة اللثام عن وجه الحقيقة حتى تنجلي كما هي ويزول الالتباس ويعود الى كل رشدا فيبحث بمنطق مالوف ويصعد على متن التفكير الصحيح ليصل به الى الكمال

محمد شاولي بن القاسمي

التاريخ

صحيفة من تاريخ تونس

كيف نشأت خزائن الكتب لدراسة العلوم بجامع الزيتونة

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد بن
الحوجة المستشار لدى الحكومة التونسية

الى حضرات الشيوخ المثقفين الفضلاء . اركان المجلة الزيتونية دام بهم النفع .
نظرتم لشخصي الضئيل في صفحة مرآة كمالكم فحشرتكموني بحسن ظنكم في
صعيد واحد مع طائفة من اقطاب العلم بجامع الزيتونة وعلقتكم على قصوري آمالا واسعة
كانت في عنقي قلادة فخر متينة لا مناص من الانقياد لحكمها حيث تفضلتم باضافة اسمي
لسلسلة اولئك الفضلاء الذين طررتم بذكرهم ديباجة الجزء الاول من المجلة الزيتونية
التي اتحفتموني بها اثر اياي من السفر بالجهات الجبلية الواقعة بين فرنسا واسبانيا حيث
الغروس النظرة والهواء العليل واليلا المتدفقة وقد سرحت طرف الطرف فيها فاذا هي
روضة غناء يفوق جمالها حسا ومعنى ما تقدم وصفه من تلك المناظر الطبيعية البهية وبالتالي
فكرت فيماذا يناسب ان يكون فاتحة للمقتطفات التاريخية الجديرة بمجلتكم العلمية
فلاح لي اعتبار هذا المجلة الجامعة كجزء متمم لا قوى اركان العلم بجامع الزيتونة يعني
ثمرة ما ابتكرته العقول وخطته اقلام الكاتبين في بطون الاوراق المحفوظة بخزائن
الجامع لذلك وقفت عندها وجعلتها البحث المختار للتعريف بها من الوجهة التاريخية ولكني
رايت من تعميم الافادة ان نجعل لذلك مقدمة وجيزة شاملة لتاريخ ظهور خزائن
الكتب في الاسلام ثم نلحق بها تاريخ خزائن الكتب بجامع الزيتونة مفصلا والله المعين

اعلم ان عناية المسلمين بالكتب والترجمة والتدوين كان ظهورها اولاً في مبادي الدولة العباسية على يد الخليفة ابي جعفر المنصور وفي مدة هارون الرشيد وجد بيت الحكمة ببغداد وهو عبارة عن مدرسة للترجمة ونساخت الكتب وكان ازدهارها في زمن ابنه عبد الله المأمون وفي عنفوان الدولة كانت لهم خزانة كتب فيها ما لا يحصى من الاسفار اكلتها النيران فيما روي بايعاز من صاحب بن عباد لاحتوائها على النسخة الوحيدة الموجودة بالعالم الاسلامي من تفسير الاشعري المسمى بالمختزن وهو في خمسمائة مجلد قالوا انه بذل في ذلك عشرة آلاف دينار لحافظ تلك الخزانة ليلقي النار في كتبها نكابة في تفسير الاشعري المشار اليه وكان لمشاهير العلماء والادباء في ذلك العهد من خزائن الكتب ما يضارع المكتاتب العمومية فقد بلغت كتب صاحب بن عباد المتقدم ذكره الى حد ان يحتاج في نقلها الى اربعمائة راحلة ومن خزائن الكتب العامة التي اشتهرت في تلك الازمان خزانة الامير نوح بن نصر الساماني في المائة الرابعة وممن انتفع بكتبها الشيخ الرئيس ابن سينا وعاصرتها مكتبة الوزير سابور بن اردشير ببغداد كان بها اكثر من عشرة آلاف مجلد منها مائة مصحف بخطوط بني مقله وهذا الخزانة افتتها النار في سنة ٤٥١ واعتبر ما حكاها ياقوت الحموي عن نفسه في كتابه معجم البلدان حيث قال حاكيا عن مدينة مرو ما نقله عنه بحروفه « فارقتها وفيها عشر خزائن للوقوف لم ار في الدنيا مثلاً كثرة وجودة » ثم وصف اولاهها ثم الثانية وقال كان بها اثنا عشر الف مجلد ثم البقية ثم قال « وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد واكثره بغير رهن تكون قيمتها مايتي دينار فكنت ارتع فيها واقتبس من فوائدها وانساني حبها كل بلد والهاني عن الاهل والولد واكثر فوائدها هذا الكتاب (معجم البلدان) من تلك الخزائن » وتنافس ملوك المسلمين في تلك النهضة العلمية فكان منها لامراء الاندلس بالمغرب ما لبني العباس بالمشرق ومن ذلك مكتبة الحكم بن الناصر بقصر الزهراء بلغ فهرسها الى ٤٤ مجلدا وبلغت كتبها الى اربعمائة الف مجلد وكان بفرناطة وحدها سبعون مكتبة عمومية عامرة بنفائس الكتب التي جعلها الملك فرديناند الخامس (شهر الكاتليكي لتحمسه في النصرانية) من نصيب النار اثر سقوط دولة الاسلام بالاندلس قالوا ان ما احرقه فرديناند

بجهله وحميته الدينية تجاوز الف الف من المجلدات المخطوطة بالقلم فيها لها من معرفة في وجه تاريخ الانسانية ومعلومك ان من بلاد الاندلس كان اشراق شمس العلم وقد بلغت اشعتها لهذه الديار في عهد بني الاغلب امراء القيروان فرحل من رجاها جماعة في طلب العلم منهم اسد بن الفرات وعبد الله بن غانم وسخنون وعند رجوعهم لا فريقة اخذ العلم في الظهور والانتشار كما ظهرت اول مكتبة عمومية بالقيروان وكان بها من نفائس الكتب ما لا يقدر بمال واغلبها منسوخ على رق الغزال ومنها المصاحف الجليلة المزركشة والمزوقة بالذهب الوهاج منها مصحف فاطمة حاضنة باديس وما زالت منها بقية بجامع عقبة بن نافع لهذا اليوم اما هذا الخزانة القيروانية فقد ذهبت شذر مذر اثناء الفتن التي تناولت مدينة القيروان في القرنين الرابع والخامس ثم اجيزت على البقية الباقية منها فتنة دخول مراد ابي باله في سنة ١١١١ للقيروان وفتنة حصارها من الباشا علي بن محمد للاجهاز على عمه المولى حسين بن علي باي في سنة ١١٥٣ واما خزائن الكتب بمدينة تونس يعني بجامع الزيتونة وهي المقصودة بالذات من هذه النبذة التاريخية فاول ما ظهر من ذلك الخزانة العامة التي احدها ابو فارس عبد العزيز الحفصي في سنة ٧٩٧ وجعلها بالجامع المذكور بمجنبة رصد اهللال وعلى قياسه جرى عمل حفيدة السلطان ابي عمرو عثمان فقد اضاف في سنة ٨٣٩ لخزانة جدل خزانة اخرى مشتملة على اهم الكتب وضعها بالمقصورة الشرقية بالجامع وتعرف بمقصورة سيدي محرز بن خلف ثم تلالا حفيدة ابو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود فاسس في اوائل المائة العاشرة المكتبة المعروفة بالمبدلية التي سياتي الكلام عليها وجعلها بالرواق الشرقي بالجامع مشرفة على جهة سوق العطارين وجميع هذه الخزائن الثلاث عثت بها الايام اثناء الاحتلال الاسباني لتونس في عام ٩٨٠ قالوا انهم مزقوها كل ممزق حتى كانت تباع بابخس الاثمان او تدوسها سنابك خيولهم المرابضة بصحن جامع الزيتونة فقد ذكر بعض المؤرخين ان المار حول الجامع من جميع جهاته لا تكاد تقع قدمه على غير الكتب فبادت جميع الكتب وتلاشت ولم يبق منها بالجامع الا بضعة نسخ من صحيح الامام البخاري وامسى العلم بتونس كشمس على مغيب حوالي القرن الحادي عشر ومما زاد

نجمه افولا تعاقب الاويية في ذلك العهد منها وباء عام ١١٠٠ قال الوزير السراج ان العلم انقطع من تونس بذلك الفناء المتعاقب وذلك من بقية الاسباب التي اتت على ما تركته ايدي الفتن والسرقة لان الكتب لا تعيش طويلا بين غير اهل العلم ولما اراد الله اخراج هذا الديار من ظلمات الجهل الذي ارخى عليها سدوله في تلك العصور اشرفت عليها شمس البيت الحسيني فتوجت عناية الباي حسين بن علي تركي رأس العائلة الحسينية الى بناء المدارس ونسخ الكتب لاسيما كتب الفقه واجتهد في ذلك لحد تكوين خزانة معتبرة وقفها على المحكمة الشرعية بتونس منها نسخة المدونة المحفوظة الآن بالمكتبة العبدلية وفاقه في هذا الميدان حفيدا للاخ الامير العالم الباشا علي بن محمد صاحب النهضة العلمية اذ ارسل للاستانة مفتي دولته الشيخ حسين البارودي لا شراء اكثر ما يمكنه اقتناء من احسن الكتب وابدعها خطا وتزويقا وتذهيبا جمعها بمكتبته التي جعلها بمسجد بيت الباشا باردو وكان في جملتها من الكتب النادرة اذاك حواشي الكشف التي لم تكن موجودة قبل ذلك بين اهل العلم بتونس كما اسس الباشا المذكور مكاتب اخرى بمدارس الطلبة للمعلمين والمتعلمين فكان هذا الامير الذي خلط في مدته عملا صالحا وآخر سيئا هو ابو النهضة العلمية الاولى في العصر الحسيني الا ان كتبه تلاشى منها الكثير بامتداد يد النهب اليها من باي قسنطينة الذي شارك في النزاع الحاصل بين الباشا المذكور وبين ابني عمه محمد الرشيد باي وعلي باي اللذين استرجعا منه بالقوة القاهرة ملك ايهما المفضوب في سنة ١١٦٩ وفي خلالها كان مصرع الباشا المشار اليه قال شاعرهم :

وامسى دفينا بعد ان كان دافنا ❦ فقلت وقد ارخته دفن الباشا

١١٦٩

ويستفاد من فهرس قديم موجود بمحفوظات الدولة التونسية ان الكتب التي كانت بمسجد بيت الباشا بقصر باردو عند صعود المرحوم محمود باي على الاريكة الحسينية في سنة ١٢٣٠ كانت جملتها ٢٧٢٦ مجلدا وكان الامراء يتفاخرون بها بين اهل العلم فقد كان الباي حسين بن محمود باي واخوه مصطفى باي بدورهم يشيران على شيوخ المجلس

الشرعي عند اجتماعهم بمجلس الباى فى قصر باردو بمراجعة ما شذ من كتب الفقه لديهم بمكتبة مسجد بيت الباشا عند حصول خلاف بين الشيوخ او عند الحاجة للوقوف على عبارة نص بعينه . هذا ولما كان الناس على دين ملوكهم اقتدى بصنيع ملوك البيت الحسينى وزرأؤهم ومنهم ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع فقد احدث مع جامعه بالخلفاوين خزانة عامرة بانفس الكتب فى شتى العلوم ومن استفاد من كتبها شيخ الشيوخ وطود الرسوخ الشيخ ابراهيم الرياحى قدس الله روحه اما جامع الزيتونة الذى فارقلنا على حالة الفراغ التى كان عليها اواخر المائة العاشرة واستمر كذلك حتى القرن الثانى عشر فقد كسلا ثوب العلم والفخار الامير المشير احمد باي الاول اذ وقفه الله لتأسيس دراسة العلم به مع تعمير الخزائن الكتب النافعة صدر منه ذلك فى سنة ١٢٥٦ بما اطلق السن العلماء والشعراء بالثناء عليه والحمد لله والشكر اليه وخطب بذلك على رؤوس المنابر تنويرا بشأنه بين القابل والغابرومن ذلك ما خطب به بركة القطر ابو اسحاق ابراهيم الرياحى على منبر جامع الزيتونة وهى خطبة امست وثيقة تاريخية نقلها هنا اتماما للفائدة ونصها .

الحمد لله الذى رفع للذين اتوا العلم درجات لما خفض لاهل الجهل دركات افمن جعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات احدها وحدها من جملة ما به انعم واشكره على ما علمنا ما لم نكن نعلم واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة رفع العلم قواعدها واسس اليقين براهينها وشواهدا واشهد ان سيدنا ومولانا محمداً عبداً ورسوله المصطفى المختار الذى ارسله بنور يكاد سنا برقه يذهب بالابصار صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ومن تبعهم باحسان ما تعاقب الليل والنهار . ايها الناس هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب الم تعلموا ان الجهل نعت الخلق والعلم وصف رب الارباب الم تعلموا ان ابانا آدم فضل بعلم الاسماء وامر بالسجود اليه ملائكة السماء والعالم الاسمى وقالوا نحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون الم تعلموا ان الدين علم وعمل فمن لم يكن له علم فعلى اي شيء حصل ايظن الجاهل انه ذو بصيرة نافذ فى الامور كلا بل هو رجل اعمى مغرور فانها لا تعمى الابصار ولكن

تسمى القلوب التي في الصدور وحيث كان العلم بهذا الشرف الاثيل والرتبة العليا التي ليس لها مثيل فما للهمم متقاصرة عن استطلاع طوابع انوارها وما بال العزائم متقاعدة عن استكشاف خبايا اسرارها اخور في الطباع ام فقد لمواد الانتفاع كيف وقد تيسرت في هذا الزمان المبارك اسبابه وفتحت للمعلمين والمتعلمين ابوابه وتضوعت في بيت الله اعطاره وطلعت فيه شموسه واقماره وذلك بهمة الملك الهمام الخطير الباي احمد باشا المشير الذي وسع الجم الفقير بالعطاء الكثير ليجد ثوابه عند الله مدخرا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا واعلموا ان العلم النافع ما قارنه الاخلاص في التعلم والتعليم والعمل بما يحكم به من التحليل والتحريم والا كان جديرا بان ينبذ بالعراء وهو سقيم وقد مثل العلماء العلم النافع بشجرة ثابتة الاصل حلوة الثمرة يستريح برائحتها المحزون ويستلذ طعمها الآكلون وغيرها بشجرة مالها قرار خبيثة الرائحة مرة الشار يستمتع رائحتها المستنكهون ويستبشع مذاقها الطاعمون وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون. في الحديث الشريف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلماء ورثة الانبياء وقال صلى الله عليه وسلم يستغفر للعالم اربعة اشياء الملائكة في السماء والطير في الهواء والدواب في القفار والحيتان في البحار وقال صلى الله عليه وسلم فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة وعن ابي ذر رضي الله عنه حضور مجلس عالم خير من صلاة الف ركعة ومن عيادة الف مريض ومن شهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن الا بالعلم. جعلني الله واياكم ممن علم وعمل واخلص الله فقبل. الا ان انفع ما تشرح به الصدور واصدق حديث منطوق ومسطور كلام مولانا الغفور الشكور اعوذ بالله من الشيطان الرجيم « انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور » اهـ.

وقد وصف المؤرخ الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف هذه المنقبة المشيرية الاحمدية بقوله « ياله من عمل ذلل صعب العلوم وراضها وأنشأ حداثتها ورياضها واجرى جداولها وحياضها واصاب شواكلها واغراضها نسج على اعز مثال انهل به ودق العلم واتثال وسرى ذكره مسرى الامثال » يتبع محمد بن الخوجة

الادب

الشعر

ما بال روض الشعر ساءت حاله
فتاودت اغصانه وتساقطت
اين الحمايل وهي ترقص للصبا
قد ضاع طفل الشعر من كنف الربى
اعداد من ديم السماء وليها؟
ام ان عادية النفوس سطت على
اقضى عليه من الصروف كماله؟
اكمامه وتقاصت اطلاله
رقص الشجي تحققت آماله
لما تكامل حمله وفصاله
فتغيرت ازهاره وغلاله
ذاك الحمى فتروعت اطفاله؟

الشعر قيد ساس الممالك والنهى
كم بث من خلق وكم اسدى يدا
لوح الحوادث في الدهور وسفرها
من صدر يعرب كان يقصف صوته
فقضت على روما وفي شعرائها
وزرت على يونان في فتيانه
لله يعرب كم شدت بفخاره
سل مشرقها عن صروح علائهم
مجد لعمر ك قد اذم مقامه
ابطاهم اسد بساحات الوغى
فتفيات ظل العلا اقباله
حسناته موفورة وخصاله
لذكر والتاريخ خط مقاله
ومن الجزيرة جهزت ابطاله
من لا يطاق لدى القراع نزاله
وهم اولو الراي الحكيم وءاله
عصر وشرفت الدنيا اشباله
هل بزها فلك السما وهلاله
في العالمين علاؤه وجلاله
وكرامهم ديم الندى ومناله

رق المشاعر في يمين قريضهم
كم سار تحت لوائه من اروع
ولكم طوت من ازم من امثاله

هيئات ان يلد الزمان مخاذا
في امة ملك الغرور عتاقها
شعر الخلود قضى ومن ذا يرتجي
ولى مع الماضي واقفر ربه

يا خاطبا في الشعر منزلة السهى
الشعر قد الف المدارك مكنسا
الشعر يتبع الخطى في سيرها
الشعر ماثرة الحجب ونتاجه
من غر بالسطاء حتى املوا
ما للقرىض وهيك كل ضعفت به

من كان في طلب العلاء مقصرا
وقضى الحياة كنائم لعبت به
بش الغرور وويح من اودى به
فاستبدلوا غرر الكلام بلغولا

يا ايها النفر الزري بضادة
الضاد منك بريئة وكفى لها

الطائر القصار

التجديد في الأدب

٢

وادل العصور الادبية على هذا التجديد الطبيعي الذي لم يخرج بالادب عن روحه العربية العصر الاموي ثم بعض العصر العباسي فأدب العصر الاول يمتاز بجزالة اللفظ وقوة المعنى وينفرد بالمتانة التي نجدها في الادب الجاهلي لاسيما في الاغراض التي كانت محل العناية في ذلك العصر كالحماس والفخر والرثاء والهجاء لكن بعد ان عمل فيها التجديد عملا واصبحت اثرها ظاهرا القابلية الادب للتجديد مع تطور المدنية

واما العصر العباسي فقد كان بمضه مثالا عاليا في سمو الادب ونفاق سوقه وبلوغه الى غاية بعيدة المدى من حيث سلاسة المبني ورقة المعنى وقد خلد من كلا العصرين افذاذ هم في اليوم والقد محط النظر في الادب ومرجع فحوله - وقد بان مما اسلفنا ان العصر العباسي اكثر تجديدا في الادب ان لم نقل انه المظهر الحقيقي له ومن اعظم اركانه شاعر العراق ابو نواس الذي يقول

دع الرسم الذي دنرا يعاني الريح والمطرا

لكن الناقد البصير تجالا ادب هذا العصر لا يخفى عليه الفرق بين العصرين ولاضعف الادب العباسي بالنسبة للادب الاموي وقد لا تتحد الآراء في هذا الادعاء سيما وقواعد النقد كانت ولا تزال محل الخلاف والجدل بين النقاد فترى كل ناقد يعتمد في نقده على قواعد واسس ينشئها لنفسه بنفسه والحق ان النقد لم تقعد قواعدا بعد ولم تثبت اصوله التي يجب ان تعتمد

ويمكن ان نختصر طريقة النقد عند القدماء وغيرهم استطرادا فنقول . لاخلاف في ان الشعر الحلي هو ما نتج عن احساس وتولد من شعور وانبعث من كن اللب ونحبي الضمير لاما تكلف نظمه لخير يراد او نقمة تذاذ لكن القدماء يتذوقون الشعر وغيره بالذوق العربي السليم فينقدون جيده من رديته بما لهم من خبرة ودراية وطول باع في

دراسة الادب ومعرفة فنونه وتفهم نفسية الاديب من درس عصره وحضارته وبيئته بدون ان يجعلوا حيثيات احكامهم في ذلك مبنية على الاغراض المطروقة من الكتاب والشعراء لا اعتبارهم ان الاحساس والشعور اللذين هما روح الشعر على الاخص يوجدان تارة في المديح والهجاء والوصف والخماس وغيرها من الاغراض وينعدمان اخرى . وسواهم يرى ان الشعر الحي هو ما كانت معانيه جبرانية . . . تشم ولا تحك والفاظه جوفاء لا اثر للاسلوب العربي عليها سابحة مع الخيال الصامت في بحر الوجود الصاخب كما يقولون . . . او ما اتجه الغرض فيه لبيان فلسفة غريبة او معنى سمج خارج عن حد التفكير او خيال يعمل على عطفه بردة الادب الغربي الذي تعشقه بعض اهل العصر الحديث بدافع تغلب مدينة الغرب على الشرق وقلة ما في اليد من التراث العربي في اللغة وآدابها الامر الذي اودى بكثير من لغات العصور الحالية وتركها واهلها حديثا مسطورا .

وهؤلاء المجددون على زعمهم وهم لعمر ك معاول هدم وتقويض اذا وقفوا على مثل قول ابن سهل الاشيلي في وصف حال قلبه من لوعة الحب وحرقة الجوى
فهو في حر وخفق مثلما لعبت ريح الصبا بالقبس
او قول ابن حمديس

ضحكت محاسنه اليك كانما جعلت لها زهر النجوم ثغورا
وقوله في وصف بركة بها اسود صناعية من نحاس تقذف بالمياه من افواهها
وضراغم سكنت عرين رئاسة جعلت خير الماء فيه زئيرا
وكانما غشى النضار جسومها واذاب في افواهها البلورا
اسد كان سكونها متحرك في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وقوله في وصف قصر المنصور ابن ابي الناس ببجاية

فلك من الافلاك الا انه حقر البدور فاطلع المنصورا
او قول ابن خميس

عجبا لها ايدوق طعم وصالها من ليس يامل ان يمر بياها

﴿ البكاء في الشعر العربي ﴾

بقلم العالم الاديب الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية

تلك القوافل من عتاق العيس الصاعدة قفاف الرمل المحرق او المرقلة في بحيرات
السراب لا تكاد يدفعها الظما لتريح على غدير في ظلال صور
من الكارعات الماء بالقاع تستقي باعجازها قبل استقاء الحناجر
حتى يجف الغدير دون النهل واذا هي تعاود ارقاها على الحفى والكلالة حتى
ترمي بها المفاوز الى الماء الذي لم تزل تشوقها اليه هذه الشقة التي فصلت العلل عن النهل
اذا هي رتعت في سواد العراق تحت الظلال المخضلة ثم وردت دجلة وهو يعرض

وانا الفقير الى تلمة ساعة منها وتمنعي زكاة جاهها
قالوا حديث خرافة يا ام عمرو لا اعتبارهم ان الشعر الحي غير ذلك وان الشاعرية
لا تكون الامع السليخ من آداب الغير والبكاء معه مما بكى والمرح معه في ساح مدنيته
الغالبه ضاربين العروبة في الصميم بالكيد للغة الضاد التي برزت الفحول في الجاهلية
والاسلام وشادت باسمائهم في ميادين الادب العالي بما ادهش المشرق والمغرب
وكم يلذ لي ان استعرض نماذج عدة من مثل ما ذكرته لكن خوفي على نفوس
حضرات المجددين بل المقلدين للذين لا يوافق مزاجهم هذا النوع من المواضيع يمنع
يراعي من الاسترسال ويهتف به ان قف فنفس اصحابك حداد وانت قد خرجت من
غرضك الى الكتابة في تاريخ الاندلس وسرد شعر ادبائها والانتصار لهم قبل ان تصل
بين آرائك في التجديد قديما وحديثا الا ان اليراع لم يقف الا بعد ان خطهاته الكلمة
لو لم يكن من امر فحول الادباء الذين هم المجددون بحق وامر المتطفلين على موائد
الادب الا ان الاولين قالوا فاجادوا وفهموا ما يقولون وفهم الناس عنهم ما قالوا والاخيرين
قالوا ما لم يفهموا فلم يفهمهم الناس لكفى ذلك دليلا على ما قدمنا واقنع به من لم يجعل
الاله هو الا (يتبع) الطاهر القصار

نفسه فارتوت وتشفت ورعت من كلاً الشط خضرة حلوة حتى بطنت وامتدت
خاصر تائها.

لم ينسها اينها بالامس نشاطها اليوم ولم تذهل عن ظما الحجاز بري العراق وما
تزال بروق الآل تلمع بين عينها وهي على حاشية النهر الازرق فيزداد حينها الى حياة
الرمال التي لم تزل قائمة بين جنبها وتدوم حليقة لذكرى هواجرها على ذلك الطريق
القاحل حامدة ما لاقت من اللواء في اشواقها كما قال ابو العلاء

تذكرن مرا بالمناظر آجنا عليه من الارطى فروع هدا
واعجبها خرق العضلا انوفها بمثل ابار حددت ونصال
ولا تزال في اعماق نفسها بنت الشمس والرمال الوفية للظما والكلال وان اخلدت
الى التربة الخصبه وسكنت الى الظل الوارف على ضفاف الانهار المزبدة
كذلك شان هذا الشعر العربي نشأ على البداوة في عصر الجاهلية حتى اذا اكتمل
شبابه بظهور الاسلام فاض عن مهده يطوف الدنيا ويعبر المحيطين ويكتشف الحضارات
القديمة ويستلم غمامات البحر المتوسط ما اودعتها الاجيال من رقة الفن وسعة الخيال
ثم مازج روح الدنيا الجديدة في بغداد فتردد من قصور الخلافة الى نوادي الشطارة
وحلق من القمم الثلجة بتبريز الى الرياض الزاهرة بالاندلس فما تغيرت روحه ولا
ضاع من اعماقه عهد النشأة وبقيت بداوته الاولى قوام حياته تحقق له وحدته على اختلاف
المحاث وتفيض على المظاهر الجديدة لحياته باكثر مما تستمد منها

وهل لهذا الحياة البدوية الخالدة التي بقيت روح الشعر العربي في جميع اطواره
ما يحقق ماهيتها ويميزها عن حياة المدنية والعمرات غير خاصيتها العظيمة وهما
الترحل والغارة الطريقان الطبيعيان للحياة في طور البداوة من تقلبات الامم لاسيما في
المناطق المجربة التي لا تكاد تضرب فيها اطناب الخيام على قليل من العشب والكلأ حتى
يصوح ربيعها فتدفع غريزة تنازع البقاء احدى القبيلتين الى أن تغير على اختها فاذا هما
تتفانيان في الحروب حتى اذا تداركهما الشهر الحرام بالامن والسلم اشتدت وطأة الجذب
فاذا الرحال تشد للنجعة واذا المنزل الانيس قفر خلاء والقبيلة تتفرق ركابا يقصد كل

منها الى حيث يأمل مقاماً غير طويل على المرعى ينتابه ما انتاب سابقه من حرب ويختم
بما ختم به من رحلة

فكان من الطبيعي ان يترك هذان المظهران اثرهما البين في الشعر الجاهلي اذا كان
منشؤلاً في اوساط الرحل من العرب بعيداً عن القرى الخمس التي تعتبر حواضر نسبية^(١)

وهذا الاثر يظهر جلياً في مآساد الشعر العربي وانبث في اغراضه المختلفة من روح
اللوعة وتناولها بواعث اللوعة المتباينة في قوالب خالدة من الشجو والروعة هي التي حققت
للشعر العربي منزلته الفائقة من عموم الشعر الاحسامي وابقته على مر القرون مهتف
القلوب الجريحة ومتنفس الاكباد الحراء

كيف لا تقوى روح اللوعة ويسود سلطان البكاء في حياة قوامها الترحل والغارة
وهما مجلبة لاعظم الازاء وابلغ بواعث البكاء الفراق والموت

اما لوعة الفراق فائز روحي ناشيء عن الارتحال يحس به افراد من القبيلة عكسا
لما يحس به مجموعها

اذ لا بد للقبيلة من ان تكون قد ضمت مدة الاقامة افراداً من شبانها وجدت
ارواحهم من بعض فتيات القبيلة المجاورة ما تناس اليه وتشعر نحولاً بالالفة القديمة
المتسلسلة من علاقات الارواح في عالمها العلوي تبعاً لناموس الازدواج النوعي كما قال
جميل

تعلق روحي روحها قبل خلقنا ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد
فتنشا العلاقات الغرامية بين شباب القبائل مقرونه بالبكاء والكآبة في كافة اطوارها
كما قال ذو الرمة

هل الحب الازفرة بعد زفرة وحر على الاحشاء ليس له برد
وفيض دموع العين يامي كلما بدا علم من ارضكم لم يكن يبدو
ولتجاوز ما لا يهناهما مما يقاسي المحب عند نشأة المحبة من سهام النظر وشبوب

(١) انظر طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي

النيران ثم ما تفعل به حمى الاشواق الاولى من السهاد وشروذ الفكر وانصباب الدمع
كما قال وضاح اليمن

ولقيتها تمشي بأبطح مرة بخلاخل وبجلة اكباش
فظلمت معمودا وبت مسهدا ودموع عيني في الرداء غواش
ثم ما يلاقي من اعراض المحبوب او تصاممه الى سفحه لديه دموع الشكوى التي
لم تغل منها عين عاشق حتى قال ابو الطيب

اتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خالقة في المآني
وانتقف على لوعة الفراق نستجليها في المظاهر المختلفة التي تنغص بها على المحبين
فترى الارواح المتألقة في سكراتها العشقية ذاهلة عما بين القبائل من نزاع وما هم
فيه من تطاحن طائفة على اجنحة الغرام الى سماء الايثار من حيث تنظر الى سائر الدنيا
بعين السخرية كما نظر ابو فراس اذ يقول

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبينني وبين العالمين خراب
حتى اذا همي وطيس الحرب وتصاد غبارها ففرق بين العشيقين واخذ الشاب الى
ساحة الحرب لا يلتفت الى ما ترك وراءه من هوى مقطوع ودموع منهجرة كما قال كثير

اذا ما اراد الغزو لم يشن عزمه حصان عليها عقد در يزينا
نهته فلما لم تسر النهي عاقه بكت فبكى مما شجاها قطينها
ولم يشنه عند الصبابة نهيا غداة استهلته بالدموع شؤونها
ولكن مضى ذا مرة متتبها لسنة حق واضح يستينها
وبدا يقاتل قوما ملء قلبه الاشواق الى ابنتهم فاجتارت نفسه بين غرامه وواجبه
وغلبه التيار حوله فاندفع تعمل يده للواجب ويهتف قلبه بالغرام متعجبا من حاله تعجب
عنتره اذ يقول

علقتها عرضا واقتل قومها زعما لعمر ابيك ليس بمزعم
او راهبا طوارئى الفراق رهبة جميل اذ يقول

كأن لم نحارب يابئين لوانها تكشف غماها وانت صديق
فاذا وضعت الحرب اوزارها وراجع المتحابان عهد الوصال لم يتح لهما صفاء غمرة
الحب الاولى بسبب ما يطرأ على العلاقات من المنغصات التي اولها ان الفراق الذي مارسه
وقاسى لاواء لا يغيب شبحه الهائل من بين عينيه فلا يزال يعاودلا بين الفترات مهددا
بقرب الرجوع في اشع صورة واشقها فترى المتحابين في هذه الحالة يبكيان للفراق المتوقع
قبل ان يريالا ونجدهما في ساعة السعادة منكدي القلب بذكرى الشقاء كما قال الحماسي

وما في الارض اشقى من محب وان وجد الهوى حلو المذاق
تراها باكيا في كل حين مخافة فرقة او لاشتياق
فيبكي ان ناوا شوقا اليهم ويبكي ان دنوا خوف الفراق
فتسخر عينه عند التناهي وتسخر عينه عند التلاق

وقد قال ابو تمام في وصف هذا الاحساس من طرف المحبوب

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد وعاد قتادا عندها كل مرقد
وبتردد هذا الحواطر وشيوع هذه التخوفات تصبح نفس المحب شديدة اللفقة
على المحبوب حريصة على التمتع بوصاله شان النفس البشرية اذا احست بقرب الفناء في
ما لديها كما قال الصمة

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار
ومن هنا اصبح للنوم الذي قبل يوم الفراق شانه العظيم عند ارباب الهوى فطلما
استقبلوا غداته بالبكاء كما قال ابن ميادة

وما انس من الاشياء لانس قولها وادمعها يذرين حشو المكاحل
تمتع بهذا اليوم القصير فانه رهين بايام الشهور الاطاول
وبانضمام هذا الحرص الشديد على وصال الحبيب الى اثر عظم الاشواق وطول
احتمالها مدة الفراق الاول يتعاضم الشوق مع الاتصال وهي ثاني منكذات الوصل بعد
الفراق كما قيل

وابرح ما يكون الشوق يوما
اذا دنت الديار من الديار (١)
حتى ينتهي الى الدرجة التي قال فيها عباس
ومن عجب اني احن اليهم
وتشتاقهم عني وهم في سوادها
واسال عنهم من لقيت وهم معي
ويشتاقهم قلبي وهم بين اضاعي
(يتبع)
محمد الفاضل ابن عاشور

(١) هكذا رواه ابو علي القالي عن جحضة عن حماد بن اسحاق عن ابيه انظر الجزء الاول من الامالي صحيفة ٥٥

﴿ التشريع الاسلامي ﴾

في العدد القابل مقال ينشر تحت هذا العنوان للعلامة الاستاذ الشيخ سيدي
محمد العزيز جعيط المفتي المالكي

اعتذار

ورد على ادارة المجلة عدة تحارير وقصائد اضطررنا لتأخيرها الى عدد قابل مع الاعتذار
لاصحابها بضيق هذا الجزء

منها مقال قيم بعنوان (المكتبات ومبلغ غناية الامم بها) بقلم الاديب الشيخ محمد العنايني
ومنها مقال تحت عنوان (التجديد في الادب ايضا) للاديب الشيخ محمد المهدي بن الناصر تاخر
نشره لما بعد انتهاء المقال المتتابع بالعنوان نفسه

كما ورد على المجلة اسئلة مختلفة ستقع الاجابة عنها في الاعداد المقبلة ان شاء الله
ملاحظة : المرغوب من السادة الذين يرغبون في الاجابة عما يوجهونه من الاسئلة ان
يختموا رسائلهم باسم المرسل الطالب للجواب . وله الحق في طلب اخفاء اسمه ان شاء

مجلة الافكار

سيعزز جانب الادب بمجلة الافكار التي ستصدر قريبا والمؤمل انها ستكون من المجلات الراقية
المنتجة وانا لنبتهج بصدور هذه المجلة ونؤمل للقائمين عليها ان يكون التوفيق رائداهم فيما يستقبلونه
من عمل مفيد والمجلة ما تستحقه من الرواج

الْفَتْاوىٰ وَالْأَحْكَامُ

﴿ حكم الحلف بالحرام واللازمة ﴾

بقلم العلامة الكبير سيدي احمد كريم شيخ الاسلام سابقا بتونس قدس الله روحه

ننشر فيما يلي نص ما حرره المقدس المبرور شيخ الاسلام سيدي احمد كريم المتوفى في المحرم سنة ١٣١٥ في اليمين بالحرام واليمين باللازمة وما يلزم الحالف بهما شرعا نظر الما يجري في هذه الايام من الاختلاف فيهما بين علماء المشرق ولتعارف اهل بلدنا الحلف بهما وكثرة دورانهما على السنة الناس مع الغفلة عما يلزم بهما عند الحنث من طلاق واحدة او ثلاث على حسب نيته ان كانت له نية او على مقتضى العرف ان لم ينو الموجب ذلك انفكالك عقدة النكاح بين الزوجين انفكالا لارجمة معه ويكون الواجب على الزوج حينئذ تجديد عقدة النكاح من اصلها وذلك بعقد ومهر جديدين ان كان الواقع طلاقه بائنة او الحرمة الغليظة التي لا تجل معها الزوجة لزوجها الاول الا بعد ان تنكح زوجا غيرا والا فهو مقيم على معصية الزنا واولادها منها بعد الحنث اولاد زنا ومن منا يرضى لنفسه القيام على كبيره من اعظم الكبائر مع الاستمرار عليها وعدم الاقلاع عنها الى آخر نفس من حياته مع ما يترتب على ذلك من الاحكام ذات الشأن كعدم ثبوت نسب اولادها منها شرعا وانه لا توارث بينهما ولا توارث بينه وبين اولادها منها بعد الحنث وغير ذلك مما يقبح بالمسلم المحافظ على دينه جهله او التغاضي والغفلة عنه

قال قدس الله روحه : ومما تعارفه اهل هذا القطر الافريقي اليمين بقولهم بالحرام وباللازمة اما الاول فقد اتفقت كلمة المشايخ الحنفية بتونس وعملها على لزوم طلاق بائنة من غير توقف على نية الطلاق به وان كان من الكنايات للعرف نعم يحتاج الى عدم نية

الثلاث فلو نوى به الثلاث او صرح بها وقعت ثلاثا والقول قول الحالف يمينه في عدم نية الثلاث وبذلك افق كل من ادر كناه من المشائخ في اليمين بالحرام

واما اليمين باللازمة فقد جرت الفتوى فيه من مشائخ الاسلام البيرويين بمثل الفتوى في اليمين بالحرام نصا سواء وخالفهم في ذلك شيخنا شيخ الاسلام سيدي محمد ابن الخوجة رحمه الله وقد سألته يوم التاسع والعشرين من شعبان عام ثمانية وستين ومائتين والف عن اليمين باللازمة وما يلزم بها اذا حنث الحالف في يمينه بها فاجابني بقوله اني لا افتي بشيء فيها اذ لم اقف على النص من اهل مذهبنا سالكا في ذلك مسلك والدي رحمه الله تعالى وان كنت اطلمت على اقوال الفقهاء المالكية في ذلك واما آل يريم فانهم يفتون فيها بما يفتى به في اليمين بالحرام مستندين الى ما نقله الشيخ يريم الاول عن العلامة الانطاكي الحنفي في شرحه على البردة وهو ليس من الكتب المعدودة لنقل احكام المذهب الحنفي ثم قال لي رأيت في المنهج الفائق في الاحكام والوثائق للوانشريسي من كتب المالكية النقا، عن ابي بكر ابن العربي صاحب العارضة انه سال عنها علماء العراق فلم يجيبوا بشيء، وتوقفوا قال ابن العربي وسالت شيخهم المقدم ابا بكر الشاشي عنها فاجاب بانه روى عن ابي حنيفة انه على نيته في الحلف بها . ورايت في اعلام الموقعين في احكام رب العالمين من كتب الحنابلة نص المسألة في مذهبنا وقال لي الشيخ القاضي اسماعيل التميمي : ابوبكر الشاشي شيخ ابي بكر ابن العربي اه بلفظه

فان قلت اي طريق سلكت من هاتين الطريقتن لما انخرطت في سلك المفتين قلت سلكت مسلك البيرويين وافتيت بما افنوا به يمينين لا بمجرد التقليد بل لما استندوا له مع ما انظم الى ذلك مما وقفت عليه من كلام علمائنا في نظيرها وفيما جرى به العرف مما كان من قبيل الالفاظ وما تحرر من فحول السادات المالكية في اليمين باللازمة مما تقتضيه قواعدنا وبيان ذلك : ففي الباب الثامن والعشرين من معين الحكماء في القضاء بالعرف والعادة لقاضي القدس الطرابلسي الشهير بابن افلاطون ما نصه :

تنبيه ونقلت من الرحلة لابي عبد الله بن رشيد فيمن حلف بالايان اللازمة وحنث هل يلزمه الطلاق الثلاث او واحدة ثم قال والمعتبر في ذلك عرف الحالف لا عرف المفتي

فلو دخل المفتي بلدا لا يكون عرفهم فيه انه يراد به الطلاق الثلاث لم يجزله ان يفتي فيه بذلك ولا يحل للمفتي ان يفتي فيما يتوقف على العرف الا بعد معرفة العرف لمد الجواب اه وقد صرحوا في غير ما كتب باثه يحمل كلام كل عاقد وناذر وواقف على عرفه اي على ما تعارفه الناس في محاوراتهم وخطاباتهم وبنوا على ذلك جواز النكاح بالالفاظ المصحفة وكذا في الطلاق الخ ولا تجد احدا من اهل هذا القطر يفهم من يمين اللازمة الاطلاق الزوجة كناية حتى ان كثيرا من المستفتين اسألهم عند الفتوى في يمين اللازمة بماذا حلفت فيقول يمين الزوجة

هذا وقد وقفت على تحرير العلامة الشيخ محمد المناعي شيخ شيخنا سيدي ابراهيم الرياحي قدس الله روحه وكان من افقه علماء المالكية بالحاضرة بخطه ما نصه : ان الحكم اذا كان له مدرك من علة او عرف فانه يدور مع مدركه كاللازمة فمن كانت في عرفه يميننا فيمين والا فلا وعلى الاول فمن كان يراد بها في عرفه جميع الايمان فانها تلزمه ومن كان في عرفه يراد بها الطلاق فانه يلزمه على ما يراد في العرف من الواحدة او الثنتين او الثلاث وان كان العرف جرى بغير ذلك فانه يلزمه ما يراد في العرف كالمشي الى بيت الله الحرام وصوم شهر مثلا وهلم جرا ولذلك نجد العلماء يقول كل واحد بما يوافق عرفه وليست هي اقوالهم كما يوهمه نظم العاصمية وشارحوها وانما المدار على ما ذكرنا انتهى كلام الشيخ احمد كريم في المسئلة وقد ذيله العلامة الشيخ الشاذلي ابن القاضي رحمه الله بقوله : قلت ما نقله الشيخ من اعتبار العرف يؤيد ما قاله الكمال ابن الهمام في فتح القدير : واعلم انهم تعارفوا الحرام يلزمني ولا شك في انهم يريدون به الطلاق المعلق فانهم يذكرون بعده لا افعل او لا فعلن وهو مثل تعارفهم الطلاق يلزمني لا افعل فانه يراد به ان فعلت كذا فهي طالق ويجب امضاؤه عليهم . والحاصل ان المعتبر انصراف هذه الالفاظ الى المعنى المتعارف فيه بلانية ولو قال الخالف اردت غيره لا يصدق القاضي وفيما بينه وبين الله هو مصدق وان لم يتعارف يسئل عن نيته اه واقره عليه صاحب البحر والنهر والشرنبلالي

ولما كان المتعارف عند اهل قطرنا في قولهم باللازمة الطلاق اللازم وهو البائن

فمعنى باللازمة بالطلقة اللازمة فاذا قال باللازمة لا افعل كذا فمعناه على ما قرره الكمال ان فعلت كذا فعلي طلقة لازمة فاذا حنث لزمه الطلاق بلا نية وانما يحتاج الى النية في كونه نوى الطلقة الكبيرة وهي الثلاث او نوى الصغيرة وهي الواحدة كما ذكره اصحابنا في الطلاق بالمصدر ولذا يحلفه مشائخنا اذا حلف بالحرام هل نوى واحدة او ثلاثا فيحلف انه ما نوى الثلاث لان لفظ الحرام مصدر وهو محتمل للكبيرة والصغيرة فيحلف انه ما نوى الكبيرة احتياطا . وفي كلا الفصاين وهما بالحرام وباللازمة ليس له ترجيحها الا برضاها ضرورة ان النكاح وان كان واحدة لكنه بائن فيتوقف على الرضا والحاصل ان اللفظ اذا تعورف استعماله في الطلاق صار صريحا في ذلك العرف وحينئذ لا يحتاج الى النية . فقد نقل في رد المحتار ان الصريح ما غلب استعماله في العرف في الطلاق بحيث لا يستعمل عرفا الا فيه اه

قلت ولا شك ان لفظ باللازمة كلفظ الحرام في عرف اهل قطرنا حتى انه لا يحلف به الا الرجال فوجب اعتباره صريحا كاعتبار لفظ الحرام كما افتي به المتأخرون من فقهاءنا نعم الواقع بهما البائن وهذا لا بدع فيه لان الصريح يقع به البائن كما هو مصرح به

فان قلت اذا وقع الطلاق بهذين اللفظين ينبغي ان يكون مقبلا للرجعة لان العامي الجاهل لا يميز بين البائن والرجعي فضلا عن ان يكون عرفه ايقاع البائن وانما المتعارف عنده ان من حلف باحد اليمين المذكورين يقع عليه الطلاق . مثل قوله علي الطلاق لا افعل كذا

قلت لفظ الحرام معناه عدم حل الوطء ودواعيه وكذا لفظ اللازمة في العرف طلقة لازمة لا يحل معها الوطء ودواعيه ولذلك يعطفون عليها الحرام في حلفهم كثيرا فيقولون باللازمة والحرام لا افعل كذا وعدم حل الوطء ودواعيه هنا بالطلاق والرجعي لا يحرم الوطء ودواعيه فتمين البائن وكونه التحق بالصريح لاجل العرف لا ينافي وقوع البائن به وخلاصته انه لما تعورف الطلاق بذينك اللفظين صار معناهما تحريم الزوجة وتحريمها لا يكون الا بالبائن . فهم وان لم يتعارفو فيهما في قطرنا

لفظ البائن بالمعنى الاصطلاحي لكن تعارفوا المعنى الذي لا يكون به الطلاق الابائنا
ولذا قال في البزازية : ان المتعارف في هذه الالفاظ انما هو ايقاع البائن لا الرجمي ولا
يخفى على من له ادنى تدرب في الفقه ان العرف اصل عظيم في الشرع ادير عليه كثير
من الاحكام . قال . ولانا الشيخ محمد امين في شرحه لقوله في منظومة رسم المفتي :

والعرف في الشرع له اعتبار اسدا عليه الحكم قد يدار

اعلم ان اعتبار العادة والعرف رجع اليه في مسائل كثيرة حتى جعلوا ذلك اصلا
فقالوا تترك الحقيقة بدلالة الاستعمال والعادة . نقله عن الاشبال في القاعدة السادسة
« العادة محكمة » ثم ذكر فروعا خالف فيها المتأخرون المنصوص في مسائل قال ولم
يخالقوا الالحداث عرف بعد زمان الامام فعلى المفتي اتباع عرفه الحادث في الالفاظ
العرفية وكذا في الاحكام التي بناها المجتهد على ما كان في عرف زمانه وتغير عرفه الى
عرف آخر اقتداء بهم لكن بعد ان يكون المفتي ممن له رأي ونظر صحيح ومعرفة
بقواعد الشرع حتى يميز بين العرف الذي يجوز بناء الاحكام عليه وبين غيره اه المراد
منه والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

سؤال وجوابه

ورد على ادارة المجلة سؤال من مدينة زغوان نصه بعد فاتحته

رجل مسلم حر باغ من العمر خمسا واربعين سنة لم يصل في هذه المدة ركعة ولم
يصم يوما ثم تاب الى الله واستقام حاله فما هو الحكم الشرعي بالنسبة الى هذا الرجل
حينما كان تاركا للصلاة والصيام :

والجواب ان الشارع الحكيم اوجب على المكلف وهو العاقل البالغ حرا كان او
عبدا ذكر ا كان او انثى الصلاة وجعلها عماد الدين قال تعالى « ان الصلاة كانت على
المؤمنين كتابا موقوتا » اي فرضت على المؤمنين في اوقات معينة وهي الاوقات التي اشار
لها القرآن في آيات كثيرة وينتهي السنة الشريفة قولاً وفعلاً بما لا مزيد عليه ويسط الفقهاء

ذلك في كتبهم بسطاً شافياً فليرجع اليه من ارادة فتقرر باجماع المسلمين انه يفترض على كل مكلف خمس صلوات في اليوم والليلة ويجب عليه دون وجوب الخمس المتقدمة لكنه متأكد جدا حتى كاد يلحق بها الوتر

فان ترك المكلف الصلاة وهي على ما علمنا من التأكد فتاركها لا يخلو اما ان يتركها لنوم او سبان لها فيجب عليه قضاء ما فاته من الصلوات زمن الغفلة اجماعا ولا التفات لمن قال لا يقضي ما كثر فانه قول شاذ عند اهل العلم ولا اثم عليه في التأخير لان التكليف على حسب الوسع وقد قال عليه السلام فيما رواه مسلم من طريق انس بن مالك رضي الله عنه « من نسي صلاة او نام عنها فكفارتها ان يصليها اذا ذكرها » وفي رواية اخرى له عن انس ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا رقد احدكم عن الصلاة او غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول اقم الصلاة لذكركي » وهذا من دلائل رفق الشارع واخذله باوجه المسامحة والتيسير ولا بدع فان من اصول ديننا القويم الدعوة الى ما فيه يسر والتنفير مما فيه عسر قال صاحب الشريعة الدين يسر وقال يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا ومما جاء في شمائله صلى الله عليه وسلم انه « هما خير بين امرين الا اختار ايسرهما وفي ذلك تعليم لنا وتذكير شرح الله صدورنا ونور بصائرنا لاستجلاء ما في هذه الشريعة السمحة من دلائل الصديق وشارات الخلود. واما ان يتركها جاحدا لها منكرها وجوبها ومستهيئا مستخفا بامر الشارع لها وهذا كافر باجماع المسلمين خارج عن ملة الاسلام والعياذ بالله تعالى يستتاب فان تاب والا قتل كفرا

واما ان يتركها تكاسلا مع اعتقاد فرضيتها كما هو حال كثير من الناس وهذا محل اختلاف علماء الاسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الفقهاء المجتهدين فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجمهور من السلف والخلف الى انه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فان تاب والا قتل حدا كالزاني المحصن وهي رواية عن احمد وذهب جماعة من السلف الى انه يكفر وهو مروى عن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه واحدى الروايتين عن احمد بن حنبل رضي الله عنه وبه قال عبد الله بن المبارك واسحاق بن راهويه وابن حبيب من المالكية ولا قضاء عليه حينئذ لانه كمرتد تاب

وذهب ابو حنيفة واصحابه والمزني من اصحاب الشافعي الى انه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر بان يجبس او يضرب حتى يتوب ويصلي قال في التنوير وشرحه « ويكفر جاحدها لثبوتها بدليل قطعي وتاركها عمدا مجانة وتكاسلا فاسق يجبس حتى يصلي لانه يجبس بحق العبد فحق الحق احق وقيل يضرب حتى يسيل منه الدم » وفي الفتح لابن الهمام (فرع) ترك الصلاة عمدا كسلا يضرب ويجبس حتى يصلها ولا يقتل الا اذا جحدتها او استخف بها »

وكأن من قال بكفر لا ناظر لحديث بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة (١) فمن فهم من الكفر هنا الكفر الحقيقي جعله كافرا ومن فهم من الحديث التغليظ والتوبيخ اي ان افعاله افعال كافر وانه في صورة الكافر كما جاء في الحديث الآخر لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن لم ير قتاه كفرا ومن قال انه فاسق يعزر بالضرب والجبس ولا يقتل ناظر لحديث لا يخل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان او قتل نفس بغير نفس .

واذا كان ترك الصلاة وتأخيرها عن وقتها من اكبر الكبائر واعظم العظائم لما فيه من التغافل عن القيام باهم الفرائض التي حث عليها الشارع واوصى بالمحافظة عليها قال جل من قائل « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » فلي تارك الصلاة المبادرة بالتوبة النصوحة وذلك بالاقلاع عن معصية الترك واداء صلواته في اوقاتها والندم على ما فرط في جنب الله وقضاء ما فاتته في سابق عمره من الصلوات التي بذمته فيأتي بها على حسب ما يتيسر له في الاوقات الزائدة على اوقات نومه واكله وعبادته الحاضرة وعمله الذي لا بد منه لتحصيل كسبه وليس عليه ترتيب في قضاء ما فاتته عند ابي حنيفة رضي الله عنه اذا كانت الفرائض كثيرة بان تجاوزت الستة اذ الكثرة مسقط للترتيب عنده وانما عليه ان يعين كل فائتة يريد قضاءها والتسهيل عليه قال فقهاء الحنفية انه ينوي عند القضاء اول صبح فاتة او آخره واول ظهر فاتة او

(١) اخرجه مسلم من طريق جابر رضي الله عنه في كتاب الايمان

آخره وهكذا في كل صلاة الى ان يقضي الجميع . في مسألة الحال نفرض انه بلغ ولله من العمر اثنتا عشرة سنة فعليه صلاة ثلاث وثلاثين سنة اذا كان في دار اسلام نعم اذا كان في دار حرب ولم يبلغه وجوبها فهو معذور وليس عليه قضاؤها حينئذ عند ابي حنيفة وفي مذهب مالك خلاف قال الشيخ الابي في شرح مسلم : واختلف في الحربي يسلم هل يقضي ما فاتته ببلد الحرب قال سحنون يقضي وابا ابن عبد الحكم

والرجاء ان يقبل الله توبته ويمحو عنه ذنب تاخيرها عن وقتها فان التوبة المستجمعة لشرائطها مقبولة لقوله تعالى « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون » وفي قبول توبة العامي وستر ذنبه دافع له الى الرجوع الى الله والانقلاط من مخالط الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس . واما الصوم فانه من اوكد الفرائض العينية ايضا قال جل ذكره « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » اي فرض عليكم ايها المؤمنون الصوم وهو الامساك عن المفطرات التي بينها السنة من الاكل والشرب والجماع كما فرض على الامم الذين كانوا قبلكم . وقد عرف ان فرضية الصوم ثابتة في كل الشرائع السابقة لما فيه من الحكم العالية والمصالح العامة والاحاديث الدالة على تأكده وعظيم اعتبار الشارع له كثيرة منها قوله عليه السلام كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وانا اجزي به « قيل انما خص الصوم بالنسبة اليه تعالى من بين العبادات لانه عمل خفي اذ هو عمل سائي لا يطلع عليه في الحقيقة غير الله تعالى فلا يدخله الرياء المحبط للأعمال ثم القدر المفترض منه هو صوم شهر رمضان من كل سنة على العاقل البالغ قال تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وشهود الشهر ان يبلغه على الطريق الشرعي المعروف دخول شهر رمضان برؤية هلاله او بعد شعبان ثلاثين يوما

فان ترك الصوم وافطر في نهار رمضان فلا يخلو ان افطر مستحلا او مستخفا كافر ومنه ما اذا افطر مجاهرا بفطرة غير مبال بمعاينة الناس له فانه يحكم بكفره ويقتل قال في البزازية : من أكل نهارا في رمضان عيانا عمدا شهرة يقتل لانه دليل الاستحلال اه وان أفطر ناسيا فلا شيء عليه عند ابي حنيفة واصحابه لا مؤاخذه ولا قضاء وذهب

مالك الى وجوب القضاء عليه . وان أفطر عمدا غير مستحل للفطر ولا مستخف بامر الشارع فهذا فاسق عاص اجماعا وعليه ان يقضي ما فاتته من ايام الصوم وان يكفر بتحرير رقبة ولو كانت كفارة ان وجدها وان لم يجد رقبة فعليه صيام شهرين متتابعين ان قدر عليه فان لم يقدر لكبر او مرض اطعم ستين مسكينا بان يغديهم ويعشيهم غداء وعشاء مشبعين او يغديهم غدائين من يومين او يعشيهم عشائين من ليلتين ولكن لا يكفيه ذلك الا اذا كان الذين اطعمهم ثانياهم الذين اطعمهم اولا حتى لو غدى ستين ثم عشى ستين غيرهم لم يجزأ ذلك حتى يعيد الاطعام لاحد الفقيرين ولو اطعم فقيرا واحدا ستين يوما اجزأه لانه بتجدد الحاجة في كل يوم يصير بمنزلة فقير آخر ومثل الاطعام ان يعطي كل فقير نصف صاع من بر او من دقيقه او يعطيه صاعا من تمر او شعير او زبيب او يعطيه قيمة ما ذكر وان تعددت ايام الفطر فعليه ان يقضيها جميعا وتجزيه كفارة واحدة عن الجميع لو من رمضان واحد للتداخل ولو من رمضانين اختلف التصحيح عند الحنفية ففي ظاهر الرواية انه لا تكفيه كفارة واحدة قال في الجوهرة وهو الصحيح وعند محمد تكفيه كفارة واحدة قال في البزارية والمجتبى وعليه الاعتماد قال الشيخ ابن عابدين في رد المختار على الدر المختار بعد ان نقل التصحيحين عن البحر قلت فقد اختلف الترجيح كما ترى ويتقوى الاول بانه ظاهر الرواية اهـ

ففي مسئلتنا يقضي صيام ثلاثة وثلاثين شهرا ويكفر كفارة واحدة عن الجميع عند محمد بن الحسن رحمه الله وذهب امام دار الهجرة رضي الله عنه الى ان الكفارة تجب على التخيير بين التحرير والصيام والاطعام والافضل وانه لا يجزيه الاطعام الا اذا كان لستين مسكينا وانه لو اطعم فقيرا واحدا ستين يوما لم يكفه ذلك وان القيمة لا تجزئ وانه لا تكفيه كفارة واحدة عن ايام كثيرة بل لا بد من التكفير عن كل يوم بخصوصه ولا تداخل

وقفنا الله لاداء ما كلفنا به والهمنا ما فيه صلاحنا انه ولي الاعانة والتوفيق .

محمد الهادي ابن القاضي

❦ الحياة العلمية ❦

كان يوم الخميس الرابع عشر من شهر رجب المنصرم الموافق ليوم غرة أكتوبر الجاري هو يوم افتتاح السنة الدراسية . وهو يوم مشهود تترقبه النفوس الحية وتبتهج به كما تبتهج بأيام المواسم والاعياد . ففتحت جميع معاهد العلم ابوابها . وعاودها نشاطها بعد ان كانت راكدة مدة الصيف المضني بحرارته للعقول والاجسام

وحدثت بسبب ذلك حركة في البلاد من جميع نواحيها حيث حل بالعاصمة الآلاف من الطلبة من مختلف انحاء القطر بعد ما قضوا زمن الصيف في بلدانهم بين اهلهم واصحابهم في جامع الزيتونة . وفي يوم الخميس المذكور فتحت ابواب جامع الزيتونة فاقبل طلبته مبتهجين مسرورين بانقضاء الراحة وحلول زمن الكد والعمل المفيد فانشرح بقدمهم صدر الجامع وشيوخه ولاقوهم كما يلاقي الاب ابنه العزيز بعد ان طال به الانتظار . وعز عليه الاصطبار . وكانت مشيخة الجامع قد هيات جميع الاعمال والتراتب من قبل بحيث ان غالب الدروس قد انتظمت من اليوم الاول . والفضل في ذلك راجع الى دقة النظام الذي يسير على مقتضاه صاحب الفضيلة شيخ الجامع الاعظم ابقاه الله فرع جديد للجامع . وقد اضيف في مفتح هذا العام فرع ثالث للجامع الاعظم بالحاضرة وهو جامع سيدي يوسف . زيادة عن فرعيه السابقين وهما جامع القصة . والمدرسة الخلدونية وذلك لضيق الفرعين المذكورين عن ايواء التلامذة الذين اخذ عددهم في نمو وازدياد في هذه الاعوام التي احس الناس فيها بانه لا حياة ولا سعادة الا بالعلم . وخصوصا علم الدين واللغة العربية

ولعمري انه لمظهر مسر جدا هذا الذي دفع الناس على اختلاف طبقاتهم وعقلياتهم الى الحرص على تعليم ابنائهم مهما كانت التكاليف . ومهما عرضت من مصاعب

وجامع سيدي يوسف كان الحق بجامع الزيتونة في عام ١٣٤٥ الموافق لعام ١٩٢٦-٢٧ وانتظم التعليم به خمسة اعوام . ثم نقل للجامع القصة وسنكتب في المستقبل عن تاريخ هذا وتفصيل ما وقع عند الحاقه بجامع الزيتونة .

اجراء الامتحانات - وقد اعيدت الامتحانات بالجامع للراسبين في امتحان آخر العام او لمن تعذر عليه اجرائها اذ ذاك طبق الترتيب الجديدة للجامع
فابتدئت الامتحانات يوم السبت ١٢ رجب و ٣ اكتوبر واعطيت النتيجة يوم الاحد ٢٤ و ١١ منهما . وكان جملة الناجحين اثنين وسبعين تلميذا على التفصيل الآتي:
شهادة العالمية - اثنان في القراءات . واثنان في العلوم احدهما في القسم الشرعي والآخر في القسم الادبي

شهادة التحصيل - واحد في الرتبة الاولى . وثلاثة عشر في الرتبة الثانية . وواحد وعشرون في الرتبة الثالثة

شهادة الاهلية - واحد في الرتبة الاولى . وثمانية في الرتبة الثانية . واربعة وعشرون في الرتبة الثالثة . فنهنيهم جميعا ونرجو لهم زيادة الحرص على طلب العلم نصيحة للطلبة - ونحن بما لنا من العاطفة الابوية . والحرص على صالح ابنائنا من عموم الطلبة ننهنر هذا الفرصة لنقدم لهم هذا النصيحة الخالصة لوجه الله ايها الابناء الاعزاء زادكم الله من توفيقه . انتم قررة اعيننا . ومطمح . املنا وزينة مستقبلنا . ان كنتم تريدون لبلاذكم الخير ولامتكم العز والشرف . وان تنهض من كبوتها . وتسترجع بعضا من عزتها . فاعلموا ان ذلك لا يكون الا بالعلم . فاصرفوا اوقاتكم في تحصيله ولا تتركوا اللحظة من وقتكم تمر بدون عمل مفيد وتحصيل علم جديد . وانظروا الى ما يقاسيه اباؤكم في سبيل اسعادكم وتهذيب نفوسكم وترقية شعوركم والى ما تقاسونه من بعد الاوطان . ومفارقة الاقارب والحلان . فايابكم ان تضعوا اوقاتكم في غير الاستفادة والتحصيل . قال بعض الحكماء : الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك . وقال آخر : العلم ان اعطيته كلك اعطاك بعضه . فلتكن اوقاتكم مقسمة على ثلاث حصص . حصص الحضور بالدروس . وحصص للتحضير لها . وحصص لمطالعة الكتب في مختلف الفنون والمواضيع حتى تكون لكم مشاركة حسنة واطلاع واسع . فليس العالم من يعرف مسائل من النحو او من البلاغة او من المنطق ويتقنها ويجيد القاءها . بل العالم هو من تكون له ثقافة عامة . واطلاع واسع . وخبرة

بالحياة من جميع نواحيها . وذلك لا يمكن التحصيل عليه بالدروس وحدها . بل لا بد معها من المطالعة والانكباب على دراسة الكتب على اختلاف مواضيعها وتباين مشاربها . واعلموا ان ملاك السعادة والنجاح . واساس البلوغ الى كل خير . هو تقوى . الله والبعد عن محارمه . فزينة العالم بالتقوى . ونجاحه بالاخلاص لله في السر والنجوى ولنختم هاته النصيحة بابيات خالدات من نظم شاعرنا التونسي الشيخ محمود قابادو رحمه الله وهي قوله :

دليل اصطفاء الله للعبد علمه	وتشريفه ان يكشف الحق فهمه
وليست فنون العلم الا طرائق	يؤم بها كل امرىء ما يهيمه
لذلك لما استخلف الله ادم	توفر من علم الحقائق قسمه
فكان مناط العلم والدين والاعلا	بحيث نما العمران وامتد رسمه
فمن علم الاشياء وفي حقوقها	ودان له فيما يحاول خصمه
وكل فنون العلم للملك نافع	ولاسيما ما ساير المالك حكمه
لذاك ترى ملك الفرنج مؤثلا	بعلم على الايام يمتد يمه
ومما كة الاسلام يقلص ظاهها	وينقص من اطرافها ما تضمه
وقدما تناهت في الفنون توغلا	وجمع طم الصنع فيها ورمه
فلم يجد المستبعدون لعزها	سوى العلم نهجا للرئاسة امه
فكان لهم منه النفوذ الى المنى	ولاسيما ثغر خبا منه حجمه
لقد فاتنا في بادىء الصوب راينا	واشقى لعمرى ان يفوت ختمه
تباعد شوطا . قدم ومقهقر	اذا لم يحن منه التفات يزمه
لعمرى ليس الميت من اودع الثرى	ولكن مطيق للفنى بان عدمه

فلتكن هاته الابيات نصب اعينكم . ولتتدبروا في معناها ومغزاها فهي التي تبعث الهمم من مرقدتها وتحيي ميت الشعور والله المرجو لتحقيق الآمال ونجاح الاعمال .

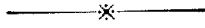
محمد المختار ابن محمود



المرجو من القارئ الكريم تصحيح الاخطاء الآتية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٦	٣	دعى	دعا
٤٦	٧	على	عن
٤٨	١٦	يبدأك	يبدؤك
٤٨	٢٠	آذنتك	اذنتك
٥٠	١	برذية	برذيلة
٥١	٦	بوعدن	يوعدون
٥٢	٤	بما	لما
٥٦	٢٠	السحاق	اسحاق
٦٢	١٩	داوداد	داود
٦٦	١٠	تدعوا	تدعو

تباع المجلة في الاماكن التالية



اماكن بيع المجلة بالحاضرة

- المكتبة العلمية سوق الكتبية رقم ١٢
- مكتبة الاستقامة نهج سيدي ابن عروس رقم ٣٤
- المكتبة العتيقة سوق الصوف رقم ١٣
- مكتبة الامان سوق السرايرية رقم ٢٢
- مكتبة الاطلس نهج سيدي ابن عروس رقم ٤٤
- المكتبة الزيتونية سوق السرايرية
- مكتبة الرجاء سوق الكتبية رقم ٢
- المكتبة العربية الكبرى سوق السرايرية
- مكتبة العنابي (اخوان) نهج باب البنات
- مكتبة السعادة نهج الكتبية رقم ٤
- دكان السيد محمد بن عمر جوار ادارة الاوقاف رقم ٧٢

السيد حمدان الشريف بسوسة

- » محمد العربي بالمكنين
- » محمد زهرة بالمنستير
- » ابوبكر بن محمد الصانع بقصر هلال
- » الصادق بوزيان بالقيروان
- » سعد بن بلقاسم الصحراوي بسيطة
- » علي بيباس بسوق الجمعة رقم ١٢ بصفاقس
- » قدري قعيب بقفصة
- » المكتبة الاسلامية بتوزر
- » عمر اسكندر بنقطة
- » شرف الدين الدقاشي بدقاش
- » محمد بن علي امنجه بقابس
- » حمزة شورو بميدون جربة

اسماء متعهدي بيع المجلة بالقطر الجزائري

- السيد محمود نسيم بشارغ لالير رقم ٤٢ بالجزاير
- » محمود باش طبجي بساحة شارتر بالجزائر
- مكتبة النجاح بقسنطينة
- » قندوز بنهج جنجراس بسطيف
- » الاخضر بن مبارك ببسكرة
- » بن داود بساحة دي قرقولات بعنابة
- » محمد الهادي جلال بتبسه
- مكتبة السيد مصطفى باغلي بنهج سكاك، ٢ تلمسان

اسماء متعهدي بيع المجلة في بلدان المملكة

- السيد الحبيب الذوادي بنزرت بنهج احمد باي
- » احمد المرابط متعهد بيع المجلات بنزرت
- » عمر بن يدر بفريقيل
- » علي المزني بماطر
- » احمد بن الحاج عبد الرحمن العجالي بقلية
- » عبد القادر قروبج بنابل
- » حمودة الذكواني بمنزل جميل
- محمد الصالح البكوش بباجه

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

نشرها الهيئة من مذكرى بايع الزيتونة للعبور

الجزء الثالث	تونس في رمضان عام ١٣٥٥ وفي نوفمبر عام ١٩٣٦	المجلد الاول
--------------	--	--------------

شهرية وستنتها عشرة اشهر

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقة
والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد عبد بن القاوي

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نيج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

صاحب المجلة :

محمد شاول بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع

حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

اطلب مع هذا الجزء هديته

- ١ اعداء الدين ! بقلم رئيس التحرير
- القرآن الكريم
- ٢ المقدمة الثانية في استمداد علم التفسير بقلم صاحب الفضيلة شيخ الاسلام المالكي
- الحديث الشريف
- ٣ شرح حديث « الصيام جنة » بقلم صاحب المجلة
- ٤ علامات وضع الحديث بقلم العلامة الشيخ محمد الصادق النيفر
- ٥ احتام الحديث بتونس بقلم كاتب
- التشريع الاسلامي
- ٦ اسرار التشريع وحكمه المنطوية في جزئياته بقلم صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد العزيز جعيط المفتي المالكي
- ٧ الاعلام بفضل العرب في الجاهلية والاسلام بقلم العالم الشيخ علي النيفر
- الوعظ والارشاد
- ٨ الصيام واثاره في الفرد والمجتمع بقلم العالم الشيخ الطاهر النيفر
- التاريخ
- ٩ صحيفة من تاريخ تونس بقلم العالم المؤرخ سيدي محمد بن الحوجه المستشار لدى الحكومة التونسية
- الادب
- ١٠ ضحايا المدنية الحقاء « شعر » بقلم مدير المجلة
- ١١ البكاء في الشعر العربي - ٢ - بقلم العالم الشيخ محمد الفاضل ان عاشور
- الفتاوى والاحكام
- ١٢ حكم ثبوت رمضان بواسطة الهاتف او المدياع بقلم صاحب الفضيلة شيخ الاسلام المالكي
- ١٣ اسئلة مع اجوبتها بقلم العالم الشيخ محمد شاکر
- ١٤ تحية المجلة « شعر » بقلم العالم الاديب الشيخ محمد شاکر

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠	وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا
» بلاد شمال افريقيا ٣٠	كانت ممضاة من امين المال
» في الخارج ٤٠	والمخابرات المالية لا تكون الا معه
مخصم الربع للتلازمة	

المجلة الزيتونية

مجلة علمية اوبية اخلاقية

نصبر لها اليه من هرير ربي باع الزيتون والعمور

الجزء الثالث	تونس في رمضان عام ١٣٥٥ وفي نوفمبر عام ١٩٣٦	المجلد الاول
--------------	--	--------------

شهرية وستنتها عشرة اشهر

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد عبدوي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

صاحب المجلة :

محمد شاولي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع

حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اشد الناس ضرراً على الدين اعداؤه

الذين يعملون ضده وهم ينتسبون اليه

(بقلم رئيس التحرير)

إذا كنت قد تحدثت في مقالي السابقة عن المثبتين للمشاريع بصفة عامة . وشرحت الطرق التي يسلكونها للقضاء على المشاريع . فاني اريد اليوم ان اتحدث عن نوع آخر من المثبتين الهدامين . وهم الذين يعملون للقضاء على الدين . وتعطيل تعاليمه . ومحو جلاله وتقديسه من النفوس . ولعمري ان هؤلاء اشد ضرراً واعظم خطراً من النوع السابق . وأن مقاومتهم ليست من الامور المستحسنة فقط . بل مقاومتهم واجبة على كل أحد ولا سيما على اهل العام الذين يعد هذا العمل من أوكد الواجبات بالنسبة اليهم . إذ اول شيء يجب على الانسان أن يدافع عنه هو الدين وكل واحد من المسلمين مطالب بان يدافع عن دينه بالوسيلة التي يقدر عليها . وعلى العالم ان يبين للناس ما نزل اليهم . فيدفع عنهم غوائل المفسدين . ويكشف عن ضلالات الملحدين . وعلى العامة ان يعملوا بما بين لهم . وان يتجنبوا الوقوع في مهاوي الهلاك التي يريد المفسدون ايقاعهم فيها . والانسان بنفسه ادرى . ولا تزر وازرة وزر أخرى . لذلك أردت أن اكشف القناع في هذا الفصل للقراء عن فرق تعمل لاجباط الدين . حتى يحذروهم ويكونوا منهم على بينة والله الموفق .

لم ينتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى إلا بعد ان نزل عليه قول الله سبحانه وتعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) فكانت هاته الآية نصاً صريحاً في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم

يفارق هاته الحياة الدنيا إلا بعد ان كملت الشريعة التي أراد الله أن تكون خاتمة للشرائع وأن تكون القانون العام الشامل لمصالح الحياة الدنيا والآخرة . بعد ان وقع نسخ ما تعلقت إرادة الله بإبطاله . فكانت الشريعة يوم نزول هاته الآية قد وصلت الى الحد الذي أراد الله أن تبقى عليه من غير ان تحتاج إلى أي اصلاح او تغيير . اذلو كانت محتاجة لذلك لما صح وصفها بالاستكمال فكل من يقوم بعمل يريد به تغيير ما جاء عن الشارع بدعوى الاصلاح الديني فهو مكذب بما جاء عن الله سبحانه وهو مشرك مرتاب ومن نظر في شريعة الاسلام بنظر الباحث عن الحقيقة الزاغب في الوصول الى محجة الصواب تجلى له انها شريعة واضحة مبنية على مصالح البشر بالصورة التي اختارها الله لهم - وهو الاعلم بمصالحهم - لا بالصورة التي يختارونها لانفسهم . اذ الانسان اذا وكل الى نفسه قد يلتبس عليه ما يضره بما ينفعه . فكان من لطف الله سبحانه وتعالى ان تكفل لعباده بترتيب جميع مصالحهم طبق ما جرى في علمه . حسبما يفصح عن ذلك قوله تعالى (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون)

ورغما عن ذلك كله فنحن لانزال نرى افراداً يقومون بدعايات لا فساد الدين والعبث به والتشويش على عامة المسلمين بالقاء بذور الحاد والزندقة بينهم او بادخال الشبهات عليهم وصددهم عن ذكر الله بما يثيرون من ضلالات وتوقفات في امور لاداعي للتوقف فيها . مع التستر بالوان من الارشاد وحب الاصلاح وغير ذلك من الكلمات الفارغة . ونحن وان كنا على يقين من ان عملهم لا يكون مآله الا الاخفاق بعد قوله تعالى (يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) فنحن نخشى ان يصيب اذاهم بعض الانفس الآمنة المطمئنة التي ليس لها من الرسوخ في علم الشريعة ما يكون حائلا بينها وبين تسرب جرائمهم اليها

وهؤلاء العاملون على افساد الدين قد اختلفت مشاربهم واشتهبت حالاتهم ولقد تبعت اثارهم واستقصيت انباءهم واخبارهم . فوجدتهم على ثلاثة اصناف :

الصف الأول - من يتجاهرون بالعبث بالدين وتعاليمه . فتراهم يزدرون بمقررات الشريعة وقواعدها واحكامها . ويتظاهرون بالانتقاد عليها
يعمد الواحد منهم الى حكم صريح . من احكام القرآن فيطعن فيه . ويقول : هو تشريع منظور فيه الى زمن خاص كان يتناسب مع وقت نزوله اما الان فلا يمكن ان يعمل به كان يقول : ان مشروعية جعل حظ الذكر ما للأنثى في الميراث انما يصالح العمل به عند ما كانت الانثى غير مطالبة بان تقوم بشيء من تكاليف الحياة اما الان ونحن نريد ان يكون لها من التكاليف مثل ما للرجل فينبغي ان نسوي بينهما في الميراث وهذا الصف مشرك بالله ورسوله

الصف الثاني - من يتظاهرون بالتدين والتعصب للدين ولكنهم يضمرون له شرا فاذا اراد الواحد منهم ان يقوم بدعاية ابتداء دعايته بالانتصار للدين والدفاع عنه حتى اذا استوثق منك انك انت له جانبك واطمأن اليه قلبك . اخذ يقول لك : هذا الحكم لا ينبغي ابقاؤه على ما هو عليه . او لا ينبغي ان نصرح به امام غيرنا من الامم الراقية حتى لا نكون سخريه عندها . وهكذا ياخذ في هدم ما لا يوافق هواه من احكام الاسلام يعرض عليك مثالا مسألة الربا . فيقول لك : ان نظام الحياة الحاضرة متوقف على التعامل بالربا . وعليه فما جاء من النصوص في تحريمه منظور فيه الى ظروف خاصة كانت تقتضيه اما الآن فلا . ويرتكب هذا الصف من اللين في دعايته ما يجعل بسطاء الناس يتأثرون بكلامه وهذا الصف أخطر من الذي قبله . لان النوع الاول بتجاهره بالحداثة نأمن على الناس ان يتبعوا اما هذا النوع الثاني فبسبب عدم تظاهره بالاحاد ربما يغتر بعض الناس به فيذعنوا لما يقوله . او يحصل لهم شك على الاقل . واما رتهم وان خفيت في اول الامر لكنها تظهر عند ما يشرعون في تنفيذ مقاصدهم الخبيثة فليحذرهم الناس وليتباعوا عنهم . ولا يقبوا منهم صرفا ولا عدلا .

الصف الثالث - من يعملون لتعطيل شعائر الدين متظاهرين بمقاومة البدع المحدثه فيه . فيبدأ الواحد منهم دعايته بمدح الدين والتشبت بتعاليمه ثم يقول لك ان الناس قد زادوا في الدين ما ليس منه فيجب تطهير الدين من هاته الزيادات . فتركن

نفسك الى هذا الكلام الحسن بظاهره . فاذا بحثت عما يدعون اليه وجدت دعايتهم كلها تنحصر في (التروك) اي في طلب الاقلاع عن كل عمل صالح بدعوى انه ليس من الدين . وان كان لا ينافي الدين .

وهذا الصنف يلتبس بصنف آخر ويعسر التفريق بينهما وهو صنف المصلحين حقيقة الذين يريدون مقاومة البدع المنكرة في الدين .

ويظهر ان اماراة الفرق بينهما ليست عسيرة . فامارة الصنف الاول الاعتناء بالفسافس واطالة القول فيها . وامارة الصنف الثاني الاعتناء بمقاومة منكرات البدع التي تعود على موضوع الدين بالنقض

فالصنف الاول إذا أراد أن يقوم بدعوى الإصلاح بدأ مثلاً بالكلام على (السبحة) وقال ان اتخاذها لا يجوز لانها لم تكن مستعملة في الصدر الاول . فهي حرام . فتقول له ان السبحة آلة لعد ما يذكره الانسان عند ما يتعلق غرضه بعدلاً وأي ضرر او منافاة للدين في ذلك فيعاندك عناد المستكبر . وهو لا غرض له في الحقيقة الا تعطيل ذكر الله

والصنف الثاني اذا اراد أن يقوم بدعوى الإصلاح بدأ مثلاً بالكلام على ما احدث من البدع في اصول العقائد والتكاليف مما احدث فيها اختلالاً وصيرها تقام على غير الوجه الذي قصد اليه الشارع من تكليف الناس بها . كالاعتماد على غير الله في قضاء الحاجات واعتقاد ان لغيره تأثيراً في اجرائها وهكذا تراه إنما يبحث عن البدع المنافية لموضوع الدين فينبذل جهده في مقاومتها . فعلى عامة المسلمين ان يجتهدوا في التفريق بين من يتظاهر بمقاومة البدع وغرضه الهدم . وبين من يقاوم البدع وغرضه اصلاح ما اختل من احوال المسلمين هذا عرض مختصر لحالة العاملين على مقاومة الدين الساعين في القضاء عليه . وهو عرض لا يخلو من اجمال دعى اليه المقام ولعلنا نعود في فرصة اخرى لزيادة الكلام على بعض هاته الانواع . حتى يتضح للناس امرها . وينكشف سترها .

والله المسؤول أن يثبت قلوبنا على دينه الصحيح . وأن يقينا شر عواقب الزيف

« محمد المختار بن محمود »

والفتن والالحاد .

القرآن الكريم

دروس التفسير

لصاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

المقدمة الثانية في استمداد علم التفسير

استمداد العلم يراد به توقفه على معلومات سابق وجودها على وجود ذلك العلم عند مدونه لتكوين عوناً لهم على اتقان تدوين ذلك العلم وسمي ذلك في الاصطلاح بالاستمداد اذ شبه احتياج العلم لتلك المعلومات بطالب المدد والمدد العون والغوث فقرنوا الفعل بحرفي الطلب وهما السين والتاء . وليس كل ما يذكره العلم معدوداً من مدد بل مدد ما يتوقف عليه تقومه فاما ما يورد في العلم من مسائل علوم اخرى عند الافاضة في البيان ككثير من افاضات فخر الدين الرازي في مفاتيح الغيب فلا يعد مدداً للعلم ولا ينحصر ذلك ولا ينضبط بل هو متفاوت على حسب مقادير توسع المفسرين

فاستمداد علم التفسير للمفسر العربي والمولد من علم العربية والآثار واخبار العرب واصول الفقه قيل وعلم الكلام

اما العربية فالمراد بها معرفة مقاصد العرب من كلامهم وادب لغتهم سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم ام حصلت بالتلقي والتعلم كالمعرفة الحاصلة للمولدين الذين شافوا بقية العرب ومارسواهم والمولدين الذين درستوا علوم اللسان ودونوها

ان القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة • ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي وهي متن اللغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان • ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من اساليبهم في خطبهم واشعارهم وتراكيب بلغائهم ويدخل في ذلك ما يجري مجرى التمثيل والاستيناس للتفسير من افهام اهل اللسان انفسهم لمعاني آيات غير واضحة الدلالة عند الموالدين ولعلمبي المعاني والبيان مزيد اختصاص بعلم التفسير لانهما وسيلة لظهار خصائص البلاغة القرآنية وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني واطهار وجه الاعجاز ولذلك كان هذان العلمان يسميان علم دلائل الاعجاز قال في الكشف : علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان برز اهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص وال اخبار وان كان من ابن القرية احفظ والسواعظ وان كان من الحسن البصري او عظم والنحوي وان كان انحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علما المعاني والبيان وقال السكاكي في المفتاح « وفيما ذكرنا ما ينبى على ان الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدس من كلامه مفتقر الى هذين العلمين (المعاني والبيان) كل الافتقار فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيها راجل قال السيد الجرجاني في شرحه : لاشك ان خواص نظم القرآن اكثر من غيرها فلا بد لمن اراد الوقوف عليها ان لم يكن بليغا سليقة من هذين العلمين • وقد اصاب اي السكاكي بذكر الحكيم المحز (يعني لان كلام الحكيم يحتوي على مقاصد جليلة ومعان عالية لا يحصل الاطلاع على جميعها او معظمها الا بعد التمرس بقواعد بلاغة الكلام المفرغة فيه) وقوله فالويل كل الويل تنفير لان من لم يعرف هذين العلمين اذا شرع في تفسير القرآن واستخراج لطائفه اخطأ غالباً وان اصاب نادراً كان مخطئاً في اقدامه عليه اهـ

واما استعمال العرب فهو التلمي من اساليبهم في خطبهم واشعارهم وامثالهم ونواديرهم

ومحادثتهم ليحصل بذلك لممارسة المولد ذوق يقوم عند مقام السابقة والسجية عند العربي القح. وهذا كما قلنا، انفاشي، وراء قواعد علم العربية وعلم البلاغة به يحصل انكشاف بعض المعاني واطمئنان النفس لها وبه يترجح احد الاحتمالين على الآخر في معاني القرآن ومن اجله نرى ايمة التفسير يكثرون من الشواهد من شعر العرب على الاستظهار في معاني القرآن الا ترى انك لو فسرت قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء « وعرض لديك احتمال ان يكون عطف قوله ولا نساء على قوله قوم عطف مباين او عطف خاص على عام فاستشهد على ذلك بقول زهير

وما ادري وسوف اخال ادري اقوم آل حصن ام نساء
كيف تطمئن نفسه لاحتمال عطف المباين دون عطف الخاص على العام . وكذلك
اذا راى تفسير قوله تعالى وامسحوا برؤوسكم وتردد عند احتمال ان الباء فيه للتاكيد او
انها للتبويض او للالة وكانت نفسه غير مطمئنة لاحتمال التاكيد اذ كان مذكول الباء
مفعولا فاذا استشهد على ذلك بقول النابغة

لك الخيران دارت بك الارض واحدا واصبح جسد الناس يضلّع عائرا
وقول الاعشى

فكاننا مفرم يهوى بصاحبه قاص ودان ومحبول ومحتبل
رجح عند احتمال التاكيد وظهر له ان دخول الباء على المفعول للتاكيد طريقة
مسلوكة في الاستعمال

وروى ايمة الادب ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرا على المنبر قوله تعالى
« او ياخذهم على تخوف » ثم قال ما تقولون فيها اي في معنى التخوف فقام شيخ من
هذيل فقال هذا لغتنا التخوف التنقص فقال عمر وهل تعرف العرب ذلك في كلامها
قال نعم قال ابو كبير الهذلي :

تخوف الرجل منها تامكا قرداً كما تخوف عود النبعة السفن^(١)

(١) التامك السنام وفرد بفتح القاف وكسر الراء كثير القراء والسفن بفتح حين المبرد

فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا هو شعر العرب فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم وعن ابن عباس الشعر ديوان العرب فاذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي انزله الله بلغتهم رجعنا الى ديوانهم فالتمسنا معرفة ذلك منه وكان كثيرا ما ينشد الشعر اذا سئل عن بعض حروف القرآن قال القرطبي سئل ابن عباس عن السنة في قوله تعالى لا تأخذوا سنة ولا نوم فقال النعاس وانشد قول زهير :

لا سنة في طوال الليل تأخذها ولا ينام ولا في امره فند

فما يؤثر عن احمد بن حنبل رحمه الله انه سئل عن تمثل الرجل بميت من الشعر لبيان معنى في القرآن فقال ما يعجبني فهو عجيب وان صح عنه فلعله يريد كراهة ان يذكر الشعر لاثبات صحة استعمال الفاظ القرآن كما يقع من بعض الملاحدة روي ان ابن الراوندي (وكان يزن بالاحاد) قال لابن الاعرابي اتقول العرب لباس التقوى فقال ابن الاعرابي لا لباس لا لباس واذا انجى الله الناس فلا نجى ذلك الراس هبك يا ابن الراوندي تنكر ان يكون محمد نبيا افتنكر ان يكون فصيحاً عربياً

ويدخل في مادة استعمال العرب ما يؤثر عن بعض السلف في فهم معاني بعض الآيات على قوانين استعمالهم كما روى مالك رحمه الله في الموطا عن عروة بن الزبير انه قال قلت لعائشة وانا يومئذ حديث السن ارايت قول الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما فما على الرجل شيء ان لا يطوف بهما فقالت عائشة كلا لو كان كما تقول لكنت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما انما انزلت هذه الآية في الانصار كانوا يصلون لمناة الطاغية وكانت مناة حذوق قديد وكانوا يتخرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله عن ذلك فانزل الله ان الصفا والمروة الآية اه فبينت له ابتداء طريقة استعمال العرب لو كان المعنى كما توهمه عروة ثم بينت له دفع مثار شبهته الناشئة عن قوله تعالى « فلا جناح عليه » الذي ظاهره رفع الجناح عن الساعي الذي يصدق بالاباحة دون الوجوب

واما الآثار فالمعني بها ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من بيان المراد من بعض القرآن في مواضع الاشكال والاجمال وذلك شيء قليل . قال ابن عطية : عن عائشة رضي

الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من القرآن الآيات ممدودات علمه إياهن جبريل قال معناه في مغيبات القرآن وتفسير مجمله مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف اهـ

قلت أو كان تفسيره لا توقيف فيه كما بين لعدي بن حاتم أن الحيط الأبيض والخيوط الأسود هما سواد الليل وبياض النهار . وقال له أنك لعريض الوسادة وفي رواية أنك لعريض القفا كما في صحيح البخاري . وما نقل عن أصحابه رضي الله عنهم الذين شاهدوا نزول الوحي من بيان سبب نزول وناسخ ومنسوخ وتفسير مبهم وتوضيح واقعة من كل ما طريقتهم فيه الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم دون الرأي وذلك مثل كون المراد من المغضوب عليهم اليهود . ومن الضالين النصارى . ومثل كون المراد من قوله تعالى « أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولداً » العاصي بن وائل السهمي في واقعة له مع خباب بن الارت رضي الله عنه كما في صحيح البخاري والمراد من قوله تعالى « ذرني ومن خلقت وحيداً الآية » هو الوليد بن المغيرة المخزومي أبا خالد بن الوليد قال ابن عباس مكثت سنين أريد أن أسأل عمر عن المراتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنعني إلا مهابته ثم سأله فقال هما حفصة وعائشة . ومعنى كون أسباب النزول من مادة التفسير أنها تعين على تفصيل المراد وليس المراد أن لفظ الآية يقصر عليها لأن سبب النزول لا يخصص . قال تقي الدين السبكي وكما أن سبب النزول لا يخصص كذلك خصوص غرض الكلام لا يخصص كان يرد أيضاً خاص ثم يعقبه عام للمناسبة فلا يقتضي تخصيص العام نحو فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير . وقد يكون سبب النزول موضحاً لما يشكل نحو قوله تعالى « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا » الآية^(١) وتشمل الآثار إجماع الأمة على تفسير معنى إذ لا يكون إلا عن مستند كاجماعهم على أن المراد من الاخت في الآية الكلالاة الأولى هي الاخت للام وإن المراد من الصلاة في سورة

(١) انظر ما قاله قدامة بن مظعون لعمر في اعتذاره عن شرب الخمر وما أجاب به ابن عباس

في سبب نزول الآية ص ١٨٢ موافقات ٣

الجمعة هي صلاة الجمعة وكذلك المعلومات بالضرورة كلها ككون الصلاة مراداً منها الهيئة المخصوصة دون الدعاء والزكاة أموال المخصوص المدفوع

وأما القراءات فلا نحتاج إليها إلا في حين الاستدلال بالقراءة على تفسير غيرها وإنما يكون في معنى الترجيح لاخذ المعاني القائمة من الآية أو لاستظهار على المعنى فذكر القراءات كذكر الشاهد من كلام العرب لأنها إن كانت مشهورة مأثورة فلا جرم أنها تكون حجة لغوية وإن كانت شاذة فحجيتها لا من حيث الرواية لأنها لا تكون صحيحة الرواية ولكن من حيث أن قارئها ما قرأ بها إلا استناداً لذوق عربي صحيح إذ لا يكون القارئ معتدلاً به إلا إذا عرفت سلامة ذوقه كما احتجوا على أن أصل الحمد لله أنه منصوب على المفعول المطلق بقراءة هرون العتكي الحمد لله بالنصب كما قاله صاحب الكشف وبذلك يظهر أن القراءة لا تعد تفسيراً من حيث أنها طريق في أداء ألفاظ القرآن بل من حيث أنها شاهد لغوي فرجعت لعلم اللغة

وأما أخبار العرب فهي من جملة أدبهم وإنما خصصتها بالذكر تنبيهاً لمن يتوهم أن الاشتغال بها من اللغو فيستعان بها على فهم ما أوجزه القرآن في سوقها لأن القرآن إنما يذكر القصص والأخبار للموعظة والاعتبار لا لالاف يتحدث بها الناس في الأسواق فيمعرفة الأخبار يعرف ما أشارت له الآيات من دقائق المعاني فنحو قوله تعالى « ولا تكونوا كالتى نقصت غزلها من بعد قوة أنكاثا » وقوله « قتل أصحاب الأخدود » يتوقف على معرفة خبرهم عند العرب

وأما أصول الفقه فلم يكونوا يعدونه من مادة التفسير وإنما عدته منها مريداً أن بعضه يكون مادة للتفسير وذلك من جهتين أحدهما أن علم الأصول قد أودعت فيه مسائل كثيرة هي من طرق استعمال كلام العرب وفهم موارد اللغة أهمل التنبيه عليها علماء العربية مثل مسائل الفحوى ومفهوم المخالفة وقد عد الغزالي علم الأصول من جملة العلوم التي تتعلق بالقرآن بأحكامه فلا جرم أن تكون مادة للتفسير

الجهة الثانية أن علم الأصول يضبط قواعد الاستنباط ويفصح عنها فهو آلة للمفسر في استنباط المعاني الشرعية من آياتها

وقد عد عبد الحكيم والالوسي علم الكلام في جملة ما يتوقف عليه علم التفسير قال عبد الحكيم لتوقف علم التفسير على ثبوت كونه تعالى متكلماً وذلك يحتاج الى علم الكلام . وقال الالوسي لتوقف فهم ما يجوز على الله ويستحيل على الكلام يعني من آيات التشابه في الصفات ولعل هذا التوجيه اقرب من توجيه عبد الحكيم وكلامها اشتباه لان كون القرآن كلام الله قد تقرر عند سلف الامة قبل على الكلام ولا اثر له في التفسير

وأما معرفة ما يجوز وما يستحيل فكذلك ولا يحتاج للكلام إلا في التوسع في إقامة الأدلة على استحالة بعض المعاني وقد ابنت لكم أن ما يحتاج اليه المتوسع لا يصير مادة للتفسير ولم نعد الفقه من مادة علم التفسير كما فعل السيوطي لعدم توقف فهم القرآن على مسائل الفقه فان علم الفقه متأخر عن التفسير وفرع عنه . وانما يحتاج المفسر الى مسائل الفقه عند قصد التوسع في تفسيره للتوسع في طرق الاستنباط وتفصيل المعاني تشريعا وآدابا وعلوما وذلك لا يكاد يحصر ما يحتاجه المتبحر في ذلك من العلوم ويوشك ان يكون المفسر المتوسع محتاجا حينئذ الى الامام بكل العلوم . وهذا المقام هو الذي اشار له البيضاوي بقوله « لا يليق لتعاطيه . والتصدي للتكلم فيه . إلا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفي الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها »

محمد الطاهر ابن عاشور

اعتذار

تعذر إدارة المجلة لقراؤها الافاضل عن تأخير نشر بقية شرح حديث موسى والخضر للعلامة الاستاذ الشيخ محمد البشير النيفر وموضوع التجديد في الادب لمديرها بضيق النطاق بسبب نشر المواضيع الخاصة بالصيام وآدابه وسينشر ذلك بحول الله في العدد المقبل . كما أنها تجدد الاعتذار لحضرات الذين ارسلوا لها بمواضيعهم ولم يقع نشرها وستبدل الجهد في نشر كل ما ورد عليها في الاعداد المقبلة إن شاء الله . « الإدارة »

الحديث الشريف

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 الصَّيَّامُ جُنَّةٌ . فَلَا يَرُقُّ وَلَا يَجْهَلُ . وَإِنْ أَمْرٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ .
 فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ
 أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ . يَدْعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ بِنِ اجْلِهِ .
 الصَّيَّامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ . وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا . « أخرجه البخاري »

البيان

إن الله تعالى خلق العباد وهو غني عن طاعتهم لا علاقة لكماله سبحانه بمعاصيهم ضرورة
 أن الجزاء راجع اليهم وعقول البشر متفاوتة في إدراك المنافع فيعملون للوصول إليها ولو
 بعد حين كما أنهم في جانب الضار ليسوا على قدم واحدة فتزل أقدام قوم وهم لا يشعرون
 لذلك كان من لطف الله بعباده وهو اللطيف الخبير أن أوضح سبل السعادة للبشر في
 دينه وعلى لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام لئلا تكون للناس على الله حجة بعد
 الرسل وليسلك عباد الرحمن المنهج القويم ويستعملوا جوهرات عقولهم فيما يعود عليهم
 بالخير الكثير والنفع العميم . وحذرهم من أشياء وعدارتكابها عصيانا عظيما . وتوعدهم
 على مخالفته بجهنم ولبست دار المذنبين

وما اتفك الرسل صلوات الله عليهم وسلامه يقومون بهذا الامر الخطير ويبلغون
 عن الله تعالى ما أمّر بتبليغه لصالح الناس ويرشدون قومهم للخير وفيه فلاحهم المنشود
 ويحذرونهم من الضلال الذي غلبتهم نفوسهم عليه . وما انقشع ظل نبي أو رسول

حتى عاود النفوس بعض ما أنسته من قديم وركبوا متن أهوائهم تأثراً بوسواس الضالين المضلين

وعلى هاته الطريقة وذلك المنهاج سار البشر في حياته الدنيا قوم على هدى وفريق في ضلال ولن تجد لسنة الله تبديلاً . وهذا الرسول الصادق والنبي الأمين بعثه الله على فترة من الرسل بحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون فأقر من الشرائع ما جاء بتقريره صريحاً أو دلالة ونسخ منها عن تبديل أو تغيير بزيادة أو نقصان أو عن إبطال على حسب ما اقتضته سنة العمران لحكمة وإن خفيت على بعض الأذهان بيد أنه من خصوصيات الرسل حسبما يمليه عليهم الوحي الإلهي (قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن اتبع إلا ما يوحى إلي) فلا تسع غيرهم من الأنام

فهذا الكليم موسى عليه السلام يشرع له صيام يوم النجاة وهو اليوم الذي نجاه الله ، فيه من فرعون وظلمه والبحر وتلاطم موجه فشق له البحر واتخذ هو وقومه من بينه طريقاً آمناً

فكان صيام ذلك اليوم من شريعته المرضية وقال في حقه الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ووجد اليهود تصوم يوم عاشوراء فسئلوا عن ذلك فقالوا هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون ونحن نصومه تعظيماً له فقال نحن أولى بموسى منكم وأمر بصيامه

ثم اقتضت حكمة العليم الحكيم أن فرض في الشريعة المحمدية الخالدة إلى يوم ينفخ في الصور أياماً أخر ووعد الممثلين لذلك جزاء موفوراً .

وأحسب أن الوقت أثراً في هذا التشريع كما له في ذلك التشريع فروع في العبادة الظرف الذي تؤدي فيه . وبما أن شهر رمضان شرفه الله تعالى من بين الشهور حيث أنزل فيه القرآن . وأعظم به من منة على المسلمين جعله سبحانه ظرفاً لتقام فيه هاته العبادة قياماً بواجب الشكر والامتنان . وبمقدار عظم المنة كان واجب الشكر أوفر .

فذلك يوم النجاة

وهذا شهر القرآن (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . فمن شهد منكم الشهر فليصمه)

القرآن . وما ادراك ما القرآن . القرآن كلام الله المتضمن لدين الله . القرآن الذي جعله الله ترجائاً بينه وبين خلقه . القرآن نبراس الهدى للمهتدين . القرآن الذي ضمنه العليم أسرار شريعته . القرآن الذي قص علينا من حوادث الامم عبراً وذكرى لقوم يعقلون . واعطى للعالم المثال الكامل للخلق الحسن . القرآن الذي ادى به النبي الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم رسالته للعالم وجاءهم فيه بتشريع لا عهد للانسانية بمثله وحقيق من كانت هاته بعض صفاته وتلك درجته ومزيته ان يتخذ الوقت الذي نزل فيه موسم عبادة وان يمتاز نوع هذه العبادة من سائر الطاعات وما ذلك الا بالاخلاص الذي وان كان شرطاً في قبول جميع القرب إلا أنه قد يفارقها فتبقى جسداً بدون روح . وليس كذلك الصيام فان الاخلاص صفة ذاتية فيه كما افصح عن ذلك هذا الحديث قال صلى الله عليه وسلم (الصيام جنة) قال ابن الاثير في النهاية معنى كونه جنة انه يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات اهـ

فالصيام حجاب يتستر به الصائم حتى لا يعث به هواه فيرديه في المآثم التي توعد الله عليها بالنار فيكون الصيام حجاباً من النار بواسطة انه يقيه من الشهوات وهذه اذا سلم من تأثيراتها لم يشمله الوعيد وتسربل بحجاب الامن من العذاب ولا يبعد هذا اذا قلنا ان الصائم في عبادة خالقه ما دام متحلياً بصفات القانتين صاعدة نفسه في مراقبي الكمال متطلعة الى عالم الملائكة متصفة باخص صفاتهم التي تكون للمرء نعم الساتر بينه وبين سائر المهلكات

فجاء الترتيب ينادي بان من كانت تلك صفته لا يرفث ولا يصدر منه الفحش ولا يجهل بارتكابه ما هو من افعال اهل الجهل والاهواء . ولا يجادل بغير علم وهو مصداق قوله (فلا يرفث ولا يجهل) والرفث منكر في الفطر والصيام وهو من الصائم أشد لان حالة العبادة تنادي بالابتعاد عن المخاطر والأوشك ان يخرج منها الصائم وهو خاسر الصفتين

وكما أنه لا يتعدى على غيره لا يجاري اهل الدعارة في قبيح فعالهم (وان امرؤ قاتله او شاتمته فليقل إني صائم مرتين) وهذا من الحديث مثال ثان لخلق الصائم الذي دأبه مرضات الله عز وجل لا يخضع لما تمليه عليه ارادته من الانتقام لنفسه بل يكون مثالا ليقندي به من لاخلق له • فيرداه عن غيه بلطيف قوله • وكفى بتذكيره بالصيام واعظا • وانه في عبادة ربه الذي لا يخفى عليه ظلم كل معتد أثيم وأن العابد يتنزله ان يلوث نفسه بالخطايا وينقض غزله وهو لا يشعر

وان من تحريف الكلم عن مواضعه أن يقول الانسان هذا القول في مقام الاعتذار عما يرتكبه من هجن القول فترى الرجل تسوء أخلاقه في يوم الصيام ولا يسلم من شره قريب او بعيد • وأشد من نشق عليه في هذا المقام المرأة والحشم فيلاقي الواحد من هؤلاء ما يضني الفؤاد لا من أجل كبير • وإذا خاطبته فررت منه ووليت منه رعبا لما يظهر عليه من الغضب الشديد • ثم اذا رجع اليه رشده تمثل باني صائم اما علم ان ذلك ورد في مقام الرد على امثاله لا في بيان وجه الاعتذار حتى يقبل منه قوله ويعطى من الاعذار ما يخفف عنه سوء صنيعه

أما درى انه بصنيعه هذا المقنوت خرج من سلك من يعينهم الحديث ولا هو ممن وصفت رائحة افواههم بما جاء في قوله عليه السلام (والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك) وكفى بهذا القسم وانه لو تعلمون عظيم في بيان ما يكتنف الصائم من كمالات • وهذا الذي يتسرب الى بعض الاذهان من ان الصائم يعتريه من الصفات لخلو معدته ما ينفر منه • هو عند الله على نحو ما تستطيبونه في حياتكم الدنيا ايها الغافلون

والعبادة تتطلب لها كمال الظاهر والباطن فطيب المصلي المسك وطيب الصائم خلوف فمه ويزول هذا الطيب بعثرات اللسان كما يرتفع الحجاب بما ياتي به المرء من قبيح الافعال

فالعقل البصير لا يرضى الا ان تكون جميع اعماله واقواله مراعى فيها جانب الله الذي تعبد به بالصيام وما صام الا من اجله قال عليه السلام فيما يحكيه عن رب العزة (يدع

طعامه وشرابه وشهوته من اجلي) وهذا فيه التصريح بالتروك الثلاثة التي هي مظاهر الصيام . وبيان لصفة الاخلاص التي امتازت بها هذه العبادة التي يجني من ورائها الصائم نعماً كثيرة (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) بعضها يرجع الى عالم المشاهدة من سلامة في الجسم والعقل . وبعضها يلقاه يوم الجزاء

وكفانا ترجانا عنه ما جاء في تمة هذا الحديث (الصيام لي وانا اجزي به) فتشرف باضافته الى الله تعالى

والعلماء في تاويل اضافة الصيام لله تعالى مذاهب كثيرة والذي حدا بهم الى ذلك ما هو معلوم ان الاعمال كلها لله تعالى وهو سبحانه الذي يجزي بها فجرت لهم في بيان المراد اقوال لا سبيل الى استيفائها في المقام وانككتني بالتعرض لثلاثة منها

احدها ان الصوم لا يدخله الرياء كما يدخل غير لا من العبادات فيفسد المقصود منها وهو العبادة لله وحده والخلوص لجلاله . لتحقيق العبودية باكمل مظاهرها وادق مدلولاتها . وما دخل الرياء شيئاً الا فسد . وسلم الصوم من هذا الخطر لان الاعمال التي تلبس العبادات تكون بالحركات الا الصوم فانه لا يطلع على حقيقة ما في نفس الامر الاعلام الغيوب

وتعقب ابن حجر دعوى ان الصيام لا يتطرقة الرياء مفصلاً في المقام ان الرياء يحصل مرة بالقول واخرى بالفعل وهذا الثاني لا يدخل الصوم واما الاول فقد يدخل الصوم كمن يتبجح بخبر لا انه صائم . فهو من هذه الحشية يدخله الرياء وأختار في دفع اليراد ان الرياء الذي حصل انما حصل من القول ولم يكن حصل بنفس الصيام الذي وصف بانه لا يدخله الرياء وانما حصل من امر زائد على الصيام ومن العلماء من اختار في التاويل ان الصيام لم يعبد به غير الله تعالى

ورجح آخرون ان يكون المراد ان سائر العبادات توفى منها مظالم العباد فبؤخذ من ثوابها ويضم الى حسنات الغريم الا الصوم قال ابن عينة فيما رواه عنه البيهقي اذا

❖ الحديث الموضوع ❖

- ٢ -

علاماته

لا تمكن معرفة الحديث الموضوع بدون ان ينظر في سنده الا لمن تضلع في السنة حتى امتزج الصحيح بلحمه ودمه وعرف احواله صلى الله عليه وسلم وهو في عصرنا هذا كالحل الوفي

ومع هذا قد ذكر علماء هذا الفن من المتقدمين علامات للوضع منها : ان يناقض ما جاءت به السنة الصحيحة كحديث من سمي محمداً او احمد لم يدخل النار فان الذي يجير من النار الاعمال الصالحة لا الاسماء والالقاب . وحديث إذا غضب الرب نزل الوحي بالفارسية وإذا رضي نزل بالعربية وامثال هذا كثير

ومن علامات الوضع سماجة اللفظ وركاكته كحديث لو كان الارز رجلاً لكان حليماً على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ليشغل مجالسه العالية بالتحدث عن بعض المأكول كما يفعله اهل الشغف ببطونهم (مثل البطناجية في رمضان) وحديث لا

كان يوم القيامة يحاسب الله تعالى عبداً ويؤدي ما عليه من المظالم من عمله حتى لا يبقى له الا الصوم فيتحمل الله تعالى ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة

ولما اخبر الله سبحانه انه الذي يتولى جزاء الصائم ولا يكاه لسوا . فارق جزاء الصوم جزاء غيره من الطاعات ولم يذكر لحسناته عدد كما ذكر عدد الحسنات مع غيره من الطاعات (والحسنة بعشر امثالها) والله يضاعف لمن يشاء كما جاء في بعض الروايات (إلى سبعين ضعفاً)

ضاعف الله لنا الاجور والحقنا بخدمة سنة الرسول وملكنا اعنة نفوسنا حتى يكون صيامنا لله ونيتنا خالصة وسعيها لما فيه نفع الامة متواصلاً ورائدنا البحث عما فيه فلاحها انه قريب محجب

محمد شاذلي بن الفاضل

تسبوا الديك فانه صديقي . ومنها مخالفة المحسوس وما قضت به التجربة كحديث الباذنجان شفاء من كل داء فان المشاهدة اثبتت ان كثيراً من الامراض يزيد بها الباذنجان شدة

ومنها ان يتضمن الحديث خبراً يشهد التاريخ الصحيح ببطلانه كحديث اتقوا البرد فانه قتل أخاكم أبا الدرداء فهذا حديث لا أصل له ومن ادلة وضعه ان أبا الدرداء عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم زمناً غير قصير

والحديث الذي يجبيء على خلاف مقتضى الحكمة المتفق عليها بين اصحاب العقول السليمة منتظم في سلك الموضوعات مثل ما جاء « جور الترك ولا عدل العرب » فان الجور مذموم على الاطلاق كما ان العدل محمود على كل حال ولا شك ان هذا من وضع الشعوبية

ويلحق بما نحن بسبيله الاحاديث التي يحكم عليها الحفظ بالوضع ويقول بعض المتصوفة انها ثبتت بطريق الكشف اذ من المتفق عليه بين الراسخين في علم الشريعة ان الرؤيا والكشف لا تنقرر بهما الاحكام الشرعية بل الاحكام التي تستند الى واحد منهما دون دليل من الكتاب او السنة الثابتة لا تخرج عن الابتداع في الدين والمزاعم الباطلة ثم ان احاديث صلوات ايام الاسبوع لم يصح منها شيء وان ذكرت في مثل كتاب الاحياء للامام الغزالي

واحاديث فضل رجب كرجب شهر الله وان في الجنة نهرا ولا تغفلوا عن أول جمعة من رجب لم تصح

ومثلها احاديث فضل ليلة النصف من شعبان التي منها ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان الى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب وقد ضعفه البخاري وعن ابن دحية لم يصح في ليلة نصف شعبان شيء ولا نطق بالصلاة فيها ذو صدق من الرواية وما أحدثه الا متلاعب بالشريعة المحمدية

واتخاذ تلك الليلة موسماً تصنع فيه الاطعمة وتظهر فيه الزينة من الامور المبتدعة المحدثه التي لا اصل لها

الاختام بتونس

نظرا لما تعورف في بلادنا التونسية من القيام باختام الحديث في شهر رمضان من كل عام فقد اردنا ان نشر للقراء تاريخ اختتام الحديث في القديم والحديث

من السنن المعروفة بتونس منذ قرون الاحتفال بمجالس الحديث الشريف في رمضان في المساجد الجامعة وغيرها وفي المدارس ولا تكون قبل اليوم الحادي عشر من الشهر واما انتهاءها في اليوم التاسع والعشرين منه وقد يكون في اليوم الواحد الحتمان والثلاثة اصل هذا المجالس ان اهل الخير وذوي العناية بالعلم والحديث الشريف من بنات المساجد والمدارس وغيرهم يؤسسون بهذا المعاهد دروسا للحديث الشريف ويقوم

كما لم يثبت شيء من احاديث فضل عاشوراء الا احاديث صيامه في البخاري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك صيام عاشوراء وقال من شاء صامه ومن شاء تركه واما حديث من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه في سنته كلها فقال ابن رجب لا يصح اسناده واورده ابن الجوزي في الموضوع

ومن الاحاديث الضعيفة احاديث المهدي وليس فيها ما يعتمد عليه وبعضهم جمعها في تاليف مستقل ولا يعتر به

وهناك احاديث في التواريخ المستقبلية كلها لم تثبت وقد جمع بعض المولعين بالجفر احاديث كاذبة من هذا النوع تروى لبضاعته ونسب ما افه من الكتب في ذلك الغرض لسيدنا علي رضي الله عنه وبعض اهل البيت كالباقر وجعفر الصادق والكاظم وكلها زور واقتراء على الله

ولا اصل لاحاديث قصص الانبياء التي تمس بالمصمة كعشق سيدنا داود لزرجة أورياء وارساله للقتال مرارا حتى قتل واو ذكرها بعض المفسرين واهل السير. ثبتنا الله بالقول الثابت (يتبع)
خادم الحديث : محمد الصادق النيفر

بها اهل العلم ويكون ريع الوقف الذي يتبرع به المؤسس ائانة لهم واكثر هذا الدروس في صحيح البخاري وقد يكتفي المؤسس بالرواية كما يعلم من الاطلاع على وثائق اوقاف هذا المؤسسات وظهير الولايات الصادر لاصحابها ثم منها ما يتبدأ في كل سنة من رجب ومنها ما يكون في الحول كله وينتهي كلاهما في يوم معين من شهر رمضان ولاجله دعي بيوم الختم وفي رسالة التراجم المهمة للخطباء والائمة للشيخ العلامة ابي عبد الله محمد بيرم الرابع شيخ الاسلام ان ابا المحاسن يوسف داي و ابا محمد حمودة باشا المرادي شرطان ان يكون راوي الحديث بجامعيهما ممن يحسن اللغة التركية ليبين بها معنى الحديث لمن يحضر مجلسه ممن لا يحسن الا اياها وربما شرط الواقف رواية الصحيح كله في الحول او الاشهر الثلاثة منه فالقائم للواقف بما عين اما ان ياتي على رواية الصحيح كله او يدرس في كل عام طائفة منه يتبدى من فاتحته ثم من حيث انتهى في كل سنة إلى ما شاء الله تعالى

وممن كان يروي الصحيح كله الشيخ المعمر ابو النخبة مصطفى البارودي المتوفي في شهر رمضان عام ١٣٢٢ في مسجد الطراز والشيخ المقرئ ابو السرور البشير السقاط المتوفي عام ١٣٤٢ في مسجد سيدي ابي حديد وموعد ختم الاول اليوم (١٨) وموعد ختم الثاني (١٤) وكان العلامة استاذ الجماعة كبير اهل الشورى المالكية وامام جامع سبحان الله الشيخ ابو النجاة سالم ابو حاجب رحمه الله رحمة واسعة لا يقوم في هذا الجامع بتدريس صحيح البخاري العام كله ولا في الاشهر الثلاثة فحسب ولكن بعد عصر يوم الجمعة من اكل اسبوع ومن الناس من لا يلقي بالا لما رغب الواقف فيه من رواية الصحيح او تدريسه وانما يحضر اليوم المعين فيختار بابا او اكثر من صحيح البخاري يرويها او يلقي فيه درسا ولا يزال جامع الزيتونة الاعظم عمرة الله محتفظا برواية صحيح البخاري وصحيح مسلم والشفاء ايضا يتبدى رواية الجميع يوم الاحد الاول من رجب وتنتهي اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان يقوم برواية صحيح البخاري الامام الاول وبصحيح مسلم الامام الثاني وبالشفاء الامام الثالث ومن السنة في الرواية بالجامع ان تكون بالباب المعروف بباء الشفاء من ابواب جامع الزيتونة وان يجلس الامامان

الثاني والثالث بين يدي الامام الاول ويقال ان اول من سن سنة جلوس الامام الثاني بين يدي الامام الاول بعد ان كان يجلس الى جانبه الشيخ العلامة الصالح الطائر الصيت الطاهر ابن مسعود الفاروقي الامام الثاني بجامع الزيتونة المتوفي سنة ١٢٣٤ سنه اديبا مع شيخه العلامة صاحب النسب الطاهر الشيخ ابي محمد حسن الشريف الامام الاول يومئذ وكانت السنة فيما يلقي من الدروس في هذه المجالس اكثار المواعظ فيها الا قليلا منها تنصرف فيه همة اصحابها الى تحقيق المسائل العلمية وقد ذكر بعض المؤرخين ان الشيخ ابا بكر ابن الشيخ تاج العارفين البكري ثاني ائمة جامع الزيتونة من آل هذا البيت اكثر في مجلس ختمه بجامع الزيتونة بجملة « قلت » لوفرة ما استنبط واستظهر وكان مجلس والد الشيخ تاج العارفين في الاشهر مجلس افادة يحضره العلماء ويتجاذبون اطراف الحديث ثم تغيرت الحال فصار المجلس مجلس رواية فحسب من يوم مات الشيخ ابو بكر

قال ابن ابي دينار في أواخر الفصل الثالث من خاتمة تاريخه المؤنس ما نصه ولم يكن بالديار التونسية من يوم حل بها العسكر العثماني من تعاطى الرواية والدراية الا الشيخ العالم الرباني ابو عبد الله محمد تاج العارفين العثماني سقى الله ثراه من صوب الرحمة والرضوان وكان مجلسه بالجامع الاعظم من اجل المجالس وتحضره الاجلاء من اهل العلم وتدور بينهم المباحث الجميلة في العلوم الجليلة ولا يخلو مجلسه من فوائده في الثلاثة الاشهر رجب وشعبان ورمضان الى يوم الختم وهو اليوم السادس والعشرون من رمضان ثم تلاه ولد العلم الشهير والعالم النحرير الشيخ ابو بكر فسار سيرة والده وقام بعلم الحديث الشريف احسن قيام وشهد له بالرواية علماء الاسلام وكان في هذا الفن نسيج وحده وحصل له سرايه وبركة جداه الى ان سار الى رحمة الله في سنة ثلاث وتسعين والفتغيرت تلك القاعدة وصارت رواية لا غير وجرت به العادة للتبرك اهـ

ثم لم تزل السنة تتغير في جعل هذه المجالس بحال وعظ وارشاد حتى صارت مثابة تحقيق لمسائل العلم فحسب وكل ينفق مما عنده وأخذت هذه الطريقة تسلك من اوائل

القرن الماضي وربما وقع اختيار بعض اهل العلم من رجال هذه الدروس على بعض النوازل الحادثة فيتناولها بحثا وتحقيقا ويبين ما يراها فيها بناء على قواعد العلم ومن هؤلاء العلامة الطائر الصيت ومثال التحقيق وسعة النظر الشيخ ابو العباس احمد بن الحوجبة شيخ الاسلام المتوفي في ذي الحجة ١٣١٣ فقد كان تناول مسألة العمل بخبر البرق في الصوم في مجلس ختمه بجامع محمد باي المرادي سنة ١٢٨٠ لورود خبر الصوم ببرقية في هذا الشهر وجاء في الموضوع بتحقيق بديع ونقل ما كتبه فيه العالم المؤرخ الشيخ محمد السنوسي في رحلته الحجازية وكان العلامة الواسع الاطلاع الشيخ محمد النجار المفتي المالكي المتوفي في رمضان عام ١٣٣١ تناول في مجالس اختتامه مسائل الوسيلة والاجتهاد والكسب وغيرها مما صار موضوع اخذ ورد بين الكتابين منذ اربعين عاما واكثر هذه المجالس تختم بحديث التسبيح، اخر ما روى الامام البخاري في صحيحه وفي احكام التخلّص لهذا الحديث يتنافس المتنافسون وربما جمع بينه وبين التخلّص الى الدعاء واختص التخلّص به وكان العلامة المحقق الصالح الورع الشيخ ابو عبد الله محمد النيفر الاكبر المفتي المالكي المتوفي سنة ١٢٧٧ اقام ختما بمدرسة بئر الحجار تشد الرحال اليه في سنة ١٢٥٨ جاء فيه بسبع تخلصات الى حديث التسبيح

انظر ما كتبه ابن ابي دينار في تاريخ الاختام بتونس وهيأتها على عهدنا في أواخر الفصل الثالث والفصل الرابع من خاتمة كتابه المؤنس. وما نقله ابن ابي دينار عن والدنا فيما يروى من كتب الحديث وهيأة مجالس اختتامها لم يتغير الحال عنه فيما بعد الا قليلا فاما العناية بصحيح البخاري فلا تزال الى اليوم وكان في اهل العلم من يدرس صحيح مسلم ومن هؤلاء الشيخ العلامة كبير اهل الشورى المالكية ابو الفلاح صالح النيفر رحمه الله وله كتابة نفيسة على حديث كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع عليه الشمس المخرج في كتاب الزكاة من صحيح مسلم املى خلاصتها بالمدرسة المرادية دوسا وكتابة على باب الوضوء وفضله وكان الشيخ العلامة كبير اهل الشورى المالكية ابو النجاة سالم ابو حاجب رحمه الله يختم بالمدرسة المنتصرية فيكتب على باب من ابواب الموطأ وهو اول من كتب على ابوابه في مجالس الاختام باقتراح السيد

الشريف دفين المدينة محمد العربي زروق رحمه الله وظل على طريقته هذا الى ان اقصده العجز وكان الشيخ احمد جمال الدين امام جامع المرسى يختار ختمه بعض مباحث من الشفاء للقاضي عياض رحمه الله

واما تقديم قراءة القرآن بين يدي محاسن الختم فلا تزال معروفة وكان من المعروف في القرن الماضي ان يتلى قبل الشروع في الختم بعض ابواب من كتاب في الوعظ للشيخ البوني وعلى هذا التلاوة وقف لا يزال ياخذ ريعه بعض الناس الى اليوم ولصاحبها ظهير موكي وقد تركت التلاوة منذ زمان بعيد

هذا ولم يذكر ابن ابي دينار حضور الملوك بهذا المجالس والظاهر انه لم يكن معروفا يومئذ وما حدث الا على عهد الماوك الحسينيين وفيهم المقل والمكثر

فقد كان المولى ابو النخبة مصطفى باشا باي يحضر بضعة اختام منها ختم قاضي الجماعة الشيخ محمد البحري بن عبد الستار والمفتي المالكي الشيخ محمد بن سلامة وختم الباشية وجامع الزيتونة وهو اول من حضر ختم الباشية من آل بيته وكانوا لا يدخلونها فيما قبل لما في الصدور على مؤسسها المولى علي باشا مما اكتسبه بسوء سلوكه ثم عمه المولى حسين بن علي رحمه الله رحمة واسعة

وجاء من بعد المولى المشير الاول احمد باشا باي فكان يحضر بضعة اختام ايضا منها ختم صديقه ورفيع المكانة من قلبه الشيخ محمد بن سلامة وختم العلامة شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بن الخوجة وختم العلامة شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد يرم الرابع بالعنقية وختم جامع الزيتونة

اما ابن عمه المشير الثاني المولى محمد باشا فلم يكن يؤثر عنه الا الحضور بجامع الزيتونة ثم جاء شقيقه المولى محمد الصادق باشا فعني بمجالس الاختام عناية لم تعهد لاحد من سلفه وكان تعجبه المباحثات العلمية والاخذ والرد فيها وكان من المسارعين في البحث بها يومئذ من أهل العلم العلامة شيخ الاسلام أبو العباس أحمد كريمة رحمه الله ولشدة عناية هذا الامير بحضور مجالس الاختام كان يجمع أحيانا في المساء الواحد بين الختمين ثم ضعفت هذه العناية فخص بحضوره جامع الزيتونة الاعظم

أما شقيقه المقدس المولى أبو الحسن علي باشا باي والد الجناب العالي أيدلا الله فام
يحضر المجلس الختم بجامع الزيتونة الى ان أفضلا عنه المرض في أواخر ايام حياته
ومجلس ختم جامع المرسى الذي اسسه

ثم جاء ابنه المولى محمد الهادي باشا باي فاحيي سنة عمه المولى محمد الصادق باشا
باي في العناية بمجالس الاختام فام يكن يتخلف الا عن القليل منها وكان هذا في السنتين
الاوليين من سني ولايته ثم ص فاه عن حضورها ما مني به من المرض الذي صحبه الى
وفاته رحمه الله

أما المولى أبو عبد الله محمد الناصر باشا باي فقد اختار في أول مدة ولايته بضعة
أختام وهي ختم جامع الحرم للشيخ العلامة المفتي المالكي أبي عبد الله محمد النجار
وختم جامع صاحب الطابع للشيخ العلامة شيخ الاسلام أبي التناء محمود بن الخوجة
وختم جامع الزيتونة ثم أختص بحضوره ختم الجامع الاعظم وختم جامع صاحب الطابع
الى وفاة إمامه شيخ الاسلام رحمه الله ثم صار يحضر مجلس ختم الجامع اليوسفي لإمامه
شيخ الاسلام يومئذ العلامة أبي عبد الله احمد يرم رحمه الله وختم جامع الزيتونة وتخلف
عنها جميعا في رمضان عام ١٣٤٠ قويل وفاته للمرض

وأما ابن عمه المولى محمد الحبيب باشا باي فقد حضر للعام الاول من اعوام ولايته
مجالس سبعة اختام منها ختم جامع الزيتونة الاعظم ثم صار يحضر ختم الجامع اليوسفي
وجامع الزيتونة فحسب

أما الجناب العالي بارك الله في عمره لا فقد غني بحضور مجالس الاختام من اول سني
ولايته المباركة وغير ايام بعضها تقدما او تاخيراً ليحضر عامة ما وقع عليه اختياره منها
فصارت تبتدىء في العامين الماضي والحاضر من اليوم الثامن نسال الله ان يمد اهل العام
بمعون منه على خدمة حديث رسوله صلى الله عليه وسلم والتعلق باذياله ءامين « كاتب »

الحديث النبوي

هو ثاني كتابي التشريع في الاسلام . واكبر مظاهر الشريعة السمحة بعد القرآن الكريم . ومن اهم
مواد اللغة العربية واوسع موارد لسان الضاد . حفظه يحفظ اللسان . وينير الجنان . ويطيل العمر

التشريع الاسلامي

المقاصد الشرعية واسرار التشريع

او القواعد العامة في التشريع والحكم الباطنة في جزئياته

ابتداء من هذا العدد تنشر سلسلة مقالات في هذا الباب بقلم العلامة الجليل . الامام النظار . المتبحر في علوم الشريعة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط الملقب بالملك والاساذ بجامع الزيتونة ابقالا لله . وادام النفع به .

نظرة في طريق استئثار المقاصد الشرعية وتمهيد

طالما حدث بي عوامل الشغف بهذا الموضوع النفيس ودواعي الشوق الى تذوقه ان اتقصى اثر اسلافنا فيه فطقت اتصفح تراثهم العامي واستكشف خباياه واعجم ما في كُنائته لاعثر على ضالتي المنشودة فرأيت في مجموعه ما يقضي لبانة النفس ويضيء ارجاء البصيرة لكن بعد ان يلقي الباحث عرق القربة ويتجشم قطع عقبات تذر لا طليح النصب صريع الضجر لبعد النجعة وصعوبة المرتقى

ذلك اني لم أعثر في هذه الثروة العلمية مع غزارة مادتها وكثرة انواعها ووفرة عددها على ديوان جامع جدير باستحقاق هذا اللقب يجمع في مطاويه شمل المقاصد الشرعية ويفصح عن أسرار التشريع وإنما يوجد في بطون الدواوين الفقهية وكتب علم الخلاف صبايات من العلل وشذرات من الأدلة لا تشفي للواقف عند حدها علة إذ لا تبته تلك العلل مقصداً تارز اليه أفراد من أنواع الأحكام ولا تناجيه بما يكفي للاذعان بانه مقصد ولا تسفر عما في أغوار تلك العلل من الفوائد

ويوجد في كتب القواعد الفقهية ما يجمع اشتات الجزئيات ولكنها مقفلة من الاستدلال على تفاصيل تلك القواعد ممسكة عن حديث المصالح التي تترتب عليها والمفاسد التي تدرأ بها على اني لا اغمص حق كتب القواعد البعيدة فقد جلت في بعض

الميادين وأطلعت في إفاقتها كواكب اليقين كبعض من فروق الشهاب وجملة من القواعد المبثوثة في مواقف الشاطبي إلا إن ذلك غيض من فيض ووشل من بحر ويوجد في بعض كتب التصوف ما يستخلص منه كثير من أسرار التشريع بيد أن معظمه قاصر على الآداب وأعمال القلوب وممزوج بما لا يساير أحوال الدهماء من الجمهور ولا يناسب الأفريقا خاصة ممن نبذ الدنيا وراءه لا ظهريا

ويلقى في التفاسير وكتب شروح الأحاديث كثير من أسرار التشريع ومقاصده ولكنها مشتملة غير مثبقة ويقتصر منها على ما يتعلق بالآية المسوقة والحديث المتكلم عليه الأمر الذي لا يصل الإنسان معه إلى حظيرة القطع واليقين لظنية الدلالة واختلاف العلماء فيها فكان لزاما على الباحث عن المقاصد الشرعية وأسرار التشريع أن يشد رجال الصبر ليقطع هذه ألهامه الفيج وبعد طول السهاد ومواصلة الأدلاج يحمد سرا ولا ويجني ثمر مناله ويا ليت (أو لعل) بروق التوفيق تتألق للعلماء الراسخين من المعاصرين العاملين في سبيل الإصلاح فتشرح صدورهم لمراجعة المواد المتحدث عنها وجمع متفرقاتها ونظم شتاتها وسبكها في قالب يقري أريها المشور ويجعل الوصول إليها من الأمر الميسور وذلك فيما أرى يحصل بإبرازها في إحدى صورتين الأولى إجلاؤها في صورة قواعد عامة يبرهن عن تاصيلها بالدلالة السمعية المفيدة لذلك وعن عمومها باعتبارها في أفراد المواضيع الفقهية المختلفة الأنواع ويكشف عما في اعتبارها من المصالح الراجعة للأفراد أو المجتمع الثانية أن تبرز في صورة موضوعات فقهية يستهل فاتحة كل موضوع منها بالمقاصد التي اعتبرها الشارع فيه ويستدل عليها بالجزئيات الواردة عن الشارع في ذلك الموضوع المحافظة على تلك المقاصد وتحلل تلك المقاصد تحليلا شافيا جاريا على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ويتم ذلك بنظرات الفقهاء في الجزئيات التي أمسك الشارع عنها فاستنتجوا أحكامها من المقاصد التي راعاها

فبالسير في هذا السبيل يمكن للباحث أن يصل إلى مقاصد الشارع ويتيسر التفقه في الدين ويتضح ذلك بتمهيد كان من المتعين أن يستهل به الموضوع لولا التطلع إلى محادثة الإخوان بما يقصيه عن الوقوع في مهاوي العثار أو الوقوف على سواحل الحرمان

— التمهيد —

وهو ان التشريع الديني أثر من اثار رحمة الله للعباد ومنهل من ينابيع اللطف بهم حيث جعل بينهم وبين المضار حصونا منيعة وساق اليهم المنافع كما يساق الماء الى الارض الجزز وهو في عامة نواحيه يرمي الى تزكية النفوس وازالة اضرار النقائص عنها وغرس الفضائل فيها يستوي في ذلك ما يرجع الى علاقات العبد مع ربه وما يثول الى العبد في خويصة نفسه وما يعود الى علاقاته مع بني جنسه وقد اومات باية يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ونظائرهما الى هذا الغرض بشيق الجمل في سلك ذلك الترتيب البديع إذ الرسول يتلو الايات فتسمع ويبينها فتعلم ويروض النفوس فتزكو فلما كانت التركية متأخرة عما قبلها ومرتبة عليه وهي الغرض الاسمى من التلاوة والتعليم فقامهاها تفقية المقدمات بالنتائج

وللشارع فيما يشرعه مقاصد وحكم ادراكها هو الفقه في الدين الذي يزيد المؤمن ايمانا وتتفاوت قوى الناظرين في استيفاء حظوظها منه كما يرشد اليه قوله عليه الصلاة والسلام انما انا قاسم والله معط وقول امام دار الهجرة ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء وبنور هذا الادراك أمكن للراسخين في العلم ضبط أحكام الجزئيات التي توارت بحجاب الحفاء لسكوت الشارع عنها وتخصيص العام بالقياس وتقييد المطلق به وتقديم بعض الاقيسة على بعض أخبار الاحاد وتعميم المعنى بالغاء خصوص اللفظ وترجيح بعض الاخبار المتعارضة على بعض وتمهيد قواعد الفقه

وليست هذا المقاصد بالمنتظمة بربانها في سلك البيان ولا بالمقالة في فيافي الابهام بل بعضها صرح فيها الفصاح عن محضه وبعضها اقتصر فيها على التعريف بوحى اللفظ ورمز الاشارة. لذلك تفاوتت مراتبها فكان منها ما بلغ هضبة العلم واليقين كحفظ الكلليات الخمس الدين والنفس والعقل والنسب والمال التي جاءت الشرائع كلها بالمحافظة عليها والتي لا تستشير في اعتبارها الى شاهد معين بل تستقي اعتبارها من جزئيات كثيرة مبثوثة في الشريعة يشهد كل فرد منها لها حتى صار اعتبارها مقطوعاً به كدأب الادلة الظنية الكثيرة الواردة على شيء معين فان مجموعها يفيد القطع على ما يشهد به الوجدان وما

إفادة التواتر المعنوي للعلم الا من هذه الناحية فللمجموع من الاثر ما ليس للافراد .
وكان من المقاصد ما لم يعد منازل الظنون لقلّة شواهدا او خفائها وهذه المقاصد
عند التأمل لا تكون الا خادمة للمقاصد المقطوع بها وهي التي يتسع فيها مجال الاجتهاد
وتنتشر لاجابها الاقوال والمذاهب

وما القواعد التي يؤصلها ارباب المذاهب الا ناظرة من هذه المشكاة فمنها ما تعلق
بعروة اليقين وهي القواعد التي تمالوا عليها كقاعدة ارتكاب اخف الضررين وقاعدة
عدم رفع اليقين بالشك وقاعدة سد الذرائع في الجملة ومنها ما وقف بساحل الظن وهي
المختصة ببعضها

والطريق المستقيم المفضي الى ادراك هذه المقاصد استقصاء النظر في مصادرها من
الكتاب والسنة واستكشاف عللها بالمسالك المعروفة في علم اصول الفقه واستجلاء العلل
بتبويبها منزلا من منازل الضروريات ومتمماتها والحاجيات ومكملاتها والتحسينيات
وتوابعها ذلك ان هذه الشريعة القيمة جاءت بالمحافظة على ما يتوقف النظام واستقامة
الاحوال على اعتباره بحيث لو ولي شطر الاهمال لذهبت مظاهر العقل الانساني
ايدي سبا وجرت الاحوال على فساد وتهارج واختلال تنزل بالانسان الى درك
الشقاء وتمنعه من الاستواء على صهوة الارتقاء وهذا ما يعنونه الاصوليون
بالضروريات

ووسعت هذه الشريعة المباركة للعباد مجال استجلاب المصالح ودرء المفاسد بتمكينهم
من استيفاء ما هم بحاجة اليه حتى لا يمسهم ضيق ولا يلحقهم حرج بالحيلولة بينهم وبين
حاجياتهم وهذا ما يلقيه الاصوليون بالحاجيات

وزادت هذه الشريعة في العناية بهم فشرعت لهم ما يستحسن في مجاري العادات
وقانون المروءة ومكارم الاخلاق وهذا ما يسميه الاصوليون بالتحسينيات وبالفقت في
المحافظة على كل مرتبة من هذه المراتب فشرعت لها من الوسائل ما يكون اعون على
تحقيقها واتم في صونها وحياطتها وهو ما يسميه الاصوليون بالتميمات والمكملات
فاذا جس الناظر علل الاحكام بطنا وظهراً واحاط بحالتها خبرا كان في متناوله

الاعلام بفضل العرب في الجاهلية والاسلام

بقلم العالم الاديب البارع الشيخ علي النيفر المدرس من الرتبة الاولى بجامع الزيتونة

— مقدمة وتمهيد —

مما يثير اللوعة ويبعث الاسى ان يتطاول من يعد نفسه من علماء المسلمين على مقام الامة الاسلامية ويطعن في كرامة السابقين الاولين اولئك الذين اضاءوا غياهب العالم بعد الظلمة المدهمة بما ادولا للامم من امانة التبليغ لهااته الشريعة السمحة التي رفعت الجنس البشري من دركات الجهل والغواية ومساوي الاخلاق الى اسنى درجات العلم والهدى ومحاسن الشيم • بل ومن العجب العجيب والحدث المنكر الغريب ان تبلى الامة العربية الكريمة بمن يجحد فضائها ويغمص حقها وهي التي سارت بذكر مفاخرها الركبان • وتحدث بمزاياها كل قاص ودان

او ليس مما يصم الاذان ويستفطمه كل انسان ان تمتع الامة العربية النبيلة ذات الشرف الاثيل • والمجد الباذخ الذي ليس له مثل • بانها احط الامم وان العربي حيوان اعجم ليس له من مميزات الانسان الا الصورة الجثمانية • وبها استحق سمة الانسانية لا ينفلت من هذا الحكم القاسي سالف او خالف غير علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه • سبحانه اللهم هذا بهتان عظيم • وافك مبین • لا يقره منصف ولا يرضاه مسلم عند تزامها وتعارض مقتضياتها استجلاء مقصد الشارع في تقديم ما هو احق بالتقديم واستنار له الطريق فالحق غير المنصوص باشباهه ونظائره

وإذ تبين ان هذه المراتب الثلاث ومكملاتها هي القطب الذي تدور عليه رحي جزئيات الشريعة وانها تطوف حول حفظ مصالح العباد وإغلاق أبواب الشرور عنهم فيلزم لادراك أسرار التشريع إجراء جزئياته على ما ترمي اليه هاته المراتب ولعرفة المقاصد الشرعية تلقي ما ورد فيها صريحا أو استشارتها من الجزئيات السمعية المحققة لتلك الرغائب والله الهادي الى سواء السبيل

خادم العلم : محمد العزيز جعيط

الا ليعلم الناقق بهذا الهذيان ان الامة العربية ان يكن مسها الضعف في العصور
الاخيرة وساورها الانحطاط وبذها غيرها من الامم في كثير من الميادين فما ذلك بهادم
ما بناه من المجد اسلافها الاكرمون ولا هو بماح من صفحة الوجود تاريخهم الذهبي
الخالد واثارهم البادية للعيان وما بعد العيان بيان

تلك اثارتنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

وبعد فرحضا لا وضار هذه الفرية الشنعاء وتمحيصا للحق بالرجوع لتحكيم ميزاني
الشرع والتاريخ نجعل الحديث في هاته العجالة يدور حول نقطتين « شواهد الشريعة
الناطقة بفضل العرب. والبراهين التاريخية المنادية بمزايا الامة العربية في الجاهلية والاسلام »

شواهد الشريعة الناطقة بفضل العرب عموما

والسابقين منهم الى الاسلام خصوصا

فضل العرب على غيرهم من الامم ادلته في الشريعة مستفيضة حتى كاد يكون
معلوما من الدين بالضرورة قال الكرمانى : الذي عليه اهل السنة والجماعة اعتقاد ان
الجنس العربي افضل من غير لا من الاجناس البشرية . هذا مذهب اهل العلم واهل السنة
وادركت من ادركت من اهل الافاق من حجاز وغير لا على هذا . وان من خالفها او طعن
فيها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهاج اهل السنة ثم قال : ونعرف
للعرب حقهم وفضلهم وسابقتهم ونحبهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
« حب العرب ايمان وبغضهم نفاق » ولا نقول بقول الشعوبية وارذل الموالي الذين لا
يجبون العرب ولا يقرون لهم بالفضل لان قولهم بدعة وضلالة اه . ونقل عن ابن عباد
ما فضل رجل العجم الا وفيه عرق من المجوسية ينزع اليه . ولنذكر بعض الادلة الشاهدة
بفضل العرب فنقول قال تعالى « ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » قال
المفسرون : المراد من الناس محمد صلى الله عليه وسلم او العرب . وعلى ثاني الاحتمالين فهو
دليل واضح على فضل العرب . وروى الطبراني والبيهقي وابو النعيم والحاكم عن ابن
عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تعالى خلق الخلق فاختر

من الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فانا خيار من خيار فعمل احب العرب فنجي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم » وهذا الحديث صريح في تفضيل العرب على غيرهم . وروى الحافظ ابن تيمية من طرق معروفة هذا الحديث بعينه . وفي خبر آخر روى الترمذي وحسنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهما فرقة » الحديث . قال العلماء والفرقتان العرب والعجم

وروى الامام احمد في مسنده هذا الحديث وفيه فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فقال « من انا » فقالوا « انت رسول الله صلى الله عليه وسلم » فقال : انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ان الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة وجعلهم قبائل فجعلني في خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا فانا خيرهم بيتا وخيرهم نسبا » وروى الترمذي وغيره عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك » قالت يا رسول الله كيف ابغضك وبك هداني الله قال « تبغض العرب فتبغضني » فجعل عليه الصلاة والسلام بغض العرب سببا لبغضه وسببا لفراق دين من حل بقلبه فكان سلمان رضي الله عنه يقول : نفضلكم يا معشر العرب بتفضيل رسول الله اياكم لانتكح نساءكم ولا تؤمكم في الصلاة . رواية البزار باسناده . فاذا كان البغض الذي قد لا تترتب عليه نكايه المبعوض على ما سمعت فالايذاء بالسب والتقص اولى واجدر بذلك وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احبوا العرب وبقاءهم فان بقاءهم نور في الاسلام وان فناءهم فناء في الاسلام » وروى الحاكم « حب العرب ايمان وبغضهم كفر فمن احب العرب فقد احبني ومن ابغض العرب فقد ابغضني » وعن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » حديث صحيح . وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انا عربي والقرآن عربي ولسان اهل الجنة عربي » قال الحاكم : انه حديث

صحيح رجاله كلهم ثقات وكذلك حديث « قدموا قريشاً ولا تقدموها » وحديث « الائمة من قريش » وحديث « الناس تبع لقريش » وعن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تناله مودتي » ومما يزيد هذا المعنى ايضاحاً ما ذكر لا غير واحد ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رتب الديوان للعطاء قالوا يبدأ امير المؤمنين . قال لا ولكن ضعوا عمر حيث وضعه الله فبدأ باهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بمن يليهم من قريش الى ان اتت نوبته في بني عدي ثم بدأ بقبائل العرب فلما انتقضت العرب جاءت العجم والمبراد ذووا الحاجات . واما اعطاء الديوان فلاحظ للعجم فيه بل هو خاص بالعرب لانهم كتائب الاسلام فبان من صنيع عمر رضي الله عنه ان جنس العرب افضل من جنس العجم ولا فضل كفضل عمر ولا علم كعلمه . وقد قال فيه صلى الله عليه وسلم « الحق يدز مع عمر حيشما دار » وفي رواية « وضع الحق على لسان عمر وقلبه » وكان رضي الله عنه لا يستحي من الحق ولا تاخذله في الله لومة لائم فهو اعلم بمراتب التفضيل . وفي العقد الفريد لابن عبد ربه ان معاوية رضي الله عنه ما استدر له كلام قط فقطعه حتى يذكر العرب بفضل او يوصي فيهم بخير . قال بعض العلماء : ومما يدل على كمال العرب وفضلهم على غيرهم النهي عن التشبه بالعجم في الزي والكلام فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم « ان من كان يحسن ان يتكلم بالهرية فلا يتكلم بالعجمية فانه يورث النفاق » رواه ابن عمر رضي الله عنهما وقال عمر رضي الله عنه اياكم ورطانة الاعاجم هذا واما حديث « لا فضل لاربي على عجمي » فالمراد والله اعلم انهما سواء في الاحكام الشرعية من حدود وغيرها جمعاً بين الادلة : هذا نبذة يسيرة من شواهد الشريعة المنادية بفضل الامة العربية عموا (يتبع) علي النيفر

اعتذار

ابلقنا بعض مشتركينا الكرام ان الجزء الثاني من المجلة لم يصلهم فبادرنا لانهاء المسالة لادارة البوسطة لعمل ما يلزم في الامر وانا نعتذر لحضراتهم عن ذلك وعسى ان لا يقع مثل ذلك الخلل في المستقبل

الوعظ والحمد لله

الصيام وآثاره في الفرد والمجتمع

بقلم العالم الفاضل الشيخ محمد الطاهر النيفر
المدرس بجامعة الزيتونة عمره الله بدوام ذكره

(يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)
من أعظم منن الله تعالى على هاته الامة المحمدية ان كتب عليها الصيام كما كتبه على الذين من قبلها فكان احد الاسس المثينة التي اقيم عليها الاسلام . واحدى دعائمه المحكمة التي لا يقوى على تخريبها تقادم العصور ومعاول الايام . فثأثاره في تقويم النفوس البشرية اعظم من ان تحصى . وفوائده للمجتمع اكثر من ان تستقصى . وناهيك بعبادة ضمت للتقريب من الله زلفى تطهير النفوس مما عسى ان يلتحق بها من خشونة الطبع وضعف العاطفة نحو ذلك البائس الفقير الذي ترتبط معه بهاتيك الرابطة العظمى رابطة الاسلام التي لا تنفصم عراها . ومتى عملت هاته العبادة عملها في النفوس بسطت بعضا من النعم التي آثرها بها المتصرف الحكيم على السائل والمحروم فتصبح سعادة البشر عامة ولو الى حين : واذ قد لمحنا لك في هاته النبذة لعظيم فوائده . وجليل فلائده . فيجدر بنا ان نفصل لك ايها القارئ الكريم بعضا من هاتيك الفضائل الجملة في الحال والمثال . والله الموفق وعليه الاتكال . ان من نظر بعين الهداية والتوفيق لما سنه الله لنا في هاته الشريعة السهلة المحكمة النظام وجدة لا يخرج عن اصلاح مفردنا وجمهورنا . في ديانا وبعد نشورنا . حتى نكون في سعادة شاملة . وخيرات فضائلها متكاملة . وقد كانت عبادة الصوم جامعة لهاته الفضائل الثلاث اعني خير الآخرة واصلاح الفرد والمجتمع ولذا رأينا ان الحديث في هذا المقام يتناوله من ثلاث جهات : فضائله الاخرية — فوائده الفردية — آثاره الاجتماعية

فضائله الاخرية — ان الله تبارك وتعالى اوجب الصوم في شهره المبارك ورغب فيه . ووعد بجزيل العطاء عليه . فقال : « وإن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » ونسب الله لنفسه من بين سائر العبادات اظهارا لشريف مقداره . وجلال آثاره فمن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وانا اجزي به والصيام حبة فاذا كان يوم صيام احدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه احد او قاتله فليقل في صائم ابي صائم والذي

نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم طيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما اذا افطر فرح بفطره واذا لقي ربه فرح بصومه » رواه البخاري وغيره واللفظ له . والوجه في اختصاص هاته العبادة بالتساب لذات العلية انه لا يسداخلها ما يمكن ان يصاحب العبادات العملية من رياء وتظاهر بالطاعة فهي العبادة التي لا يطاع عليها سواه ولا تكون الا لله . واطهارا لمزيد فضل الصوم خص الله تبارك وتعالى باب الربان في الجنة بالصائمين . تمييزا لهم عن سائر عبادة الذين شملهم فضله واحسانه فكانوا من الفائزين كما وعد جل فضله بمحو جميع الخطايا والذنوب لمن اتم صومه على الوجه المطلوب وشفعه في صاحبه يوم لا يغني مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم فعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيام يقول الصيام اي رب منعتك الطعام والشهوة فشفعني فيه ويقول القرآن منعتك النوم بالليل فشفعني فيه قال فيشفعان) رواه احمد والطبراني في الكبير ورجاله محتج بهم في الصحيح ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم

فاذا كانت هاته فضائله وتلك مزاياه فالعجب كل العجب ممن عنه يعرضون ويستبدلون هاتيك السعادة الابدية بارضاء الشهوة البهيمية . واتباع ملذاتهم الدنية . فيخرجون بصفقة المغبون شان من اضله الشيطان واتبع هواه فانقلب على وجهه مذموما مدحورا خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين وليس صوم المؤمن بترك طعامه وشرابه والاعراض عن ارضاء الشهوة الغريزية فقط وانما الصوم بترك ذلك كله مع الاعراض عن القيل والقال وتجنب لغو الكلام وفواحشه والابتعاد عن انتهاك الحرمان والتعرض لعيوب المخلوقات .

فقد ثبت في بعض الآثار ان جرم التعرض للغير بما لا يرضيه يساوي ما اعد الله من عظيم الجزاء على صومه وعليه ان يتجنب الرفث والصخب . وما يؤدي لايقاد العواطف وجاب اللعن والغضب . فان سابه احد او شاتمة فليقل اني صائم اني صائم وفي الحديث الشريف عن ابي هريرة رضي الله عنه (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه) اخرجه البخاري . واذا كان الصيام جنة كما في حديث ابي هريرة المتقدم اى ساترا من النار فكيف نجعله مطية للوقوع فيها فانا اصبحنا نشاهد ويا لهول ما نشاهد في اغاب اوقات الصيام كثرة الخصام والسباب . والافراط في المواجهة بيني القول وفواشح الخطاب . ولربما وصل بهم الامر للخروج عن دائرة الاسلام وهم لا يشعرون فاذا انحيت على مرتكب ذلك باللوم والتعنيف اعتذر بانه صائم كانما صومه بذلك اغراه . وما درى المسكين انه عن مثل ما وقع فيه ينه . وانه جاء بما يوازي احباط مسعاه فالواجب المحافظة على اللسان . فانه اصل كل بلية للانسان . وتعمير اوقاته بمختلف الطاعات . وذكر خالق

الأرض والسموات ، سبحانه الكبير المتعال فالطاعة يعظم جزاؤها بزيادة فضل أوقاتها . وتتفاوت درجاتها بتفاوت امكنتها في الشرف والفضل فعن سلمان رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان قال (يا ايها الناس قد اضلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلة خير من ألف شهر . شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة كان كمن ادى فريضة فيما سواه ومن ادى فريضة فيه كان كمن ادى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزداد في رزق المؤمن فيه من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل اجره من غير ان ينقص من اجره شيء) رواه ابن خزيمة في صحيحه ثم قال صح الخبر ورواه من طريق البيهقي . ومما ارى انما التعرض له في هذا المقام ما اعتاده غالب اهل ايلالتنا من تعميم ليلاته بالاعاب اختلفت انواعها . وتعددت اوضاعها . وجميعها لا يخرج عما كانت الشريعة تبابه رافة بنا وحرصا علينا من ان نضيع الوقت الثمين . فيما لا نجني من ورائه فائدة باحدى الدارين . والانكى من ذلك كله ان منا من يقضي هاتيك الايام الفاضلات في الميسر او غشيان الملاهي ودور الفسق والفجور اين تهتك ستور الشريعة الطاهرة ويداس الخلق النبل ولا يرى ارباب هاتيك المحلات أسأ في الاعلان عن تلك الحفلات . الجامعة لشتات المنكرات فيكون عاملا على افشاء الفاحشة في قومه وتعميم الرذيلة بينهم كانما اسلامه عن ذلك لا ينهاه . والحلق الفاضل لا يأباه . واني لاعجب من مثل هذا الحب انهم كيف ارتضى لنفسه هاته الميانه . وتدل بها لدرك الحقارة والادانه . فجعلها واسطة سوء بين فجار بني آدم والساقطات من بنات حواء فجمع بينهما في محله طمعا في الاستحصال على بعض الدريهمات التي تكون سجتا عليه . ولا تتمر بحمد الله لديه فاغرضوا ايها المؤمنون عن جميع ذلك فان من اتبع هواه وجد الشيطان الى قلبه سيلا فاضله طريق الرشاد واوشك ان يأخذه الله بما كسبت يده فيصبح من النادمين وهيئات ان يعود له ما فات . او تفيد الحشرات والتأوهات . واستبدلوا ذلك باحياء ليلاته بالعبادة . والتوبة من الذنوب والدعاء بالانابه . فمن ليلاته ليلة القدر . التي هي خير من ألف شهر . ومن احيائها بما يرضي الرب الكريم غفر له ما تقدم من ذنبه فعن ابي هريرة رضي الله عنه (من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وقد اخفاها الله تعالى ترغيبا لنا في احياء جميع ليلاته حتى يعظم الزاد . ليوم اللقاء والمعاد . فنكون من الذين ابضت وجوههم فكانوا من الآمين

فوائد الفردية — اولها الصحة فالصوم رياضة تجفف الرطوبات البدنية وتفي المواد المنهكة للقوى

التي كثيراً ما يتولد عنها امراض يصعب علاجها ويخفى سببها فقد أثبت ابن سينا الحكيم ان هاته المواد تتولد من الطعام وتكثر حتى ينجم عنها امراض معضلة يخفى عن الحكيم سببها في غالب الاحيان ولا

وقاية منها الا بالاعراض عن كثرة الاكل زمنا في كل سنة. وتابعه فيما قرره حكماء اربابا من بعده. اذاً فالصوم وان تولد عنه الضعف والذبول في بعض الاحيان فعاقبته القوة والنمو الا ترى الى النبات الذي يمنع في بعض الاحيان السقي حتى يذبل ثم يفاض عليه الماء فيعاودة نموه وزهوه بصفة اتم واحسن مما لو استمر سقيه والكثير من النباتات استمرار سقيها يؤدي لتلفها . ومنها كسر سورة الشهوة وكبح جماعها حتى يصبح قيادها بيده ولا يتم ذلك الا بتسييرها طبق رغبته لا طبق مرغوبها ولا ارى خطرا يقضي على كيان الانسان في هاته الحياة ويسبب سعادته بعد موته كتغلب الشهوة على العقل فان من طغت شهوته عليه افراط في اتباع هواه وانغمس في ملذات هاته الحياة وعندئذ تنطمس من نفسه اشعة الصفات الكريمة كالعفة والقناعة والحياء والسخاء فتصبح الفضيلة وقد تهدمت من نفيه اركانها . وتزرع بانيها وفي ذلك البلاء العظيم لامته جمعا فصالح الامة بحسن تهذيب افرادها . ومن فوائد العظيمة توطئ النفس على المكارة وتعويد الصبر وعدم الجزع حتى يتمكن من تاديبها طبق ما يمليه الشرع والعقل ويقتضيه الشرف وحسن الشيم ومن لم يوطن نفسه على هاته الصفات اصابه يوم يعضه الدهر بنابه والزمان ذو الوان من جراء ذلك العذاب الاليم فالذي لا يملك نفسه عند الجزع والشدة لا يقدر على التخلص منها وفي ذلك هلاكه المحقق وخسرانه المبين ولذا كانت العرب تضرب للابل الاخماس بالاسداس استعدادا بها للسفر في الصحاري والقفار حتى تتمكن من قطع هاتي المسافات الشاسعات التي قل ان يظفر محتازها بمرغوبه من زلال الماء. ومن اعظم الاعراض التي يرمى اليها الاسلام توطئ نفوس اهله على هاته الصفات الجليلة التي بها سعادة البشر في جميع اطوار حياته. ومن فوائد ايضا معرفة قيمة النعم حتى يحسن التصرف فيها والاحتفاظ بها فان النعم لا تدرك حق الادراك الا بزوالها والاشياء تعرف باضدادها

آثاره الاجتماعية - اعظمها التسوية بين الاغنياء والبائسين . واهل الخصاصة والمترفين . في فقد دواعي اللذة وموجبات النعم وفي هاته التسوية تعميم الالفه بين افراد الامة الواحدة والاعراض عما يدعو للتخالف الناشي عن ترفع بعضهم عن بعض ومق صف النفوس من الاحقاد والتنافر حصلت السعادة العامة للجميع والثالف بين افراد الامة المحمدية في مقدمة الامور التي جاء الاسلام داعيا اليها في كتابه الحكيم وعلى لسان الصادق الامين قال عليه الصلاة والسلام (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) اخرج البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه . ومنها تعدي نعم ذوي اليسار . لاهل الخصاصة والاعسار . لان من تذوق طعم المكارة حن قلبه لاهلها فكان ذلك حاملا له على مواساتهم واعانتهم على التخلص من الشدة التي يتخبطون فيها . وفي هذا القدر كفاية وذكرى لمن القى السمع وهو شهيد

محمد الطاهر النيفر

التاريخ

صحيفة من تاريخ تونس

— ٢ —

كيف نشأت خزائن الكتب لدراسة العلوم بجامع الزيتونة المغمور
بقلم العالم المؤرخ السيد محمد بن الخوجه المستشار لدى الحكومة التونسية

ان هذه النهضة المباركة هي النهضة الثانية بالعصر الحسيني اذ بها استدرك المشير احمد باي الاول ما درج عليه سلفه من الانتصار لجانب العلم واهله ولقد تساسلت اشعة انوارها بالديار التونسية فاولدت المدرسة الصادقية التي جاءت بكل نتائج خصب اما تعبير المشير المشار اليه لجامع الزيتونة بخزائن الكتب التي نوهنا بشأنها فقد كان تكوين ذلك بجمعه للكتب الموجودة بمسجد بيت الباشا بباردو و اضاف لها كتب الوزير حسين خوجه باش مملوك التي باعها عليه دائنوا اشتراها بريالات ٢٨٩١٧ ثم اضاف لها بعد ذلك ما امكنه اقتناؤه من الكتب على التوالي ومن ذلك خزانة كتب الشيخ ابراهيم الرياحي بعد وفاته في سنة ١٢٦٦ ووقع بها تحجيسا وجعل ثوابها في صحيفة الشيخ المذكور وهذه الكتب الرياحية هي انفس قسم اشتملت عليه المكتبة الاحمدية لانها جمعت بين النفائس والنوادر المغربية والمشرقية مما اختاره الشيخ رضي الله عنه بنفسه في رحلته لفاس سنة ١٢١٨ وللإستانة سنة ١٢٥٤ فصار الجميع مجلدا زين بها صدر الجامع وجعل نظرها لشيخه الاسلام باعانة القضاة الحنفى والمالكي وكان نظار الجامع يومئذ اي في سنة ١٢٥٦ هم الشيخ محمد بيرم الثالث والشيخ ابراهيم الرياحي والشيخ محمد بن الخوجه والشيخ محمد بن سلامة وسوغ اعارتها لاهل العلم على شروط واقام لها وكلاء وحفظه ثم لما تآخر الوزير مصطفى خزندار عن الوزارة الكبرى في سنة ١٢٩٠ وكان مستغرق الذمة للدولة كان في جملة ما صالح عليه من المال خزانة كتبه النفيسة المشتملة على الكتب العربية والنادرة ذات الابداع في النسخ والتزويق والتذهيب وكان في جلته كتب المرحوم الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف الذي باعها في قائم حياته وجلتها ٦٧٩٨ مجلدا الحقها المشير محمد الصادق باي بالتجاربس المتقدمة من ابن عمه المشير الاول احمد باي واقتدى بصنيعه الماثور اخوة صنو الشجرة الحسينية المولى علي باي

الثالث اذ خصص من خزانته العامة ثلاثمائة كتاب بنية التجبيس على الجامع تمت عقدة تجبيسها على يد ابنه المقدس المولى محمد الهادي باي حسبما سيأتي الكلام عليه عند التعريف بالمكتبة العبدية وهذه الكتب تضمنت عيونا ونقايس منها كئاشات شيخ الاسلام العلامة الشيخ احمد كريم وديوان شعره الرقيق وبعض شرحه على متن المحبية في الفقه الحنفي والبعض الآخر استائر به جامع عقبة ابن نافع بالقيروان في جملة التحابيس الصادرة من المولى محمد الهادي باي المتقدم ذكره على مكتبة هذا الجامع وهنا يتبادر للذهن بان من مصلحة المعلمين والمتعلمين الجمع بين هذين القريبين الشيتين اما بضم ما بجامع القيروان لجامع الزيتونة او العكس واول الوجهين اولى لانتظام دراسة الفقه الحنفي بتونس دون غيرها من بلدان المملكة ولان الشرح المتحدث عنه لم يمثل للطبع ولا توجد منه غير النسخة الوحيدة المنقسمة بين تونس والقيروان فجمع شتاتها لا يمكن ان يكون الا حسنة تستمد من الاقدار كتابتها في صحيفة من يهيمهم أمر الجامع : قال الشاعر :

وقد يجمع الله الشيتين بعد ما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

هذا وقد اقتدى بصنيع من تقدم من المجسبين السابقين غيرهم من المحسنين كالوزير محمد خزندار المتوفى عام ١٣٠٦ اذ وقف على الجامع خزانتين عامرتين بالكتب المعبرة منها دائرة المعارف لبطرس البستاني كما ان الوزير مصطفى بن اسماعيل حفظ له التاريخ حسنة كللت مدة صولته وجولته بالبلاط الصادقي حيث اشترى كتب الفاروق عصمان امير عساكر المنستير

وأضافها لما تقدمها من التحابيس على جامع الزيتونة وتوفق بعض العمال الاقدمين للتجبيس ايضا على خزانة الجامع كالمرحوم القائد ابراهيم بن عباس الرزقي حيث الحق بالخزانة المذكورة مكتبته الخاصة وعلى ذلك المنوال جرى عمل بعض الاعيان التونسيين منهم المرحوم الشيخ المختار بن عمر شهر قبادو حيث اوصى باضافة ما انجر له من كتب متبنيه المفتي الشيخ محمود قبادو الشريف للتحابيس المتقدمة ومعلوم ان كتب الشيخ قبادو كانت كلها عيونا نعم ان ورثته عارضوا يومئذ في صحة تلك الوصية ولكنهم ما لبثوا ان ركنوا القبول صلح في النازلة وتم انفاذ تلك الوصية لفائدة خزانة الجامع وكتب نص الصلح المشار اليه على ظهر احد تلك الكتب وهو كتاب الاتقان في علوم القرآن للامام السيوطي وتوالت تحابيس الافراد من الحاضرة وخارجها ابتغاء الثواب وحسن الثاب الى ان بلغ جملة ما بخزانة الجامع الاحمدية ليومنا هذا من عيون التصانيف واغلبها مخطوط باليد الى ٧٨٣٣ مجلدا وهذا العدد ينبغي ان يضاف له كتب المكتبة الفرعية التي اسست بالجامع لفائدة طلبة العلم في سنة ١٣٤٤ بمساعي جميل الذكر المولى محمد الحبيب باي وجملتها ٦٣٧٧ جزءا كلها كتب دراسية من طبع مصر والمشرق تطوعت الدولة التونسية بدفع ثمنها من الميزانية العمومية واستفدنا

من المصادر الوثيقة ان مشيخة الجامع الحليلة ما زالت همتها منصرفة نحو التوسيع والتوفير في هذه الخزانة الدراسية لفائدة طلبة العلم وانها حصلت على وعود من الدولة في مديد الاعانة لها في ذلك. الامر الذي لا يسع كل محب في العلم الا تحبيذه مع اهداء جميل الشكر من اجله للمقامات العالية بالدولة التونسية ولصاحب الفضيلة شيخ الجامع وفروعه . بقي علينا ان نتكلم على خزانة كتب العبدلية وتسمى في الاصطلاح الرسمي بالمكتبة الصادقية نسبة لمحييها بعد الاندلس وهو المشير محمد الصادق باي فني سنة ١٢٩٢ احدث هذا الامير باشارة من المصلح الكبير الوزير خير الدين المكتبة المشار اليها وجعل مركزها بالمحل الذي كانت به المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة التي حبسها في المائة العاشرة السلطان ابو عبد الله محمد بن الحسن الحفصي حسبما سبقت الاشارة لذلك وجمع بها اكثر مما تيسر له جمعه من التحايس التي كانت مشتتة بالمساجد والاضرحة والمدارس بتونس وخارجها وشارك الوزير خير الدين في هذه المبرة باضافة الف مجلد لذلك من خزانة مكتبه الخاصة ومنها كتب البيارمة الاعلام وعليها بخطوطهم . من التعاليق والحواشي الشيء الكثير وفي ضمنها كتب المرحوم محمد داود من رجال دولة المشير احمد باي ووضع لها قانونا من شروطه الانتفاع بتلك الكتب مطالعة واستساخا من دون اخراجها من الجامع على قاعدة خزائن الكتب العمومية باروبا هذا وقد اشرنا فيما تقدم من الحديث لما عقد عليه النية المقدس المولى علي باي الثالث من تحيس ٣٠٠ مجلد من الكتب القيمة على جامع الزيتونة فانجازا لذلك المقصد الاشرف بادر ابنه ووريث ملكه المنعم المولى محمد الهادي باي اثر صعوده على عرش الملك بانفاذ التحيس الموعد به من والده طاب ثراه و اضاف لذلك نصف خزانة كتبه العامرة فكانت الجملة نيفا وثمانمائة مجلد حبسها على المكتبة العبدلية وحبس النصف الآخر من كتبه على مكتبة جامع عقبة ابن نافع بالقيروان اما تحبيسه على العبدلية فقد وضع له دفتر خاص مفتتح بخطبة نفيسة من انشاء المفتي الشيخ محمد يرم ابن الشيخ الرابع هذا وقد توفى غير من ذكرنا للنسج على ذلك المنوال فحبسوا كتب كثيرة على المكتبة الصادقية وممن كتبت له الاقدار هذه المزية في صحيفة حسنة من اهل عصرنا الحاضر المدرس الشيخ الشاذلي بن ضيف اذ كان من اكابر العلماء تحيسا على العبدلية ومثله البرة العفيفة باهية بنت السعيد اذ حبست في رجب ١٣٥٢ نحو الاثني عشرة مائة جزءا من الكتب انفاذا لوصية من زوجها المرحوم الحاج صالح بن عمار الحداد المزايي وءاخر تحيس تمتعت به المكتبة العبدلية هو الكتب النفيسة التي وقفها في هذا العام ملكنا الحالي بهجة الايام والليالي سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني بلغة الله الاماني وقد تضمن هذا التحيس عيوننا من الكتب النادرة منها تفسير الامام الثعلبي النيسابوري في اربعة اجزاء ختامها وافق العدد ٥٨٠٨ الذي هو ءاخر عدد عمومي لما بالمكتبة العبدلية من الكتب في كل فن باشتمال ذلك على مجموعة الفهارس المصرية والتركية والاروباوية التي

توفق كاتب هذه النبذة لنزعها من خزانة كتبه الخاصة والحاقها بكتب العبدلية ايثارا للجنة تدوين الفهرس الجديد وتسهلا لمراجعاتها اثناء ابحاثها الفنية وفي ضمن ذلك فهرس المكتبة الحديدية بمصر ومكتبة راغب باشا بالاستانة وطبعة كشف الظنون الالمانية وكلها مما جمع فاعسى وباضافة العدد ٨٠٨ المشار اليه انفا للعديدين المتقدمين يعني لعديدي الكتب المحفوظة بخزانة الجامع الاصلية وبخزانة الطلبة تكون جملة الكتب الموجودة في هذا اليوم بخزائن جامع الزيتونة عمره الله ٢٠٠١٨ مجلدا اغلبها مخطوط باليد ويوجد ضمنها من الكتب النادرة والغريبة ما يعز عن النظر وحسبك الوقوف على اعيانها بخزائنها ومما لا يجوز اهمال ذكره في هذا المقام الكتب الكثيرة والقيمة المنجزة من خزانة المرحوم الشيخ محمد بن مصطفى يرم دفين مصر التي بعث بها ابنه الهمام الارشد السيد مصطفى يرم لخزانة جمعية قدماء المدرسة الصادقية وجعل مرجعها على شروط لخزانة المكتبة العبدلية وهذه الكتب المخطوط كثيرها بخط القلم تضمنت عيوننا ونفايس منها تفسير ابن عادل وهو من الكتب النادرة ومنها غير ذلك من غريب التأليف والنفايس ولنا ان نقول ان خزائن جامع الزيتونة احتوت على كنوز لا تقدر بمال وقد قام بوصف بعض مدخراتها العلمية الفهرس الجديد الذي طبع منه اربعة اجزاء وما زالت العناية منصرفة نحو انجاز بقيته بهمة اللجنة العلمية المنوط بمهدتها تدوينه واني لمفتخر بمشاركتي في المساعي التي سهلت تاسيس تلك اللجنة للقيام بذلك العمل الجليل ونشكر لاعضائها النابغين مجهوداتهم في ذلك السبيل لا سيما وقد انجزوا في هذه الاثناء تدوين بقية فهرس المكتبة العبدلية باجمعه بحيث لم يبق منه غير مطبوع سوى جزأيه الخامس والسادس ولكن نرجو لها التماسدي في مشروعها بنشاط لتدوين فهرس مكتبة الجامع الاحمدية لانها تستغرق نحو العشرة اجزاء على اقل تقدير ومنه تعلى نستمد الاعانة والتيسير محمد بن الخوجة

الاحتفال بتأبين الشيخ ادريس بن محفوظ الشريف مفتي مدينة بنزرت سابقا

في اول شهر شعبان المنصرم وقع في مدينة بنزرت احتفال عظيم لتأبين الشيخ ادريس الشريف مفتي المدينة سابقا . بمناسبة مرور عامين على وفاته . والشيخ ادريس رحمه الله كان من افاضل اهل العلم . وقد جمع بين العلم والادب وحسن العقيدة . فهو جدير بان يخلد ذكره وينوه بشانه وكانت لنا به مودة خاصة متوارثة . تمكننا بسببها من اكرامه واجلال قدره والاطلاع على فضائله التي قلما يعرفها كثير من الناس . لما جيل عليه رحمه الله من الانزواء . والبعد عن مظاهر الرياء . وقد افاض مؤبوه من ادباء بنزرت ونهائها في ذكر فضائله واجادوا في ذلك بارك الله فيهم وفي كل من يعمل لتخليد ذكر امثال هذا الفقيد العظيم . اذ رقي الامة يتوقف على تقدير فضل رجالها العاملين . وكان حدثنا الفقيد في حياته عن كتاب الفه في الرد على بعض المبتدعة وتوضيح ضلالهم للناس . وبودنا ان لو توفق الهيئة التي عملت على تخليد ذكره بهذا الاحتفال الى طبع هذا الكتاب اذ بذلك تكون قد اسدت للهيئة العلمية يدا تذكر فتشكر . فالى هيئة الاحتفال شكرنا الجزيل على هذا العمل الجليل . جازاهم الله خيرا

القلب

ضحايا المدنية الحقاء

قف بالعقول وشد شمل رثاتها وفي معشر أبائهم اسم يعرفوا
وابذل مصون الدمع حول رفاتها في غرة الدنيا مآثرهم بدت
غير السعادة بعد بذر نواتها ضرب العلاء قبابه برحابهم
دررا كان الشمس من ذراتها فها على الاقوام من ساحاتها



تفنى الشعوب وتنقضي آجالها يا قاتل الله الجباله روعت
ان زاغت الالباب في نظراتها قلب العروبة ذلك القلب الذي
قلبا زرى بالموت في فتكاتها واقتاد نحو مناه كل نجية
قهر القوارع واعتلى صهواتها ماذا اقول وللجباله السن
اعيت خلائقها نفوس حداتها قلنا فامطرنا الطعام شتائنا
يدمي فؤاد الحق وخز شباتها ماذا يلاقى من جهول نفسه
وهم لعمر ككل مدلولاتها وابتاعت المدنية الحقاء بما
ضحت بعزتها على شهواتها حسبوا التمدن بزة وخلاعة
نزلت له التيجان عن هاماتها حسبوا التجرد والسفور حضارة
ووصال بنت الكرم في حاناتها وتمازج النوعات هذا فاجر
فاستنزلوا الاقمار عن هالاتها غيداء مطلقة العنان جريئة
مرح وتلك تيمم في لذاتها سفرت خمار حياتها شغفا بما
مياسة تختال في خطراتها نكد اربع الدهر من حدثانه
الف الفرنجة من صنيع بناتها نكد من الابنا تسدد سهمه
ورمى قلوب العرب في جباتها تبت يد خانت ذمام حماها



يا ايها الولد الخثون جدوده او هل تركت مساء لم تاتها

ابواك قد نجلالك قرّة اعين
تلغو فتحسب ان لغوك حكمة
تلهو فتحسب ان ذاك هداية
وتجيد عن طرق الهدى متأثرا
وتخون ملتك المشرفة التي
وحبك كل سعادة تصولها
الدين دين الله ذلكم الهدى
وعماره الدنيا ومنجاة الورى
بمكارم الاخلاق هل هلاله
منحت لسان الضاد آي كتابه



يا من ينادي للصالح مخادعا
يا من يروم بزيغه وضلاله
يا من يعيب لسانه ويبانه
يا من يسيء لدينه ولشعبه
يا من يؤمل في الحياة سعادة
يا من تملكه الغرور وصاده
يا من سلا بالغرب حب بلاده
يا من تطلب في الرغام مراده
لم تجن الا الشوك من غاب المني
تملي الجاهالة امرها فتطيعه
المعجّنين بكل الكن عاجز
الضاربين اكفهم طربا بمن
الموقنين بدين كل منافق
فالله خصك ما بقيت مذبذبا
والله حسب ابيك كاد لتونس
واذا الرعاة تضاءلت عزماهم

يستنهض العزمات من وسناتها
هدي البرية في مجال حياتها
جمع البلاغة واحتوى غاياتها
ويكيد للاخلاق كيد عداتها
بقراء امته وطعن ذواتها
بناله فهوى صريع ظلماتها
وسلا ببنت الغرب خير بناتها
واستقسم الآساد في اقواتها
وتوكلت ما قد لذ من ثمراتها
وتتبه عجبا من هتاف دعائها
عن منطق الفصحى وعن نعماتها
لا يعرف الاعراب في كلماتها
ساء الشريعة وازدرى حرماها
والله للخضراء في نكباتها
في نشأ فقد اشر جناتها
في امة فايقن بقرب وفاتها

الطاهر البقصار

البكاء في الشعر العربي

- ٢ -

ولا يزال العاشق جادا في الهرب من ساعة الفراق مستترا بتناسي الجزع والذهول عن
الارتياح استتار النعامة من الصياد وساعة الفراق تقترب منه شبحا خفيفا حتى تتمثل حقيقة مظلمة
فتدركه ادراك المائل الذي يقول فيه النابغة

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنشأ عنك واسع
فهنا لك المصراع الهائل الذي حصر فيه ابو الطيب مصارع المحبين اذ يقول
لولا مفارقة الاحباب ما وجدت لها المنايا الى ارواحنا سبلا
والباعث الاعظم على البكاء الذي هو من اقدم ما عرف من بواعثه في الشعر العربي اذ يقول
فيه امرؤ القيس

كافي غداة البين يوم تحملوا لدى سميرات الحي ناقف حنضل
ويلتحق بهذا الموقف ما يحف بالبكاء من مظاهر الحيرة والاضطراب كالنظرة الشاردة التي
يقول فيها ابو الطيب

ولم ار كالا لحاظ يوم رحيلهم بعثن بكل القتل من كل مشفق
ادرنا عيوننا حائرات كانها مركبة احداقها فوق زئبق
واصفرار الوجه الذي قال فيه ايضا
وقد صارت الاحقان قرحى من البكا وصار بهارا في الحدود الشقائق
وحققان القلب وابعد ما فيه للعرب قول توبة بن الحمير
كان القلب ليلة قيل يغدى بليلى الاخيلية او يراح
قطاة غرها شرك فباتت تنازعه وقد علق الجناح
ولهول موقف الفراق قصرت طاقات المحبين عن مكابدة ساعة التوديع فتركوه اما ذهولا
واضطرابا كما قال ابو الطيب

عشية يعدونا عن النظر البكا وعن لذة التوديع خوف التفرق
او تفاديا واختيارا وهو من ابتكارات الاعشى اذ يقول
ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل
وقد علله واعتذر عنه ابو عبادة البحرى فاحسن ما شاء في قوله
الله جارك في انطلاقك تلقاء شامك او عراقك
لا تعذلني في مسيري يوم سرت ولم الاقك

اني خشيت مواقفنا للبين تسفح غرب ماقك
وعلمت ان بكاءنا حسب اشتياقي واشتياقك
وذكرت ما يجد المود دع عند ضمك واعتناقك
فتركت ذاك تعمدنا وخرجت اهرب من فراقك

ويجمل الفراق ويفصل المحب عن ربع المحبة فصال الفطيم فيبتعد عنه جسمه وقد علقته به روحه
فلا يزال في سيره حريصا على الابقاء على اتصاله الجسماني بالربع فينطلق اليه ويلتفت نحوه اهتة هي
من بواعث البكاء كما قال الصمت بن عبد الله القشيري

ولما رايت البشر (١) اعرض دوننا وجالت بنات الشوق يحزن نزعا
تألفت نحو الحلي حق رايتني وحفت من الاصفاء لمتنا واخذعا
بككت عيني اليمنى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

حق اذا لم يبق للمشاهدة الحسية والاتصال الجسماني مطمع متع باللفتة القلبية الكامنة التي يقول
فيها الشريف الرضي

وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تالفت القلب

ولفتة القلب هي عاطفة الذكرى التي لا تنفك تعمر قابوب المحين حتى تمثل طيف المحبوب
ملازما ليقظتهم ومنامهم وغدوهم ورواحهم كما قال الحماسي

أ آخر شيء انت في ككل هجعة واول شيء انت عند هبوني

وقال ابو العلاء :

ما سرت الا وطيف منك يصحبي سرى امامي وتاويسا على اثري
لو حط رحلي فوق النجم رافعه الفيت ثم خيالا منك منتظري

الا ان لهذه العاطفة الكامنة في النفس كمون النار في الزند مناسبات وبواعث قد يكون منشؤها
مجرد الاقتداح الذاتي بجولان النفس في ضمائرها وانبعاث الخاطر النفساني الذي يحملها من الحياة
المادية التي حولها الى عالم الموجودات الصورية القائم في حسها المشترك ومثال ذلك تذكر عمر بن
معديكرب اخته ريحانة بمجرد الهاجس النفساني الذي وصفه بقوله

امن ريحانة الداعي السميع يؤرقني واصحابي هجوع

وقد يكون منشؤها المادي وهو راجع الى احد ثلاثة اصول الازمنة والامكنة والحوادث
اما الزمان الباعث للذكريات فقد شاء عليهم انه الليل ولم تنزل السنة الادب تردد شكواه منذ
قال امرؤ القيس :

وليل كموج البحر ارخى سدوله علي بانسواع الهموم ليتلي

وليس ذلك لانه زمان الافتراق كما ظن كثيرون لانه امر عارض قد يتفق لانه حتى اختلف

الشعراء باعتبارها في تفصيل أحدهما (١). ولكن لأن الليل يزيد بأمور طبيعية فيه من الرهبة والسكون والوحشة وكلها من محركات الأشجان وبواعث الاحزان بها امتاز عن النهار فكان باعثا عظيما من بواعث الكتابة والذكريات الباكية كما قال أبو فراس

إذا الليل اضواني بسطت يد الهوى واذلت دمعا من خلائقه الكبير .

وأما الامكنة فانبعث الذكرى لديها وانصباب الدمع عليها هو الباب الاعظم من بواعث الذكريات والدافع الاقوى الى مراجعة عهود القرب والانس شان النفس في التثقل من المحسوسات الى المجردات وهل في الامكنة ادعى لشوق وابعث لشجن من مكان كان مجرى الانس ومربع الوصل لاسيما اذا لم يزل به من الآثار المحسوسة ما يعين النفس على اظهار ما في باطنها من تخيل حضور المحبوب وعهود اقترابه بما يبقى شاخصا على المنازل بعد الرحيل من آثار الإقامة وبقايا الديار والمتاع وهي الاطلال .

وباب البكاء عليها مفتوح في الشعر قبل امرئ القيس بدليل قوله

عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما بكى ابن خزام (٢)

وتلاعب به امرؤ القيس في قصائده وتفنن الشعراء من بعده في البكاء على الاطلال واكثروا حتى قال أبو تمام :

على مثلها من اربع وملاعب اذيت مصونات الدموع السواكب

وتجاوزوا البكاء الى تحية الطلل والحديث معه والدعاء له بالرعي والسقيا حتى استنطقوه وطلبوا

جوابه فممنهم من غني ببكائه عن جواب الطلل كما في تمام في قوله

من سجايا الطلل ان لا تجيبا فصواب من مقلتي ان تصوبا

فاسألنها واجعل بكائك جوابا تجد الدمع سائلا ومجيبا

وممنهم من تخيل قرب نطقه كما قال ذو الرمة

وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت ابكي عنده واخطبه

واسقيه حتى كاد مما اشبه تكلمني احجاره وملاعبه

وممنهم من انتهى به الوله الى ان سمع جواب المنازل واثبت حديثها كما قال المجنون

واجهشت للتوباد حين رايته وهلل للرحمان حين رأيته

واذريت دمع العين لما رايته ونادى باعلا صوته فدعاني

وقلت له اين الذين عهدتهم حواليك في عيش وخير زمان

فقال مضوا واستودعوني بلادهم ومن ذا الذي يبقى على الحدشان

واني لابكي اليوم من حذري غدا فراقك والحيان مؤثلفان

حتى اذا خلعوا حكم الوله عاودتهم صجوة فانكروا على انفسهم ما هم فيه من بكاء لغير سامع

(١) انظر الباب الحادي عشر من ديوان الصبابة

(٢) هكذا نرويه بسندا عن الاصمعي في ديوان الشعراء الستة

الفتاوى والفتاوى

نقل دخول شهر رمضان من بلد الى آخر بواسطة الهاتف
«التلفون» او المذياع «الراديو» هل يثبت به الشهر ام لا

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . اما بعد فقد كثر سؤال من سألني هل اذا ثبت دخول شهر رمضان بوجه الثبوت الشرعي في بلد وجاء الخبر بواسطة التلفون الى بلد آخر في الاعلام بثبوته هل يعتبر الاخبار بالتلفون مثبتا للشهر فيلزم اهل البلد المخبرين (بفتح الباء) العمل بذلك الخبر فيصومون او لا يعتقد به فلا يلزمهم الصوم وانا نرى الناس يخبر بعضهم بعضا بواسطة التلفون في الامور العادية فيعتمدون تلك الاخبار وينون عليها اعمالا كثيرة فهل ينون كذلك عليها امور عبادتهم . وهل يحصل ثبوت رمضان اذا بلغ الخبر بثبوته بواسطة المذياع (الراديو) من بعض مراكز الاذاعة بالبلاد الاسلامية

والجواب ان هذه مسألة قد كثر فيها خوض الحايضين وتخليط الناظرين يخالطون بين مختلف الاقوال ومختلف الصور والاحوال وانما الفتوى اجادة التنزيل لا كثرة القول والقليل . وان طرق ثبوت الامور الشرعية في العبادة والمعاملة غير طرق ثبوت الامور العادية فطريق ثبوت اوقات الصلوات وحديث مع غير عاقل وتعظيم لامر تافه كما قال امرؤ القيس : — وهل عند رسم دارس من معول — وقال الاعشى :

ما بكاء الكبير بالاطلال وسؤالي وما تردد سؤالي
وقال ذو الرمة :

امنزليتي مي سلام عليكما هل الازمن اللاتي مضين رواجع
وهل يرجع التسليم او يكشف العنا ثلاث الانافي والديار البلاقع

ومن هذا المذهب اخذ الشعراء المحدثون سيلهم في الاستخفاف بالاطلال تبعا لابي نواس في الحمريات والغزليات وابدع في ذلك البحري اذ عظم المحبة واستخف بالرسوم في قوله :

لا تقف بي على الديار فاني لست من اربع ورسم محيل
في بكاء على الاحبة شغل لآخي الحب عن بكاء الطلول

محمد الفاضل ابن عاشور

(يتبع)

آذان المؤذنين واخبار الموقتين . وطريق ثبوت طهارة الماء او ضدها اخبار رجل او امرأة موصوف بالعدالة ان بين الوجه او اتفق مع المختبر في المذهب وطريق ثبوت شهر الصوم او الفطر الشهادة برؤية الهلال ليلة ثلاثين من الشهر السابق اذا كان الراي رجلين عدلين او جماعة مستفيضة او باكمال الشهر السابق ثلاثين يوما . وطريق ثبوت الحقوق شهادة عدلين في غير المال وشهادة عدل وامرأتين فيما يرجع الى المال . وطريق ثبوت العيوب اخبار من له معرفة بها وان لم يكن عدلا

وقد يحصل الاطمئنان لطريق من طرق الثبوت العادية ولا يجزي بذلك الطريق في الامور الشرعية لان الشريعة قد عينت لثبوت اسباب التكليف طرقا خاصة رعا لاهميتها ولما يترتب عليها من المصالح فلا يجوز لنا ان نتعدها بقياسها على الامور العادية وهذا من مزالق الخطأ الذي تزل فيه اقدام كثير من الناس . ثم ان لائمة الفقه خلافا في وجوه طريق ثبوت رمضان والمشهور من مذهب مالك وعامة اصحابه عدا ابن الماجشون وهو الذي تنقلده في الفتوى والذي عليه اهل تونس وافريقيا الشمالية ان طريق ثبوت رمضان من قبيل الشهادة وهو وان كان فيه شايبة الرواية وشايبة الشهادة فقد غلب عليه عند مالك شايبة الشهادة لادلة من السنة الصحيحة كما بينه شهاب الدين القرافي في الفرق الاول ومن مراعاة مصلحة اجراء امر المسلمين على انتظام في القطر الواحد او في سائر الاقطار بقدر الامكان ومن اتقاء تعرض عبادتهم الى ظهور ما يناهضها من تبين كذب المخبر او توهمه بقدر الامكان فيما استبطنه من تحليل قول مالك رحمه الله ويترتب على كون طريق ثبوته من قبيل الشهادة ان لا يكون ثبوته بواسطة القضاة وان يكون ثبوته بواسطتهم شيها بالحكم فلذلك كان المشهور عمومه لسائر الآفاق اذا ثبت لدى احد قضاة الامصار الاسلامية بمنزلة الحكم الذي يرفع الخلاف ولذلك ايضا كان قابلا لتعيين العمل فيه باحد المذاهب من قبل السلطان لانه بمنزلة تخصيص القضاء بمذهب فان القضاء يقبل التخصيص ومن اجل ذلك كان العمل بالقطر التونسي في امر الصوم والفطر على مذهب مالك وكان المعين لاجراء اعمال الرؤية وثبوت الشهر هو قاضي المالكية مع وجود قاض حنفي بالحاضرة وكان ثبوته عند القاضي المالكي موجبا لثبوت العام بحيث يصوم الحنفي بثبوت الشهر عند القاضي المالكي برؤية عدلين الهلال مع ان المذهب الحنفي يشترط في الغالب الشهادة المستفيضة . فاذا تقرر هذا فطريق ثبوت الشهر اذا لم يكن على كمال ما قبله هو رؤية المكلف الهلال او اخبار رجلين عدلين برؤية هلاله ليلة ثلاثين او بشهادة مستفيضة وان لم يكونوا معروفين بالعدالة فاذا لم يحصل احدى هاتين الشهادتين لا يثبت الشهر الذي هو سبب وجوب الصوم ثبوتا شرعيا بحيث تترتب عليه مشروعية مسيبه وهو الصوم . ثم ان ثبوت رمضان شرعا نوعان ثبوت عام وهو الغالب وثبوت خاص وهو نادر فاما الثبوت العام فهو الثبوت عند قاضي البلد بوصف كونه

قاضيا فذلك الثبوت يجب العمل به على كل من في ولاية القاضي فهذا معنى كونه ثبوتا عاما . واما الثبوت الخاص فهو الثبوت عند الشخص في خاصة نفسه بحيث لا يتعداه الى غيره الا الى اهله كما سياتي والمراد بالشخص ما يشمل القاضي في خاصة نفسه لا بوصف كونه قاضيا اذا لم يبلغ طريق الثبوت لديه ان يكون طريقا عاما بل خاصا فاما طريق الثبوت العام فيحصل بثلاثة وجوه احدها حصوله بشهادة عدلين او جماعة مستفيضة عند القاضي برؤية الهلال . الثاني حصوله بخطاب قاضي بلد اخر اياه بثبوت رؤية هلال رمضان عنده اذا توفرت في ذلك شروط خطاب القضاة . الثالث حصوله بنقل ناقل للقاضي ان الشهر ثبت في بلد اخر حضره الناقل وهذان الوجهان الاخيران مبنيان على القول بان ثبوته في موضع يعم سائر الاقطار اذا نقل الى قضائها وهو المشهور خلافا لمن قال ان لكل قوم رؤيتهم . فان كان الناقل ناقلا عن رؤية عدلين فلا بد ان يكون الناقل عدلين ايضا باتفاق علماء المذهب لانه من باب نقل الشهادة ونقل الشهادة يشترط فيه ما يشترط في اصله المنقول فالشهادة في الامور التي لا يقبل فيها اقل من عدلين لا يكون نقلها الا بعدلين وثبوت رمضان من هذا النوع كما تقرر . وان كان الناقل ناقلا عن شهادة مستفيضة فقد اختلف علماء المذهب (اذ ليست المسألة بمنصوصة في الامهات) فالذي ذهب اليه الشيخ ابو عمران الفاسي وابن رشد في المقدمات و خليل في التوضيح وبهرام في الشامل وابن فرحون في شرح مختصر ابن الحاجب وهو ظاهر مختصر خليل انه لا بد ان يكون الناقل للقاضي عن المستفيضة عدلين الا اذا وجه القاضي من تلقائه عدلا يستكشف له الخبر عن ثبوت الشهر في بلد ما فيحيث يعمل القاضي بخبره ويثبت به الشهر ثبوتا عاما قاله ابن رشد في المقدمات لان ذلك العدل حيثذ قايم مقام القاضي في تلقى الثبوت عن شهادة البلد الآخر فكان بمنزلة القاسم والذي يوجهه بدلا عنه للتحليف وكل ذلك يكفي فيه العدل الواحد فاخرجوه من حكم نقل الشهادة والتحقيق ان الاكتفاء بالواحد في توجيه القاضي عدلا من قبله يستكشف له لا يختص بهذه الصورة بل يجري في سائر الصور) . وقال احمد بن ميسر يقبل العدل الواحد في النقل عن الشهادة المستفيضة ويثبت به الشهر عند القاضي واختاره الشيخ ابن ابي زيد وابن يونس والباجي وجعلوه من باب الخبر لا من باب نقل الشهادة .

وان كان الناقل نقل ثبوت الشهر عند قاضي بلد اخر فحكمه كحكم النقل عن الشهادة المستفيضة عند الفريقين من الفقهاء المذكورين . انفا عدا ابا الوليد الباقي فلم ارله فيه قولاً . واما طريق الثبوت الخاص فيحصل بالوجه الثالث من الوجوه الثلاثة المذكورة في طريق الثبوت العام . وان الاقوال في صورة هي عين الاقوال التي ذكرناها انفا الا ان ابن رشد يرجح في الثبوت الخاص الاكتفاء بالعدل الواحد فينضم في هذا الى قول ابن ميسر وموافقيه . وقد ظهر ان القولين في قبول

نقل العدل الواحد عن الشهادة المستفيضة وعن الثبوت لدى قاضي بلد آخر كلاهما مشهر . والذي تقلده ونفقي به ان ارجح القولين الجاري على قواعد المذهب هو قول ابي عمران وموافقيه من اشتراط كون الناقل عدلين في صور النقل كلها . اما بالنسبة للثبوت العام الذي هو الاهم عند الناس فلان الثبوت عند القاضي ضرب من الحكم كما تقدم فطريقة الشهادة وحكم النقل عن الشهادة كحكم الشهادة وحكم النقل عن الثبوت عند القاضي كحكم نقل حكم القاضي وحكم القاضي لا يثبت الا بشاهدين ولهذا اختار ابن رشد فيه قول من اشترط نقل العدلين اذ قد استقر المذهب على اعتبار طريق الثبوت العام للشهر شهادة وان ثبوته العام حكم . واما بالنسبة للثبوت الخاص فالقولان متقاربان من جهة النظر ولكن الارجح قول ابن عمران ايضا لان النقل فيه نقل شهادة فيجري على حكم الشهادة على الشهادة ونقل الثبوت لدى القاضي نقل حكم مع الغاء الفارق بين الثبوت العام والثبوت الخاص الا ترى ان المذهب لم يفرق بينهما في صورة ما اذا راي العدل الواحد الهلال واخبر بذلك رجلا انه لا يثبت بخبره دخول رمضان عند المخبر (بفتح الباء) ولا يصوم بخبره . فاذا تقرر هذا فالأخبار بواسطة التلفون يلزم ان تعرضه على قاعدة ثبوت الشهر شرعا ولا نجريه على اعتبارات الناس في مخاطباتهم العادية . فان كان الاخبار بالتلفون واردا الى قاضي البلد الذي لم ير فيه الهلال فان كان المخبر (بالكسر) قاضيا في بلد ثبت لديه الشهر وكان المخبر (بالفتح) قد تحقق صوته او اصطلحا على علامة بينهما لم يطالع عليها غيرهما كما نفعله في تونس في علامة الرسائل البرقية المنبئة برؤية هلال رمضان فذلك الخطاب التلفوني يثبت به الشهر عند المخاطب (بفتح الطاء) وهو من باب خطاب القضاة والمصير الى التخاطب بالرسائل البرقية (التلغراف) في ذلك اولى وابعد عن الريبة . وكذلك اذا كان المخبر (بالكسر) نائب القاضي المخبر مثل اخبار قضاة الكور لقاضي الجماعة . وان كان المخبر (بالكسر) غير قاض ولا نائبا عن المخبر (بالفتح) فيشترط في قبوله لدى القاضي المخبر (بالفتح) ان يكون خبر عدلين معروفين بالعدالة لدى القاضي المخبر (بالفتح) يخبرانه بان عدلين يعرفان عدلتهما رأيا الهلال او ان جماعة مستفيضة رآته او انه ثبت لدى قاضي البلد الذي به المخبران ويلزم ان يتحقق القاضي المخبر (بالفتح) صوتهما وان يكون اخبارهما بصريح الشهادة بكونهما سماعا من العدلين او من المستفيضة او من القاضي الذي ثبت لديه الشهر . واعلم انه كما يثبت الشهر عند القاضي بخطاب قاض آخر بالتلفون كذلك يثبت عند نواب القاضي وعند كل من له ولاية تخوله الاعلان بثبوت الشهر اذا تلقى الاعلام بذلك من القاضي او نوابه مثل العمال ونوابهم في البلدان والبوادي على الطريقة التي يتلفون بها اوامر رؤسائهم في معتاد اشغالهم كما يثبت عند عامة الناس بالعلامات الاصطلاحية المؤددة بثبوت الشهر مثل طلق المدفع وايقاد السرج بالمنارات وضرب الطبول ليسلا فكل ذلك يقوم مقام

قول القاضي للناس انه قد ثبت عندي دخول الشهر . واما اخبار الناس بعضهم بعضا بواسطة التلفون بانه قد ثبت الشهر فيجري على ما قررناه في طريق الثبوت الخاص بعد تحقق صوت المخبر او المخبرين (بالكسر) على الخلاف وذلك الخبر يقصر حكمه على المخبر (بالفتح) فيجب عليه العمل به في خاصة نفسه ويأمر به اهله فان ابوا ان يعملوا به فقليل يجبرهم نقله عبد الحق عن ابن الماجشون وقال ابن بشير لا يجبرهم ولا يشيع ذلك في الناس فيوقعهم في حيرة ولو اشاعه في الناس لم يجب عليهم الصوم بخبرة ولم يجزئهم اذا صاموا بخبرة لان الثبوت العام لا يكون الا من تلقاه قاضي البلد او نوابه الموجهين من قبله او المأمورين منه وهذا مقام يغلط فيه كثير من الكاتبتين والناظرين والعاملين عند قصد العمل به فيختلط عليهم حكم الثبوت العام بحكم الثبوت الخاص وربما افتوا السائلين بدون ثبت فغروهم فينبغي التيقظ والتثبت في ذلك لئلا يصبح امر المسلمين فوضى ولئلا يتسوز على الخطط الشرعية من ليس من اهلها . واما حكم ثبوت رمضان بواسطة المذياع (الراديو) من بعض مراكز الاذاعة في البلاد الاسلامية فان اذاعة الراديو الخبر بثبوت رمضان في بلد مركز الاذاعة لا يثبت به رمضان عند السامعين ثبوتا شرعيا يترتب عليه وجوب الصوم لكون المخبر بذلك واحدا ولا يعرف حاله في العدالة ولا هو موجه من طرف قاضي البلد ولا من طرف اميرها فاذا سمعه الرجل في خاصة نفسه لا يجب عليه الصوم واذا سمعه القاضي لا يبني عليه ثبوت الشهر الثبوت العام ومن يصحح لاحله صايما فلا اعتداد بضمومه وهو كصيام يوم الشك . فاذا اصطلح قضاة امصار الاسلام التي بها مراكز اذاعة على تنظيم الاخبار بثبوت الشهر لدى احدهم بواسطة المذياع فيلزم ان يعين كل منهم رجلا يوجه من طرف القاضي للاخبار بان الشهر ثبت عند القاضي ويجعلوا علامة لفظية يصطلحون عليها لا يطلع عليها غير القضاة المتخابرين وتجدد لكل شهر من اشهر العبادة فاذا نطق المخبر الموجه من طرف القاضي في مركز الاذاعة بخبر ثبوت الشهر اردف خبره بالنطق بتلك العلامة فيكون ذلك من قبيل خطاب القضاة مثل معرفة الخط ومعرفة الحتم والشكل فحيث يثبت الشهر لدى القاضي المخاطب (بفتح الطاء) وهو يعلم به اهل ولايته على الطرق المعتادة في الاعلام التي اشرنا اليها انفا .

افتي بذلك وانا محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي بتونس . وحرر في ١٤ شعبان سنة ١٣٥٥ و ٣٠ اكتوبر ١٩٣٦

مع بريد الجزائر

اتصلت ادارة المجلة من الشيخ الحاج الزواوي الجزائري بامساكية تحت عنوان « تحفة رمضان » فنشكر لهمة صاحبها وتقدر له صنيعة

الجواب عن اسئلة وردت على المجلة

س ١ - ذكر شيخ الجامع الازهر في فتواه للمنبوذيين في الهند في مسألة الختان . ان الختان يجوز للصغير والكبير . اما في الصغير فظاهر واما في الكبير فغير ظاهر لان كشف العورة محرم والختان سنة فكيف يجوز التلبس بفعل محرم لاجل ان لا يترك سنة

س ٢ - رجل تاجر مالكي صلى صلاة الجمعة مع السادة الحنفية . هل يجوز له البيع والشراء عند نداء صلاة الجمعة في الوقت الذي تقام فيه الجمعة بالمساجد المالكية . وان كان يجوز فما يفعل في قوله تعالى « اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم لاتعلمون » وهل يسأل المشتري هل صلى الجمعة ام لا . وان كان لا يجوز فهو مناقض للمقصود من الآية وهو السعي الى الجمعة وقد سعى

ج ١ - الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد فالجواب عن سؤال الختان والله الموفق ان النظر للعورة مباح للضرورة كالتوليد والختان والتطبيب فلا يصح قول السائل ان كشف العورة محرم والختان سنة فكيف يجوز التلبس بفعل محرم لاجل ان لا يترك سنة لان كشف العورة لضرورة دينية او بدنية مباح ولما استدل ابن شريح للشافعي على وجوب الختان باباحة محرم له وهو النظر للعورة احيب عن استدلاله بانه ابيح نظر العورة للطبيب وليس الطب بواجب مع ان الطب لمصلحة الجسم والختان لمصلحة الدين انظر الايني في شرحه على مسلم صفحة ٣٥ ج ٢

ج ٢ - عمن صلى الجمعة في جامع هل يجوز له البيع والشراء عند النداء الى الجمعة في جامع آخر فهو انما اذا بنينا على جواز اقامة الجمعة بجوامع متعددة في المصر الكبير للضرورة وهو ما جرى به عمل الامصار في غالب الاعصار فالبيع والشراء جائزان لمن اداها لان الامر بترك البيع في الآية معلل بخشية فوات الجمعة وهذا قد اداها وبعد ادائه لها يصير بمنزلة من لا تلزمه الجمعة واهل المذهب قيسدوا حرمة البيع بمن تلزمه قال حافظ المذهب وزعيم الفقهاء ابن رشد يمنع من البيع من تجب عليه الجمعة ومن لا تجب وترفع الاسواق واما في غير الاسواق فجائز للعبيد والنساء والمسافرين واهل السجون والمرضى ان يتابعوا فيما بينهم اه . فانت تراه قد اجاز البيع لهؤلاء الذين لا تلزمهم الجمعة واما قوله يمنع من البع من تجب عليه الجمعة ومن لا تجب وترفع الاسواق فمعناه الحيلولة بينهم وبين التباعد في الاسواق وقت النداء والمراد من المنع الجبر على اغلاق الاسواق وعدم التمكين من التباعد فيها وقت النداء وهذا هو الذي عناه خليل في مختصره فقال . واقامة اهل السوق مطلقا قال

شارحه عبد الباقي وندب للامام اقامة اهل السوق منه بوكيل من ناحيته على ذلك مطلقا من تلزمه
ثلاثا يشتغل عنها ومن لا تلزمه ثلاثا يشغلوا من تلزمه او يستبد بالربح فيدخل على من تلزمه الضرر
فمنعوا ولو كفارا اصلاح العامة اهـ

واما سؤال البائع الذي صلاحها في جامع للمشتري هل صلى الجمعة فلا يلزم لان عدم الصلاة وقت
النداء مع وجوبها عليه مانع من البيع والشك في المانع غير مؤثر على ما تقرر في علم الاصول وبيان
الشك هنا ان المشتري يحتمل انه قد صلاحها او ممن لا تلزمه لسفر او مرض او غيرهما فلو تحقق البائع
ان المشتري ممن تلزمه وانه لم يؤدها لم يجز له مبايعته في ذلك الوقت في الزرقاني وفسخ بيع حرمة
حيث كان ممن تلزمه الجمعة ولو مع من لا تلزمه اهـ وفي المدونة فان تباع اثان تلزمهما او احدهما
فسخ البيع وان كانا ممن لا تجب الجمعة على واحد منهما لم يفسخ اهـ محمد العزيز جعيط - المفتي المالكي
س ٣ - ما معنى قول الفقهاء في كتاب الرضاع الاخت اخيه رضاعا ؟

ج ٣ - عبارة الفقهاء هنا وتحل اخت اخيه رضاعا ونسبا وهي خالية من اداة الاستثناء لانها قضية
مستقلة ليست مستثناة من غيرها ولعل العبارة المسئول عنها الا ام اخيه واخت ابنه وهي مستثناة من القاعدة
المشهوره يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب وذلك لان ام الاخ من النسب ما ام او موطوءة الاب وكلاهما
حرام واخت ابنه من النسب اما بنت او ربيبة وكلاهما حرام وهذا المعنى مفقود في الرضاع فتحل ام الاخ
رضاعا وتحل ذلك ثلاث صور لان الرضاع اما ان يتعلق بالمضاف او بالمضاف اليه او بهما معا الصورة
الاولى ان يكون لك اخ من النسب له ام من الرضاع الثانية ان يكون لك اخ من الرضاع له ام من
النسب الثالثة ان يكون لك اخ من الرضاع له ام من الرضاع ففي هذه الصور الثلاث تحل لك ام
اخيك ومثل ذلك يقال في اخت الابن والله اعلم .

س ٤ - رجل ولي الخطابة باحد المساجد هل يجوز له اخذ الاجرة عليها ؟

ج ٤ - ذهب ابو حنيفة واصحابه الى بطلان الاجارة على الامامة والاذان وتعليم الفقه والقرآن
وغير ذلك من الطاعات ولكن افتى المتأخرون من اتباعه وهم مشايخ بلخ بجواز الاستجار على هذه
الاشياء وعملوا ذلك بالضرورة اي ضرورة المحافظة على الشعائر المذكورة لظهور التواني بين الناس
في الامور الدينية فلو لم يرخص لهم في اخذ الاجرة عليها لضاعت والمتقدمون انما كبرها ذلك لانه
كان للمعلمين والائمة ونحوهم عطايا من بيت المال فكانوا مستغنيين عما لا بد لهم من امر معاشهم اما
اليوم وقد حرموا من عطايهم فلا مانع من اخذهم الاجرة على ما يقومون به من عمل . فالحاصل ان
للإمام ان يأخذ الاجرة على الامامة كما افتى به المتأخرون قاطبة . محمد الخطاطب بوشناق

المدرس من الطبقة الاولى الحنفية

زيارة عالم اديب لادارة المجلة

زارنا في ادارة المجلة العالم الفاضل الاديب الشيخ محمد شاكر المدرس بالجامع الكبير بصفاقس فلهنجزنا بادبه ولطفه وقد تفضل بالقاء هاته الايات المتضمنه لتحية المجلة مع تاريخ صدور ها واليك هي :

برزت تطررز بالبراء فنونه	هذي مجلة جامع الزيتونة
ادب وتاريخ فخذ مضمونه	تفسير قرآن وسنة احمد
يجالو على نفس الاريب رعونه	وتغذ من عرفانها تظفر بما
تمالك من العلم الصحيح حصونه	واقرا بحسن عناية وتبصر
يا فوز من بالعلم زان شؤونه	وادع الاخلا لاجتناء ثمارها
عقدالها غدت الكواكب دونه	واشكر لفضل جهابذقد نظموا
يارب حقق فيك ما يرجونه	واسال من الله الجزاء لهم وقل
نور وفا المجلة الزيتونة	لا سيما ما جا بقول منورخ

٥٠٩ ٥٠٣ ٨٧ ٢٥٦

١٣٥٥

مجلة مكارم الاخلاق

صدرت بمدينة صفاقس (تونس) مجلة مكارم الاخلاق لصاحبها الفاضل السيد علي قدور (نهج العبدول عدد ١٤ بصفاقس وهي مجلة نصف شهرية.. صدر العدد الاول منها في غرة شعبان المنصرم . والغرض منها خدمة العلم والاخلاق والادب والتاريخ ويقوم بالتحرير فيها نخبة من افاضل علماء صفاقس وادباؤها . وقد تصفحنا العديدين الاولين منها فوجدناها مطابقة للغرض الذي استت لاجله . مع الاسلوب الحسن وسهولة التناول . فنرجو لها حياة منتجة خصبه . ونتمنى لصاحبها اعانة من الله تمكنه من مقاومة التيارات الكثيرة التي تعترض كل من يعمل مثل هذا العمل العظيم .

مجلة الافكار

صدرت مجلة (الافكار) لصاحبها الاديب السيد محمود قوجه . وهي مجلة شهرية وقد صدر العدد الاول منها مؤرخا يوم غرة نوفمبر الجاري (الموافق ليوم ١٦ شعبان المنصرم) والغرض منها خدمة العلم والادب والتاريخ وخصوصا التاريخ والاداب التونسية . ويقوم على تحريرها والعمل فيها نخبة صالحة من الشبان الذين جمعوا بين الادب وحسن التفكير وصدق العزيمة على راسهم الاديب الفاضل السيد نور الدين بن محمود . وقد تصفحنا العدد الاول منها فاذا هو جميل في منظره مبهج في مخبره . وقد اشتمل على مقالات في مواضيع مختلفة . ونحن نرجو لها نجاحا مبطردا . ونموا مستمرا . حتى تكون عنوانا صادقا على ما وصل اليه تفكير الشبان بتونس من الرفعة والدقة والاعتدال نجح الله سعيهم . وثبت خطاهم

جدول شهر رمضان المعظم لسنة ۱۳۵۵

مساجد		افطار		مساجد		افطار	
س	ق	س	ق	س	ق	س	ق
٥٨	٠١	٥	١٥	٥٨	٠١	٥	١٥
٥٨	٠٢	٥	١٤	٥٨	٠٢	٥	١٤
٥٩	٠٣	٥	١٣	٥٩	٠٣	٥	١٣
٥٩	٠٤	٥	١٢	٥٩	٠٤	٥	١٢
٥٩	٠٥	٥	١٢	٥٩	٠٥	٥	١٢
٥٩	٠٦	٥	١٢	٥٩	٠٦	٥	١٢
٥٩	٠٧	٥	١١	٥٩	٠٧	٥	١١
٥٩	٠٨	٥	١٠	٥٩	٠٨	٥	١٠
٥٩	٠٩	٥	٠٩	٥٩	٠٩	٥	٠٩
٥٩	١٠	٥	٠٩	٥٩	١٠	٥	٠٩
٥٩	١١	٥	٠٩	٥٩	١١	٥	٠٩
٥٩	١٢	٥	٠٨	٥٩	١٢	٥	٠٨
٥٩	١٣	٥	٠٧	٥٩	١٣	٥	٠٧
٥٩	١٤	٥	٠٧	٥٩	١٤	٥	٠٧
٥٩	١٥	٥	٠٦	٥٩	١٥	٥	٠٦



تباع المجلة في الاماكن التالية

اماكن بيع المجلة بالحاضرة

- المكتبة العلمية سوق الكتبية رقم ١٢
- مكتبة الاستقامة نهج سيدي ابن عروس رقم ٣٤
- المكتبة العتيقة سوق الصوف رقم ١٣
- مكتبة الامان سوق السرايرية رقم ٢٢
- مكتبة الاطلس نهج سيدي ابن عروس رقم ٤٤
- المكتبة الزيتونية سوق السرايرية
- مكتبة الرجاء سوق الكتبية رقم ٢
- المكتبة العربية الكبرى سوق السرايرية
- مكتبة العنابي (اخوان) نهج باب البنات
- مكتبة السعادة نهج الكتبية رقم ٤
- دكان السيد محمد بن عمر جوار ادارة الاوقاف رقم ٧٢
- البشير وبلقاسم بن عماره سوق السرايرية ٣٠

اسماء متعهدي بيع المجلة في بلدان المملكة

- السيد الحبيب الذوايدي بنزرت نهج احمد باي
- » احمد المراط متعهد بيع المجلات بنزرت
- » عمر بن يدر بقريفيل
- » علي المزي بماطر
- » احمد بن الحاج عبد الرحمن العجالي بتلييه
- » عبد القادر قروبج بنابل
- » حموده الذكواني بمنزل جميل

السيد حمدان الشريف بسوسة

- » محمد الصالح البكوش بباجه
- » محمد العربي بالمكئين
- » محمد زهرة بالمنستير
- » ابوبكر بن محمد الصانع بقصر هلال
- » الصادق بوزيان بالقيروان
- » سعد بن بلقاسم الصحراوي بسيطة
- » علي بسباس بسوق الجمعة رقم ١٢ بصفاقس
- » قدري قعيب بقفصة
- » المكتبة الاسلامية بتوزر
- » عمر اسكندر بنقطة
- » شرف الدين الدقاشي بدقاش
- » محمد بن علي امنجه بقابس
- » حمزة شورو بميدون جربة

اسماء متعهدي بيع المجلة بالقطر الجزائري

- السيد محمود نسيم بشارع لالير رقم ٤٢ بالجزاير
- » محمود باش طنجي بساحة شارتر بالجزائر
- » مكتبة النجاح بقسنطينة
- » قندوز نهج جنجراس بسطيف
- » الاخضر بن مبارك بسكرة
- » بن داود بساحة دي فرقولات بعنابة
- » محمد الهادي جلال بتبسة
- » مكتبة السيد مصطفى باغلي بنهج سكاك ٢ بتلمسان

المجلة الزيتونية

مجلة علمية اوبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مركزى جامع الزيتونة للتحقيق

الجزء الرابع تونس في شوال عام ١٣٥٥ وفي ديسمبر عام ١٩٣٦ المجلد الاول

شهرية وستنتها عشرة اشهر

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن ميمون

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الباشا بن القايسى

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٠٧-٣٧

صاحب المجلة :

محمد شاذلى بن القايسى

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثانى بجامع

حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمجلد الادارة

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

بمناسبة عيد الفطر المبارك ابرزنا هذا العدد بحجم اكبر من المعتاد

المجلد الاول

فهرس العدد

الجزء الرابع

صحيحة

- ١٥٤ حكمة الاعياد ومغزاها بقلم رئيس التحرير
- ١٦١ المقدمة الثالثة في التفسير بغير المأثور الخ « صاحب الفضيلة شيخ الاسلام المالكي
- ١٦٤ ختم الحديث الشريف بجامع حمودة باننا « صاحب الفضيلة الامام شيخ الاسلام الحنفي
- ١٧٠ ما اشتهر من الحديث الموضوع « العلامة التحرير الشيخ محمد الصادق النيفر
- ١٧٠ عصمته صلى الله عليه وسلم في هواه « العالم المدرس الشيخ الناصر الصدام
- ١٧٨ التشريع الاسلامي والمرأة « صاحب الفضيلة الامام الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط المقي المالكي
- ١٨٢ فتوى في حكم معاملة ارباب المعاصر
- للملكي الزياتين والتجار الخ « صاحب الفضيلة شيخ الاسلام المالكي
- ١٨٦ الاعلام بفضل العرب في الجاهلية
- والاسلام - ٢ - « العالم المدرس الشيخ علي النيفر
- ١٨٩ الاسلام منقذ البشرية « الحقوقي الاستاذ المهدي بن الناصر
- ١٩٢ الاخلاق ونباغ عناية الشارع بها « العالم المدرس الشيخ محمد الهادي ابن القاضي
- ١٩٧ كرسي الملك الحسيني « العالم المؤرخ السيد محمد بن الخوجه المستشار بالحكومة التونسية
- ٢٠١ مظاهر العيد عندنا « شعر « مدير المجلة
- ٢٠٢ المكتبات وعناية الامم الحية بها « الاديب الشيخ محمد بن الشاذلي العنابي
- ٢٠٧ المسلمون بفينلاندا « المؤرخ البارع السيد عثمان الكعاك
- ٢١١ مشكلة المرأة التونسية من حيث التربية والتعليم
- ٢١٢ في دار الشريعة المطهرة

الاشتراك

- عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠ وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا
- » بلاد شمال افريقيا ٣٠ كانت ممضاة من امين المال
- » في الخارج ٤٠ والمخابرات المالية لا تكون الا معه
- يخصم الربع للتلازمة

المجلة الزيتونية

مجلة علمية اوبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مذكرى جامع الزيتونة بالعمور

المجلد الاول

تونس في شوال عام ١٣٥٥ وفي ديسمبر عام ١٩٣٦

الجزء الرابع

شهرية وستتها عشرة اشهر

تهنئة بالعيد

تقدم بالتهنئة الخالصة بهذا العيد المبارك للسدة الشاخرة العلية صاحب العرش الحسيني امير القطر سيدنا ومولانا احمد باشا باي والامراء رفقاء الشان من سلالة الامير حسين ووزراء دولته العظام وكافة ملوك الاسلام وعموم المسلمين في جميع بقاع الارض وندعو الله مخلصين ان يعم المسلمين بالهناء الشامل ويجدد هذا العيد بالسعد الكامل ويعقد الامل بالنجاح . ويصل الهمم بالعزيمة الصادقة والفلاح ويرفع عن الامة ما لحقها من الهوان . ويرشد شيوخها والكهول والشباب للتعاون على منافع سعادة الاسلام انه سميع مجيب .

محمد شاذلي بن القاضى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاعیاد

حكمة الاعیاد ومغزاها — الاعیاد السياسية وما لها من اثر في النهوض بالامم —
الاعیاد الاسلامية الدينية

بقلم رئيس التحرير

لكل امة ايام تتخذها اعيادا فتظهر فيها بمظاهر الفرح والسرور والابتهاج .
وتستريح فيها من عناء الاعمال الشاقة . والاشغال اليومية المتعبة للأفكار . والمنهكة
للقوى . فتستعيد بتلك الاعیاد نشاطها . وتستأنف العمل من جديد . بقوة وعزيمة
من جديد

والاعیاد . اما دينية او سياسية . فالاعیاد الدينية تحيي المشاعر . ويتذكرو بها الناس
ما بسطه الله عليهم من النعم الوافرة . وما وفقهم اليه من القيام باعباء ما كلفوا به على
احسن وجه . فتكون تلك الاعیاد ابغ مظهر من مظاهر شكر الله على انعامه

والاعیاد السياسية تذكي الشعور وتبعثه من مرقد . لانها ذكريات تقيمها الامم
لتخليد ما لها من ايام غرر . وما لرجالها من مواقف صادقة . وعزائم صارمة . فتنبعث
بتلك الاعیاد العزائم الحاملة . والنفوس الهامدة . ويسعى الخلف لادراك شاو السلف .
وما الاعیاد السياسية الاعتراف من الامم بالجميل لابطالها الذين افنوا انفسهم
واموالهم في سبيلها . واقرار بالفضل لمن قدموا مصلحة العامة على مصلحة النفس .
وئاتروا مصلحة الوطن على مصلحة الذات . وبذلك تنبعث الهمم من مرقد ها . ويسعى
كل واحد من الامة لعمل ما يقدر عليه لصالحها . لان النفوس مجبولة على حب الشناء
والاعتراف بالفضل . فاذا رأى الناس ان عمل السابقين لم يذهب سدى ولم تعبت به

يد النسيان • شمروا عن ساعد الجد • وواصلوا العمل لاصلاح امهم وابلاغها من الرقي
والتقدم الى اقصى حد

ولقد بالغ الغريون في زماننا هذا في اكرام الابطال من رجالهم وتمجيدهم
والتنويه بشانهم - ونعم ما صنعوا - حتى صارت ايامهم كلها ذكريات • ولم يقتصروا
على مجرد الاحتفالات • ووضع الكتب في حياة الافراد بل زادوا على ذلك فوضعوا
ذكريات مجسمة بان نصبوا التماثيل في طرقاتهم وساحاتهم لكل من له من الامة يد
عليها سواء في العلم او الادب او الطب او الاكتشاف او غيرها

ونحن معاشر العرب قد فرطنا في ذلك تفريطا فاحشا • فجهلنا اسماء عظمائنا
فضلا عن تاريخهم واحياء ذكرهم • ونحن وان كان تخليد الاشخاص عندنا لا يجوز
بنصب التماثيل • لكن لنا وسائل كثيرة يمكن لنا بها تخليد عظمائنا الذين نسيناهم
فجهلهم الناس وغفلنا عنهم فانكرت فضلنا الامم •

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة على الحر من وقع الحسام المهند
على اننا احوج الى الذكريات منهم • فهم يتذكرون قدماءهم ولهم من مجدهم
الحاضر ما يبهر الانظار • ويفني عن التذكار • ونحن قد نسينا قدماءنا • ومجدنا في اضمحلال
ومصيرنا الى زوال • مع انه قد كانت لنا ايام غرر محجلات • ورجال ابطال عظام ومجد
تصاعد حتى تجاوز السماكين واعتلى على الفرقدين •

وايامنا مشهورة في عدونا	لها غرر معروفة وحجول
واسياقنا في كل شرق ومغرب	بها من قراع الدارعين فلول
معدودة ان لا تسلم نصالها	فتغمد حتى يستباح قبيل
وانا اناس لا نرى القتل سبة	اذا ما راته عامر وسلول
يقرب حب الموت • آجالنا لنا	وتكره آجالهم فتطول
ومامات مناسيد في فراشه	ولا تطل منا حيث كان قتيل
ونكر ان شئنا على الناس قولهم	ولا ينكرون القول حين نقول
اذا مات منا سيد قام سيد	قؤول لما قال الكرام فعبول

تلك هي ايماننا ورجالنا ومجدنا فنسينا ذلك كله . وكان حتما علينا ان نجعله نصب
اعيننا . حتى تكون لنا بتلك المقارنة والمقايسة عبرة تبعث فينا العمل على استعادة ذلك
المجد الغابر . والنهوض من كبوة هذا الخط العائر .

تلك هي الاعياد وما فيها من مغزى . فاعتبر بها ايها القاري النبيه . ولا تظننها
مجرد ايام تنقضي في اللهو والسرور . وتكثر الزيارات . وتبادل الجمل الباليات
الميتات .

ونريد ان نرجع بك بعد هذا الى الحديث عن الاعياد الإسلامية التي لها صبغة
دينية وما فيها من الحكمة البالغة فنقول

ان شريعة الاسلام تنطوي في كل ما جاءت به على حكم سامية . واغراض عالية
فهي شريعة جد وعمل . لا تخلو كل جزئية مما اشتملت عليه من عبرة لمن يعتبر .
وموعظة لمن لم يطبع الله على قلبه بطابع الكفر والفسوق والعصيان

وليس المقام مقام ان نحدثك عن تفصيل ذلك . فلذلك فرص اخرى لا يزال في
الوقت متسع بحول الله لبسطها والتوسع فيها . وانما نريد ان تقتصر الآن على بيان
اصول الاعياد في الاسلام

للمسلمين عيد اسبوعي . وثلاثة اعياد سنوية . فالعيد الاسبوعي هو يوم الجمعة .
والاعياد السنوية هي يوم عيد الفطر ويوم عيد الاضحى ويوم عاشوراء

يوم الجمعة

هو يوم مبارك قد ادخره الله لهذه الامة الإسلامية ليكون عيدها الاسبوعي .
فاتخذت الامم السابقة علينا عيدها الاسبوعي في غير لا وضلت عنه . فاتخذ اليهود عيدهم
في يوم السبت واتخذ النصارى عيدهم في يوم الاحد . وبقي هذا اليوم المبارك عيدا
للامة الإسلامية اكراما من الله لها حسبما يصرح بذلك الحديث المروي في صحيح
البخاري وصحيح مسلم بروايات مختلفة تقتصر منها على روايتين من لفظ الثاني فالاولى
(عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون

الاولون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا - اي يوم الجمعة - يومهم الذي اختلفوا فيه هداانا الله له فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى (والثانية) اخبرنا معمر عن همام بن منبه اخي وهب بن منبه قال هذا ما حدثنا ابو هريرة عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا وادتيناه من بعدهم . وهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فاليهود غدا والنصارى بعد غد) واهم ما امتاز به يوم الجمعة عن بقية الايام الساعة التي يستجاب فيها الدعاء . وقد رويت في ذلك احاديث كثيرة في صحيحي البخاري ومسلم منها بلفظ الثاني (عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيرا الا اعطاه قال وهي ساعة خفيفة)

وقد اختلف السلف رضي الله عنهم في تعيين هذه الساعة والاصح المعتمد انها حصّة تكون ما بين جلوس الامام على المنبر الى انقضاء الصلاة يؤيد ذلك ما اخرجه مسلم ايضا (عن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري قال قال لي عبد الله بن عمر اسمعت اباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن ساعة الجمعة قال قلت نعم سمعته يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هي ما بين ان يجلس الامام الى ان تقضى الصلاة)

ويظهر لي والله أعلم انه لا مجال للاختلاف في تعيينها بعد ثبوت هذا الحديث اللهم الا ان تكون قد قامت ادلة اخرى لمن خالف في ذلك هي في نظره اقوى من هذا الحديث .

واصرح حديث في فضل يوم الجمعة ما رواه مسلم رضي الله عنه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة . وقد فرض الله على عباده في هذا اليوم صلاة الجمعة وحثهم على الظهور بمظهر

الفرح والسرور حتى تكون حالتهم ناطقة بشكر الله وتقدير ما انعم به عليهم بتخصيصهم بهذا اليوم العظيم . فهذا هو يوم الجمعة وهذا اسرار الله التي اودعها الله فيه .

عيد الفطر وعيد الاضحى

الاصل في هذين العيدين حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي أخرجه النسائي وابن حبان قال (قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان في كل سنة يلعبون فيهما . فقال صلى الله عليه وسلم : قد أبدلكم الله تعالى بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم الاضحى)

فاما عيد الفطر فحكيمته هي اظهار شكر الله على ما وفق اليه من اداء فريضة الصيام على اكمل وجه وأي عمل يبتهج به المسلم اهم من القيام بما فرضه الله عليه .
واما عيد الاضحى . فحكيمته هي اظهار شكر الله على ما انعم به من القيام بفريضة الحج وادائه على أحسن وجه . اما بالنسبة لمن قام بالفريضة فالامر ظاهر . واما بالنسبة لغيره فليكون مشاركا في السرور لاختيه المسلم الذي قام بها . وليبعث فيه ذلك السرور حرصا ونشاطا على ان يؤدي تلك الفريضة في اقرب وقت .

وقد سن الله تعالى في هذين اليومين صلاة العيد وان يخرج الناس اليها وعليهم علائم الفرحة والترفة والابتهاج حتى تكون نعمة الله ظاهرة عليهم . والله يحب ان يشاهد آثار نعمته على عبده .

ورحمة من الله بالفقراء اوجب صدقة الفطر في عيد الفطر . واوجب الضحية في عيد الاضحى . حتى يتيسر للفقراء ان يشاركوا الاغنياء في الاحتفال بالعيد . اذ بما ينالونه من الصدقة مالا او لحما يكونون قد كفوا مؤنة السؤال واراقة ماء الحيام في ذلك اليوم العظيم .

وقد امتاز عيد الاضحى بانضمام عيد آخر اليه وهو انه قد نزلت في ليلته اي عشية يوم عرفة الاية التي اعلم فيها الله رسوله صلى الله عليه وسلم بكمال الدين . وناهيك بهذا العيد العظيم الذي كملت لنا فيه شريعتنا وفاح في ذلك اليوم مسك ختامها .

ولو لم يصادف ان كان نزولها في يوم عيد لا اتخذ المسلمون يوم نزولها عيداً مستقلاً حسبما يستفاد من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع بعض اليهود الذي رواه البخاري في كتاب الايمان من صحيحه ونصه :

« عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلاً من اليهود - وهو كعب الاحبار قبل اسلامه - قال له يا امير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً • قال - اي عمر - اي آية قال - اي كعب - اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً . قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة) وفي رواية اسحاق بن قبيصة زيادة في آخر الحديث هكذا (يوم جمعة يوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد)

ولا يخفى عليك بعد التأمل في هذا الحديث أن سيدنا عمر قد وافق السائل على أن يوم نزول هذه الآية يكفيه ان يكون عيداً بنزولها فيه • ولكن لما كان اليوم نفسه يوم عيد فقد تداخل العيدان • واجتمع لنا في ذلك اليوم فضيلتان وشرفان ومعلوم تعظيمنا لكل منهما على حدة فاذا اجتمعاً فقد ازداد التعظيم

يوم عاشوراء

واما يوم عاشوراء فاصله عيد سنه سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لبني اسرائيل حيث انه هو اليوم الذي نجى الله فيه موسى وقومه من فرعون وعمله فهو اليوم الذي شق فيه البحر لموسى فدخله مع بني اسرائيل فتبعهم فرعون وقومه فادركه الفرق وكان من المهلكين فصامه موسى شكراً لله • فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاركه في اظهار السرور والقيام بواجب شكر الله فصامه وامر بصيامه • وقد افصح عن ذلك حديث الشيخين واللفظ لمسلم (عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا اليوم الذي تصومونه • فقالوا : هذا يوم عظيم انجى الله فيه موسى وقومه وغرق

فرعون وقومه فصامه موسى شكراً فنحن نصومه • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن احق واولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر بصيامه •

ويؤخذ من صحيح الامام احمد رضي الله عنه ان ليوم عاشوراء مزية اخرى وهي انه اليوم الذي استوت فيه سفينة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام على الارض ونص مازاد على رواية الصحيحين : (وهو اليوم الذي استوت فيه السفينة على الجودي فصامه نوح شكراً)

هذه اصول الاعياد الاسلامية تعرضنا لها بما يقتضيه المقام • وبقيت هناك اعياد دينية اخرى اصطلح عليها المسلمون فيما بعد وجرى عملهم على الاحتفال بها والتنويه بشأنها • منها ليلة السابع والعشرين من رمضان • ويوم الهجرة • ويوم المولد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام •

وهي ايام جديرة بان يحتفل بها وان ينول بشأنها وان تقام لها المواكب الجمّة الاحشاد • وان يكون الناس فيها في جذل واسعاد • ومن العجيب ان بعض الناس يريد ان يثير اشكالا بان الاحتفال بها من قبيل البدع • وعليه فيجب ان لا يحتفل بها • ويظهر لي ان هؤلاء الناس ممن يشملهم الصنف الثالث من الاصناف التي انكرنا عليهم في افتتاحية العدد السابق فينبغي ان لا يلتفت اليهم • وان لا يقام لكلامهم وزن • وفقنا الله للقيام بما فرضه علينا من التكليف والسنن • ووقانا عواقب الشرور والفتن •

محمد المختار بن محمود

تنبيه :

المرغوب من السادة الفضلاء المشتركين بالمجلة الزيتونية ان لا يساموا معلوم اشتراكمه لاحد الا اذا قدم لهم وصل الاشتراك ممضي من امين مال المجلة وعليه طابعها

القرآن الكريم

دروس التفسير

لصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

المقدمة الثالثة في التفسير

بغير المأثور وبالرأي وبالباطن والاشارة

ان قلت اترك بما عددت من استمداد علم التفسير تجوز لمن استجمع من تلك المادة حظا صالحا وذوقا يفتح له بهما من معاني القرآن ما ينفتح عليه ان يفسر القرآن ويتجاوز ما أثر عن المتقدمين فيفسر القرآن بما يجري على قواعد تلك العلوم وهل ان هو فعل ذلك ففسر آية بشيء لم يذكره السلف يعد مفسرا للقرآن برأيه فلا يحق عليه التحذير الوارد فيما رواه ابو داود والترمذي والنسائي من قوله صلى الله عليه وسلم « من تكلم في القرآن برأيه فاصاب فقد أخطأ » وكيف تحاشى بعض السلف عن ذلك فقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقد سئل عن تفسير حرف من القرآن قيل عن الاب في قوله وفاكهة وأباً أنه قال : أي أرض تغلني واي سماء تظلني اذا قلت في القرآن برأئي . وتحاشى سعيد بن المسيب والشعبي عن ذلك .

قلت أراني كما حسبت اجيز ذلك وهل اتسعت التفاسير وتفننت مستنبطات معاني القرآن الا بما رزقه اهل العلم من الفهم الصحيح في كتاب الله . وهل يتحقق قول العلماء ان القرآن لا تنقضي عجائبه الا بهذا أما انه لو وقف الناس عند المأثور

من التفسير لكان التفسير ورقات قليلة فقد ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله الا آيات بعدد عامه جبريل اياهن . وقد كنت مثلت لكم ذلك بتفسيره لعدي بن حاتم معنى حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر . ثم لو كان التفسير مقصورا على بيان معاني مفردات القرآن بحسب اللغة العربية لكان ضئيلا ونحن رأينا كثرة النقل عن السلف من الصحابة فمن يليهم تفسير اكثر مما ذلك الا افهام رزقهم الله اياها قال الغزالي والقرطبي: لا يصح ان يكون كل ما قاله الصحابة في التفسير مسموعا من النبي صلى الله عليه وسلم لوجهين احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يثبت عنه من التفسير الا تفسير بعض آيات كما تقدم الثاني انهم اختلفوا في التفسير على وجوه مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان بعضها مسموعا لترك الآخر . قلت أي لصرح سامعه لمخالفه بالرواية حتى يرجعوا اليه فتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه . وقد روى البخاري في صحيحه عن ابي جحيفة قال قلت لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي الا ما في كتاب الله^(١) قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه الا فهمما يعطيه الله رجلا في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير وان لا يقتل مسلم بكافر اهـ

فما جاءت هاته التفاصيل النافعة التي اقتبست منها سائر العلوم الاسلامية الا بافهام العلماء في معاني القرآن وقد قالوا في حروف فواتح السور اقوالا كثيرة لا مع انها ابعد الفاظ القرآن عن استنباط المعاني منها فما ظنك بغيرها . وذكر ابو بكر ابن العربي في

(١) لا شك ان الداعي لابي جحيفة هو ظهور مقالة بعض الشيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اسر لعلي بما لم يقله لغيره من الوحي فانهم قالوا ان القرآن وقر بعير وانه عند سيدنا علي ثم توارثه ائمة آل البيت وهو الآن عند الامام المنتظر فلعل تلك المقالة ظهرت في زمن ابي جحيفة او ان ابا جحيفة ظن ان مكان علي من رسول الله واخوته ومصاهرته تخصه بشيء من الوحي سمعه منه غير ما في المصحف .

العواصم انه امل على سورة نوح خمسمائة مسألة وعلى قصة موسى ثمانمائة مسألة . قال الفخر في تفسير قوله تعالى « وعاشروهن بالمعروف » من سورة النساء ما نصه : وقد ثبت في اصول الفقه ان المتقدمين اذا ذكروا اوجها في تفسير الآية فذلك لا يمنع المتأخرين من استخراج وجه آخر في تفسيرها والا لصارت الدقائق التي استنبطها المتأخرون في التفسير مردودة وذلك لا يقوله الا مقلد خلف

وان شئت دليلا من المنقول فحسبك قوله تعالى « ولو ردوا الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » واولو الامر هم اهل العلم كما قال الغزالي فاثبت لهم استنباطا والاستنباط حقيقة استخراج الماء من البئر عند الحفر يقال نبط الماء ونبط البئر كنصر وضرب ومجازة كل ما اظهر بعد خفاء فقد استنبط واستنباط العالم استخراج العلم بفهمه واجتهاده فهو استعارة وجه شبهها تشبيه كد الذهن لاستفادة المقولات بآلات علمية بكيد اليد بآلات الحفر لاستخراج ماء من البئر ثم صارت هاته الاستعارة حقيقة عرفية عند الفقهاء والاصوليين اقتباسا من القرآن . ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل . وقال الفقهاء في آداب قراءة القرآن ان التفهم مع قلة القراءة افضل ولا شك ان التفهم لكل قارئ بما يناسبه وغايته للعالم ان يستنبط معاني اذ لم يقولوا استحضر ما فسر به السلف افضل . وقد عد حجة الاسلام ابو حامد في باب آداب تلاوة القرآن من الاحياء اشياء من جعلتها التدبر عند قراءته وفسر له بانها اعادة النظر في الآية وان يتفهم ويستوضح من كل آية ما يليق بها لتتكشف له من الاسرار معان مكنونة لا تنكشف الا للموفقين قال : ومن موانع الفهم ان يكون قد قرأ تفسيراً واعتقد انه لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وان ما وراء ذلك تفسير بالرأي فهذا من الحجب العظيمة

محمد الطاهر ابن عاشور .

(يتبع)



الحديث الشريف

درس ختم الحديث الشريف الذي القاه فضيلة الاستاذ
الاكبر والعلام الاشهر الشيخ سيدي محمد بن يوسف
شيخ الاسلام الحنفي يوم ١٧ رمضان المنصرم بجامع
حمودة باشا المرادي بمحضر الحضرة الشاحنة العلية وآل
البيت الكرام والوزراء الفقهاء

باب قول الله تعالى وَنُصِّعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَنَّ أَعْمَالَ
بَنِي آدَمَ وَقَوْلُهُمْ يُوزَنُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ الْقِسْطُ السَّادِسُ الْعَدْلُ بِالرُّومِيَّةِ وَيُقَالُ
الْقِسْطُ مَصْدَرُ الْمَقْسُوطِ وَهُوَ الْعَادِلُ وَأَمَّا الْقَاسِطُ فَهُوَ الْجَائِرُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ
أَشْكَبَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ عَنْ عِمَارَةَ بْنِ التَّعَفُّعِ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَتَانِ
حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ سُبْحَانَ اللَّهِ
وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ

البيان

افتتح البخاري كتابه هذا بحديث الأعمال بالنية والأعمال واقعة في الدنيا وختمه
بحديث وزن الأعمال الواقع في الآخرة وصلا للمبتدأ بالمنتهى وإشعاراً بالامعة الرمز الى استيفاء
الغرض وحصول التمام وذلك من براعة الملقط وحسن الختام ولا غرو فقد التزم رحمه
الله في هذا التأليف المبارك ان يكون في الحديث الاخير من كل كتاب من الكتب
المرجم بها ما يشعر بالانتهاء كقوله في آخر بدء الوحي فكان ذلك آخر شان هرقل وفي
آخر كتاب الايمان ثم استغفر ونزل ولن تجد ما يتخلف عن ذلك الا قليلا
كيف لا والامام البخاري من أهل الترجيح وتمييز الصحيح من غيره ذلك ان

الاحاديث لم تكن مدونة في عهد الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة رضي الله عنهم وانما اعتمدوا في ذلك العصر على الحفظ والتلقي بطريق الرواية قالوا التلاميذ يشتغل الناس بها عن القراءة وينبغي أن يضاف لذلك خشية الالتباس واختلاط القراءة بغيره كما وقع لأهل الكتاب فانهم كتبوا مع كتاب الله كتباً أخرى وربما كان ذلك هو المبدأ فداخله التحريف يرشدنا لذلك ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن واستشار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإشار عليه غالبهم بذلك فمكث شهراً يستخير الله ثم أصبح يوماً فقال اني كنت ذكرت لكم من كتب السنن ما علمتم فاذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم كتبوا مع كتاب الله كتباً فاكبوا عليها وتركوا كتاب الله واني لا ابس كتاب الله بشيء فترك كتابة السنن واستمر الحال على ذلك الى آخر المائة الاولى

ولما تواتر القراءة في سائر الاقطار الاسلامية وأقبلت الامة على الاعتناء بحفظه وامن بذلك من الالتباس والاشتغال عنه وخيف ذهاب الكثير من السنة بذهاب رواتها وقع إذ ذاك تدوينها في جميع الانحاء على اختلاف مشارب رجالها ثم جاءت طبقة من المحدثين صرفوا عنايتهم نحو الاختيار والترجيح فدوّنوا ما رووه ورأوا من الصحيح طبق ما اشترطوا في طريق الرواية وحال الرواة وفي مقدمة هذه الطبقة شيخا السنة ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج وقد أبدع البخاري في تدوين كتابه هذا بما لم يسبق اليه وكأين من اشارة لطيفة في مدارج اسلوبه الحكيم الا يرى كيف صدر الباب هنا بالآية التي ورد فيها ذكر الميزان بصيغة الجمع وخرج الحديث الذي جاء فيه الميزان بصيغة الافراد تنبيهاً على ان الجمع لا تعدد الموازين بالنظر الى الاشخاص أو باعتبار الاحوال كما قيل بل لتعدد انواع العمل كما يرشد اليه فمن ثقلت موازينه اي اعماله الموزونة فانها الموصوفة بالثقل والخفة او للتفخيم على شاكلة قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين مع ان المرسل اليهم واحد وهو نوح عليه السلام ولا يشكل اتحاد الميزان مع كثرة الموزون لان احوال القيامة لا تكيف باحوال الدنيا

وقد اجتمعت الامة على وجوب الايمان بالميزان يوم القيامة لثبوتها بالكتاب والسنة البالغة مبلغ التواتر كما اجمع اهل السنة على انه ميزان حسي له لسان وكفتان توزن به صحائف الاعمال او نفس الاعمال فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون وقدالت المعتزلة ليس هناك ميزان حسي وتأولوا بأنه مجاز ومثل للقضاء بالعدل والراجح ما ذهب اليه اهل السنة وهو المتبادر من الآيات والاحاديث ومنها حديث الباب كلمتان حييتان الى الرحمن اي محبوب قائلتهما ومحبة الله للعبد مجاز عن الثواب او ارادته وفاقا للقاعدة المستمرة فيما ورد مما لا يجوز إطلاقه بالمعنى الحقيقي على الله تعالى كالرحمة والغضب والحياء وغير ذلك من المعاني المختصة بالاجسام واعتمادا في تعيين المجاز على التردد المقرر بين الاشعري والباقلاني في الحمل على النهايات كلاحسان في الرحمة الذي هو من صفات الفعل او البدايات كإرادة الاحسان التي هي من صفات الذات

وخصت المحبة هنا بالاضافة الى الرحمن لمناسبة مورد الحديث وهو الدلالة على سعة فضل الله ورحمته حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل،

قل وهذا الفضل الذي تضمنه حديث الكلمتين ونظائرها مما ورد في الاذكار والاعمال الصالحة انما هو للمتقين اهل الشرف والكمال في الدين لا لكل عامل وذاكر وقد انتحى هذا القائل مسلك الشهاب القرافي وهو قبول العمل الذي هو عبارة عن الثواب مع كونه بمحض الفضل مشروط بالتقوى مستدلا بقوله تعالى في قصة ابي ادم انما يتقبل الله من المتقين وان المراد من التقوى هو المعنى العرفي اعني المبالغة في القيام بالواجبات واجتناب المحرمات وبعبارة عدم العصيان غالبا وان ما جاء من الادلة المطلقة في الوعد على العمل الصالح بالمشوبات المتعددة والمضاعفة المتنوعة محمول على شرط التقوى بالمعنى المذكور على طريقة حمل الطلق على المقيد فعلا للتعارض هذا خلاصة ما استظهر في الفرق الخامس والستين

وتعقبه سراج الدين ابن الشاط بان حمل التقوى على المعنى العرفي مجرد احتمال غير متعين لا يعارض ولا يقيد اطلاق قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقوله والله يضاعف لمن يشاء وقوله عليه الصلاة والسلام صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس

او سبع وعشرين درجة وغير ذلك من الآيات والاحاديث المتكاثرة المتضافرة لظواهرها على الاطلاق وعدم التقييد البالغة في ذلك مبلغ القطع وان الظاهر تفسير التقوى بمطلق الايمان الموافى عليه اي الايمان الذي يتوفى عليه الشخص سواء كان الغالب عليه عدم العصيان او لا وتفسير التقوى بهذا المعنى هو الذي يتلاقى مع ظواهر تلك الأدلة ويلائم ما انبأت به القواطع من اتساع باب الرحمة وساحة الفضل فماتم حينئذ الاطلاق لان الموعود بالشواب هم المؤمنون وهم متصفون بالتقوى بمعنى مطلق الايمان فالتقييد عين الاطلاق هذا ما حرره ابن الشاط والقول ما قاله القرافي إن سلمه ابن الشاط كما في ضوء الشموع للشيخ الامير

وتوضيحه ان مرجع النظر في هذه المسألة الى قاعدة حمل الكل المطلق كالتقوى على ادنى مراتب افرادها او على اعلاها وقد حرر القرافي في الفرق الحادي والعشرين ان فروعها ليست سواء بل هي على انواع نوع اجمع الناس فيه على الحمل على الاعلى وهو ما ورد في الاوامر بالتوحيد وكال تعظيم والاجلال في ذاته تعالى وصفاته العليا فلا خلاف في أن المأمور به في هذا النوع هو أقصى غايته الممكنة للعبيد ولذا قال عليه الصلاة والسلام لا أحصي ثناء عليك كما أثنت على نفسك ونوع أجمع الناس فيه على الحمل على الادنى وهي الاقارير فاذا قال له علي دنانير يقبل تفسيره باقل مراتب الجمع وهو ثلاث لان الاصل براءة الذمة النوع الثالث ما اختلف فيه العلماء لعدم اقترانه بما يعين احد الامرين وذهب كل فريق إلى ما ترجح عنده بما لا يعدو طريق الظن والاجتهاد كالرشد في قوله تعالى فان استم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم حملة أبو حنيفة ومالك رضي الله عنهما على الادنى وهو الرشد في المال خاصة وحمله الشافعي رضي الله عنه على الاعلى وهو الرشد في المال والدين والصعيد في اية التيمم حملة أبو حنيفة ومالك على الادنى وهو ما يسمى صعيداً اي وجه الارض تراباً كان أو حجراً صلباً وحمله الشافعي على الاعلى وهو التراب وما اشبه ذلك من الفروع الخلافية بين ارباب النظر

وبذلك يتبين جليا ان التقوى التي هي شرط القبول والشواب ينبغي ان تكون

من النوع الثاني الذي يتعين فيه الحمل على الأدنى وهو مطلق الايمان كما قال ابن الشاط
لاقتراحه بما يعين ذلك وهي الأدلة الكثيرة المتضافرة ظواهرها على الإطلاق وقد صرح
ابو اسحق الشاطبي بان كثرة الظواهر تفيد القطع

ويؤيده ايضا حديث البطاقة الذي رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه
وهو ان الله تعالى يستخلص يوم القيامة رجلا على رءوس الخلائق ينشر عليه تسعة
وتسعين سجلا كل منها مثل مد البصر ثم يقول له اتنكر من هذه شيئا اظلمك كتبني
الحافظون فيقول لا يا رب فيقول له تعالى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم
فتخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر
وزنك فيقول ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال له انك لا تطعم فتوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة اي لمضاعفة تلك الحسنة الى
ما شاء الله بسبب ما اقترن بها من الاخلاص وقوة التصديق وان كان صاحبها قليل العمل
وفي الحديث الحسنة بعشر امثالها الى سبعين الى سبعمائة ضعف الى ما شاء الله والله يضاعف
لمن يشاء. هذا ويظهر لي ان ما ورد من الفضل ومضاعفة الثواب في بعض الاعمال وبعض
الاذكار منوط بقصد العبادة والتقرب الى الله تعالى وتصور معنى الذكر ولو في الجملة لا
بمجرد العمل واجراء الكلام على اللسان مع الغفلة وعدم القصد يرشدنا لهذا قوله تعالى
(وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وقوله (الا لله الدين الخالص) وان النبي
صلى الله عليه وسلم ذكر في مواضع الترغيب الصدق والاخلاص فقال مرة من قال
لا اله الا الله صدقا من قلبه ومرة خالصا او مخلصا كما في صحيح البخاري وغيره وبذلك
يتجلى انه لا محيص عن تقييد تلك الظواهر المتضافرة على الإطلاق بما دلت عليه الأدلة
القاطعة من اعتبار حضور القلب وقصد التقرب الى الله تعالى وظني ان هذا هو الوسط
العدل بين تضيق القراني وتوسيع ابن الشاط

وكلمتان خبر مقدم وما بعده صفة والمبتدأ سبحانه الله وبجملة مقصود لفظه على
وزان هجيري ابي بكر لا اله الا الله اي هذا اللفظ وهو سبحانه الله الخ كلمتان
حبيبتان الى الرحمن وقدم الخبر تشويقا لطوله بالافصاف الباعثة للسامع على التشوف

وانتظار المسند اليه ليتمكن في النفس فضل تمكن وكلما ازداد الخبر طولا ازداد التقديم حسنا وموقعا وعلى هذا الطراز البلاغي نقول

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وابو العباس والقمر
وعساك ايها الباحث عن لطائف السحر البياني ان يزيدك البيت لطيفة اذا ما
زدته نظرا وهي ذكر ثالث النيرين وسطا بين الطرفين للاشعار بزيادته عليهما عملا
بقاعدة خير الامور الوسط

وانظر هل يجري منحى هذا التشويق في المبتدأ الموصوف مجردا في الخبر ولم
يصرح به اهل الصناعة قصدا الى ادراكه بالمقايسة او لا يجري ذلك المجرى لكونه
خاصة الخبر. هذا الذي افضنا القول فيه من تقديم الخبر هنا هو الذي رجحه شراح الحديث
ورجح الكمال ابن الهمام في تعليقه على اعراب الحديث جوابا عن سؤال القى اليه ان
المتقدم هو المبتدأ وسبحان الله وبحمدا هو الخبر موجهها ذلك بان الاصل عدم التقديم
والتأخير الا لموجب وبان الخبر محط الفائدة وسبحان الله مفيد بنفسه بخلاف كلمتان
فباعتبار الوصف والمفيد بالذات أولى من المفيد بالوصف

وفيه ان ما علل به لا يقاوم فكيف يغالب غرض التشويق واحربه أن يكون
موجبا وداعيا لخصوصية التقديم المطابق لمقتضى الحال وان لا يعتد معه بكون الافادة
بالذات او الوصف خصوصا مع صدور الكلام عن أبلغ البلغاء وأفصح من نطق بالضاد
اللهم إلا إذا رجعنا في الحافرة وقلنا لا مانع من إجراء المبتدأ الموصوف مجرى الخبر في
غرض التشويق ولعل هذا ملحظ ابن الهمام في الترجيح لحصول الغرض البلاغي حينئذ
مع رعاية الاصل

وسبحان مصدر على إضمار الفعل أي اسبح سبحان الله والتسبيح هو تنزيه الله
تعالى عن عوارض الحدوث والولد والشريك تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وإنما كرر
التسبيح للتنبيه على كمال الاعتناء بشأنه دفعا في صدور المخالفين من أهل الملل والنحل
الفاسدة سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وقد أشعروا وصف الثقل في الميزان بفائدتين مزدوجتين فضيلة التسبيح بالكلمتين

الحديث الموضوع

— ٣ —

المشتهر منه

ذكرنا في الفصول السالفة أسباب الوضع وعلامات الحديث ونريد أن نذكر في هذا الفصل تنقاً من احاديث متكلم فيها عند نقدة هذا الفن ولها اشتهار بين خطبائنا او في مجالس الخاصة وغرضنا من ذلك ان يفتقروا على مقالة علماء الحديث الذين عنوا بتمييز الصحيح من غيره فيها حتى يكونوا على بينة من أمرها واليك بعضها :

حديث : رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهرا متي ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال الحافظ ابن حجر في كتابه تبيين العجب انه موضوع ايضا وللخطباء ولع بذكره

واما حديث : اتاكم شهر رمضان شهر مبارك تفتح فيه ابواب الجنة وتغل فيه

وجهة التفضيل وهي كثرة الثواب وفق لقاعدة المؤسسة على السمع من قواعد التفضيل كالايمان فانه افضل الاعمال ناهيك بعظم ثوابه وهو الخلود في الجنان والخلوص من النيران وكالصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم فانها افضل من الف صلاة في غيره وفي المسجد الحرام افضل من الف ومائة وفي بيت المقدس بخمسمائة صلاة

هذا وقد ورد في التسييح احاديث وآثار كثيرة منها ان سبحان الله والحمد لله والله اكبر من الباقيات الصالحات والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ومن فضيلة التسييح انه جاء في معرض المعجزة اخرج البخاري في علامات النبوة عن ابن مسعود رضي الله عنه كنا نسمع تسييح الطعام وهو يؤكل ولم نقف على صيغة التسييح المسموع من الطعام والظاهر ان الصيغة هي سبحان الله وبحمده لقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وكما جاء اليسبيح في معرض المعجزة كذلك جعل مقدمة الاعتذار في قول الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وجعل فاتحة الدعاء فكان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء بقوله سبحان ربي الاعلى الوهاب

مردة الشياطين وفيه ليلة هي خير من الف شهر من حرم خيرها فقد حرم . فقد رواه الامام احمد والبيهقي والنسائي عن ابي هريرة

حديث : الشتاء ربيع المؤمن طال ليله قمامه وقصر نهاره فصامه . رواه ابو يعلى والعسكري بتمامه واحمد وابو نعيم بالاختصار على الشتاء ربيع المؤمن وكلهم رواه عن ابي سعيد مرفوعا وفي مسند ابو الهيثم ضعفه جماعة ووثقه آخرون وله شواهد فيصير حسنا لغيره منها ما رواه الطبراني وغيره عن أنس مرفوعا . الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة

حديث : ابي الله الا ان يرزق عبدا المؤمن الا من حيث لا يعلم اورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال البيهقي ضعيف بالمرّة لانه من رواية عمر بن راشد واية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) ليس فيها حصر

حديث : اتخذوا عند الفقراء ايادي فان لهم دولة يوم القيام قال الحافظ ابن حجر لا اصل له وذكر السخاوي عدة احاديث بمعناه وعقب عليها بقوله كل هذا باطل حديث : اتقوا زلة العالم قال الهندوي هو ضعيف ان لم يكن موضوعا لكن روى البيهقي عن ابن عمر مرفوعا ان اشد ما أتخوف على امتي ثلاثة زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تقطع اغناقكم فاتهموها على انفسكم وهو بمعناه والمشهور على الالسنّة زلة العالم زلة العالم

حديث : اتق شر من أحسنت اليه وفي لفظ ما تحسن اليه قال السخاوي لا اعرفه ويشبه ان يكون من كلام بعض السلف وهو ليس على اطلاقه بل محمول على اللئام دون الكرام فمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال ما وجدت لئاما قط الا قليل المروءة وفي التنزيل (وما نعلموا منهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله) وقال ابو عمرو ابن العلاء يخاطب بعض اصحابه كن من الكريم على حذر اذا اهنته ومن اللئيم اذا اكرمته ومن العاقل اذا اخرجته ومن الاحق اذا رحمته ومن الفاجر اذا عاشرته : وهذا الشاعر يقول

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

حديث : اجتمعوا وارفعوا أيديكم فاجتمعنا ورفعنا أيدينا ثم قال اللهم اغفر للمعلمين ثلاثا كيلا يذهب القرآن واعز العلماء كيلا يذهب الدين قال في الثالي انه موضوع وسلمه غيره

حديث : الاجتماع مقدر قال السخاوي لم اقف على انه حديث وانما قيل انه من كلام اويس القرني

حديث : أحب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوماما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوماما رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة والطبراني عن ابن عمر وابن عمرو والدارقطني والبيهقي عن علي موقوفه والبخاري في الادب المفرد فلا متحلم فيه حينئذ

حديث : اختضبوا فان الملائكة يستبشرون بخضاب المؤمن نقل ابن حجر المكي عن السيوطي انه كذب موضوع

حديث : اخفوا الختان وأعلنوا النكاح قال السخاوي لا اصل للاول يعني اخفاء الختان ويشهد لما روي فيه من الاعلان قول سالم ختني ابي (يعني ابن عمر) انا ونعيمنا فذبح علينا كبشا فلقد رأيتنا وانا لنجدل به على الصبيان ان ذبح علينا كبشا وبوب له البخاري في الادب المفرد بالدعوة في الختان وبالله في الختان وذكر احاديث تشهد للاعلان به

حديث : اخوك البكري ولا تأمنه قال في المقاصد رواه ابو داود واحمد وغيرهما مرفوعا والبكري بكسر الموحدة وهو الذي ولد له ابواك اولا ومعنى الحديث المبالغة في التحذير اي اخوك الشقيق احذره ولا تأمنه فضلا عن الاجني وهذه كلمة جاهلية تمثل بها الرسول عليه الصلاة والسلام من قصة مطولة سردها ابو داود

حديث ادفع الشك باليقين . من القواعد الجارية على السن الفقهاء (وهو وان أخرجه السخاوي عن دائرة الحديث لكن له شاهد من الصحيح وهو : دع ما يريبك الى ما لا يريبك . وفي الحلية لابن نعيم عن الثوري : عليك بالزهد يبصرك الله عورات

الدنيا وعليك بالورع يخفف حسابك ودع ما يريبك الى ما لا يريبك وادفع الشك باليقين يسلمك دينك

حديث ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين فان الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحي بجار السوء وفي رواية قيل : يا رسول الله وهل ينفع الجمار الصالح في الآخرة ؟ قال : هل ينفع في الدنيا ؟ قالوا : نعم . قال كذلك ينفع في الآخرة . هذا الحديث منظوم عند ابن الجوزي في عداد الموضوعات بيد أن عمل السلف والخلف لم يزل على هذا ومما يشهد له ما أخرجه ابن عساكر عن علي رضي الله عنه : امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدفن موتانا وسط قوم صالحين فان الموتي يتأذون بالجار السوء كما يتأذى به الاحياء

حديث شبه الشيء منجذب اليه^(١) وفي لفظ شبيه ليس من كلام الرسول وهو بمعنى الارواح جنود مجندة ومن العبارات الدائرة على الالسنه : الجنس الى الجنس اميل

حديث شرار امتي العلماء الذين ياتون الامراء وخيار الامراء الذين ياتون العلماء روى شطره الاول فحسب ابن ماجة لكنه بسند ضعيف حسبما نص على ذلك الزين العراقي في تخريج احاديث الاحياء

حديث شرار امتي الذين غدوا بالنعيم يأكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام رواه ابن ابي الدنيا في ذم الغيبة والبيهقي وسنداه ضعيف حديث شراركم معلوموا صبيانكم اقلهم رحمة على اليتيم واغلظهم على المسكين

(١) ضمن العلامة الشيخ المكي بن عزوز دفين الاستانة المتوفي سنة ١٣٣٤ هـ هذا المثل في المصراع الاخير من ابيات اربع كتبها بخطه تحت عنوان مؤلفه « السيف الرباني » وبعث بها الى جدنا القاضي العادل الشيخ محمد الطاهر النيفر المتوفى سنة ١٣١١ هـ وهي :

- | | | |
|---------------------------|---|-------------------------|
| كتاب ام ذا شرف فخيم | ✽ | حسام الشرع اضحى في يديه |
| جناب الطاهر السامي مقاماً | ✽ | رقى اوج السماك باخضيه |
| وسيف قضاة اهل العصر حقاً | ✽ | طفأة الوقت خاضعة لديه |
| ولم لا ينتحى سيف لسيف | ✽ | وشبه الشيء منجذب اليه |

من خصائصه صلى الله عليه وسلم

عصمته في هواه
بقلم العالم النحرير الشيخ الناصر
الصادق المدرس بجامع الزيتونة

إذا توجهت عناية الله تعالى لشيء كانت الأكسير الذي يستحيل به النحاس ذهباً وينقلب به السبب مانعاً والمانع سبباً (قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق الآية (قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً ان هذا لشيء عجيب قالوا أتنبئين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد)

هاته آيات فصلت من كتاب وذكر حكيم دبجنا به ما نحدثك عن ميزة من ميزات محمد رسول الله وخاتم النبيين وشاردة من شاراته اذ لم يسبق لاحد فيما علمت - التنبيه على أنها من خصوصياته الا وهي عصمته صلى الله عليه وسلم في هواه فإنه لما أحاطت به العناية الربانية أصبح كله لله وبالله ومن الله والى الله وكذلك ربك إذا أحب عبداً كان له سمعاً وبصراً ولساناً وقلباً ورجلاً ويداً وما حديث الشق عن الصدر الشريف إلا آذان في الخليفة أولها وآخرها بانه القلب الذي هو بيت الرب والمكان الذي بورك حوله ليرى محمد صلى الله عليه وسلم بالبصر والبصيرة الآية الكبرى (ما كذب الفؤاد ما رأى)

افاد في اللثالي انه موضوع ولعمري كيف لا يكون كذلك وهذا المرشد الاعظم يقول خيركم من تعلم القرآن وعلمه على ما رواه البخاري والترمذي عن علي رفعه حديث شر الحياة ولا الممات هو من كلام بعض الحكماء وليس بحديث ثم انه كلام صحيح ان كان مراد قائله بشر الحياة ما ينتاب المال والانفس من الاعراض الدنيوية وما الى ذلك واما ان كان يقصد بشر الحياة الى ما هو اعم من ذلك ومن جلته الفتنة في العقيدة فهورد (يتبع)

خادم الحديث : محمد الصادق النيفر

وما العدول عن الماء إلى الثلج عند الغسل مع أن الماء أنقى « لو كانت الادران »
إلا لينثلج ذلك الصدر المبارك للحقائق وليستعد لما يفاض عليه من الاسرار والانوار
حتى لا يكون مبهوراً (كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً) (١) وما الحتم بين
الكتفين الشريفين إلا لتأسيس الاولين والآخرين من محاولة بلوغ ذلك الشأو ولأنها
المنح التي لا تنبغي لاحد من قبل أو بعد ولتعميد ايضاً من شر الوسوس الخناس
الذي يوسوس في صدور الناس (لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) (٢)
فهو صلى الله عليه وسلم مطرد العصمة في جميع الاوقات وعموم الحالات وبسائر
التقلبات حتى في اتباع هوى نفسه وأميلها وإن هو إلا ما ربك اوحى لها

يشهد لذلك امور منها قول الصديقة رضي الله تعالى عنها (ما ارى ربك إلا
يسارع في هواك (٣) وجه الدلالة أن المسارعة هنا مأولة بالتشريع على وفق ما تهواه
نفس الحبيب صلى الله عليه وسلم والتشريع مطلقاً أي خاصاً كان أو عاماً أمر والله تعالى
لا يأمر بالفحشاء والمنكر وكذلك قوله سبحانه (قد نرى قلبك وخبك في السماء
فلنولينك قبلة ترضاها) وهاته الآية الكريمة تدل على ما ذكر من حيث انها سيقنت
مساق التبشير له صلى الله عليه وسلم والامتنان عليه بما يهواه ويتطلع اليه وهو التوجه
الى أول بيت مبارك وضعه للناس أبواه ابراهيم عليه السلام ولانه الوطن الأصلي وحب
الوطن من آلايمان

ومما يشهد لذلك ويدل عليه قوله جل وعلا (وتخفي في نفسك ما الله مبديه
وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه) وهاته دلائلها من حيث أن الانسان يخفي

(١) وهاته دلائلها على تحقيق توجه العناية الالهية لاعداد المحل لما يحل

(٢) فيها دلالة على العناية بجنس التأييد والتثبيت

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح مترجماً له بقوله هل للمرأة ان تهب نفسها لاحد فقال (حدثنا
هشام عن ابيه قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
عائشة اما تهتجي المرأة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قالت يا رسول الله
ما ارى ربك الا يسارع في هوك رواه ابو سعيد المؤدب ومحمد بن بشر وعبد بن هشام عن ابيه عن
عائشة يزيد حديث بعضهم على بعض اه) قلت وفيه دلالة على فقه نفس الصديقة وفهمها عن الله تعالى
فرضي الله عنها وعن سائر امهات المسلمين

في نفسه ما يشفق فيه من الملامة والتعنيف فالمخفي من هوى النفس لا محالة وإبداء الله تعالى لهذا المخفي إبداء تكريم وتشريع لا إبداء ملامة وتشنيع
ومن تلك الأدلة قوله عليه الصلاة والسلام (حُبُّي مِنْ دِيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ) فإن النساء والطيب مما تهووا النفس لا محالة وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام في شأن الصلاة أيضا (أَرْحَنُ بِهَا يَا بَلَالُ) فإن فيه دلالة من حيث أن النفس ترتاح لهواها وتملأ العيون وتقر بحبيبتها ومن ذلك حديث شق الصدر المومى إليه فإنه خصوصية أيضا لها دلالة على هاته الخصوصية من حيث الارتباط والمنشأة

واعلم أن هذا التحقيق قد استتبع تحقيقا وأشرق نورا فاستوضحنا به إلى الهدى طريقا وذلك شأن الحقائق في بدو أنوارها للمشاهد إذ هي سبوح لها منها عليها شواهد والذي تراءى لنا من ذلك أمران الأول أن قوله سبحانه (وما ينطق عن الهوى) هو مما كني فيه بنفي اللازم عن نفي الملزوم^(١)

الثاني أن معاد الضمير في قوله تعالى (أن هو الاوحي يوحى) لفظ الهوى المتقدم لا القصة والشأن ولا القرآن كما قيل بذلك إذ الأصل في المعاد الذكر دون الحذف فلا يصار إليه إلا لدليل

فذلك برهانان من ربك لقينا بهما نجاحا في غابر الأزمان ودليلا ن وضاءان على تطاول العهد ما مستهما يدان

وبهذا التحقيق تجتث جذور الفتنة في قضية تزوجه صلى الله عليه وسلم بزوجة متبنية نسفا فينقطع الافاكون ويقتل الخراصون

هذا حاصل ما علمت مما يدل على عصمته صلى الله عليه وسلم في هواه أما دليل اختصاصه بذلك فمنه قوله جل وعلا حكاية لمقالة سليمان عليه السلام وتقريراً لمضمونها (إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) وقوله سبحانه في قصة يوسف عليه السلام (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه)

(١) أي فهو قضية سالبة صادقة بنفي موضوعها كقوله على لا حب لا يتهدى بمنارة

كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) وكذلك تنبيهه تعالى لداود عليه السلام عن اتباع الهوى وتحذيره من وخامة عواقبه في قوله (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) فانك إذا قايت ما خوطب به داود بما خوطب به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم في الآي المتقدمة ونحوها تبينت تفاوت المراتب وان من الاله مقام معلوم وحاصل ما في المقام انهم عليهم الصلاة والسلام معصومون من هواهم وهو صلى الله عليه وسلم معصوم في هواه وهذا وأمثاله رمز الى سمو منزلته وكمال اختصاصه بربه سبحانه فحقاً أن النفسية الحمديدية كنز من كنوز الله المطلسمه وهي كهرياء العوالم التي هيئات أن تدرك كنهها الافكار ويرحم الله أويسا القرني اذ يقول (والله ما عرفتم من محمد إلا ظله ولا يعرف محمداً إلا ربه) فالحمد لله الذي قسم لنا من هذا النور الحميدي ما عرفنا به لذلك الجنب الارتفاع عصمته في هواه وهدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

ما هوى نفسه الزكية بالمر	دي ولا بالمخوف في عقبه
بل هو الوحي افعم الكل قطعاً	فالانا ما حوى لشيء سوا
وكذا اليمن حيثما حل يسري	نفعه في اجزاء ما قد حوا
ولذا مثل الله بالمش	كآ فيها مصباحها وسنا
موقداً من (زيتونة) كاد منها الز	زيت ان يشرق الضلام صفاء
هكذا سيد الخليفة اضحى	بصفا النفس مستبان هدا
فهموا لو لم يبعث اليها رسولا	لأينال للعلا منتهال

الناصر الصدام

تنبيه

وقع تحريف في الآية الكريمة الموجودة بالسطر السابع من صحيفة ١٥٠ من الجزء الثالث وصواب الآية (اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) كما وقعت بعض اخطاء مطبعية اخرى لا تخفى على القاري اللبيب

التشريع الاسلامي

والمرأة

بقلم الملامة الحليل الامام النظار الشيخ سيدي محمد
العزير جعيط المفتي المالكي والاستاذ بجامعة الزيتونة

كثيراً ما فوق المتعصبون من الغربيين سهام الانتقاد على الشريعة بتبعية الاجحاف
بحقوق المرأة حتى اثر ذلك على بعض المنتمين الى الاسلام ممن فتنهم زبرج التمدد
الغربي فانصاعوا لاقوال اهلهم دون تمييز بين السمين والغثيث والطيب والخبيث وأصبح
النساء مشار فتنه من ناحية العدل في التشريع كما كن وما زلن حبايل فتنة من ناحية العفة
والاستقامة

لهذا آثرنا الحديث على مراعاة الشارع للمرأة في جميع أطوارها وعامة نواحيها حتى
يتجلى لذي عينين محاسن هذه الشريعة المباركة فيما تضمنته تعاليمها من مراعاة مصالح النساء

المرأة في طور الطفولة

كان الجاهلية يرون ان البنات عبء ثقيل عليهم لانهن لا يشددن ازر القبيلة ولا
يمنعن طوارق الغارات ولا يقوين على القيام بمؤنة الابوين والاقارب وهن مع ذلك
عرضة لهوان السبي وذلة الفجور وسبب للفاقة فكان نفورهم منهن عظيماً وربما طغت
وساوس النفور ببعضهم فدفعتهم الى وأد بناته تخلصاً من شرهن وما زالت هذه الكراهة
تساور نفوس بعض المسلمين الذين لم يرتاضوا بالآداب الشرعية وتنتاب قلوب الاجانب
عن الدين الاسلامي الذين تعودوا تحمل تكاليف مالية في سبيل تزويج بناتهم فجاءت
الشريعة الاسلامية السمحة بحماية البنت من خطر اثر النفرة ونهت عن وأد البنات فقال
الله تعالى (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم) ثم بينت ما يوجب

استئصال النفرة من النفوس وينبها من غفلتها بايقاظ الشعور بما تقوم به البنت من الخدم الجليلة وتجلبه من الانصار بسبب الاختان والاصهار عند ما تصير قيمة بيت زوجها فقال الله تعالى في معرض التنبيه على انعام الله على عبده (والله جعل لكم من جنسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات) اي جعل لكم من جنسكم ازواجا لتأنسوا بهن وتقيموا بذلك جميع مصالحكم وجعل لكم من ازواجكم بنين يحمون ظهوركم وبنات يخدمن بيوتكم اتم خدمة وعبر عن البنات بالحفدة (والحافد المسرع في الخدمة والطاعة) ايذاً بوجه المنة (وهذا أحد الافهام في الآية وقيل المعنى جعل لكم من ازواجكم بنين واعوانا من الاخذان والانصار وقيل غير ذلك) ولم تقف الشريعة عند حد ايقاظ التدبر المفضي لتقلص ظل كراهتهن بل ترقى فيثبت ان العوامل التي كانت تدفعهم الى الكراهة تحمل في مطاويها سعادة الفوز بالنعيم المقيم والنجاة من العذاب الاليم فجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتلي من البنات بشيء فاحسن اليهن كن له سترا من النار والتعبير بالابتلاء للجريان عادة الناس بكراهتهن كما قال تعالى (واذا بشر احدكم بالانثى) الآية ولا يقتضي الحديث ان لا يكن سترا الا لمن أحسن اليهن على تكرار حتى يتقرر كونهن بلية لان الحديث خرج مخرج الغالب والمسالك العربية تقتضي اهمال مفهومه والاحسان الوارد في الحديث لا يختص بناحية معينة بل يحصل بكل من اصل الانفاق والتوسع فيه والتشوير المباح والتغذية بلبان المعارف والتلقين للاخلاق الفاضلة والخطاب بلبين القول وطلاقة الوجه واللقاء بسط جناح العطف والحدب ولا يلزم من ورود الحديث بسبب الاحسان بالاطعام قصره عليه لان السبب لا يخصص وكيف يصح ان يقصر الاحسان على الامور المادية الخسيسة ولا يتناول الامور المعنوية النفيسة وقد جاء في الحديث الصحيح ايما رجل كانت عنده وليدة فعلمها باحسن تعليمها وادبها فاحسن تاديبها ثم أعتقها وتزوجها فله اجران فاذا كان لتعليم الولائد وتاديبهن اثر في نمو الاجر فكيف لا يكون لهما اثر في البنات وجاء في الحديث الصحيح من عال جارتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو وضم رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابعه يريد رفاقته معه في الجنة او السبق الى

دخولها معه وهذا الفضل لمن قام بالمثونة والكفالة يستوي فيه من كان البنات له ومن كان البنات لغيره فهذا ادلة صريحة تحدثك باهتمام الشارع بالبنات قبل استقلالها

البنات في طور الشباب

راعت الشريعة ما تحتاجه المرأة من زواج تقتضيه الطبيعة ويتطلبه العمران وتنظم به المصالح فامرت الاولياء بتزويج المرأة ومنعتهم من عضلها قال الله تعالى : وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقال جل ذكره : واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف وسواء أقلنا ان الخطاب الاولياء كما يدل عليه حديث معقل بن يسار الوارد في الصحيح ام قلنا ان الخطاب للازواج كما يقتضيه قوله واذا طلقتم النساء وان التعبير بالازواج عن الخطاب باعتبار المثال فالاية صريحة في النهي عن العضل ممن يمكن حصوله منه وقد احتاطت الشريعة للمرأة في شان الزواج فقيدته بقيود تفضي الى سعادتها وتحفظها من طوارق المؤذيات ذلك انها بنت النكاح على ما يثمر الحب ويتقاضاه حسن التدبير واعتبرت فيه ما يكون اكفل بدوام العشرة وحسن الالفة وابلغ في حفظ الشرف

حسن الاختيار واشترط الولي

لم تجعل الشريعة للمرأة الاسلامية الاستقلال بابرام النكاح بل جعلت اختيار الزوج لها وأوقفت ابرام العقد على موافقة وليها لان النساء سرعات الاغترار بالظواهر والانقياد الى البوارق وربما اخترن غير الاكفاء فتجرعن مرارة سوء الاختيار وأصاب سوء الاختيار شظايا اولياءهن فراعى الشارع مصلحتهن واشترط الولي في النكاح وحماهن من جور الاولياء فنهاهم عن العضل ومكن المعضولة بغير حق من ادراك بغيتها بانهاء امرها الى الحاكم حتى اذا تبين له جور الولي تولى الحاكم ابرام العقد اذا لم يمثل الولي لابرامه وهذا نهاية المبالغة في الاحتياط لها فاشترط الولي في حق المرأة ليس اجحافا بحقها كما يتوهمه قصار النظر بل لتوفية الاختيار حقه من السداد واهمل اشترط الولي في جانب الرجال لا مكان انحلالهم من ربة النكاح بالطلاق وقد أدرك المضطلمون الراسخون في معرفة المقاصد الشرعية حكمة

حسن اختيار الازواج وحافظوا عليها بيد انهم اختلفوا في طريق الحفظ فاکثرهم اُختار في سبيل حفظها اشتراط الولي لظواهر كثيرة ولهذا اخترنا بناء الكلام عليه وبعضهم اُختار في طريق حفظها اعتبار الكفاءة فاذا حافظت المرأة عليها فلا متكلم لوليتها ولها مباشرة العقد واذا اهملتهما وابرمت عقدة النكاح كان للولي نقض غزل هذا النكاح

الصداق

احتاطت الشريعة للمرأة فاجبت الصداق قال تعالى (وءاتوا النساء صدقاتهن نحلة) وذلك لمعان الاول ما فيه من استهداء نفسها وبذر محبة الرجل في قلبها والمحبة دعامة اللفة وجناح حسن العشرة واستمالة النفوس بالاحسان امر معروف ويشعر بهذا المعنى وصف الصدقات بانها نحلة الثاني ما في الصداق من ادخال السرور عليها باظهار الرغبة فيها حيث بذل الزوج في الاقتوان بها المال الذي جبلت النفوس على حبه واظهار الرغبة في النساء له مكائنه من نفوسهن وفي تخرج بعض امهات المؤمنين ممن عرضت نفسها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكار بعض بنات الصحابة على من عرضت نفسها من النساء على بعض الفضلاء دليل بين على ذلك الثالث ما في الصداق من دواعي الاتقياد الى سلطان الزوج ونفوذ الامر الذي يدعو الى التوافق بين الزوجين ويمكن الزوج من تقويم اعوجاج زوجه وصدها عما يغض من شرفها بتطرق الريبة لها كخروجها دون رضا والاذن لمن يكره في الدخول الى بيته وقد وقع الافصاح بهذا الحكم في قول الله تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم) الرابع ما في الصداق من تشييط الرجال عن الطلاق حتى لا يذهب عليهم ما اعطوا في سبيل الاستحصال على المرأة سدي ويزيد الله الذين اهتدوا هدى خادم العلم محمد العزيز جميط

اعتذار

نتقدم للسادة الافاضل الذين وجهوا لنا اسئلة يتطلبون الاجابة عنها بأننا لم نغفلها وانما ضيق النطاق اوجب علينا تاخير الاجابة عنها وستقع الاجابة عنها بعون الله حسب ترتيب ورودها على ادارة المجلة في الاعداد المقبلة

الفتاوى والاسلام

حكم معاملة ارباب المعاصر للمالكي الزيتين وأقرانهم
شيئا من المال ثم استيفائه زيتا مع اجرة العصر

ورد على ادارة المجلة السؤال الاتي نصه :

قد جرت عادة ارباب معاصر الزيتون بغالب جهات المملكة بان يقرضوا شيئا من المال للمالكي الزيتين وهؤلاء يلتزمون بعصر غلة زيتينهم بماكيناتهم وبعد العصر يطرح بقيمة المال المقرض زيتا من المتحصل كما جرت العادة ايضا بان يقرضوا الطائفة من تجار حب الزيتون مقدارا من المال وفي مقابلة ذلك يكونون ملتزمين بعصر ما اشتروا من الحب في معصرة المقرض ومن متحصل الزيت يسترجعون ما لهم الاصيل مع معين كراء العصر وفي بعض الاحيان يزيد المقرض من ماله الخاص في صورة ما اذا لم يوف متحصل الزيت بالخلاص وحيث ان ظاهر رقه هذه المسألة هو باب سلف جر نفعا فالمرغوب افتاؤنا في ذلك

وقد احلناه على فضيلة شيخ الاسلام المالكي ابقالا الله فاجاب عنه بما نصه :

ان هذه المعاملة على الوجه المذكور اذا وقعت عن رغبة من مالك غلة الزيتون سواء كان مالك الاصل او خضارا او تاجرا في الغلة لاحتياجه الى المال ليكمل به اعماله الفلاحية او التجارية فدفع له صاحب المعصرة (الماكينه) مالا واشترط عليه ان ياتي به بمتحصل الغلة سواء كان معين المقدار ام غير معين ليعصر في معصرة المقرض بالاجر المتعارف دون زيادة لاجل القرض فهذه المعاملة من قبيل القرض الي السلف وهي جعل غلة الزيتون توثقة لذلك القرض فيصير مسمى هذه المعاملة هو مسمى القرض برهن اذ العقود تعطى الاسماء الشرعية باعتبار المسميات والمواهي . وغلال الزيتون يجوز رهنها ولا يضر عدم تحقق المقدار المتحصل لان الرهن في الرهن مفترق ولا يضر عدم حوزها في وقت القرض لان الرهن ينعقد ولو تأخر قبض المرهون فان الغلة لا

تجاز دفعة واحدة بل تجنى بعد النضج بطناً بعد بطن وحيث كانت غلة الزيتون انما تقصد لزيتها فالمقصود من التوثقة هو الزيت الحاصل من عصرها فلذلك لزم ان يكون عصر الغلة عند المقرض تحقيقاً لمبادرة الحوز بقدر الامكان ثم ان محل النظر ومناط السؤال هو ما في هذا المعاملة من انجرار منفعة لصاحب المعصرة الذي هو المقرض وهي منفعة اجرة عصر ذلك الزيتون في معصرته فاذا نظرنا الى هذه الاجرة وجدنا المقرض لا مندوحة له عن دفعها سواء عصر في معصرة مقرضه ام في معصرة رجل آخر ولو قدرنا ان هذا المقرض لم يقتض ولم يرغب في عصر زيتونه وباعه حبا فلا شك انه يبيعه بثمان ناقص عن ثمن الزيت نقصا بنسبة ما يزداد في ثمن الزيت من مصاريف العصر والحزن وهذا امر معلوم فهذا الاجرة من هذا الوجه غير مسببة عن القرض بل هي مسببة عن وجود غلة الزيتون وناشئة في ثمنها وكائنة فيه تقديراً فهي في هاته الحالة منفعة للمقرض لا مضرة فيها على المقرض ولم يتكلفها لاجل القرض

ثم انا نجدنا راجعة الى المقرض في مقابلة عمل العصر ومصاريفه فالمقرض من هذه الجهة كواحد من الناس الذين يعصرون في تلك المعصرة فلم تبق فيها من فائدة المقرض الا فائدة تحقق وجود مقادير من الزيتون لتشغيل معصرته ولو كلف المقرض ان يعصر زيتون المقرض بدون اجر لكان ذلك ضرراً يدخل على المقرض لما تستدعيه المعاصر من النفقات واجور الخدامة فتيين من هذا ان في مثل هذه المعاملة منفعتين منفعة تنجر للمقرض وهي سهولة وجدان من يقرضه المال بدون اعنات ولا مراباة ولولا هذا الشرط لما وجد من يقرضه الا المرايين المفحشين فبهذا المعاملة تنجر له الارباح الناتجة عن عمل زيتونه ويسلم من مخالب المرايين ومن اثم المعاملات الربوية وهذه منفعة عظيمة للمقرض وفيها منفعة حاصلة للمقرض وهي وجدان ما يشغل به معصرته بانتظام وهذه منفعة ضعيفة في جانب المنفعة الحاصلة للمقرض لما تقدم من ان صاحب المعصرة لا يعدم من يعصر في معصرته بدون هذا المعاملة الا ان ذلك قد لا ينتظم او لا يطرد • فصارت هذه المنفعة من منافع السلف المشتركة بين المقرض والمقرض واذا كانت المنفعة المنجزة عن السلف مشتركة بين المقرض والمقرض ففي المذهب المالكي خلاف

في جوازها واليه اشار ابن الحاجب في مختصره وخليل في شرحه المسمى بالتوضيح ولنذكر كلامهما ممزوجا المتن بالشرح قال (وشرطه - اي الغرض ان لا يجر منفعة للمقرض) سواء تمحضت للمقرض او اشترك فيها مع المقرض اعني ان تكون المنفعة لهما على السواء او منفعة المقرض اكثر واما اذا كانت منفعة المقرض اكثر فسيترككم عليها - اي في قوله الآتي وفي سلف السائس ثم قال (وفي سلف السائس بالسالم في المسغبة والدقيق والكمك للحاج بدقيق في بلد بعينه قولان) المشهور المنع فيهما والشاذ لسحنون اي بالجواز وقيد اللخمي المشهور بما اذا لم يقيم الدليل على ارادة نفع المتسلف فقط واما اذا قام ذلك فيجوز اه)

واصل المسألة في تبصرة اللخمي في باب بيع الآجال ونصه « قال مالك في الحاج يتسلف الدقيق او السويق او الكمك يحتاج اليه ويقول اوفيكه بموضع كذا ببلد آخر لا خير فيه ولكن يتسلف ولا يشترط وقال سحنون في الحمديسية لا بأس بذلك للحاج ونحوه للضرورة ولولا الشرط لم يسلفه وهو احسن اه وقصدهم من المنفعة المنجزة للمقرض في هاتين المسألتين هي منفعة اخذ السالم مع كون السلف سائسا ومنفعة قبض الطعام في البلد الذي يريد المقرض دون ان يقبله في حيث يشاء المقرض . ونحن اذا نظرنا الى ما تشتمل عليه هذه المعاملة نجدها ترجع الى اعتبار الحاجي القريب من الضروري فان خضارة غلة الزيتون تكسر حاجتهم الى اقتراض المال لاقامة خدماتهم واصحاب المعاصر بحاجة الى ايجاد الزيتون ليعصر في معاصرهم كل يوم لثلا تضيع نفقاتهم واجور عمال المعاصر في بعض الايام التي قد لا يجلب لهم فيها الزيتون فيشول بهم ذلك الى خسائر طائلة ولو حزم اصحاب المعاصر من هذه المعاملة لا عرض اكثرهم عن هاته الحرفة فيحل فيها غير المسلمين ويضطر اصحاب الزياتين الى التعامل منهم وتلحق من ذلك اضرار شديدة تخل بالحاجي من ثروة المسلمين لا حاجة الى التظويل ببيانها فانها لا تخفى ففي منعهم من هاته المعاملة ادخال اضرار عليهم وليس في المنع من هاته المعاملة منفعة لخضارة غلة الزياتين بل تدخل عليهم من منعها اضرار كثيرة فكانت هاته المعاملة منفعة عظيمة للمقرضين ومنفعة قليلة للمقرضين وفيها مصلحة عامة وهي

اعانة الناس على العمل وانتشال الحضارة من الاقتراضات الربويه وممراد سحنون بالضرورة الحاجة الاكيدة لظهور ان اسلاف الحاج الكعك والدقيق ليس من الضروري بالمعنى الاصولي الذي هو حفظ احد الكليات الخمسة لظهور ان الحاج لم ينحصر قوته في تلك المعاملة بل هو يرجع الى الحاجي ولو كان ضروريا بالمعنى المشهور لم يقع فيه خلاف ولذلك اعترض ابن عرفة في مختصره على ابي الطاهر ابن بشير حكاية الخلاف في اسلاف القمع السائس بالسالم في المسغبة قائلا لم يحك غير ابن بشير في المسغبة الا الجواز يعني لان المجاعة موجب الهلاك وعليه فسحنون اعتبر الحاجة فحكم بالجواز والفى انجرار المنفعة والقول المشهور نظر الى انجرار المنفعة من السلف ولم يعتبر الحاجة ومدرك سحنون اقوى ولذلك قال اللخمي ان قول سحنون احسن

فاذا تقرر هذا فقد جرى عمل الناس في هاته المعاملة اخذا واعطاء على خلاف المشهور بل على ما يجيزه سحنون فلو وقع التقاضي في بعض هذه المعاملات لحكمنا بفسخها على المشهور واما في غير مقام التقاضي فلا ينبغي التعرض للناس بابطالها لما تكررت به فتوى ابي سعيد ابن لب ان ما جرى عليه عمل الناس وتقادم في عرفهم وعاداتهم ينبغي ان يلتزم له مخرج شرعي على ما امكن من وفاق او خلاف اذ لا يلزم ارتباط العمل بمذهب معين او بمشهور من قول قائل ولما حكاه المواق عن شيخه ابن سراج انه اذا جرت عادة الناس بشيء ولم يكن متققا على تحريمه فليتركهم المراء وما هم عليه وليفعل في نفسه ما هو الصواب عنده ووجه ذلك ان حمل الناس على ابطال ما عملوا به يرجع الى قاعدة تغيير المنكر وشرط تغيير المنكر ان يكون الفعل مجمعا على انكاره بين علماء الامة فاذا كان عمل الناس جاريا على قول عالم معتبر فلا يتعرض لهم فيه بالابطال افيتت بذلك وانا محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي في رمضان وفي نوفمبر عام ١٣٥٥-١٩٣٦



الأعلام بفضل العرب في الجاهلية والإسلام

بقلم العالم الأديب البارع الشيخ علي النيفر
المدرس من الرتبة الأولى بجامعة الزيتونة



الشواهد الشرعية على فضل العرب في الإسلام

أما شواهد فضل من آزرُوا النبي صلى الله عليه وسلم في ابلاغ الدعوة وسبقوا إلى الإيمان به وباعوا أنفسهم لأعلاء كلمة الله من المهاجرين والانصار فهو من حديث البحر . لا يأتي عليه عد ولا حصر ولذكر بعضها بإيجاز : فمنها في سورة الفتح قوله تعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » ومنها في سورة الاعراف « ومع من خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » قال المفسرون : هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما في الحديث وصدر الأمة عرب خلص وفي سورة التوبة « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اولئك هم الفائزون » وفي سورة التوبة ايضا « لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون » وفي سورة آل عمران « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » قال المفسرون : الخطاب لأمة محمد أي كنتم في علم الله . وفي سورة الحشر « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في نفوسهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وفي صحيح الإمام البخاري من طريق سفيان عنه عليه الصلاة والسلام « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وفيه ايضا من طريق شعبة قال صلى الله عليه وسلم ولا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم اتفق مثل احد ذهب ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وفي الشفاء للقاضي عياض احاديث كثيرة تنادي بفضل اصحابه عليه الصلاة والسلام ووعيد من تنقصهم أو آذاهم نشير إلى بعضها

فمنها ما رواه القاضي ابو الفضل باسناده عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فبحي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه ومنها لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في آخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم »

ومنها من سب اصحابي فاضربوه . ومنها ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نذر قطع لسان ابنه عبيد الله اذ شتم المقداد بن الاسود فكلّم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وقال مالك رضي الله عنه : من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيه حق قد قسم الله الفيه في ثلاثة اصناف فقال « للفقراء المهاجرين » ثم قال « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم » وهؤلاء الانصار ثم قال « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان » فمن انتقصهم فلا حق له في فيء المسلمين اه

هذه لمحة يسيرة مما نطقت به الشريعة المطهرة في شأن فضل العرب عموما وفضل السابقين الى الاسلام منهم الذين عنه الناشرين لدعوته في الآفاق خصوصا

الشواهد التاريخية الناطقة بفضل الامة العربية جاهلية واسلاما

الامة العربية في جاهليتها - كانت العرب في الجاهلية لهم عادات محمودة واخلاق فاضلة من الكرم والشجاعة والفروسية والوفاء والصدق وحماية الجار والذود عن العرض وعزة النفس واباية الضيم والشهامة وجودة الذهن وقوة العارضة والفصاحة والبلاغة فكانت السنتهم اتم بيانا وتميزا للمعاني وهم وان كانوا امة امية الا ان ما وصل اليها من منظومهم ومشورهم ربما فاقوا به غيرهم من الامم . قال بعض العلماء في العرب اربع لم يساوهم فيها سواهم . الحمية . والحمية . والكرم . والشجاعة اه وفي العقد الفريد عن ابن الكلبي كانت في العرب خاصة عشر خصال لم تكن في امة من الامم خمس منها في الرأس وخمس في الجسد فاما التي في الرأس فالفرق والسواك والمضضة والاستنثار وقص الشارب . واما التي في الجسد فتقليم الاظافر وتقف الابط وحلق العانة والحلتان والاستنجاء . وكانت في العرب خاصة القيافة لم يكن في جميع الامم احد ينظر الى رجلين احدهما قصيرا والآخر طويلا او احدهما اسود والآخر ابيض فيقول هذا القصير ابن هذا الطويل وهذا الاسود ابن هذا الابيض الا في العرب اه وفي العقد الفريد ايضا عن ابي العيناء الهاشمي ما نصه باختصار : ان ابن المقفع

اجتمع بثلة من اشراف العرب فسألهم اي الامم اعقل فبعد ترددهم الجواب بما لم يصيبوا به شاكلة الصواب قال لهم : اعقل الامم العرب فضحكوا فقال ابن المقفع : أما أني ما اردت موافقتكم ولكن اذ فاتني حظي من النسبة فلا يفوتني حظي من المعرفة ان العرب حكمت على غير مثال مثل لها ولا آثار اثبت اصحاب ابل وغنم وسكان شعر وادم يجود احدهم بقوته . ويتفضل بمجهوده ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة . ويفعله فيصير حجة . ويحسن ما شاء فيحسن . ويقبح ما شاء فيقبح . ادبهم انفسهم . ورفعهم همهم واعلمهم قلوبهم والسنهم . فلم يزالوا كذلك حتى رفع الله لهم الفخر . وبلغ بهم اشرف الذكر . وحتم لهم بملكهم الدنيا على الدهر . وافتتح بهم دينه وخلافته الى الحشر . فمن وضع حقهم خسر . ومن انكر فضلهم خضم . ودفع الحق بالاسان اكتب للجنان اه ويذكرني ما قاله ابن المقفع بمفاخرة النعمان بن المنذر امام كسرى به حضر وفود الامم قال النعمان ما خلاصته : اما الامم فأئمة تقرها بالعرب الا فضلها العرب قال كسرى : بماذا قال النعمان بعزها ومنعتها وحسن وجوها وبأسها وسخائها وحكم سنتها وشدة عقولها وانفتها ووفائها ثم افاض النعمان في اقامة البرهان على كل واحدة من هذه الخصال التي تحلت بها العرب ولما انتهى من مفاخرته عجب كسرى لما احابه النعمان به وقال : انك اهل لموضعك من الرئاسة في اهل اقليمك ولما هو افضل ثم كساهم من كسوته اه

العرب بعد ظهور الاسلام

لا نريد ان نطيل ذيل الكلام بالاكتار من اقامة البراهين التاريخية على فضل العرب في عصور الاسلام فذلك مما اقر به المنصفون ولا ينكره الا جاهل او مأفون .

وليس يصح في الادهان شيء متى احتاج النهار الى دليل

وكتب التاريخ الاسلامية قد تكفلت بهذا الغرض وادت منه الواجب المفترض بل قد اشاد بفضل العرب الاسلاميين من الاجانب من تحلى بحلية الانصاف ولم يركب متن التعصب والاعتساف ولو أردنا التوسع بجلب شواهد ذلك لضاق بنا المجال ولكل مقام مقال . لكننا نلمح الى بعض ذلك موجزا فنقول بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة وامم العالم اذ ذاك في غيمهم يعمهون وفي اودية ضلالهم يتيهون ما قدروا الله حق قدره ولا انصفوا خلقه فكان القوي يأكل الضعيف والمشروف يستعده الشريف حالهم اسوء حاله ما لها الحزني والنكال . فكانت عليه الصلاة والسلام منقذهم من هوة الهلاك بدينه القويم الهادي الى الصراط المستقيم هداهم الى الايمان بالله الخالص من الشوائب وسوى بينهم في الحقوق وامنهم المعاطب . ثم انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى

الاسلام منقذ البشرية

ومركبها الى شاطئ النجاة

بقلم الحقوقي البارع الاستاذ المهدي بن الناصر المحامي بتونس

تمهيد

مبحث صعب المسالك . ملتوي المنحدرات . خطر المزالق . متشعب المناهج شائك الوهاد وناقي الشباب . غاباته . أسودة وإكمامه مفهودة . ما جزأني على طرق بابيه وإقحام صغابه وولوج افئتيه وتخطي عرصاته وأنا الاعزل من سلاح الوقاية الا ما يماؤني املا وطيدا من نجدة رجال النهضة الزيتونية اذا ما اخذت في اطرافه بالحناق وفي مقدمتهم قواد عرمرمها الجحفل حاملو الويتها الخفاقة المعقودة بنواصيها بواتر الهمم السماء وباعاليها العزائم القولاذيه من شيوخي الاعلام واخواني النبغاء (عمد المجلة الزيتونية الفيحاء) نواة النهوض الافريقي الاسلامي العاملة على تبيان اصوله ونشر مبادئه السامية في القارات العالبيه . رسالة التبشير الزيتوني الى اطراف المعمور . اشرفت شمسها الوضاء بعد ان ركذ المعهد عهودا ونام آمادا . تنير الغياهب وتعمل لاعلاء الكلمة .

قرير العين باتمام نور الاسلام ودخول الناس في حظيرته افواجا . فقام باعباء نصرته هذا الدين ومهمة نشره بين مختلف الامم من عرب وعجم خلفه من اصحابه رضوان الله عنهم وهم كما علمت عرب خالص فجابوا البلاد فاتحين هادين للامم مرشدين وكفى بذلك فضلا

قال الوالد نعمه الله في تاريخه حسن البيان ما نصه : ان العرب دخلوا البلاد التي فتحوها بالقرآن في الحقائق وجاءوا معهم بالعدل والحرية جاءوا بالمدنية الحقيقية جاءوا بالعلوم والمعارف فهم وان حملوا معهم القرآن يستضيئون بنوره في المدهمات لكن لم يكرهوا احدا على الاخذ به بل اوكلوا الامم الى ما اختاروا من النحل وحفظوا عليهم مع ذلك بعد حط اوزار الحرب اموالهم واغراضهم وقتلوا عدوهم دونهم وحاطوهم بسياج حفظوا به ابناءهم وحرّمهم ولم يتقصوا عهدهم بطول الامد ولم يمنعوهم علما ولا حظروا عليهم صناعة ولا فكروا في مضايقتهم في متجر بل اوصلوا اليهم العلوم مهذبة سهلة ومهدوا لهم طرق المعارف والصناعات وسبل المعاش والتجارات والشاهد كالشمس في رابعة النهار اه

ولنقتصر في بيان فضل العرب على هذا المقدار ففيه مقنع والله الموفق

علي النيفر

فمرحى يا رسالة النور وموقظة الهمم . يا كوكب الاسلام المشرق من كعبة هي كل الآمال ومطمح
الانظار . وان كنت في بزوغك اليوم هلالا فستصبحين بفضل عزائم ابطالك الغر الميامين بدرا
يتلألأ في افق النهضة كاملا ينير من الارضاء ما ادلهم ويبين من المناهج ما ابهم ومن الاتجاهات ما تبلبل .
فكافي ولسان حال اسرتك ينادى بالصوت عاليا « هلموا يا رجال العلم الي خير عمل . قفوا
اعالي المنبر العام وادوا الرسالة . استيقظوا من السبات العميق والنوم الطويل وادوا الامانة » .

عزيز علينا وايم الله ما نحن عليه اشبال الكلية وضراغها من ضعف الانتاج ووهن العزائم
كان قد لجنا بالجملة الركود السرمدي وختم على اقدتنا بطابع الجمود النحس وغاض منا معين التفكير
وبرمنا اليراع . عقوقاً واشتم به من عقوق للمعهد ثالث معاهد العالم الاسلامي الكبرى وازراء وابشع
به من ازراء لقيمته امام الغرب والشرق أیخفت صوته وصوت الازهر عاليا ؛ ويتضاءل نوره ونور
الازهر لآلاء ؟ وينكس عليه ولواء الازهر مرفوع ؟ أیطمس نور الاسلام الابر بديارنا ونحن
عصبة تتغذى من مبادئه السامية من نعومة الاظفار الى الكهولة الشاحخة والشيخوخة الرصينة بين تلك
العرصات الشيقة نقضي على انوار الشمس وأشعة الكهرباء السنين الطوال ثم ما نتخرج منها الا
مدفوعين من انفسنا الى زوايا الجمود عوض ان نشق لانفسنا طريقا وضاء في عالم الحياة
الزاهرة بانوار العلم نتخذ منها لعاياتنا مستوى كاف ما ننتقله من علوم الدين عبادات وتوحيد
ومبادئ اجتماعية واخلاق سامية وتعاليم عالية مستمدة الروح من آي الفرقان الحكيم والسنن السنية
والحديث الشريف . ومن معاملات وحالة شخصية يقف حيال اصولها والفروع ما انتجه الفكر
البشري من الاوضاع التشريعية خانعا ومتسرבלا بالوهن وتتضاءل دون مبناء الازلي الثابت ما تتمخض
عنه يوميا تبديلا وتغيرا افكار فطاحلة التشريع العصري . كان ذلك وما ذلك بالامر الهين . مبادئ
عديعة القيعة والصلوحية لهذا العصر الملقب بعصر النور . كانها مباد لا تتفق وعصر المادة النير
المحاق بمنطادة في دوائر الكواكب السيارة والحارق كالسهم بغواصاته ظلمات المحيط . كانها تعاليم
جدير بصوتها ان يخفت ويخفق بدائرة تلك العرصات الضيقة لا ان تصدم تموجاتها الجبارة في سمو
واعجاز وحكمة بالغة صفحة المذیاع العالمي . تالله ان هذا وذا وذاك الاوهم متغلغل في معاني البطلان
فهذا العصر على ما هو عليه من التقدم المادي قد غشيه من يم المادة ما غشيه فذهب منه باللب
الخلقي العام والخاص « اخلاق الفرد واخلاق الجماعة » وترامت به تياراتها الى اماد بعيدة عن الروح
الانسانية المحضة فاصبح هيكل حديديا من غير روح تتقاذفه امواج المادة العتيدة لترمي به الي محيط
الانحلال بعد ان اختل منه مركز التوازن الخلقي وانهد من حصانته ذلك السد الذي جعلته
السنن الالهية حائلا دون طغيان المادة ومعدلا لمفاعيلها الطاغية الا وهو الدين الاقوم .

وفد تراءت هذه النتيجة السيئة والظاهرة النحسة والهاوية الفاغرة فاهما لرجال الفلسفة الاخلاقية عندما اخذتهم رجة انهيار صرح الاخلاق فاعلنوا بالصيحة من كل جانب ومكان

ولو كان سهما واحدا لا تقيته ولكنه سهم وثان وثالث

ان معاول المادة الحادة عندما هدمت الركن الخلقى وقوضت في صرامة أس الاسرة رمت الروابط الاجتماعية او اخلاق الجماعة بنال سامة من المبادى السياسية المتشاكسة الحدود والمتبائلة الاشكال والمتضاربة المنافع والمتناكدة الغايات واتسع نطاقها وتصادمت اهواءها على حساب المجتمع التعس وتسربت سمومها من خلايا مبتكرها الى افكار القادة وتحكمت بقيادة اعنة الساسة ومنهم عم عميمها الى السواد الاعمى فضربت الفوضى الاجتماعية مضاربا ولولا أسنة ونار تحميا وقذائف محرقة تدافع عنها لانفجرت براكينها فجرقت شظاياها العالم المادي الكدر وتبعالنواميس الطبيعية لابد للبركان ان ينفجر وما انفجاره عنا ببعد اذ كلها نصبح نسمع له زفيرا وكلها نمسي نحس من رجاته زلزالا .

فالبولشفيكية بنت على اطلال ما نسفته من قصور القياصرة واشراف الاقطاع مذهبا يجعل الملكية العامة نهبا للسواد والحالة الشخصية من غير روابط تربط الفرع بالاصل ويقابلها في ركن التطرف الفاشيسم ونده النازي يجعلان التصرف في الملكية العامة وتسيير دولاب حياة الجموع بيد الفرد المطلق وتقف موقف الاعتدال بينهما الاشتراكية وعن هذه تتفرع فروع تتوافق مبدا وتتخالف مسلكا ومشربا .

فهذه النزعات المتصادمة جوهرها هي المكونة لوحداث شظايا الاتون الاروبي - (قلب العالم المتفرعة منه الى شرايين الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية) - فهو بركان ان ترزل زلزل ما حوله وان اندك الهبت ذراته ستأثر ما ارتبط به - وقى الله العالم من القارعة العظمى - (وماكارثة اسبانيا. الا نقطة تصادم مذهبين من هذه المذاهب الدنسة)

فالعالم الغربي بانغماسه في حمأة المادة واتخاذة عجل الذهب معبودا قدامات منه هذا الاتجاه الكلي الناحية الخلقية العامة والخاصة وبما ان الاخلاق السامية في الامم تحتل مكان الروح من الجسد فاذا ما تخدرت الروح وانحلت اصبح الجسم يعمل عمل المجانين ومن اقرب ما يصدر من المجنون بعدان يهدم ما حوله ان يلوي على اوصاله فيقطعها ثم ينتحر

فهذا العالم الذي بهرتنا منه انوار المادة بعد ان تدهورنا من ناحيتها واخذنا الى السكون وقعدت بنا الهمم عن محارباته ونحن في حماية العروة الوثقى « الاسلام » ووقاية تعاليم الشريعة السمحة (المحمدية) بحيث كنا لا نخشى من مفاعليها تاثيرا ما بل كنا ندللها ونكسر منها الشوكة فنبلم منها الى

الأخلاق

ومبلغ عناية الشارع بها

ان امر الاخلاق في بناء صرح مجد الامم عجيب اذ عليها مدار عظمة الامة او حقارتها وبها وحدها يقاس شأنها بين الامم .

اخلاق الامة نبراس كمالها ومعدن حيويتها وعلى الاخلاق تدور رحاها والله در شاعر الكنانة في قوله :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وعلى هذا الاساس المتين والركن الركين بنى سيدنا الاعظم ورسولنا الاكرم ما جاء به من حكمة وتشريع كما يرشد اليه قوله (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق)

ولا جرم فان من نظر نظرة جامعة في اصول الشريعة وفروعها وجدها تدور حول هذا المحور فهو قطب دأثرها وسر عظمتها الذي به دوامها وكونها الشريعة التي لا يعترها نسخ ولا

اوج الكمال وقد سبق ان بلغته منها اسلافنا في عصمة بالدين القويم منها وأنارت به العالم النير منها اليوم عند ما كان يسبح في خضم ديجور الجهالة لكننا رسبنا ونحمد الله ان كان معنا الدين وان ضئلا وتقدم هو في ميدان المادة لكن بدون حصانة دينية (كالاسلام عقيدة ودستورا) لذا طحضته فزرع تحت كللكها مصعوقا ومجروفا الى هاوية لا يدري لها قرارا

فهذه الظاهرة المردية دفعت باركان حرب التفكير الغربي الى التعمق في الدرس والفحص والتحليل بمعامل الفلسفة الاجتماعية لاختراع ادوية ناجعة لتلقيح العناصر الغربية من مصلات اخلاق سامية لحصانتها من وباء تدهور الاخلاق وليدبؤر المادة الموبوءة ودفعت برؤساء الامم وكبار الناشئة الى تاسيس جمعية اممية يكون لها القول الفصل فيما تتصادم فيه منافعها فكانت جمعية جنيف وكانت هيكلها بدون روح لفقدان الرابطة العامة بين افرادها تلك الرابطة الروحية الا وهي الدين الاقوم .

محمد المهدي بن الناصر

(يتبع)

تبدیل ولو اردنا في هذه العجالة سرد ما جاء في الشريعة من نصوص تدل على اعتبار هذا الاصل الاصيل لضايق بنا نطاق هذا الجزء دون استيفائها ولنكتف هنا بالآية الجامعة لاصول مكارم الشيم وذروة سنامها فان فيها وحدها ما فيه لاولى الالباب عبرة وذكرى وما يعقلها الا العالمون قال تعالى

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » فان من وقف عند حدود هذه الآية وارتاضت نفسه بفهم معانيها علم لا محالة مقدار ارتباط الاخلاق بلب التشريع الاسلامي حتى ارجعت هذه الآية ما يأمر به الشارع الى اصول الخير الثلاثة العدل والاحسان وايتاء ذي القربى وما ينهي عنه الى اصول الشر الفواحش والبغى والمنكر ولا شك ان الاوامر والنواهي ترجع اليهما جميع فصول الشريعة الاسلامية وتنتهي اليهما احكام الملة المحمدية ، لقد نوهت شريعتنا السمحة بأمر الخلق الحسن ووضعته بالمكان اللائق به من عنايتها لذا ترى في نصوص الشريعة ما يفيد ان تكوين الاخلاق الطاهرة وبث التربية الصحيحة بين افراد الامة الاسلامية هو الهدف الذي ترمى اليه يظهر ذلك جليا بتبع موارد الشريعة واستقصاء ابوابها سواء في ذلك ما كان متعلقا بالعقائد أو كان متعلقا بالعبادات او كان متعلقا بأنواع المعاملات ما كان من ذلك راجعا لنظام الفرد او لنظام الاسرة او لنظام المجتمع الاسلامي التي حرصت على تنظيم علاقاته على اساس الفضيلة والكمال. وستولى ان شاء الله درس ذلك وتبع علاقات فصول الشريعة بالاخلاق وكونها الاساس الذي انبنى عليه التشريع والروح المرادة منه. ففي باب العقائد دعت الى عقيدة ثابتة تتحرر معها العقول من قيود التقليد الاعمى وتتخلص بها النفس الانسانية من اثقال دعت اليها عادات قديمة سيئة او اغراض انتفاعية يتحمل المجموع شرها لنفع فرد او قبيلة . دعت الكمال للتخلص من داء الوساطة المعنوية واعتبار الشخص نفسه احقر من ان يواجه ربه ومولا . بشخصه ومعناه. فهو لا يعبأ به ولا يسمع نداء ما لم يتوجه اليه بمقرب اليه او وحيه عنده فنشأت عن ذلك بتطاول الازمان عقيدة الشرك والوثنية وانحطت بسببها امم الى دركات الجهل والهوان حتى كادت تلحق باحقر انواع الحيوان والحال ان الله قد فضل هذا النوع من المخلوقات بالعقل الذي به تحمل من الامانة ما عجز عن تحمله الارض والسموات . فجعلت العبد اهلا بذاته الى ان يتقدم الى ربه يسأل حاجاته ولا يحتاج الى من يقربه اليه زلفى وانما جعلت لذلك شرطا وهو الاخلاص في التوجه وتطهير النفس من ادراك الشرك وملاحظة المنافع الشخصية قال تعالى « ادعوني استجب لكم » وقال (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وجعلت قضاء الاشياء وتديرها بيده وحده ليس له عليه معين او وزير بيده الامر وهو على كل شيء قدير وانما امرة اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون . فقررت بذلك اصلا من اصول الاستقلال الفردي والاعتماد على النفس وفي ذلك تقرير لخلق العزة وما

ادراك ما العزة . العزة هي الشعور بالاستغناء عن الخلق وان ليس لأحد حق التعاطم عليك واستصغارك لانك في حاجة اليه وقد وصف الله تعالى نفسه ووصف رسوله وعادة المؤمنين بهذا الوصف العظيم تنوياً بشأنه وتذكيراً لعباده قال تعالى (والله العزة لرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) وقد كان هذا حال المؤمنين الاولين وبه نشروا علم الاسلام خفاقاً على اقطار المعمور وبانعدام هذا الوصف منهم صغروا وضعف شأنهم بين الامم وصاروا عبيداً اذلاء بعد ان كانوا ملوكاً اعزاء . كما نشأت عن هذه العقيدة الخالدة معنى استواء الخلق امام عظمة الخالق وان ليس لأحد على آخر حق الافضلية يغير التقوى والعمل النافع المفيد وان الجميع امام الحق سواء ومن اكبر مظاهر هذا الاستواء المسلمون وهم في المسجد يؤدون فريضة الصلاة . او في مكة يحجون البيت الحرام . اقتجد فبهم فاضلاً ومفضولاً ولا غرو فقد جعل الله المؤمنين اخوة لا تفاوت بينهم الا بقدر ما يتفاضلون به من الحق فلقد قال عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع : ايها الناس انما المؤمنون اخوة ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ان اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى : وقد روي عن ابن عباس ان احد الموالى خطب الى جماعة من بني يياضة . واثار عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم بتزويجه فقالوا له : يا رسول الله انزوح بناتنا موالينا فنزل قوله تعالى (يا أيها الناس انما خلقناكم من ذكر واتى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) فنقرر بذلك مبدأ المساواة العامة وبطلت الحواجز العنصرية والفوارق الارسقاطية والاعتبارات الطائفية من كل ما من شأنه تفكيك اجزاء الامة الواحدة وجعلها امماً صغيرة تعمل كل واحدة منها فناء امتها الكبيرة وفي فناء هذه قضاء على الجميع لو كانوا يعقلون والتاريخ شاهد عدل على ما ذكرنا . وقد جرى سلفنا على هذا المبدأ الرشيد الذي ملكوا به امرة العالم مدة قرون وفي سيرة امير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في رعيته ما فيه لاولى الالباب عبرة وذكرى فكان اذا امر بشيء او نهى عنه بدأ ذلك باهله فجمعهم وقال لهم : افي نهيت عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظير الطير واقسم بالله لا اجد احداً منكم فعله الا ضاعفت عليه العقوبة قال الطبري ج ٥ ص ٢١ (وهو يقصد بذلك ان الناس اذا رأوا من اهل الامير وحاشيته تهاونا في امر اقتدوا بهم وامنعوا في الاستهتار به) وكان رضي الله عنه يفتح صدره لاي شكاية في احد عماله ويعلم ذلك لعامة المسلمين في خطبه . روى الطبري ج ٥ ص ٢٠ انه خطب الناس يوماً فقال : ايها الناس افي والله ما ارسل اليكم عمالاً ليضربوا ابشاركم (جلودكم) ولا يباخنوا اعشاركم (اموالكم) ولكن ارسلهم ليعلموكم دينكم وستنكم فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه الي فالذي نفس عمر بيده لاقضه منه) فوثب عمرو بن العاص اذ ذاك بعد هذا التصريح الخطير الذي اعلنه عمر على عامة الشعب وجهورة . وقال : رأيتك

يا أمير المؤمنين ان كان رجل من امراء المسلمين على رعية فادب بعض رعيته انك لتقصنه ، قال عمر : اي والذي نفس عمر بيده اذا لاقصنه وكيف لا اقصه منه وقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ثم بين لعمر ما يخشاه على الرعية من عنف الامراء وظلم الولاة فقال : الا لا تضربوا المسلمين فتذلّوهم ولا تجمروهم (اي لا تتركوا الجنود في مواقفهم ازاء العدو امدا طويلا) فتفتنّوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم . ولان يغيب عن القارئ الكريم ما فعله عمر بولد عمرو بن العاص وجبله بن الاهيم حين حكم بالقصاص من كل واحد منهما لواحد من السوق . وكذا في قول ابي بكر وهو على منبر الخلافة في خطبته القصيرة الجامعة التي اعلن فيها سياسته التي عول على انتهاجها (ايها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني وان اسأت فقوموني بالصدق امانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ان شاء الله والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم قط الا عمهم الله بالبلاء اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله »

كما ان في سيرة المشرع الاعظم صلى الله عليه وسلم الذي هو القدوة العظمى والمثل الاعلى للكمال الانساني ما يبعث الدهشة ويحيي في النفوس معنى الانتباه واليقظة للاخذ بهذا المبدأ الانساني العظيم فقد بعث عليه السلام في قوم تأصل في نفوسهم مبدأ التفاخر بالانساب والاعتماد على فضل الآباء والاجداد مع اعتبار العصبية القبلية والدعوة بها للنصرة الحزبية فابطل عليه السلام ذلك وشدد النكير على من دعا بدعوى الجاهلية قال عليه السلام :

اذا رايتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ولا تكنوا اخرجه السيوطي في الجامع الصغير عن الامام احمد وكذا في سنن النسائي فتوحدت بذلك صفوف الامة العربية وتهيأت لما اعد لها المصلح الاكبر من زعامة الامم ودعوتها للدخول في بودقة الاسلام الخالدة ولم يتم ذلك الا بازالة الفوارق الجنسية واعتبار كل من يدخل في الدين عضوا من الامة له حقوقه وعليه واجباته في الجامعة الاسلامية والكل امام الحق والواجب سواء وان شئت ان تلمس بيدك هذه الحقيقة العالية في نصوص الشريعة الغراء فدونك قوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم » وليس ادل على تكوين وحدة الامة وقوتها بالاجتماع والتكاتف والبعد عن اسباب الشقاق والتنافر من قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » وقوله عليه السلام : المسلم للمسلم كالبنين يشد

بعضه بعضا وقوله: المسلمون كاعضاء الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى فانظر يا رعاك الله الى هذه الاسس الثابتة والاركان القائمة التي شيدها المشرع الاعظم لبناء دولة الامة الاسلامية على امتن الدعائم وارتفاع القوائم بما يضمن لها الدوام والانتشار ويرفعها لدست الزعامة وما هو مبلغ عنايتنا بها وتمسكنا بروحها وقايس بين المسلمين اليوم وما كان عليه سلفنا وكيف استقاموا وانحرفوا وجروا في الطريق الذي عبده لهم رسولهم ونحن تنكبنا فبلغوا ما املوا وترعموا حتى دانت لهم رقاب الجبابرة وخضعت اما عزتهم رؤوس الاكاسرة وبلغ من امرهم ان صاروا هداة معلمين ورؤساء مدبرين . ملكوا من اقطار الارض ما تقاصرت عن البلوغ اليه اكبر دولة اوروبية اليوم وذلك مصداق قوله تعالى « وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا الآية) ونحن فرطنا واضعنا وبعدنا عن الوقوف مع ما يراد منا فاهملنا التمسك بروح شريعتنا الطاهرة والزمان انفسنا بتتبع القشور والظواهر وحسبنا ان ذلك هو المقصد الاسمى وغاية معاني التقوى . ولا احسبني مبالغاً في شيء مما ذكرت وحال المسلمين في سائر اقطار الارض على ما شاهدت وليعذرني القارىء الكريم فيما طوح به القلم فان حالتنا الاسيفة مدعاة لبث الشكوى وابداء ما تتحمله النفس من حر الالم وفي الاعداد المقبلة نعود لتتميم ما شرعنا فيه من بحث الاخلاق ومبلغ ارتباطها بابواب التشريع الاسلامي ان شاء الله

محمد عبد الجبار بن القاضي

من المجلة الى قرائها

بهذا العدد قد تم للمجلة الزيتونية اربعة اشهر . عملت في اثنائها هيئة المجلة ماراته صالحا بمشروعها موافقا لمشربها الذي اسست من اجله ولكن المجلة لا تريد ان تكون بمعزل عن قرائها بل ترغب رغبة اكيدة في الاطلاع على افكارهم نحوها . والاستمداد ببعض ارشادات تظهر لهم مما قد تكون المجلة غفلت عنه لذلك فهي ترغب من عموم قرائها ان يلاحظوا لها ما يعين لهم من الآراء المفيدة حتى تسعى جهدا لتحقيق مطالبهم واجابة مقترحاتهم هذا وقد اقترح علينا بعض القراء من اهل العلم والفضل ان ننشر بعض خطب جمعية من الخطب التي يهيم نشرها بين عموم الناس . ونحن تنفيذاً لهذا الاقتراح سننشر ذلك مهما سنحت الفرصة واتسع النطاق .

التاريخ

صحيفة من تاريخ تونس

كرسى الملك الحسينى

كيف كانت نشأته - وتطوراته حول العصور

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد ابن الخوجه
المستشار لدى الحكومة التونسية

اعلم ان كرسى الملك ويطلق عليه لفظ تخت واريكة وسرير وغير ذلك سنة قديمة من سنن الملوك قبل الاسلام ناهيك ان سليمان صلوات الله عليه كان له كرسى من عاج مغشى بالذهب يجلس عليه وكان عمرو بن العاص يجلس بقصره مع العرب ويأتيه المقوفس عظيم القبط ومعه سرير من ذهب محمول على الايدي لجلوسه شان الملوك فيجلس عليه وهو امامه قال ولي الدين ابن خلدون ولا يغيرون عليه في ذلك وفاء له بما عقد معهم من الذمة واول من اتخذ اريكة في الاسلام معاوية بن ابي سفيان واقتدى به الخلفاء والملوك والولاة من بعده وعلى قياسهم كان عمل ملوك تونس ومنهم بنو الاغلب وبنو حفص الا انهم كانوا اقرب الى البساطة منها الى الفخامة والظهور فقد كان الامراء من بني الاغلب يجلسون على مصطبة موقعا فوق صهاريج اختزان الارزاق من حنطة وشعير وغير ذلك ومنه جاء لفظ المخزن في الاصطلاح الدولي بتونس وكان بنو حفص يجلسون على البسط واتخذ بعضهم لنفسه تاجا كان يظهر به بين الناس وهو راكب بغلا هكذا حكاه في المونس وقد اثبت التاريخ انه كان للسلطان محمد بن الحسن في اخر دولتهم كرسى خاص بجلوسه للحكم بالقصبة شاركه في الجلوس عليه الحاكم الاسباني فكان هذا يجلس يوما والسلطان يوما وابتدأ ظهور فخامة الملك بابهته الشرقية في عهد الدولة التركية فقد كان لديهم في جملة الانظمة التي سنوها بتونس بعد الفتح العثماني في سنة ٩٨١ كرسى خاص بجلوس الباشا بقصر باردو وءاخر لجلوس اغاة القصبة بل كانت لديهم في الجملة سبعة كراسى اشتهرت بهامدنة تونس بين العامة في قولهم « بلاد السبعة كراسى » منها كرسى الداى بديوان دارالشرعية المطهرة وهذا الكرسى امسى شاغرا من عهد وفاة كشك محمد آخر دايات تونس لقبه المشير احمد باي الاول بوزير التنفيذ لتجريده عن الصبغة الملكية التي كانت بخطة الداى متلبسة والكراسى

المذكورة هي كرسى الباي وكرسى الداى وكرسى الباشا وكرسى آغة الكرسى وكرسى آغة القصبه وكرسى كاهية دار الباشا وكرسى آغة وحق الحوانب هكذا ذكرها بعض المعمرين من شيوخ الجيل الفات وقد اتفق لهم تربع بعضهم على جملة تلك الكراسى في وقت واحد كالامير ابراهيم الشريف قتيل غار الملح فانه كان باشا باي داى ترى ذلك عيانا بالوقوف على عبارة منقوشة فوق سبيل له يعرف بعين بيطار على مقربة من مدينة بنزرت ونصها: (الحمد لله امر السيد الامير الباشا الداى الباي ابراهيم الشريف باحياء هذه العين واجرائها احتسابا لله تعالى سنة خمس عشرة ومائة والف اها ما مال البيت الحسينى خلد الله بقاءهم فاوّل من اتخذ منهم كرسيا فخماً لجلوسه بارودو هو الباشا علي بن محمد الاول المتوفى سنة ١١٦٩ قال الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف من آثار هذا الباشا محكمة بارودو وقد تانق في بنائها وجعل فيها كرسيا كسرويا يشعر بالعظمة فلما خلفه في الملك ابن عمه محمد الرشيد باي (١) ازاله بدعوى انه من شعار الكبر واقام مكانه بمحكمة بارودو كرسيا بسيطا من عود الجوز وصنع البلاد وجلس عليه مدة حياته ثم اخواه من بعده واعقابها حتى الباى العاشر وفي ايام الباى علي الثاني بن حسين بن علي لفظ البحر حوتا عظيما من السمك المسمى حوت العنبر بشاطي عويّنة الساحلين من بمعل الساحل فاخذوا سنه وحملوه للباى فصنع منه كرسيا ملكيا لجلوسه وما زال هذا الكرسى قائم الذات حتى الآن بسراية المرسى القديمة واما كرسى محمد الرشيد باي المصنوع من عود الجوز فان احمد باي الاول لما احدث البيت الكبير العلوي بسراية بارودو ووافق ذلك تميزه برتبة المشير من لدن الباب العالي في سنة ١٢٥٦ اتخذ لنفسه كرسيا اميريا لجلوسه وزهد في كرسى عود الجوز المشار اليه ولم يدر كيف كان مصيره والغالب على الظن انه نفسه الكرسى الذي كان يجلس عليه الداى بديوان دار الشريعة المطهرة ولم ينقل التاريخ حصول تبديل بكرسى الملك الحسينى في عهد المشير الثاني محمد باي وكانت مدة ملكه قصيرة موسومة بالخصب في الزرع والضرع فلما الت نوبة الملك لآخيه المشير الثالث محمد الصادق باي جدد عمارة السرايات الملكية باجمعها فجعل كرسى بيت القبول الاكبر بارودو بشكل نصف دائرة منمق بالنقش والتذهيب ومغشى بالديباج يعرج له بدرج مغطاة بالموبر وحوله ستور حريرية ورسم براس الكرسى الطغراء الحسينية التي هي شعار النسب المملوكى موشحة بسلوك الذهب والفضة وجعل تحتها بالطرز العالي صورة نيشان آل البيت الحسينى وفوقها شعاره المملوكى الذاتي وهو عبارة عن طغراء اخرى شكلها بيضى تحفها غصون من شجر الزيتون وسنابل الحنطة كما في سكة الذهب والفضة كتب بقلبها (الله - محمد) وبطوقها (ما شاء الله كان وما لم

(١) واليه تنسب الجمعية الرشيدية التي شنت نغماتها اسماع مدينة تونس في عهدنا الحاضر

يشأ لم يكن) مذيلة بتاريخ سنة ١٢٧٧ التي وقع فيها انجاز هذا النظام الجديد الذي تم ايجاده بعد رجوع الباي من سفره لاسلام على الامبراطور نابليون الثالث بعاصمة الجزائر وهو الذي اشار له شاعر تونس لعهده المفتي الشيخ محمود قابادو بقصيدته التي مطلعها :

ربيع مع جبينك قد اظلا * على افق الجزائر فاستهلا

واما كرسي بيت البلور فانه وهذا البيت من محدثات الباشا محمود باي فقد كان يذيب سكة الذهب البندقي لتمويه سقوفه مما لم يزل اثره جليا لهذا اليوم رغم مرور قرن ونيف عليه نعم ان المشير محمد الصادق باي جدهه بشكله الحاضر مع بقية كراسي الملك الموجودة بكل السرايات الملكية في سنة ١٢٧٧ واتخذ لنفسه لقب صاحب المملكة التونسية وكان المشير احمد باي يلقب نفسه بامير الايالة التونسية واسلافه يمشون مناشيرهم بلفظ باشا باي فيحسب وعثر البعثة هوكون على مكتوب لوالده هذا المشير مزيل بخط يده بقوله « مصطفى باي مير ميران تونس دار الجهاد » واعلم ان بيت البلور هذا هو الذي يقع به تنصيب سمو الباي يوم أيلولة الملك اليه في عصر الحماية وكفن انتصابه عند الولاية في الدور القديم يقع بيت الباشا عدا المشير محمد الصادق باي فان موكب جلوسه على العرش الحسيني اقيم بالبيت العلوي الكبير وفي اثنائه حلف اليمين القانونية بالامتثال لعهده الامان وبيت الباشا كان الامراء الحسينيون يرأسون المجلس الشرعي لفصل النوازل تحت انتظارهم يوم الاحد من كل اسبوع ولم يكن هذا المجلس سوريا بل كانت تقع فيه المباحثات الفقهية بالاخذ والرد والباي يصغي لذلك بكمال الاهتمام ومن هذا القيل نازلة الشيخ البحري قاضي تونس مع استاذة الشيخ ابراهيم الرياحي قدس سره وكرسي بيت الباشا جدهه ايضا الباي محمد الصادق وبهذا البيت كانت خزانة الكتب المعبرة التي احداثها الباشا علي بن محمد بمسجده اما كرسي سراية المملكة بالحاضرة فهو من محدثات المشير محمد الصادق باي احداثه في سنة ١١٧٧ عند تانيته لبيت المجلس الاكبر وكانت كراسي اعضاء هذا المجلس موشى عليها بارقام عديدة مرسومة بالعاج وقد تلاشت كلها او جلها ورايت منها في هذه السنوات بقية بيت مدير اشغال البلد بالمجلس البلدي بتونس فنبهته وان لها قيمة تاريخية توجب عليه الاحتفاظ بها فابتسم وقال نعم . هذا وقد كانت كراسي اخرى لديار الملك التي عفت رسومها ككرسي سراية المرقاية في عهد الباي حسين بن محمود باي وكرسي سراية المحمدية في عهد المشير احمد باي وكرسي سراية حلق الوادي في دولة المشير بن الثلاث وكلها تناولتها يد التلاشي والضياح واما كرسي بيت البحر بحلق الوادي فقد التهمته النار في جملة الاثاث والرياش التي دمرها الحريق في سنة ١٣٠٠ ثم اعلم ان الكرسي الحسيني الرفيع العماد لم يبت منذ تاسيسه ليلة واحدة بحال شغور وقد اتفق انه عند وفاة المقدس المولى علي باي الثالث في خامس ربيع الانور ١٣٢٠ اشار بعض اهل النظر بتاخير موكب

تنصيب الباى الجديد لليوم التالي ريشما تقوم الدولة بترتيب حفلة التقليد وتنظيم اساليبها فلم يوافق الشيخ محمد العزيز بو عتور الوزير الاكبر لعهده على ذلك قائلا « ان كرسيم لم يت ليلة شاغراً منذ تاسيسه » وتمت عقدة بيعة المولى محمد الهادي باي في نفس اليوم الذي ختمت فيه انقاس والدته المبرور وعلى ذلك القياس جرى العمل عند ايلولة كرسى الملك للمولى محمد الناصر باي ولابن عمه المولى محمد الحبيب باي ولحضرة صاحب السمو الملكي ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني بلغه الله الاماني ببركة السبع المثاني وهذه القاعدة الصحيحة لها اعتبار عظيم في الانظمة الحسينية تشهد بذلك حادثة وفاة المرحوم الباى حمودة باشا عند غروب موفى رمضان سنة ١٢٢٩ وولاية اخيه عثمان باي ليلة عيد الفطر فلما اصبح الصباح بايعوه البيعة العامة وهنوه بالعيد وبالولاية في ان واحد

ونختم هذه النبذة المباركة بالتعريف بلفظ باردو الذي تكرر ورود ذكره فيها فان كلمة (باردو) محرفة عن لفظ (برادو) في اللغة الاسبانية ومعناه مرج والمرج في كتب اللغة هو الارض الفسيحة ذات النبات الكثير ويجمع على مروج ومنه كتاب مروج الذهب للمسعودي يؤيد هذا الفهم ان باردو وهو من محدثات بني حفص كان عبارة عن حدائق ورياضات متصلة ببعضها تتخللها البساتين والمسكن الحفصية واتفق ظهوره واشتهاره بهذا الاسم ايام قدوم اهل الجالية الاولى الاندلسية حوالي المائة الثامنة وفي الخلاصة النقية ان السلطان محمد المنتصر الحفصي ادركه اجله بسانيته بباردو في سنة ٨٣٩ وفي عهد الاتراك سكنه امراء الدولة المرادية قال في المؤنس وفي سنة ١٠٩٢ كان الحنان في برج باردو لحفيد الباى (المرادي) وكانت تلك الايام تعد من الاعمار اه ولما آل امر الايالة التونسية لحكم البيت الحسيني اتخذوا منازل لهم بباردو ووسعوا في ابراجه والمسجد الجامع الموجود به من حسنات المولى حسين ابن علي طاب ثراه والمحكمة التي بقصر الملك من محدثات حفيده الباشا علي بن محمد كما سبقت الإشارة لذلك وممن زاد في فخامته وعمارته المشير احمد باي وبه اسس المشير الثاني محمد باي دار الحريم التي تحاكي في جمالها حمراء غرناطة وفيها انتصب المتحف العلوي سنة ١٣٠٥ وزيد في عمارته اثناء الدولة الصادقية من ذلك صرح على بابه اقيمت به منجاة زمنية على شكل منجاة بطحاء القصبه بتونس مسحتنا يد الايام مع السوق الذي كان به والدور والدكاكين الكثيرة التي اقيم مقامها الحديثة الجميلة الموجودة هنالك لعهدها الحاضر والخلصة ان باردو كان عبارة عن بلد جامع يأهله نحو الثلاثة آلاف نفس به دار الامارة ودواوين الوزارة التونسية باجمعها وكان انتقالها لسراية المملكة بالحاضرة في منتصف ربيع الآخر سنة ١٣٠٠ وكان به قاض على المذهب المالكي وآخر من تولى هذه الحطة المفتي الشيخ عمر بن الشيخ المتوفى سنة ١٣٢٩ وكان لشيخ البيت البارودي قدم سبق بين الفقهاء في ملازمة الامراء الحسينيين بباردو وهم اول من صاهروهم من بيوت العلم وشاركوهم بالانظار الفقيه اثناء الاجتماعات الشرعية الاسبوعية للنظر بحضرة الباى في مهمات النوازل والشئون وسبحان من امره بين الكاف والنون

محمد بن الخوجة

العيد

مظاهر العيد عندنا

اقبل العيد والمواسم عود
فترى شرد المنى طائعات
كلنا يرغب الحياة ولكن
قدر الله في الخليفة جار
امة تبقي مع الخلف فوزا
امة حظها الحضيض واخرى
وعسى ان يكون بالعود احمد
ونرى جانب النهوض مؤيد
كان شمل الجهود منا مبدد
ذا حليف الهنا وذاك منك
بمجال به الردى يتردد
نصبت فوق هامة النجم مقعد

ارجع الطرف الامور التي تج
تلف منها مازلا تؤلم النفس
معشر يرصد الهلال فان لا
مستخفا بدينه مستحلا
باذلا رشده بحانة خما
بين زق وطاسة وقيان
فاذا ما تقلصت شفاته
وهمت مقلته بالدمع سكر
وغدا كيسه خليا واضح
طرحته اليد التي اسكرته
ري جواليك ايها العيد واشهد
س وتؤدي طرف العلاء المسهد
ح شدا بابنة الدنان وعربد
حرما رعيها عليه تأكد
ربها مظهر الشقاء مجدد
وبشراك من البغاء ممدد
وتثنى قوامه وتأود
وترامى على الثرى وتمدد
عرضه مظلم الصحيفة اسود
بهاوي النعال طرح المشرد

وفريق يرميه من لعب اليه سر سهم من الخسار مسدد
كلما جمعت يداها نضارا اتلف المسير النضار وبدد
فقرى عيشه وعيش ذويه محتلى البؤس بالفناء مهدد
يلسع الجوع زوجه وبنيه وهو لالا ييم في شر مقصد
ان شكاه البنون جوعا وعريا ابرق الفظ بالسباب وارعد

وفريق يختال في الخز والدير ساج من رحمة الفقير مجرد
يبدل المال في لباس رفيع وطعام على الرفوف منضد
واذا ما دعاه للبر داع قال دعني فان عيشي منكد
لست قارون ذا الكنوز لاعطي انما المال بالمطية ينفد
لمتى الشح ! والزكاة نماء وثواب ونعمة تتجدد
ان في المال والنفوس حقوقا ولحق الفقير بالرعي اوكد
ذلكم مظهر المواسم فينا وعسى ان تكون بالعود احمد
الطاهر القصار

المكتبات

عناية الامم الحية بها وتفریطنا فيها

بقلم الاديب البحاته الشيخ محمد بن الشاذلي العنابي
المتوظف بالاوقاف

من بين المظاهر العامة الدالة على سموق الامة ونزوعها نحو الكمال . وتسنيها معارج الحضارة
عنايتها حكومة وشعبا بالمكتبات لانها الوسيلة الحقة لخدمة الثقافة العامة وترقية المستوى العلمي لأفراد
الشعب اذ لا يخفى ان اقوى ما تعتمد عليه الثقافة ليس هو المدرسة بل هو المطالعة المنظمة ، ذلك ان
غاية ما تقوم به المدرسة هو تلقين المتعلم طرق الفهم والاستنباط وارشاده الى قواعد البحث وكيفية
استغلالها وتربية ملكة النقد فيه ، اما توسيع المدارك وكسب المعرفة فبسيله المطالعة المنظمة المسيرة

للقواعد الفنية المقررة لذلك . ومن ثم ادركت الحكومات الراقية مبلغ ما تنفد به المكتبات العامة من ضروب المساعدة على ترقية مدارك الامة بتغذيتها باقوانين المعرفة .

وهذه الظاهرة كما نشاهدها اليوم في البلاد المتعدنية كذلك نلمس آثارها فيما تحدثنا به المصادر التاريخية الوثيقة عن ازهر العصور العلمية في الشرق والغرب فما من امة كنب لها السمو في الفن والرقى في العلم الا كان سبب ذلك راجعا الى ما امتلجته على طريق المكتبة من افويق الحكمة والعرفان فهذا عهد البطالسة بالاسكندرية كان من ابرز مظاهره العلمية المكتبة المشهورة التي اتهم العرب باحراقها عند فتحهم البلاد المصرية (١) وهذا العهد الاموي كان من ابرز شخصياته العلمية خالد بن يزيد الاموي الذي يرجع اليه الفضل الاكبر في وضع الحجر الاساسي للمكتبة الاسلامية بما جمعه من نفائس الكتب (٢) ومثله العهد العباسي الذي ظهرت فيه العناية بالمكتبة على ايدي المنصور والرشيد والمأمون عناية بلغت بها الى الغاية ، وكذلك الحال بالاندلس فقد نشطت حركة تنظيم المكتبات باهم عواصمها على عهد عبد الرحمن الناصر والحكم الثاني (٣) والحاجب المنصور ابن ابي عامر والمظفر بن الافطس صاحب بطليموس (٤) ويوسف ابن تاشفين . ومثل هذه العناية التي ظهرت ببلاد الشرق كذلك ظهر مثلها ببلاد الغرب في عصور النهضة كعصر لويس الرابع عشر والكردينال ريشليو وغيرهما من انصار العلم .

وما تلك العناية الا اثر من آثار الاعتزاز بمجهودات الاسلاف وتقدير لنتاج قرائهم الدائمة التي كانت تعمل لهداية الانسانية الحائرة من الشكوك والاهام وقد اخذت هذه العناية تتضاعف ببلاد الغرب شيئا فشيئا من عهد ريشليو الى يوم الناس هذا وظهر ذلك واضحا جليا بما تخصصه لها الحكومات من الاعتمادات الوافرة لتوسيع نطاق اعمالها التي تؤديها المجتمع من تثقيف وتهذيب ولا ادل على نجاحها في تاديتها لرسالة الثقافة العامة من ان الحكومات الراقية وسعت في دائرة اعمالها

(١) فند هذه الخرافة الاستاذ الفراد بتلر في كتابه فتح العرب لمعرض ٣٤٨ وسيديو في خلاصة تاريخ العرب ص ٨١

(٢) هو اول من ترجم الى العربية من اليونانية اه الفهرست لابن النديم ٢٤٢-٢٤٤ - واخبار الحكماء لابن القفطي ٢٨٦ لا المأمون كما توهمه البعض نعم في عصر المأمون نشطت حركة الترجمة

(٣) كانت خزائنه تشمل نحو ٤٠٠ الف مجلد

(٤) كان كثير الادب جم المعرفة محبا لاهل العلم جماعة للكتب ذا خزانة عظيمة لم يكن في تاريخه في ملوك الاندلس من يفوقه في ادب ومعرفة وله الكتاب العظيم المترجم بالتذكرة والمشتهر بالمظفري وضعه في خمسين مجلدا يشتمل على علم جم وادب وفر وكل فنون الادب من مغاز وسير ومثل وخبر توفي سنة ٤٦٠

وعمدت الى تجربة كان لها النصيب الاوفى من النجاح وتلك التجربة هي احداث مكاتب سيارة تجوب القرى والمداشر ناشرة بين اهلها الذين حرمتهم الحياة الريفية من التمتع بالدرس والمطالعة - ما يفيدهم ويرتبط بحياتهم تلك ارتباطا وثيقا . تلك هي الحالة في بلاد الغرب اما الحالة في البلاد الشرقية في القرن التاسع عشر فتختلف باختلاف الاقطار فمصر مثالا لم تظهر عنايتها بالمكتبة الا في عهد عزيزها محمد علي الذي اولاهها عناية نسبية دلت على مبلغ تقديره لهذه الناحية في حياة الامة وترقيتها . وقد سلكت المكتبة الخديوية سبيل النشوء والارتقاء حتى بلغت الى ثأو تعبط عليه في عهد المغفور له فؤاد الاول وهي الآن تعتبر اكبر مكتبة في الشرق الاسلامي وقد عهد اخيرا بادارتها لفيلاسوف الكنانة الدكتور منصور فهمي وقد وقفنا على ما قام به وما اعترم عليه من مظاهر البعث والتجديد مما جعلنا موقنين بنتيجة اعماله الطيبة لما عرف عنه من الكفاءة التامة والاخلاص في العمل

اما غير مصر ومن بينها تونس فقد كانت الاضطرابات الداخلية تعصف بها عن ذلك وتقعدها عن مسيرة التطور العلمي الذي ظهر باروبا فاصيبت من جراء ذلك المكتبة الاسلامية بملك البلاد بضربات نالت منها في الصميم فتبعثرت مكنوناتها وذهبت شذر مذر وتوعدت بذلك المسالك على الباحثين وحيل بينهم وبين ما يشتهون

ان الضربات التي اصبحت بها المكتبة في هذه البلاد من جراء الاحداث التي منيت بها فاستبدلت أمنها خوفا واطمئنانها فوضى لتجل عن الحصر ولا نبعد كثيرا فهذه الحملة التي وجهها الاسبان على هذه البلاد في القرن العاشر الهجري قد مزقت سنايك خيلها التأليف التونسية واثت على محررات الاجداد تلك المحررات التي ديجتها يراعة ابطال تلك النهضة العلمية التي قامت بالشمال الافريقي وكانت تضاهي ما قام نيسابور ومرو وبغداد وقرطبة . وانك لو ناشدت كتب التاريخ عن ذلك التراث العلمي الحافل الذي طالما ذكرته كتب التراجم كآثر من آثار من ترجمهم لقصت عليك من انبائه عجباً ولرجعت حصر الصدر شرد الفكر تصاعد منك الزفرات تصاعداً تكاد تفارق معه الحياة (١) فهذا ابن الابار (٢)

(١) راجع ما كتب عن نكبات المكتبة الاسلامية في معجم البلدان لياقوت ج ٨ ص ٣٥ وذيول مذكرة الحفاط ص ٢٤٥ وحاضر الاندلس وغابرها ص ١٥٥-١٥٨

(٢) هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله ابن ابي بكر ابن الابار البلسني ورد على تونس موفدا من صاحب بلنسية زيان بن مردنيش لطاب المعونة من الخليفة ابي زكرياء الحفصي كان من مغاخر الاندلس له مشاركة في العلوم واختصاص في التاريخ ولما دخل على الخليفة الحفصي انشده قصيدته المشهورة :

ادرك بخيلك ارض الله اندلسا * وكان ذلك سنة ٦٣٦

وقد اعجب ابن الابار بتونس واطمان اليها فرجع لبلده واستصحب عائلته ثم عاد لتونس فاقام بها واحكم علاقته مع رجال البلاط حتى اتصل بالخليفة فاكرم وفادته وعرف له منزله فاستدناه .

الوافد علينا من الاندلس يحدثنا عنه الزركشي في كتابه تاريخ الدولتين^(١) فقد ذكر انه ذهب هو وتآليفه التي بلغت خمسة واربعين كتابا في التاريخ والتراجم^(٢) من بينها ما هو موضوع في تاريخ هذا القطر ورجاله . ذهب الجميع ضحية الحق والسعاية فقتل بامر المستنصر الحفصي وكزا بالرماح واحرق تآليفه بموضع قتله كل ذلك سعاية مأكرة قام بها ضده عصره الغساني نحو مولاة جنى بها على صاحبه بالجنب واركتب نحو العلم جريمة لا يغفرها له العلم واهله وكأن ابن البار قد نظر الى ما سيؤول اليه حاله - والمؤمن ينظر بنور الله - فجاشت نفسه بقوله :

اذا ما رايت الرسوم انمحت * ولم يرع حق لذي منصب
فخذ في التحول عن تونس * وأترك معالمها واهرب

ولكن نفذ القضاء في ابن البار وتآليفه نفاذاً لا يجدى معه التأوه والتحسر

ومن القضايا التي حفظها لنا التاريخ وتعتبر اصدق صورة لتلك الضربات التي اصابت بها المكتبة التونسية وبها يمكن الاستدلال على مبلغ ما وصلت اليه هذه الامة من دركات الانحطاط والجهل ما يحدثنا به صاحب المشرع الملكي - على عاميته - عن بعض معاصريه انه بعد ما اصاب بما كان معهودا في ذلك العصر من هدر الدم وهتك العرض واستباحة المال دخل بعض الخدمة لمكتبته فاستباحها وحمل ما وقع عليه بصره من الكتب لداره وهل تدري ما صنع بها ذلك الغبي الغمر هل تظن انه انتفع بها او نفع كلا . . . بل باعها المسكين لبعض الباعة وهذا بدورة استعملها في لف بضاعته !!!

انها حالة تحمل الاغيار على ان يبعثوا من ورائها ابتسامات السخرية والاستهزاء حقا انها حالة

وعرف ابن البار كيف يكتسب عطف الخليفة ورجال الدولة حتى انتظم في سلك ديوان الانشاء ولما توفي ابو عبد الله بن الجلاء اولاه الخليفة في خطته وهي صاحب العلامة وهي تشبه خطة صاحب الطابع اليوم فشغلها مدة بسيرة ثم اخر عنها لما ظهر عليه من الحق واستنقص بعض ذوي المكانة والاقدام على توقيع ما هو خارج عن دائرة عمله ثم اسندت خطته الى احمد بن ابراهيم الغساني فنشأت بين الرجلين حزازات ونجح الغساني في تاثيراته على الخليفة اذ ذاك محمد ابن ابي زكرياء فاوغر صدره عليه حتى حبسه وامر بضربه بالسياط بمقصورة المحتسب ثم قتل وندم الخليفة على فعلته النكراء ولات ساعة مندم

(١) ٢٠-٢١-٢٧

(٢) لم يبق من تآليفه فيما نعلم سوى تكملة الصلة لابن بشكوال والحلة السيرة وفهرسته وقطعة من تحفة القادم وقد قام بطبع الاول الاستاذ ابن ابي الشب وطبع الثاني ضمن المجموعة التي طبعها العلامة كوديرا الاسباني في ثمانية اجزاء بمديرين سنتي ١٨٨٣ و ١٨٩٢ تحت اسم المكتبة العربية الاسبانية . اما الثالث والرابع فيوجدان في مكتبة دير الاسكوريال

تدعو الواقف الى ان يندب رسوم المعارف والفنون ويوجود بدمعة مہراقاة على تلك العصور التي انتابت البلاد فاقحلت وصوح نبتھا فاصبح هشيمًا تذروه الرياح ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار .

وهنا لا يجمال بنا أن نغفل ذكر ما لعبت به الايدي الاثيمة في الخزائن العامة كخزانة جامع الزيتونة وجامع القيروان وبقية المكتبات التي كان لا يخلو منها جامع او مدرسة كجامع حمودة باشا (١) وجامع صاحب الطابع وغيرهما فقد فقد من هذه المكتبات ما استأثرت ببعضه المكتبات الخاصة وتناقلت بعضه الآخر خزائن الغرب بطريق بعض الخونة - مثل سليمان الحريري - (٢) اولئك الذين باعوا ذمتهم وضمايرهم وما تركه لهم اجدادهم من التاليف بدراهم معدودة وكانوا فيها من الزاهدين

فتحن نرى كيف تظافرت العوامل على تشييت تلك الاعلاق النفيسة واتلافها ويظهر ان أهم هاتيك العوامل هو التفريط والاهمال يتبع محمد الغناني

(١) كانت توجد به نسخة من صحيح البخاري هي آية في جمال الخط وبداعة الفن ولما نقلت الى مكتبة العبدلية فقد منها احد اجزائها وقد عثر عليه ذات يوم بيد الدلال بسوق الكتبية فاعلم بذلك القاضي العادل الشيخ الطاهر النيفر فاحضر الدلال واستعلمه عنه فاخبره بان فلانا ... احد ابناء الحاضرة قد كلفه ببيعه فما كان من الشيخ الا ان دفع للدلال المبلغ الذي انتهى اليه وامر بالحاقه بالمكتبة العبدلية .

(٢) اصله من عائلة فارسية قديمة نزلت من بلاد العجم الى تونس وهو ابو الربيع عبده سليمان بن علي الحريري الحسني ولد بتونس سنة ١٨٢٤ قرأ العلوم الدينية اولا على علماء وطنه ثم اكب على درس الطب والطبيعات والرياضيات واللغة الفرنسية حتى حذقها وفي ١٨٤٠ اولاه الباي رئاسة ديوان الانشاء وبعد ست سنين من ذلك العهد رحل الى باريس فانتدبته حكومتها للتدريس بمدرسة اللسان الشرقية واثناء اقامته بها تولى رئاسة تحرير جريدة (برحيس باريس) التي انشاها الشيخ رشيد الدحداح فنشر بها قسما من سيرة عنترة وقلائد العقيان ثم طبعهما على حدة وترجم كتابا غير ذلك كرسالة في الظواهر الجوية طبعها سنة ١٨٦٢ اودعها خلاصة هذا الفن وكان وضعها دليلا على سعة اللسان العربي وكفايته للمعارف العصرية ونهيج العربون بعد ذلك منهجه لا سيما المرسلون الاميريكان والى سنة ١٨٦٧ كتاب عرض البضائع العام في وصف معرض باريس وله القول المحقق في تحرير البن المحرق وترجم كتاب لومون في الاصول النحوية ونشر مقامات الشيخ احمد بن محمد الشهير بابن المعظم احد ادباء القرن الثالث عشر مسيحي وتوفي الحريري وله من العمر نحو الخمسين عاما ويقال انه ارتد والعاذ بالله اه مخلصا من تاريخ آداب العربية لزيدان ج ٢ ص ٣٦ ، والصحافة العربية ج ١ ص ١١٩ وتاريخ الآداب العربية لشيخوخ ج ١ ص ٩٨

العام الإسلامي

المسلمون في فينلاندا

بقلم الأستاذ عثمان الكعاك
المدرس بالمدرسة العليا للاداب

١ - البلاد الفنلاندية قطر من اقطار اوربا الشمالية يحده شرقا روسيا وغربا البحر البلطي (البلطيق) والسويد والنرويج وجنوبا خليج فينلاندا وشمالا البحر المتجمد الشمالي. تبلغ مساحتها ٣٨٨،٤٨٣ ميلا مربعا - اي ثلاثة اضعاف مساحة القطر التونسي - وبها من السكان اربعة ملايين . هذه البلاد عبارة عن مائدة من حجر الجرانيت واسعة النطاق مترامية الاطراف قد خرمتها المناهج الكبرى وهي قليلة الارتفاع اذا استثنينا حدودها من جهة النرويج في الغرب فان تشعبات جبال الالب الاسكندنافية تبلغ هنالك ارتفاعا يتراوح بين ٧١٥ م. و ١١٢٠ م.

ومن المفروغ منه ان قريبا من القطب الشمالي قد جعلها بلادا شديدة البرد طويلة الشتاء كثيرة الثلوج حتى ان معدل البرودة يبلغ عشرة تحت الصفر في الشتاء وه ١٥ فوقه في الصيف . ومع ذلك فان اقليمها من اصفى اقاليم العالم واجملها واصلاحها لسلامة الابدان . تمتد بسبب الثلوج الى ما لا نهاية له تتخللها غابات الصنوبر والبحيرات الكبيرة اللهوعة السطح البديعة التقطيع .

يسكن هذا القطر شعب مغولي الاصل فطري الحضارة قد هاجر من اواسط اسيا الى اوربا في القرن الثالث الهجري (٨ م .) كان يعيش قديما من صيد البر والبحر . ثم تحول من عهد المدينة الحجرية الى عصر المعادن وتدجين الحيوانات : وقد بقي على حالة بداوته الى القرن السادس الهجري (١٢ م .) . اما اليوم فقد دخلته الحضارة الاروباوية فاهل المدن يعيشون عيشة سائر الاروباويين واما اهل الارياف فيعيشون في ديار صغيرة مبنية من الخشب صغيرة النواقد او في خيام مخروطية الشكل مؤلفة من اغصان الشجر وخز الارض . هؤلاء الاقوام منقسمون الى شعبتين جنسيتين الاولى شعبة « التافاست » الضاربة بغرب البلاد قصيرة القامة بيضاء اللون شقراء الشعر قصيرة الرأس مفلطحة الوجه واسعة الفم قليلة الاهتمام بالشعر والالحن . واما الشعبة الثانية فهي فرقة الكارلين سمراء اللون

قسطلية الشعر طويلة الانف متوسطة الفم معتدلة القامة محبة للالخان والاشعار فهي كثيرة الرجالين . هذا الشعب قد تفرق في بلاد فنلندا على نسب مختلفة لا يزيد معدلها عن تسعة سكان في الميل المربع فمعظمها مكتض بالسواحل بحيث ان نسبة السكان في الجنوب تبلغ ٣٩ في الميل المربع بينما هي لا تتجاوز اثنين في الشمال .

اما الحكومة فهي عبارة عن جمهورية ومجلس امة يقع انتخابه بالاقتراع العام من الرجال والنساء . والبلاد منقسمة الى تسع مقاطعات عاصمتها مدينة هلسنكي ففورس او هلسنكي وهي مدينة واقعة على خليج فنلندا بها من السكان ٢٠٧،٩٥٠ نسمة وبها جامعة ومتاجر الخشب والمعادن واما المدن الاخرى فاهمها : تركو وتامرفورس وفيبورغ



في الكراس الاول والسنة ١٩٣٤ من مجلة المباحث الاسلامية التي يصدرها الاستاذ ماسينوف بمدينة باريس مبحث دقيق عن احوال المسلمين بفينلندا قد دبجه يراع السيد بشر فارس فراينا ان تنقله الى قراء هذه المجلة الغراء ليعلم المسلمون احوال بعضهم بعضا في مشارق الارض ومغاربهم وجنوبها وشمالها . واليك نص التعريب :

في تاريخ ٢٤ افريل ١٩٢٥ اعترفت حكومة فنلندا رسميا بالديانة الاسلامية بمقتضى قرار اصدرته لفائدة المسلمين القاطنين بتلك الديار . اصل هؤلاء المسلمين من الاتراك التاتار الذين هاجروا الى الشمال على اثر الانقلاب البلشفي بالروسيا واستقروا بفينلندا . على ان البعض منهم يعرفون الديار الفنلاندية جيداً بموجب ترويج سلهم هنالك قبل الانقلاب الروسي بعد طويل . هؤلاء المسلمون لا يتجاوز عددهم ٦٤٨ شخصا اي ما ينف عن مائة عائلة بيسير وهم متفرقون بين ١٧ مدينة ولو ان معظمهم بهلسنكي العاصمة وتامرفورس وتركو . تتعاطى الحالية الاسلامية تجارة الفراء والانسجة حتى ان الكثير منها مياسير وقد اشتهرت بمسالتها ونشاطها في العمل واقبالها على شؤونها باجتهد .

تحول هؤلاء القوم من الزعمية الروسية الى الوطنية الفنلاندية . ولما كانت قوانين فنلندا قد قررت حرية الضمائر والاديان فان المسلمين متمتعون بكامل الحقوق المخولة لكل فنلاندي مهما يكن جنسه او معتقده . فالمسلم يستطيع ان يشغل اي وظيف من الوظائف الدولية على ان هؤلاء المسلمين غير خاضعين لجميع احكام القانون المدني الفنلاندي فمسائل الانكحة بيد الامام الذي يتولى ايضا تقييد المواليد والوفيات ولا يعرف بها الدولة الا على راس السنة في صورة

احصائية رسمية . وفوق ذلك فهم من الناحية الاجتماعية اوسع استقلالاً . فلا يتزوجون الا من بينهم وعلى مقتضى الشريعة الاسلامية . وقد نقل لي ان بعض المسلمين يتزوجون النصرانيات ولكن هؤلاء سرعان ما يعتنقن الديانة الاسلامية واذا لم يعتنقن فان الخلاف يشجر فيما يتعلق بحالة الولد من حيث المعتقد لكن هذا الخلاف عجلان ما ينحسم في رسم الامام المولود الجديد بدفتر الحالية الاسلامية ويقضي الامر بسلام . يعنى المسلمون الفنلنديون عناية خاصة بتربية اولادهم تربية اسلامية صحيحة ووطنية ثابتة . وقد انشأوا مدارس لهذه الغاية يذهب اليها الاطفال ثلاث مرات في الاسبوع فيتعلمون بها اصول الدين الاسلامي وتاريخ الاسلام والامة التركية ويحفظون القرآن باللغة العربية . اما لغة التعليم فهي اللسان التركي ولا يتعلم الاطفال من العربية الا الحروف والتجويد لكن هذه المدارس قليلة العدد واهمها مدرستا هلسنكي وتامرفورس اللتان تشغلان التسعة اشهر الدراسية اما بقية المدارس الموجودة في الجهات التي بها اقلية اسلامية ضئيلة فانها تفتح بالتناوب ثلاثة اشهر في السنة ويتحول فيها الاساتذة من مدرسة الى اخرى . على ان المسلمين لا يكتفون بالمدارس فحسب بل ينظمون المسامرات المختلفة المواضيع فتارة تكون في المواضيع الدينية وتارة في المسألة القومية التركية واخرى في التاريخ التركي الاسلامي . يقوم بهذه المسامرات اساتذة المدارس او بعض المسلمين الزائرين - وخاصة الاتراك - اما الطباعة فهي ناشطة ومن ذلك ان السيد ابراهيم عارف الله الكاتب العام للجمعية الاسلامية الفنلاندية قد الف رسالة في الدعاية الوطنية »

... ثم قال :

« لا يوجد جامع كبير بفنلاندا ولكن هنالك ثلاثة مساجد احدها بهلسنكي والاخر بتامرفورس والثالث بتركو وهنالك حيث لا توجد مساجد يجتمع المسلمون رجالا ونساء ببعض المنازل لاداء صلاة الجمعة . اما النسوة فلا يذهبن غالبا الى المساجد الا لتادية صلاة العيدين . ولا يوجد الا امام واحد (وهو السيد والي احمد حكيم) يعيش على نفقة الحالية الاسلامية ويقيم بهلسنكي لكنه ينتقل بانتظام من بلد الى بلد . واذا غاب الامام تقدم للصلاة من حضر من المسلمين وكان اقدمهم في الدين . واذا جاء المولد الشريف تلا المسلمون آي الذكر الكريم باصلها العربي وقام الامام خطيبا فلقى خطابا باللغة التركية بحسب ما تقتضيه الظروف وادب المياسر المآدب اكراما لصاحب الرسالة (صلى الله عليه وسلم) ان مسلمي فنلاندا لا يتناولون الكحول في عمومهم بالرغم عن شدة البرد ولا يقدمون المسكرات في اية حفلة من حفلاتهم الدينية او الوطنية . وقد اثبتوا لي انه لم يقع ايقاف ولو مسلم واحد بتهمة سكر منذ عشرين سنة . والبعض من سكان فنلاندا لا يصومون شهر رمضان اذا كان

في طوال ايام المصيف ولكنهم يرجؤونه الى شهر آخر من شهور السنة (١) وذلك انه في شهري يونية ويولية من السنة حينما يكون النهار طويلا جدا يعتقدون ان صوم رمضان في ذلك العهد غير اضطراري وانما على الانسان ان يقضي ذلك الشهر في غيره من شهور السنة بدون كفارة . اما الحج فقد حج مسلم واحد .

تتمتع المرأة المسلمة بنفس الحرية التي تتمتع بها اختها الفنلاندية او تكاد . ولا يمكن للفتاة المسلمة ان تتزوج قبل السنة السابعة عشرة واما الاملاك فهو على نمط الاملاك عند الفنلانديين ولكني اجهل هل ان المسلمات قد بلغن اوج التطور المتناهي الذي بلغته الفنلانديات « اه بشر فارس



وقد انشا المسلمون الفنلانديون جمعية دينية تحت اسم « الجامعة الاسلامية الفنلاندية » وقد حرروا بالاجماع بيان القواعد الاساسية التي تركز عليها الديانة الاسلامية وبنوا احكامها كما يلي :

- ١ - واجبات كل مسلم ومسلمة :
- ١ - الديانة بالعقيدة الاسلامية
- ٢ - اقامة الصلاة خمس مرات في اليوم والاجتماع لصلاة الجمعة جماعة بالمسجد
- ٣ - الصيام « شهرا » في السنة
- ٤ - ايتاء الزكاة لمن استطاع الى ذلك سبيلا
- ٥ - الحج على من استطاع الى ذلك سبيلا
- ٦ - التعهد باحترام جميع الاحكام المقدسة والخضوع لها
- ٧ - الالتزام بتطهير الباطن والظاهر والروح والجسد
- ٨ - الاستقامة والعفاف
- ٩ - احترام كل البشر وعدم اذاية اي شخص
- ١٠ - ان يحب لاخيه ما يحبه لنفسه ويكره لاخيه ما يكرهه لنفسه

هذه هي احوال المسلمين بفنلندا . وفي العدد المقبل نتحدث عن قانونهم الاساسي واحوالهم

عثمان الكعك

الادبية - ان شاء الله تعالى - (٢)

(١) نلاحظ هنا ان نهار الصيف في القطب الشمالي يكاد يتصل بدون انقطاع من غير ظلمة حالكة

بحيث ان الليل اعتباري لا غير

(٢) في عدد مقبل : المسلمون في بولونيا ورومانا وبلغاريا من بلاد اوروبا

المرأة العلمية واللاوية

مشكلة المرأة التونسية من حيث التربية والتعليم وآراء المفكرين فيها

تجدد في الفكر العام التونسي هذه الايام الاشتغال بالمرأة التونسية والسعي للنهوض بها من جميع نواحيها . والبحث عن احسن الطرق الموصلة لذلك . فكان ذلك باعنا لجمعية قدماء الصادقية على اقامة منبر عام تعرض عليه آراء مختلفة في هذا الموضوع ليختار الاصلح منها . فطلبت من رئيس تحرير هذه المجلة الشيخ محمد المختار بن محمود ان يقوم بالقاء مسامرة تكون ككتقرير عام يقام عليه اصل البحث في هذه القضية . واختارت افرادا من نبغاء المفكرين ليدلوا بأرائهم اثر تلك المسامرة . وفي يوم الاربعاء ٢٤ رمضان المنصرم وقع اجتماع عظيم للغرض المذكور بقاعة الاجتماعات الفرنسية حضره اعيان الامة واصحاب الرأي فيها من علماء وادباء ومختلف الطبقات وفتحت الجلسة على الساعة التاسعة الاربعاء بالقاء خطاب وحييز من حضرة رئيس قدماء الصادقية السيد محمد علي العنابي . تعرض فيه لبيان الغرض من الاجتماع ولبرنامج ما سيقع فيه . وبعد ذلك القى الشيخ ابن محمود مسامرتة فكانت درسا وافيا لموضوع المرأة . من جميع ما يتعلق بها . فبسط نظرية الاسلام في معاملتها وترقية مستواها . وتقرير ما لها وما عليها من الحقوق التي منحها لها الاسلام من منذ اربعة عشر قرنا مما تفوق به المرأة الغربية حتى في هذا الزمان . مستدلا في كل ما قاله بادلة من القرآن والحديث واقوال العلماء . ثم تعرض لحالة المرأة التونسية في عصرها الحاضر . ثم قدم برنامجا عمليا في كيفية النهوض بها في جميع اطوار حياتها بما يتناسب مع ما جاء به الاسلام . وتوجه اصول التربية الدينية والأخلاقية مع الاقتصار في تعليمها على اللغة العربية لانه لا ضرورة تدعوها لتعلم غيرها .

وبعد انتهائه توالى على منبر الخطابة السادة الفضلاء : الشاذلي النيفر المدرس بجامع الزيتونة . محمود بيرم المصري صاحب جريدة (الشباب) . محمد المهدي بن الناصر الوكيل لدى المحاكم التونسية . احمد بن ميلاد الطبيب . الطاهر صفر المحامي . محمود المسعدي المدرس بمدرسة الليسي كارنو عبد الوهاب باكير المدرس بالمدرسة العلوية

فادلى كل واحد برأيه وكانت آراء الخمسة الاولين متقاربة . في مجموعها مع ما قرره المسلم الاصل والخطيبان الاخيران فقد كان رايهما لا يخلو من تطرف وسير مع الخيال منشؤه حدوث عهدهما بالحياة الاجتماعية العامة وكونهما في بداية طور التجربة . وفي اعتقادنا انهما بعد ان يبلوا حلو الحياة ومرها . وبعد معاناة اطوار التجربة وقطع مراحلها يكون رايهما متقاربا مع راي من سبقهما في ذلك الميدان . اذ فرق بين من يتكلم بعد تجربة وطول اختبار . وبين من يتكلم وهو سابح في بحور الخيال التي لا ساحل لها . وقد كان من رايهما ان المرأة يجب ان تعطى لها حرية مطلقة في سيرتها واعمالها وتعلمها وعدم اعتبارها مختصة بشؤون البيت ومقصورة عليها . الى غير ذلك من الآراء التي تضرب على هاته النغمة

وعلى كل حال فانهما قد قالوا ما يعتقدانه صوابا . وعلى الناس ان يعملوا بما يرونه صالحا موافقا

لدين البلاد وعوائدها وآدابها وذلك لا يتحقق الا بتنفيذ الاقتراح الذي قدمه المسامر الاصلي في اواخر مسامرته من وجوب عقد اجتماع عام لاجراج هذا الموضوع من الناحية الفكرية الضيقة الى الناحية العملية الواسعة النطاق . وفي ذلك الاجتماع وعند تحاكد الانظار يعلم اي الرأي اقرب للصواب . واضلح بهذه البلاد . فلما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .

في دار الشريعة المطهرة

بناء على احالة جناب العلامة التحرير صاحب الفضيلة الشيخ سيدي حسين بن الخوجه المفتي الحنفي على السراحة نظرا لكبر سنه ولمرضه فقد اسند ملكنا المعظم ابقاء الله خطة الافتاء المنحلة عنه لاختيه جناب العلامة التحرير الشيخ سيدي علي بن الخوجه المدرس الحنفي من الرتبة الاولى بجامع الزيتونة عمرة الله . ووقعت ولايته بدار الملك في حمام الانف يوم الخميس في ٣ رمضان وفي ١٩ نوفمبر المنصرمين . واثرها وقع تنصيبه بالمحكمة الشرعية حيث ذهب اليها يصاحبه جناب شيخ المدينة طبق العادة المؤلف بتونس من الاعتناء العظيم بالخطط الشرعية وتنويه الملوك العظام بشانها . وهذان الاخوان ابقاهما الله هما فرعان من الشجرة الخوجية التي رسا اصلها في الثرى ونما فرعها الى السماء . واقامت دعائمها على تقوى ورضوان من الله . يتوارث افرادها العلم خلفا عن سلف من منذ زمن طويل . وذلك هو سبب مجدهم وارتفاع شانهم في بلادنا .

ولد جناب المفتي الجديد في حمادى الثانية سنة ١٢٩٨ وتربى في كنف والده شيخ الاسلام سيدي احمد بن الخوجه . الذي ملا ذكره الاسماع . في جميع البقاع . وتاهت به هذه البلاد فخرا . وخبرت ذيولها كبريا . رحمه الله . ونشأ نشأة علمية دينة . فحفظ القرآن في صغره . ثم زاول الدروس بالمدرسة الصادقية . ثم انتظم في سلك تلامذة جامع الزيتونة المعمور . واحرز على شهادة التطويق في عام ١٩٢٣ وزاول الدروس على اعيان علماء العصر . منهم اخواه المفتيان الشيخ سيدي محمد والشيخ سيدي مصطفى . ومنهم عمه شيخ الاسلام سيدي محمود بن الخوجه . ومنهم الشيخ سيدي محمد النجار المفتي المالكي والشيخ سيدي مصطفى رضوان وابنه الشيخ سيدي محمد رضوان المفتي الحنفي . والشيخ سيدي محمد القصار المفتي المالكي والشيخ سيدي محمود بن محمود المفتي الحنفي . والشيخ محمد ابن القاضي القاضي الحنفي . وهؤلاء كلهم قد لحقوا بالدار الآخرة رحمة الله عليهم .

ومن مشائخه من الاحياء . العلامة المحقق الجليل الشيخ سيدي محمد بن يوسف شيخ الاسلام والشيخ سيدي احمد بن مراد . والشيخ سيدي حسين بن الخوجه .

وظائفه

تولى التدريس الحنفي من الرتبة الثانية في عام ١٣٢٦ واثرها باشر خطة كاتب النوازل بالدائرة الحنفية بالديوان المعمور . وباشر التدريس بالمدرسة الصادقية في عام ١٣٣٣ وتولى عضوا نائبا بالمجلس المختلط في عام ١٣٥٢ . وفي العام المذكور تولى خطة التدريس الحنفي من الرتبة الاولى بجامع الزيتونة

ثم اسندت اليه خطة الافتاء في هذه الايام . جعلها الله خطة مباركة عليه ويسر له اسباب القيام بها على احسن وجه . والمجلة تعيدله تهنيتها . وتتمنى له حياة سعيدة بالعمل والانتاج . مشموله برضا الله ورسوله

المرجو من القراء اصلاح الاخطاء الاتية

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٦١	٩	يعد	لا يعد
١٧٠	١١	لقاعدة	القاعدة
١٧٠	٢٠	اليسبيح	التسبيح
١٧٠	٢٠	المعجزة	المعجزة
١٧١	١٣	انقوا	اتقوا
١٧٣	٢٥	محب	منجذب
١٧٥	٢٤	هوك	هواك
١٧٦	٣	دياكم	دنياكم
١٧٧	١٤	ولذا	ولهذا قد
١٧٧	١٥	الضلام	الظلام
١٧٧	١٦	مستبان	مستبانا
١٧٩	٣	جنسكم	انفسكم
١٧٩	٢١	باحسن	فاحسن
١٨١	١	أختار	اhtar
١٨٤	٣	المعرض	المقرض
١٨٨	٨	اكتب	اكتب
١٨٩	٢١	ولا تسبوا	لا تسبوا
١٩٠	٤	الي	الى
١٩٠	١٨	مبادي	مباد
١٩٠	٢٥	الي	الى
١٩٣	٧	ينهي	ينهي
١٩٣	٩	ترمي	ترمي
١٩٤	١٧	فناء	لفناء
١٩٦	٧	اما	امام

تباع المجلة في الاماكن التالية



اماكن بيع المجلة بالحاضرة

- المكتبة العلمية سوق الكتبية رقم ١٢
مكتبة الاستقامة نهج سيدي ابن عروس
رقم ٣٤
المكتبة العتيقة سوق الصوف رقم ١٣
مكتبة الامان سوق السرايرية رقم ٢٢
المكتبة الزيتونية سوق السرايرية
مكتبة الرجاء سوق الكتبية رقم ٢
المكتبة العربية الكبرى سوق السرايرية
مكتبة السعادة نهج الكتبية رقم ٤
دكان السيد محمد بن عمر جوار ادارة الاوقاف
رقم ٧٢
البشير وبلقاسم بن عمارة سوق السرايرية
رقم ٣٠

السيد حمدان الشريف بسوسه

- » محمد الصالح البكوش بباجه
» محمد العربي بالمكين
» محمد زهرة بالمنستير
» ابو بكر بن محمد الصانع بقصر هلال
» الصادق بوليان بالقيروان
» سعد بن بلقاسم الصحراوي بسببيلة
» علي بسباس بسوق الجمعة رقم ١٢ بصفاقس
» قدري قعيب بقفصة
» المكتبة الاسلامية بتوزر
» عمر اسكندر بنفطة
» شرف الدين الدقاشي بدقاش
» محمد بن علي امنجه بقابس
» حمزة شورو بميدون جربه

اسماء متعهدي بيع المجلة بالقطر الجزائري

- السيد محمود نسيم بشارع لالير رقم ٤٢ بالجزاير
» محمود باش طبجي بساحة شارتر بالجزائر
مكتبة النجاح بقسنطينة
» قندوز نهج جنجراس بسطيف
» الاخضر بن مبارك ببسكرة
» بن داود بساحة دي قرقولات بعنابة
» محمد الهادي جلال بتبسة
مكتبة السيد مصطفى باغلي بنهج سكاك ٢ بتلمسان

اسماء متعهدي بيع المجلة في بلدان المملكة

- السيد الحبيب الذواوي بنزرت نهج احمد باي
» احمد المراتب متعهد بيع المجلات بنزرت
» عمر بن يدر بغيرفيل
» علي المزي بماطر
» احمد بن الحاج عبد الرحمن العجالي بقليسيه
» عبد القادر قروبج بنابل
» حمودة الذكواني بمنزل جميل

المجلة الزيتونية

مجلة علمية اوسية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مبرر ربي بام الزيتونة الجهور

الجزء الخامس	تونس في ذي القعدة عام ١٣٥٥ وفي جانفي عام ١٩٣٧	المجلد الاول
--------------	---	--------------

شهرية وستنها عشرة اشهر

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي بن القاضى

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القايسى

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع
حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

٢١٤	الحج اكبر مؤتمر ديني..... بقلم رئيس التحرير
٢٢٠	المقدمة الثالثة في التفسير بغير المأثور (٢) « صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
٢٢٧	شرح حديث موسى والحضر (٣) « الاستاذ الشيخ محمد البشير النيفر
٢٣٢	حكم ختان البالغ والمراهق « صاحب الفضيلة الشيخ محمد العزيز جعيط المفقي المالكي
٢٣٧	اتصال الجن بالانسان « العالم المدرس الشيخ محمد الخطاب بوشناق
٢٣٩	الاسلام منقذ البشرية (٢) « الحقوقي السيد محمد المهدي بن ناصر
٢٤٢	الاخلاق ومبلغ عناية الشارع بها (٢) ... « العالم المدرس الشيخ محمد الهادي ابن القاضي
٢٤٦	الصرة وكيف كانت نشأتها وكيف استقر قرارها « العالم المؤرخ السيد محمد بن الحوجه المستشار لدى الحكومة التونسية
٢٥٣	التجديد في الادب -٣- « مدير المجلة
٢٥٦	البكاء في الشعر العربي (٣) « العالم المدرس الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور
٢٦٠	ماضينا وتباشير مستقبلنا « شعر » « العالم المدرس الشيخ علي النفر
٢٦١	الحركة العلمية والادبية

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠	وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا
» ببلاد شمال افريقيا ٣٠	كانت ممضاة من امين المال
» في الخارج ٤٠	والمخابرات المالية لا تكون الا معه
يخصم الربع للتلازمة	

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

نصرها لاهية من مدرسي جامع الزيتونة بالعمور

الجزء الخامس | تونس في ذي القعدة عام ١٣٥٥ وفي جانفي عام ١٩٣٧ | المجلد الاول

شهرية وستنتها عشرة اشهر

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

فهميد بن القاوي

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

صاحب المجلة :

مجتاح الدين القاوي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع
حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمان الجزء فرنكان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحج اكبر مؤتمر ديني اسلامي

فهل فهم المسلمون مغزاه ؟

بقلم رئيس التحرير

ما من شيء جاء به هذه الشريعة الاسلامية الا وفيه من الحكم والفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يقف عند حد .

فهي الشريعة التي لا تبلى جدتها . ولا ينفد معينها . ومهما بعد العهد وتقدم الزمان الا وتظهر للناس آياتها . وتبهرهم معجزاتها وتنكشف لهم اسرارها وتشرق انوارها فتامل ايها الباحث الموفق في اي فرع من فروع الاسلام وفي اي جزئية من جزئياته واهتد بشور الله فيما تقدم عليه من البحث والتأمل فانك لا محالة ترجع وقد ملئ قلبك اجلالا واكبارا لهذا الدين القويم الذي له من كل شيء آية .

وسنحدثك في هذا الفصل عن فريضة من فرائض الاسلام وهي الحج ونذكر لك ما يشتمل عليه من المصالح الدينية والدنيوية وفقنا الله جميعا لادائه : وسهل لنا سبيل الوصول اليه فنقول

الانسان في حياته مغمور في بحور الماديات . مشغول بها . صارف كل وقته وجهده في التحصيل عليها والمباهاة بها . والماديات تبعد الروح عن التلذذ باهم ما خلقت له وهو التفكير في الحياة الاخرى والاتصال بالعوالم العلوية . والوصول الى الحقيقة الكبرى التي هي مطمح انظار العباد المقربين الى الله تلك الحقيقة التي هي الانقطاع الى الله . والاخلاص له في العبادة . والتقرب اليه بانواع الطاعات

والانصراف الى جانب الله . وقصر الرجاء عليه . تلك الحقيقة التي تضمنها الحديث القدسي وافصح عنها ايما افصح وهي قوله كما في صحيح البخاري : (وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضته عليه . وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه . فاذا احبته كنت سمعه الذي يسمع به . وبصره الذي يبصر به . ويده التي يبطش بها . ورجله التي يمشي بها . ولئن سألني لأعطينه . ولئن استعاذني لأعيذنه) فحياتنا المادية بجميع ما فيها من المظاهر تبعدنا عن هذه الحقيقة الكبرى . وتحول بيننا وبين الوصول اليها . مع انها اهم شيء يجب ان نسعى اليه . ونحرص على حصوله فكان من عناية الله بعباده ان فرض عليهم امورا تحول بين النفس وبين الاندفاع في تيار الشهوات المادية وترجعها شيئا فشيئا الى منطقة تلك الحقيقة السامية حتى تكون متهيئة للرجوع الى الجادة المثلى . والاحراز على ذلك الشرف الاسمى

فرض الله الصلاة على عباده . وجعل الانسان في صلاته يناجي ربه . وجعله في سجوده اقرب ما يكون من ربه . فكانت الصلاة بصورتها وبمعناها من انفع ما يعالج به الانسان نفسه ويهيئها لقبول الفتوحات الالهية . ويقربها الى مراتب الكمال ثم لما كانت الحياة المادية متغلبة عن النفس . وكانت شيئا محسوسا . وللمحسوسات تغلب وتطاول على المعنويات . فقد فرض الله تعالى على عباده شيئا اخر لمقامتها . وجعله من جنسها . حتى يكون من مقاومة المثل بالمثل وذلك هو الحج الى بيت الله الحرام

فاذا كان الانسان في حياته قد تعود بالترف والبذخ في العيش والتفنن في انواع الملاذ . والتنويع في الملبس والمأكل والتطيب . والاشتغال بالامور التي فيها قضاء لشهواته وتنفيذ لاغراضه وتعود بالراحة وتباعد عن كل ما فيه تعب لنفسه فقد جاء الحج بمقاومة ذلك كله .

ففيه السفر وركوب البحار واقتحام الاخطار وبذلك تتعود النفس على تحمل الاتعاب . وعدم الاخلاذ الى الراحة .

وفيه ترك المخيط من الثياب والاقتصار على ثوبين للتستر بقدر الحاجة . والرضا

بما تيسر من الطعام والشراب . وبذلك تتعود النفس على مفارقة الحضارة التي تميزت في النفس حاسية الاقدام والشجاعة وتألف خشونة العيش وقوة العزيمة .

وفيه البعد عن الوسط الذي يعيش فيه الانسان بمفارقة اقاربه واحبابه وعدم الاشتغال بتلك السفاسف التي كان يشغل بها اوقاته وبذلك يتعود الانسان الاستقلال في رأيه والاعتماد على نفسه

وفيه التباعد عن فتن الحياة وهوها ومجونها والانصراف الى الله في مكان ليس فيه ما يشغل عن الله . ولا ما يلهي عن ذكره . وبذلك تتعود النفس الطاعة والاخلاص في العمل وصرف الاوقات فيما ينفع

وفيه ظهور الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم بمظهر واحد وعلى نمط واحد . وفي صعيد واحد وبذلك يمحي الغرور من النفس وتشفى من داء التعاضم والكبر والرياء .

فكان الحج بما اشتمل عليه من هذه الاعمال والتكاليف انجع دواء يعالج النفوس المريضة . ويصلح من شانها . ويقاوم ذلك التيار المادي الذي كانت لا تشتغل الابنه . ويقربها من تلك الحقيقة العظمى

فهذا معنى ما ذكرته من ان الحج فيه معالجة الداء بمثله . لانه عبادة ذات اعمال كل واحد منها يقابل ناحية من نواحي الاعمال المادية الشاغلة للنفوس فيقضي عليها او يهذبها

ومن اجل ما في الحج من هذه المعاني السامية التي قد اكون وقفت الى ذكر بعضها ولم اصل الى كثير منها . اعتنى الشارع بامرله . ونولا بشانه . ورتب على فعله جزاء عظيما وجعله في صف واحد مع الجهاد في سبيل الله

ففي صحيح البخاري عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال (شدوا الزحال في الحج فانه احد الجهادين)

وفيه عن ابي هريرة قال : (سئل رسول صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل ؟

قال : ايمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهاد في سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور (١)

وفيه ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (افضل الجهاد حج مبرور)
وفيه ايضا عن ابي هريرة قال قال سعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه) (٢)
هذه فوائد الحج الدينية

فاما فوائد الدنيوية ومقاصد الاجتماعية فالحج اعظم وسيلة لتعارف الشعوب الاسلامية واتصالها ببعضها .

فالمسلمون على تباعد اقطارهم . وتنائي ديارهم . وتشتتهم في جميع انحاء الارض هياً
الله تعالى لهم مؤتمر ادينيا عاما يجتمعون فيه . فيقع بينهم اولا التعارف الذي دعا اليه
القرآن في قوله (وكذلك جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)

(١) معنى قوله حج مبرور اي لم يخالطه اثم . او لم تقع فيه معصية . او لا رياء فيه . ووقع
تفسير الحج المبرور في حديث جابر المروي في مسند احمد ونصه : قالوا يا رسول الله ما بر الحج .
قال أطعام الطعام . وافشاء السلام . لكن هذا الحديث حكموا على اسناده بان فيه ضعفا
(٢) الرث بتثليث العين في الماضي والمضارع وافصحها ان يكون من باب نصر معناه الفحش في
القول . وقيل معناه اتيان النساء . والفسوق معناه المعصية . وبقي الجدل لم يذكر في الحديث وهو مذكور
في قوله تعالى (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) ومعناه النزاع والتخاصم
مع الرفقاء والمنكاريين . وقوله رجع (كيوم ولدته امه) اي رجع مشابها لنفسه في انه يخرج بلا ذنب كما
خرج بالولادة . وهو يشمل الكبائر والصغائر والتبعات . قال ابن حجر وهذا الحديث من ائمة
الشواهد الحديث العباس بن مرداس الذي صرح فيه بتلك الامور . وله شاهد اخر من حديث ابن
غمر في تفسير الطبري اه ويجب التنبيه هنا الى امرين الامر الاول ان المراد بالمعاصي التي تغفر بالحج
المعاصي التي بين الله وبين العبد . اما التي تكون ما بين العباد فانها لا يغفرها الا ارجاع الحق او مسامحة
المعتدى عليه . الامر الثاني ان المراد بمغفرة الذنوب التي بين العبد وربه العفو عن اثم تاخيرها لا
اسقاطها بالمرة . لانها حقوق لا تسقط الا بالفعل فائم باخير العبادة المفروضة على العبد يسقط بالحج
اما العبادة نفسها فلا تسقط الا بالفعل . حتى ان من كان مطالبا بصلاة مثلا ثم حج يجب عليه قضاءها
اثر الحج فاذا اخرها بعدة تجدد له اثم اخر . فالحج المبرور يسقط اثم المخالفة لا الحقوق . به على
ذلك شراح البخاري

ثم بعد ذلك التعارف يقع التحدث عن حالة كل شعب من شعوب الاسلام والبحث في تحسينها والنهوض بها الى أعلى مراتب الكمال . وتبسط اامال كل شعب وآلامه وتوضع البرامج لتحقيقها ويكون كل شعب منهئذ لاعانة بقية الشعوب بما في طوقه وبما يقدر عليه هذا هو الذي ينبغي ان يكون عليه المسلمون في الحج . وهذا هي الفرصة التي هيأها الله لهم . فهل انتفع المسلمون بذلك ؟ وهل فهموا هذا المغزى العظيم ؟ وهل نظموا هذا المؤتمر الالاهي كما ينبغي ان ينظم حتى يقع استغلاله والانتفاع به ؟ نستطيع ان نجيب بالنفي عن جميع ذلك . فالمسلمون لم ينتفعوا بهذا المؤتمر الانتفاع المطلوب . ولم يفهم هذا المغزى من الحج الا القليل النادر منهم . ولم يكن امر الحج في حالته الحاضرة منظما بصورة تمكن من استغلاله وتعين على الانتفاع به .

ويرجع ذلك لعدة اسباب . منها ان المسلمين اذا ذهبوا للحج يبقى كل فريق منهم بعيدا عن الفريق الآخر ولا يتمكن من الاجتماع به والتحدث معه بل ولا يقع حتى اصل التعارف . ومنها ان المسلمين لغاتهم مختلفة فمنهم من يتكلم بالعربية ومنهم من يتكلم بغيرها . والذين يتكلمون بالعربية لهم لهجات مختلفة . والفاظ دخيلة من لغات متعددة . فهم بذلك لا يمكن لهم التفاهم .

ولانحتاج في اقامة الدليل على ذلك الى شيء بعيد . فهذه الممالك الاربعة التي تعرف بالشمال الافريقي (وهي تونس والجزائر وطرابلس الغرب والمغرب الاقصى) على تقاربها من بعضها وتلاصق حدودها لكل واحدة منها لهجة خاصة تخالف لهجة البقية . حتى ان التونسي والجزائري يعسر بينهما التفاهم اذا خرجا عن العربية الفصحى فمن اجل ذلك كان التفاهم بين الحجاج متعذرا او متعسرا . ولكن مقاومة ذلك في غاية السهولة . اذا صحت العزيمة على الانتفاع بهذا المؤتمر العظيم . وامر ذلك موكل الى الحكومة الحجازية التي على راسها ذلك الملك المتبصر العادل الامام عبد العزيز بن السعود . فهي اذا ارادت ذلك امكن لها تنفيذه من غير تعب ولا عناء .

وبما لكل مسلم من الحق في ابداء رأيه والاصداغ بنا يرا اصابا في تنظيم شؤون الحج . فاني ساقدم باقتراح يتضمن برنامجا عمليا مختصرا يتكفل بتنظيم هذا المؤتمر

وتحقيق الاغراض السامية التي يمكن استغلالها منه . ويقع تنفيذها ابتداء من هذا العام حيث لا تزال في الوقت فسحة .

ف نقول ينبغي ان تكلف حكومة الحجاز هيئة تشرف على الحجاج القادمين من جميع الاقطار . وهذه الهيئة تحصى عدد البلدان التي قدمت منها وفود بقصد الحج وتخطب اهل كل بلد ليختاروا من بينهم اربعة يمثلون تلك البلاد . ويشترط في هؤلاء الاربعة ان يكونوا قادرين على التكلم بالعربية الفصحى - ان امكن ذلك - ثم تعلن بتعيين يوم لانعقاد ذلك المؤتمر ومكانه وساعته ويرأس هذا المؤتمر ملك الحجاز بنفسه فاذا انعقد المؤتمر نودي على كل وفد بانفراد لا فييسط للحاضرين حالة المسلمين في بلادهم من جميع النواحي ويعرض عليهم نقط الضعف التي عليها مسلمو تلك البلاد من ناحية الدين او الاجتماع حتى يقع السمي في تداركها كما يتعرض لحالة بلادهم من ناحية الانتاج ويلفت نظر بقية الوفود الى بعض المنتجات التي قد يكون للاطلاع عليها اثر في تحسين الحالة التجارية . وتقوية الارتباط الاقتصادي بين مختلف بلدان الاسلام وليس في ذلك ما يخل بأمر الحج من ناحية كونه عبادة فقد قال المفسرون في قوله تعالى (ليشهدوا منافع لهم) أن المراد بالمنافع الدينية والدنيوية واعتبر العلماء هذه الآية مرخصة للتجار في الحج وعليه فيكون لهذا المؤتمر نتيجة دينية ودنيوية

ثم بعد انتهاء المؤتمر يجتمع كل وفد باهل بلادهم ويصلحهم بخلاصة ما دار فيه من الابحاث وبذلك تزداد الشعوب الاسلامية اتصالا وتقوى اواصر المودة والتعارف بينها ولا يبقى الاتصال بينها امرا صوريا ظاهريا بدون روح كما هو عاينه الحال الآن

هذا رأيي في هذا الامر العظيم عرضته على عموم المسلمين . والذي اعتقد انه سينال رضا الجميع وسييسر كل واحد منهم في تحقيقه بقدر طاقته لان الدافع الى عرضه عليهم هو المصلحة الكبرى التي اعتقد اننا نحصل عليها بتنظيم هذا المؤتمر على هذا الاسلوب . ان شاء الله وان ظهر للبعض منهم مخالفة في بعض اجراءات في البرنامج الذي عرضته سابقا فليدل كل واحد براهه وليكن هدفنا جميعا خدمة الاسلام وترفع شان اهله بما بقي في طوقنا من الاعمال وعلى الله بلوغ الآمال محمد المختار بن محمود

القرآن الكريم

دروس التفسير

لصاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

المقدمة الثالثة في التفسير

بغير المأثور وبالرأي وبالباطن والاشارة

- ٢ -

واما الجواب عن الشبهة التي نشأت من الآثار المروية في التحذير من تفسير القرآن بالرأي فمرجه الى احد خمسة وجوه اولها ان المراد بالرأي هو القول عن مجرد خاطر دون استناد الى نظر في ادلة العربية ومتاصد الشريعة وتصاريها وما لا بد منه من معرفة الناسخ والمنسوخ وسبب النزول فهذا لا محالة ان اصاب فقد اخطأ في تسوره بلا علم لانه لم يكن مضمون الصواب كقول المثل رمية من غير رام . وهذا كمن فسر الم. ان الله أنزل جبريل على محمد بالقرآن فانه لا مستند لذلك واما ما روي عن الصديق رضي الله عنه فذلك من الورع خشية الوقوع في الخطأ في كل ما لم يقر له فيه دليل او في مواضع لم تدع الحاجة الى التفسير فيها الا ترى انه سئل عن الكلاله في آية النساء فقال: اقول فيها برأبي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان الخ وعلى هذا المحمل ما روي عن الشعبي وسعيد رحمهما الله تعالى اي انهم تباعدوا عما يوقع في ذلك ولو على احتمال بعيد مبالغة في الورع ودفع الاحتمال الضعيف والا فان الله تعالى ما تقبدا في مثل هذا الا يبذل الوسع مع ظن الاصابة

ثانيها - ان لا يتدبر القرآن حق تدبر لا فيفسر لا بما يخطر له من باديء الرأي دون احاطة بجوانب الآية ومواد التفسير مقتصرًا على بعض الادلة دون بعض كان يعتمد على ما يبدو من وجه في العربية فقط كمن يفهم قوله تعالى « ما أصابك من حسنة فمن الله » الآية على ظاهر معناها فيقول ان الخير من الله والشر من فعل الانسان ويقطع النظر عن الادلة الشرعية التي تقتضي ان لا يقع الا ما أراد الله غافلا عما سبق من قوله تعالى « قل كل من عند الله » (١) وان يعتمد على ما يبدو له من حكم شرعي فيقطع النظر عن اللغة كتفسير بعض الفقهاء قوله تعالى « فصل لربك وانحر » انه وضع احدى اليدين على الاخرى في الصلاة تحت النحر فوق الصدر مع ان اللغة لا تساعد عليه والاقليل صدر اذا وضع يده على صدره ورأس اذا وضعها على رأسه . او بما يبدو من ظاهر اللغة دون استعمال العرب كان يقول في قوله تعالى « وآتينا نوحاً وبهود الناقة مبصرة » فيفسر مبصرة بانها ذات بصر لم تكن عمياء فهذا من الرأي المذموم لفساده

ثالثها - ان يكون له ميل الى نزعة او مذهب او نحلة فيتناول القرآن على وفق رأيه ويصرفه عن المراد ويرغمه على تحمله ما لا يساعد عليه المعنى المتعارف فيجبر شهادة القرآن لتقرير رأيه ويمنعه عن فهم القرآن حق فهمه مما قيد عقله من التعصب عن ان يجاوز فلا يمكنه ان يخطر بباله غير مذهبه حتى ان لمع له بارق حق وبداهة معنى يباين مذهبه حمل عليه شيطان التعصب حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقدك كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له ان معنى قوله تعالى « القدوس » انه المنزلة عن كل صفات المحدثات حجبه تقليده عن ان يستقر ذلك في نفسه ولو تقرر ما تواصل فهمه فيه الى كشف معنى ثان او ثالث ولكنه يسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته مذهبه وجود الطبع على الظاهر مانع من التوصل

(١) هذا التمثيل للغزالي على احد تفسيرين والمثال يكفي فيه الفرض وأذكر ان ابن العربي في

العواصم فسر قوله تعالى « ما أصابك من حسنة فمن الله » انه جرى على معنى التعليم للتأدب مع الخالق وقوله « كل من عند الله » جرى مجرى بيان الحقيقة فانظره

للغور . مثال ذلك من فسر من الشيعة ان علينا للهدى . ان ذلك اسم علي مضاف لضمير
الجلالة فهذا يمشي مع ما يصلح له الرسم دون النطق . وكذا تفسير المعتزلة . الى ربها
ناظرة . بمعنى انها تنتظر نعمة ربها على ان . الى واحد الآلاء . مع ما في ذلك من الخروج
عن الظاهر وعن المأثور وعن المقصود من الآية . وروي ان ابا عبد الله الشيعي داعية
العبيدين لما كان انتصاره بمظاهرة قبيلة كتامة غير قوله تعالى « كنتم خير امة اخرجت
للناس » كتامة خير امة اخرجت للناس وقالت البيانية في قوله تعالى « هذا بيان للناس »
انه بيان ابن سمعان كبير مذهبهم . وكانت المنصورية اصحاب ابي منصور الكسف
يزعمون ان المراد من قوله تعالى « وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب
مركوم » على معنى ان الكسف نزل من السماء . وهذا ان صح عنهم ولم يكن من
ملصقات اعدائهم فهو تبديل للقرآن ومروق

الرابع . ان يفسر القرآن برأي مستند الى ما يقتضيه اللفظ ثم يزعم ان ذلك هو
المراد دون غيره لما في ذلك من التضييق على المتأولين

الخامس . ان يكون القصد من التحذير أخذ الحيلة في التدبر والتأويل ونبد
الشرع الى ذاك وهذا مقام تفاوتت العلماء فيه واشتد الغلوفي الورع ببعضهم حتى
كان لا يذكر تفسير شيء غير عازيه لغيره . وكان الاصمعي لا يفهر كلمة من العربية
اذا كانت واقعة في القرآن . ذكر ذلك في الزهر . فابي ان يتكلم في أن سرى واسرى
بمعنى واحد لان اسرى ذكرت في القرآن . ولا في ان عصفت الريح واعصفت بمعنى
لأنها في القرآن وقال الذي سمعت في معنى الخليل انه اصفى المودة واصمها ولا أزيد فيه
شيئا لانه في القرآن اه

فهذا ضرب من الورع يعتوي بعض الناس لحوف وانه قد يعتري كثيرا من اهل
العلم والفضل وربما تطرق الى بعضهم في بعض أنواع الاحوال دون بعض فتجد من
يعتريه ذلك في العلم ولا يعتريه في العمل وقد تجد العكس

واذ قد تقصينا ماثارات التفسير بالرأي المذموم وبيننا لكم الاشباه والامثال بما لا

يبقى معه للاشتباه من مجال فلا تجاوز هذا المقام ما لم ننهبكم الى طائفة التزمت تفسير القرآن بما يوافق هواها وصرفوا الفاظ القرآن عن ظواهرها بما سموه الباطن وزعموا ان القرآن انما نزل متضمنا لكنايات ورموز عن اغراض واصل هؤلاء طائفة من غلاة الشيعة عرفوا عند اهل العلم بالباطنية فلقبوهم بالوصف الذي عرفوهم به وهم يعرفون عند المؤرخين بالاسماعيلية لانهم ينسبون مذهبهم الى جعفر بن اسماعيل الصادق ويعتقدون امامته وعصمة بعد ابيه بالوصاية ويرون ان لابد من امام هدى من آل البيت هو الذي يقيم الدين ويبين مراد رب العالمين ولما توقعوا ان يحتاجهم العلماء بادلة القرآن والسنة ورأوا ان لا محيص لهم من تاويل تلك الحجج التي تقوم في وجه بدعتهم وانهم ان خصوها بالتاويل وصرف اللفظ الى الباطن اتهمهم الناس بالتعصب والتحكم فرأوا صرف جميع القرآن عن ظاهره بناء على ان القرآن رموز لمعان خفية في صورة الفاظ تفيد معاني ظاهرة ليشغل بها عامة المسلمين وزعموا ان ذلك شأن الحكماء فمذهبهم مبني على قواعد الفلسفة السفسطائية ومذهب التناسخ والحلولية فهو خليط من ذلك ومن طقوس الديانات اليهودية والنصرانية وبعض طرائق الفلسفة ودين زرادشت وعندهم ان الله يحل في كل رسول وامام وفي الاماكن المقدسة وانه يشبه الخاق تعالى وتقدس وكل علوي يحل فيه الاله وتكلفوا لتفسير القرآن بما يساعد هاته الاصول التي أسسوها . ولهم في التفسير تكلفات ثقيلة منها قولهم ان قوله تعالى « وعلى الاعراف رجال » ان جبلا يقال له الاعراف هو مقر اهل المغارف الذين يعرفون كلا بسماهم . وان قوله تعالى (وان منكم الاواردها) اي لا يصل احد الى الله الا بعد جوازلة على الاراء الفاسدة اما في ايام صباه او بعد ذلك ثم ينجي الله من يشاء وان قوله تعالى « اذهب الى فرعون انه طغى » اراد بفرعون القلب . وقد تصدى للرد عليهم الغزالي في كتابه الملقب بالمستظهر . وقال اذا قلنا بالباطن فالباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر فيمكن تنزيل الآية على وجوه شتى يعني والذي يتخذونه حجة لهم يمكن ان نقلبه عليهم وندعي انه باطن القرآن لان المعنى الظاهر هو الذي لا يمكن اختلاف الناس فيه لاستناده للغة

الموضوعة من قبل واما الباطن فلا يقوم فهم احد فيه حجة على غيره اللهم الا اذا زعموا انه لا يتلقى الامن الامام المعصوم ولا اخالهم الا قائلين ذلك ويؤيد هذا ما وقع في بعض قراطيسهم قالوا (انما ينتقل الى البدل مع عدم الاصل والنظر بدل من الخبر فان كلام الله هو الاصل فهو خلق الانسان وعلمه البيان والامام هو خليفته ومع وجود الخليفة الذي يبين قوله فلا ينتقل الى النظر اه) وبين ابن العربي في العواصم شيئا من فضائح مذهبهم بما لاحاجة الى التطويل به هنا فان قلت فيقد روي : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا وعن ابن عباس انه قال ان للقرآن ظهرا وبطنا قلت لم يصح ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بله المروي عن ابن عباس فمن هو المتصدي لروايته عنه ! على انهم ذكروا من بقية كلام ابن عباس انه قال : فظهره التلاوة وبطنه التأويل فقد اوضح مرادنا ان صح عنه بان الظاهر هو اللفظ والباطن هو المعنى . ومن تفاسير الباطنية تفسير القاشاني وكثير من اقوالهم مبثوث في رسائل اخوان الصفاء . اما ما يتكلم به اهل الاشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معان لا تجري على الفاظ القرآن ظاهرا ولكن بتأويل ونحوه فينبغي ان تعلموا انهم ما كانوا يدعون ان كلامهم في ذلك تفسير للقرآن بل يعنون ان الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلم فيه وحسبكم في ذلك انهم سموها اشارات ولم يسموها معاني فبذلك فارق قولهم قول الباطنية والعلماء الحق فيها مذهبان . فالغزالي يرى انها مقبولة قال في كتاب العلم من الاحياء : اذا قلنا في قوله صلى الله عليه وسلم « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة » فهذا ظاهره واضح واشارته ان القلب بيت وهو مهبط الملائكة ومستقر آثارهم والصفات الرديئة كالغضب والشهوة والحسد والحقد والعجب كلاب نابحة في القلب فلا تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور الله لا يقذفه في القلب الا بواسطة الملائكة فقلب كهذا لا يقذف فيه النور . قال ولست اقول ان المراد من الحديث بلفظ البيت القلب وبالكلب الصفة المذمومة ولكن اقول هو تنبيه عليه وفرق بين تغير الظاهر للباطن وبين التنبيه على البواطن من ذكر الظواهر فهذه الدقيقة

فارق نزعة الباطنية ومثل هذا قريب من تفسير لفظ عام في آية بخاص من جزئياته كما وقع في كتاب المغازي من صحيح البخاري عن عمرو بن عطاء في قوله تعالى «الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا» قال هم كفار قريش ومحمد نعمة الله «واحلوا قومهم دار البوار» النار يوم بدر . وابن العربي في العواصم صرح بابطال هذه الاشارات كلها حتى انه بعد ان ذكر نحلة الباطنية وذكر رسائل اخوان الضفاء اطلق القول في ابطال ان يكون للقرآن باطن غير ظاهرة وحتى انه بعد ان نوه بالثناء على الغزالي في تصديده للرد على الباطنية والفلاسفة قال «وقد كان ابو حامد بدرا في هالة الليالي . وعقدا في لبة المعالي . حتى اوغل في التصوف . واكثر معهم التصرف . فخرج عن الحقيقة وحاد في اكثر اقواله عن الطريقة .

وعندي انها لا تعدو واحدا من ثلاثة انحاء . الاول ما كان يجري فيه معنى الآية مجرى التمثيل لحال شبيه بذلك المعنى كما يقولون مثلاً ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه . انه اشارة للقلوب لانها مواضع الخضوع لله تعالى اذ بها يعرف فتسجد له القلوب بفناء النفوس . ومنعها من ذكر اسمه هو الحيلولة بينها وبين المعارف اللدنية وسعي في خرابها بتكديرها بالتعصبات وغلبة الهوى فهذا يشبه ضرب المثل لحال من لا يزكي نفسه بالمعرفة ويمنع قلبه ان تدخله صفات الكمال الناشئة عنها بحال مانع المساجد ان يذكر فيها اسم الله وذكر الآية عند تلك الحالة كالنطق بلفظ المثل في نحو . الأصيف ضيعت اللبن . ومن هذا قولهم في حديث «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب» كما تقدم عن الغزالي . الثاني ما كان من نحو التفاؤل فقد يكون للكلمة معنى يسبق من صورتها الى السمع هو غير معناها المراد وذلك من باب إنصراف ذهن السامع الى ما هو المهم عنده والذي يجول به فكرة وهذا كمن قال في قوله تعالى «من ذا الذي يشفع» من ذل ذي « اشارة للنفس يصير من المقربين الشفعاء فهذا ياخذ صدى موقع في السمع ويتاوله على ما شغل به قلبه ورأيت الشيخ محي الدين يسمي هذا النوع سماعا ولقد أبدع . الثالث عبر ومواعظ وشأن اهل النفوس اليقظي ان ينتفعوا من كل شيء وياخذوا

الحكمة حيث وجدوها فما ظنك بهم اذا قرأوا القرآن وتدبروا فاتهموا بمواعظه فاذا أخذوا من قوله تعالى « فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً ويلاً » اقتبسوا ان القلب الذي لم يمثل رسول المعارف العليا تكون عاقبته وبالاً . ومن حكاياتهم في غير باب التفسير ان احداً من برجل يقول لآخر : هذا العود لا ثمرة فيه فلم يبق صالحاً الا للنار فيجعل يبيكي ويقول : اذا فالقلب غير المثمر لا يصلح الا للنار . قالوا ورأى بعض الصوفية ثورين يمشيان فوق احداهما يحك جملته فوق الآخر فقال : هكذا تكون آداب الصحبة الى نحو ذلك . فنسبة الاشارة الى لفظ القرآن مجازية لانها انما تشير لمن استعدت عقولهم وتدبرهم في حالة من الاحوال الثلاثة ولا ينتفع بها غير اولئك فلما كانت آيات القرآن قد أثارت تدبرهم وأثارت اعتبارهم نسبوا تلك الاشارة للاية فليست تلك الاشارة هي حق الدلالة اللفظية أو الاستعمالية حتى تكون من لوازم اللفظ وتوابعه كما قد تبين . وكل اشارة خرجت عن حد هذه الثلاثة الاحوال الى ما عداها فهي تقترب الى قول الباطنية رويداً رويداً الى أن تبلغ عين . قالانهم وقد بصرناكم بالحد الفارق بينهما فاذا رأيتم اختلاطه فحققوا مناطه وفي ايديكم فيصل الحق فدونكم اختراطه . وليس من الاشارة ما يعرف في الاصول بدلالة الاشارة وفحوى الخطاب وفهم الاستغراق من لام التعريف في المقام الخطابي ودلالة التضمن واللتزام . كما اخذ العلماء من تنبيهات القرآن استدلالاً لمشروعية اشياء كاستدلالهم على مشروعية الوكالة من قوله تعالى « فابعثوا احداً من بورقكم هذا » ومشروعية الضمان من قوله « ونا به زعيم » ومشروعية القياس من قوله « لتحكم بين الناس بما اراك الله » . ولا ما هو بالمعنى المجازي نحو يا جبال اوبي معه . وقال لها والارض ايتينا طوعاً او كرها قالتا ايتينا طائعين . ولا ما هو من تنزيل الحال منزلة المقال نحو وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم لان جميع هذا مما قامت فيه الدلالة العرفية مقام الوضعية واتحدت في إدراكه افهام اهل العربية فكان من المدلولات التبعية



الحديث الشريف

شرح حديث موسى والخضر المنشور نصه بالجزء الاول

بقلم العلامة الشيخ محمد البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة

- ٣ -

وقوله في الحديث : هو اعلم منك تلخص ما يتعلق به في مبحثين الاول في صفة الخضر عليه السلام من نبوة او غيرها والثاني في العلم الذي فضل به على رسول الله وكنيته موسى عليه الصلاة والسلام . اما المبحث الاول فخلاصة القول فيه ان القاضي عياضا حكى اختلاف العلماء في نبوة الخضر وولايته ومن القائلين بنبوته كما في شرح النووي على صحيح مسلم القشيري وكثير من اهل العلم وعزاه القرطبي في تفسيره الى الجمهور وعلى ولايته اتفاق الصوفية عدا الشيخ محيي الدين بن عربي . وحكاها الشيخ ابن المبارك في الابريز عن الشيخ الدباغ . وقيل انه ملك حكاها الماوردي قلت . وهو باطل قطعا ومن اظهر ما يرد ما جاء في حديث الباب « فمرت بهما سفينة فكلموهم ان يحملوهما فمرف الخضر فحملوهما بغير نول » وهل يعرف البشر الملائكة عليهم الصلاة والسلام الا ان يزيد هذا القائل الطين بلة بدعوى ان اهل السفينة ملائكة ايضا تصوروا بصورة البشر . ثم القائلون بنبوته اختلفوا في رسالته فيكون غاية ما فيه من الاقوال اربعة (١) انه نبي مرسل (٢) انه نبي غير مرسل (٣) انه ولي (٤) انه ملك . واجمع ما رايت في الاحتجاج لنبوته ما ذكره الرازي وحاصل قوله في ذلك يرجع الى ستة ادلة الاول قوله تعالى « آتينا رحمة من عندنا » والرحمة هي النبوة لقوله تعالى « ا هم يقسمون رحمة ربك » وقوله « وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك » والمراد من هذه الرحمة النبوة قال الرازي ولقائل ان يقول : نسلم ان كل نبوة رحمة

ولكن لا نسلم ان كل رحمة نبوة . قلت وهو كلام شديد ولو كانت كل رحمة نبوة لكانت النبوة في كل شيء فقد قال الله تعالى « ورحمتي وسعت كل شيء » وقال « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً » ولكن المؤمنون سألوا النبوة بسؤالهم الرحمة فيما حكاه الله عنهم بقوله « واعف عنا واغفر لنا وارحمنا » والحجج من هذا المعنى كثيرة . واني أرى ان من أكبر أسباب الغلط الذي يقع فيه بعض المفسرين أحياناً أن تجيء الكلمة في كتاب الله في آية من آياته لمعنى فيحملها من يحملها على ذلك المعنى حيثما وقعت . الدليل الثاني قوله تعالى « وعلمناه من لدنا علماً » اذ هو يقتضي ان التعليم بدون واسطة معلم وذلك لا يكون الا بالوحي . ورد ايضا بان العلوم الضرورية تحصل ابتداء من عند الله وذلك لا يدل على النبوة . قلت . حكى الامام الرازي أثناء كلامه على هذه الآيات ان للغزالي رسالة في اثباته ووددنا لو أتاح الله لنا الاطلاع عليها فوجدنا فيها ما يرى العلة . ويرد الغلة . فالامام الغزالي من أهل العلم اللدني فيما نظن فهو يكتب ما يكتب عن وجدان . ويسطر ما يسطر عن مشاهدة وعيان . وقد يسر الله أن نرى فيه كلمات نافعة قدونكها وربنا الرحمان المستعان . قال شيخ الاسلام الهروي في منازل السائرين في الكلام على تقسيم العلم إلى ثلاث درجات ما نصه : الدرجة الثالثة علم لدني إسناداً وجوداً وإدراكه عيانه ونفقه حكمه ليس بينه وبين الغيب حجاب اه قال المحقق ابن القيم في شرحه : يشير القوم بالعلم اللدني الى ما حصل للعبد بغير واسطة بل الهام من الله تعالى وتعريف منه لعبده كما حصل للخضر عليه السلام بغير واسطة موسى قال الله تعالى « آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً » وفرق بين الرحمة والعلم وجعلهما من عندنا ومن لدنا اذ لم ينلها على يد بشر . وكأن من لدنا اخص وأقرب مما عندنا . ولهذا قال تعالى « وقل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق وأجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً » وهو نصره الذي أبداه . والذي من عندنا نصره بالمؤمنين قال تعالى « هو الذي أبدك بنصره بالمؤمنين » . والعلم اللدني ثمرات المبودية والمتابعة والصدق مع الله والاجلاص له وبذل

الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله من كتابه وسنة رسوله وجمال الاقياد له فيفتح له من فهم الكتاب والسنة بأمر يخصه به كما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون الناس فقال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة . الا فهما يؤتياه الله عبدا في كتابه . فهذا هو العلم اللدني الحقيقي . واما علم من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتقيد بهما فهو من لدن النفس والشیطان فهو لدني ولكن من لدن من ؟ وانما يعرف كون العلم لدنيا رحمانيا بموافقه لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل فالعلم اللدني نوعان . لدني رحمانی . ولدني شیطانی والمحك هو الوحي ولا وحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . واما قصة الخضر مع موسى فالتعلق بها في جواز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الحاد وكفر مخرج عن الاسلام موجب لاراقة الدم . والفرق ان موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته ولو كان مأمورا بها لوجب عليه ان يهاجر مع موسى ويكون معه ولهذا قال له : انت موسى بنی اسرائيل . قال نعم ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين برسالة عامة للجن والانس في كل زمان . فمن ادعى انه مع محمد صلى الله عليه وسلم كالخضر مع موسى او جوز ذلك لاحد من الامة فليجدد اسلامه ويتشهد شهادة الحق فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن ان يكون من خاصة اولياء الله وانما هو من اولياء الشيطان وخلفائه ونوابه . وهذا الموضع مقطوع ومفرق بين زنادقة القوم وبين اهل الاستقامة منهم . الدليل الثالث . قول موسى عليه السلام هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا . والنبی لا يتبع غیر النبی في التعليم قال الرازي وهذا ايضا ضعيف لان النبی لا يتبع غیر النبی في العلوم التي صار باتباعها نبيا اما في غیر تلك العلوم فلا . الرابع . ان ذلك العبد اظهر الترفع على موسى حيث قال له : وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا . واما موسى فانه اظهر له التواضع حيث قال له لا عصي لك امرا . وكل ذاك يدل على ان ذاك العالم كان فوق موسى ومن لا يكون نبيا لا يكون فوق النبی . وهذا ايضا ضعيف لانه يجوز ان يكون غیر النبی فوق النبی في علوم لا تتوقف نبوته عليها . الخامس قوله في اثناء القصة « وما فعلته عن

امري » ومعناه فعلته بوحي من الله وهذا ايضا دليل ضعيف وضعفه ظاهر . قلت : ولعل وجه الضعف الذي يعنيه الرازي انه يجوز ان يكون فعله عن الهام ويشرحه . ما جاء في الابريز ان الشيخ ابن المبارك قال للشيخ عبد العزيز : القائلون بنبوته يستدلون بقوله تعالى « وما فعلته عن امري » فقال والاولياء لا يفعلون شيئا الا بامر الله وليس ذلك بنبوته ولا رسالة . . . و لعله ينوي بامر الله الالهام ونحوه . ولكن الاولياء لا يفعلون شيئا الهاما حتى يشهد له الشرع . والظن الذي يكاد يكون يقينا ان هذا مما لا تختلف الشرائع فيه السادس - ما روي ان موسى عليه الصلاة والسلام لما وصل اليه قال السلام عليك قال وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال موسى عليه السلام : من عرفك هذا ؟ قال : الذي بعثك الي . قالوا وهذا يدل على انه انما عرف ذلك بالوحي والوحي لا يكون الامع النبوة . . . وتقاتل ان يقول . لم لا يجوز ان يكون ذلك من باب الكرامات والالهام . هذا ما اورده الامام الرازي من الادلة على نبوته . والذي يظهر لهذا العاجز ان اصح ما يتعلق به في نبوته قوله تعالى فيما حكاه عنه « وما فعلته عن امري » وكونه فعل ذلك عن الهام بعيد . فان الالهام ليس بحجة شرعية . واحتمال ان يكون حجة في الشريعة التي تتبعها الخضر حتى يتم القول بولايته بعيد . قال الشيخ الالوسي : والمنصور ما عليه الجمهور « اي من القول بولايته » وشواهد من الآيات والاخبار كثيرة وبمجموعها يكاد يحصل اليقين . والله در الحافظ ابن حجر في اقتصاره على هذا الدليل ويلييه قوة وظهورا خطاب الخضر لموسى عليهما الصلاة والسلام . اذ ليس هو خطاب واحد من آحاد البشر لكلليم الله ورسوله . واما المبحث الثاني . فحاصل قولنا فيه ان الخضر عليه السلام اوحى الله في شأنه الى موسى صلى الله عليه وسلم انه أعلم منك . وليس ما ظهر في المسائل الثلاث هو غاية ما كان يعلمه الخضر لقوله صلى الله عليه وسلم ان ما ظهر من آيات علمه يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من امرهما . نعم ما ظهر من آيات علمه كان متعلقا بحقائق تلك الاشياء الثلاثة . ولم يكن موسى عليه الصلاة والسلام يعلم مثل ذلك ولذا كان ينكر على الخضر فعله وليس هو أعلم من موسى بكل شيء بدليل ما جاء في الحديث : يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه انت وانت على

علم علمكمه الله لا اعلمه . ولكن يبقى النظر بعد هذا في أي العلمين أفضل . قال شهاب الدين القرافي في الفرق الثالث عشر بعد المائة من فروقه المعقود لقاعدة التفضيل بين المعلومات : القاعدة العاشرة التفضيل بشرف المتعاقب كتفضيل العلم المتعلق بذات الله تعالى وصفاته على غيره من العلوم وكتفضيل علم الفقه على الطب لتعلقه برسائل الله تعالى واحكامه انتهى المراد منه . واذا كانت العلوم يفضل بعضها بعضا بشرف المتعلق وهي قضية ظاهرة معقولة فلننظر في متعلق علم موسى وعلم الخضر ايهما افضل . اما علم الخضر فقد تعاقب بحقائق تلك الاشياء واما علم موسى فقد تعلق بظواهرها فحسب والتفاوت ظاهر بين ما تعلق بالظواهر وما تعلق بالحقائق ولكن هذا لا يثمر ان يكون الخضر أفضل من موسى . بل الذي يؤخذ من كتاب الله ان الفضل للكليم . ذلك ان الله أخبرنا في كتابه العزيز انه اصطفى موسى على الناس برسالاته وبكلامه وانه كتب له في الالواح من كل شيء موعظة وتفضيلا لكل شيء . وليس في كتاب الله تعالى إثبات شيء من هذا للخضر . واين المختلف في نبوته من المتفق على رسالته المعداد من اولي العزم من الرسل صلاة الله وتسليمه عليهم اجمعين . ثم ما انفرد الخضر بعلمه يقابله ما انفرد الكليم بعلمه حسبما اعترف به الخضر ونطق به الحديث . وللشيخ عبد العزيز الدباغ كلام في هذا الموضوع نقله عنه الشيخ ابن المبارك في الابريز رايت من المناسب نقله واصله في تفضيل الولي العارف على الولي المكشف قال : فالكبير يقوى في مشاهدته الحق سبحانه ويضعف في مشاهدته الخلق والصفير بالعكس . . . وعلى هذا يخرج ما وقع بين سيدنا الخضر وسيدنا موسى مما قصه الله تعالى في كتابه العزيز من امر السفينة والظلام والجدار فان علم ذلك انما غاب عن سيدنا موسى عليه السلام لانه في مشاهدته الحق فعدم علمه بذلك هو غاية الكمال ومثاله مع الخضر في ذلك كمثلي عبيدين للملك اما احدهما فجعله الملك جليسا له لاشغل له الا الوقوف بين يدي الملك اذا خرج خرج معه واذا دخل دخل معه واذا أكل أكل معه واذا شرب شرب معه واذا تحدث تحدث معه والعبد الآخر ممكنه الملك من التصرف في رعيته فيخرج لرعيته وينفذ فيهم امر الملك ويتحدث معهم في امورهم وما يصلح احوالهم وربما غاب عن الملك الغيبة الطويلة لتنفيذ بعض الامور . فلا يشك ان العبد الاول اقرب الى الملك واعرف باسرار ذاته من الثاني اه باختصار

الفتاوى والفتاوى

حكم ختان البالغ والمراهق

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط
المفتي المالكي والاستاذ بالجامع الاعظم

الحمد لله على هدايته وتوفيقه . والصلاة والسلام على رسوله الداعي الى الحق الموضح لطريقه .
وعلى آله وصحبه الحافظين لدينه القائمين بنشره وتحقيقه .

وبعد فقد كان ورد علي من المجلة الزيتونية سؤال : فيما اقتضته فتوى فضيلة شيخ الازهر من جواز الختان للبالغين من الرجال . واستشكال ذلك بان الختان سنة وكشف العورة ممنوع . وعدم ارتكاب المحرم لفعل السنة مما اطبقت عليه كتب الاصول والفروع . فاجبت عنه بان نظر العورة للمصلحة مباح . ليس فيه من جناح . وأملت الى ان الابي في شرح مسلم افصح به اي افصح . فثار هذا الجواب في بعض الاوساط العلمية لفظا . فتوقف بعض واعتقد ، اخر اني ارتكبت فيما اجبت غلطا . فراجعي بعض فضلاء الشيوخ المشهورين بالالمية . ممن بيني وبينه اوثق الروابط الودية . وذكر لي ان الشيخ النفراوي في شرح الرسالة صرح بان البالغ يطلب منه الختان اذا قدر على مباشرته بنفسه والاسقط عنه الطلب لحرمة كشف عورته لغيره من الرجال . فاجبته بان اطباق علماء المذهب على الاطلاق في الطلب يقتضي رمي ذلك التقييد في فيافي الاهمال . ثم اطلعت بعد هذه المراجعة باربع ليال . على كتابة في جريدة الزهرة الغراء تحت عنوان حكم الختان بعد البلوغ جزم فيها صاحبها المفضل بصحة الاشكال . وبين ان الفتوى المدرجة في المجلة الزيتونية لا تصح بحال . اذ ما سطره العلماء النفراوي والصعيدي والصاوي بنادي على ما بها من الاخلال . وتعجب من الفتوى بغير ما جلبه من الانتقال . وحق لهذا الفاضل ان يساوره العجب . اذ الكتب التي نقل منها تنظر الى الطلبة وينظرون اليها من كتب . فدعاني ذلك الى تحريك اليراع . واستبدال الاطباء بالايجاز والافصاح بالالمام . عسى ان اكشف عن المسالة القناع . بما يكون فيه لآخواننا الفضلاء وابنائنا الاعزاء ان شاء الله تمام الاقتناع . وحررت في الغرض نظرات نافعة وشذرات من كلام الايمة جامعة لامعه . والله المستول ان يعصمنا من الزلل . في القول والعمل . انه السميع المجيب

مقدمة

ينبغي ان تصدر المسألة بمقدمة توضح المرام وترفع عن المسألة الابهام وهي ان الله تعالى وضع عنا في التكليف لسابق لطفه وكامل رحمته الحرج الخارج عن المعتاد وهو الممتن علينا به في قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وفي قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج وجعل عروض هذا الحرج للتكليف في بعض الاحوال مستتبعا للترخيص والتيسير واباحة ما هو محظور لولا العارض المذكور كالفطر في رمضان للهرض واكل الميتة للضرر وبملاحظة هذه القاعدة الاصلية المسلمة نعلم ان الشارع لما كلف الناس بالاختتان كلفهم به على وجه لا يرهقهم فيه حرج خارج عن المعتاد في امثاله وذلك باباحة ان يتولى مباشرته غير المختن وهو الختان اذ تكليف الانسان ان يباشر بيده ختن نفسه تكليف بما فيه حرج خارج عن المعتاد على ما يشهد به الوجدان فلا بد ان اذا كان موردا للترخيص واباحة ختن الرجل غيره المستلزم الاطلاع على عورته ولا ينبغي ان يتوهم قصر الاباحة على ما قبل البلوغ ومراهقته لوجوه. الاول ان الشارع لما لم يجعل للختان غاية بسن محدود يسقط عنده الطلب علمنا انه مطلوب في جميع الاحوال لا يختص بما قبل البلوغ فلا يكون البلوغ موجبا للسقوط ولا مانعا من الترخيص الثاني امره صلى الله عليه وسلم الكافر الذي اسام ولم يكن محتسبا بازالة شعر الكفر عنه والاختتان والحديث وان تكلم فيه من جهة السند لكن قد استدل به على وجوب الختان. الثالث ما روي عن سعيد ابن جبير قال سئل ابن عباس مثل من انت حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا يؤمئذ محتون وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك رواه البخاري والادراك البلوغ. الرابع ما ذكره الشيخ في النوادر قال روي ان ابراهيم ختن اسماعيل ابن ثلاث عشرة سنة واسحاق ابن سبعة ايام. الخامس نصوص ائمة المذاهب الشافعية والحنفية والمالكية فالما الشافعية القائلون بوجوب الختان فانهم لا يسقطونه بحال ويرون ان وجوبه بعد البلوغ ويبيحون للرجل ان يختن غيره وان اطلع على عورته ففي شرح النووي على مسلم في كتاب الطهارة صفحة ١٤٨ من الطبعة المنيرية ج ٣ عند الكلام على حديث خمس من الفطرة ما نصه : اما تفصيلها فالختان واجب عند الشافعي وكثير من العلماء وسنة عند مالك واكثر العلماء وهو عند الشافعي واجب على الرجال والنساء جميعا والصحيح من مذهبنا الذي عليه جمهور اصحابنا ان الختان جائز في حال الصغر ليس بواجب ولنا وجه انه يجب على الولي ان يختن الصغير قبل بلوغه ووجه انه يحرم ختانه قبل عشر سنين واذا قلنا بالصحيح استحباب ان يختن في اليوم السابع من ولادته ولو مات انسان غير محتون ففيه ثلاثة اوجه لاصحابنا الصحيح المشهور انه لا يختن صغيرا كان او كبيرا والثاني يختن الكبير دون الصغير اه فقد رايت مما جلبناه ان الشافعية يرون وجوبه بعد

البلوغ واما في حال الصغر فهو جائز لا واجب على الصحيح المشهور وان من مات غير مختن فيه ثلاثة اقوال عندهم قيل يختن مطلقا صغيرا كان او كبيرا وقيل يختن الكبير خاصة وقيل يسقط الختان مطلقا بعد الموت وهو المشهور عندهم وهل يكون الختن بعد الموت الا من غير الميت وهل يكون الكبير الا بالغاً على ان ابن شريح من أئمة الشافعية احتج لجوابه بان النظر للعوورة مباح وقد ابيح للمخاتن فلولا ان الختان واجب لم يبح له محرم قتل ذلك عنه القاضي عياض ونقله الابي في شرح مسلم في شرح احاديث خصال الفطرة في صفحة ٣٥ من الجزء الثاني وهو نص فيما ذكرناه

واما الحنفية ففي حاشية الشيخ ابن عابدين على الدر المختار صفحة ٢٤٩ من الجزء الثالث في باب الشهادة على الزنا والرجوع عنها عند قول الشارح وان قال شهود الزنا تعمدا النظر قبلت لابطاحته لتحمل الشهادة ما نصه قوله لا بابطاحته لتحمل الشهادة ومثله نظر القابلة والحافضة والختان والطيب وزاد في الخلاصة من مواضع حل النظر للعوورة عند الحاجة الاحتقان والبراءة في العنة والرد بالغيب اه فتح قلت وكذا لو ادعى الزاني بكارتها ونظمتها بقولي

ولا تنظر لعورة اجنبي بلا عنر كقابله طيب
وختان وخافضة وحقن شهود زنا بلا قصد مريب
وعلم بكاراة في عنة او زنا او حين رد للمهيب

وفي الحاشية المذكورة صفحة ٣٦٥ من الجزء الخامس في فصل في النظر والمس عند قوله الشارح وكذا نظر قابلة وختان ما نصه قوله وختان كذا جزم به في الهداية والحانية وغيرهما وقيل ان الاختتان ليس بضرورة لانه يمكنه ان يتزوج امرأة او يشتري امه تختنه ان لم يمكنه ان يختن نفسه وذكر في الهداية الحافضة ايضا لان الختان سنة للرجال من جملة الفطرة لا يمكن تركها وهي مكرومة في حق النساء ايضا كما في الكفاية اه فانت ترى تصريحه بعدم امكان ترك الختان وتشهيره جواز نظر العورة لاجله واما المالكية ففي النوادر للشيخ ابن ابي زيد ما نصه من سماع ابن وهب قال مالک الختان من الفطرة ولا ارى ان يختن المولود يوم السابع فانما ذلك من عمل اليهود ولم يكن من عمل الناس الا حديثا قال عنه اشهب ليس لختانه حد ينتهي اليه واحب الي اذا انعر وان عجل قبل ذلك فلا بأس وكلما جعل ختانه بعد الاثغار فهو احسن الي اه فمقتضى رواية اشهب عن مالك ليس لختانه حد ينتهي اليه انه لا يسقط بالبلوغ وعجز البالغ عن مباشرة الختن بنفسه وفي الرسالة والختان سنة في الذكور واجبة اه فاطلق ولم يقيد السنة بما قبل البلوغ وفي مختصر الشيخ ابن عرفة ما نصه والختان للذكور الجلاب سنة . التلقين واجب بالسنة غير فرض ولم يحك المازري غيره . الرسالة سنة واجبة . الصقلي سنة

مؤكدة وروى ابن حبيب هو من الفطرة لا تجوز امامة تاركه اختيارا ولا شهادته. الباجي لانها تبطل بترك المروءة ولو اسلم شيخ كبير يخاف على نفسه منه ففي تركه ولزومه نقلا ابى عمرو عن ابن عبد الحكم وسحنون قائلان ارايت ان وجب قطع سرقة ايترك للخوف على نفسه ولم يحك الباجي غير قول سحنون دون هذه المقالة قائلان مقتضاه تاكد وجوبه قلت في قطعه للسرقة مع الخوف على نفسه نظر واذا اسقط قصاص المأمومة للخوف فاحرى القطع لحديث تدرأ الحدود بالشبهات ويكون كمن سرق ولا بد له يؤدب بما يليق ويطلق اه كلام ابن عرفة فقد رأيت نقله في الشيخ الكبير اذا اسلم وخاف على نفسه الهلاك قولين اولهما لمحمد بن عبد الحكم اباحة ترك الختان لذلك ثانيهما لسحنون عدم اباحة الترك للخوف على النفس وهو ظاهر في انه مطلوب بالختان اذا لم يخف على نفسه الهلاك اتفاقا ولم يتعرضوا لكون العجز عن مباشرة ختن نفسه موجبا للسقوط مع ان هذه الصورة اقرب الى الوقوع مما تعرضوا اليه وقد نقل ابن تاجي في شرحه على المدونة والرسالة وجماعة من شراح المختصر الحللي وشرح الرسالة القولين الغين ذكرهما ابن عرفة ولم يقيد وهما بشيء ولا قيدوا مفهوميهما وفي شرح الخطاب للمختصر الحللي عند قول خليل وختانه يومها ما نصه فاما وقت استحباب الختان فقال في المقدمات من سبع سنين الى عشر وذكره ابن عرفة ايضا من رواية ابن حبيب ونصه روى ابن حبيب كراهته يوم الولادة او سابعه لفعل اليهود الالعة يخاف على الصبي فلا باس واستحبابه من سبع سنين الى عشر وروى اللخمي يختن يوم يطيقه . الباجي اختار مالك وقت الانتار وقيل عنه من سبع الى عشر وكلما عجل بعد الانتار فهو احب الي اه وقال في جامع الكافي ولا حد في وقته الا انه قبل الاحتلام واذا ائتمر فحسن ان ينظر له في ذلك ولا ينبغي ان يجاوز عشر سنين الا وهو محتون اه وقال في المقدمات ويستحب ختان الصبي اذا امر بالصلاة من سبع سنين الى العشر ويكره ان يختن في سابع ولادته كما يفعله اليهود اه ما نقله الخطاب وهو ظاهر في ان الطلب لا يسقط بالبلوغ لان ما نقله في وقت الاستحباب وهو معنى قول الكافي ولاحد في وقته الا انه قبل الاحتلام اي لاحد في وقته المستحب الا انه قبل الاحتلام ولذا قال ولا ينبغي ان يجاوز عشر سنين اي ذلك مكروه او خلاف الاولى . وقد علمت مما جلبناه من الاقال ان اهل المذهب اطبقوا على اطلاق طلب الختان ولم يقيدوه بسن ولا قيدوا الطلب بعد البلوغ بالقدرة على مباشرة الختن بنفسه فعلم ان الاطلاق مقصود لهم ولا يصح التقييد حينئذ وقد راجعنا من شروح المختصر الحللي الشرح الكبير لبهرام وشرح المواق وشرح الخطاب وشرح التائي وشرح الاجهوري وشرح الخرشبي وشرح الشبرخيتي وشرح الزرقاني وحاشية البناني عليه وحاشيتي الرهوني وقنون عليه فوجدنا جميع هؤلاء اطلق المسألة ولم يقيدوها بشيء

وراجعنا من شروح الرسالة شرح ابن ناجي والقلشاني والتائي والاجهوري والشيخ زروق فوجدناها مثل ما في شراح المختصر مطلقه غير مقيدة طلب الختان من الكبير بالقدرة على مباشرته الختن بنفسه وانما وجدنا تقييد طلب الختان بعد البلوغ بما اذا قدر المكاف ان يباشره بنفسه والا سقط الطلب لبعض المتأخرين من المصريين اعني الشيخ ابا الحسن شارح الرسالة فيما نقله عنه الشيخ الصعيدي في حاشية الكفاية والشيخ النفراوي في شرح الرسالة والشيخ الصاوي في حاشية اقرب المسالك ولم يستظهر هؤلاء القضاة فيما ذهبوا اليه بنقل يمكن التعويل عليه وهؤلاء من الفقهاء الذين لا يصح ان يفتي بما قالوه وانما يفتي بما نقلوه فاما الشيخ ابو الحسن فانت ترى انه استند في تفقهه الى ابن السنة ترك للمحرم ولم ينتبه الى ان الموضوع موضع ترخص كما اوضحناه في صدر المقال وعزنا به بما رواه سعيد ابن جبير عن ابن عباس وبما ذكره الشيخ في النوادر ان ابراهيم عليه السلام ختن ابنه اسماعيل وهو ابن ثلاث عشرة سنة وهو في هذا السن مراقق دون ارباب والمراقق مثل البالغ في حرمة الاطبلع على عورته لغير ضرورة عند المالكية كما للحنفي وعند الحنفية كما في الدر المختار وشحناء بنظر علماء الشافعية والحنفية وباعراض علماء المالكية عن اعتبار ما ذهب اليه باهمالهم له واغفالهم اياه ومما يؤيد سقوط ما ذهب اليه الشيخ ابو الحسن انتزاعا من القواعد العامة ان الابي ذكر في شرح مسلم ما نصه : عياض والختان قال مالك والاكثر هو سنة لهذا الحديث ولما روي انه قال الختان سنة واوجه الشافعي وهو مقتضى قول سحنون واحتج ابن شريح للشافعي بان النظر للعوورة مباح وقد ايسح للختان فلولاً ان الختان واجب لم ييسح له محرم ويجب بانه ايسح ذلك للطبيب وليس الطب بواجب مع ان الطب لمصلحة الجسم والختان لمصلحة الدين اه فالقاضي عياض سلم ما ذكره ابن شريح من اباحة نظر العورة للختان ونازع في دلالة ذلك على الوجوب ولو كان النظر للعوورة هنا غير مباح لمنع ما استدل به ابن شريح

واما الشيخ النفراوي فقد التبس عليه فهم كلام ابن ناجي وذلك ان الشيخ ابن ناجي ذكر في شرحه على المدونة والرسالة ما نصه قال الفاكهاني هل يختن الختنى المشكل ام لا واذا قلنا يختن في اي الفرجين او فيهما جميعا لم ار في ذلك لاصحابنا قولا واختلف اصحاب الشافعي قليل يجب ختانه في فرجه بعد البلوغ وقل لا يجوز حتى يشين وهو الاظهر عندهم قلت الحق انه لا يختن لما حلت من تغليب قاعدة الحظر على الاباحة ومسائله تدل على ذلك قال ابن حبيب لا ينكح الختنى ولا ينكح وفي بعض التعليقات ولا يحج الا مع ذي محرم لا مع جماعة رجال فقط ولا مع نساء فقط الى غير ذلك من مسائله ففهم الشيخ النفراوي ان معنى تغليب الحظر على الاباحة ان الختان سنة والنظر للعوورة الكبير

المراهق أو البالغ حرام ولا يرتكب محرماً لفعل سنة وليس مراد ابن ناجي ذلك قطعاً ولا لقال لتغليب قاعدة الحظر على السنية وإنما مرادة ما ذكره الزرقاني بعد أن نقل كلام ابن ناجي السالف ونصه وأهل وجه الحظر أن الذكر يخته السرجال والأثني يخفضها النساء والحنثي أن أطلع عليه ذكر لزوم رؤيته لفرج النساء وإن أطلع عليه أثنى لزوم رؤيتها لذكر الرجال أهـ فكلام الزرقاني ظاهر أو صريح في أن رؤية الحائض لعورة المختون مباحة بشرط أن يكون الحائض مسأولاً للمختون ذكورة وأنوثة ممنوعة إذا اختلفا فيها فتردد الأمر هنا بين الرؤية المباحة والمحظورة فغلب الحظر على القاعدة ومن هنا اعترض البناني كلام ابن ناجي بأنه بقيت صورة يمكن فيها حتن الحنثي ولا يتعارض فيها الحظر والاباحة وهي حتنه رضيعاً إذ يجوز في هذه الحالة رؤية الرجال والنساء لعورته فكتب على قول ابن ناجي الذي نقله الزرقاني ما نصه قوله عن ابن ناجي لا يختن لما علم من قاعدة تغليب الحظر على الاباحة الخ فيه نظر بل لا حظ فيه بجواز نظر كل إليه رضيعاً أهـ وقد وضع لذي عينين فساد ما فهمه الشيخ النفراوي وبنى عليه قوله ويظهر لي أنه يؤمر بختن نفسه لأن المكلف مأمور بفعل ما يكمل به إسلامه وما علقناه على كلام الشيخين أبي الحسن والنفراوي يقال مثله في كلام الشيخ الصاوي وكافي بك أيها الناظر وقد احطت بالمسألة خبراً توسعنا في الأعراض عما ذكره هؤلاء الشيوخ عنداً أن لم تمنحنا على ذلك شكراً والله أسأل أن يفتح بصائرنا بمعرفة الحق وإتباع طريقه ويعصمنا من الخطل والزلل بمنه وتوفيقه وحرره الفقير إلى ربه عبده محمد العزيز جصيط المفتي المالكي لطف الله به

سؤال وجوابه

ورد على إدارة المجلة السؤال الآتي :

(س) من المعلوم عند الناس أن الإنسان مخلوق من الطين والجن مخلوق من النار وكثيراً ما نرى الإنسان يغمى عليه ويصرع من الجن ويأتيه آخر فيقول أخرج من أصبعه أو من أنفه ولا يأتية شيء من النار (١) فما هو الجواب

(ج) ذهب بعض الفلاسفة إلى إنكار حلول الجن في الأنسي ومسه له وعللوا ذلك بأن الجن مخلوق من النار والانس من الطين فلو مسه الجن أو دخل فيه لأحرقه . وتبعم في ذلك المعتزلة ولهذا قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى « لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » وتخطط

(١) الظاهر أن مقصود السائل التعجب من مماسسة الجن للإنسان مع عدم احتراقه به والحال أن الجن مخلوق من النار والشأن أن النار إذا ماست الطين أحرقتة

الشیطان من زعمات العرب يزعمون ان الشیطان یخط الانسان فیصرع . والمس الجنون ورجل به مس وهذا ایضا من زعماتهم وان الحی یمس فیختلط عقله ولهم فی الجن قصص واخبار وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات اه والذي علیه اهل السنة والجماعة وهو معتقد السلف كما قال ابن المنیر ان ذلك جائز وواقع وقد اشتهر اشتهارا لا مرد له وظواهر الشرع الكثيرة تشهد له فمن ذلك الآیة المتقدمة وحديث الصحیحین ما من مولود یولد الا ویمس الشیطان حین الولادة فیستهل صارخا من مسه الا مریم وابنها . وقال الزمخشري فی هذا الحديث الله اعلم بصحته وان صح فمعناه ان كل مولود یطمع الشیطان فی اغوائه الا مریم وابنها فانهما كانا معصومین منه وكذلك كل من كان علی صفتیها واما ارادة المس بالید كما یتوهم اهل الحشو فكللا . ولو سلط ابليس علی الناس یمسهم وینخسهم یدة لامتلات الدنیا صارخا وعیاطا اه قال الشهاب الحفاحي اما تردده فی صحة الحديث وقد رواه البخاري ومسلم فظاهر البطلان وتفسیرة للمس بالطمع فی الاغواء خروج عن الظاهر وقوله ولو سلط ابليس علی الناس یمسهم یدة لامتلات الدنیا صارخا وعیاطا مردود بانه لا یلزم من تمكنه حین الولادة تمكنه فی كل وقت اه باختصار علی ان الحديث روي بروایة اخرى للبخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه . كل بني ادم یطعن الشیطان فی جنبه باصبعه حین یولد غیر عیسی ابن مریم ذهب یطعن فطعن فی الحجاب . ای الجلدة التي فیها الجنین . وظاهر استبعاد التأویل المذكور فیها . ومن ذلك حديث جابر رضي الله عنه اذا كان جنح اللیل فكفوا صیائكم فان الشیاطین تنتشر حیثذ فاذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم واغلق بابك واذكر اسم الله وأوك سقاءك واذكر اسم الله الحديث رواه البخاري وروي ایضا عن صفیة بنت حیي رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله علیه وسلم قال ان الشیطان یجري من الانسان مجرى الدم .

والاثر فی هذا الباب كثيرة وتاويلها مع كثرتها خروج عن الظاهر لغير داع . ودعوى ان الحی مخلوق من نار فلو مس الادمي لاحرقه احیى عنها بان الحی قد تطور حتی زالت عنه صفة الناریه كما تطور الانسان المخلوق من طین الى اطوار حتی زالت صفة الطینیة . هذا ومن الغریب ما قاله امام الحرمین فی كتابه الشامل ان للمعتزلة ینكرون وجود الجن اصلا ولبس العجب من الملاحدة والزنادقة الذین ینكرون وجوده وانما العجب من طوائف تنسب الى الاسلام كالقدریة تنكرة مع تواتر الادلة الناطقة بوجوده اه والمشهور ما قدمناه . والله اعلم

محمد الخطاب بوشناق

الاسلام منقذ البشرية

ومركبها الى شاطئ النجاة

بقلم الحقوقي البارع السيد المهدي بن الناصر المحامي بتونس

- ٢ -

قد ظهر مما سبق أن الاسلام دين المجتمع بحق : اتجه صوب العقيدة ذات السلطان الروحاني على العقل فوحد اتجاهها الى اله واحد مكون الكائنات (لا اله الا هو العزيز الجبار) وطهرها من عبادة الاوثان والتعلق بالالوهام الزائفة - وحصن الانفس المؤمنة من الفواحش والمنكر ادران الشرك بحصن عبادة تتكرر بين لحظات الليل والنهار خمسا (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) - (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) مع ما يترتب عليها من الفوائد الروحية والصحية « طهر روحاني وجسماني ورياضة » - وشرك على سبيل الوجوب الفرضي الفقراء والمساكين ومن اليهم في رؤوس اموال الاغنياء يؤتوت انصبتهم عن طيب نفس وايمان راسخ وجعل ايتاء المال اعانة لمن لدعم الفقر بنابه من مراتب البر العالية « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة » - ووطد المؤمنين على تحمل مشاق الجوع شهرا في السنة لتذوق منهم الانفس الشرهة ألم ما يقاسيه من الجوع من مسه من اخوانهم المؤمنين فقر مدقع فتجت تحت عوامل الروح الصمدانية اصول الشراهة وتحل محلها القناعة والرحمة والشفقة والحنان « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) - وفرض على من استطاع من المسلمين الحضور ولو مرة واحدة في العمر لمؤتمر اسلامي عام يقام سنويا في البقاع المقدسة فيه تتعارف العناصر الاسلامية على اختلاف بيئاتها وتباين السننها والوانها وتباعد اوكارها من الشرق الاقصى الى تخوم اوروبا وشواطئ الاطلنتيك وجزر الاقيانوس . يقفون في صعيد واحد متجربين من الحلى والمزكشات لا فرق بين امير وصلوك تجمعهم جامعة واحدة هي الاسلام وينادون بكلمة واحدة لبيك اللهم لبيك ويطوفون حول محور واحد هي الكعبة ويقبلون حجرا واحدا هو الاسود ويزورون روضة واحدة هي

الاحدية وفي هذا ما فيه من آيات الوحدة الاسلامية وربط او اصر امم بعضها ربطا محكما فهذا المؤتمر السنوي العام مضت عليه ثلاثة عشر قرنا ونصف لم يتعطل انعقاده ولن يتعطل فين مسعا ومطافه تتجدد روح الاخوة سنويا « انما المؤمنون اخوة » وعلى قمة عرفاته المقدسة تراءى في هيكل نوراني خطبته (صلعم) في حجة الوداع ومنها « تعلقن ان المسلم اخ للمسلم وان المسلمين اخوة » فهذا الدين القويم قد عمد الى الاخلاق الفردية وقعد لها من قواعد الاخلاق الشفاء ما يسمو بها الى اوج الكمال . اوجب عليها الرحمة والشفقة والحنان والعدل وحرمة الغير في ذاته وماله ومسكنه والنهي عن المنكر والامر بالمعروف والصدق والوفاء والبعد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن الخ اما الاخلاق العامة والروابط الاجتماعية والسياسية وما اليها من الانظمة فلها دستور غاية في الاتقان يجاري كل عصر ويزر أرقى الحضارات واسمى المدنيات وتتضاءل دون سموه واحكامه ما ابتكرة الفكر البشري من الانظمة ولناخذ لهذا دليلا ومثلا :

تمخض القرن العشرون بعد الحرب الكبرى عن مؤسسة امنية عدوها معجزة هذا القرن والتأم تحت لوائها ما يزيد عن الستين دولة من اكبر الدول الى اصغرها والغرض منها فصل المشاكل التي تعرض اليها عند تصادم منافعها حتى لا تشب بينهم حرب تأتي على الاخضر واليابس وتعيد الى مرسح العالم كارثة عام ١٩١٤ فقبل حيي على خير عمل انساني وقال من له تعمق في اصول الاخلاق الاممية لن يتم منها شيء ولا يجني منها العالم اية فائدة فصح هذا القول وتحقق هذا التنبؤ وادل ما يدل عليه كارثة الشرق الاريقي بين عضوين من اعضائها وخيبة مؤتمرات نزع السلاح التي حلت محلها المسابقة في التسليح والسبب في هذا الخذلان الاجتماعي هو فقدان روح دينية تسيطر عليها كالاسلام فهذا الاس الذي اخترعته افكار الساسة في القرن العشرين بصورة مشوهة هو مبدأ اجتماعي اسلامي نزل به الوحي من ثلاثة عشر قرنا ونصف لكن بصورة هي المثانة والحكمة البالغة فاذا ما تناحرت امتان من الامم الاسلامية واشتعلت بينهما نار الحرب لسبب من الاسباب فيجب وجوبا حتميا على كافة الامم الاسلامية التداخل بينهما بالصلح فان تم فان الله غفور رحيم وان بغت احدهما على الاخرى ولم تنصاع الى الصلح فتألب عليها كافة الامم الاسلامية وتقاتلها وجوبا الى ان تفيء الى امر الله فيقع بينهما الصلح بالعدل قال جل شانہ (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) فترى ان الاسلام اوجب على اممه في هاته الحالة الشادة بصيغة الامر (فأصلحوا فقاتلوا) التداخل في الصلح اولاً وان لم ترعو الباغية فانها تقاتل من كافتهم

حتى تخضع لسلطان السيف البتار وعندها يعقد بينهما صلح عادل - فلو جرت جمعية جنيف على هذا المبدأ السماوي ونفذته قدما بقدم وشبرا بشبرا لما تضعض كيانه وانقرط عقد وحداتها الواحدة تلو الاخرى ولما تناحر اعضاؤها تحت ضوءها وهي شاهمة

فالاسلام مبدؤة العام ربط كافة عناصره بروح واحدة هي الاخوة المنتجة للتعاون في دائرة الصالح العام بحيث كونهم اسرة واحدة تعمل لصالح واحد وما تألم منهم عضو الا عم الالم الجميع كما ان من مبادئه قطع الاعضاء الفاسدة ولو بلغت النسبة الى الثلثين حتى لا يعم الفساد باقي الجنمان

ولو ان الساسة واساطين الاخلاق في العالم الغربي نحووا صوب المبادئ الاسلامية لارتوى منهم الغليل ولكانت لهم الضالة المنشودة والدواء الانجع لكن ما هم بالغبيا ما لم يصدر اليهم من انبائها تبليغا فتحمل اليهم صقيلة المرأة كما نزلت وبلغها الامين (صلعم) ونفذها وجرى على قدمه الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم ومن نحا نحوهم من خلفائهم فأتتج ايما انتاج في فجر الاسلام وضحاها لا كما عليه اهلولة اليوم من تشويه بشوائب البدع التي يجب على رجال الاصلاح الديني محاربتها بتوجيه تيار كهرباء اشعة الاسلام صوب برك جرائمها فتحرق وتذرو رمادها هوج العواصف في اليد المظلمة يجب ان يوجه نور الاسلام الاسطع الى ضبابها الاقتم فتبخر ذراته يحملها الاثير على اجنحة الفضاء الى عالم ما وراء المادة. وهذا التبليغ لا يكون بالمعنى الاتم الا اذا كان بلسان القوم وقد كان (صلعم) يخاطب كل قوم بما يفهمون (حسبما ذلك مصرح به في الشفاء) لان لهجات قبائل العرب كانت متباعدة في كثير من مفرداتها (الامر الذي ادى الى اتساع نطاق اللغة عند جمعها) ومن معجزاته (صلعم) الاحاطة بالكل وهو قريشي المنبت والبيئة والنسب وبما ان رجال الاصلاح منا ملزمون بالتبليغ فليكن بالطريقة الموصلة . وهذا ما حدا بالازهر الى تلقين ناشئته ورسلا تبشيره كافة اللغات الحية ليحملوا بها صحف الرسالة المحمدية الى اطراف المعمور المظلم خلقيا والمتدهور اجتماعيا والمتصادم سياسيا فتضيء لرجال اصلاحه طرق العلاج وتفتح امام اعينهم كنوز الاسلام الثرية ولا بد ان ياتي يوم يعم فيه نور الاسلام اقطار العالم المادي وما هذا التدلي العام والتبديل الاجتماعي وكدح الساسة ورجال الاخلاق وراء ايجاد ادوية ناجعة ونهضة الشرق الاصلاحية الدينية الا ظاهرة من مقدمات ذلك اليوم - يوم يرفع فيه علم الاسلام خفاقا على ربي الغرب والشرق الاقصى والدنيا الجديدة وينادي مناديه في الآفاق بالصوت عاليا مرتلا آية ختم الفرقان (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) . فهذا ما حدا بي الى التهجم على طرق هذا الموضوع الجليل وان كنت لست من فرسان ميدانه عساي ان افتح مجالا يتبارى فيه رجال الاصلاح والدين حتى يتضح للآء العالمى ان الاسلام هو المركب الوحيد لتبليغهم الى شاطئ النجاة والسلامة وبهذا التمهيد قد صدرت وعلى الله الاتكال (يتبع) محمد المهدي بن الناصر

الأخلاق

ومبلغ عنايت الشارع بها

- ٢ -

ذكرنا في العدد الماضي مبلغ عنايت الشريعة بالأخلاق وانها لاحظتها فيما شرعته مما يتعلق باصول العقيدة . ولنتعرض الآن لبيان مقدار ارتباطها بأنواع العبادات التي فرضتها على المسلم فنقول والله الموفق :

فرضت الشريعة الاسلامية على المؤمنين انواعا من الطاعات وجعلتها مبنى للدين واساسا لما وراءها من تعاليمه وعدت القائم بها مسلما كاملا ووسمته بسماء الفلاح الذي هو عنوان الاستقامة والنجاح . وهاته الطاعات منها ما يحدد العلاقة التي بين العبد ومولاه ويعرفه طريقة مناجاته والوقوف بين يديه بحالة مرضية لديه مفكرا فيما اسدى له من نعم لا تحصى واسمى عليه من الطواف حاقا به آناه الليل واطراف النهار ذاكرا شاكرا معظما مكبرا خاضعا لربه مستسلما معتبرا تاليا كلامه القديم الذي نزل على خلقه ليتدبروا معانيه ويتفهموا مبانيه ويسترشدوا بمراشده ويقفوا عند حدوده ومواعظه يفتح هاته الاعمال بكلمة التكبير وما ادراك ما كلمة التكبير كلمة التكبير « الله اكبر » الله اكبر راس الايمان . الله اكبر كال الانسان . الله اكبر تحرير الانسان من عبودية اخيه الانسان . الله اكبر احتقار لشأن كل مخلوق امام عظيمة الخالق . الله اكبر تترجم عن حقيقة العبودية لله وحده . ثم يردفها بالقراءة قراءة الفاتحة فاتحة الكتاب ام القرآن والسبع المثاني . حمد الله والثناء عليه بما هو اهله فهو الرب الموجد للعالمين ثم الذي يمددهم بما يحتاجون اليه في كل وقت وحين مما به قوام حياتهم ونماؤهم وبرحة منه وفضل وهو الرحمان الرحيم ثم خلقهم على اكمل الحلات متوفرة لديهم اسباب الكمال مفتحة امامهم ابواب السعادات خلق الانسان وجعل له لسانا وشفيتين وجعل له السمع والبصر واليد والرجل ومن وراء ذلك هداة بالعقل لاستجلاب ما ينفعه ودرء كل ما يضره او يعطبه فأعظم به من الاله كريم ورب رحيم مالك يوم الدين يوم توفي فيه كل نفس حقها ولا يظلم ربك

يومئذ احدا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه امدا . حتى اذا وقف عند هذا الحد من القراءة توجه الى الله مخاطبا اياه بما قصده من ايقاع هذه العبادة « اياك نعبد و اياك نستعين » فانصرف بكليته اليه . مستعينا به متوكلا عليه . وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين افرده بطلب المعونة ولا حول لغيره ولا قوة فهو المعين المأمول وبدون اعانتة لا يتم لك شيء ولو حاولته الى يوم ينفخ في الصور ثم ختمت هذه المناجاة بالدعاء الذي هو مخ الاستسلام والعبادة فطلبت منه الهداية للطريق الاقوم والسييل الاشد وذلك يفتح ابواب الخير لديك ويسهل طريق الوصول عليك حتى اذا ما ختمت هذه الفاتحة اردفها باختها من آي الذكر الحكيم ثم ركعت وخضعت ونزهت معبودك ما استطعت . ثم بلغت في هذا الخنوع الى درجة وضع اشرف شيء عندك موضع الامتحان ودوس الارجل « وفي الحديث الصلاة تبأس تمسكن » مبالغة في معنى التعظيم والاحلال واظهار الحاجة للكبير المتعال . هذه هي الصلاة . الصلاة مناجاة الرب . الصلاة قرعة عين الرسول . الصلاة طهارة الجسد والروح . الصلاة التي جاء في وصفها انها تنهى عن الفحشاء والمنكر اليس من يقف امام خالقه ومبدعه . بارئه ومربيه ممثلة نفسه بهذه المعاني السامية مستشعرا في قرارة روحه مفصل ما اجملا في هذه الاسطر حقيقا بان يتعد عن كل فحش ومنكر ويتزهد عما من شأنه أنه لا يليق بحال من يقف خمس مرات في اليوم بين يدي من لا يخفى عليه من امره شيء . وانه محاسبه وسائله عن كل عمل ياتيه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم . عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ارايت لو ان نهرا باب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يقي من درنه « اي وسخه » قالوا لا يقي من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يحو الله بها الخطايا فلينظر المصلون اليوم الى صلاتهم من هذه النافذة وليزنيوها بهذا الميزان ليعلموا انهم مقيمونها على وجهها او انها تقام شبعا بدون روح وحركات خالية من المعنى التي اقيمت من اجله وليعلموا بان هذا هو السبب في ان صلاتهم لم تنههم عن فواحشهم وما هم غارقون فيه من المنكر وبهذا يفسر قوله عليه الصلاة والسلام للاعرابي الذي دخل المسجد فصلى فاخذ يقرر بصلاته نقر الديك : قم فصل فانك لم تصل « ثلاثا » لان الصلاة اذا كانت اشبه بنقر الديكة وكانت خالية من الاطمئنان اللازم للخاشع المتدبر كانت افعالا جوفاء ليس فيها من معنى العبادة كثير ولا قليل ولا يستحق صاحبها من وصف الطاعة وزن قتيل . وربما يقال للقائم بها انك اتعبت نفسك بدون كبير جدوى . ولا اصبت في فعلتك الهدف الاسمى . وفي البخاري عن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : ان احدكم اذا صلى يناجي ربه عز وجل قال شارجه القسطلاني واعلم انه لا يتحقق المناجاة الا اذا كان اللسان معبرا عما في القلب ولا ريب ان المقصود من القراءة والاذكار مناجاته تبارك وتعالى

فإذا كان القلب محجوباً بحجاب الغفلة غافلاً عن خلال الله عز وجل وكبريائه وكان اللسان يتحرك بحكم العادة فما بعد ذلك عن القبول . وعن بشر الحافي مما نقله الغزالي من لم يخشع فسدت صلاته . وعن الحسن رحمة الله عليه كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع . سلمنا ان الفقهاء صححوها فهلا يأخذ بالاحتياط ليدوق لذة المناجاة اه وقد عد ايمننا الحنفية الاطمئنان « وهو التعديل في الاركان اي تميمها وتكميلها » من واجبات الصلاة وحكم الواجب عندنا استحقاق العقاب بتركه عمداً وان كان دون عقاب ترك الفرض مع عدم اكفار جاحده وقالوا فيمن ترك الاطمئنان في الصلاة : بلزوم سجود السهو ان تركه سهواً واعادتها ما دام الوقت بتركه عمداً وان لم يعدها حتى خرج الوقت تسقط عن الذمة مع النقصان وكراهة التحريم ويعد فاسقاً انما وكذا الحكم في كل صلاة أدت مع كراهة التحريم ومما يحسن التنبيه عليه في هذا المقام ويظهر مما قررناه انه من الخطأ الفاحش وضلال الاوهام رأي من يقول ان الصلاة لم تقصد لذاتها وانما المراد كونها ذريعة للتذكر بذات الاله والاستشعار بوجوده والتفكير بكمالاته والتنزه في بحر ملكوته وتقديسه وتمجيده وتنزيهه وتحميده قياماً بواجب شكر المنعم والاعتراف به وبانعامه وهذا اذا حصل من العبد مباشرة بتوجه قلبه وروحه فلا حاجة لاقامتها بالجوارح الحسية وتنظيم ادائها على الكيفية المتعارفة الخارجية . وبطلان هذا القول بديهي لان العباد وان كانت ارواحهم هي المقصودة بالعبادة والتكليف واستشعار هذه المعاني مقصود من الصلاة لا محالة لكنهم لم يخلقوا نوراً مجرداً حتى يلحقوا بالاصناف الذين عبادتهم معنوية محضة فان الارواح محجوبة وقد غطى عليها الجسم المادي بحجاب من الغفلة اي حجاب فلا بد من عمل الظاهر والباطن وفي حركة الظاهر تنبيه الباطن من سنة الغفلة والنسيان فجعلت هاته الاعمال الخارجية تحريكاً للنفس وايقاضاً لها وانشاطاً لها من عقابها ولولاها لفرقت النفس الانسانية في اعماق بحور زهول والطغيان ولتراكمت عليها ادران المادة الكثيفة حتى لا يبقى لها بصر بما وراء المادة . من نور حقيقة حاقة هذا الى ما يكتنف الصلاة مما جعله الشارع شرطاً اصلياً او كالياً فيها كالطهارة وفيها من تنقية الجسد من الادران والاوزار ما يعرفنا بمبلغ غناية الشارع الحكيم بامر النظافة التي هي اساس لسلامة الجسم مما يوجب له احتلالاً انظر لقوله عليه السلام : لولا ان اشتق على امتي لامرهم عنه كل صلاة بوضوء وفي مسلم من حديث عقبة بن عامر قال كانت علينا رعاية الابل (١) فجاءت نوبتي فروحتها (٢) بعشي (٣) فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يحدث الناس فادركت من قوله : ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل (٤) عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة .

(١) يعني ابل الصدقة (٢) اي رددتها الى محل المبيت (٣) اي في آخر النهار (٤) قال النووي

قال فقلت ما احوود هذه فاذا قائل بين يدي يقول : والتي قبلها احوود . فنظرت فاذا عمر قال : اني قد رايتك جئت آنفا قال : ما منكم من احد يتوضأ فيبلغ او فيسبغ (١) الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء اه وفيه ايضا عن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الطهور شطر الايمان (قال الابي في شرحه للحديث ووجهه بعضهم بان للايمان شطرين . تطهير السر من خباثات النفس وتطهير الجوارح فمن طهر ظاهره للوقوف بين يدي الله عز وجل جاء بنصف الايمان فاذا طهر سره كمل ايمانه . فالشارع يريد من الامة الاسلامية ان تكون امة طاهرة الظاهر والباطن وضاعة البشرية والسريرة وفي طهارة الظاهر سلامة الجسم من المعاطب وامكان الاجتماع والامتزاج والتآلف اذ لا جرم ان الوسخ تنقر منه الطباع السليمة . وتلفظه وتتحاشاه النفوس المستقيمة . وفي طهارة الباطن بخلوص النية وصفاء السريرة والامتلاء بما يستتبعه الايمان الخالص من انواع الكمال الانساني سمو النفس الانسانية ولحاقها بعباد الله الطاهرين واوليائه المقربين اولئك الذين لا سلطان للنفس الشريرة عليهم ولا يخالطهم الباطل مهما كان الباطل ملتجئا باستار شفاقة من الحق المزيف .

ومن ذلك استقبال القبلة واتحاد الاتجاه . فان المقصود منه الاستشعار بوحدة المقصد واجتماع الكلمة وان الواجب ان تكون هذه الامة متكاتفه يشد بعضها أزر بعض قائمة على قلب رجل واحد صوب هدف اسمى تجتمع كل القلوب عليه وتتجه الانظار نحوه « ليس البر ان تولوا وجوهكم الآية ومنه الاجتماع لاقامتها في محل واحد بعد اقامة اعلام لها يسمعه كل من كان حول موضع اقامتها ليستجيب لداعي الله ويرفض ما هو بصدده من شغل او عمل قد يكون مما يرضي وقد يكون مما لا يرضي حتى اذا سمعه تذكر خالقه ونبيه عنه او أمره به او سكوته عنه ورجع من صلاته ونفسه ممثلة خشوعا ورهبة اقلع عما لا يرضي واقام على ما يرضي . كما ان بالاجتماع يحصل التعارف . والتعارف رأس كل خير والتنافر والتشاكس مدعاة كل شر وضير فالامة الاسلامية امة اجتماع وتعارف وباجتماع الكلمة تم للامة ما تم من نصر وفتح مبين وبضده حصل لها ما حصل في هذه الازمنة المتأخرة من تفرقها ايدي سبا وابتلاعها لقمة سائغة بغير كبير عناء

محمد بن عبد الله بن القاضى

هكذا هو في الاصول مقبل اي وهو مقبل قال وقد جمع صلى الله عليه وسلم بهاتين اللفظتين انواع الخضوع والخشوع لان الخضوع في الاعضاء والخشوع بالقلب على ما قاله جماعة من العلماء اه (١) هما بمعنى واحد اي يتمه ويكمله فيوصله مواضعه على الوجه المسنون

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

الصرة

كيف كانت نشأتها وكيف استقر قرارها

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد ابن الحوجة
المستشار لدى الحكومة التونسية

اعلم ان الصرة في عرف المشاركة عبارة عن مال يتجمع من التجارة ونحوها بين شريكين يوجه منه احدهما للآخر فيعبر عنه تارة بالصرة وتارة بالامانة ولما كانت هذا الاستعمال مما اعتاده اهل المشرق كانت تسمية الدال الموجه باسم صرة من تونس للحجاز بمناسبة وقفة كل عام لاهالي الحرمين الشريفين اعتبارا لذلك العرف بالمشرق وغلب عليه هذا الاستعمال بالديار التونسية حتى صار لا يطلق الا عليه وقد تعرض الشيخ ابن خابدين من فقهاء الحنفية لحكم الامانات الواصلة لاهل مكة المشرفة والمدينة المنورة على وجه الصلة والمبرة ثم يموت المرسل اليه قبل بلوغها فانها تكون إرثا لولده وسئل العلامة الشيخ فخر الدين بن ظهيرة القرشي فيما اذا كان للميت شيء من الصر والحب وورد اليه عن السنين الماضية في حياته هل يستحقه بقسطه فافتي نعم وجاء في البزازية من كتب المذهب عن الامام محمد بن الحسن صاحب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان قوم امروا ان يكتبوا مساكين مسجدهم ويرفعوا اماميهم واخرجوا الدراهم على عددهم فمات احد المساكين قال يعطى لورائه بعد رفع اسمه هذا كله في الصلة فاحرى ان يكون في مال الوقف الذي يستحقه اهل البقاع الحجازية المباركة بالنص الشرعي منذ عشرات الاحيال وقد اثبت التاريخ ان الصرة كانت موجودة في الدولة الحفصية واطول سلاطينها باعا في ذلك السبيل السلطان ابو فارس عبد العزيز الذي تولى ملك تونس سنة ٧٩٦ فقد بلغ من امره انه كان يتنوع في هاته الصلة ويوشحها بالحلي والحلى تقريبا لآل البيت الاطهار واكراما لجيران النبي المختار وجرى العمل بالدولة المرادية على ما درج عليه اسلافهم الحفصيون واهلهم من اكرمهم واسبقهم في ذنك الميدان ادمير حمودة باشا المرادي صاحب الجامع المشهور باسمه المجاور للزاوية العروسية ونسميه جامع الافراح لانه لو نظقت عرصاته لافادتنا بانها شهدت عقود

انكحة نصف اهل تونس وابقت النصف الآخر لبقية المساجد والازحرة والزوايا بالمدينة والربضين هذا وقد نسج ملوك البيت الحسيني خلد الله دولتهم على منوال من تقدمهم من الحفصيين والمراديين وكان واسطة عقدهم الباي حمودة باشا بن علي باي الثاني يتولى بنفسه حفظ مال الوقف الراجع للحرمين الشريفين ويرى في ذلك خدمة لحرم الله ورسوله روى المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف انه كان يؤتى له بفواضل دخل اوقافهما فيحفظه بصندوق خاص بذلك في بيته ويباشر بنفسه وضع المال واخراجه منه وقد اتفق ان وزيره ابا المحاسن يوسف خوجه صاحب الطابع لزمه صرف مال في مصلحة دولية ولم يكن بصندوق بيت الخزندار ما يكفي لذلك فقال للباي تسلف ما يلزم من صندوق الحرمين ونرجعه لك بعد عشرة ايام فاقشعر بدنه وقال له سألتك بالله ان تزيل هذا الحاطر من فكرك وارجع في هذه المصلحة الضرورية التي اقدمتك على مد عينيك الى مال الحرمين الشريفين وذلك اهون علي من مس ارزاق اهل مكة والمدينة وانا اتخرج من سكنى الداي بالدريية وهي من اوقاف الحرمين باجر معين لا يزيد وقد حالت الاسواق وارتفعت اسعار الكراء فكف الوزير عن ذلك اه هذا وقد كان لهم عناية في اختيار من يتوجه بذلك المال لتوزيعه على مستحقه فينتخبون لذلك الافضل فالافضل من اهل العلم كشيخ الشيوخ وطود الرسوخ سيدي ابراهيم الرياحي او من اعيان اهل البلاد المعروفين بالثروة والعفة والديانة فقد حكوا ان المشير احمد باي لما لم يجد في بعض السنين من هو متوجه لاجح من اعيان الحاضرة بسبب وجود مرض عام ليصعبه بالصرة انتخب لذلك احد اعيان التجار الموثوق بامانته وهو ابو عبد الله محمد بن الامين ووجه اليه يأذنه بالسفر بالصرة للبقاع المباركة وبذل له اعانة مالية معتبرة فقبل منه تلك المأمورية الشريفة ولكنه رفض قبول الاعانة قائلا انه بفضل الله في غنى عنها اللهم الا ان يتصدق بها هناك باسم الباي فراءها منه حسنة وتحديث بنعمة الله عليه واغدى عليه بالاحسان بعد اياه وممن تبرك بحمل الصرة لاجاز العلامة البركة الشيخ محمد النيفر الاكبر اختاره لذلك الباي المشير الموما اليه في سنة ١٢٦٧ وفي الإعصر المتأخرة تشرف بحملها المدرس الشيخ احمد جمال الدين في سنة ١٣٠٢ بامر المرحوم المولى علي باي الثالث وأهدى بتلك المناسبة كتابه مناهج التعريف أصول التكليف للشريف عون الرفيق امير مكة المكرمة ولسادن البيت الحرام الشيخ عمر الشبي كانيط تبليغها بعدة الفقيه الكاتب الشيخ احمد زروق في عهد الدولة العلوية ايضا واتفق ان عهد تبليغها فيما بعد ذلك لغير اهل العلم فطنوا عليها في سنة ١٣١٠ ما استوجب جعل ارسالها بحوالة تجارية يقع تصريفها نقودا ذهبية بمرسى جدة على يد قنصلات فرنسا بها تلمينا وتاكيدا لحفظها من التلاشي والاطماع ولما وقع ترتيب ركب الحجاج

التونسين في عهد الدولة الناصرية نطت مأمورية تبليغ الصرّة المباركة في سنة ١٣٣١ بعدة رئيس الركب وهو المرحوم امير الامراء السيد العربي بسيس أحد اعضاء جمعية الاوقاف اذ ان كان في مدة الحرب العالمية ناطت الدولة التونسية مهمة رئاسة ركب الحجاج وتبليغ الصرّة ببعض كبار العمال فكان رئيس الركب في سنة ١٣٣٤ امير الامراء السيد الشاذلي العقبي ومفتي الركب الفقيه الشيخ محمد الجودي مفتي القيروان وكان يومئذ امير مكة المشرفة هو المرحوم الشريف الحسين بن علي ولدينا نسخة حرفية من المكتوب الذي خاطب به الشريف المذكور صاحب السمو المرحوم المولى محمد الناصر باي بتلك المناسبة تنقله هنا اتماما للقائدة ونصه :

« الى المقام الذي تهتدي المعالي بطرقه وقد بساهى النجوم ارتفاعا وتقتدي المكارم بخلقه وقد ضاهى الجوا اتساعا ذي المجد الاثيل والفضل الجزيل اخينا في الله (سيدي) محمد الناصر باشا باي صاحب المملكة التونسية المحروسة ايد الله تعالى اعلامه وابد بالنؤود ايامه وانا رب بلاد بنجوم سموه واعز اهلها بعزة ومجده السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصل الى هذا الجنب كتابكم الكريم مفتتحا بما هو ارق من النسيم فاتصل به ما كان منفصلا وسفر به ما كان منسدلا فحمد الله ثم حمد له وشكر له ثم شكر له في الاولى والآخرة . هذا وقد رأى نائب الجنب العالي الفاضل النزيل السيد الشاذلي العقبي ما بذله رجال دولتنا وكل سكان هذه البقاع الطاهرة من العناية الواجبة على اهل هذه البلاد الحجازية لبني عمومهم سكان المملكة التونسية وان العزيمة متجهة الى بذل كل ما في الوسع واتخاذ كل ما يمكن من الوسائل لتسهيل طريق الحج لكافة المسلمين مدا السنين بحول الله وقوته حتى تكون هذه البلاد كما يجب ان تكون مثابة للناس وأمانا واني انال المولى جل وعلا ان يمدكم بالعز والتأييد في ملككم السعيد لا زلت من خير انصار الحق واعظم الفاعلين للخير والمعنيين عليه والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وحرر بمكة المكرمة في ١٦ ذي الحجة عام ١٣٣٤ شريف مكة المكرمة واميرها

الحسين بن علي

ثم في وقفة عام ١٣٣٦ كان تبليغ الصرّة لمستحقها بواسطة المرحوم الامير الاي السيد المختار الجويني عامل تاجروين بصفته رئيسا للركب التونسي وكان في صحبته الفقيه المفتي الشيخ الطيب المرزوقي وفي مدة سيدنا ومولانا الملك الموجود متع الله بقاءه الوجود كلف احد ابنا بيوت المجد من أهل ثقتة وهو الخير الشيخ عبد الرحمن بن ذاكور من المتشرفين بالانتساب للبلاط المملوكي بتبليغ الامانة الحجازية لاصحابها بالحرم المكي والحرم المدني وتكرر تكليفه بتلك المأمورية الشريفة سنين

متابعة . هذا ولتعلم ان مقدار الصرة في القديم كان يختلف بالزيادة والنقص حسب مداخيل اوقاف الحرمين الشريفين فلما الت وزارة تونس لعهد المصلح الامين الوزير خير الدين سعى لدى المشير محمد الصادق باي بجعل مبلغها قارا حسب متوسط تلك المداخيل ووقع الاتفاق على ان يكون ذلك ثمانون الف ريال اي خمسون الف فرك في السنة تقسم نصفين احدهما بعنوان اهالي الحرم المكي والآخر بعنوان اهالي الحرم المدني وعلى هذا النظام جرى العمل حتى سنة ١٣٥٣ وفي سنة ١٣٥٤ الفارطة زيد في مال الصرة بمقدار الخمس بعناية سيدنا ومولانا احمد باشا باي كما سيأتي الكلام على ذلك بمحلله ومن عناية الملوك الحسينيين بامرها ان يعقدوا لها موكبا فخما يحضره سمو الباي واهاليه والوزراء ورجال الدائرة الملكية وكبار متوطني الاوقاف وفي ضمنهم وكيل الحرمين الشريفين ويده صندوق المال المقصود توجيهه للحجاء فياذن الباي باحضار الرسول المكلف بتبليغ الامانة ويدفعها له بنفسه مصحوبة بمكتوب خطي من سموه لملك البلاد العربية المقدسة قائلا له « هذه امانة الله ورسوله تبلغ لاهلها ان شاء الله بواسطتك » فيتسلمها الرسول المذكور في ذلك المشهد العظيم ويشكر الله على تلك النعمة ويرطب لسانه بالدعاء لسمو المولى الامير هذا ملخص حديث الصرة حسبما جرى عليه العمل في هذه الازمان اما حديثها في الماضي فان تبليغها كان من حقوق رئيس الزكب ويطلق عليه في التاريخ التونسي لقب شيخ الزكب كما يطلق عليه بمصر لقب أمير الحج وممن تقدم لهذه المأمورية الشريفة في الدولة الحسينية الشريف الشيخ ابو عبد الله محمد بن عبد الملك العواني القيرواني كلفه بذلك الباي محمود بن الرشيد باي في سنة ١٢٣٨ وسافر قبله بتلك الصفة ابو الفلاح صالح زيد في عهد حمودة باشا وبصحبه الشيخ حمودة بن عبد العزيز بعنوان قاضي الزكب وقبلهما خرج الشيخ ابو حفص عمر المرابط شيخ زكب في سنة ١١٨٠ على عهد الباي علي بن حسين بن علي وكانت اركاب الحج في القديم بالشمال الافريقي تنظم لبعضها بعضا وتقصد الحجاز على طريق البر قالوا ان غدوها عام ورواحها عام فيخرج الزكب من طنجة الى السوس الاقصى فجهات توات فالصحراء الجزائرية فواد ريغ فننزاوة وكانت طافحة بالعمران على ما حكاه الشيخ العياشي في رحلته وبعضهم يزعم ان اسمها محرف عن الف زاوية ولكنه كلام خال عن الصحة لان لفظ نزاوة بربري ومتقدم على دخول الاسلام لافريقية ولا عربية بافريقية اتفاقا قبل انتشار نور الاسلام بها ومن نزاوة يسير الزكب لقابس وهنالك يلتحق به حجاج الديار التونسية ومن قابس يقصدون طرابلس فبرقة فالاسكندرية فمصر فالشام فالحجاز ولتصور القاري كيف كان تشكيل هاتيك الاركاب وكيف كان مسيرها ومصيرها عليه بمراجعة الرحلات الجامعة كرحلة الشيخ العياشي السالف الذكر ورحلة

العبدري ولا عيب فيها سوى تحرشه بمدينة القيروان لأنها كانت فيما يقول خلوا من العلم في زمنه إلى غير ذلك من الرحلات القيمة التي يستفيد القاري ضمن مطالعتها كيف كانت تنشر العلوم العربية بين المسلمين فقد كان العالم من أهل أركاب الحج ينتصب أثناء ارتحاله لأقراء العلم هنا وهناك ولا سيما علوم الدين كالفقه والحديث ويجيز غيره ويقيد ويستفيد وهذا الشيخ الفقيه جواب الأرض ومخترق الأقاليم بالطول والعرض أبو عبد الله محمد بن بطوطة يحدثنا في رحلته كيف خرج من بلدة طنجة حاجا في سنة ٧٢٥هـ وكيف وفد على تونس بعد مروره بتوات والجبيلات الصحراوية فتلسان فالجزائر فقسطنطينة وكان الأمير بتونس يومئذ السلطان أبو يحيى بن أبي زكرياء الحفصي وقاضي الجماعة بها الشيخ أبو العباس أحمد بن الغماز وخطيبها الشيخ أبو اسحق إبراهيم بن عبد الرافع ثم يسط لنا الكلام عن فخامة موكب السلطان عند خروجه لصلاة العيد وكيف قدموه قاضيا للركب الحجج التونسيين وكان شيخ الركب أبو يعقوب السوسي فخرج وإياهم مارين بسوسة ووصفها بالحسن فصفاقس ونقل في وصفها آياتا بالمدح وأخرى بضد قفاس وهي المركز الوسط لملتقى الأركاب الوافدة من المغرب الأقصى والمغرب الوسط مع الركب التونسي وكان يومئذ لقابس شهرة مطبقة بالشمال الأفريقي وفيها يقول بعضهم

لهني على طيب ليال خلت بجانب البطحاء من قابس
كأن قلبي عند تذكارها جذوة نار بيدي قابس

وبعد انضمام الأركاب بعضها لبعض في قابس يتقدم الركب العام نحو مدينة طرابلس وينفتونها في الكتب الجغرافية بطرابلس الغرب للميز بينها وبين طرابلس الشام وفي كتب الجغرافيا الحديثة سموها ليبيا باسمها الروماني القديم ولفظ ليبيا يدل في آن واحد على طرابلس وبرقة معا والله يحكم لامعقب حكمته . وفي ضمن الحديث يعرفنا الشيخ ابن بطوطة بعقد نكاحه على ابنة أحد الأمراء بصفاقس ثم بمفارقته إياها لمشاجرة حصلت بينه وبين أبنائها بطريق الإسكندرية وعلى أنه بنى هنالك على ابنة أخرى لبعض طلبه فأس وزاد على ذلك قوله « وأولت وليمة حبست لها الركب يوما وأطعمتهم » فلهذا ما أحزمه وما أكرمه ! ولنرجع بك لحديث الصرة بالذات لاتمام التعريف بتطوراتها فنقول إن توحيه مال الصرة للحرمين الشريفين تناولته التعطيل في القديم وفي الحديث بحيث إن تبلغ أرباع أوقاف الحرمين لمستحقها بالحجاز طرأ عليه غير مرة ما أوجب انقطاعه عن الموقوف عليهم كوقت تعطيل الحج أثناء الفتنة الوهابية أوائل القرن الثالث عشر وكمدة ثورة علي بن غداهم حوالي سنة ١٢٨٠ وما بعدها ثم عادت لنظامها القديم بعد استتباب الراحة ورجوع الأمن لنصابه وغاد انقطاعها في آواخر وزارة المرحوم مصطفى خزندار لاضطراب الحكومة وقتئذ بداعي العسر لاحالة التصرف في أرباع

الأوقاف العامة ومنها اجناس الحرمين الشريفين للقائد نسيم شمامه قابض المالية بالدولة التونسية ولما آلت الوزارة لنوبة الوزير المصلح خير الدين باشا تدارك ذلك الحلل وعين مقدار الصرة بخمسين الف فرنك في العام كما سبقت الاشارة لذلك واستمر ارسالها واسترسالها الى استعار نار الحرب العالمية فتعطل توجيهاها لمستحقها في عامي ١٣٣٢-١٣٣٣ ثم استؤنف ارسالها صحة اركاب الحجاج التي وقع ترتيبها في عام ١٣٣٤ وما بعده ثم عاد انقطاعها بعد انتهاء الحرب اثناء القلاقل التي حصلت بجزيرة العرب ودام نحو خمسة عشر عاما حتى كاد ان ينسى ذكرها بين التونسيين الا ان المستحقين لها بالحجاز لم ينسوها وكروا القول في طلبها وما ضاع حق وراءه طالب فتدخل في النزلة ملك البلاد العربية جلالة عبد العزيز بن السعود واعارته الدولة اذنا واعية ورغم الضائقة المالية المحيطة بجمعية الاوقاف منذ عشرة سنين فقد حصل الاتفاق بين الجانبين على نتيجة مرضية وعاد توجيها الصرة المباركة على قاعدتها الاصلية ابتداء من عام ١٣٥٢ بل وقد تبرع سيدنا ومولانا احمد باشا باي نصر الله وجهه بزيادة عشرة الاف فرنك علاوة على الخمسين الف فرنك المعتادة اعتبارا من سنة ١٣٥٤ ولقد رمق جلالة الملك ابن السعود هذه العناية الشريفة بعين الاعتبار والشكران واعرب لسمو مولانا الباي المعظم عن شواهد الامتنان واهدى لحضرة العلية اثرأ شريفا لا يقدر بمال الا وهو الحزام المصنوع من مقصب الذهب الشامل لاستار الكعبة المطهرة وقد تلقى سيدنا الملك المطاع هذه الهدية المباركة بمظاهر الاجلال والاعظام واحلها لديه بالمحل الارفع مما سيجده ان شاء الله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا

ونختم هذه النبذة بالاشارة لما افاده التاريخ من استنابة بعض الملوك الحسينيين لحاملي الصرة بالحج عنهم على ما جوزه المذهب الحنفي الزكي (١) فالمقدس الباي المولى حسين بن علي استناب للحج عنه مفقي دولته وبعضهم يزعم انه هو الشيخ حسن برناز وعندي ان ذلك غير صحيح لان هذا الفقيه كانت ولادته سنة ١١٤٠ وكان مفتيا على عهد الباي حمودة باشا وقد ترجم له الشيخ محمد يرم الثاني في رسالة المفتين ولم يذكر انه حج البيت الحرام لان نفسه ولا بالنيابة عن الباي حسين بن علي تركي على

(١) المنصوص عليه في المذهب الحنفي انه لا تجوز الانابة في الحج الا بشرط ان يكون المحجوج عنه عاجزا عاجزا مستمرا الى وقت الوفاة قال في الهداية : وتجزئي النيابة في النوع الثالث وهو الحج عند العجز للمعني الثاني وهو المشقة بتقيص المال ولا تجزي عند القدرة لعدم اتعاب النفس . والشرط العجز الدائم الى وقت الموت لان الحج فرض العمر اه بصفحة ٦٦ جزء ٣ وقال في العناية فان لم يكن العجز دائما وقد احسج عن نفسه ثم زال عنه العجز كان قادرا على اصله في وقته وذلك يبطل النيابة اه من الموضع المذكور « المجلة الزيتونية »

انه كان عمرة لا يزيد عن ثمان سنين عند اغتصاب الباشا علي باي الملك من يد عمه حسين بن علي في سنة ١١٤٨ وفي ذلك دلالة على ان الفقيه الذي حج نيابة عن مؤسس البيت الحسيني هو غير الشيخ حسن برناز وانما الشيء المشهور بين رواة الاخبار هو ان الباي المشار اليه تقبل الله عمله اديت عنه فريضة الحج بطريقة النيابة وقياسا على صنيعه المشكور وعمله المأثور جرى عمل نسيلة المرحوم مصطفى باي بن محمود باي فانه استتاب للحج عنه في سنة ١٢٥٢ بركة القطر وامامه الشيخ ابراهيم الرياحي قدس سره ووجه معه مكتوبا بالتوسل للروضة الشريفة وهو مكتوب في اعلى درجات البلاغة ناطق بما للباي المشار اليه من صدق التوكل والانتفاع والتعلق بالجانب الاقدس تقبل الله مسعاه وقد قل عبارته الوزير المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف في تاريخه وعنه نقله حفيد الشيخ نفع الله به في كتاب تعطير النواحي فمن اراد زيادة البسط فعليه بالرجوع اليه واستناب المقدس المبرور المولى علي باي الثالث للحج عنه في سنة ١٣٠٢ الفقيه المدرس الشيخ احمد جمال الدين وحيث ان :

الابن ينشأ على ما كان والده ان العروق عليها ينبت الشجر

فقد اضاف ابنه الكريم ملكنا الحالي بهجة الايام والليالي ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي منقبة شريفة لصحيفة حسنة بالسعي في اداء فريضة الحج كسلفه الصالح لذلك استتاب الفقيه الخير الشيخ احمد البناي للحج عنه في وقفة عام ١٣٥٢ تقبل الله سعيه وادام ملكه وعزه ورعيه

محمد بن الخوجة

اعتذار

نعتذر عن تأخير بروز هذا العدد في موعده بما لا حول لنا فيه ولا قوة وهو اعتصاب عملة المطبعة التونسية الامر الذي اوجب تأخير عدة مطبوعات عن الظهور في اوقاتها كما نعتذر عن تأخير نشر بقية مقال المكتبات للاديب الشيخ محمد العنابي بضيق نطاق هذا الجزء وسيقع نشره في العدد المقبل ان شاء الله .

تنبيه

ترغب ادارة المجلة الزيتونية من كافة السادة الفضلاء المشتركين بها في الحاضرة والخارج ان لا يسلموا معلوم اشتراكهم لاحد الا اذا قدم لهم وصل الاشتراك ممضي من امين مال المجلة وعليها طابعها

الادب

التجديد في الادب

- ٣ -

التجديد والتقليد

الامة العربية كغيرها من الامم التي دالت عليها عصر وازمان ذاق في اثنائها الحلو والمر ورمقها لحظ الصروف بالرضاء مرة وبالغضب أخرى . وتقاذفتها امواج الحياة المفعمة بالمكاره دهورا وآمادا حتى أضوت قواها وحطمت بناها ودفعت بها أشلاء ممزقة على سواحل المعمورة هنا وهناك فاخذت تلك البقايا بما بقي فيها من رمل تتحرك رويدا رويدا تحت تأثير انوار المدينة الغربية بعد ما جهلت من تاريخ نهضتها كل شيء . او تصورت عزتها حطة ورفعتها سقوطا وبعد ما فصلتها يد العوادي عن عروبتها وقطعت بينهما اسباب اللغة والادب والاخلاق والعقيلة . وفصمت بينها وبين آباؤها كل علاقة وصلة

تحركت تلك الاشلاء وباليته بقيت هامة الى اليوم المعلوم . واول لفظ نطقت به قد كان فافأة ساحر وهينة كاهن لم تحو صيغته مدلولاً ولم يتحمل نظمه بياناً او تأويلاً

جالت بنظرها فيما وجدته حولها من آثار ورسوم اديبة لم يات عليها العفاء بعد ثم أشاحت عنها غاضبة منتقدة زاعمة ان ذلك دمن واطلال وكما زال اهلها يجب ان تزال لحظت بين دجية ووميض وسكون واضطراب منارة الاخلاق فاجهرت عليها بسافل الخلق وسيء الحلال فتركتها اثرا مندكا . وجهت عقلها للعمل ففهمت الطرد عكسا والطول عرضا هذه هي ظواهر حركة تلك البقايا لا اكثر ولا اقل وهي التي نسميها اليوم تجديدا وغدا اندماجا وبعده موتا ابديا

ولنزد القارىء في الموضوع بسطا وبالمقام خبراً بتصوير ظاهرة الادب في الشمال الافريقي عامة وتونس خاصة حتى يدرك ما للادب من قيمة عندنا وما لمقدار التفكير فيه من حظ فقول : ان ادباء اليوم ينقسمون الى قسمين . قسم يحافظ ينسج في ادبه على منوال القدماء . فهذا يحتذي خذو امرى القيس وهذا يقتني اثر جرير وذلك يتبع خطى المتنبى والاخر يسلك مسلك ابن خفاجة او ينهج نهج الحسن ابن هاني وهم

غير موفقين يظهر على ادبهم تكلف التقليد الاعمى وسماجة التصنع البارد وذلك لعمرى يفقد الادب تأثيره في النفوس ويسلبه حسنه وجماله . فهم بالرغم عن التكلف البادي على ادبهم في لفظه ومعناه من جراء عدم التصرف في التفكير ونظر الاشياء على حقيقتها ومراعاة تغيرها باختلاف العصر تجد اغراضهم الادبية لا تعدو المدح والثناء . يمدحون فيسرفون ويأتون من ضروب المبالغة المزرية كذبا وبهتاناً ويحملون الادب اثقال التشايبه السمجة المبتذلة يكيلونها كيلا ويكبلون لسان الضاد بقيود المجازات والاستعارات الخالية من روح البلاغة والعارية عن جوهر المناسبة يجمعون لممدوحهم ما علق باذهانهم من مثل شروح التلخيص وعبارات الجرجاني في التشبيه والمجاز والاستعارة زيادة عما يتجشمونه من تعب في افعام كلامهم بما عرفوه من محسنات بديعية يلصقونها به الصاقا برغم انف الجمال الفني . ويرثون كل من اغتالته المنية لمناسبة وغير مناسبة فيسرفون في خلق المآثر وانشاء المكارم اسرافا يحمل المرثي المسكين هوانا ويشير في روعه غضبا . وخطتهم في الرثاء لا تخالف خطتهم في المديح .

وقد غفل هذا القسم عن الواجب وفهم التقليد جمودا مع ان المفروض ان يفهم ان تقليد المستعربين امثالا للعرب في اي عصر من عصورهم هو امر اكيد لا بقاء للكيان العربي الا به . وهو تقليد في الاسلوب اللفظي والصناعة الكلامية فقط اما المدلولات فانه من الجمود ان يتصورها العقل اللاحق بصورة العقل السابق فمشاهدات العصر الحالية غير مشاهداتنا اليوم وما فكر فيه القدماء لا تتصوره احلامنا الماخوذة بانوار المدنية الخلابة وزخرف التطور الجذاب على انه في جانب مراعاة الاسلوب العربي ينبغي الاحتفاظ على الروح الخاصة بلسان الضاد بقدر ممكن وذلك باكساء المعاني حلة تشاكل حلة ادباء العربية او تقاربها بمعنى جعل اللفظ تام الدلالة على المعنى من غير خفاء او تعقيد واما التفكير فمن الخطل ان يقصد اتحاد بين اقوام تباعدت الاماد بينها واختلفت مظاهر الحياة فيها . وقسم مقلد ايضا يزعم أن تقليده تجديد ولكنه يخالف قسيمه الاول في الوجهة فذاك يقلد العرب العرباء وهذا يقلد الامة الغربية في آدابها واخلاقيها وهي تخالفه عنصريا وذاتية ولغة وتفكيراً . وهذا القسم كان اقرب طبقات الامة للاندماج واسرع جزء منها للفساد بما اوجدته فيه الثقافة الغربية او التعصب الممقوت لمن حرمها من ميل لها ورغبة عن الثقافة الاسلامية ولغة القرقران وآدابها الرائعة . ولو اردنا شرح حالة هؤلاء شرحا وافيا لنفد البحر قبل الوصول الى الغاية ولكن لنقتصر على بيان مبلغ تفهمهم للادب العربي وكيف يعتبرون الادب الحي وذلك لا يكلفنا اكثر من أن نقول: ان الادب العربي عند هؤلاء ادب جامد ميت في مجموعه خال من الجمال الفني في لفظه ومعناه وما الادب

الحي عندهم الا ما صيغت الفاظه على حسب الارادة وما تدعو اليه الحاجة ولو عاكس على خط مستقيم قواعد اللغة واصول الاشتقاق قسمع في ادبهم الحي عبقة، وادهورا، واتباعا. وكثيرا من هذه الالفاظ المنكرة وتجدر اراكيهم بريئة من الدلالة على اي معنى صحيح براءة المذنب من دم ابن يعقوب واغراضهم التي نشعر بها من عناوين ادبهم اخلاط ركيكة لا تتجاوز مناجاة القمر والسماء والتفكر في اللانهاية والتسمع لزفرات الضمير المحزون والحوض في بحر الوجود الصاحب وما الى ذلك . ولا اكون مبالغا اذا قلت ان المفردات التي يعرفونها من العربية - فيستعملونها في كل تلك الاغراض لا تعدو بضع مئات ومن كانت هاته حاله فالواجب عليه ان يؤوب لرشده او يسكت الى الابد . على اننا لا نعدم نقطة اجتماع بين اولائك وهؤلاء فالجميع خلوا من الشعور فيما يقول وهم متفقون في عدم اعتقاد ما يتكلفونه من المعاني . وكلهم يجري وراء الشهرة المزيفة ويسعى للهتاف له بالمجتمعات والمحافل . فذلك يغوص في تخضم اللغة فيستخرج عققلها وثماها . ويجوب فدافد الادب العربي فيقتص او ابدها وآرامها . ويعرضها على انظار لم ير الاكثر منها أبدة او ريماء ولم تشاهد قط عققلا او ثماها . وهذا يظهر للهلا سابحا في بحر الحياة الباسمة تتقاذفه امواج الاثير الصاخبة متشبها باذيال اللانهاية القائمة يقذي عيون النظارة بحركاته المصطنعة المسرحية ويؤدي للاسماع باصوات من الشنائم موحية تارة للازمان التي لم تسعفه بما يؤمله في الحياة وتارة للدنيا التي قابلته بوجه متجهم وآونة لشعبه آباءه وجدوده الذين لم يحلوه بمنزلته بين الجفون والمحاجر ولم يرفعوه الى المرتبة اللائقة بعبقريته وهو كما يعتقد حكيم الزمان والفرد الذي لا يختلف فيه اثنان . هذا هو نغم اليوم الحديث الذي يحرك وتره كل من حرم المادة الثقافية والفكر الصحيح وقعدت به الهمة في مجال السباق العلمي عن بلوغ الغاية . وهو لو انصف نفسه وادرك قيمة تفكيره رولى بوجهه عن الغرور لاعد عدة النهضة التي يصبو اليها وتزود لها بالعلم الصحيح والثقافة العالية .

والخلاصة ان كلا من القسمين لم يقم بالواجب عليه نحو امته ولغته . ولن يجني شعب من الشعوب شيئا في معترك هذه الحياة ما دامت افراده على مثل تلك الحالة الفكرية .

الطاهر القصار



البكاء في الشعر العربي

- ٣ -

واما الحوادث فهي لما كانت راجعة الى تحريك الذكريات وبعث الصور المذهول عنها الراكدة في اعماق الذاكرة استمدادا من حضور بعض ملابسها لدى الحواس كانت غير داخلية تحت حصر لان النفس اذا تعلق بالشئ تعلقا شديدا ملك عليها مشاعرها فاصبحت لا ترى حسنا ولا قبيحا الا من طريقه ولا تنظر شيئا في الكون الا ولا تزال جادة تبحث في خفاياه حتي تؤلف بينه وبين متعلقها جامعا خياليا يكون طريقها لاستحضار محبوبها من باب الملاسة الموهومة وهي طريقة مولدة بها تاتي لكثير من الشعراء تخلصات بدیعة من التشبيب الى الاغراض الاخرى وبفقدتها شاعت عند الجاهلین طريقة الاقتضاب فلذلك كانت الحوادث المذكورة غير متناهية ولا داخلية تحت حصر الا ان هناك اشياء كثر دورانها على السنة الشعراء لكونها مذكرات طبيعية بسيطة يشترك الناس في الاحساس بتاثيرها فممنها خفوق البرق من الجهة التي فيها الحبيب المفارق وللغرب لاسيما اهل البادية عناية بنسبة البروق الى حياتها فتذكر الحبيب بها لارشادها الى جهة امر قريب

ومن ابدع آيات هذا الباب قصة اوردها ابو علي القالي في اماليه وابو هلال العسكري في ديوان المعاني عن ابي بكر بن دريد قال حدثنا الفضل بن محمد العلاف قال لما قدم بغاة بني نمير اسرى كنت كئيسرا ما اذهب اليهم فاسمع منهم وكنت لا اعدم ان القى الفطيص منهم فاتيهم يوما في عقب مطر واذا فتى حسن الوجه قد نهكه المرض يشد

ألا يا سنا برق على قلل الحمى لهنك (١) من برق علي كريم

لمعت اقتداء الطير والقوم هجع فهبجت أسقاما وانت سليم

فهل من معير طرف عين خلية فانسان عين الغامري كظيم

وما قلبه البرق اليماني رمية بنكر الحمى وهنا فوات يميم (٢)

قلبت له يا هذا انك لفي شغل عن هذا تغال صدقت ولكني انطقني البرق ثم اضطجع فما زاد ساعة حتى دفناه . وللهولدين في البكاء للبرق مقاطيع فائقة تضمنها الباب الحادي والثلاثون من كتاب

(١) الهاء منقلبة عن همزة

(٢) اعتمدنا في هذه الايات رواية ابي هلال وهي اوضح

الزهرة لمحمد بن داود الظاهري ومن ابدع ما لهم في ذلك معنى وادقة صنعة مما لم يتضمنه كتاب الزهرة قول شاعرة الاندلس حفصة الركونية

سدوا البارق الحفاق والليل ساكن اظل باحبائي يذكركنا وهنا
لعمري لقد اهدى لقلبي خفقة وامطرني منهل عارضه الحفنا

ومثل البرق في هذا الريح الهابة من نحو ارض الحبيب ولا خصوصية في ذلك لريح الصبا وان قال به كثير من الادباء ومال اليه الجدد قدس سره في شفاء القلب الجريح وقد تضمن الباب الثلاثون من كتاب الزهرة مثالا من الحنين ارياح مختلفة المهاب باختلاف منازل الاحباب واصرح ما عرفت في الافصاح عن هذا المعنى قول ذي الرمة

اذا هبت الارياح من نحو جانب به اهل مي هاج شوقي هبوبها
هوى تذرف العينان منه وانما هوى كل نفس حيث حل حبيبها
وما اجدر الحنين لريح الصبا آتية من غير جهة الحبيب بقول ابي العلاء

سفاه لوعة النجدي لما تنسم من حيال الشام ريحا
وكيف فوق البرق وهبوب الريح بدو النيران الموقدة في ارض الحبيب لنظر المحب وهي طريقة قديمة في الشعر سار عليها امرؤ القيس في قوله

تنورتها من اذرعات واهلها ينثرب ادنى دارها نظر عالي

ومن البكاء للنار قول الاحوص

امن خليدة وهنا شبت النار ودونها من ظلام الليل استار
باتت تشب وبتنا الليل نرقبها تعنى قلوبها مرضى وابصار (١)

والبكاء لهذه المذكرات الثلاث راجع الى باب البكاء على المنازل لانه حزين الى منازل الاحباب يشبه ما يتعلق بها مما يرشد اليها من الريح والبروق وهناك مذكرات من غير هذا الباب ترجع الى ما فيها من اشارة العواطف وبعث الاشجان وليس لها من التعلق الخاص بارض الحبيب ما للمذكرات الماضية فمعناها صوت الحمام وهو اذيعها ذكرها عند العرب وقد قال فيه حميد بن ثور الهلالي وهو من البدائع

وما هاج هذا الشوق الاحمامة دعت ساق حر (٢) نزهة وترنما
مطوقة غراء تسجع ككها دنا الصيف وانحال الربيع فانجما
محلاة طوق لم تكن من تميمه ولا ضرب صواغ بكفيه درهما

(١) على حذف الصفة اي ابصار مرضى يعني من شدة البكاء
(٢) ساق حر ذكر القماري وهو من التسمية بما يحكي الصوت

تغنت على غصن عشاء فلم تدع لنائحة من نوحها متالما
 اذا حركته الريح او مال ميلة تغنت عليه مائلا ومقوما
 عجبت لها اني يكون غناؤها فصيحاً ولم تغر بمنطقها فما
 فلم ار مثلي شاقه صوت مثلها ولا عرياً شاقه صوت اعجما
 ومن اشتجار الحنين له وانبعث الشوق به نشأت عقائد خرافية دخلت في اوابد العرب وتصرفات
 خيالية طهرت في استعمالات اللغة

فقد زعموا ان صوت الحمام بكاء سببه ان فرخا كان على عهد نوح عليه السلام اسمه هديلا ضاده
 جارح من الطير فاقام الحمام يبيكه الى يوم القيامة (١) وعلى هذا المزعم قال النابغة :
 بكاء حمامة تدعو هديلا مفجعة على فنق تغني
 وقال نصيب

فقلت اتبكي ذات طوق تذكرت هديلا وقد اودى وما كان تبع
 وقال كعب الغنوي

كداعي هديل لا يجاب اذا دعي ولا هو يسلو عن دعاء هديل
 ومن هنا سموا ذلك الصوت نوحا على الاستعارة (٢)

ولم ينشأ لهم هذا الاعتقاد الا لما يتوهمه العاشقون من شمول احزانهم وكآبتهم لكل ما حولهم
 ولما كان صوت الحمام من محركات عواطفهم الكثبية افاضوا مما في نفوسهم عليه فتخللوه باكيا واغرقوا
 فجعلوا بكاء نسبا بينه وبينهم نسب الكئيب بالكئيب . وفرعوا على ذلك التعجب من بكائها بلا داع
 فقارنوه بسلوهم مع دواعي الجزع كما قال ابو فراس في الروميات

اقول وقد ناحت بقربي حمامة ايا جارتا لو تعلمين بحالي
 معاذ الهوى ما ذقت طارقة الهوى ولا خطرت منك الهوم ببال
 ايحمل محزون الفؤاد قوادم على غصن ناهي المسافة عال
 تعالي تري روحا لدي ضعيفة تردد في جسم يعذب بال
 اضحك مأسور وتبكي طليقة ويسكت محزون ويندب سال
 لقد كنت اولى منك بالدمع مقلّة ولكن دمعي في الحوادث غال

وقد ضعف عند المولدين اثر سجع الحمام نظرا لانتقال الشعر الى الحواضر التي تضعف فيها العناية

(١) انظر حياة الحيوان للدميري وادب الكتاب لابن قتيبة (باب معرفة الطير)

(٢) انظر لسان العرب

بأمثال هذه الملاحظات الطبيعية البدوية واعتاضوا عن التذكر بسجع الحمام التذكر بامر آخر يشبه سجع الحمام في تحريك السواكن وتهينج الكوامن وهو سماع الاوتار في مجالس الانس كما قال صلاح الدين الصفدي

ذكرتكم وكاسات الندامى تدور علي مثل بدور شمس
واضواء الشموع نجوم افق قضت بالانس فيه لكل نفس
واصوات المثلث والسماني علت ولها خفضنا كل حس
وقدرق النسيم وراق حتى يكاد يفوق لطفا كل لمس
وقد غنى النديم على الحميا بكاس مرأشف كالشهد لعس
فغنص كل ما انا فيه ذكرى لكم فمضى السرور وغلب انسى

وكما تفعل اسباب السرور في النفس تفعل اسباب الحزن والخوف لذلك ذاع في الشعر تذكر الحبيب في المضائق والحنين اليه في الشدائد خصوصا في ساعات الياس من الحياة واليقين بالاشراف على الموت وهو موقف يدفع الى شدة التمسك بالحياة والحرص عليها والحنين الى دواعي اللذة والانس منها - كما اسلفنا في الحديث على ليلة الفراق - واذا كانت تلك الدواعي عند المحب منحصرة في ذات جبه فلا جرم ان ذكرها الكثيرة لا تتوجه في ساعة الخطر الا اليه وروحه المعذبة لا ترفرف الا عليه فتقلب نحوه ببواعث الصبر والثبات وتخفف عنه وقع الملها كما قال ابن رشيق القبرواي

ولقد ذكرت في السفينة والردى متوقع بتلاطم الامواج
والجو يطل والرياح عواصف والليل مسود الذوائب داج
وعلى السواحل للاعادي عسكر يتوقسون لفسارة وهياج
وعلى اصحاب السفينة ضجة وانا وذكرك في الذنباج

ولعل اصل هذا المعنى الذي شاع التصرف فيه قول ابي عطاء السندي

ذكرتك والخطي يخطر بيننا وقد نهلت مني المنقفة السمر
فوالله ما ادري واني لصادق اداء عراي من خيالك لم سحر

لان ما ينسب الى عنثرة في هذا المعنى غير صحيح النسبة اليه وهذا آخر موقف من مواقف الفراق المرتوية بما اثمر عليها من مدامع العشاق ولقد ابداع ذو الرمة في حكاية ما يلزم المحب من الاتعاب وتصوير ما بين الدمع والمحبة من متين الاسباب اذ سمى الدمع ماء الهوى في قوله

ادارا بحزوى هجت لاهين عبرة فماء الهوى يرفض او يترقرق
وقال : اذا كانت الدنيا علي كما ارى تباريح من مي فلموت اروح

محمد الفاضل ابن عاشور

(يتبع)

ماضيها وتباشير مستقبلها

فمزق جلباب الدجى وفؤادها
فاضرم زندا في الجوانح واريها
يذكر ايام الصبا والليليا
الى الشرق في جنح من الليل داحيا
وما للبروق الخافقات وماليها
ولا ودمام الحب ما كنت ناسيا
لقومي ما ألقى لها الدهر ثانيا
حقائق عن ايامهم هي ما هيها
ولا هو أولاهها نساء محايها
أخفي عمود الصبح ابلج باديا
حقيقة عن عصر لهم كان زاهيا
وقد خلدوا فخرا مدى الدهر باقيا
بما احرزوا من سؤدد مكان عاليا
جري لمداها محرزين المعاليها
فقالوا على رغم العداة الامانيها
وعزم كما اشتهرت سيفا يمانيا
بها يقتدي ليل الحوادث ضاحيا
بت ان تري للضميم منها تدانيا
له ارضوا منها الذي كان غاليا
فكانوا ككبتان يفوق الرواسيا
وفكر له ثور يبدد الدراريها
ويدنو من الآمال ما كان قاصيا
فيظهر للعينين ما كان خافيا
يضيء بها ما كان من قبل داحيا
بها حمدوا مسراهم والسباعيا
غدا صيتها العالي يعم النواحيها
وان كان مشخوذ الفرارين ماضيها
فقالوا بها عيشا لعمر كراضيها
كفصن غدا بعد الفضارة ذاويها
به بلغت منا النفوس التراقيها
وترك انلاذ القلوب درابيها

جلا البرق مصقول الفرارين ماضيها
بدا في سواد الليل يقدح زنده
وفاح به من عنبر الدجن ما غدا
سمالي خفاق الجناحين يتسمي
فيا عجا اعدى فؤادي خفقه
بلى حاج لي ذكر العهد قد انقضى
يذكرني ايام مجد تصرمت
سلوا كتب التاريخ عنها لتعلموا
فما غصص التاريخ حقا لامة
وهب نكبت عن مبيع الحق ثلثة
سلوها تنبئكم بما تنجلي به الـ
فقد أنلوا مجدا يعز نظيره
لعمري لقد أربوا على كل امة
وقد سبقوا في حلبة الفخر كل من
ودانت لهم من كل امر صعبه
بحزم يريك الصعب في الحال هينا
وبذل اجتهد في الامور ودربة
الى همم تعلو السماك وأنفس
شروا عزها قدما بكل نفيسة
وجدوا له في الفة وتعاون
باقدام ليث في اناة محرب
تمخض عن شوريها يسعد الوري
بها يتجلي الحق من غيب الهوى
حدثها الى ربح النجاح معارف
بها احرزوا التبريز في حلبة العلى
وكم لهم من شيمة عبقريه
يكل يراعي ما أحاول عدها
حذا حذوها قوم وفير عديدهم
ونحن اضناها فصرنا بحالة
شرينا بها خلقا يقود الى الردى
خلايق سوء يجعل المرء ذكرها

الطراة العلمية والادبية

جمعية الزيتونيون

يحق للزيتونيين ان يعدوا هذا العام من ابرك الاعوام عليهم . حيث سهل الله لهم فيه تنفيذ عدة اغراض كانوا في اشد الاحتياج اليها . وكانوا يسعون ويجدون في التحصيل عليها . وكانت تحاول بينهم وبينها عدة عقبات . ولكنهم صبروا وثبتوا حتى حانت لهم الفرصة في هذا العام فاغتنموها . واخذوا في تنفيذ تلك الاغراض واظهار ما فطروا عليه من النشاط وحب العمل . وكان من اهم ما قاموا به اصدار هذه (المجلة الزيتونية) التي ستكون بحول الله اللسان المعبر عن ارائهم وافكارهم من الناحية العلمية والدينية . ثم وقع بعد ذلك ظهور عدة جمعيات . منها (جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم وغروعه) و(جمعية الزيتونيين) و(جمعية الرابطة الزيتونية) و(جمعية الشبيبة الزيتونية) ويضيق بنا النطاق اذا اردنا ان نتحدث الآن عن جميعها لذلك سنكتفي بالحديث عن جمعية الزيتونيين ونرجى الحديث عن بقيتها الى فرصة اخرى .

تأسست (جمعية الزيتونيين) لغرض شريف افصح عنه الفصل الثاني من قانونها الاساسي وهو : (العمل لتوطيد الروابط العلمية والادبية بين جميع اعضائها بالنشريات والمسامرات وانشاء المكتبات . وتركب مجلسها الاداري من بعض مدرسي الجامع وقدماء متخرجيه . وهم المشايخ السادة : محمد المؤدب الحاكم بمجلس الوزارة (رئيس) العربي الكابادي (نائبه) الشاذلي النيفر المدرس بجامع الزيتونة (كاتب) محمد الصالح الحامي المعلم بادارة المعارف (نائبه) البشير بن يوسف المتطوع بجامع الزيتونة (امين مال) محمد بن الشاذلي العنابي (حافظ المكتبة) الحاج علي بن الخوجه مدرس بجامع الزيتونة الخطاط بوشناق مثله علي بن مراد مثله بلحسن بن شعبان مدرس بمدرسة ترشيح المعلمين الصادق الجزيري نائب وكيل الدولة بمحكمة الوزارة محمد ماضور كاتب بجمعية الاوقاف (اعضاء) . والجمعية تعمل في هاته الايام مجتهدة لتحقيق الاغراض التي انشئت لاجلها وقد بلغنا انها ستبدأ

تجدد من ربيع الفاخر عافيا
قطفت من الامال غضا ودائيا
من المجد قد تعلوا النجوم العواليا
من العز والفخر المخلد صافيا
على امة اودت ولم تبقي باقيا
لمجدكم خفا وقد كان عاليا
وجدوا فيا خسران من كان وائيا
وكونوا كبنيان يرد العوادي
وتجنوا من السعي الجميل الامانيا

علي النيفر

بلى قد ارى فينا تماشير نهضة
فان تدأبوا سعيًا وراء نموها
وشدتم بها للخالفين معاقلا
واوردتموهم غير رنق مصرد
وان تكن الاخرى فجودوا بأدمع
أعذككم يا معشر العرب ان يرى
ردوا مورد العرفان تشروا حياتكم
وسيروا لمنهاج الهدى وتعاونوا
تتالوا به فخرا وتحيا اعزة

اعمالها بتنظيم مسامرات علمية وادبية . وستكون باكورة اعمالها المسامرة الكبرى التي يتنهاى لاقائها العلامة الكبير الشيخ محمد البشير النيفر في موضوع لم تعلن الجمعية عنه الى الآن . ونحن نؤمل لهذه الجمعية نجاحا مطردا . وتوفيقا من الله يمكنها من القيام باعباء المسئولية التي تحملتها وان يكون شعارها العمل الصالح لما يعلي شأن العلم والادب بهاته الديار .

أقبال المجلة الزيتونية للشيخ عبد الحميد بن باديس

حل بتونس في اوائل شهر شوال المنصرم حضرة العالم العامل الفاضل الشيخ عبد الحميد ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر . ومنشئ مجلة الشهاب الغراء . فاقبل بما يليق به من التعظيم والتبجيل . لاسيما من علماء جامع الزيتونة الذين لهم به اتصال متين . وارتباط تكون من عهد مباشرة الشيخ بن باديس للتعليم والتعلم بجامع الزيتونة . وناهيك بروابط كونها حلق الدروس في جامعنا المعمور . تلك الروابط التي لا يزيد بها مرور الايام الا قوة واحكاما

وقد اقيمت له عدة احتفالات من طرف عدة هيئات علمية وادبية . واغتمتها الشيخ فرصة لعبور عن حنينه لجامع الزيتونة واشتياقه للبلاد التونسية . وتصريحه في كل تلك المواطن بان منبع السعادة والهداية في هذا الشمال الافريقي هو جامع الزيتونة عمره الله . وانه المنبع الفياض الذي تصدر عنه كل حركة علمية او اصلاحية . حيث يتخرج منه رجال اتقنوا علوم الدين والدنيا . وساروا في اعمالهم على منهاج الشريعة الاسلامية . التي لا يمكن ان تنجح في اي عمل تقوم به الا اذا سرننا على ضوئها . ذلك المنهاج الذي لا يمكن ان يقود هذه الامة او يترعها الا من حافظ عليه . وسار في سبيله . وكل من انحرف عنه قيد شبر وجب ان ينبذ المسلمون بالعرء . وان لا يتركوا له حق التصرف في اي شأن من شؤونهم ولو كان حقيرا . ومما يزيد في قيمة هاته التصريحات انه جاهر بها بعد ما اختبر الناس وشاهد ما ينطوي عليه الكثير ممن يتزعمون الحركات العامة وليس لهم رسوخ في الدين من التلاعب والعبث وبيع الذمم بابخس الاثمان .

وقد اغتمت هيئة المجلة الزيتونية فرصة قدوم الشيخ لتونس . فارادت - تنفيذا لما اسست له من تقوية او اصر المودة بين اقطار الشمال الافريقي - ان تحتفل بالقطر الجزائري الشقيق في شخص الشيخ . فاقامت له حفلة تكريم بادارة المجلة عشية يوم الاحد ١٣ شوال حضرها بعض اعيان علماء الزيتونة . ثم اقامت له بمشاركة جمعية الزيتونيين من الغد عشاء في اكبر مطعم من مطاعم الحاضرة . ووقع في اثناء ذلك الخوض في عدة مواضيع تحوم حول تقوية الروابط العلمية بين الجزائر وتونس . والاكار من تبادل الزيارات بين هذين القطرين الشقيقين وغيرهما من بقية اقطار الشمال الافريقي (المغرب وطرابلس) كما وقع التحدث عن مناهج الاصلاح الديني وواجب العلماء نجوة . والفوارق الموجودة بين الجزائر وتونس في ميدان هذا الاصلاح . مع التنبيه الى ان واجب العلماء هو الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة . حتى لا تعود تلك الحركة على موضوعها بالنقض . ويفضي التشدد في السنة الى اهمال الفرض . وفي يوم الثلاثاء ١٥ شوال رجع الشيخ الى الجزائر صاحبه السلامة . في الظعن والاقامة اه

تبايع المجلة في الاماكن التالية

- السيد حمدان الشريف بسوسه
 » محمد الصالح البكوش بباجه
 » محمد العربي بالمكنين
 » محمد زهرة بالمنستير
 » ابوبكر بن محمد الصانع بقصر هلال
 » الصادق بوزيان بالقيروان
 » سعد بن بلقاسم الصحراوي ببسبيلة
 » علي بسباس بسوق الجمعة رقم ١٢ بصفاقس
 » قدرى قعيب بقفصة
 » المكتبة الاسلامية بتوزر
 » عمر اسكندر بنقطة
 » شرف الدين الدقاشي بدقاش
 » محمد بن علي امنجه بقابس
 » حمزة شورو بميدون جربه

- اسماء متعهدي بيع المجلة بالقطر الجزائري
 السيد محمود نسيم بشارع لالير رقم ٤٢ بالجزاير
 » محمود باش طبجي بساحة شارتر بالجزائر
 مكتبة النجاج بقسنطينة
 » قندوز بنهج جنجراس بسطيف
 » الاخضر بن مبارك ببسكرة
 » بن داود بساحة دي قرقولات بعنابة
 » محمد الهادي جلال بتبسة
 مكتبة السيد مصطفى باغلي بنهج بكاك ٢ بتلمسان

- اماكن بيع المجلة بالحاضرة
 المكتبة العلمية سوق الكتبية رقم ١٢
 مكتبة الاستقامة نهج سيدي ابن عروس
 رقم ٣٤
 المكتبة العتيقة سوق الصوف رقم ١٣
 مكتبة الامان سوق السرايرية رقم ٢٢
 المكتبة الزيتونية سوق السرايرية
 مكتبة الرجاء سوق الكتبية رقم ٢
 المكتبة العربية الكبرى سوق السرايرية
 مكتبة السعادة نهج الكتبية رقم ٤
 دكان السيد محمد بن عمر جوار ادارة الاوقاف
 رقم ٧٢
 البشير وبلقاسم بن عماره سوق السرايرية
 رقم ٣٠

- اسماء متعهدي بيع المجلة في بلدان المملكة
 السيد الحبيب الذواوي بنزرت بنهج احمد باي
 » احمد المراتب متعهد بيع المجلات بنزرت
 » عمر بن يدر بقريفيل
 » علي المزي بماطر
 » احمد بن الحاج عبد الرحمن العجالي بقلبييه
 » عبد القادر قروبج بنابل
 » حمودة الذكواني بمنزل جميل

المجلة الزيتونية

مجلة علمية اوبية اخلاقية

نشرها الهيئة من بربرسي جامع الزيتونة بالعمور

الجزء السادس | تونس في ذي الحجة عام ١٣٥٥ وفي فيفري عام ١٩٣٧ | المجلد الاول

شهرية وستة عشر اشهر

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد ادبي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القايني

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع
حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

ذكرى ابن رشيق القيرواني

اعتزمت الرابطة الادبية بتونس احياء ذكرى الشاعر الحسن ابن رشيق بمناسبة مضي تسعمائة سنة على وفاته وستقيم لذلك مهرجانا ادبيا عظيما يدوم اسبوعا كاملا ويكون محل افتتاح المهرجانات بجامع الصحابي عقبة بن نافع بمدينة القيروان عاصمة الاغالبية وذلك يوم المولد النبوي ١٣٥٦ وبقية الاسبوع بقصر الجمعيات بالعاصمة فالى سائر ادباء وشعراء العالم العربي وانصار العروبة توجه الرابطة الادبية ندائها للمشاركة في هذه الذكرى اما بالحضور او بارسال ما تجود به قرائهم والمراسلات تكون باسم مدير الرابطة الادبية مصطفى مذهب الجد - نهج الذهب عدد ٥ بتونس -

اصلاح آية

وقع في المقال الافتتاحي من العدد الماضي بصفحة ٢١٧ سطر ١١ سهو في الآية المستشهد بها وصوابها هكذا (يا ايها الناس اما خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل) الآية

المجلة الزيتونية

مجلة علمية اوبية اخلاقية

نشرها الهيئة من مبرر كبرى جامع الزيتونة بالعمور

الجزء السادس تونس في ذي الحجة عام ١٣٥٥ وفي فيفري عام ١٩٣٧ المجلد الاول

شهرية وستنتها عشرة اشهر

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد عبد الوكيل بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

صاحب المجلة :

يحيى الشاذلي بن القايني

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع
حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

على هامش الاحتفال بذكرى الشيخ رشيد رضا
اهتمام تونس بكل ما يقع في الشرق وجهل الشرق بكل ما يقع في تونس
وجوب اهتمام التونسيين بشأن عظمائهم
بعض مآخذ على الشيخ رشيد رضا لا بد من تسجيلها

بقلم رئيس التحرير

في اوائل شهر ذي القعدة المنصرم وقع بحاضرة تونس احتفال كبير لتأبين العلامة الجليل الشيخ رشيد رضا رحمه الله . بمناسبة مرور عام على وفاته - سيشاهد القراء تفاصيله في غير هذا المكان - وقد كان احتفالا بهيجا هرع اليه الناس على اختلاف الطبقات . وتكلم فيه الخطباء على اختلاف المقاصد والنزعات .

وقد كان لهذا الاحتفال من امله وللصورة التي وقع عليها تأثير كبير على من يقدرون ما لارتباط الشرق ببعضه من الفوائد الجليلة . والمنافع السامية لاسيما اذا قارنا بين ما تسعى اليه الدول الغربية من الاتصال وتمتين الروابط رغما عما هي عليه من القوة والمنعة . وبين ما عليه الشرقيون من الانفصال وتشتت الكلمة وانحلال اواصر المودة والاخاء . رغما عما عليه الشرق من الضعف والهزال واجتهاده في الاخذ بأسباب الانقراض والاضمحلال فكان تأثير هذه الحفلة في ذاتها ابلغ من تأثيرها في موضوعها - رغما عن شرف موضوعها - لانها تدل على ان الشرق قد دخل في طور جديد من حياته . وهو طور (الاحساس المشترك) الذي دعا اليه رجال الاصلاح الاسلامي من منذ زمن طويل . والذي لا يمكن للشرق ان يبعث من جديد الا بعد نمو هذا الاحساس فيه وتحقيقه في كافة شعوبه وهنا يحق لتونس ان تفتخر بانها اشد الامم الشرقية حبا في الرابطة الشرقية . وعملا لتحقيقها وسعيًا لتنفيذها . فما من حادثة تقع في المشرق وما من مصاب يناله وما من مسرات تدخل عليه الا وتجدها من الصدى والاهتمام في تونس ما لا تجد في كثير من الاخيان بالنسبة لحوادثها الخاصة . وكوارثها الهامة .

وللتونسيين من الاخلاص في حب الشرق - والتهافت على استطلاع اخباره - والتعقيب على آثاره الشيء العجيب حتى انك تجد من عموم الاوساط التونسية معرفة تفصيلية عن احوال الشرق بما يقنعك بهذا الاهتمام .

فالتونسي يعرف عن الحجاز وعن الشام وعن العراق وعن مصر وعن ايران وعن الافغان وعن بقية ممالك الشرق تفاصيل تدهشك بدقتها واحاطتها . فهو لا يعرف الحوادث فقط بل يعرف الرجال باعيانهم . والبلدان باوصافها . بما يخيل اليك انه قد رحل اليها واجتمع برجالها . مع أنه لم يرحل ولم يجتمع وانما جذوة الرابطة الشرقية المتأججة في حناياها تدفعه الى البحث والاستطلاع . حتى يصير كأنه من سكان تلك البقاع .

اما معرفته بالبلدان التي تشملها منطقة (الشمال الافريقي) وهي طرابلس الغرب والجزائر والمغرب الأقصى . فهي معرفة الانسان بمغناه ودار سكناه .

فاحتفال تونس بذكرى عظيم من عظماء الشرق ليس حديث عهد فيها . فقد احتفلت تونس بتأين شاعري مصر الخالدين حافظ ابراهيم واحمد شوقي كما احتفلت من قبل بتأين المويلحي وجبران . وبغيرهما .

وما بالعهد من قدم فمنذا شهر قربة عندما حلت النكبة الكبرى بفلسطين قام التونسيون قومة رجل واحد . ولم يقتصروا على المشاركة في التألم والتوجع بل شاركوا مشاركة مادية فجمعوا من الاعانات ما تسعه طاقهم ووجوهها لاخوانهم بفلسطين . ولا نذكر هذا بقصد المن لاننا نعد هذا العمل واجبا ولا يقع المن بالشي الواجب . وانما نذكره تسجيلا لبدء (الاحساس المشترك) الموجود بتونس .

واذا كان هناك ما ينتقد على تونس في هذه الناحية . فهو عدم وجود مثل هذا الاحساس في ابنائها بالنسبة لعظمائهم وأفذاذهم . فهم - والحق يقال - مفرطون تفريطا مزريا . في حقوق كبرائهم وقادة الرأي فيهم . ومن يحق ان يلتخر بهم . ويتأه بفضلهم وما ذلك عن قلة أمثال هؤلاء الناس عندنا . وانما التهاون وعدم تقدير الانسان لقريبه . والاستكفاف عن الاقرار بفضله . هو الذي صير التونسيين لا يشغلون بالتبويه بمن يستحق التبويه من ابناء البلاد . فكأن تلك الحكمة البليغة التي تقول (أرهد الناس في الرجل الصالح أهله وعشيرته) والتي بمعناها ذلك المثل المشهور وهو قولهم (ما ستاد نبي في قومه قط) ليس لها موضع تطبق عليه تمام الانطباق مثل البلاد التونسية

فترى التونسي يكبر غيره . ويعلي شأنه . ويكيل له اوصاف المدح والتعظيم بالجزاف . فاذا اراد ان يثنى على تونسي من ابناء جلدته يستعصي عليه لسانه . ويحمد بناييه . ويحذف في بيانها مزاياه مهما بلغت منزلته وارتفع شأنه .

ويحسن هنا ان نقص على القراء الاذكياء مقارنة بين أمرين وقعا منذ عهد قريب ، وترك الحكم بينهما لاختصاصهم الشريفة لعلمهم يتحاشون في المستقبل وقوع مثل هذا التفريط الفاحش .

توفي شاعر الكنانة المرحوم احمد شوقي في يوم ١٤ جمادى الثانية عام ١٣٥١ . وتوفي العالم التونسي الحليل الشيخ عثمان بن الخوجة المدرس بجامع الزيتونة في يوم ٢٥ جمادى الثانية عام ١٣٥٢ . وأقيمت لكل واحد منهما حفلة تابين في مكان واحد وهو مقر الجمعية الخلدونية ، (١) فكيف وقعت هاتان الحفلتان ؟ . اما حفلة احمد شوقي فقد بلغت من الضخامة والابهة الى اقصى حد وشارك فيها عدد وافر من الخطباء والشعراء . فتباروا فيها وأتى كل واحد منهم بابلغ ما يقدر عليه واخذت الحفلة صبغة رسمية . وشارك فيها رجال الدولة وأرسل من تعذر عليه الحضور منهم نائبا عنه .

واما حفلة الشيخ عثمان بن الخوجة فقد كانت متواضعة تواضعا مخجلا . فلم يحضر بها أحد من الكبراء ولا من العلماء . ولم يتكلم فيها أحد الا كاتب هذه المقالة حيث ألقى خطابا نوهت فيه بشأن الشيخ وما ميزه الله به من الكمالات وما أتاه من البسطة في العلم والعقل . وكان عددا الحاضرين في بداية الاجتماع خمسة . وانتهى الاجتماع ولم يتجاوز العشرة

هذا موقف تونس نحو الشرق . فهل للشرق نحو تونس مثل هذه العاطفة ؟ وهل لمثل هذا الاعتناء ؟ وهل يعرف عن احوال تونس ورجالها مثل ما تعرفه تونس عنه ؟

نستطيع ان نجيب بالسلب عن ذلك كله . ولك ان تحدث من شئت من الشرقيين عن تونس ولك ان تفتح ما شئت من كتب الشرقيين وجرائدهم ومجلاتهم . فلن تجد من يعرف عن تونس لا قليلا ولا كثيرا . ولا تجد فيها تعرضا لتونس واخبارها وشؤونها . ولا تحدثا عما يجري فيها . واذا فرضنا انك تضرع على حديث عن تونس فانك تجده مملوءا بالاغلاط والحقائق المقلوبة . التي لا تخلو عن جهل او سوء نية .

فمنحلة تضع صورة الجامع الكبير بالقيروان وتكتب تحتها انه من جوامع المغرب الاقصى . وكاتب يضع في كتابه احصائية عن عدد التونسيين فيقول ان عددهم خمسة ملايين وهم لم يبلغوا حتى في الاحصائية الاخيرة الى مليونين ونصف . وكاتب آخر يتعرض لجغرافية تونس فيسمى البلدان باسمائها الافرنجية فيسمى بنزرت (بنزرت) ويسمى صفاقس (سفاكس) وكاتب آخر يكتب عن

(١) وقعت حفلة التابين لتتوفي بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاته . في يوم الجمعة ٢٦ رجب سنة ١٣٥١ وفي ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٣٢ . وقعت حفلة التابين للشيخ عثمان بن الخوجة بمناسبة مرور عام على وفاته في يوم الجمعة ١٠ شعبان سنة ١٣٥٢ وفي ١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٤ .

اللغة العربية والادب في تونس فيقول إن اللغة العربية لا أثر لها في تونس. والتونسيون يكتبون بلغة عامية بربرية. ويقيم الدليل على جهله وسوء نيته بنقله لبعض فقرات من رسائل تجارية موجهة من تاجر لشريكه مثلاً كلاهما عامي مطبق. فيجعل ذلك هو المثل الأعلى للإنشاء التونسي. ثم يحكم بانحطاطه وسخافته. وهو في الحقيقة دليل على انحطاط المستدل به وعلى سخافته. والأفنى لكل بلاد يوجد الجهال الذين يشبهون الأميين وكتابتهم لا بد أن تكون كجملتهم. فكيف تجعل دليلاً على حالة عموم الأمة. على أن مصر رغماً عما هي عليه من التقدم والنهضة العلمية والأدبية فكثير من مجلاتها وجرائدها تصدر بإنشاء ساقط مبتذل بل منها ما تحرر فيها المقالات باللغة العامية فلم يصح أن يكون ذلك دليلاً على سقوط الإنشاء العربي في مصر؟ كلا. وإنما هو الطيش ونزق الرأي يدعم صاحبه بهرف بما لا يعرف. ويقول ما لا يعقل.

ولا يمكن لأخواننا الشرقيين أن يعترضوا علينا بأننا لم نظهر أنفسنا لهم. ولم نعلمهم على ما عندنا من الآثار. وعلى ما نحن عليه من القيمة العلمية والأدبية. وذلك لأنهم هم المطالبون بالبحث والتعرف عنا. كما بحثنا عنهم وتعرفنا أحوالهم. اذ لو تعلق غرضهم بذلك لسمعوا في تكوين مكاتيب لهم من تونس. وسمعوا في الإطلاع على ما ينشر عندنا من الجرائد الراقية والمجلات العلمية وسمعوا في الإطلاع على التأليف التونسية التي هي وإن كانت قليلة لكنها تكسب المطالع فكرة عامة عن البلاد التونسية وما لها من القيمة. وما لعلها من الآثار.

وإذا كان هذا الإهمال وهذا التغافل يمكن أن يعذر فيهما بعض الشرقيين بصفة عامة فإني لا أجد عذراً يبررهما بالنسبة لبعض الحذاق من الأدباء المشهود لهم بقرارة العلم وسعة الإطلاع مثل الشيخ أحمد الزيات فإن هذا الكاتب العظيم لما ألف كتابه (تاريخ الأدب العربي) تعرض للأدب في مختلف أطواره وبلدانه ثم انتقل من المشرق إلى أقصى المغرب مرراً فوق سماء البلاد التونسية إلى بلاد الأندلس. من غير أن يقف ولو قليلاً بوادها. ويتغلغل في مجامعها ونواديها. مع أن الأندلس في أيام ازدهارها كانت بينها وبين البلاد التونسية وجوه شبه كثيرة. وعلاقات علمية متعددة. ورحلات وزيارات متبادلة بين علماء القطرين. فإذا أمكن لمثل الأستاذ الزيات أن يتغافل عن التعرض للأدب التونسي في عصرنا الحاضر. فلا أقل من أن يجعل من مشمولات العنوان العام الذي اختاره لكتابه فقرات تشير إلى حالة الأدب بتونس في الزمان الغابر.

على أنه ذكر في ترجمة الشيخ حمزة فتح الله. (صفحة ٤٥١) وترجمة أحمد فارس الشدياق (صفحة ٤٦٢) أنهما أقاما بتونس مدة طويلة وأنهما شاركا في تحرير الرائد التونسي. وذلك من شأنه أن يدعو

للتعرض لشيء من تاريخ هذه البلاد التي أنشئت فيها جريدة كبرى في بداية النهضة الشرقية الحديثة وقام باعنائها أعيان من الكتاب والادباء التونسيين وشاركهم فيها العلماـن المذكوران على جلالة قدرهما فبلاد هاته صفتها لا يمكن بحال لاديب فاضل متعقل ان لا يتعرض لها بالمرـة مع ان لها من العلماء والادباء والتوارينـخ والدواوين الشعرية ما يوجب على كل مؤرخ عام ان يتعرض لذكرها . واذاعة عبق نشرها .

على ان الاستاذ الزيات عندما يقدم كتابه في خطبته يقدمه (لشباب العربية في العراق ومصر والشام) ولا يضم اليها البلاد التونسية حتى على سبيل المجاملة

على أني لما وجدته وضع اعتذارا في آخر كتابه المذكور قلت انه سيعتذر بضيق الوقت وضيق طابق الكتاب عن التعرض لتاريخ الادب بتونس . والتحدث عن مشاهير الرجال التونسيين . فلما قرأته تبين لي أنه يعتذر عن عدم التعرض لرجال من أشهر مشاهير الشرق تغني شهرتهم عن التعريف بهم كالأفغاني والنازجي والمفلوطي . ثم يعتذر عن عدم التعرض لرجال من أشهر مشاهير الغرب شاع ذكرهم في جميع الاقطار مثل دي ساسي - وادوارد قلازير - وقلازهير - وجويدي - ولم يعتذر بحال عن عدم تعرضه لتونس وعن عدم تعرضه لرجالها مثل الشيخ محمود قابادو - والشيخ احمد بن ابي الضياف - والشيخ سالم بوحاجب وأضرابهم من مشاهير التونسيين . الذين إن كان لا يعرفهم فذلك نقص كبير في دائرة اطلاعه . وان كان يعوفهم وأهمـل التعرض لهم ثم الاعتذار عنه فذلك تحلل بالشروع الكبير الذي قام باضـطـلاعه .

ومثل ما يقال عن مصر يقال عن الشام وبقية المعالك الشرقية ومنذ ايام قرية كتب الينا احد اصـدقائنا الزيتونيين المقيمين بالشام كتابا مطولا في التنويه بهذه المجلة الزيتونية . وبالدور الذي ستقوم به ان شاء الله من الدفاع عن سمعة تونس بالشرق . ونشر ذكرها بين اقطاره . ومن مجلة ما ذكره لنا في معرض التنديد على جهل الشرق بالبلاد التونسية : انه دخل الشام فوجد سكانها من العلماء والمفكرين لا يعرفون شيئا عن تونس ولا عن كليتها العلمية الكبرى وهي (جامع الزيتونة) الذي لا يضاهيه في شكله وموضوعه وآثاره في خدمة الدين واللغة العربية الا الجامع الازهر بمصر .

فهذا وما قبله انموذج نعرضه على اخواننا بالشرق ليكون باعنا لنفوسهم العالية على معرفة تونس والتطلع الى ما فيها من المفاخر والمآثر والنهضة الكبرى التي ترمي الى احياء ما فيها من مجد دائر . مع استئـثـله العدد القليل من الشرقيين الذين لهم من الاعـتـاء هذه البلاد وبقية البلدان الشرقية ما يستحقون عليه وافر الشكر .

القرآن الكريم

شرف الكعبة *

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ
فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا » سورة آل عمران

الغرض من هذه الآية بيان شرف الكعبة لوقوع هذه الآية عقب قوله تعالى « قل صدق الله فاتبعوا
ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » وقبل قوله والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
فعلينا اننا مسوقة مساق الدليل لما قبلها لان شان الدليل ان يقع عقب المطلوب ومساق المقدمة لما بعدها
وكلاهما موزن بالتعليل والعلة أوضح دلالة من المعلول فكان ذلك موزنا بتقرر شرف الكعبة وكل من
الدليل والمقدمة طريقتان في صناعة الخطابة لاثبات مقصود الخطيب . والاستدلال يكون بطريق

والنتيجة التي تفضي اليها هذه المقارنة الوحيدة هي ان تونس قد بزت الشرق من هذه الناحية .
وقامت بواجبها نحو العمل لتنمية الرابطة الشرقية واعتقد انه لو عينت جائزة لمن يجيب عن : اي
البلدان اكثر عملا في تقوية الرابطة الشرقية ؟ لاحرز عليها من يجيب بانها البلاد التونسية . وسواء
أقر الشرق بهذه المزية لتونس ام جحدتها فتونس لا تزال سائرة على هذا المنوال : لا يبطرها الاقرار
ولا يصدها الجحود عن البلوغ الى اقصى درجات الكمال . وقديما قال الشاعر .

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

محمد المختار بن محمود

وستحدث في مقال العدد الآتي عن بقية ما اشرنا

اليه في عنوان هذا الفصل

* آثرنا نشر هذا الدرس من دروس التفسير على بقية المقدمات لمناسبة شهر الحج وسنوالي في
الاعداد المقبلة نشر باقي مقدمات التفسير ان شاء الله

التذيل والمقدمة بطريق التصدير والتقديم فالجمع في موقع هذه الآية بين الطريقين من بلاغة القرآن واعجازه الذي لم أر من نبه عليه، وتصدير الآية بحرف التأكيد من دون تقدم انكار منكر ولا تردد متردد تأكيد مقصود منه الاهتمام بالخبر ومن شأن إن إذا جاءت لمجرد الاهتمام ان تغني غناء فاء العطف وتفيد من التعليل والربط شيئا عجيبا فيكون الكلام بها مستأنفا غير مستأنف مقطوعا موصولا معا كما فعله الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز ومثله بقول بشار بن برد

بكرًا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير

وذكر قصة خلف الأحمر وإبي عمرو بن العلاء مع بشار في شأن هذا البيت (١) وإيقاع إن في أول هذه الآية ادخل في الاعجاز بحيث نجد وقوعها متعينا في بلوغ الكلام حد الاعجاز لأنها مفيدة لتعليل ما قبلها اذ هي بمنزلة فاء التفريع كما تقدم وهي ايضا مفيدة مفاد أداة الاستفتاح لما فيها من معنى الاهتمام الذي يناسب صدر الكلام ولذلك قال الشيخ عبد القاهر فترى الكلام معها مستأنفا غير مستأنف مقطوعا موصولا معا ولو وقعت الفاء في أول الآية لما صلحت إلا لتكون تفريعا عما قبلها فتفيد التعليل ولا تفيد الاهتمام ولا تصلح الجملة حيث لا تكون مقدمة لما بعدها. هذا وجه افادة الآية شرف الكعبة على وجه الاجمال وسنحيثك بتفصيله من بعد بيان معنى الآية، قوله تعالى «إن أول بيت» الاول اسم يدل على السابق في حال من الاحوال فاذا أطلق فهو الاول المطلق وذلك كما في اسمه تعالى الاول واذا أضيف الى اسم جنس ظاهر او مقدر فهو الاول في ذلك الجنس كقوله تعالى من أول يوم وقول الفرزدق: «ومهلل الشعراء ذاك الاول» اي أول الشعراء وقد يطلق الاول ويراد به السابق في الفضل والكمال في احوال ما اضيف اليه كقوله صلى الله عليه وسلم «نحن الاولون السابقون يوم القيامة بيد أنهم اوتوا الكتاب من قبلنا» والاولية عند العرب من شعار التفضيل فيما يتنافس فيه المتنافسون كما قال حسان في رثاء ابي بكر الصديق «وأول الناس حقا صدق الرسلا» ومن ذلك إطلاق العتيق عندهم على الشريف اذ العتيق عندهم في الحقيقة هو القديم والقديم شيء اول وقد فسر به قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق (والبيت) محتجر من الارض بحجارة او نسيج من ثياب الشعر يتخذ للايواء والسكنى فان كان من آدم فهو القبة وقد يطلق البيت على المسجد بتقدير انه بيت الله أو بيت الصلاة قال تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وقال حكاية عن إبراهيم عليه السلام ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم وسموا المسجد الاقصى بيت المقدس ومعنى «وضع للناس» أقيم واتخذ واصل الوضع في كلام العرب ضد الرفع يقولون وضعت لك الشيء

في محل كذا اي قربته لك وهياته ثم استعمل بمعنى مطلق الجعل والاقامة « والناس » اسم جمع لطائفة من البشر لا واحد له من لفظه في كلام العرب فاذا دخل عليه حرف التعريف دل غالبا على الاستغراق الحقيقي نحو قل اعوذ برب الناس ويكون التعريف فيه للعهد ايضا نحو قول الخطيب ايها الناس يعني سامعيه وقوله تعالى إن الناس قد جمعوا لكم يعني قريشا . وقوله تعالى « للذي ببكة » جاء بالموصولية دون أن يقول الكعبة الذي هو علم البيت الحرام لزيادة الايضاح اذ قد اتخذت الحبش الكعبة اليمانية في صنعاء فحجبت اليها خنعم وبعض قبائل العرب « وبكة » اسم البلد الذي به الكعبة وهو مكة فهو بالباء وبالميم في اوله وقد ورد الاستعمالان معا في القرآن قال تعالى ببطن مكة والعرب يدلون الباء ميماء وعكسه إبدال لا غير قياسي ولا سيما ما زن يقولون يا اسمك اي ما اسمك وقد نبه على هذا الإبدال ابو علي القالي في اماليه (١) كقولهم لازب ولازم وقولهم أربد وأرمد وفي سماع ابن القاسم من العتبة ان ما لكما رحمه الله تعالى قال بكة بالباء اسم موضع الكعبة وبالميم اسم بقية البلاد . وقد اقتضت الآية ان الكعبة أول بيت وضع للناس وظاهر هذا التركيب انها أول بيت بني للبشر وقد تناولت افهام المفسرين هذه الآية بتفاسير مختلفة ونحن نشير الى مجمل اقوالهم ثم تتبعها بما نختاره في تفسيرها

حمل قتادة ومجاهد والسدي وقليل من المفسرين الآية على ظاهرها بجعل الاولية حقيقية والناس على عمومهم فأما مجاهد وغيره فقد أحسوا بأن في بنى آدم مباني سابقة الكعبة فقالوا إن أول من بنى الكعبة آدم وكانت تسمى الضراح بضم الضاد المعجمة وانه رفع الى السماء في وقت الطوفان فصارت الملائكة تطوف به وتسكنه في السماء ثم بنى إبراهيم الكعبة في موضعه ولهم في ذلك احاديث وقصص قال الشيخ ابن عطية في تفسيره وقد رويت في ذلك اقاصيص ضعيفة الاسناد تركت ذكرها وقال الفخر أنكر ذلك الباقلاني وعلى هذه القصة بنى المعري قوله

وقد بلغ الضراح وساكنيه ثناك وزار من سكن الضريحا

واما السدي فقال كانت الكعبة أول بناء في الارض ولم يلتفت الى ما كان قبل ذلك من البنيان وهذا القول غير مستقيم فقد كانت قبل إبراهيم مبان كثيرة منها صرح بابل بني بعد الطوفان ومنها بيت الاصنام في بلد الكلدان وهو البيت الذي دخله ابراهيم وكسر الاصنام التي فيه كما اشار اليه القرآن وورد بيانه في الحديث الصحيح وروي عن علي رضي الله عنه انه سئل عن هذه الآية أكانت الكعبة أول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا وهدي للعالمين ومن دخله كان آمنا فجعل الاولية المقصودة هي المقيدة بالحالين مباركا وهدي وانا أستبعد صحة هذه الرواية عنه اذ هو

(١) انظر صفحة ٥٢ جزء ٢ من امالي القالي طبع دار الكتب المصرية

عربي بليغ وهذه الاحوال غير صالحة لتقييد الاولية اذ ليست هي اجوالامن المضاف اليه . وفي رواية عنه انه أول بيت وضع لعبادة الله وهذا أحسن . ومن المفسرين من جعل الاول هنا بمعنى الشرف أي كقولهم البيت العتيق ومنهم من حمل الناس على خصوص العرب . وعن مجاهد ما يقتضي جعله أول بالنسبة إلى خصوص بيت المقدس وهذه الأقوال راجعة إلى التأويل أما بتأويل لفظ أول أو بتأويل معنى البيت أو بتأويل معنى الوضع أو بتأويل المراد بالناس أو بتأويل نظم الآية ولا حاجة بنا إلا استيعابها استدلالاً ورداً إذ ليس ذلك من غرضنا .

والذي أراه وأحجز به في معنى الآية أن القرآن كتاب شريعة وهدي وليس من أغراضه تاريخ المباني ولا تاريخ أطوار مساكن البشر . وإن الآية مسوقة كما بيناه انفا للاستدلال على وجوب اتباع ملة إبراهيم معنيها بالاسلام ووجوب الحج فتعين أن يكون المراد من الاول الاول في نوعه وباليوت بيوت العبادة الحققة والهدى إلى الحق وذلك أن الله تعالى بعث الرسل قبل إبراهيم فدعوا إلى عبادة الله وتوحيدته وكانت الامم في ضلالتهم إذا اشركوا بالله أقاموا المعبوداتهم ولشركائهم تماثيل وهياكل كما فعل قوم نوح وقوم إبراهيم الكلدانيون وقامت الرسل تدعو إلى التوحيد بالقول ولكنهم لم يؤمن أحد منهم بأن يقيم هيكلًا ينادي فيه لعبادة الله وتوحيدته ويتأغي بذلك تماثيل المشركين ويردد ذلك على مسامع الناس فلما بعث الله إبراهيم أمره باقامة هيكل لعبادة الرب الحق الواحد ليدافع بذلك تظاهر المشركين قال تعالى : واذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن في الناس بالحج . فكان بناء الكعبة رمزاً للتوحيد ولذلك قال أن لا تشرك بي شيئاً ثم قال وأذن في الناس بالحج أي بالحج لله فاتخذ إبراهيم الكعبة ودعا الناس إلى الحج لعبادة الله خالصاً واقام ولده فيها داعياً بعده وجعل من ذريته سداة لذلك البيت وأوصاهم بكلمة التوحيد وبها قال تعالى وأوصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وאתم مسلمون . وقال وجعلها باقية في عقبه لعلهم يرجعون . وبهذا المعنى يظهر وجه وصف البيت بأنه هدى للعالمين كما سيأتي فالكعبة أول بيت توحيد وضع للناس أي البشر لأن رافع مغابد التوحداية هو إبراهيم عليه السلام والكعبة أول مسجد وضعه إبراهيم ففي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قلت ثم قال المسجد الأقصى قلت كم كان بينهما قال أربعون سنة اهـ ولا شك أن مراد رسول الله بالمسجد الأقصى المسجد الذي بناه إبراهيم هنالك لا المسجد المعروف الذي بناه سليمان بن داود ويكون مسجد سليمان مبنياً على موضع مسجد إبراهيم فيندفع الاشكال عن الحديث إذ قد ثبت في التوراة أن إبراهيم بنى مذابح أي مساجد في كثير من البلاد

التي مر عليها وحقيق من بينها بذلك البلد الذي أراه الله ووعدة أنه يعطيه ذريته بني إسرائيل وإذا قد كان إسماعيل بكر أولاد إبراهيم كان الوعد باعطاء ذريته بلاد العرب سابقا على الوعد باعطاء بني إسرائيل بلاد الشام فظهر معنى الحديث أتم الظهور . وهذا الوجه فيه بقاء الأولوية على ظهورها وبقاء لفظ الناس على ظاهر عمومته وإبقاء نظم القرآن على ظاهرة دون صرف الأولوية الى أولية مقيدة بالحال أو بالنسبة الى بيت المقدس وليس فيه الا تأويل البيت بأنه بيت العبادة الحققة وذلك تأويل قريب لشيوع إطلاق البيت على بيت العبادة ولأن قرينة السياق تقرب هذا التأويل ويكون مناط التشريف والثناء هو الخبر بأن الكعبة أول بيت إذ الخبر هو محط الفائدة ويكون الحالان في قوله مباركا وهدى للعالمين زيادة في تمجيدته وتشريفه وليس هما غرض المخبر إذ ليست الحال عمدة الكلام وكذلك ما بعدها من الصفات

فكانت الكعبة بهذا أفضل المساجد وانما كانت أولية السبق مقتضية التفضيل لأن هذا المسجد كان أصلا للبقية فكل فضل لغيره بعده يكون له منه حظ فلا يزال فضله يتزايد ولأن مواضع العبادة لا تتفاضل من جهة وقوع العبادة فيها إذ هي في ذلك سواء وانما تتفاضل بما يحض بها من طول الزمان في عمرائها بالانوار الملكية وباخلاص مؤسسها في تأسيسها وأي اخلاص اعظم من إخلاص تأسيس معابد التوحيد الذي كانت المعابد بعده تقليدا له محاكاة لغرضه وإذا قد تبينت ان مساق الآية مساق الاستدلال على علة الامر باتباع ملة إبراهيم فكانك قد استشرفت الى بيان وجه هذا الدليل وكيف تمام التقريب فيه (١) ووجهه ان الكعبة لما كانت أول هيكل اقيم لاعلان توحيد الله وهو مبدأ الحنيفية فقد ثبتت لهذا البيت أفضلية على كل مسجد تقام فيه دلائل التوحيد وهذا الاثر اقامه إبراهيم عليه السلام كما دل عليه آخر الآية وإبراهيم هو رسول الحنيفية الاول فاذا استقرت فضيلة هذا الاثر على بقية الآثار الدينية الحققة ثبتت الفضيلة لا محالة للعملة التي أقيم هذا الاثر دليلا عليها ومناديا بها على مبرر الاحقاب لكونه دليلا وفيه ظهرت فتكون أشرف الملل وهذا الاستدلال جار على طريق دلالة الالتزام فهو استدلال بطريقة الكناية بشرف المحل على شرف الحال فيه كقول زياد الاعجم (شاعر اموي)

ابن السماحة والمرؤة والندى في قبة ضربت على ابن الحشر (٢)

وهذه الطريقة في صناعة البلاغة كائبات الشيء بحجة ولها تأثير على المخاطبين فكانت الحنيفية بذلك أفضل الملل لأنها أقامت للتوحيد أول معبد ومسجد ولأنها جمعت للدعوة للحق بالقول الدعوة له

(١) التقريب كلمة اصطلاحية في علم اداب البحث وهو استلزام الدليل للمدعى (٢) هو عبد الله ابن الحشر القيسي امير خراسان لبني امية

بالمشاهدة ولأن الملل التي تقدمتها كانت تنسى بوفاة رسلها وانقطاع اقوالهم . والحقيقة بقي أثرها ناطقا
فاذا كان اول مسجد بناه ابراهيم للتوحيد هو الكعبة تكون الملة التي نبعت منه وظهرت فيه أفضل الملل
بحكم اعطاء شرف القرين لقرينه

وقوله تعالى مباركاً حال من اسم الموصول الصادق على البيت اي مجموعا ذا بركة والبركة كثرة
الخير ونماؤه من جانب الله تعالى دون سبب عادي ووصف البيت بذلك باعتبار ذاته إذ كان قد باشر
بناؤه رسول الله إبراهيم وابنه اسماعيل رسول الله فلامست ايديهما حجارتها وطينه ثم اعان فيه محمد صلى
الله عليه وسلم حين بنته قريش ثم كان هو الواضع للحجر الاسود منه بيده لما اختلفت بطون قريش
في الذي يتولى وضعه في موضعه فقد توالى على بنائه ثلاثة رسل وذلك لم يكن لبناء غيره وذلك الحجر
الاسود الذي وضعته ايدي ثلاثة رسل هو هو لم يزل قائما مانثلاً للناس

وقوله وهدي للعالمين حال ثانية من الموصول ويجيء الحال مصدرا كالوصف بالمصدر وكالاتخبار
بالمصدر لقصد المبالغة اي هاديا للعالمين فجعل كانه نفس الهدي ووصف البيت بذلك لان وضعه كان
للدلالة على توحيد الله كما علمت فكل من يراه يسأل عنه وعن سبب وضعه وعن واضعه فيخبر بذلك
فينظر فيتهدي الى التوحيد ولان سديته وحفظته وهم ذرية واضعه قد وكلت اليهم الدعوة الى ذلك
الهدي الذي اراده جدهم وفي هذا تعريض بالمشركين اذ جعلوا مصدر الهدي مصدر إشراك ولذلك لما
ازال النبي صلى الله عليه وسلم الاصنام من الكعبة يوم الفتح قرأ « جاء الحق وزهق الباطل » ولم يأمر
بذلك في ازالة الاصنام الاخرى لان وضع الاصنام في هيكل التوحيد من أعظم الباطل والاعتداء زيادة
على كون مجرد اتخاذ الاصنام هو من الباطل . وقوله تعالى فيه آيات بينات يجوز ان يكون استئناف
كلام ويجوز ان يكون حالا ثالثة وكيفما كان فهو من تفصيل التفضيل وه الآيات « جمع آية وهي
العلامة المصدقة للدعوى فالمراد هنا آيات على كونه مباركا وهدي سواء اشترك في الاهتداء بها سائر
الناس ام احتص بها البعض على تفاوتهم في الاختصاص بها بحسب ما يفتح الله لهم من ابواب الارشاد
الالهي والفتح النوراني وقد اقتضى الكلام ان الآيات كائنة في البيت فان كانت الظرفية المستفادة من في
ظرفية حقيقية فالمراد من الآيات آيات ظاهرة كائنة في المسجد الحرام وهي عدة منها الحجر الاسود
فالمتواتر انه نزل من السماء رآه ابراهيم حين نزل على جبل ابي قبيس فأخذته وجعله في ركن الكعبة
زيادة في تشريفها اذ كان من حجارة جدرانها حجارة نزلت من السماء ومعنى ذلك ان يكون الحجر
الاسود من الحجارة التي ترمي بها النجوم فتصادف ظهر الارض تنارات وتكون هذه خصوصية له
لصوت نزوله برؤية الرسول إبراهيم اياه حين نزوله ولتواتر ذلك عن خبره في العرب . والآية الثانية

أقدام إبراهيم في الحجر الذي كان يقف عليه وذلك متواتر عند الناس الى اليوم ومنه المأثور عند العرب قول ابي طالب من قصيدته

وموطىء إبراهيم في الصخر قائما على قدميه حافيا غير ناعل

ومنها بئر زمزم الذي تواتر عند العرب ان الله فجره لهاجر لما ضمت وضمي ولدها اسماعيل . ومنها ان البيت هو الاثر الوحيد المقطوع بان ابراهيم أقامه هنالك لانه لما أقامه له اهل شهاد عليه وتناقلته الاجيال بالتواتر وهذا لا يوجد في اثر آخر من اثار ابراهيم عليه السلام بل كلها قد اندثر وما تعين موضع بيت المقدس الا بوحى وخبر . وان كانت الظرفية مجازية فالمعنى انه يشتمل على دلائل الوحداية والرسالة بالدلائل المحسوسة التي ذكرناها وبما علمناه مما حدث فيه من المعجزات لابراهيم واسماعيل عليهما السلام ومعجزات محمد صلى الله عليه وسلم مثل شق صدره والاسراء به ونزول الوحي عليه وعصمة الله تعالى إياه من اعدائه كل ذلك كائن فيه وحواليه وبما لم نعلمه من المعجزات والاسرار الواقعة فيه بين الله ورسله مما لا يعلمه الا الله ومن أطلعته من خاصة عباده . ومن آياته ما جعل له من الحرمة في نفوس الخلق من العرب وغيرهم من سائر الملل منذ حجته الجبارة من الملوك والاكاسرة وكسته التبابعة وقدسته سائر العرب واحترموا قريشا لانهم سدت به وذرية مؤسسه وقد قال ابو طالب في خطبته « وجعلنا حضنة بيته . وسواس حرمة وجعلنا الحكماء على الناس » ومنها ما يسر الله لسكانه من الارزاق بسببه وذلك بمجيء الناس للحج من كل فج عميق قال الله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم . وان من أكبر الآيات فيه للمهدي انه مصدر التوحيد والحنيفية ثم انشقت منه جداول الشرائع والهدي اشتقاق الجداول من النهر ثم اجتمعت وآوت اليه في شريعة الاسلام فعاد النهر الى مجراه وفي ذلك رمز الهي الى ان الدين عند الله هو الاسلام وانه ابتداء على يد ابراهيم في مكة كالحبة المزروعة الى ان آان اوان جناة فظهر من حيث بدىء ليدل على ان الزرع قد نضج وان الغرس قد أثمر .

وقوله تعالى (مقام ابراهيم) المقام اسم على وزن المفعول مشتق من القيام مراد به مكان القيام والقيام يطلق ايضا على الوقوف للدعاء والعبادة كالصلاة فمقام ابراهيم يصح ان يكون المراد منه مسجد إبراهيم ومصالحه ومحل وقوفه بين يدي ربه كما قال زيد بن عمرو بن ثعلبة

عذت بما عاذ به إبراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم

وعليه مقام إبراهيم هو البيت فيكون قوله مقام إبراهيم مرفوعا على الاستئناف كالنعت المقطوع

أي هو مسجد إبراهيم والخبر من الاصلغة لهذا الاسم التنويه بالمضاف لزيادة تشريف المضاف ويصح أن يكون المقام مشتقا من مطلق القيام اي محل قيام ابراهيم لبناء الكعبة كقول ابي طالب المتقدم « وموطىء ابراهيم في الصخر قائما » (البيت) . فيكون المراد بالمقام الحجر الذي فيه اثر قدمي ابراهيم عليه السلام وهو مما اطلق عليه المقام من عهد الجاهلية وفي الاسلام وقد قيل إنه المراد في قوله تعالى « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » وقال الفرزدق

الم ترني عاهدت ربي وانني لبين رتاج قائما ومقام

فيكون رفعه على انه بدل من آيات بدل مفصل من مجمل غير ان المبدل منه جمع والبدل مفرد فلم يذكر بقية المفصل اكتفاء بالملم من الآيات وعلى هذا المعنى فسر الزجاج وتبعه الزمخشري . وزاد فجعل مقام ابراهيم بمنزلة آيات كثيرة لقوة دلالة او لانه يشتمل على آيات لان بقاء أثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية وإلانة بعض الصخرة دون بعض آية اه

وقوله تعالى ومن دخله كان آمنا لفظه الخبر والظاهر ان معناه كذلك فيكون من جملة صفات البيت ويكون هذا من دلائل عناية الله به إذ سخر الامم والهمم لاحترامه وتأمين داخله فقد كان العرب مع شدة حقهم على اعدائهم يلقي الرجل في المسجد الحرام قاتل ابنه او ابيه فلا يتعرض له ويكون هذا المعنى آية ثانية فيكون البدل من الجمع قد وقع باثنين وسكت عن الثالث ونظرة في الكشف بقول جرير

كانت حنيفة أثلاثا فنلتهم من العبيد وثلاث من موالها

ولم يذكر الثلث الثالث ثم يبقى على هذا الوجه ان بقية الآيات ترك ذكرها اكتفاء بهذين الآيتين العظيمتين او بما يتضمنه قوله ومن دخله كان آمنا من آيات كثيرة منها تيسير الارزاق ولذلك جمع إبراهيم في دعوته للبلد الحرام ملاك الخيرات اذ قال فيما حكى الله عنه : وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات . وجوز ان تكون الآية الثالثة هي مضمون قوله : والله على الناس حج البيت الخ لما يقتضيه الحج من الخيرات لاهل مكة

وقيل ان معنى هذا الخبر الامر اي آمنوا من دخله كقوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من دخل دار بني سفيان فهو آمن اي فأمنوه وهو لا يفيت المقصود من التشريف ولكنه لا يدل على تشريف مقرر قديم والحل على الاول اولى . ولا يريد عليه انه قد انتهكت حرمة أمنه في بعض الازمنة مثل ما فعله القرامطة لان الآيات هي أمنه فيما مضى يسره الله لهم ليكون ملجأ قائما مقام العدل ثم أغنى الله عن ذلك بالامبالام ولان القضاء الناجزة لا تقمح في الشرف الاثني

الحديث الشريف

باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه

وقال الربيع بن خثيم من كل ما ضاق على الناس

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ أَمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بَعِيرٍ حَسَابٍ هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (رواه البخاري)

البيان

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز
جعيط المفتي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة

التوكل على الله تعالى خصلة من خصال الايمان ومراقبة من مراقي التقرب ونمرة المعرفة بالله ونتيجة صدق التوحيد لذلك ندب الله عباده اليه في آيات كثيرة فقال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وفي ربط التوكل بالايمان من المبالغة في الحث عليه ما لا يخفى لاشعاره بانه من توابعه ومقتضياته

واعلم ان مغزى هذه الآية مع سابقها هو التنويه بعملة الاسلام وبيان انها هي الحنيفية التي فضلها الله تعالى والتي بعث ابراهيم بأصولها وانها دعوة ابراهيم فيما حكى الله عنه من قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، فكانت ملة الاسلام هي كمال الحنيفية وتفصيلها وقد نصب الله على ذلك آية خفية تظهر للمهتدي وهي ان ابراهيم أظهر الحنيفية في مكة وأقام لذلك علما وهو المسجد الحرام وأقام ابنه اسماعيل داعيا لها هنالك ثم لم يبعث الله رسولا بعد ابراهيم وابنه في ذلك البلد فتطوحت الشرائع في بلاد الله حتى جاء الدين الذي ارادة الله لاظهار الشريعة الجامعة . وفي بقاء هذا الاثر المبارك من آثار ابراهيم واندثار غيره معجزة خفية وإشارة آلهية الى ان جميع الشرائع التي تفرعت عن ملة ابراهيم من شريعة موسى وغيرها شرائع زائلة وان الشريعة الخالدة هي الشريعة التي تظهر مرة اخرى من جانب هذا الاثر فبعث الله من مكة رسولا يلزم بدعوته اشتات الامم ويزجي بهم الى الانضواء تحت ذلك العلم وبذلك حق مراد الله تعالى وتم .

محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

وقال جل ذكره ومن يتوكل على الله فهو حسبه وفي هذا الوعد غاية الترخيب في الاقبال على التوكل والاخذ بتلايه اذ من جعله الله في كنف كفايته لم يذق لباس الحاجة وأمن مكاره الاهمال وقال الله تعالى ان الله يحب المتوكلين وفي هذا الخبر بشارة بان لا يمس المتوكل عذاب الآخرة لان المحبة والتعذيب لا يجتمعان في فرد وهذا رد الله على المفترين القائلين نحن ابناء الله وأحباءه بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم. وإذا كان التوكل بهذه المنزلة العظيمة تعين الاهتمام بالكشف عن معناه والاسباب المفضية اليه والنتائج المترتبة عليه. فاما معناه فلا يمكن أن يكون من المستعجمات التي تستعصي على أفهام الدهماء كما يدعيه بعض أهل الباطن ومنهم حجة الاسلام الغزالي فقد قال في كتابه التوحيد والتوكل من الاحياء ما نصه وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل والشرع في غاية الغموض والعسر ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الحفاء إلا سمسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا اه. فزعم مثل هذا في المطلوبات الشرعية لا ينبغي سلوكه ولا اعتقاده إذ الشريعة عامة معاملها لاحبة ومناهجها واضحة لا تطلب من الناس شيئا يدق فهمه عليهم وتستريح حقيقته دونهم وقد اجتهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان المطلوبات قولاً وفعلاً ولم يبق في كنانة الايضاح نبلا فجزاه الله عنا احسن ما جازى به نيا عن امته وكل ما يغض ويدق فهمه لا يقع التكليف به اذ ذلك من قبيل الحرج وما جعل عليكم في الدين من حرج ومن اجل هذا ينبغي القطع بان كثيرا من المسائل الكلامية التي هنك المتكلمون حجابها وخاضوا عبابها لم يقع التكليف به والناس من جهله في سعة والله در الشيخ الذي أتى به مقيدا في ايام فتنه القول بخلق القرآن فقال له ابن ابي دؤاد يا شيخ ما تقول في القرآن أن مخلوق هو فقال له الشيخ لم تصفي المسألة انا اسألك قبل الجواب هذا الذي تقوله يا ابن ابي دؤاد من خلق القرآن شيء عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أو جهلوه فقال بل علموه فقال فهد دعوا اليه الناس كما دعوتهم انت او سكتوا قال بل سكتوا قال فهل وسعك ما وسعهم من السكوت فسكت ابن ابي دؤاد وأعجب الواقع كلامه وأمر باطلاق سبيله وقام الواقع من مجلسه وهو يقول هلا وسعك ما وسعهم يكرر هذه الكلمة وكان ذلك من الاسباب في خمود الفتنة وإن كان تمام تفويضها انما حصل على يد المتوكل

فمعرفة التوكل بمعرفة معناه اللغوي اذ القرآن عربي لفظاً ونظماً ودلالة فيجب حمل الفاظه على معانيها اللغوية حتى يثبت النقل والتصرف من الشارع. والمعنى اللغوي للتوكل هو الاستسلام واطهار العجز والاعتماد على الغير ففي القاموس وكل بالله يكل وتوكل على الله وأوكل واتكل استسلم اليه ووكل

اليه الامر وكلا ووكلوا سلبه وتركه والتوكل اظهار العجز والاعتماد على الغير والاسم التحكك لان
ومن هنا نفهم من قول الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ان المعنى اعتمدوا عليه ولا تصمدوا
على غيره ومن قول الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان المعنى من يعتمد عليه يكفه ولما حذف
متعلق الكفاية وحذف المتعلق مؤذن بالعموم قال الربيع بن خثيم من كل ما ضاق على الناس اي ان
الكفاية لا تختص بناحية بل تجري في عموم الاشياء واذا كان التوكل على الله بمعنى اعتماد القلب عليه
فهل هذا الاعتماد يستلزم الاعراض عن التشاخذ في الاسباب أولا وعلى الثاني فهل الاحسن إهمال
الاسباب او ملاستها وعلى الثاني فهل يلزم القصد الى المسبب او الاعراض عنه هذه مباحث ثلاثة مترتبة
يلزم تقصيصها وقطع فيا فيها

اما المبحث الاول فالجواب عنه انه تبين من معنى التوكل ان ليس فيه ما يقتضي نبذ السبب أو
ملاسته لان الاعتماد على الله في حصول المرام يجامع التسبب وضده ولهذا قال الشهاب القرافي في
فروقه الصحيح ان لا ملازمة بين التوكل وترك الاسباب لان التوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى
فيما يجلبه من خير او يدفعه من ضر

واما المبحث الثاني فالجواب عنه ان الاحسن ملاسة الاسباب مع التوكل لان الله تعالى أمر
بالاستعداد فقال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل مع الامر بالتوكل في قوله وعلى الله
فليتوكل المؤمنون وأمر بالتحرز من الشيطان فقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا اي تعجزوا
منه وامر بملاسة اسباب الاحتياط والحذر في غير ما موضع من كتابه العزيز ولان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو سيد المتوكلين كان يطوف على القبائل ويقول من يعصمني حق ابلغ رسالة ربي
وكان له جماعة يحرسونه من العدو حتى نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس ودخل مكة مظاهرا
بين درعين ولبس على راسه المغفر وأقعد الرماة على فم الشعب وخندق حول المدينة وأذن في الهجرة
الى الحبشة والى المدينة. وهاجر هو وقال للنبي سأله أيعقل ناقتة أو يتوكل أعقلها وتوكل وكان في آخر
عمره وأكمل احواله مع ربه تعالى يدخر قوت سنة لعياله ولان وجوه اصحابه من المهاجرين
والانصار كانوا يشتغلون بأسباب الارتزاق ففي حديث أبي هريرة ان اخوتي من المهاجرين كانوا
يشغلهم صفق بالاسواق وكان يشغل اخوتي من الانصار عمل اموالهم وفي الصحيح ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما آخى بين المهاجرين والانصار واقلب عبد الرحمان بن عوف الى اخيه الانصاري اراد
الانصاري ان ينزل له عن احدى زوجتيه وان يقاسمه ماله فلأبى عبد الرحمان بن عوف ودعا له
بالبركة في اهله وماله وقال دلني على السوق فدلته عليها وأخذ في البيع والشراء الى ان استفاد ما مكنه

من الزوج وفي الصحيح ان ابا بكر رضي الله عنه قال لما استخلف لقد علم قومي ان حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة اهلي وشغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل ابي بكر من هذا المال ويحترف للمسلمين فيه فتمالؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه اصحابه على التسبب دليل على رجحانه وشاهد لكونه غير منافي للتوكل

واما المبحث الثالث فالجواب عنه ان القصد الى المسبب موكل الى خيرة المكلف فان شاء قصده وان شاء ترك القصد اليه واما جواز قصد المسبب وقت التسبب فيدل عليه انه التفات الى العادات الجارية لا ينافي مقصدا شرعيا فيكون في دائرة الاباحة واذا قصد التسبب ان يهيء الله له بهذا السبب مسببا يقوم به امره ويصلح به حاله فقد رجع الى الاعتماد على الله والمعجا اليه في ذلك على ان قصد المنفعة مسايير لما وضعت له الشريعة فانها شرعت لمصالح العباد وقد اوما كثير من الآيات القرآنية الى صحة هذا القصد قال الله تعالى الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بالمرء ولتبتغوا من فضله . وقال فاتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله . فعبر عن الاكتساب والاتجار بالقصد الى الفضل وسبق مساق الامتنان واشعر بصحة هذا القصد

واما جواز ترك الالتفات الى المسببات والقصد اليها فالدليل عليه ان المسببات راجعة الى الله تعالى وليست من كسب المكلف فمراعاة ما هو راجع لكسبه هو اللازم ومراعاة ما ليس من كسبه لا يلزمه فله ان يكتسب لمعاشه بالزراعة او التجارة او غيرها لان الله ندبه الى القيام بتلك الاعمال كما يصلي ويصوم ويؤتي زكوة من غير ملاحظة ما يترتب عليها . ويزيد هذا ايضا حائث السبب غير مؤثر بنفسه وانما يقع المسبب عنده لا به كما يدل عليه حديث العدوى وقوله عليه الصلاة والسلام فمن أعدي الاول وقول عمر في حديث الطاعون نفر من قدر الله الى قدر الله حين قال له ابو عبيدة ابن الجراح أفرارا من قدر الله . وحديث جف القلم بما هو كائن فلو اجتمع الخلق على ان يعطوك شيئا لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه وعلى ان يمنعوك شيئا كتبه الله لك لم يقدروا عليه والمسألة قطعية واذا كان الامر على هذا الشأن فالالتفات الى المسبب في فعل السبب لا يؤثر شيئا لان المسبب في دائرة الامكان قد يكون وقد لا يكون وهب ان مجاري العادات تقتضي وجوده فكونه تحت نفوذ القدرة يقتضي جواز حصوله وعدم حصوله وتقض مجاري العادات دليل على ذلك

ولا يلزم من قصد الشارع الى المسببات والتفاتاته اليها قصد المكلف اليها لان الشارع لم يقصد وقوع المسببات بالتكليف بها كما قصد ذلك بالاسباب بدليل ان المسببات خارجة عن دائرة المقدور فلا يقع التكليف بها وانما قصد وقوع المسببات بحسب ارتباط العادة الجارية في الخلق وهو ان يكون خلق

المسيبات وايجادها على اثر ايقاع المكلف للأسباب يسعد من سعد ويشقى من شقى فلا ارتباط لقصد الشارع لوقوع المسيبات بالقصد التكليفي

واما اسباب التوكل فقد بينها الله تعالى عجز هذه الآية حيث قال ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا اذ معنى الجملة الاولى على ما قاله المفسرون ان الله منفذ امره بالغ مرادة لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب ومعنى الجملة الثانية قد جعل الله لكل شيء قدرا اي تقديرا وتوقيتا او مقدارا قال الكلبي ومقاتل لكل شيء من الشدة والرخاء اجل ينتهي اليه قدر الله تعالى ذلك كله لا يقدم ولا يؤخر فاذا علم العبد ان الله يبلغ امره وينفذ مراده فيما يريد من خلقه وان كل شيء من الخفض والرفع والاعزاز والاذلال والخير والشر من الله تعالى وتقديره لم يبق الا الاستسلام له والتوجه اليه والاعتماد عليه ولهذا قيل ان التوكل ثمرة المعرفة بالله تعالى ونتيجة صدق التوحيد اي استمرار الجزم واستصحاب اليقين بان لا ورد ولا صدر ولا خير ولا ضر الا بقضاء الله وقدره

فان قيل الايمان بالقضاء والقدر عقيدة كافة اهل السنة التي حرت في دماهم وامتزجت بالبابهم فيلزم ان يكون جميعهم من المتوكلين ويلزم ان يغني الامر بالايمان عن الامر بالتوكل لانه لازمه الذي لا ينفك عنه . قلت التوكل من الافعال القلبية وهو سكون القلب وطمأنينته واعتماده على الله تعالى ولا يلزم من ايقان القلب بشيء حصول الطمأنينة معه والسكون اذ قد يضعف القلب بمساورة الحزن له وينزعج للاوهام الغالبة عليه فيتبع القلب البوهم ويطيعه من غير نقصان في اليقين كحال المتناول عسلا يشربه فيشبه بين يديه بما ينفر منه طبعه فربما تأثر من ذلك حتى يتعذر عليه تناوله مع جزمه بانه عسل ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت في فراش نفر طبعه وان يقن أنه حماد في الحال وان سنة الله مطردة ان لا يحشره الآن ولا يحييه وان كان قادرا عليه كما انها مطردة ان لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السور اسدا وان كان قادرا عليه ومع هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش وذلك حبن في القلب ونوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شيء منه وان قل . فالتوكل لا يتم الا بقوة القلب وقوة اليقين اذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته والموجود في عامة المؤمنين الايقان اما قوة القلب فمختلفون فيها ولهذا نجد الناس في هذا المقام منقسمين الى ثلاثة اقسام قسم عاملوا الله تعالى باعتماد قلوبهم على قدرته مع اهمال الاسباب والعوائد العامة فحصل لهم التوكل لكن لم يجرؤوا على الطريق السابلة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهتدون وما التزم هؤلاء هذا السلوك الانعان انقذت في نفوسهم واحوال حصلت لهم جروا بمقتضاها على مقاصد صحيحة شرعية بيد ان هذه المعاني والاحوال لما اختصت بهم ولم يشاركهم الجمهور فيها لم يصح لمن لم يكن على سبيلهم ان يتأسى بهم فيما فعلوا واتهبجوا

تحقيق خبر من احاديث شمائله صلى الله عليه وسلم

بقلم العلامة النظار الشيخ سيدي بلحسن
النجار المفتي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة

الحمد لله كنت وقفت على سؤال اورده الشهاب احمد ابن حجر الهيتمي المكي في فتاويه الحديثية عما ذكره الديميري في شرح المنهاج في الكلام على قوله : ويرسل مسبحته ان سبأته صلى الله عليه وسلم اطول من الوسطى والوسطى اطول من البنصر والبنصر اطول من الخنصر واورد فيه حديثا هل ذكره غيره واجاب عنه بقوله ذكره شيخ الاسلام ابن حجر في أسد الغابة والقرطبي في تفسير سورة البقرة (١) .

فظهر لي لاول نظرة ان الحديث الذي اورده الديميري شاذ غير مقبول وذلك لوجوه :
الاول - ان الصحابة الذين رويت عنهم احاديث شمائله الشريفة صلى الله عليه وسلم لم يملوا في بيانها ذكر الحلي منها والحفي ولاحظوا اوضاع اعضائه الشريفة واشكالها ووصفوها وصفا دقيقا تناول كل ما يتعلق الغرض بمنعرفته فقالوا في وصف يديه الكريمتين انه ضخم الذراعين عريضهما اشعرهما

ولا ينبغي التعبير في وجوه هؤلاء السادة ووصفهم بإساءة الادب مع الله تعالى كما زعمه الشهاب القرافي بل يلتمس لهم احسن المخارج كما فعل حجة الاسلام الغزالي وابو اسحاق الشاطبي اذ عند اعمال النظر نجدهم قد سلكوا اسبابا غريبة غير عامة فلتتركهم وشأنهم

القسم الثاني من لاحظ الاسباب وأعرض عن التوكل وهم عامة الخلق وشر الاقسام وربما ضلوا بملاحظة الاسباب والاعراض عن المسبب الى الكفر والعياذ بالله تعالى لاعتقاد تأثيرها وقد ورد في الحديث أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بنوء كذا فهو كافر بي مؤمن بالكوكب الحديث

والقسم الثالث من اعتمدت قلوبهم على قدرة الله تعالى فطلبوا فضله في عوائده ملاحظين في تلك الاسباب مسبها وميسرها فجمعوا بين التوكل والادب في التماس فضل الله تعالى في عوائده العامة وهذا الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه واكثر العارفين به تعالى وبه يتبين انه الحق الابلج والطريق الانهج (يتبع)

سبط القصب من العضدين والذراعين اي ممتدتهما طوليها ليس فيهما تعقد ولا نتو رجب الراحة أي واسعا شثن الكفين اي لحيمهما سائل الاطراف اي ممتد الاصابع وان كفه الين من الحرير وايرد من الثلج واطيب من ريح المسك وبينوا حركات يده صلى الله عليه وسلم في حال كلامه وانه يضرب باهام يده اليمنى في كف اليسرى .

أبعد هذا البيان ووراء هذا التفصيل يقال ان سبابة يده صلى الله عليه وسلم أطول من الوسطى إذ لو كانت كما قيل لما أهمل بيان حالها من تهتم من الصحابة ببيان شمائله الشريفة صلى الله عليه وسلم كعلي وابن عباس وعائشة وهند بن ابى هالة وابى بكر وابى هريرة وجابر بن عبد الله البجلي وابى الطفيل وجابر بن سمرة رضوان الله تعالى عليهم وهم هم خبرة وضبطا وعناية واتقان حديثه مع مكاتبتهم عنده عليه الصلاة والسلام وشدة اتصالهم به ومعرفتهم لآحواله . كيف ومنهم زوجته وابن عمه وربيته وكلهم ملازمون له صلى الله عليه وسلم

ثانيا - ان ما ذكره الدميري من ان سبابة يده صلى الله عليه وسلم أطول من الوسطى هو من الشذوذ في الحلقة والحالات النادرة التي تلفت الانظار وتعلق العناية بالتنبيه عليه بحيث تتوفر الدواعي على نقله فإهمال اولئك الصحابة الاعلام وغيرهم التعرض لبيان دليل على عدم وجوده وقد غد علماء الاثر والاصول من علامات كذب خبر الاحاد ان لا يتواتر مع عدم قيام غيره مقامه فيما شأنه ان يكون متواترا وقد رد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حديث ابى موسى الاشعري وحده في الاستئذان لجصول الريبة فيه عنده لان الاستئذان امر يتكرر فلو لم يعرفه الا واحد لكان ذلك ريبة توجب الرد ثالثا - ان كفه صلى الله عليه وسلم لم تكن خافية على اصحابه والناس اجمعين بل كانت محلوة لهم بارزة في مناسبات كثيرة وجوع حافلة كواقعة بيعة الرضوان وحادث معجزة نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم والناس ينظرون اليها وهم في عدد عظيم وحيش كثيف ولو كان الامر كما رواه الدميري للاحظه من حضر هذه الوقائع وعان يده الكريمة عند البيعة او حين نبع الماء من بين اصابعها لانه شكل غريب نادر في الناس

رابعا - ان ما ذكره الدميري يخل بجمال الكف وانتظام أصابعه صلى الله عليه وسلم وتناسب اناملها والحسن تناسب . والخروج عن المعتاد في الخلق بعد شيئا محلا بالاعتدال وقد اتفق واصفوه على انه عليه الصلاة والسلام معتدل الخلق اي الصورة الظاهرة بمعنى ان اعضاءه متناسبة وكل متناسب معتدل وكل متوسط في الكم والكيف معتدل فب ان اولياءه كتموه فان اعداءه يذيعونه وقد أنكر الرواة من حديث جابر ابن سمرة قوله ان خنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم

من رجله كانت متظاهرة وقالوا ان في سنده سلمة بن حفص السعدي وقد قال ابن حبان في حقه انه كان يضع الحديث فلا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه وحديثه هذا باطل لا اصل له ورسول الله صلى الله عليه وسلم معتدل الخلق اهـ .

ولم يقر المحدثون الزيادة في شمائله اذا وردت من طريق ضعيف قال ابن ابي حاتم الرازي في كتابه علل الحديث سألت ابي عن حديث رواه محمد بن القاسم الاسدي عن شعبة عن عبد العزيز بن صهيب عن انس بن مالك قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جمة (١) جعدة فقال هذا حديث منكر لم يروه غير محمد بن القاسم (٢)

كل هذه الاعتبارات تجملنا على القول بان الحديث الذي اورده الدميري من الشنوذ بمكان او هو باطل لا اصل له كما قيل في نظيره وتدعنا نهمل أمر البحث عن جلية حاله غير ان الشيخ الهيثمي قد نقل ان غير الدميري قد ذكره واذ قد دعا لاحضار ممكن ومراجعة ميسور فلا محيص عن التفتيش عنه في كتابي « أسد الغابة » و « الجامع لاحكام القرآن » للقرطبي اما الشيخ القرطبي فقال عند الكلام على تفسير قوله تعالى « وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين » الآية ما نصه وروي عن اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المشيرة منها كانت اطول من الوسطى ثم البنصر اقصر من الوسطى وروى يزيد بن هارون قال اخبرني عبد الله بن مقسم الطائفي قال حدثني عمي سارة بنت مقسم انها سمعت ميمونة بنت كردم قالت خرجت في حجة حجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وسأله ابي عن اشياء فلقد رايتني اتعجب وانا جارية من طول إصبعه التي تلي الابهام على سائر اصابعه (٣)

استدل الشيخ القرطبي بحديث ميمونة على ما ذكره من ان المشيرة من اصابعه وهي سبابة الكف اطول من وسطاه مع ما فيه من الاجمال حيث لم يبين به الاصبع التي تعنيها ميمونة وهل هي من كفه صلى الله عليه وسلم او من قدمه وهو والحال ما ذكر لا يتم به الاستدلال

وقد انتقد الشيخ محمد طاهر الهندي الفتني المتوفى سنة ١٩٦٦ قال في كتابه تذكرة الحفاظ ما نصه حديث ان سبابة النبي صلى الله عليه وسلم كانت اطول من الوسطى اشتهر كثيرا وهو خطأ بئس شيخنا عن قول القرطبي في طول مسبحته فأجاب بانه غلط منه وانما كان ذلك في اصابع رجله اهـ (٤) أخذت الحقيقة تتجلى واستبان ان السبابة المتحدث عنها هي سبابة قدمه الشريفة صلى الله عليه وسلم

(١) مجتمع شعر الرأس وهي اكثر من الوفرة ودون اللثة في الطول (٢) ص ٣٩١ ج ٢

(٣) ص ١٥ ج ٦ طبع دار الكتب المصرية (٤) ص ٨٨

وسلم وطول سبابة القدم امر متعارف وغالب في الناس لا شين فيه ولا غرابة تعتريه ولا يلفت الانظار اليه ولذا اعمل ذكره رواة شمائله الشريفة صلى الله عليه وسلم وانما عجت منه ميمونه بنت كردم لانها كانت وقتئذ جارية كما قالت معتذرة فعلق بذهنها ما راته من قدمه صلى الله عليه وسلم في حال التزام ايها لها فحدثت به كما علق بذهن محمود بن الربيع بن سراقه الانصاري الخزرجي رضي الله تعالى عنه حجة محبا في وجهه النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس سنين من دلو (١)

واما ما عزاه الشيخ الهيثمي لابن حجر في أسد الغابة فقد غلط للشيخ في اسم مؤلف كتاب اسد الغابة والصواب انه لعز الدين ابي الحسن علي بن محمد الجزري المعروف بابن الاثير صاحب التاريخ الكامل المتوفي سنة ٦٣٣ وهو احد ثلاثة اخوة لهم ذكر جميل بين اهل العلم تتجاوز للشيخ الهيثمي هذا الغلط اليين بيد ان المذكور في أسد الغابة يخالف لما قاله ونصه روى يزيد بن هارون عن عبد الله بن يزيد بن مقسم عن عمته سارة بنت مقسم عن ميمونة بنت كردم قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو على ناقته وانامع ابي ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم درة (٢) كدرة الكتاب والناس يقولون الطبطبية الطبطبية (٣) فذنا منه ابي فاخذ بقدمه فاقر لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فما نسيت طول اصبع قدمه السبابة على سائر اصابعه (٤) عجا للشيخ الهيثمي كيف عزاه لاسد الغابة حديثا على غير ما هو فيه اذ المذكور فيه حديث طول سبابة قدمه صلى الله عليه وسلم لا سبابة يده

واذ قد أبلغ الحق وظهر الصبح لذي عينين نقول ان حديث ان سبابة قدمه صلى الله عليه وسلم اطول من سائر اصابعها يدور على ميمونة بنت كردم (٥) بن سفيان بن ابان بن أنمار بن حطيظ بن جثم الثقفي (٦) ويقال لها اليسارية قال ابن حبان لها صحبة وقال ابن مندة لها رؤية روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعنها يزيد بن مقسم وقيل عنه عن سارة عنها وفي اسناد حديثها خلاف (٧) قال في الاستيعاب روى عنها يزيد بن مقسم حديثها عن اهل البصرة وليس يزيد هذا بمعروف (٨) قال في الاصابة كذا في بعض نسخ الاستيعاب ولم يقع في نسخة ابن الاثير وفي كلام ابي عمر نظر لأنه قال حديثها عند اهل البصرة وانما هو عند اهل الطائف أخرجه ابو داود في كتاب الايمان والنور من السنن من طريق عبد الله بن يزيد بن مقسم عن ابيه عن عمته عنها ومنهم من أسقط سارة من السند ومنهم من أسقط عبد الله وأخرج حديثها ابن ماجه أيضاً ووقع لنا بعلو في العرقه لابن مندة واخرجه

(١) صحيح البخاري كتاب العلم (٢) سوط (٣) درة (٤) ص ٢٣٤ ج ٤ (٥) كردم كجعفر

تقريب التهذيب ص ٣٤٣ طبع الهند (٦) الاصابة ص ٢٩٦ ج ٥ (٧) تهذيب التهذيب ص ٤٥٤ ج ١٢

(٨) ص ٤٠٨ ج ٥

من طريق أبي نعيم عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن يزيد بن مقسم عن ميمونة انها كانت رديفة أبيها فسمعت أباها يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني نذرت ان أنحر ببوانة (١) قال هل بها وثن او طاغية قال لا قال فأوف بنذكرك حيث نذرت وأخرجه احمد بن حنبل عن يزيد بن هارون عن عبيد الله بن يزيد بن مقسم عن عمته سارة بنت مقسم عن ميمونة بنت كردم مطولا وقد ذكرت بعضه في ترجمة طارق بن المرتع وفيه عن ميمونة قالت وييد رسول الله صلى الله عليه وسلم درة كدرة الكتاب فسمعت الاعراب يقولون الطبطبية فدنا منه أبي فأخذ بقدمه فاقر له قالت فما نسيت طول إصبع قدمه السبابة على سائر اصابعه (٢) قلت اما الامام احمد فقد خرج حديث ميمونة في مسنده من طريق يزيد بن هارون عن ميمونة بنت كردم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو على ناقته وانا مع ابي وييد رسول الله صلى الله عليه وسلم درة كدرة الكتاب فسمعت الاعراب والناس يقولون الطبطبية فدنا منه ابي فاخذ بقدمه فاقر له رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فما نسيت فيما نسيت طول إصبع قدمه السبابة على سائر اصابعه وخرج لها من طريق أبي أحمد قال حدثنا عبد الله يعني ابا عبد الرحمن بن يعلى الطائفي عن يزيد بن مقسم عن مولاته ميمونة بنت كردم قالت كنت ردف ابي فسمعت يسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني نذرت ان أنحر ببوانة فقال أباها وثن أم طاغية فقال لا قال أوف بنذكرك (٣) واما ابن ماجه فخرج حديثها عن سؤال أبيها وهي رديفة له للنبي صلى الله عليه وسلم عن نذرة من طريق ابي بكر بن ابي شيبة عن مروان ابن معاوية عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي وعن ابن دكين عن عبد الله بن عبد الرحمن عن يزيد بن مقسم عن ميمونة بنت كردم (٤) واما ابو داود فلم يخرج الحديث عن ميمونة ولفظه حدثنا داود ابن رشيد قال حدثنا شعيب بن اسحاق عن الازواعي قال حدثنا يحيى بن ابي كبير قال حدثني ابو قلابة قال حدثني ثابت بن الضحاك قال نذر رجل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ان ينحر ابلا ببوانة فاقى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني نذرت ان أنحر ابلا ببوانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد قالوا لا قال هل كان فيها عيد من اعيادهم قالوا لا قال النبي صلى الله عليه وسلم أوف بنذكرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم قال في شرحه «بذل المجهود» لعن الرجل كردم ابن سفيان ابن أبان او كردم بن قيس بن ابي السائب (٥) وخرج حديث النذر الشيخ ابو البركات عبد السلام بن تيمية في منتقى الاخبار قال في نيل الاوطار حديث ميمونة

(١) بالضم وتخفيف الواو هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر معجم البلدان ص ٣٠٠

ج ١ (٢) ج ٨ ص ١٩٥ (٣) ص ٣٦٦ ج ٦ (٤) ص ٣٣٤ ج ١ (٥) ص ٢٣١ ج ٤

بنت كردم رجال اسناده في سنن ابن ماجة رجال الصحيح وعبد الله بن عبد الرحمن الطائي قد اخرج له مسلم (١)

وقال فيه يحيى بن معين صالح وقال ابو حاتم ليس بالقوي وقال في التقريب صدوق يخطيء وقد اخرج ابن ماجة من طريق اخرى من طريق ابن عباس (٢)

وقد تعرض من كتب من المتأخرين في شمائله صلى الله عليه وسلم وسيرته لخبر طول سبابة قدمه على سائر اصابعه وبينوا غلط من قال انها سبابة يده الشريفة قال المحدث الشيخ عبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة ١٠٠٢ في شرحه للشمائل عند الكلام على قدميه صلى الله عليه وسلم ما نصه روى احمد وغيره ان سبابتها كانتا اطول من بقية اصابعهما (٣) وقال الشيخ محمد المهدي بن احمد بن علي بن يوسف الفاسي في كتابه «سمط الجواهر الفاخر من مفاخر النبي الاول والآخر» المتوفى سنة ١١٠٩ (٤) وما يذكر من ان سبافته صلى الله عليه وسلم كانت اطول من الوسطى فانما ذلك في اصابع رجليه ومن حمله على اصابع يديه فقد غلط والحديث رواه احمد والطبراني والبيهقي في الدلائل عن ميمونة بنت كردم الثقفية وبينته رواية احمد والبيهقي ففيهما انها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول إصبع قدمه السبابة على سائر اصابعه (٥)

وبهذا ظهر ان ما ذكره الشيخ الدميري من ان سبابة يده صلى الله عليه وسلم اطول من الوسطى لا اصل له وان الحديث الذي اورده ان صرح فيه بذلك فهو منكر وان ما ايده به الشيخ الهيثمي لا حجة فيه لان حديث ميمونة الوارد في أسد الغابة وتفسير الشيخ القرطبي انما هو في سبابة قدمه الشريفة صلى الله عليه وسلم لا سبابة يده وانه قد استفيد من روايات حديث ميمونة ان رجاله لا باس بهم وانه روي مطولا ومختصرا وان بعض الرواة زاد في روايته حديثها على سبابة قدمه الشريفة صلى الله عليه وسلم فتجري زيادته على حكم زيادة العدل في روايته على غيره ومنه تحققنا ان اصابعه الشريفة لم تكن خارجة عن المعتاد في الترتيب والانتظام وان يده الكريمة في اعلى طبقات الحسن اللائق بالرجال واسمى درجات الكمال ناهيك بكف أتي فيها «ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم» وفي ذلك نهاية التفضيل وغاية المدحة ليد الشريفة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

(١) هو من أفراد مسلم «الجمع بين رجال الصحيحين» ص ٢٧٤ ج ١ (٢) ص ٣٣٤ ج ١

(٣) ص ٥١ (٤) شجرة النور الزكية ص ٣٢٨ ج ١ (٥) الورقة ٢٦٧

الفتاوى والاحكام

الاضحية وما يتعلق بها من الاحكام

نظرا لورود اسئلة كثيرة على المجلة عن حكم الاضحية وعن شروطها ، وبيان ما يجزي في التضحية وما لا يجزي . حررنا الجواب الآتي شاملا لبيان ذلك كله . مع تفصيلات وافية في هذا الموضوع فنقول وبالله التوفيق :

الاضحية من المناسك التي شرعها الله في الملة الحنيفية . وهي سنة ابراهيم الخليل عليه السلام واستقر حكمها في الشريعة المحمدية . شرعت في السنة الثانية من هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة قال الله تعالى « فصل لربك وانحر » وروى مسلم في صحيحه من طريق انس رضي الله عنه قال ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشبن (٤) املحين (٢) اقرنين . ذبحهما بيده . وسمى وكبر . ووضع رجله على صفاحهما (٣)

صفة الاضحية

للعلماء الاسلام مذاهب في صفة الاضحية . فذهب ابو حنيفة ونحمد الى انها واجبة . فهي ليست بفرض عنده . وذهب ابو يوسف الى انها سنة . والى هذا القول ذهب امام دار الهجرة رضي الله عنه

من تجب عليه الاضحية

انما تجب التضحية على المسلم . القادر . المقيم . البالغ . بنية التضحية . قال في البدائع : لا تجزي التضحية بدون نية . فلا تجب على غير المسلم ولا على العاجز . وخسر الحنفية القادر بانه الذي يملك مائتي درهم زائدة على حاجته الاصلية بان تكون زائدة على مسكنه وثيابه ومتاع منزله الذي يحتاجه ومن الزائد ما اذا كان له عقار او ارض معدة للاستغلال ودخله من ذلك يفي بقوت عامه . او كان

(١) الاملح . قيل في تفسيره الابيض الخالص . وقيل الذي يابض اكثر من سواده . وقيل الذي ينظر في سواد ويأكل في سواد ويمشي في سواد ويسرك في سواد بمعنى أن مواضع هذه منه سواد وما عداه أبيض (٢) الاقرن . الذي له قرنان معتدلان (٣) صفحة البئق جانبه

يستحق من غلة وقف وبلغ منابه النصاب المتقدم . واستحققه في ايام النحر فانه يعد في كلتا الصورتين قادرا وعليه الاضحية كذا في البحر . او يكون له ما يساوي مائتي درهم من العروض او النقود وفسر المالكية القادر بانه الذي لا يحتاج الى ثمنها لامر ضروري . في عامه : حتى لو احتاج في تلك السنة لا تسن في حقه الاضحية كذا في خليل وشرحه

ومن هنا نعلم انها لا تجب على الفقير الذي ليس له نصاب . وما نرى عليه الفقراء من الحرج في القيام بهاته الشعيرة هم في غنى عنه لا سيما والبعض يبلغ به الامر الى بيع بعض ضرورياته او رهنها والشارع لم يطلبه بهذا . والاشد من هذا ان يرهن بعض ما يملك بفائض ليتوصل لشراء اضحيته فرارا من العار وتعمية على حيرانه . وهو بهذا الصنيع قد ارتكب كبيرة وذنبا عظيما ولا تجب على المسافرين الاضحية واذا تطوع بها أجزأته . والاقامة للمعتبرة اعم من ان تكون في مدينة او قرية او في البادية

ولا تجب على الصبي من ماله . قال في الكافي وليس للاب ان يفعله من مال طفله . قال في الدر وهو المعتمد وعليه الفتوى قال الكمال وكذا الجد والوصي . كما انه لا يجب على الاب ان يضحي عنه . قال قاضي خاف في فتاويه . في ظاهر الرواية انه يستحب ولا يجب بخلاف صدقة الفطر . فيستحب للاب ان يضحي عن طفله .

وقال المالكية تسن الاضحية للصبي القادر عليها . ويضحي عنه وليه ولو كان الصبي يتيما . قال خليل : سن الحر غير حاج بمعنى ضحية لا تجحف وان يتيما . قال الزرقاني ويخاطب وليه بفعله عنه من مال اليتيم .

انواع ما تصح به التضحية

الاضحية تتنوع الى اربعة اصناف من النعم وهي الضأن والمعز والابل والبقر . وفي حكم البقر الحاموس . اما الضأن والمعز فانه يضحي بواحد منهما عن فرد واحد . واما الابل والبقر والحاموس فتجزى عن سبعة . ويضحي بالثني من هاته فما فوق . والثني هو ابن خمس من الابل وابن سنتين من البقر والحاموس وابن حول من المعز والضأن . ويجزى اذا ضحي بالجذع من الضأن وهو ابن ستة اشهر فما فوق اذا كان بحيث لو اختلط بالثنايا عد منها . وقال قاضي خان في فتاويه الجذع هو الذي اتى عليه ستة اشهر وشيء

ولا يجزئ الجذع من الابل وهو ابن اربع ولا الجذع من البقر وهو الذي لم يتم السنتين ولا من المعز وهو الذي لم يات عليه حول حكى في المبسوط الاتفاق على عدم جواز الجذع . ن هاته فلو ضحي بواحد منها لا تكون اضحية . فليتبه الناس الى ذلك فان كثيرا من الناس يلتبس عليهم

الامر فيظنون ان الجذع يجزي عند ابي حنيفة رضي الله عنه في الاصناف كلها مع انه لا يجزي الا في الضأن خاصة وقوفا عند النص . روى النسائي من طريق عقبة بن عامر قال رضي الله عنه : ضحينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجذع من الضأن

شروط صحة الاضحية

يشترط لصحة الاضحية . سلامتها من العيوب . اخرج النسائي من طريق عبيد بن فيروز مولى بني شيبان قال قلت للبراء حدثني عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاضاحي قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدي اقصر من يده فقال اربع لا يجزن . العوراء البين عورها . والمرضة البين مرضها . والعرجاء البين ظلمها . والكسيرة التي لا تنقي . وفي رواية اخرى والعجفاء . بدل الكسيرة . فلا تصح الاضحية بالعوراء التي لا ترى بعينها وأخرى اذا كانت عمياء . ولا بالمرضة التي ظهر مرضها للعيان . والجرباء اذا كانت هائلة لا يضحى بها وان كانت سمينة يصح ولا يعبأ بمرض الجلد والصوف . والسعال ليس من الامراض المانعة . ولا بالعرجاء التي لا تستطيع المشي على جميع قوائمها اما التي تمشي على ثلاثة وتضع الرابعة على الارض لتستعين بها فانها تجزي . وبذلك فسر الفقهاء الظلع المانع . ولا بالكسيرة التي لا تنقي وهي التي ليس لها مخ في عظمها من شدة الهزال بان تكون غاية في الضعف . واخرج النسائي من طريق الامام علي كرم الله وجهه قال : امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نستشرف العين والاذن . وان لا نضحى بمقابلة ولا مدابرة ولا بترء ولا خرقاء . فالامر باستشرف العين والاذن بمعنى طلب البحث عنهما حتى لا يكون فيهما عيب . ولا تصح الاضحية بالمقابلة وهي التي قطع مقدم اذنها . ولا بالمدابرة وهي التي قطع مؤخر اذنها . وبين الفقهاء ان العبرة بالاكتر فبان كان المقطوع زائدا على النصف لا تجزي وان كان الاقل تجزي وعليه الفتوى . ولا تصح بالبتراء وهي المقطوعة الذنب او الالية والعبرة بالغالب ايضا . ولا تصح بالخرقاء وهي التي في اذنها ثقب وفسر الفقهاء الثقب المانع بالبالغ اكثر الاذن ولا تصح بالهتاء وهي التي لا اسنان لها او ذهب اكثر اسنانها ولا تصح بالتي لا أذن لها خلقة قال الزيلعي إذا كانت لها اذن صغيرة خلقة تجزي ولا تصح بالجذاء وهي المقطوع رأس ضرعها او يابسته ولا بالجذعاء وهي التي قطع أنفها ولا بالتي عولجت حتى انقطع لبنها ولا تصح بالجلالة التي تأكل العذرة ولا تأكل غيرها . ولا فرق في ذلك بين العيب الموجود فيها وقت الشراء والعيب الطارئ حتى انه لو كانت سليمة من العيوب ثم تعيبت بعد ان اشتراها بواحد من العيوب المتقدمة يلزمه ان يقيم غيرها مقامها اذا كان غنيا وان كان فقيرا اجزأ ذلك واما إذا تعيبت من اضطرارها وقت الذبح فلا يضر وتجزئ

متى تصح التضحية

تصح التضحية اذا نوى القرية قال في البدائع فلا تجزي التضحية بدون نية لان الذبح قديكون لغير التضحية وقد يكون للقرية . والفعل لا يقع قرية بدون نية ولا يشترط ان يقول بلسانه ما نوى بقلبه كما في الصلاة اه وسمي ويكبر عند الذبح روى النسائي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحي بكبشين أملحين أقرنين وكان يسمي ويكبر . الحديث

وقت التضحية

التضحية تجب وجوبا موسعا في سائر وقتها ويستدئ وقتها من فجر يوم النحر وهو يوم العيد الى غروب اليوم الثالث ويشمل وقتها الليل والنهار والنهار أفضل . قال المولى ابن عابدين : الليل في كل وقت تابع لنهار مستقبل . الا في ايام الاضحية فانه تابع لنهار ماض اه وعليه فالليلة الاولى التي تصح فيها التضحية هي التالية لليوم الاول والليلة الثانية هي التالية لليوم الثاني . وينتهي وقت الذبح عند غروب اليوم الثالث . وذهب المالكية الى عدم الاجزاء اذا ذبح ليلا . قال خليل : والنهار شرط . ثم ان الوقت لا يختلف في ذاته ولكن يجب على من يذبح في المدين ان يؤخر الذبح الى ما بعد صلاة العيد والمعتبر أسبق صلاة عيد أدت ولو قبل الخطبة الا ان الافضل تاخير الذبح الى ما بعد الخطبة . فلو ذبح في المصر قبل صلاة العيد فلا تصح أضحيته وتكون لحما لا نسكا وإن تأخرت الصلاة ترقب الى الزوال ثم بعد ذلك يسهه أن يذبح هذا في الذبح في اليوم الاول وأما إذا ذبح في اليوم الثاني أو الثالث فلا يتقيد بشيء . والعبرة بمكان الاضحية لا مكان من وجبت عليه وقال المالكية لا تجزي الا بعد أن يذبح الامام في اليوم الاول ولو تعمد السبق لا تجزئه وعليه الاعادة واذا تحرى أقرب إمام وظن انه ذبح فبين انه ذبح قبل الامام أجزأته قال خليل . وأعاد سابقه الا المتحري اقرب امام اه . وإذا تأخر الامام لعذر شرعي ترقبه الى قرب الزوال . قال خليل : وبه انتظر الزوال قال الزرقاني اي لقرب الزوال بحيث يبقى قدر ما يذبح فيه قبله ثلاثيفوت الوقت الافضل في اليوم الاول .

وكثير من الناس لا يتحرون إنتهاء الصلاة فيذبحون قبل صلاة العيد وهم بصنيعهم هذا قد ضيعوا نسكهم من فرط العجلة وعدم العلم بما تفضي به عجلتهم . وكان عليهم ان لا يقدموا على امر حق يعلموا حكم الله فيه والله يقول : فاسالوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون .

وأما سكان القرى والبوادي فلا يتقيدون بآنتهاء صلاة العيد في المدين بل يسمهم الذبح من بعد

طلوع الفجر .

ما يندب في الاضحية

ندب ان يذبح المكلف يده إن كان يحسن الذبح والاشهادها بنفسه وامر غيره بالذبح وندب أن يتصدق من لحم الاضحية بالثلث وله أن يدخر الثلث ويأكل الثلث ويطعم منه أهله وضيفه ولو جعل الكل لنفسه صح لان النسك حصل باراقة الدم . وهذا إذا لم تكن مندورة او وجب التصدق بها بعد أيام النحر فيما إذا أخر الذبح عن وقته . ومن كان ذا عيال لا يندب في حقه التصدق منها . والشاة أفضل من سبع البقر والكبش أفضل من النعجة والاتى من المعز أفضل من التيس وكذلك في الابل والبقر كل ذلك إذا استويا في القيمة والسمن .

ما يكره في الاضحية

يكره بيع جلد الاضحية واعطاء أجرة الجزار منها . قال عليه الصلاة والسلام : يا علي تصدق بجلدها وخطامها ولا تعط أجر الجزار منها شيئا . وجاز ان يستعمل جلدها في مصالحه او يستبدل به بشيء ينتفع به انتفاعا باقيا . ويكره ان يستبدله بشيء يستهلك كلحم وتقود وان فعل شيئا من ذلك يتصدق به . ويكره الانتفاع بلبنها قبل الذبح فلما ان يتركه في الضرع او يحلبه ويتصدق به . وكره جز صوفها قبل الذبح لينتفع به . ويكره لمن عين اضحيته ان يبدل بها غيرها . ويكره ان يكون المباشر للذبح كتابيا لانها قرينة ولا ينبغي أن يستعان بالكافر في أمور الدين . وأما المجوسي ومن لا يدين بدين فيحرم ذبحه لانه ليس من أهل الذبح . وصحت الاضحية عن الميت ونقل الكراهة بعض مشائخنا الا إذا أوصى بها . ثم إن كانت بإذنه يتصدق بجميعها . وإن ضحى عنه الوارث متبرعا بغير وصية منه سابقة فانه يصنع فيها كما يصنع في أضحية نفسه فله ان ياكل ويتصدق . والاجر يكون للميت . والملك يكون للذابح عنه .

وتسقط الاضحية بالفقر الطاري في أيام النحر لان العبرة بآخر الوقت كما تسقط عنه اذا مات في ايام العيد قبل أن يضحي . وإذا أدى المكلف الواجب الذي عليه وضحى بأضحية مستكملة للشروط على الوجه الاتم خرج من عهدة الواجب في الدنيا ويرجى له الثواب بفضل الله سبحانه يوم الجزاء حقق الله رجاءنا وختم لجميع المسلمين بالسعادة إنه قريب محيب

محمد شاذلي بن الفاضل

اسئلة واجوبتها

ورد على ادارة المجلة السؤال الآتي نهما، فاجاب عنهما العالم
الشيخ الحطاب بوشناق المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

(١) - ما هو حكم سجود التلاوة وهل يتكرر بتكرر آية السجدة

(٢) - رجل تشاجر مع زوجته فقال لها انت على ذمة نفسك ولم يرد الثلاث ومضى ثم رجع بعد ساعة وقال لها انت طالق ثلاثا ثم اراد مراجعتها فهل تمضي عليه الثلاث ام تبين منه بواحدة ويحل له ان يراجعها بعقد جديد

الجواب عن الاول : ان حكم سجود التلاوة في مذهب ابني حنيفة رضي الله عنه الوجوب على التالي والسماع سواء قصد سماع القرآن ام لم يقصد وذهب مالك رضي الله عنه الى انه سنة وأخرج في الموطأ بسنده عن عمر رضي الله عنه انه قرأ سجدة وهو على المنبر يوم الجمعة فنزل فسجد وسجد الناس معه ثم قرأها يوم الجمعة الاخرى فتهيا الناس للسجود فقال على رسلكم ان الله لم يكتبها علينا الا ان نشاء فلم يسجد ومنهم وهذا ظاهر في عدم الوجوب. ولا بني حنيفة ما روي عن ابن عمر انه قال السجدة على من سمعها اخرجه ابن ابي شيبة في مصنفه وفي البخاري تعليقا وقال عثمان انما السجود على من استمع. وكلمة على تدل على الوجوب مع ان الآيات التي تشتمل على السجود تفيد الوجوب أيضا لانها ثلاثة اقسام قسم فيه الامر الصريح به كآية النجم وحكم فصلت . وقسم تضمن حكاية استكفاف الكفار حيث امروا به كآية سورة الانشقاق . وقسم فيه حكاية فعل الانبياء السجود كآية ص وكل من الامتنال ومخالفة الكفرة والافتداء بالانبياء واجب لكن دلالتها فيه ظنية فكان الثابت الوجوب لا الفرض . ثم قيل تجب على الفور وقيل على التراخي وهو الاصح لكن يكره تاخيرها كراهة تنزيه هذا في غير الصلوات اما الصلوات فواجبة على الفور ويكره تحريمها كما في الشرع بلالية. واما تكرر السجود بتكرار الآية فنقول فيه تفصيل فان كررها في مجلس واحد كفته سجدة واحدة فالمعلم مثلا اذا املى الآية على تلميذه مرارا في مجلس واحد سجد مرة واحدة وكذا المستملي اذا كررها ليحفظها كفته سجدة واحدة اذ لو تكرر السجود لزم الحرج وهو مرفوع بالنص . وان تلاها في مجلس ثم انتقل منه الى مجلس آخر واعادها فيه لزمه سجدتان لتبدل المجلس ومثله تسميت العاطس اذا تكرر عطاسه فيجب مرة واحدة وما زاد فعندوب ذكره من لا علي القاري وفي امداد الفتاح الاصح انه اذا زاد على الثلاث لا يشمت والله الموفق .

الجواب عن الثاني : الصحيح الذي عليه الفتوى انه تمضي عليه الثلاث ولا يحل له مراجعتها الا بعد زوج آخر وهذه الصورة تعرف عند الفقهاء بواقعة حلب حيث حدث في تلك المدينة ان رجلا طلق

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

كيف نشأت الأرباض حول مدينة تونس

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد ابن الخوجة
المستشار لسدى الحكومة التونسية

في البدء كانت مدينة تونس عبارة عن بلد يعرف في التاريخ باسم ترشيش وهو لفظ محرف عن ترشيش في اللغة العبرية ومعلوم ان اليهود استوطنوا افريقية قبل ان شرق عليها نور الاسلام باحقاب . نزحوا اليها من سواحل الشام وسكنوا بها واتخذوا لهم معابد ومتاجر كانت سوقها نافقة حوالي العصور التي ابتدأ فيها ظهور النصرانية بالشمال الافريقي والنصرانية اعقبها دخول الاسلام لهذه البلاد المباركة سنة ٢٩ للهجرة (٦٤٩ للميلاد) وكانت تونس تعرف في عهد الدولة الرومانية باسم توناس (Tunès) ومنه جاء لفظ تونس وانتحلوا له ما شاءوا من التأويل حتى ان ياقوت صاحب معجم البلدان حشره في المثلثات فقال ان نون تونس تضم وتفتح وتكسر وقد ساعدهم على ذلك جواز اعتبار لفظ تونس من مشتقات الانس الامر الذي تقابلوا منه خيرا ونوه به المؤرخون والادباء السابقون واللاحقون من ذلك الايات المعروفة التي مطلعها :

زوجته طلبة بائنة بلفظ الكناية ثم طلقها ثلاثا في العدة فأفقت بعض الفقهاء بوقوع طلبة واحدة بائنة والغنى الثلاث لانه يفيد الينونة والبائن لا يلحق البائن وأفقت بعضهم بوقوع الثلاث وهو الصحيح كما تقدم لانه طلاق صريح في اللفظ والصريح يلحق البائن قالوا ولهذا لو طلقها على مال بعد ما ابانها وقع الطلاق كما في الخلاصة فللمعتبر فيه اللفظ لا المعنى وفي الخلاصة والبرازية والمحيط لو قال للبائنة انت طالق بائن تقع اخرى مع ان الثانية بائنة في المعنى فالخاصل ان العبرة باللفظ وطلاق الثلاث صريح في اللفظ فيلحق البائن . والبائن الذي لا يلحق البائن هو ما كان بلفظ الكناية وهذا ما اعتمد الكمال في الفتح وتبعه صاحب البحر والنهر والمنح وغيرهم وايداه صاحب الدرر والغرر والشرنبلالي وخاتمة المحققين الشيخ محمد امين ابن عابدين والله اعلم

فتونس تونس من جاءها * وتدرسه حسرة حيث سار
ومنه قول الآخر في ضد الانس المستفاد من اسمها

لعمرك ما الفيت تونس كاسمها * ولكنني الفيتها وهي توحش

وممن افاض القول عن نشأتها ومباني عمارتها وذكر خيراتها وبركات الشرف الادريسي في كتابه نزهة المشتاق ألفه سنة ٥٤٨ هـ . للملك روجير صاحب صقلية ولكن يستفاد من عبارة ابي عبيد الله البكري في جغرافيته وهو من رجال المائة الخامسة ان تونس كانت متمصرة في القرن الرابع لاشتمالها على مميزات المدن الجامعة كالمصانع والاسواق والاسوار والارباض من ذلك رضى باب الجزيرة الذي سيأتي الكلام عليه وكانت الارباض واقعة حول سور المدينة واشهرها رضى باب سوق ورضى باب الجزيرة المذكور ءانفا وكان لهم رضى آخر خارج سور القصبة يسمى رضى حومة العلوج وموقعه بالحمة المعروفة اليوم باب العلوج حيث كانت مساكن النصارى من اهل الذمة في عهد الدولة الحفصية قال الوزير الشراج في الحلل السندسية عند الكلام على دولة السلطان أبي عمرو عثمان الحفصي ان امة كانت من العلوج اسمها مريم فلما بويع ورد عليه اخواله فابسكنهم بالرى الملاصق للقصبة وعرف بحومة العلوج من يومئذ . واعتبر ما في طيات هذا الخبر البسيط من دلائل حذقهم في سياسة الدولة الخارجية لعهدهم لانه يبرهن عما كان لهم من المعاملة الحسنة مع معارفهم وخطائهم الاروبيين ويلوح ان ام السلطان الحفصي المتحدث عنه كانت من ثمرة تلك المغانم الكثيرة التي كانت تقع بايدي الغزاة المسلمين في الغدو وفي الرواح اثناء مفاجأتهم لبعض جزر البحر المتوسط الغربية من البلاد التونسية ولدينا مجموعة معاهدات بنصها العربي فيما كان لبني حفص من العلائق السياسية والتجارية مع بعض الدول الاروية ولا سيما في عهد السلطان ابي فارس عبد العزيز واسطة عقدهم ولولا خوف الاطالة والابتعاد عن موضوع الحديث لتوسعنا في هذا المقام ونقلنا بعضها للقاري مما لم يسبق نشره بتونس .

واعلم ان الرضى في اللغة من معانيه سور المدينة وما حوله من بيوت ومساكن ومأوى للاغنام وبهذا المعنى عرفت الارباض في اصطلاح اهل تونس وهي اي الارباض في الزمن الحاضر رضان رضى باب السوق ورضى باب الجزيرة ولا ثالث لهما بل هما نفسيهما لم يبق منطبقاً عليهما في الحقيقة لفظ رضى لان منطقة حاضرة تونس توسعت جدا في هذا الجيل بحيث إن أسوار المدينة وما حولها من المساكن صارت كلها او جلها داخلية ضمن تلك المنطقة بفضل التوسع في المباني والمساكن الانيقة المحدثنة على الطراز الجديد حوالي مدينة تونس وأرباضها هذا وقد كان اهل الحاضرة في القديم

منقسمين ادريا لثلاثة أقسام قسم المدينة وعلى رأسه شيخ المدينة الذي هو عميد السكان وقسما راضي باب السوق وباب الجزيرة ولكل منهما شيخ مستقل بامرته وكان اعيان كل قسم يتقدم بهم شيخهم عند دخولهم على امير البلاد في مواكب الرسمية هكذا كان نظامهم في عهد الدولة الحفصية وفي عهد المراديين وفي مدة هذه الدولة السعيدة منذ زمن المولى حسين بن علي مؤسس بيت الملك الحسيني خلد الله بقاءه ولم يعدل عن هذه الطريقة الا في اواسط دولة المقدس المولى علي باي الثالث فكان شيخ المدينة امير اللواء السيد محمد العصفوري عميد العامة السكان المسلمين في حاضرة تونس بدخول شيخي الرضين المشار اليهما وصارت خطتهما باثر ذلك اسما بلا مسمى وصاحبها حشرا في زمرة رجال الحاشية السنية ويستفاد من كتب التاريخ ان شيخ رضى باب السوق كان من اصحاب الحول والطول في عهد الدولة الحفصية قال في المونس ان الامير ابا عبد الله محمد بن ابي محمد الحسن الحفصي بعث محمدا الغريبي رسولا الى السلطان الغوري صاحب مصر فارسل له الغوري هدية منها الزرافة وكان الغريبي شاخ باب السوق فخافه محمد فقتله غدرا اه

بقي علينا التعريف بمسميات الرضين المشار اليهما اعلاه يعني باب السوق وباب الجزيرة فباب السوق كان عبارة عن باب كبير فاصل بين سوق يعرف اليوم بالسوق المسقف وبين سور المدينة واما لفظ سوق فقد جاء ذكره في مواضع كثيرة من التاريخ الاسلامي قال ياقوت في كتابه «المشترك وصفا والمفترق» صقعا «سوقه سبعة عشر موضعا وهي بضم السين وفتح الواو بلفظ التصغير لها معنيان احدهما ان تكون تصغير سوق البيع والشراء والاخر ان تكون تصغير الساق وهي القارة المستطيلة تشبه ساق الانسان فما كان من ذلك في البوادي فهو من هذا وما كان في المدن فهو من الاول اه . ثم ذكر السبعة عشر موضعا منها سوق حجاج وسوق خالد بن برمك وسوق العباسية اخت الرشيد الى اخر العدد فكان منها عشر سويقات ببغداد وقد وقفت في بعض أسفاري للمغرب الاقصى على أماكن باسم سوق كما بتونس والمشرق ومن التعريف الذي ذكره ياقوت ينجلي صبح الحقيقة في فهم اسم باب السوق بتونس فلفظ باب واضح وفعلا كان هنالك باب من خشب كما قدمنا وهذا الباب مسحته يد الزمان في جملة ابواب الحارات الكثيرة التي كانت داخل احياء الحاضرة وكان ذلك في عهد الدولة الصادقية بعد تأسيس المجلس البلدي بسنوات ومعلوم ان المجلس البلدي حدثه المشير محمد باي في سنة ١٢٧٥ وكانت وفاته في العام بعده واما لفظ سوق فانه تصغير سوق بما لا شك فيه وقد ورد في كتاب «ابتسام الغروس» انهم كانوا يسمونه في الدولة الحفصية سوق عساكر ومما يؤيد ان سوق مصغر سوق كونهم كانوا يسمونه ايضا باب السواقين في المائة الرابعة ولفظ

سواقين جمع سواق الرجل الذي يرد على السوق ساعة ارتسامه للتزود منه وما زال هذا الاستعمال معروفا حتى اليوم في اسواق البوادي ويستفاد من عبارة مرسوم ملكي صدر من المعز بن باديس سنة ٤١٠ في الوصاية برعاية حرم ولي الله الشيخ المربي سيدي محرز بن خلف ان في جملة ما اوصى به ذلك الامير الصنهاجي احترام سوقة الشيخ رضى الله عنه واليك محل الحاجة منه قال : بعد مقدمة فاخرة « فاقضى النظر بهذا الظهير لجماعتكم وحفظكم ورعايتكم وحمايتكم ووو... وحررم دياركم وسوقتكم الخ » ومما تقدم يظهر وان السوقية المضافة للباب ليس هي الا السوق المسقف الموجود الان بين بطحاء باب السوقية والزاوية المحرزية ويكون هذا السوق من أقدم اسواق تونس ان لم يكن اقدمها كلها وان المهيمن عليه في اوائل المائة الخامسة هو سيدي محرز بن خلف الذي كان من رجال الصلاح الشرعي والاصلاح الاجتماعي في زمنه ناهيك انه الذي سعى في اتمام اسوار مدينة تونس وكان إحداثها على عهد بني الاغلب امراء القيروان كما انه هو الذي سمح لليهود بسكنى الحاضرة وكانوا يسكنون الملاسين يدخلون لتونس للاشتغال بها في النهار ويبارحونها عند الغروب للمبيت خارجها . واما باب الجزيرة فانه كان معروفا بهذا الاسم حوالي المائة الثالثة على ما يستفاد من بعض تواريخ تونس قال ياقوت باب الجزيرة خمسة عشر موضعا سماها بمواقعها الجغرافية وقال في عاشرها باب جزيرة شريك (بفتح الشين وكسر الراء) بافريقية بين سوسة وتونس فهذه الجزيرة التي هي في الحقيقة الجغرافية شبه جزيرة ليس هي الا دخلة المعاوين وتعرف في الاصطلاح الاداري باسم الوطن القلي وقاعدتها نابل وفيها يقول الاديب الشيخ محمد التطاوي المتوفى سنة ١٢٩٦ ضمن قصيدة فريدة

تجمعت الاهواء فيها فحينما حلت تلقاك الهوى بقبول

ومنها في الاشارة لواد السحير وحسن مناخه

فياوادي السحير رواك صيب كدمع لذي شوق اليك طويل

هذا ومعلوم ان باب الجزيرة هو الذي كانوا يعبرون منه لجهة الوطن القلي اي جزيرة شريك قبل حدوث باب علاوة في اواخر الدولة المرادية كما كانوا يعبرون من باب قرطجة لجهة قرطجة والمرسى وحلق الوادي وكان اسمه في القديم فم الوادي . وليس بين الفم والحلق غير الله فاحذر الله . وكان موقع باب الجزيرة فيما نقله بعض الشيوخ المعمرين بمتهى نهج الصباغين حيث قهوة اللوح الموجودة لهذا اليوم وخارج الباب كان سور المدينة وحوله مساكن الرض المنسوب اليه ويستفاد من حديث المؤرخ الشيخ ابن ابي دينار ان هذا الرض كان متلوح الاطراف في اواخر الدولة الحفصية واشتهر امره بحدوث معركات وملاحم حصلت اثناء الاحتلال الاسباني لتونس وفي تلك الايام كان ظهور

تراجم عظمائنا

الشيخ احمد كريمة

نسبه

هو شيخ الاسلام احمد بن محمود بن عبد الكريم المشتهر بكريم - بصيغة التصغير - وهو من سلالة الجنود الاتراك المنبثة أسماؤهم في دفاتر الاكشارية بتونس . وكان والده من اواسط الناس يشتغل بالتجارة في الزيب . وأمه ابنت الحاج مصطفى بن عبد الكبير ابن شيخ الاسلام يوسف درغوث الثاني .

نشأته الاولى

ولد رحمه الله ليلة السابع والعشرين من صفر سنة ١٢٤٣ كما هو مثبت بخطه وكانت ولادته بدار والده بجومة بير الحجار (نهج الباشا) وتربى بين يدي والديه الى ان بلغ سنه خمسة اعوام فصار يتردد على مكتب القرآن الواقع قرب جامع قدوار حيث ابتدأ حفظ القرآن الكريم على مؤدبه المرحوم الحاج محمد بن المهدي ثم انتقل الى الاخذ عن المرحوم الشيخ محمد ذهب بدار خاله المرحوم محمود درغوث وعليه أتم حفظ ما تيسر له من القرآن الكريم والمتون التي يبتدأ بها في طلب العلم .

طلبه العلم

شرع في طلب العلم سنة ١٢٥٨ وكان في مبتدأ امره ياخذ مبادي النحو والفقه الحنفي بجامع الزيتونة عن الشيخ حسن ابن الخوجه ومبادي التجويد عن الشيخ محمد الستاري بمحله بالحفصية

باب الفله نسبة لفلة كانت بسور البلد وفي باب الجزيرة يقول امام البلاغة الورغي وهي خاتمة الحديث

سقاك الغيث يا باب الجزيرة	فكم جازتك من حورا عطيرة
تعمل إذا مشت كالسرو هبت	عليها الريح من ارض مطيرة
ويرجع كل ذي عين رءاها	بكف عن تناولها قصيرة
إذا ما قال ذو طمع لمن ذا	تقول ... لمن دراهمه كثيرة

محمد بن الخوجه

والفرائض عن الشيخ حسن فرشيش والتوحيد عن الشيخ محمد القسنطيني بجامع سيدي نصر بن عالية ثم أخذ النحو بشرح الاشموني على الخلاصة والبلاغة بشرح السعد المختصر على التلخيص عن الشيخ محمد ابن عاشور والمطول على اخيه الشيخ محمد الطاهر بحاشية عبد الحكيم وحاشيته عليه المسماة بالغيث الافريقي كما أخذ عنه الاصول بشرح المحلي على جمع الجوامع وحاشيته عليه والفقه المالكي بشرح الخرشبي على المختصر الحلبي ونبذة من صحيح مسلم وأخذ الدرر عن الشيخ محمد معاوية ثم عن الشيخ محمد بن الخوجه واخذ عنه صحيح البخاري مع اجازته فيه مشافهة بجامع محمد باي المرادي قبالة مقام الشيخ محرز وحضر درس الموطا على الشيخ ابراهيم الرياحي بداره والبيضاوي على الشيخ محمد بن سلامة بحاشيته على خطبته وروى عن العدل الشيخ عثمان الحشايشي الشريف كتاب الامداد لعبد الله بن سالم البصري من طريق الشيخ محمد صالح الرضوي البخاري كما يروي الصحيحين من طريق هذا الشيخ بالسند الجامع بينهما عن الفربري بالاجازة المؤرخة بشوال سنة ١٢٧١ . ولم ينقطع عن دروس شيوخه الا بعد سنة ١٢٧٧ وكان اكثر تحصيله واعتماده على شيوخه سيدي محمد ابن الخوجه وسيدي محمد الطاهر ابن عاشور وهما اللذان لهج بذكرهما في كتبه وتجاريره وكان يلقب اولهما بشيخنا الاكبر وثانيهما بشيخنا القاضي الشريف .

تدريسه

انتصب للتدريس بالجامع الاعظم بصفة مدرس من الطبقة الثانية في ربيع الاول سنة ١٢٦٥ وارتقى الى خطة التدريس من الطبقة الاولى في جمادى الاولى سنة ١٢٦٧ وقرأ في مدة تدريسه كتابا مهمة كفتح القدير ومنظومة المحي المسماة بعمدة الحكم وشرح السعد المختصر على تلخيص المفتاح وقصيدة بانث سعاد بشرحه عليها . واستمر على التدريس بعد ولاية الفتيا وقرأ في هذا الطور تفسير البيضاوي والدرر والتنقيح لصدر الشريعة والمغني والاشموني وشرح القسطلاني على البخاري وهو آخر دروسه . وقد تخرجت عليه من هذه الدروس طبقات عديدة ممن وصفهم رحمه الله بقوله

« جباذة نحارير وتلامذة فحول في المعقول والمتقول » فمن اقدم هذه الطبقات العلامة المفتي

الشيخ محمود بيرم رحمه الله ومن اوسطها العلامة المفتي سيدي محمود بن محمود رحمه الله وهو من اوثقهم صلة بالترجم واشدهم تأثرا به وشيخنا الاستاذ الاعظم شيخ الاسلام سيدي محمد بن يوسف أمتع الله ببقائه والعلامة القاضي الشيخ اسماعيل الصفايحي والعلامة المفتي الشيخ محمد جعيط والعالم الكاتب الشيخ محمد السنوسي والعالم الكاتب الشيخ حمودة تاج واخوه العالم الكاتب الشيخ عبدالعزيز

رحم الله جميعهم ومن أحدث هذه الطبقات استاذنا الجليل العلامة مفتي سيدي ابو الحسن النجار حفظه الله

حياته العائلية

تزوج في حدود سنة ١٢٧٣ بائنة خاله المرحوم محمود ابن الحاج مصطفى درغوث وولد له فيما بين سنة ١٢٧٤ وسنة ١٢٨٧ تسعة اولاد بين ابناء وبنات وماتوا جميعا وما بلغ احدهم الحلم

حياته العامة

كان من اكثر علماء عصره اشتراكا في الحياة العامة فباشر خطة العدالة منذ سنة ١٢٦٣ وفي ١٤ شوال سنة ١٢٧٧ انتخب للمشاركة بصفة نائب رئيس في مجلس الجنابات والاحكام العرفية عند تاسيس بمقتضى قانون عهد الامان للحكم في غير نوازل الاستحقاق والحالة الشخصية التي استثنائها الفصل الحادي والعشرون من قانون تاسيسه وابقاها للمجلس الشرعي

وقد اقتضى الفصل الثاني من قانونه ان (من شروط الانتخاب العلم والوجاهة »

وقد اظهر في مباشرة وظيفه من البقطة وسمو المدارك وسعة المعلومات ما جعله عمدة من عمد ذلك الطور الاصلاحى الزاهر وألفت نهضة نظير الدولة فقلدته في شوال سنة ١٢٨٠ خطة الفتاوى المذهب الحنفى مع ترقبته الى رئاسة مجلس الجنابات واستمر عليها الى ابطال المجلس سنة ١٢٨١ بعد الحوادث الشيرة . فتفرغ لمنصب الافتاء العظيم الشأن وباشرة بسعة نظر وتحقيق للنشاط ونزوع الى المدارك والانظار الاصولية وطالما ستأنس لما يعتمد عليه أو يرجحه من فروع الفقه الحنفى بما جرت عليه فتاوى المحققين من المالكية لا سيما شيخه القاضي الشريف الذي درس عليه الفقه المالكي لذلك كان رحمه الله مرجع المستفتين في الصور الفريفة والمسائل الحادثة التي قضى بها تطور البلاد يومئذ وكان معتمد الدولة في كثير مما جرى عليه عملها من التصرفات الشرعية وسن القوانين وله فتاوى كثيرة مهمة في الارشاد الى صور اعمال الكتاب التوثيقية المحررة على اصول المذهب المالكي في سير النوازل لدى القضاء الحنفى وفي ثامن ذي الحجة سنة ١٣١٣ تقلد مشيخة الاسلام خلفا عن العلامة شيخ الاسلام احمد ابن الحوجه وكان اول من لقب في نص ظهير ولايته بشيخ الاسلام فباشرها بمقدرة فائقة وتدقيق للاجراءات الحكمية والبراعة في تطبيق احكامها وجمع كلمة رجال الفتوى بخلفه العظيم . وقد اعان رحمه الله بحييته السامية على تنشيط الحركة الفكرية فكان من المنشطين للجمعية الخلدونية وتفضل بالانخراط فيها بصفة عضو مؤسس . وقد شارك رحمه الله في الحياة العامة واعطاها شارك فيها مفتيا فقد اولاه المشير الثالث قدس الله روحه خطيبا بالجامع الحسينى المعروف

بالجامع الجديد في رمضان سنة ١٢٨٤ ققام على منبره بالوعظ البالغ والقول الرشيق وتناول بخطبه الوحيزة البديعة وقائع الاحوال الجارية يومئذ بالبلاد

وفاته

لم يكد يمضي العام على ولايته مشيخة الاسلام حتى امتدت يد المنية تهدم بموته عليها من اعلام الدين فقد اصيب رحمه الله فجأة بداء السكت يوم الخميس ٣ محرم سنة ١٣١٥ بمحل اقامته الربيعي بمنوبة . وفي ضحي يوم الاحد السادس من المحرم الموافق للسادس من جوان ١٨٩٧ حلت أنقضية الزكية . وفي مساء ذلك اليوم نقل جثمانه الطاهر الى منزله بتونس حيث احتفل بجنازته صباح الاثنين في موكب مشهود شهده ملك البلاد المولى المقدس علي باشا الثالث وكان دفنه بمقبرة الجلاز .

اخلاقه وادبه

كان عالي الهمة واسع الصدر طلق المحيا عظيم المهابة سمحا كريما قريب النجدة رقيق الدوق طاهر الذيل بعيدا عن التكلف ميالا الى مجالس الادب والانس . يعدم من اعيان ادباء عصره شعرا وترسلا وأبدم آثاره الشعرية مقاطيع في وقائع احوال تغلب عليها النزعة الغزلية وتسدور فيها اسماء الاشخاص الاحياء والاماكن الماثلة بما يناسب الاغراض بطرق التصريح والتلميح والتورية والتطريز فمن بديع شعره قوله موريا :

قالوا بك الحولا التي عن حبها لم تعدل

قلت اعدروا او فاعدلوا لا حول لي في الاحول

ومن ألطف شعره وأسيره القطعة المطرزة المشهورة عند المنشدين وطالما

تمتع بها واخلى عذارك في الهوى ودونك من ثغر المليحة ما حوى

ومن بديع ثرة قوله في خطبة شرحه على بابت سعاد هذه سواجع الحاني بالثناء عليك

صادحة وهواجع احفاني اسماء نيلك طامحة وبوارق عرفاني بالتقرب اليك طافحة وسوابق آمالي بريف تهتانك غادية رائعة)

تأليفه

كان من اكثر رجال عصره انتاجا واميلهم الى التدوين فخلف تراثا طيبا من تحايزه العلمية في للتفسير والحديث والفقه والمواعظ والبلاغة والنحو والادب . فله في التفسير سيم السحر في تفسير ما اعرب الازهري من السور وله في الحديث نحو العشرين تعليقا على احاديث من صحيح البخاري القاها بدروس الاحكام الرضائية بالجامع الجديد وله في الفقه الكونز الفقهية على من المحية وسماعه

الادب

☆
يا نشء باجة

المسلمون مع النوى قرياء	المسلمون بناة كل فضيلة
شادت بمدحهم العصور فاطربت	وعلت لعرشهم الملوك أدلة
خفقت على الغريين راية ملكهم	بالعدل رف لواؤهم فوق السها
هذا الاديم محدث بفخارهم	آثارهم درر على جيد الدنيا
هم في المفاخر أنجم وضاءة	نعم الحديث حديثهم ولنعم ما
قوم على الايمان شادوا ملكهم	
والمسلمون اخوة وولاء	
والمسلمون أعزة كرماء	
وتحدثت بعلاهم الآناء	
وتمسحت بحماهم العظماء	
فهمت على اهليهما الآلاء	
فأوت لوارف ظله العلياء	
والخافقان وتلكم الزرقاء	
وخلالهم من بينهن سناء	
تتجاف من لالائها الظلماء	
شادت به الاخبار والانباء	
وبنوا على أسس الهدى ما شاءوا	

ايضا عدة الاحكام على عمدة الحكماء في جزأين شرع فيه على عهد المشير الاول وأتمه بعد الثلاثمائة ومجموع فتاواه قبل مشيخة الاسلام سماه الفتاوى الاحمدية ورسالة في المحاكمة بين الشيخ لطف الله والشيخ البارودي في مسألة قضاء الفوائت وله في المواعظ مجموع خطبه وله في النحو مزاخر المواكب على زواهر الكواكب وهي حاشية على حاشية الشيخ ابن سعيد على الاشموني جمع فيها تقريرات شيخه سيدي محمد ابن عاشور واخيه سيدي محمد الطاهر وله في البلاغة حاشية على خطبة مختصر السعد وله في الادب شرح بانة سعاد واسمه حامي الحمى بشرح قصيدة كعب بن زهير بن ابي سلمى وديوانان لشعرة سمي احدهما السحر الحلال وديوان لاشعار شيوخته واكثر هذه الكتب مبيضة بخطه الجميل رحمه الله رحمة واسعة وتقبله قبول الرجل الذي اوتي الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس

محمد الفاضل ابن عاشور

☆ هذه القصيدة التي خاطب بها مدير هذه المجلة شباب باجة الناهض في الاحتفال الذي اقامه فرع الشبان المسلمين بتلك المدينة يوم ٢٣ من الشهر المنصرم .

ساروا على المثلى بسيرة واحد
حتى اذا حم القضا وتفرقت
واريع دين الله في حرمانه
ذهب الآله بملكهم وتمزقت
ذكراهم تذر المحاجر هطلا
إن الزمان زمان إنتاج وهل

سعي بني الاسلام نحو سعادة
سعي الى مسعى الفلاح بعزيمة

يا أيها الشبان يا نسل الاولى
يا نشء باجة يا شباب بناتها
هل هبة لمكارم تشفي الضى
اني أحس برجة قومية
همم الشباب عن الهدى مصروفة
للغرب تتجه السفائن شرعا
حمر الحواصل ما لهم من عدة
حرموا علوم الدين والاعية التي
لم يعرفوا الاسلام الانسية
جهلوا اسجاياه الكريمة فانشنوا
ويح الذي فقد المروءة والحجا
ينبو عن المثلى فيحسب ان ما
مدينة لكانها موت لمن
من للعقول بمصلح يسمو بها
من للشباب بنهالة علمية
فرهت بازهار العلوم رياضه
بيدو جلال الدين فوق قبايه

يا ايها الشبان عوا قولي ففي
والله يسعف تونسنا ويحفها

والاتحاد سعادة وهناء
كلياتهم وتخاذل الامراء
وتبدلت في فضله الآراء
من أجل ذاك الراية السوداء
لكن أينفع في المصاب بكاء
يجدي بكاء او يفيد رثاء

تسمو بها الابناء والآباء
اولاكموها الاعرب العرباء

بعلائهم عرفتهم الغبراء
هل هممة عربية قعساء
هل نهضة تسمو بها الحضراء
يجتث منها الرأس والاعضاء
فكانهم ببلادهم غرباء
وبها بنات العرب والابناء
ترعى بها الطفرات والاهواء
بهتت بسحر بيانها البالغاء
تعزى لها الالقاب والاسماء
وهم لها ولحزبها اعداء
فتشاكنت من حوله الاشياء
يسعى له مدينة غراء
ملكت غنان اموره الاحياء
من قبل ان تستفحل الادواء
من معهد هطلت به الانواء
وتعطرت باريجها الارحاء
وتلوح من محرابه الاضواء

كلي برور خالص وولاء
برضائه ما دامت الاشياء

الطاهر اليقصار

المكتبات

عناية الامم الحية بها وتفریطنا فيها

- ٢ -

دعانا لتحرير ما تقدم ما عليه المكتبة الصادقية - العبدلية - ومكتبة الجامع من التأخر المزري والانحطاط المشين . ذلك ان كلا هتين المكتبتين كانتا من تاريخ تأسيسهما الى ما قبل عهد الاحتلال الفرنسي بقليل في نمو مطرد بفضل عناية بعض الملوك والوزراء وثلة من أهل النبالة والفضل . ويرجع الفضل في المكتبة الاولى الى مؤسسها المولى ابي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد السعيد الحفصي المنولي سنة ٨٩٩ هـ وهو الذي تنسب اليه فأعمرها بنقائس العلوم وجيل المحررات وأوقف عليها أوقافا جليلة وجعل لها نظارا يقومون بتسهيل الانتفاع بها وأوكل امرها لامام الجامع الاعظم يومئذ ابي البركات ابن عصفور واطن انه ضم اليها محتويات المقصورة الشرقية بالجامع المذكور (١) التي بناها ابو عمرو عثمان ابن محمد ابن منصور ابن ابي فارس المتولى سنة ٨٣٩ فقد اوقف بها شيئا كثيرا من الكتب القيمة ثم أوقفت عليها في القرن العاشر كتب اخرى اوقفها بعض من كان لهم عطف على ذلك المشروع وفي ظني ان ما أخرج من هذه المكتبة بعد تأسيسها اكثر بكثير مما دخل اليها ناهيك انها بلغت في عهد المولى ابي فارس مفخرة بني حفص الى ما يقارب الثلاثين الف مجلد كانت مكدسة بعضها فوق بعض (٢) اما اليوم فلا تحوي اكثر من سبعة آلاف مجلد وفي زمن المشير الثالث محمد الصادق باي حبس المصلح الكبير والوزير الخطير خير الدين شيئا كثيرا مما وصلت اليه يده من نقائس الكتب ولما توفي النعم المبرور الشيخ يرم الرابع اشترى اهم كتبه الوزير مصطفى بن اسماعيل وحبسها على مكتبة العبدلية كما وضع فيها الكثير من كتب محمد خزندار والقائد عصمان . ومن ذلك التاريخ الى الآن لم تقدم المكتبة المذكورة تقدما يليق بها كمكتبة كبرى وان ما يوجد بها من النزر اليسير من بعض الكتب التي أخرجتها المطابع الشرقية يرجع الفضل فيه لاثنتين او ثلاثة من اهل العلم قد ادركوا حاجتها لذلك فأولوها من عنايتهم - وصل الله سعيهم - ما امكن كما ان الوزارة الكبرى كانت بين الآونة والاخرى - بعد جهود ومسايعي - تشتري بعض الكتب المطبعية القليلة او بعض نوادر المخطوطات وهذا اقل من القليل

(١) تنسب الى الشيخ محرز بن خلف فرغ من بنائها في رجب سنة ٨٥٤ هـ من الزركشي ص ١٢٨ (٢) أوقف ابو فارس هذه الخزانة سنة ٧٩٦ هـ في الجامع وجمع فيها أنفس الكتب للدونة في العلوم الشرعية والعربية واللغة والطب والحساب والتاريخ والادب وغير ذلك وفي سنة ٨٢٢ هـ امر بعمل بيت الكتب بمحبة الهلال تحت الصومعة وفرغ منها في اواخر ربيع من العام المذكور ووضع جميع ما عنده فيها من الكتب وجعل لها خدمة وامر أن تفتح كل يوم من اذان الظهر الى صلاة العصر وحسب عليها اجاسا لما تحتاج اليه هـ من الزركشي ص ١٠١ - ١٠٩

العام الإسلامي

المسلمون في فينلاندا

بقلم الاستاذ عثمان الكعاك
المدرس بالمدرسة العليا للاداب

٢

القانون الاساسي للامة الاسلامية في فينلاندا

- ١ - ان الاشخاص الذين يدينون بالديانة الاسلامية ويسكنون القطر الفنلاندي ويخضعون في حياتهم العملية للاصول المقررة سابقا (انظر العدد الرابع من هذه المجلة) يكونون امة (جالية) مستقلة على سدة.
- ٢ - تتركب هذه الامة من اعضاء عاملين ومن اعضاء لم يبلغوا بعد سن الرشد .
- ٣ - الشرط الاساسي للانخراط في سلك العضوية ان يكون الشخص مسلما مؤمنا . وعلى كل عضو ان يساعد الامة على تحقيق الغايات التي تسعى اليها . وتقع تسمية العضو باقتراح من لجنة الامة التنفيذية
- ٤ - يبلغ الاحداث سن الرشد حينما يدركون الثامنة عشر من العمر . ولا يصيرون اعضاء

حقا انه لا امر مخجل مزر بكرامة المكتبة اذ كيف يعقل ان مكتبة مثل العبدلية في نفاستها لا يدخلها في العام سوى اعداد لا تتجاوز العشرة تصل على يد اهل المبرة والفضل اذ كيف يعقل ان مثل تلك المكتبة لا يوجد بها معجم لغوي مثل المخصص لابن سيده . اذ كيف يتصور ان مكتبة كهذه ليس بها نسخة مطبوعة من شرح ابن حجر على البخاري بل كيف يجيز الفكر ان مؤسسة عليية هي قبة العصر الباحثين في هذه الديار لا توجد بها دوائر المعارف العامة والمراجع التاريخية التي لا غنى عنها في هذا انظار . تلك هي حال المكتبة العبدلية أما المكتبة الثانية مكتبة الجامع فمن تأسيسات المشير الاول احمد باشا فقد كانت لهذا الامير عناية بحركة التعليم ظهرت في تنظيمه التدريس وعطفه على اهل العلم واهتمامه بتأسيس مكتبة تليق بمثل جامع الزيتونة فجمع ما كان متفرقا في الجوامع الاخرى والمدارس داخل الحاضرة وخارجها وجعل مقرها جامع الزيتونة وضم اليها مكتبة مسجد بيت الباشا المكونة مما جمعه الامير علي باشا واستنسخه من نفائس مكاتب الشرق . كما ضم اليها كتب حسين خوجه وغيره من رجال العلم والسياسة وأوكل نظرها الى وكيلين يرجع نظرهما لامام الجامع . وفي سنة ١٢٩١ اضيف اليها بعد محاسبة الوزير خزنة دار نحو الست خزائن من نفائس ما جمعه ذلك الوزير برسم خزانته الخاصة كما اضيف اليها الكثير من كتب الال بيرم . ولا اعلم بعد ذلك ان هناك من اوقف جملة صالحة من الكتب على هذه الخزانة سوى المرحوم الشيخ بزم السلامي الذي اوقف خزانتيهما جملة ما بقي من خزانة نادرة ، او بعض افراد من اهل المبرة . (يتبع)

محمد الشاذلي العنابي

عاملين الا عند بلوغ هذه السن فقط . وقبل الانخراط في سلك الامة بصفتهم اعضاء عاملين ينبغي ان يختبرهم الامام في معارفهم الدينية وهل هي كافية ام لا .

٥ - الاعضاء العاملون فقط لهم الحق في المشاركة في تسيير شؤون الامة .

٦ - للامة الحق في اقضاء احد الاعضاء اذا اتضح انه غير مرغوب فيه . ويتم هذا الاقضاء بالثلثين من اغلبية اصوات الاعضاء العاملين الحاضرين . ويبلغ قرار الاقضاء برسالة . وللعضو المبعد حق الاستئناف لدى اللجنة التنفيذية في اجل ذي ثلاثين يوما ابتداء من تاريخ وصول الرسالة . وقرار اللجنة يكون دائما نهائيا .

٧ - ينتخب للجنة التنفيذية والمؤسسات الادارية الاعضاء العاملون الجديرون بالثقة . ولا يقوم بخططي الامامة والتدريس الا من رشحته اللجنة التنفيذية لذلك .

٨ - على الامة ان تؤدي فريضة صلاة الجمعة . واللجنة هي التي تعين ايام الاعياد الاسلامية والقومية .

٩ - تسيير شؤون الامة موكل الى اهلية الجلسة العامة . وتجتمع اللجنة كلما دعت الحاجة الى ذلك او باقتراح ممضى من خمسة اعضاء . ويقع استدعاء الاعضاء المقيمين خارج هلسنكي (العاصمة) برسالة مضمونة الوصول باجل قدرة ١٤ يوما على الاقل قبل انعقاد الجلسة العامة . اما الاعضاء المقيمون بمدينة هلسنكي فانهم يستدعون في ظرف ثمانية ايام على الاقل سالف تاريخ الاجتماع بواسطة اعلام ملصق بمائدة خاصة موجودة بقاعة الاجتماع .

١٠ - تعقد الجلسة العامة مرة في السنة في شهر فيفري .

١١ - لكل عضو صوت واحد وتتخذ القرارات بالاغلبية البسيطة . وفي صورة ما اذا تساوت الاصوات يكون صوت الرئيس مرجحا . اما القرارات المتعلقة بالمسائل الدينية فانها لا تتم الا باغلبية الثلثين من الاصوات . والاقتراحات المرسومة بمحضر الجلسة والمتعلقة بالمسائل الدينية يجب ان تقدم للجنة في ظرف اجل يقدر بشهر قبل التاريخ المعين لانعقاد الجلسة العامة .

١٢ - ان القرار المتعلق بحل هيئة الامة لا يمكن اتخاذه الا باغلبية خمسة اسداس الاصوات وفي صورة ما اذا تم انحلال فان جملة ممتلكاتها ترجع الى الجمعية الخيرية .

١٣ - يفتتح الجلسة العامة رئيس اللجنة . وتدوم خطة هذه اللجنة ثلاث سنوات . ويعين افرادها من بينهم رئيسا وكاتبا عاما على مدة سنة .

١٤ - تجتمع اللجنة باستدعاء من الرئيس ويمكن لها اتخاذ القرارات لمجرد حضور ثلاثة اعضاء . ويجب التثبت من محضر الاجتماع في كل جلسة يعينها .

اللجنة مكلفة بتدبير شئون الامة مع مراعاة مصالحها كل المراعاة وبدون ان تحيد عنها قيد انملة وهي مكلفة ايضا بتدبير شؤونها المالية كما انه موكل اليها ان تنفذ قرارات الجلسة العامة .

١٥ - رئيس اللجنة هو الذي يمثل الامة قانونيا واذا غاب فينوبه الامام . ولهما وحدهما الحق دون غيرهما في وضع امضائهما باسم الامة

١٦ - كل عضو من اعضاء اللجنة يقع اتهامه في قضية من مشمولات انظار المحاكم الجنائية يقع طرده من اللجنة في الحال . ثم يقع اتخاذ قرار في هذا الشأن . ولذلك العضو المبعد ان يستأنف لدى الجلسة العامة الذي يجب استدعاؤها بدون ادنى تأخير . وهي تستطيع ان تبطل قرار اللجنة باغلبية الاصوات . وكل عضو من اعضاء اللجنة اخل بواجباته او سار سيرة غير مرضية يمكن رفعه من اللجنة باغلبية ثلاثة ارباع الاصوات .

١٧ - مصاريف الامة غير الاعتيادية يقع تسديدها بتبرعات اختيارية . واذا اقتضت الحال فتوظف ضريبة على نسبة قابلية كل فرد .

١٨ - تكلف لجنة مراجعة بتحقيقات حسابات التصرف في مدة قدرها ١٥ يوما .

١٩ - الزواج بين افراد الامة يقع الاحتفال به على مقتضى السنه المحمدية . وكذلك كل ماله مساس بالمؤسسات الدينية .

٢٠ - ويقع الدفن بحسب ما تأمر به مقتضيات الدين الاسلامي ويدفن الموتى بالمقابر التي يختارها اهل الهالك وهي المقابر الاسلامية بصفة عامة .

٢١ - يجب اعلام الامام بدون ادنى تأخير بما يحدث من ولادات ووفيات .

٢٢ - قد اوكلت وزارة المعارف الى عناية الامة شؤون تعليم ابنائها . وعليه فان اولياء التلاميذ مطالبون بالامتنال للقوانين التي تقرها الامة وتسديد مصاريف التعليم كل بحسب استطاعته .

٢٣ - لغة الامة الرسمية هي اللغة الفنلاندية ولكن يجوز استعمال اللغة الوطنية - وهي التركية - في الجلسات .

٢٤ - في صورة ما اذا يشجر خلاف بين الافراد فان كل شق يعين عنه نائبا . وهؤلاء النواب يسعون في تسوية الخلاف بتأليف لجنة ينضم اليها شخص آخر بصفته رئيسا . وعلى الاعضاء المتخاصمين ان يخضعوا لقرارات هذه اللجنة فاذا لم يعين الاعضاء النواب في ظرف ثلاثين يوما او اذا لم يتفق الاعضاء المنوبون على اختيار رئيس فان اللجنة تعين النواب والرئيس .

٢٥ - الصور والفقرات التي لم يأت بها هذا القانون الاساسي يقع فضا بمقتضى القانون

الصادر في حرية الاديان المؤرخ في ١٠ نوفمبر ١٩٢٢ (للبحث بقية)

حرر بمدينة هلسنكي في ٢٤ افريل ١٩٢٥

وزير المعارف العمومية

الحركة العلمية والدلالية

الاحتفال بذكرى الشيخ رشيد رضا

لما توفي العلامة الجليل المرحوم الشيخ رشيد رضا في العام الماضي ارادت جمعية الشبان المسلمين بتونس ان تقيم حفلة لتأبينه . فدعت الى ذلك . واتصل رئيسها السابق الشيخ الصادق بسيس ببعض مشاهير الشرقيين كتانيا ورغب منهم ان يشاركوا في الحفلة التي ستقام بتونس بارسال كلمات تلقى على لسانهم في حفلة التأبين . فاجاب دعوته لذلك حضرة امير البيان شكري ارسلان . وحضرة السيد محب الدين الخطيب صاحب جريدة الفتح . وحضرة الدكتور يحيى الدرديري رئيس تحرير مجلة الشبان المسلمين بمصر . ثم قامت موانع حالت دون وقوع تلك الحفلة . ثم لما زالت تلك الموانع عازمت الجمعية على اقامة تلك الحفلة في هذا العام . ودعت اليها وهيأت لها اسبابها . وفي يوم الجمعة ٩ قعدة ١٣٢٢ جانفي المنصرم اقيمت الحفلة المذكورة بقاعة الاجتماعات الكبرى في قصر (بوضربة) قصر الاجتماعات الفرنسية الآن (واقبل الناس على حضورها افواجا حتى غصت بهم القاعة على اتساع ارجائها . وقد كانت الحفلة تحت الرئاسة الشرفية لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي صالح الماقي شيخ الجامع الاعظم وفروعه . ولكنه اعتذر عن الحضور في اخر وقت بسبب مانع طرأ عليه . فترأس الحفلة نائبه الشيخ سيدي محمد العزيز النيفر . ابتدأت الحفلة على الساعة الرابعة ونصف . واقتتحت بتلاوة ربع من القرآن من أول سورة مريم . وبعد انتهاء التلاوة اعطيت الكلمات للخطباء المشاركين في الحفلة فالقى كل واحد منهم خطبة في ناحية من النواحي التي اختار الحديث عنها . فكانوا على الترتيب الاتي :

١ - السيد عبد الرحمن الكواكبي رئيس الجمعية الخلدونية . تعرض باختصار لتأبين الشيخ رشيد رضا ثم تعرض لاعمال جمعية الشبان المسلمين . وشكر صاحب الفضيلة شيخ الجامع على قبوله رئاسة هذا الاحتفال وشكر نائبه الذي راس الحفلة عوضا عنه

٢ - السيد خميس الشامخ رئيس جمعية الشبان المسلمين . القى خطابا تعرض فيه للسبب الباعث على اقامة هذا الاحتفال . وشكر الحاضرين . وتحدث باختصار عن ترجمة المحتفل بتأبينه

٣ - الشيخ محمد الصالح النيفر المدرس من الرتبة الثالثة بجامع الزيتونة . القى خطابا بسط فيه تاريخ حياة الشيخ رشيد رضا من ولادته الى ان تلاقى بالشيخ محمد عبده في مصر . وكيف اتسب اليه . ودافع عن مبادئه . ثم تعرض لجمعية الوعظ والارشاد التي كان أسسها الفقيه . كما تعرض لعلاقته بالشيخ البشير النيفر وما اثني به عليه في مجلة المنار . ونقل فقرات من بعض رسائل كانت تمودلت بينهما

٤ - الشيخ الفاضل ابن عاشور المدرس من الرتبة الاولى بالجامع الاعظم . القى خطابا تعرض

فيه لعلاقة الشيخ رشيد بتونس وبكثير من التونسيين لا سيما بعد زيارة الشيخ محمد عبده لتونس ورجوعه لمصر . وبسط بعض نقط تاريخية حكى فيها عن موقف الزيتونيين نحو مجلة المنار وانهم كانوا بين مانع ومحيز . والخلف بين الناس غير عزيز . ومن اعجب ما ذكره ان الوزير الاكبر الشيخ محمد العزيز بوعتور كان من انصارها مع اننا نعلم انه رحمه الله كان من غلاة المحافظين الذين ينكرون على صاحب المنار كل ما كان من آرائه مخالفا لما عليه السلف المتقدمون من اهل العلم . ولعل ما ذكره الشيخ الفاضل اصح مما نعلمه لان قرابته منه ربما تهيء له ان يطلع على بعض افكاره وجهلها كثير من الناس وبعد ما انتهى من خطابه أعلن الرئيس بتعطيل الحفلة حصّة وحيزة لاجل الراحة والقيت في اثنائها اناشيد من جماعة الكشافاة ثم استوفت والقي بقية الخطباء ما عندهم

٥ - الشيخ الشاذلي النيفر المدرس من الرتبة الثالثة بالجامع الاعظم - القى قصيدة في تايين الفقيد

٦ - السيد محمد الغربي - القى خطابا تعرض فيه لنواح عامة من حياة الفقيد

٧ - السيد علي البلهوان المدرس بالمدرسة الصادقية - القى خطابا اقتصر فيه على نقل مواضع اختارها من كلام الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا وكانت كلها تحوم حول ما قاله في الطعن على علماء الازهر وما قدحاه في عموم الفقهاء وذمهم وانهم الذين كانوا حجر عثرة في رقي العالم الاسلامي وقد انتقدنا عليه اختياره لهذه الناحية من كلامهما لانها اضعف واسخف ما في حياة الشيخين ولانها من اقوى الاسباب في اثارة الشكوك والظنون حولهما ولا ندري هل اختياره كان عن اعتقاد ان ذلك مما ينبغي ان يمدح به وهذه غفلة وذهول . ام اراد بنقل ذلك ان يشهر بهما ويسيه لسمعتهما وهذا ينبغي ان يقال في غير هذا المقام

٨ - ثم وقف السيد خميس الشامخ وقال : (الكلمة الآن للسيد ابن العربي) وهو يعني به حضرة العالم الفاضل الاديب الشيخ الطاهر ابن العربي المنشئ بجمعية الاوقاف . فاذا به قد بارح القاعة من زمان وحرمانا من سماعه يخطب في مجتمع عام حيث لم نشاهده فيما سبق يشارك في المجتمعات العامة بالحضور . فضلا عن ان يكون خطيبا فيها

٩ - ثم تكلم الشيخ محمد شاكور المدرس بالجامع الكبير بصفافس فتحدثت عن علاقته بصاحب المنار من عام ١٣١٩ عند ما وقع اضطهاده بمناسبة تعرضه في درسه لزيارة القبور ولانكار بعض البدع وختم خطابه بقصيدة نظمها في تحية الشبان المسلمين ورتاء الشيخ رشيد رضا

١٠ - ثم القيت كلمة الامير شكيب ارسلان وناب عنه في القاها السيد محمد الغربي بصوته الرنان

١١ - ثم القى السيد المختار بن عثمان كلمة السيد محب الدين الخطيب ولم تلق في الحفلة خطبتان وهما خطبة الدكتور يحيى الدرديري واعتذر عنها بانها بقيت عند السيد الصادق بسيس وخطبة السيدة الفاضلة بشيرة الزهار . وكنا نود ان لا نحرم من سماعهما لا سيما الاخيرة لانها اول امرأة تلقى لها كلمة في حفل عظيم مثل هذا . وانتهت الحفلة على الساعة التاسعة الاربع

رجال المجلة الزيتونية بمدينة باجة

اربع محاضرات متتابعات

اقام مجلس جمعية الشبان المسلمين بباجة حفلة كبرى ودعى اليها اعضاء مجلس المجلة الزيتونية ليقوموا بمحاضرات دينية علمية فكانت ظاهرة جديدة في الحياة العامة. ويمم الوفد مدينة باجة في اليوم الموعود وهو يوم الجمعة ٢٣ ذي القعدة وكان متركبا من المشايخ السادة : محمد الشاذلي ابن القاضي صاحب المجلة - محمد المختار بن محمود رئيس قلم تحريرها محمد الهادي ابن القاضي امين مالها - الطاهر القصار مديرها - محمود بن الطاهر العضو بمجلسها . محمد الصالح النيفر المدرس من السربة الثالثة بالجامع الاعظم وتلقاه مجلس جمعية الشبان عند جسر باجه وبعد تبادل التحيات امتطى الوفدان القادم والمستقبل السيارات وقصدا المدينة فوصلها على الساعة الحادية عشرة فوقع استقبال الوفد من طرف الشيخ القاضي الشيخ محمد الامين السعيد ثم من طرف العامل السيد محمد الزواري ثم وقع الطواف بالاسواق وكلما مر الوفد بجهة الا وانضم اليه اهلها وسار الجميع بعد ذلك الى الجامع لحضور صلاة الجمعة وكان من مقررات الاحتفال ان يتولى خطبة الجمعة الشيخ محمد الهادي ابن القاضي فخطب بالجامع المالكي الكبير وكان موضوع الخطبة الاولى التي خطب بها دعوة الامة الى الاهتمام بخاطر المجاعة ومد يد الاعانة لآخواننا البائسين وموضوع الخطبة الثانية الدعوة الى الاعتناء بمجاراة الامم الحية فيما هو من ضروريات الحياة اليوم ولا يتنافى مع قواعد الاسلام وبالانتهاء من الصلاة اجاب الوفد دعوة جناب العامل للغداء فكانت ساعة انس وبساطة وبعد اداء فريضة العصر قصد الجميع قاعة المحاضرات التي امتلأت ارجاؤها وحضرها من كل الطبقات فاعتلى المنصة رئيس الجمعية الشيخ عبد العزيز العسكري مصاحبا للسيد العامل فالقى الرئيس الشرفي للحفلة كلمة الترحاب بالوفد وشكر الحاضرين وبعدها جاء دور الخطباء فالقى الشيخ المختار بن محمود خطبة شكر فيها اهل باجه على ما اظهره من الاكرام وخصص بالشكر جمعية الشبان المسلمين التي وضعت برنامج هذه الحفلة على احسن الوجوه ثم القى مسامرته في الزبا ومضارة وشرح الامراض التي فتكت بهاته الامة - وتلا الشيخ الشاذلي ابن القاضي فالقى مسامرة عن الاخوة الاسلامية كيف نشأت وما لاسبها في عصور الاسلام وما اعترأها من الاعتزاز بالجنسية في هاته العصور . ثم تلا الشيخ القصار وانشد قصيدته التي يطالعها القراء في باب الادب من هذا العدد ثم تلا الشيخ صالح النيفر والقى كلمته في المهور والشوار وما تسج عن الغلو فيهما ودعى الى اقامة لجان تبحث عن طرق تنفيذ الفكرة التي اشتمل عليها خطابه ثم تلا الشيخ الشاذلي النيفر والقى خطبا اجتماعيا نبه فيه الامة على عدة اخطار اجتماعية . ثم اعطيت الكلية للطبيب السيد احمد بن ميلاد فالقى على الحاضرين درسا تطبيقيا في مضار الزنا حاثا الحاضرين على الاهتمام بالزواج وانتهى الاحتفال على الساعة السادسة ونصف ثم اخذت صورة لهيئة الوفد ومجلس الجمعية . ثم ذهب الوفد لدار الشيخ القاضي وتعشوا عنده تلبية لدعوته واجتمع على مائدة العشاء اعيان البلاد وفضلاؤها الذين وقع الاجتماع بهم في الصباح على مائدة العامل . فكان مجلس انس وسمر . ومطارحات ادبية وعلمية . ثم اثر العشاء بارح الوفد باجة قاصدا العاصمة وهم مبتهجون غاية الابتهاج بما لاقوه من الحفاوة والاكرام من عموم اهل باجة وبخصوص جمعية الشبان المسلمين بباجة ورجال السلطة فيها الذين التفوا حول الوفد الى اللحظة الاخيرة التي خرج فيها من البلاد . ونحن نتمنى ان يتكرر مثل هذا العمل العلمي . وان تتابع هذه الاحتفالات الدينية في سائر البلدان بما فيها من بث الارشادات الدينية التي جميع الناس متعطشون اليها تعطش الظلمان الى الماء الزلال

٢٦٤	على هامش الاحتفال بذكرى الشيخ رشيد رضا .. بقلم رئيس التحرير
٢٦٩	شرف الكعبة صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
٢٧٧	باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه صاحب الفضيلة الشيخ محمد العزيز جعيط
٢٨٢	تحقيق خبر من احاديث شماعة صلى الله عليه وسلم المفتي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة
٢٨٨	الاضحية واحكامها صاحب الفضيلة الشيخ بلحسن النجار
٢٩٣	حكم سجود التلاوة وهل يتكرر بتكرر قراءة آية السجدة صاحب المجلة
٢٩٣	من احكام طلاق الثلاث العالم المدرس الشيخ الخطاب بوشناق
٢٩٤	كيف نشأت الارباض حول مدينة تونس »
٢٩٨	حياة شيخ الاسلام احمد كريم العالم المؤرخ السيد محمد ابن الخوجه
٣٠٢	يا نشء باجة (قصيدة) المستشار لدى الحكومة التونسية
٣٠٤	المكتبات وعناية الامم الحية بها (٢) مدير المجلة
٣٠٥	المسلمون في فينلاندا (٢) الاديب الشيخ محمد بن الشاذلي العناي
٣٠٩	الاحتفال بذكرى الشيخ رشيد رضا الاستاذ عثمان الكعاك
٣١٠	رحلة اعضاء مجلس ادارة المجلة الى باجة

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠	وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا
» ببلاد شمال افريقيا ٣٠	كانت ممضاة من امين المال
» في الخارج ٤٠	والمخابرات المالية لا تكون الا معه
يخصم الربع للتلامذة	

تباع المجلة في الاماكن التالية

※

اماكن بيع المجلة بالحاضرة

- المكتبة العلمية سوق الكتبية رقم ١٢
- مكتبة الاستقامة نهج سيدي ابن عروس
رقم ٣٤
- المكتبة العتيقة سوق الصوف رقم ١٣
- مكتبة الامان سوق السرايرية رقم ٢٢
- المكتبة الزيتونية سوق السرايرية
- مكتبة الرجاء سوق الكتبية رقم ٢
- المكتبة العربية الكبرى سوق السرايرية
- مكتبة السعادة نهج الكتبية رقم ٤
- دكان السيد محمد بن عمر جوار ادارة الاوقاف
رقم ٧٢ .
- البشير وبلقاسم بن عماره سوق السرايرية
رقم ٣٠

السيد حمدلين الشريف بسوسه

- » محمد الصالح البكوش بباجه
- » محمد العربي بالمكنين
- » محمد زهره بالمنستير
- » ابوبكر بن محمد الصانع بقصر هلال
- » الصادق بوزيان بالقيروان
- » سعد بن بلقاسم الصحراوي ببسبيلة
- » علي بسباس بسوق الجمعة رقم ١٢ بصفاقس
- » قدري قعيب بقفصه
- » المكتبة الاسلاميه بتوزر
- » عمر اسكندر بنفطة
- » شرف الدين الدقاشي بدقاش
- » محمد بن علي امنجه بقابس
- » حمزة شورو بميدون جربه

اسماء متعهدي بيع المجلة في بلدان المملكة

- السيد الحبيب الذوايدي ببنزرت بنهج احمد باي
- » احمد المرباط متعهد بيع المجلات ببنزرت
- » عمر بن يدر بقريفيل
- » علي المزري بماطر
- » احمد بن الحاج عبد الرحمن العجالي بقميسه
- » عبد القادر قريوج بنابل
- » حمودة الذكواني بمنزل جميل

اسماء متعهدي بيع المجلة بالقطر الجزائري

- السيد محمود نسيم بشارع لاير رقم ٤٢ بالجزاير
- » محمود باش طبعجي بساحة شارتر بالجزائر
- مكتبة النجاح بلقسنطينة
- » قندوز بنهج جنجراس بسطيف
- » الاخضر بن مبارك ببسكرة
- » بن داود بساحة دي قرقولات بعنابة
- » محمد الهادي جلال بتبسه
- مكتبة السيد مصطفى باغلي بنهج سكاك ٢ بتلمسان

المجلة الزيتونية

مجلة علمية اوسية اخلاية

نصرها الهية من برر كسي بامع الزيتونة الطهور

الجزء السابع | تونس في محرم الحرام عام ١٣٥٦ وفي مارس عام ١٩٣٧ | المجلد الاول

شهرية وستنها عشرة اشهر

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

فيصل الدين بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

صاحب المجلة :

بدر الدين بن القاسمي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع
حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصاب

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمان الجزء فرنكان

٣١١	أقبل عام وادبر عام	بقلم رئيس التحرير
٣١٥	المقدمة الرابعة في غاية المفسر من التفسير	» صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر
٣١٩	باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه - ٢	» ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
		» صاحب الفضيلة الشيخ محمد العزيز
		جميع المفتي المالكي والاساتذ بجامع الزيتونة
٣٢٢	فتوى قيمة في حكم الحلف باللازمة والحرام	» صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن يوسف شيخ الاسلام الحنفي
٣٢٥	زكاة الاموال	» صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر
٣٢٩	خطبة منبرية في الحث على اعانة البائسين	» ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
٣٣١	التجديد	» الشيخ محمد الهادي ابن القاضي
٣٣٥	هل كان لتونس نواب سياسيون يمثلونها في الخارج قبل عصر الحماية	المدرس بجامع الزيتونة
		» صاحب المجلة
٣٤١	حول الاشادة بفضل جامع الزيتونة (شعر)	» العالم المؤرخ السيد محمد ابن الخوجه
		المستشار لدى الحكومة التونسية
٣٤٢	لامير شعراء الحضراء السيد محمد الشاذلي خزنة دار مدير المجلة (شعر)	»
٣٤٤	للعالم الاديب الشيخ علي النيفر المدرس بجامع الزيتونة (شعر)	»
٣٤٦	المكتبات وعناية الامم الحية بها - ٣	بقلم الاديب الشيخ محمد بن الشاذلي العنابي
٣٥٠	المسلمون في فينلاندا - ٣	» الاستاذ عثمان الكعاك
٣٥٣	في جامع الزيتونة	
٣٥٤	جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم	
٣٥٧	بريد المجلة - رسالة من الجزائر في تقریظ المجلة	بقلم العالم الشيخ مبارك الميلي

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠	وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا
» بلاد شمال افريقيا	كانت ممضاة من امين المال
» في الخارج	والمخابرات المالية لا تكون الا معه
يخصم الربع للتبليغ	

المجلة العلمية

مجلة علمية اوسية اخلاية

نصرها الهية من مدرسي جامع الزيتونة المهور

الجزء السابع | تونس في محرم الحرام عام ١٣٥٦ وفي مارس عام ١٩٣٧ | المجلد الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

أقبل عام وأدبر عام

بقلم رئيس التحرير

سيكون هذا العدد من المجلة بين يدي قرائه وهم مستبشرون بدخول العام السادس والخمسين من القرن الرابع عشر من الهجرة . يتبادلون التهاني بطلوع هلاله . ويعلقون عليه آمالا فسيحة واماني متعددة . وما الحياة الا اماني واحلام . لولاهما لضاقت سبل الحياة . ولوقف الانسان حيث هو لايزيد ولا ينقص . ولتعطلت حركة النمو والعمران . فالمرضى يحس بالراحة اذا كان له أمل في الشفاء . والفقير المعدم يشعر بالسعادة اذا كان يترقب الغناء . والمكروب العاني يستفره الطرب ما دام يترقب زوال ما احاط به من البلاء . وهذا هو السر الذي يكشف لك عن التناقض الذي يظهر على كثير من الناس . عند ما تقارن بين ما يبدو عليهم من السرور والابتهاج . وبين ما هم عليه في نفس الامر والواقع من التعاسة والشقاء . فالأمل حينئذ هو مفتاح السعادة . وقائد الناس الى كل خير وفلاح . وهو الذي يبعث الهمم من مرقدها . ويزرع في النفوس روح الحياة والنشاط . وينسيها بعض ما تعانيه من الآلام .

والامل شعبة من شعب الايمان بالله . لان صدق الايمان يجعل صاحبه حسن الظن في الله . وحسن الظن هو الامل الذي يقاوم به المؤمن كل ما يصادمه في حياته من الاخطار وكل ما يلاقه من المصائب ومن اجل ذلك نهانا الله تعالى عن اليأس وأمرنا بحسن الظن . فيقال الله تعالى حكاية لما قاله يعقوب عليه الصلاة والسلام لابنائه عندما ارادوا اقناعه بانه لم يبق له امل في مشاهدة ابنه يوسف واخيه (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون) (١) . فقد جعل اليأس من رحمة الله مقصورا على الكافرين . وقال الله تعالى في الحديث القدسي - انا عند ظن عتيبي فيظن بي ما شاء) وفي الرواية الاخرى (فليظن بي خيراً) فالؤمن الصادق هو الذي لا تزيد الحوادث الاثباتا . ولا تكسبه الخطوب والمصائب الا اقداما . لان باب الامل مفتوح في وجهه . وفضل الله اوسع من امله . والله در اسماعيل الطغرائي (المتوفى عام ٥١٣ هـ) في قوله

اعل النفس بالآمال ارقبها ما اضيق العيش لولا فسحة الامل

وتعليل النفس بالآمال هو الذي عبر عنه بعض الحذاق من الشعراء الاقدمين بالكذب على النفس في قوله :

واكذب النفس إذا حدثها ان صدق النفس يزري بالامل

ولا يخفى على اللبيب انه ليس المراد من مدح الامل والتمسك به والاعتماد عليه . أن يخلد الانسان الى البطالة والكسل وترك الاخذ بالاسباب الموصلة الى الرقي ثم يعتمد على الاماني والاحلام والخيال الذي لا حد له فمثل هذا امل زائل . وحلم باطل لا يصح للعاقل أن يعتمد عليه وانما الامل الذي نريده مما تقدم هو الامل الذي تهيأ له الاسباب . ويبذل صاحبه ما في طوقه من الاعمال للوصول اليه . ولولا هذا الاحتراز لكان لكل متكاسل بطل عذر يقدمه لمن يحثه على النشاط والعمل بان له ما يغنيه عنهما وهو اتساع الامل . وحيث كنا الآن في موقف توديع لعام راحل واستقبال لعام قادم فمن الواجب على كل واحد منا ان يحاسب نفسه حسابا مدققا عما فعله في صالح نفسه وعما فعله في صالح امته وبلاده . وان نستعرض بصفة عامة بحملة حالتنا في العام المنصرم . وان نعرض ما لنا من الآمال في العام الجديد . فليس من التعقل وحسن التدبير ان يعيش الانسان في هذه الحياة

(١) قوله فتحسسوا من يوسف واخيه أي ابحثوا عنهما وتطلبوا خبرهما . وقوله ولا تيأسوا من روح الله أي من فرجه وتنقيسه . وهذا على قراءته بفتح الراء . وهي قراءة الجمهور . وأما على قراءته بضم الراء وهي قراءة الحسن وقتادة فالعنى لا تيأسوا من رحمة الله التي يحيا بها العباد . اشار الى ذلك في الكشف صفحة ٣٩٩ جزء ١

كالحيوانات السائمة فالرجل العاقل هو الذي يكون شاعرا بالواجبات المفروض عليه ان يقوم بها وان لا يهتا له عيش ولا يطيب له مقام الا اذا قام باداء تلك الواجبات وسعى في تحقيقها لا سيما في بلاد مثل بلادنا التونسية التي هي من أحوج البلدان الى اعتناء ابنائها بها وتوجيههم جميعا الى العمل في صالحها وبذل الجهد في النهوض بها وايصالها الى اقصى درجات الرقي والكمال ونحن اذا نظرنا الى العام السراجل نجده - والمحمد لله - من أبرك الاعوام واسعدها على الحركة الفكرية والنهوض العلمي ، فقد كان لحرية القول والاجتماع اللذين منحتهما الحكومة لهذه البلاد اثر ظاهر في نهضتها . فالحركة الفكرية قد نشطت من عقاليها ، وظهرت آثار القرائح التي كانت خامدة . واستعد الناس للتعبير عن مقاصدهم واغراضهم في أمان واطمئنان ، ودليل ذلك هو الحركة الصحفية الكبرى التي وقعت في خلاله ، فقد رجعت الصحف المعطلة للظهور وانشئت نحو عشرين جريدة وخمس مجلات باللغة العربية والفرنسية منها هاته المجلة التي نرجو من الله ان يوفقنا للسير بها الى ارقى ما تصل اليه المجالات العلمية . وليس هناك شيء يعين على النهوض ويعد الافكار والنفوس للعمل مثل صفاء الجو الذي يحس فيه الانسان براحة عند ما يعبر عن خوالج نفسه من غير خوف ولا وجل . وحرية القول لا تعود على الحكومات والافراد الا بكل خير . لانها تكون الحكومة مطلعة على حقيقة افكار رعاياها من غير احتياج الى الافتراضات والظنون فتلك الحرية يعبر الشعب عن آماله وامانيه . والحكومة بعدلها وانصافها تنظر في تلك الآمال وتحقق منها ما كان سهل الانجاز . وتبيء الاسباب لتحقيق ما كان منها محتاجا الى التأمل وامعان النظر . وهكذا يعيش الناس كلهم في راحة وصفاء وتوادة . واني لا افهم من حرية القول الا هذا ، اما تمزيق جلباب الحياء والخروج عن الآداب العامة والتراشق بسهام السباب والشتم وهتك الحرمات والكشف عن العورات والتعرض للشخصيات والتحدث بما يقع وراء الابواب والجدران . فهذا هو الحماقة بعينها ولان يكون الناس محرومين من القول بتاتا خير عندي من ان تكون لهم حرية يصلون بها الى هاته الدرجة . اذا فالواجب علينا معشر التونسيين ان نعتبر بهذه النعمة الكبرى . وأن نعددها فرصة سانحة لما نريد ان نقوم به من الاعمال الصالحة . وان لا نتركها تمر من غير ان نستغلها وننتفع بها . فكفرص اخرى سنحت في بعض الاوقات فعبثت بها الاغراض والشهوات ، وهيئات ما فات . ويعجبني في هذا المعنى قول تقي الدين بن حجة الجوي (المتوفى سنة ٨٢٧) في ارجوزته التي استخلصها من كتاب الصادح والباغم

واتهز الفرصة ان الفرصة تعود ان لم تغتنمها غصه

وعليه فالتوجه بهذا النداء لابناء بلادنا الاعزاء وهو ان الواجب عليهم ان يكونوا يدا واحدة وعلى قلب رجل واحد وان تكون للجميع غاية واحدة ومقصد متحد يكون السعي اليه والعمل على تحصيله . واذا كان هناك خلاف في الطرق والوسائل فينبغي ان لا يتجاوزها الى المقاصد الاصلية والمعاني الجوهرية ، فان اعظم داء أهلك الامم وافناها وأضاع مصالحها وشتت شملها وصيرها العوبة وسخرية امام غيرها من الامم هو داء التفرق والاختلاف الذي يصاب به قادتها وزعمائها واصحاب الرأي فيها . واذا كان النجاح مشكوكا فيه مع الاتحاد . فهو مع التخالف وتفرق الكلمة مستحيل . وكفانا عبرة ما وقع لنا فيما مضى وما وقع لغيرنا من الامم . وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون . فهذا عام جديد نستقبله . فلنستقبله بوجوه باسمة . وقلوب متموادة . ونفوس متراحة . وليكن هدف الجميع هو النهوض ببلادنا . ورفع شأنها واعلاء مكانها .

واعظم الناس في نظري هو أقدرهم على تسوية المشاكل وقطع اسباب الخلاف واقتلاع جذور الاحقاد والضغائن الكامنة في النفوس . فاقصى ما نرجوه هو ان لا يكون هناك خلاف لا في المقاصد ولا في الوسائل . فان كان ولا بد فليقتصر الخلاف على الطرق والوسائل من غير ان يكون ذلك مضيا الى ان يعمل الرجل ضد اخيه . واذا كان هناك خلاف حقيقي فليسع العقلاء لازالته بالمفاهيم الخاصة وبسط النظريات من غير احتياج الى التشهير . فان ذلك ادعى للوفاق واقرب للنجاح فاذا كنا كذلك امكن لنا ان ننتظر بحول الله من العام الجديد خيرا كثيرا ونجاحا كبيرا ولنا أمل وطيد في تحقق ذلك . فاهل هذه البلاد يقلب عليهم التعقل والمسألة والاستعداد للرجوع الى الصواب والاخذ بالتي هي أحسن واذا كانت النفوس متهيشة والقلوب متصافية وسعى العقلاء في التوفيق نجحت الاعمال وبلغنا الى اقصى ما نرجوه من مراتب الكمال . هذا وبقدر ما كان للعام الراحل من الفوائد والمحسن بالنسبة للحالة الفكرية والعلمية فانه كان على عكس ذلك بالنسبة للحالة الاقتصادية . فقد كان العام الماضي والعباد بالله من اشد الاعوام على سكان المملكة التونسية . فقد أحل فيه الزرع والضرع . وابتلانا الله تعالى بنقص في الاموال والتمرات فضاعت النفوس ذرعا وأشرف الناس على الهلاك من الجوع والعراء . ولولا ان الشعب قد تيقض لذلك فأسس الجمعيات لاعانة الفقراء والمحتاجين واعانتته الحكومة على هذا العمل إعانة فعلية تذكر فتشكر ، لافضى الحال بالتونسين الى ما لا تحمد عقباه . ولكن الله بفضل ورحمته سخر الناس لمدي المساعدة فبذل كل انسان ما يقدر عليه وتكون من مجموع ذلك ما يؤمل معه ان لا يفضي الحال لاكثر مما أفضى . ورجاؤنا في الله تبارك وتعالى ان ينظر الينا بعين الرحمة والرضا وان يتجاوز عن اعمالنا وان لا يؤاخذنا بما

القرآن الكريم

المقدمة الرابعة في غاية المفسر من التفسير

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

كأنني بكم وقد مر على اسماعكم ووعت ألبابكم ما قررته من استمداد علم التفسير ومن صحة تفسير القرآن بغير المانور ومن الانحاء على من يفسر القرآن بما يدعيه باطنا ينافي مقصود القرآن ومن التفرقة بين ذلك وبين الاشارات تطلعون بعد الى الافصاح عن غاية المفسر من التفسير وعن معرفة المقاصد التي نزل القرآن ليائها حتى يستبين لكم اكمل الاستبانة غاية المفسرين من التفسير مع اختلاف طرائقهم وحتى تعلموا عند مطالعة التفاسير مقادير اتصال ما تشتمل عليه بالغاية التي يرمي اليها المفسر فتزنوا بذلك مقدار ما اوفى به من المقصد ومقدار ما تجاوزته ثم ينعطف القول الى التفرقة بين من يفسر القرآن بما يخرج عن الاغراض المرادة منه وبين من يفصل معانيه تفصيلا ثم ينعطف القول الى نموذج مما استخرجه العلماء من مستنبطات القرآن في كثير من العلوم ليس بنا ان نستدل على ان القرآن انزله الله تعالى كتابا لصلاح امر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله تعالى منهم قال تعالى : وانزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى

يفعله السفهاء منا وان يجعل هذا العام الجديد عام خصب ورخاء وراحة وهناء وان يغدق علينا من الخيرات والبركات ما نكون به عبيد امتنان لا عبيد ابتلاء وان يجعله عاما مباركا سعيدا على عموم الناس في جميع الاقطار والامصار ولا سيما على الشعوب الاسلامية التي تلاقي من الفاقة والذل والهوان الوانا واشكالا وان يديم لنا صاحب الجلالة ملكنا المعظم وان يجعل هذا العام مباركا عليه وعلى كل من لاذ بجناحه وانتسب اليه وان يحقق لهذا القطر ما يصبو اليه من سعادة وان يختم لنا جميعا بالحسنى وزيادة . انه الرؤوف الرحيم . الجواد الكريم

محمد المحض ابن محمود

للمسلمين (١) فكان المقصد الاعلى منه صلاح الاحوال الفردية والاجتماعية والعمرانية فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتركيتها ورأس الامر فيه صلاح الاعتقاد لان الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير ثم صلاح السريرة الخاصة وهي العبادات الظاهرة كالصلاة والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر . واما الصلاح الاجتماعي فيحصل اولاً من الصلاح الفردي اذ الافراد اجزاء المجتمع ولا يصلح الكل الا بصلاح اجزائه ومن شيء زائد على ذلك وهو ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات وموائبة القوى النفسانية وهذا هو علم المعاملات ويعبر عنه عند الحكماء بالسياسة المدنية . واما الصلاح العمراني فهو اوسع من ذلك اذ هو حفظ نظام العالم الاسلامي وضبط تصرف الجماعات والاقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع ورعي المصالح الكلية الاسلامية وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع . فمراد الله تعالى من كتابه هو بيان تصارييف ما يرجع الى حفظ مقاصده وقد اودع مراده في الفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطاباً واضحاً بيناً وتعبداً بمعرفة مراده والاطلاع عليه فقال : كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب » سواء قلنا انه يمكن الاطلاع على تمام مراد الله تعالى وهو قول علمائنا والمشايعي والسكاكي كلاهما من المعتزلة ام قال قائل بقول بقية المعتزلة ان الاطلاع على تمام مراد الله تعالى غير ممكن اذ القصد هو الامكان الوقوعي لا العقلي فلا مانع من التكليف باستقصاء البحث عنه بحسب الطاقة ومبلغ العلم مع تعذر الاطلاع على تمامه

وقد اختار الله تعالى ان يكون اللسان العربي مظهر لوجهه ومستودعاً لمراده وان يكون العرب هم المتلقين اولاً لشرعه وابلاغ مراده لحكمهم عليها منها كون لسانهم افصح اللسان واسهلها انتشاراً واكثرها تحملاً للمعاني مع ايجاز لفظه . ولتكون الامة المتلقية للتشريع والناشرة له امة قدسيت من إفن الرأي عند المجادلة ولم تقعد بها عن النهوض اغلال التكالب على الرفاهية ولا عن تلقي الكمال الحقيقي او يسبب لها خلطة بما يجر الى اضمحلاله (٢) على حد قول المثل ارسل حكيماً ولا توصه فيجب ان تعلموا قطعاً ان ليس المراد من خطاب العرب بالقرآن ان يكون التشريع قاصراً عليهم او مراعيًا لخاصة

(١) المراد من كل شيء باتفاق المفسرين انما هو كليات الاشياء واصولها فيما يرجع الى ما جاء القرآن لاجله غير ان ظاهر كلام الشاطبي وغيره ان ذلك فيما يرجع للاحكام وانا لا اري تخصيص ذلك بذلك بل اري انه ما فرط شيئاً مما جاء القرءان لاجله والبقية مشار اليها بطرق الاستدلال من دلالة اشارة وفحوى ودليل خطاب وقياس وغير ذلك وليس خاصاً بالاحكام . اما الهدى فهو الارشاد الى ما فيه صلاح الناس . والرحمة لهم بما يعود عليهم من اقامة مصالحهم وهناء عيشتهم والبشرى لهم بالفوز عاجلاً وآجلاً مثل قوله في العاجل وعد الله الذين آمنوا الآية وهذه المعطوفات مرتبة الحصول كما ترى (٢) يعني ان الاحوال التي رسخت في الامم المعاصرة للعرب كالفرس والروم كانت تعوقهم عن تلقي الكمال الحقيقي لفسر انخلاعهم عنها بخلاف العرب فكانوا على الفطرة وما عرض لهم من التغير انما هو شيء قليل كعبادة الاوثان وبعض العوائد الا ان سلامة ادراكهم وبقائهم على الفطرة يغلب على قليل تلك العوائد ولو شئنا لبسطنا كيف كانت احوال الامم المعاصرة للعرب يومئذ

احوالهم بل ان عموم الشريعة ودوامها وكون القرآن معجزة دائمة مستمرة على تعاقب السنين ينافي ذلك . نعم ان من مقاصد تصفية نفوس العرب الذين اختارهم كما قلنا لتلقي شريعته وبثها ونشرها فهم المخاطبون ابتداء قبل بقية امة الدعوة فكانت احوالهم مرعية لا محالة وكان كثير من القرآن مقصودا به خطابهم خاصة واصلاح احوالهم قال تعالى ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وقال ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين الآية لكن ليس ذلك يوجه الاقتصار على احوالهم فما ابتكره الشيخ ابواسحاق الشاطبي في الفصل الثاني من المسألة الرابعة إذ قال (انما يصح في مسلك الافهام والفهم ما يكون عاما لجميع العرب فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه بحسب الالفاظ والمعاني فان الناس في الفهم وتأني التكليف فيه ليسوا على وزن واحد ولا متقارب الا انهم يتقاربون في الامور الجهورية وما والاها الخ) هذا رأي يناكد عموم التشريع لكافة الامم اذا اخذ على ظاهرة لكني ادين أن ابواسحاق يعني انهم لا يخاطبون بما لا تطبيقه افهامهم ولا سيما ما كان مقصودا منه الاحتجاج عليهم ولا يمنع ان يخاطبوا بما يخذون منه على قدر افهامهم مع تحمله لما يتجاوز ذلك كما جاء في الحديث رب حامل فقه الى من هو افقه منه وكما قال الشاعر

ولكن تاخذ الافهام منه على قدر القرائح والعلوم

فان هو قصد خلاف ما ظنناه به فقد صار الكلام حقيقا بالترفيف

ليس قد وجب على الآخذ في هذا الفن ان يعلم المقاصد الاصلية التي جاء القرآن لتبيانها فلم بها الآن بحسب ما بلغ اليه استقرارا وهي ثمانية امور . اولها اصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح وهذا اعظم سبب لاصلاح الخلق لانه يزيل عن النفس عادة الادعان لغير ما قام عليه الدليل ويظهر القلب من الاوهام الناشئة عن الاشرار والذهرية وما بينهما وقد اشار الى هذا المعنى قوله تعالى فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تنبيء فاسند لآلهتهم زيادة تسيبهم وليس هو من فعل الآلهة ولكنه من آثار الاعتقاد بهم ولو اردنا ان نبسط القول بذكر ما يحدثه الاشرار في النفس من الانخدال والذبذبة وكذلك الاتحاد بالخالق لاملينا في ذلك دروسا طويلة تخرج عن غرضنا . الثاني تهذيب الاخلاق قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وفسرت عيشة رضي الله تعالى عنها لما سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وفي الحديث بعثت لا تتم مكارم الاخلاق وهذا المقصد قد فهمه عامة العرب بله خاصة الصحابة وقال ابو خراش الهذلي (١) مشيرا الى ما دخل على العرب من احكام الاسلام باحسن تعبير اذ قال

فليس كعهد الدار يا ام ممالك ولكن احاطت بالرقاب السلاسل

(١) ابو خراش بكسر الخاء المعجمة وبالشين المعجمة خويلد بن مرة الهذلي شاعر محضرم

توفي في مدة عمر بن الخطاب ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم

وعاد الفقى كالكلهل ليس بقائل سوى العدل شيئا فاستراح العوادل

اراد باحاطة السلاسل بالرقاب احكام الاسلام . الثالث التشريع وهو الاحكام خاصة وعامة قال تعالى : انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله » ولقد جمع القرآن جميع الاحكام جمعا كليا في الغالب وحزئيا في المهم فقولوه : تبياناً لكم شيء . وقوله اليوم أكملت لكم دينكم المراد بهما إكمال الكلليات التي منها الامر بالاستنباط والقياس قال تعال « فاتقوا الله ما استطعتم » قال الشاطبي لانه على اختصاره جامع والشرية تمت بتمامه ولا يكون جامعا لتمام الدين الا والمجموع فيه امور كلية . الرابع سياسة الامة وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الامة وحفظ نظامها كالارشاد الى تكوين الجامعة لقوله « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » وقوله إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء . وقوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . وقوله : وأمرهم شورى بينهم (١) . الخامس القصص واخبار الامم السالفة للتأسي بصلاح احوالهم « نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين . اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » وللتحذير من مساوئهم « ونبين لكم كيف فعلنا بهم » وفي خلالها تعليم وقد كنا اشرنا اليها في المقدمة الثانية وسنبسطه في مقدمة آتية . السادس التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين وما يؤهلهم الى تلقي الشرية ونشرها وذلك علم الشرائع وعلم الاخبار وكان ذلك مبلغ علم محاطي العرب من اهل الكتاب وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الجدل في افاين مجادلته للضالين وفي دعوته الى النظر ثم نوه بشأن الحكمة فقال « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا » وهذا اوسع باب انبجست منه عيون المعارف وانفتحت به عيون الاميين الى العلم وقد لحق به التنبيه المتكرر على فائدة العلم وذلك شيء لم يطرق اسماع العرب من قبل إنما قصارى علومهم امور تجريبية وكان حكماءهم افرادا اختصوا بفرط ذكاء تنظم اليه تجربة وهم العرفاء فجاء القرآن بقوله « وما يعقلها الا العالمون » هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون « وقال ن والقلم : فبه الى مزبة الكتابة . السابع : المواعظ والانذار والتحذير والتبشير وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد وكذلك المحااجة والمجادلة للمعاندين وهذا باب الترغيب والترهيب . الثامن : الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول اذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي والقرآن جمع كونه معجزة بلفظه ومتحدى لاجله بمعناه والتحدي وقع فيه « قل فأتوا بسورة مثله » ولمعرفة اسباب النزول مدخل في ظهور مقتضى الحال ووضوحه . هذا ما بلغ اليه استقرائي واحسب انه اجمع واضبط مما ذكره الغزالي في الاحياء .

(يتبع)

(١) قد خصصت لهذا النوع من مقاصد القرآن سلسلة مقالات نشرت وتنتشر في مجلة هدى الاسلام التي تصدر بالقاهرة

الحديث الشريف

باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه

— ٢ —

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز
جعيط المقي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة

واما ما يترتب على التوكل فالشجاعة وعزة النفس والبعد عن الطمع . والصبر على فوت المحبوب والشكر على حصول المرغوب . فاما الشجاعة فلان النفس اذا اشربت الاعتماد على الله تعالى ولم يزايلها الثقة به ومهدت الاسباب التي يحصل المطلوب عندها من غير ان تركز اليها وتعتمد عليها لا تجبن في طلباتها ولا ترتد على اعقابها في سبيل رغباتها وتستسهل الصعاب وتثبت في مواقع الاضطراب الامر الذي اتصف به الانبياء عليهم الصلاة والسلام واتباعهم المؤمنون المصطفون فقد كان ثباتهم فوق ثبات الرواسي ولم يبالوا بشغب المخالفين ولا بتجمعهم على الاذية وفيما قصه الله علينا في كتابه من حال الانبياء وألمهم البلغة الشافية والعضة البالغة قال تعالى وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا » وقال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » واما عزة النفس والبعد عن الطمع فمن حيث ان المتوكل على الله تعالى لا يزايله اعتقاد ان ما يصيبه من الحيرات او الشرور على ايدي العباد هو من الله تعالى كما قال تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » وقوله بيدك الخير من باب الاكتفاء اي والشر واختير الاكتفاء هنا تعليما للعباد طريقة الادب في مخاطبة الله تعالى ودعائه فالعباد عند المتوكل مظاهر لتلك النعم فيعتبرهم اعتبار محل تمنع فيه الجوائز والعطايا والتذلل لا يكون للمحل والطمع لا يتوجه اليه وانما يكون التذلل للمناج والطمع فيه . واما الصبر على فوت المطلوب والشكر على حصول المرغوب فلان الركون الى الاسباب هو المنسي لواجب الشكر عند حصول النعمة وهو المفضي الى الجزع والسخط ورفع العقيرة بالشكوى اذا تخلف المطلوب اما اذا وثق العبد بالله تعالى نسب فوات المطلوب الى القضاء والقدر وعلم ان

لارادلهما فهان عليه الامر وقابل القضاء بالرضى ونسب حصول المرغوب الى فعل الله تعالى وكرمه وعلم ان السبب لا تاثير له في شيء من حصول مطلوب فضلا عن استقلاله به فيجري في حلبة شكر الله تعالى قلبه وجوارحه ولسانه . وقد تجلى بما قررناه ان التوكل من اعظم خصال الايمان الموجبة لتزكية النفوس وتحليها بالكلمات والفضائل وهكذا شان الايمان وما يترتب عليه يطهر النفوس من أدران الرذائل ويصبغها بصبغ الكلمات فالحمد لله الذي هدانا له وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

وقد ساق البخاري في بيان فضل التوكل ما رواه خبر الامة عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وقد ساق البخاري هذا الحديث في احاديث الانبياء مختصراً وفي كتاب الطب مطولاً بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي الامم فجعل النبي والنبيا يعمرون معهم الرهط والنبي ليس معه احد حتى رفع لي سواد عظيم قلت ما هذا امتي هذه قيل هذا موسى وقومه قيل انظر الى الافق فاذا سواد يملأ الافق ثم قيل لي انظر هاهنا وهاهنا في آفاق السماء فاذا سواد قد ملا الافق قيل هذه امتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون الفا بغير حساب ثم دخل ولم يبين لهم فافاض القوم وقالوا نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم او اولادنا الذين ولدوا في الاسلام فانا ولدنا في الجاهلية فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج فقال هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة ابن محصن أمنهم انا يا رسول الله قال نعم فقام آخر فقال أمنهم انا قال سبقك بها عكاشة . واخرج هذا الحديث مسلم عن عمران بن حصين وابي هريرة وابن عباس بطرق مختلفة بالزيادة والنقص والبيان والاجمال وقد اتسع مجال القول في هذا الحديث وتشعبت الآراء فيه لاختلاف الاحاديث الواردة في الاسترقاء والاكتواء . فاما الاسترقاء اي طلب الرقية فقد جاء في النهي عنه حديث عبد الله ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرقي والتمائم والتولة شرك لكن قال المنذري في رواه مجهول . والرقي جمع رقية وهي الكلام الذي يستشفى به والتمائم جمع تميمة وهي خرزات كانت العرب تعلقها على اولادهم يمنعون بها العين في زعمهم فابطلها الاسلام والتولة هو تحبيب المرأة الى زوجها قاله الاصمعي وقال الخليل شبيه بالسحر وجاء تفسيرها عن ابن مسعود فيما اخرجه الحاكم قال شيء يصنعه النساء ليتجبن الى ازواجهن يعني من السحر قيل هي خيط يقرأ فيه من السحر او قرطاس يكتب فيه شيء منه يتجيب به النساء الى قلوب الرجال وبتفسير كون ذلك من السحر نعلم ان كتب بعض الآيات القرآنية أو الكلام المباح للتجيب مع عدم اعتقاد التأثير ليس من التولة المحرمة وجعل الحديث هذه الثلاثة من الشرك لاعتقادهم ان ذلك يؤثر بنفسه .

وجاء في جواز الاسترقاء احاديث كثيرة منها حديث ابي سعيد الخدري في رقيته سيد الحسي بقاتحة الكتاب واخذة على ذلك اجرا وهو مشهور اتفق عليه الشيخان ومنها حديث انس قال رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقية من العين والحمة والنحلة والحمة اسم والنحلة قروح تخرج من الحنجر او الحنجرين ومنها حديث الشفاء بنت عبد الله قالت دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وانا عند حفصة فقال الا تعلين هذه رقية النحلة كما علمتها الكتابة وفي قوله كما علمتها الكتابة دليل على جواز تعليم النساء الكتابة وان ام المؤمنين حفصة كانت تحسنها ومنها حديث عوف بن مالك قال كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال أعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك ومنها حديث جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجاءه آل عمرو بن حزم فقالوا يا رسول الله انها كانت عندنا رقية نرقي بها من المقرب وانك نهيت عن الرقى قال فعرضوها عليه فقال ما ارى بأسا من استطاع منكم ان ينفع اخاه فليفعل . ومنها حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت انثف عليه وامسحه بيد نفسه لانها اعظم بركة من يدي رواه الشيخان

ومن تأمل في احاديث النهي والجواز تبين له ان لا تعارض بينها وان النهي مقصور على ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه ولا يتناول ما كان بالقرآن واسماء الله والكلام الحسن ولهذا قال الشيخ ابن ابي زيد في الرسالة ولا بأس بالرقى بكتاب الله وبالكلام الطيب وقال ابن التين الرقى بالمعوذات وغيرها من اسماء الله تعالى هو الطب الروحاني اذا كان على لسان الاحرار من الخلق حصل الشفاء باذن الله فلما عز هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسماني وتلك الرقى المنهي عنها التي يستعملها المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له فيأتي بامور مشبهة مركبة من حق وباطل يجمع الى ذكر الله واسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بمردتهم. وقال القرطبي الرقى ثلاثة اقسام احدهما ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك او يؤدى الى الشرك الثاني ما كان بكلام الله او اسمائه فيجوز فان كان ماثورا فيستحب الثالث ما كان باسماء غير الله من ملك او صالح او معظم من المخلوقات كالعرش فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجاء الى الله تعالى والتبرك باسمائه فيكون تركه اولى الا ان يتضمن تعظيم المرقى به فينبغي ان يجتنب كالحلف بغير الله انتهى وهو تحقيق بالغ (يتبع)

اصلاح خطأ في آيتين

بصفحة ١٨٦ سطر ١٣ من العدد الرابع وردت الآية هكذا (اولئك هم الفائزون) وصوابها

(واولئك) بزيادة الواو

وبالصفحة المذكورة سطر ١٨ وردت الآية هكذا (ولا يجدون في نفوسهم حاجة) وصوابها (في صدورهم)

الفتاوى والفتاوى

فتوى قيمة في الحلف باللازمة والحرام مع الجمع بينهما

كما هي العادة المتفشية بين اهل تونس

بقلم شيخ الشيوخ وطود الرسوخ شيخ
الاسلام الحنفي سيدي محمد بن يوسف ابقاه الله

السؤال : اذا قال الشخص المتزوج باللازمة والحرام لأفعل كذا مثلاً ثم فعله فهل يلزمه الطلاق اولاً وعلى تقدير لزوم الطلاق فهل هو بائن او رجعي وهل الواقع طلاقاً واحدة او ثنتان أفيدونا بما يتلج له الصدر .

الجواب : الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد فالجواب على الطرفين الاول والثاني ان لفظ اللازمة كلفظ الحرام كلاهما من الفاظ الطلاق البائن الصريح عرفاً وقد تمالأت كلمة القوم على ان قول القائل انت علي حرام او محرمة أو انت معي في الحرام وما اشبه ذلك من البائن الصريح بمقتضى العرف الشائع في الاستعمال ووجه المحقق ابن عابدين بان لفظ الحرام معناه عدم حل الوطء ودواعيه وذلك يكره بالايلاء وهو غير متعارف بينهم ويكون بالطلاق لكن الرجعي غير محرم للوطء فتعين البائن بعرف الاستعمال والصريح ما استعمل غالباً في الطلاق وهذا كذلك فلا يحتاج الى نية الطلاق وتصح فيه كماله نية الثلاث فيدين الحالف به بالنسبة لنية الثلاث اي يحلفه المفتي بانه لم ينو الثلاث ثم يفتيه بما يقتضيه كلامه واحدة او اكثر وقد شاع استعماله في ديارنا التونسية بهذا المعنى تارة على سبيل التعليق واخرى لاعلى سبيل التعليق كما شاع عندنا ايضا الحلف باللازمة على سبيل التعليق مجردة عن لفظ الحرام ومقرونة به فيقولون باللازمة او باللازمة والحرام لأفعل أو أفعل كذا يريدون الحلف بطلاق اشد من الرجعي وقد اشتهر هذا المعنى بين الحالفين به فلا يقصدون في الاستعمال سواه ولهذا لا يحلف به الا الرجال لظاهر المبالغة في الامتناع من الفعل او المبالغة في العزم عليه ويجمعون تارة بينه وبين لفظ الحرام عند ارادة مزيد المبالغة في الطلاق وليس للمتقدمين من علمائنا نص في ذلك لعدم تعارف الحلف بلفظ اللازمة عندهم ولكن مشايخ الاسلام البيرميون قدس الله ارواحهم كانوا يفتون في يمين اللازمة بالطلاق البائن كاليمين بالحرام وافق

يمثل ذلك شيخ الاسلام سيدي احمد كريم ونقل في مجموع فتاواه المسمى بالفتاوى الاحمدية عن
محاررات الشيخ سيدي محمد المناعي من اكابر الفقهاء المالكية رحمه الله ان الحكم اذا كان له مدرك من
علة او عرف فانه يدور مع مدركه كاللازمة فمن كانت في عرفه يمينا فيمين والا فلا وعلى الاول فمن
كان يراد بها في عرفه جميع الايمان فانها تلزمه ومن كان عرفه يراد بها الطلاق يلزمه على ما يراد في
العرف من الواحدة او الثنتين او الثلاثة وان كان العرف جرى بغير ذلك فانه يلزمه ما يراد في
العرف كالمنشي لبيت الله الحرام وصوم شهر مثلاً وهلم جرا ولذلك تجد العلماء يقول كل واحد منهم
بما يوافق عرفه وليست اقوالا لهم كما يوهمه نظم العاصمية وشارحوها وان المدار على ما ذكرنا اه وذيله
الشيخ كريم بان ما ذكره الشيخ المناعي اشار اليه الشيخ التاودي واوضح المقام العلامة الشيخ علي
التسولي في شرحه فارجع اليه انتهى ما في الفتاوى الاحمدية ولا يخفى ان المقصود من ذلك هو الاشارة
الى ان لزوم الطلاق البائن في يمين اللازمة عندنا مبني على العرف وفي (١) فتاوى الشيخ عبد الرحمن
المرشدي عند الكلام على آداب الفتوى ما نصه ينبغي للمفتي اذا ورد عليه مستفت لا يعلم انه من اهل
البلد الذي منه المفتي فلا يفتيه بما عاداته يفتي به حتى يسأله عن بلده وهل جرى لهم عرف في هذا
اللفظ اللغوي ام لا وان كان اللفظ عرفيا فهل عرف ذلك البلد موافق لهذا البلد في عرفه ام لا وهذا
امر متعين واجب لا يختلف فيه العلماء اه وفي معين الحكم من الباب الثامن والعشرين ان المعتبر فيمن حلف
بالايمان اللازمة عرف الحالف لا عرف المفتي فلو دخل المفتي بلدا لا يكون عرفهم فيه انه يراد به
طلاق الثلاث لم يجز له ان يفتي بذلك ولا يحل للمفتي ان يفتي بما يتوقف على العرف الا بعد معرفة
العرف وهذا من الامر المهم معرفته اه واستبعا لما حرره ابن عابدين في بيان وجه العرف الواقع في
لفظ الحرام الذي قلناه آنفا نقول لما كان المقصود من اللازمة بحكم العرف في هذا القطر هو الطلاق
الاشد من الرجعي تعين حمله على الباقي المحرم للوطء او ان وصف الاشدية ضمنا كوصف الاشدية
صرحا والطلاق الموصوف بما ينبيء عن الشدة والزيادة بوجوب السنونة فلا جرم ان يكون التعليق
بلفظ اللازمة تطبيقا للبائن الصريح بالعرف كالتعليق بلفظ الحرام فلا يحتاج الى نية الطلاق وتصح فيه
نية الغاية فيدين الحالف به بالنسبة للثلاث وخلاصة القول ان الحلف باللازمة في القطر التونسي كالحلف
بالحرام والى ذلك اشرت في المنظومة الفقهية بقولي :

ولفظه الحرام او باللازمة بأنة بالعرف فيها لازمه

(١) من كتب الفتاوى المعتمدة نقل عنها ابن عابدين في اوائل باب التعليق من حاشية الدر بما

نصه تنبيه في فتاوى الكازرويني عن فتاوى المحقق عبد الرحمن المرشدي

هذا ما يتعلق بالجواب عن الطرفين الاولين اما الجواب عن الطرف الثالث فهو ان الواقع بالحنث في قول الحالف المحكي في السؤال طلقتان بئتان لان قوله باللازمة والحرام لا أفعل كذا تعليق لللازمة والحرام على الفعل المحلوف عليه بمنزلة قوله ان فعلت كذا وقعت اللازمة والحرام على وزان ما قرره ابن الهمام في الحلف بقولهم الطلاق يلزمي لا أفعل كذا فهو تعليق معنوي تقدم فيه الجزاء على الشرط وكل من اللازمة والحرام طلاق بائن بالعرف فيقع كل منهما عند وجود الشرط لما تقرر في الاصول ان تقديم الاجزئة على الشرط يقتضي توقف كل منهما عليه فاذا وجد الشرط تقع دفعة واحدة وقد صرح الفقهاء بانه اذا قال للمدخل بها انت طالق واحدة وواحدة او قال انت طالق وطلاق وطلاق ان دخلت الدار ودخلت وقع الثلاث اتفاقا قالوا وكذا اذا تقدم الشرط . وفي الاشياء من كتاب الطلاق ما نصه كرر الشرط ثلاثا والجزاء واحد فوجد الشرط مرة طلقت واحدة ولو تعدد الجزاء تعدد الوقوع كما في الحائنة . ولا يهولنك ان الطلاق الواقع بلفظ الحرام ولفظ اللازمة طلاق بائن والباين لا يلحق البائن لان البائن الثاني هنا معلق قبل وقوع المعلق الاول وقد صرحوا بان البائن في مثله يلحق البائن لتعذر جعل الثاني اخبارا عن الاول لان الاول لم يقع حتى يخبر عنه كالباين المعلق قبل وجود المنجز فانه يلحق لعدم امكان جملة اخبارا لتاخر المنجز فكيف يجعل للمعلق المتقدم خبرا عن المنجز المتاخر والاصل في اللحاق وعدمه انه متى امكن جعل الثاني خبرا عن الاول لا يلحق ويلحق ان تعذر جملة خبرا عنه ولذلك قلت في المنظومة الفقهية :

والاصل في مسائل اللحاق مع كونه في عدة الطلاق

تعذر الاخبار بالتالي لحق اوصح فاعلم انه لا يلتحق

وان اردت زيادة البسط واقامة الوزن بالقسط فاسمع لما نعليه عليك . ذلك ان مما يكثر السؤال عنه تكرير لفظ الحرام من غير تعليق كانت حرام انت حرام او بالتعليق نحو باللازمة او بالحرام لا يفعل كذا مع تكرير جملة التعليق بطرفيها مرتين او ثلاثا او مع تكرير المعلق فقط نحو بالحرام بالحرام او باللازمة والحرام لا يفعل كذا اما الصورة الاولى اعني التكرير بدون تعليق فلا يتكرر فيها الطلاق وان كرر لفظ الحرام الفالما في الدريقيل الخلع انت علي حرام الف مرة تقع واحدة ومثله في الذخيرة والبرازية قال ابن عابدين لان البائن لا يلحق البائن حيث يمكن جملة اخبارا واما الصورة الثانية وهي تكرير التعليق بطرفيه فانه يلزم فيها تكرير الطلاق على حسب تكرار التعليق مرتين او ثلاثا لان التعليق على الاول وقع قبل حصول المعلق الاول فيتعذر فيه الاخبار وتبين الانشاء والحق وفي الدر من ذلك المجل ما نصه قال ثلاث مرات حلال الله علي حرام ان فعلت

زكاة الأموال

تحرير جامع لأحكام زكاة الأموال بقلم شيخ الإسلام المالكي أبقاه الله

اصطلح أهل تونس على أن جعلوا يوم عاشوراء هو يوم إخراج زكاة أموالهم والظاهر أنهم اعتبروا في ذلك أن المحرم هو مبدأ السنة العربية الإسلامية الهجرية ولعلمهم كانوا في هذه الأقطار يبتدئون في المحرم عقد شركات التجارة وتنتهي عنده المحاسبات بين الشركاء وتقويم سلع التجارة ولعلمهم في تعيينهم شهرا لإخراج زكاة الأموال تابعون لأصطلاح سابق في صدر الإسلام يشير إليه ما رواه الإمام مالك رحمه الله في الموطأ في باب الزكاة في الدين أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يخطب فيقول هذا شهر زكاتكم فمن كان عليه دين فليؤد دينه حتى تحصل أموالكم فتؤدون منها الزكاة قال شراحه وذلك في شهر رجب ولم يتكلم شراح الموطأ في هذا الأثر بكلام شاف

ووجد الشرط وقع الثلاث قال ابن عابدين لأن البائن يلحق البائن إذا كان معلقا قبل وجود المعلق الأول . وأما الصورة الثالثة وهي تكرير المعلق فقط كما هو موضوع السؤال فإنها كالصورة الثانية يكرر فيها الطلاق بالحث لتعذر الأخبار أيضا وقد أسلفنا بيان ذلك بما لا مزيد عليه نعم تصح في الصورة الثانية والثالثة نية التوكيد ويصدق ديانته أي فيما بينه وبين ربه تعالى لأنه نوى ما يتحمله لفظه فيفتيه المفتي بعدم تكرار الطلاق بعد تحليفه . لا قضاء أي لا يصدق القاضي ويقضي عليه بتكرار الطلاق لأنه لا يعلم منه إلا الظاهر والمتبادر من التكرار هو التأسيس أي إنشاء الطلاق وفاقا لما قالوه في فروع كثيرة لكن صرح الزيلعي وغيره بأن المرأة كالقاضي فلا تصدق الرجل في نية التوكيد لأنها لا تعلم منه إلا الظاهر أيضا وبذلك يتضيق الحال على المفتي في الافتاء بتصديقه وعدم تكرار الطلاق لأن المرأة في الغالب لا تعلم الحكم المتعلق بها وتعتمد على ما أفتى به المفتي ورأيت في البحر عن الأوزجندي أن المرأة ترفع الأمر إلى القاضي فإذا لم تكن لها بينة تحلفه فإذا حلف فالائم عليه اه وانت خير بأن المرأة إذا اكتفت منه بالحلف لدى القاضي فالمرأة والقاضي قد صدقا قضاء وذلك مخالف لقولهم لا يصادقانه قضاء على أن تصديقه بعد اليمين وظيفة المفتي ولعل كلام الأوزجندي مبني على أن هناك رواية في تصديقه بعد اليمين ديانته وقضاء لم تقف عليها والأحوط أن يقتصر المفتي في مثل ذلك على الافتاء بما يقضي به القاضي وهو تكرار الطلاق ولا يلتفت لنية التوكيد أن ادعاها الرجل كي لا تعثر المرأة بالفتوى ولئلا ينتقص عدد الطلاق بالنسبة إليها خصوصا إذا بلغ التكرير الغاية والسلام

فمنهم من سكت ومنهم من اجل وذلك دليل حيرتهم فيه وذكر ابو الوليد الباجي في المنتقى احتمالات في المراد منه كلها مدخولة وكلام الموطا صريح في ان هذا الكلام كان يتكرر من عثمان في هذا الشهر من كل عام لقول الرازي كان يقول ، فقول عثمان فمن كان عليه دين الخ يعين ان يكون مراد عثمان بقوله « زكاتكم » زكاة التقدين وما في معناهما من التجارة والديون فيدلنا ذلك على ان المسلمين كانوا قد جعلوا شهر رجب مبدء العام التجاري ففيه يعقدون عقود القراضات ويتحاسبون على الديون وهذا من المعروف في كل قطر ان يكون لهم شهر يعتبرونه مبدء سنة نوع من المعاملات نظير ما عندنا بتونس في اكرية الرباع وفي اكرية الارضين فمن لم يكن ضابطا لمبدء حول التقدين عنده (ويكثر عدم الضبط في ذلك) يصير الى الحول المعين عند اصحاب المعاملات فيزول الاشكال الذي عرض لشرح الموطا في هذا الاثر ولولا ان اهل تونس في القديم اعتبروا هذا المعنى كما اعتبره الذين خاطبهم الخليفة الثالث لما جاز لاحد تاخير زكاته الى وقت معين اذا كان قد مضى على النصاب عنده عام فان مرور الحول على نصاب زكاة المال المقتنى يختلف باختلاف احوال اجتماع نصب الاموال عند اربابها والامر سهل اذا عسر ضبط مبادي الاعوام بالنسبة لغالب الناس فتجعل يوم عاشوراء هو وقت زكاة التقدين والتجارة : فاما زكاة التقدين فهي في الذهب والفضة المسكوكين وفي قطع الذهب والفضة غير المعدة للباس المأذون فيه شرعا اذا مر عليها حول وهي في ملك صاحبها فاما الذهب فتجب فيه الزكاة اذا بلغ منه مقدار عشرين دينارا شرعا فصاعدا مضى عليها الحول والدينار الشرعي وزنه اربعة قرامات وعشرون صانقرام من الذهب الخالص غير المخلوط وحيث كانت السكة الذهبية في معالك العالم المتمدن مخلوطة على نسبة تسعة اعشار ذهبا وعشر نحاسا فيكون نصاب سكة الذهب اثنين وتسعين قراما واربعين صانقرام من سكة الذهب المعروفة اعني مقدار اربع عشرة قطعة وخمسي قطعة من قطع اللوز وذلك صرف الف وتسعمائة وخمسين فرنكا فصاعدا بحساب رواج اللوز اليوم في صرفه بسكة الفضة او بكوارط البنك واذا كان الذهب اكثر خلطا بالنحاس كذهب تونس المصوغ المعبر عنه بذوق تسعة يكون النصاب منه ضعف هذا المقدار تقريبا ويخرج المركزي على جملة ما عنده من الذهب ربع العشر اعني اثنين ونصف في المائة . واما الفضة فنصابها مائتا درهم والدرهم وزنه ثلاثة قرامات من الفضة الخالصة وحيث كانت الفضة المسكوكة في الممالك المتمدنة مخلوطة بنسبة ٨٣ جزءا ونصف في المائة من الفضة وستة عشر جزءا ونصف في المائة من النحاس فنصاب الفضة ستمائة قرام فضة خالصة فاذا زيد عليها ما يعادل ما في الفضة من الخلط يكون نصاب الفضة ٧٠٠ قرام من سكة الفضة وذلك مقدار سبعمائة فرنك فصاعدا من سكة فرنسا

وتونس الفضة الراجعة الآن بالملكة التونسية وعلى هذا التقدير يجري العمل في بلاد الاسلام بنسبة صرف القرام من الفضة ويخرج المزكي عن ذلك ربع العشر

واعلم ان المرجع في تقدير نصاب الزكاة الدرهم الشرعي وهو الذي يساوي ثلاثة قرامات من الفضة الخالصة وهذا الدرهم هو المسمى بدرهم الكيل وانما سمي بدرهم الكيل لان الخليفة عبد الملك بن مروان رحمه الله جعل الدرهم الشرعي هو وحدة المكييل قال فقهاؤنا الدرهم الشرعي هو المسمى بدرهم الكيل وهو خمسون حبة وخمسة حبة من مطلق الشعير وسمي درهم الكيل لانه تشكيل عبد الملك بن مروان اي بتحقيقه ولانه تقدر به المكييل الشرعية من اوقية ورطل وصاع ومداه اما درهم النقد فاصناف شتى في العصور المختلفة من عصور الاسلام كما هو الحال في المكييل . والدرهم الشرعي هو درهم من دارهم النقد في عصر الدولة الاموية والدولة العباسية والعبارة بالدرهم الشرعي الذي يبيته . واما تذاكر البانكة المعبر عنها بالكوارط فانها تعتبر مقاديرها المرسمة عليها فالنصاب من كوارط بنك فرانسا والجزائر هو مقدار سبعمائة فرنك فاكثر ويخرج عنها ربع العشر اعني اثنين ونصف في المائة وذلك لان الكوارط هي في الاصل بمنزلة ديون وامانات عند شركات البنوك مع امكان قبض مقدار ما يرسم بها فبذلك كان لها حكم المال الناض على قول ابن القاسم رحمه الله في مثل هذا النوع من الديون حسب تحقيق تحارير المذهب كابن عبد البر وابن رشد وخليل وابن عاشر ثم ان هذه الديون المعبر عنها بكوارط البانكة بلغت بسبب قوة الثقة بالشركات المدينة بها وضمان الحكومات فيها الى ان صار لها من الرواج بين الناس مثل ما للنقدين فكانت حديرة بان تاخذ احكام النقدين اذ الاحكام منوطة بالمعاني لا بالالفاظ

واما زكاة التجارة فالتجارة قسمان ادارة واحتكار اما الادارة فهي غالب انواع التجارة التي يقرر اصحابها ارباحا مناسبة لاقامة تجارتهم بحيث يكسر عندهم البيع وتجديد السلعة فهؤلاء يقومون سلهم في مبدأ كل عام فاذا بلغت قيمتها حد النصاب باحد النقدين وهو في تونس الفرنك لانه الرائج في التعاقد فيخرجون زكاتها ربع العشر وكذلك ارباحهم الناضة بأيديهم او المؤمنة في البنوك يزكونها اذا مضى حول على رأس المال وكذلك الديون التي لهم على الناس اذا كانت في محل ثقة وامانة مع امكان استخلاصها ويطرحون الديون التي عليهم من جملة اموالهم ويزكون ما فضل بعد طرح الديون . واما الاحتكار فهو المعبر عنه في اصطلاح التجار بالتجارة الميتة التي يطلب اصحابها ارباحا عظيمة حيث لا يبيعون الا قليلا فهؤلاء لا يزكون الا اذا باعوا السلعة بعد حول فاكثر من اليوم الذي زكوا فيه اثماها فيكون عام كل واحد من هؤلاء متعددا فلكل سلعة نصاب عامها الخاص بها فيجب عليهم ضبط

ذلك بالتحريم لئلا يؤخروا زكاة كل سلعة باعوها عن وقت وجوب زكاتها . ومصارف الزكاة مجموعة في قوله تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها) وهم الذين يبعثهم الأمير لاستخلاص الزكاة وكتابة مقاديرها ونحو ذلك فيأخذون اجورهم على خدمتهم من اموال الزكاة (والمؤلفة قلوبهم) وهم الذين دخلوا في الاسلام حديثا (وفي الرقاب) اي عتق العبيد (والغارمين) وهم الذين عليهم ديون في غير معصية او في معصية وثبتت توبتهم منها ولم تكن لهم اموال فاضلة تدفع منها ديونهم ولو كانت لهم عروض تكفي عيالهم (وفي سبيل الله وابن السبيل) وهو الغريب اذا لم يجد مالا في بلد غربته وفي طريق سفره .

واعلم انه يجوز للانسان ان يعطي زكاته الى اقاربه الذين لا تجب عليه نفقتهم ويجوز للمرأة ان تعطي زكاة مالها لزوجها الفقير او المدين . ويعطى لكل واحد من مصارفها ما يكفيه لدفع السبب الذي لاجله استحق الزكاة وان زكاة النقادين توزع في البلد الذي فيه المالك والمراد بالبلاد هو الموضع الذي ينضبط بالعرف بانه بلد اذ قد تكون الارضون شاسعة لا سكان فيها وهي تابعة لمدينة او قرية كالنواشير التابعة للبلدان او تكون حولها وعن بعد منها احياء او بيوت فموضع الوجوب ما كان بلدا او قرية او قرى متجاورة او احياء هي اقرب لموضع المزكي . واما نقل الزكاة الى موضع غير الموضع الذي وجبت فيه ففيه صور . الصورة الاولى ان يكون اهل الموضع اغنياء او يكون المحتاجون فيهم جدا قال مالك يجوز ان تنقل الزكاة الى البلد الذي فيه المساكين وينقل ما فضل عن فقراء البلد الى فقراء البلد الآخر . الصورة الثانية ان يكون في بلد الوجوب فقراء ويكون في بلد آخر مجاعة او حاجة فيجوز نقل الزكاة الى البلد الذي فيه المجاعة حتى يستغني فقراؤه ولا يعطى منها فقراء البلد الذي وجبت فيه الزكاة اذا كان فقراهم لم يبلغ مبلغ الحاجة او المجاعة . الصورة الثالثة ان يفضل من مقدار الزكاة ما هو زائد على حاجة فقراء البلد الذي وجبت فيه الزكاة فهذا ينقل الى فقراء بلد آخر ثم ان المزكي اذا دفع زكاته لفقراء بلد غير البلد الذي وجبت فيه الزكاة في الصورة التي لم يؤذن له فيها بنقل الزكاة اجزأه ذلك ولكنه فعل مكروها وهو قول ابن القاسم رحمه الله . حرره الفقير الى ربه محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي اطف الله به في ٣٠ ذي الحجة وفي ٣ مارس سنة ١٣٥٥ - ١٩٣٧



الوعظ والله

احبينا نشر الخطبة المنبرية التي القاها الشيخ محمد الهادي ابن
القاضي يوم الجمعة ٢٣ ذي القعدة المنصرم بالجامع الكبير بمدينة
باجة بمناسبة الحفل الذي قام به جماعة الشبان المسلمين في
تلك المدينة نظرا لمناسبتها للوقت والحال وما اشتملت عليه من
الدعوة الى مديد الاعانة لآخواننا البائسين من الجائعين والعراة

الحمد لله المتفضل بالعفو عمن اناب ، غافر الدنوب وقابل التوب شديد العقاب ، احسده على
السراء والضراء ، واشكره طلبا للمزيد من النعماء وأتوب اليه واستغفره واساله اللطف في القضاء
واشهد ان لا اله الا الله الذي اختص برحمته من يرحمون . واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله
الذي عنه تعلم الرحمة الراحون . صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه الذين اقتفوا اثره فحيوا حياة طيبة .
واتبعوا سبيله فعاشوا عيشة راضية . اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم
اما بعد فيا ايها المسلمون ان المؤمن الصادق من بذل في سبيل الدين نفسه التي بين جنبيه . وفي
اعلاء شان امته ماله الذي هو حريص عليه . وعلم ان الرحمة بالخلق عمل صالح ذو درجة ممتازة بين
صالحات الاعمال . وتفهم ان القسوة على الخلق عمل منكرا يترأ منه عقلاء الرجال . فلم يتأخر عن اداء
ما توجبه الرحمة عليه لآخوان . وظهرت آثار ذلك للعيان . فان كل شيء لا تترب عليه آثاره لا
يستحق شيئا من الاعتبار .

لكن ويا للأسف هل أتصف بهاته الصفات اليوم المسلمون . ام هل تركوا التباغض والتحاسد
وهم الموحدون . ام هل ربطوا قلوبهم على الاخوة الاسلامية . فتعاطفوا وتراحوا كما امرهم بذلك
رب البرية .

عباد الله ان رسول الله مثل المؤمنين بالجسد الواحد اذ يقول . ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم
وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . فكما ان الجسد اذا
مرض منه عضو تالم له الباقي فلم يذق راحة ولا نوما . وسرت اليه فآلمته الحمى . كذلك المؤمنون
حقا اذا ناب واحد منهم نائبة شعر بألمها الباكون فسعوا بما في طوقهم لاعانته وتخفيف ألمه وهم على ذلك
حرصون . وانتم ايها الاخوان . ايجدر بكم ان لا تكونوا من الذين وصفهم رسول الرحمان

ايحسن بكم ان لا تلبوا داعي الله وتطعموا اليمين . تسابقوا عباد الله لاغاثة المحتاجين فرجوا كربهم
 خففوا الآمهم واسوا فقيرهم والمسكين . ارشدوا حائرهم وانصروا عادم الناصرين أعينوههم على
 ما استصعب عليهم . ارحمهم ما استطعتم فبقدر رحمتكم بالخلق يرحمكم ارحم الراحمين . عباد الله ان
 هذا العام اشتدت وطأته على فقراء المسلمين . وظهرت احتياجا ما يعد بالآلاف من المحاويع
 الجائعين . فراشهم الارض وسقفهم السماء . يسترون عوراتهم بورق الشجر وباقي الجسد في عراء .
 يستغيثون ولا من مغيث يتطلبون رغيقا من الخبز فلا يجدون من به يغيث بكت الصغار فسقت
 الارض كما سقاها السحاب . وعجز الالباء والامهات عن الصبر كما عجزوا عن الاكتساب . ايامة الاسلام
 يا اهل الشهامة المحمدية ايا اهل الغيرة الانسانية . اخواتنا تفتت اكبادهم الحوادث . ونحن لا نبالي بما
 اصابهم من الكوارث . نمرح في اثواب الزينة بين الانام . واخواتنا عجزوا من ألم الجوع عن القيام .
 نتقي المآكل وأطيب الغلال . واخواتنا لم يجدوا ما يسدون به رمق العيال . نتدثر ونحكم غلق
 الابواب خوفا من الريح . وصغار اخواتنا من ألم البرد على اديم الارض تصيح .

فهبوا يا عباد الله الى الصدقة ان الصدقة تطفئ غضب الرحمان فيعفو ويرحم . وتدفع البلاء عن
 العبد وهو لا يعلم . فارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وهو الرحمان الرحيم
 اخرج البخاري ومسلم من طريق ابني هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
 قال من لا يرحم لا يرحم . وفي صحيحه من طريق ابني موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني (اي الاسير) وفي
 صحيحه عن عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم
 اخو المسلم لا يظلمه ولا يسله ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة
 فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة

جعلني الله واياكم من الراحمين المرحومين ووقفني واياكم لنصرة المؤمنين واجبارني واياكم
 من سخطه على الطاغين . الا ان انفع ما به توعظون . وابلق حديث وعاء السامعون . كلام من يقول
 للشيء كن فيكون . « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم » اهـ

تنبيه

ترد على المجلة اسئلة كثيرة قد يتأخر نشر الاجابة عنها بسبب كثرة مواد المجلة ونفعل منها ما

كان غير ممضى

الدعوة الى الاصلاح

التجديد

« ادم الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
في الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن »

اراء المجددين في الاحكام الشرعية ومقايضة بين بعض نظريات في القانون الشرعي والقانون الوضعي

رأينا في مقالنا السابق الكشف عن شيء من النزعات التي تلابس بعض النفوس ولربما تكون عقبة في سبيل المرشد تطيل عليه مراحلها التي عزم على قطعها مرحلة تلو اخرى وتظهر له كظاهرة جديدة اذا هي لم تكن في حسانه فيدعوه واجبه الاصلاحى ان يعدها بعد من مشمولات مراحلها وليس هذا من صنيع الحذاق والخطر كل الخطر اذا لم يهتم بها وباهلها ويتركهم يعشون في الارض فسادا حتى اذا تمكنت نزعاتهم من النفوس وجد المصلح نفسه امام امر مقضي ولا تنفعه التاوهات وينجشم المخاطر اذا حاول اقناعها وتصوير المفسد التي تترتب على ما هم سائرون نحوه . وكان الامر عليه هين لو تبصر سوء العاقبة عند ما تعترضه تلك العقبة في بدء نشوئها سيما ودعات التجديد يلبسون على العموم وبعض الخواص ويتخذون من حججهم سلاحا يواجهون به كل من لا يقارعهم بالحجة والبرهان اذ مجرد الدعاوى التي لم يقم عليها اصحابها البراهين والرمي بالمرق والضلال لا تجدي فتىلا فعلى هذا النحو في المجادلة نعهد الى دعوى المجددين ونسبرها ونحذر المكافاة من الاصغاء اليها بعد اقامة الحجة على بطلانها . نعلم كثرة خوضهم في الاحكام الشرعية وهم في ذلك على صنفين . متطرف ومعتدل اما المتطرفون فنسمعهم بين آونة واخرى يطعنون في احكام الشريعة ويخطئون المجتهدين في استنباطاتهم محكمين عقولهم بحجة ان لنا عقولا كما لهم عقول تقدر بها ان نفهم كتاب الله وسنة رسوله كما يقدررون . فيتأولون النصوص بما تملية عليهم شهوراتهم وكل من رام محاجتهم يغالطونه بان نصوص الشريعة تؤول على حسب تطورات العصور وينبغي ان نراعي في ذلك احوال الامم في حياتها العامة ولا تنقيد بافهام المجتهدين ومداركهم العلمية التي خولت لهم ان يتمسكوا بظواهر النصوص من غير تاويل وتبعهم في اقوالهم من جاء بعدهم من الفقهاء . وهنا نسأل هذا الفريق عن مبلغه من العلم حتى يصح لنا ان نأخذ اقوالهم في التاويل وما هي قيمة ادراكاتهم التي

وصلوا اليها بعقول ليس لها من المدارك ما يؤهلها للتفقه في آي الاحكام وعلى اي قاعدة يكون الحكم بصحة ما أولوا به النصوص دون ما فهمه اولئك المجتهدون منها . واذا كان ذلك منظمهم الذي يحاجون به فلماذا يشنون الفارة على كل من ينكر على احد الفلاسفة بعض نظرياته واذا قال مثل مقالتهم (لنا عقول وللflasفة عقول) يرمونه بالحطل في الراي وانه لم يبلغ به علمه الى حد تخطئة من مارس علم الفلسفة حتى صار من المبرزين فيه واذا هو لم يرجع الى الحادة اعتبروا كلامه نوعا من الهذيان . وهنا نأخذك بلازم قولك يا من تغار على نظريات الفلاسفة فيما لا يترتب عليه كبير خطر بالنسبة الى الانظار الاجتهادية في تفهم نصوص الشريعة وما ينجر من اخطار في تسويغهم تفهمها لغير اصحاب المدارك التي لم يحصلوا عليها الا بعد ممارستهم لها واين مبلغك من العلم بالنسبة الى اولئك الذين علموا ، مقيد النصوص من مطلقها وعامها من خاصها ومنسوخها من محكمها وضبطوا صحيح السنة وتراجم رجال الحديث وخبروا طرق الاقيسة وعللها صحيحها من فاسدها من قبل . اليس من الحكمة ان لا يتكلم الانسان في علم اذا لم يكن من اهله ولا ينتقد على صانع في صناعته اذا لم يكن من اربابها والا لاصبح المهندس خيرا في علم الطب والحداد معلما للسفار وهكذا وكان هذا مدعاة للفوضى التي لا يقرها كل من له مسكة من عقل

هذا ما نذكره في دحض مزاعم الفريق الاول من المجددين وهم المتطرفون اما الفريق الثاني وهم اهل الاعتدال كما يصفون انفسهم فهؤلاء يتحرون في طرق الطعن وينسبون التقصير الى العلماء المتأخرين في عدم مجاراتهم للظروف واعتبار الاحوال التي تعرض للبشر في هاته العصور المتأخرة فيقولون ان الفقهاء قد عكفوا على نصوص من سبقهم وهي وان صلت لعصر من عصور الاسلام فكيف يصح لنا ان نسير على مقتضاها والناس اليوم يتعاملون مع امم لها نظم وضعية ولنا مصالح تدعون لمسايرتها . ويذكرون من انواع التشريع التي غايرت فيه نصوص شريعتنا نظرية مشرعهم امورا تعرض الآن الى نوع منها وهو المعاملات مع المصارف (البنوك) بفائض نسي قسمهم يقولون ان فقهاءنا شددوا النكير على كل من رام هاته المعاملة حتى بقيت الامة على نحو ما نشاهد من قلة المال الذي لوراج بين الناس لاحدث نمو في الاقتصاد العام . ويعتبر الواحد منهم ان هذا التشريع لم يبق مسايرا لمدينة هذا العصر وهو من الاسباب الرئيسية التي تترك الامة الاسلامية لا يتسنى لها ان تتعامل مع أية دولة من دول العالم ما دام هذا التشريع وما دام العلماء لم يفسحوا لانفسهم المجال ويتفقهوا في فهم الكتاب المجيد ويستنبطوا مباشرة ما يلائم مصالح المسلمين مع بعضهم ومع غيرهم من امم الارض ويتأولوا ظواهر النصوص على نحو ما تقتضيه روح العصر . ونحن نبحت مع هذا الفريق في دعواه

هاته مبينين له ان الاحكام الشرعية منها ما هو ثابت بالنص الصريح الذي لا مجال للمجتهد في استنباط غير الحكم الذي دل عليه هذا النص ولذلك تجد الفقهاء لا تختلف اقوالهم في الحكم الذي من هذا القليل ومن ذلك ما ذكر من المعاملات مع المصارف التي هي من المعاملات الربوية التي نص الشارع على حكمها ولا تجد بين المجتهدين خلافا في القول بالتحريم المستند على نص صريح يعتبر الاقدام على تاويله تهجما على نصوص الشريعة وتبديلا بالتشبي وفي ذلك من الزيف ما لا يخفى

انظر ايها المجدد الى صريح حكم الربا في قوله تعالى : (الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يمحى الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وإقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يأبى الذين آمنوا أنيقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) . ترى ان هاته الآيات صريحة في حكم المعاملات الربوية الذي هو الحرمة وهي من آخر ما نزل من القرآن فلم يكن هذا الحكم خاصا بوقت دون وقت وقد افصحت السنة عن بيان المرد من الربا المحرم في الآية قل عليه الصلاة والسلام (الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد . فمن زاد او استزاد فقد اربى . الآخذ والمعطى فيه سواء . فقوله مثلا بمثل يدا بيد بيان للصور المباحة وعلم منه ان الاقتراض بالزيادة كيفما كانت نسبتها من المال المقرض لا تحل ولا يطيب اخذها كما لا يطيب اعطاؤها ولا أين في هذا المقام من قوله عليه السلام : فمن زاد او استزاد فقد اربى . من غير فرق بين الزيادة مع نقد التهنين والزيادة مع النساء وتأخير الدفع . كل هذا يوضح لنا أن الآية كالحديث يفيدان حرمة المعاملات الربوية على اختلاف أنواعها بدون فرق بين الزيادة الفاحشة واليسيرة وبه قال الصحابة الاعلام فكيف يسوغ بعد هذا ان يقف المجتهد متأولا ويستنبط لنا حكما يخالف الحكم الوارد بالكتاب والسنة والاجماع ونسيغ لانفسنا تخطئته لعدم تجويزه هذا التعامل وتطلب من العلماء ان ينظروا الى نصوص الشريعة بحسب ما يوافق الاهواء واما دعوى ان هاته المعاملات صارت ضرورية لكل امة تريد ان تضرب بسهم في مدنية العصر الحاضر ولا تتمكن امة من حجاب الاموال من الخارج الا اذا أباحت لنفسها المعاملات مع المصارف . فنقول في دفع هاته الشبهة ان الشرع الاسلامي لم يكن حجر عثرة في سبيل حياة الامم وتقدمها وراعى في كل اصناف التشريع ما هو

الاصلاح بالبشر وان قصر ادراك حكمها على بعض الادهان او تخيل اليها انها شرعت لبعض الازمان وليس الامر على نحو ما يظن ونحن اذا تفهمنا واعدنا النظر في مدلولات الشريعة تجلى لنا وما على الصبح قناع ان هذا التشريع اقيم على أساس متين فنظر الى هاته المعاملة نظر الصواب ولم يراع جانب رب راس المال فقط وهم اصحاب المصارف والمساهمون فيها في موضوعنا من غير التفات الى المستقرض كما هو الحال في جانب التشريع الوضعي المشار اليه بل راعى جانب المستقرض ايضا فمنع المعاملات الربوية بجميع اصنافها

وحرصا على مصالح الناس حيث ان طبقاتهم ليست على نسبة واحدة فمنهم ذو المال العاجز عن التكسب به ومنهم القادر على التكسب الفاقد للمال شرع لهم القراض الذي روعي فيه جانب الممولين من جهة ومصلحة العمال من جهة اخرى على ان يكون ربح الملي موقوفا على ربح من يعمل فيه وهو الآخذ للمال مضاربة من غير تعريمه بشيء من الخسارة اذا لم تكن له يد فيما تلف ولا هو يطالبه بفائض في مقابلة ماله وتكون الارباح بينهما على قدر مشاع يتفقان عليه حسما للنزاع. فانت ترى ان هذا النوع من التشريع جاء مطابقا لقواعد العمران واعتبر الاجادة في الاعمال وحصول النفع لا مظنته من غير تعلق بالاماني الكاذبة والآمال الضعيفة وبتحصيل المرافق وتيسير المنافع يستحق اصحابها ان ياخذوا في مقابلتها ما ينتفع به ويطيب لهم حينئذ اكتسابه.

فقانون الارتزاق الشرعي يفي بالغرض المقصود من استعمال الاموال المعطلة واستغلالها لكن بوجه يضمن المصالح ويعم نفعه الطبقتين المتمولة والعاملة. ولا علينا في الاموال الاجنبية التي لا يدخلها اصحابها في اقتصاد البلاد الا اذا كان الربح محققا لهم لان خطرها لا يخفى على لبيب. ونحن لا نعدم امثالا اذا أقمنا حركتنا الاقتصادية على الشركات وهنا نلاحظ للمجدين خاصة ولا متنا عامة. ان النمو المتواصل في الحركة الاقتصادية عند غيرنا من امم العالم لم يكن مقاما على مال المصارف فقط بل هو مقام على التضامن المالي الذي تتمتع به الشركات والثقة المتبادلة بين المساهمين فيها والامانة التي ارتكزت في نفوس المسيرين لدواليبها اللهم الا ما قل وهو لا ينقض به حق انك لا تكاد تجد نوعا من انواع الاقتصاد الا وتخف به الشركات من جميع وجوهه فخير لمن يرغب في ادخال امثال ذلك النوع من التشريع في الممالك الاسلامية ويزدري بالنصوص والقائمين عليها ان يتبصر في العواقب ويبحث عن اسباب انتعاش اوجه الاقتصاد في الممالك الاروية وغيرها في عصورها الاولى والحاضرة ليتجلى له صدق ما قلنا ويسعى بين افراد امته في بث روح التعاون والصدق والامانة التي عليها قوام الشركات. وما احجم الناس عن تكوين الشركات الا من اجل فقدان هاته الصفات او ضعفها والمشاهدة اقوى

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

هل لتونس نواب سياسيون يمثلونها بالخارج قبل عصر الحماية

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد ابن الحوجبة
المستشار لدى الحكومة التونسية

اعلم ان النواب الذين يمثلون دولهم بالخارج هم القناصل في عرف اهل السياسة والقناصل جمع قنصل ومعنى هذا اللفظ تلخصه لك مما جاء بحرف القاف في كتابنا « جيش الدخيل » وفي اللسان التونسي الاصيل « واليك ذلك: لفظ قنصل استعارته اللغة الفرنسية من امها اللاطينية ونظامه في اصله يتصل باوائل التاريخ المسيحي بل كان موجودا قبله عند الرومان وهم الذين ابتكروا ووظيفة القنصل عندهم اذ ذاك هي الحكم المطلق وتعيينه يكون بطريقة الانتخاب مع رفيق له يمثل لقبه لياشر الشئون العامة مدة عام ويكون لهما من السلطة ما للهوك المتوفين ومن هذا النظام اقتبس الفرنسيون في آواخر القرن الثامن عشر لقب قنصل لنا بليون بونابرت قبل استبداده بالحكم فيهم اما القنصل بالصفة السياسية المعروفة لعهدنا الحاضر فان خطته تكونت بايطاليا حوالي القرن الثاني عشر دليل ولسنا في مقام تعداد الشركات التي تأسست في هاتها البلاد وغيرها وما طرأ عليها بعد حتى اسقطها قبل ان تنتج .

ومراعاة التشريع الاسلامي للطبقتين المتمولة والعاملية هو اضمن للمصالح العامة لو تبصرة المتبصرون وعلى عكس ذلك كان النظام الذي يرغبون فيه فهذا قد فرض على المستقرض ان يدفع جانبا من المال للمقترض منه فياخذ هذا لا في مقابلة شيء ظلم منه وجورا وبه تستمر ارباح طبقة الماليين مضمونة وثرواتهم في نمو وعلى عكس ذلك المستقرضون الذين وان يحصل لهم ربح مرة تفننه الخسارة اخرى ولربما لا يجد الواحد منهم ما يسدد به طلبات مقرضه المالي فيعيش حياته كلها مدينا له . وما اسباب الازمة التي شملت الفلاحين والتجار وارباب الصنائع وغيرهم الا تلك الفوائض التي تزداد كل ساعة ولم يجد المستقرضون للخلاص منها سبيلا فبيعت عليهم مكاسبهم بابخس الائمان وهم ينظرون ولا حول لهم ولا قوة .

محمد تامل بن القاسمي

للميلاد ونحن اليوم في القرن العشرين وايطاليا هي اول دولة اقامت قناصل لها بالبلاد الشرقية ثم انتشر استعمال هذه الخطة شيئا فشيئا بين بقية الدول فكان لفرنسا قناصل بالخارج في عهد الملك لويز التاسع يعني سان لوييز الذي غزا تونس على عهد المستنصر الحفصي وهذه الغزوة هي آخره الحروب الصليبية وهي الثالثة في العدد. والرتب القنصلية درجات في اعلاها القنصل جنرال يتلو القنصل فالقنصل النائب فالنصف قنصل وتلتحق بها خطة مترجم القنصلية وخطة الكنشير والقنصل حق التمتع بما يسمونه « العصمة » في الاصطلاح السياسي (Immunité diplomatique) يعني لا يجوز بحال مسه بسوء وهو ملتبس بخطة القنصلية لان اهاتته يعدونها اهاتة لمجموع الامة الممثل لها بالبلاد المنتصب بها ولولا اعتداء حسين داي صاحب الجزائر على قنصل فرنسا عند حضوره لديه للتهنئة بيوم العيد وضربه اياه بمنشة الذباب التي كانت بيده لما جاءت فرنسا بخيلها ورجلها لغزو عمالة الجزائر والاستيلاء عليها باجمعا من قاف الى قاف ولكن التاريخ حفظ ايضا اعتداء كهذا في عهد مولاي الحسن سلطان المغرب اوائل هذا القرن الهجري حيث اوفد بعثة رسمية لاسبانيا فتقدم الماريشال كمبوس احد عظماء اسبانيا نحو المبعوث السلطاني في موكبه وصفعه بكف يده على وجهه ولقد اهتز العالم المتمدن يومئذ لهذا الحادث الشنيع المخذل بشرف الامة الاسبانية ولكن النازلة انتهت بمجرد اعتذار من دولة اسبانيا للدولة المغربية وان شئت قلت تمت القضية بتغلب القوي على الضعيف عملا بالقاعدة البسماركية من ان (القوة تغلب الحق) والليالي حبالى يلدن كل عجيبة . واعلم ان القنصل لا تتم ولايته الا بعد اعلام الدولة المعين للنيابة لديها وموافقتها على ذلك ولا يجوز بحال ارغام الغير على قبول قنصل لديه بدون رضاه وقد اتفق ان دولة النمسا كانت بعثت لتونس قنصلا على عهد المشير احمد باي الاول قبل التفاهم معه في شأنه فرفض الباي قبوله ورجع من حيث اتي. ووظيفة القنصل هي المناضلة عن مصالح امته وبني جلدته القارين بالبلاد المقيم بها ولا سيما الوقوف على حركة التجارة بها ليسهل لامته الاستفادة من ذلك بالاخذ والعطاء ومن اشهر قناصل اروبا بتونس في النصف الثاني من القرن الهجري الماضي قنصل فرنسا المستعرب ليون روش وكان يعرف باسم الحاج بين التونسيين لانه حج واعتكف وطاف بالبيت العتيق وهو رجل سياسي حنكته التجارب والاختلاط ببني الاسلام في الشرق والغرب وصفه المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف وكان من معاصريه بقوله « ركض في كل ميدان وهب مع كل ريح » ومنهم ايضا معاصره المستشرق وود قنصل انكلتيرة ويعرف في تونس باسم هود وقد كانت له علاقة وداد مع بعض مشيخة العلم بجامع الزيتونة كما يستفاد ذلك من رسالة له حررها بالقلم العربي لا تخلو عنها مكثبات بعض بيوت العلم بتونس ومنهم القنصل ماتشو ممثل دولة ايطاليا بالحاضرة في عهد اتصاب الحماية وكان

دائما ابدا على تقيض مع زميله القنصل تيودور رسلطان نائب الدولة الجمهورية الفرنسية تعارفا اولاً بالشام ثم التحقا ببعضهما في تونس واجتهدا في المنافسة السياسية وكانت الغلبة بالآخرة للممثل فرنسا وعلى يده تمت عقدة الحماية في ٢٨ جمادى الآخرة ١٢٩٨ (١٢ ماي ١٨٨١) وكان يوم خميس وفي غدة رفته دولته لمنصب وزير مقيم بتونس، وفقا لنص معاهدة الحماية فيكون هو آخر قنصل فرنساوي بقنصلات فرنسا بتونس قبل تحويلها لسفارة واول قنصل لفرنسا بها هو القبطان لويز درياس من اعيان مرسيليا تولاه في سنة ١٥٧٧ وفيما بين ذلك اسندت الحطة القنصلية الفرنسية بتونس لثمانين رجلا بين قنصل ونائب قنصل ونصف قنصل

وفي الوقت الحاضر يوجد بتونس خمسة وعشرون قنصلا اجنبيا معترف بهم كلهم من لندن الوزارة الخارجية بفرنسا وهم : ١ - فعن اروبا قنصل انكلتيرة وقنصل ايطاليا وقنصل المانيا وقنصل البلجيك وقنصل اسبانيا وقنصل السويد وقنصل النرويج وقنصل هولاندة وقنصل اليونان وقنصل تشكوسلفاكيا وقنصل البرتغال وقنصل يوغوسلافيا وقنصل فلاندة وقنصل مونوكو وقنصل بولونيا وقنصل رومانيا وقنصل النمسا وقنصل سويسرة وهذا مركزة بالجزائر : ٢ - وعن امريكا قنصل الدول المتحدة وقنصل هايتي وقنصل البرازيل وقنصل شيلى وقنصل ارجنتين وعاصمتها بونس ايرس حيث مركز السفير مسيو بيرطون المقيم العام السابق بتونس ٣ - وعن آسيا قنصل الجابون وهو حيننا المستعرب برات المراقب المدني كان بتونس ٤ - وعن افريقيا قنصل مصر ومركزة بمرسيليا واسمه حسن زكي افندي وهو الممثل لدولته بالثغر المذكور ونظرة شامل في ان واحد للمصالح المصرية بجهة مرسيليا وبالمملكة التونسية . وكل هؤلاء القناصل لا علاقة لهم بالدولة التونسية الا من طريق فخامة المقيم العام الجامع في شخصه بين خطته الفرنسية وبين خطة الوزارة الخارجية التونسية اما المملكة التونسية فليس لها نواب يمثلونها بالذات لدى هاتيك الدول لان رعاياها ومصالحها بالخارج في كفالة الدولة الفرنسية طبقا لنص صك الحماية على انها اي تونس لم يمكن لها نواب او قناصل باروبا قبل عهد الحماية فان صبغتها الدولية في عهد استقلالها النوعي لم تبلغ بها لدرجة الاستتابة السياسية في المجتمع الاروباوي ضرورة أنها في حال تابعيتها للباب العالي مدى القرن الحادى عشر للهجرة كانت مكنتفة بالسيادة العثمانية التي لها حق ايفاد السفراء والقناصل لتمثيل كافة الممالك العثمانية وفي ضمنها الايالة التونسية وبالتالي استمر الحال بمثله رغما عن تدرجها في مدارج الاستقلال الداخلي والخارجي كاتخاذ راية خصوصية غير الراية العثمانية في عهد حسين بن محمود باي وكسفر المشير احمد باي الاول لباريس وزيارته لحبيه لويز فيليب ملك فرنساويين بدون وساطة السفير العثماني

وكضرب السكة باسم الباى في عهد خلفه المشير الثانى وكعقد المعاهدات العمومية مع الدول بدون مراجعة الباب العالى الى غير ذلك من دلائل الاستقلال مما يطول ذكره والتوسع في هذا الموضوع يجرنا للكلام عما اصطلحت عليه بعض دول اروبا من نحو ثلاثة قرون من ان تونس ليس لها انفاذ رسول للخارج بلقب سفير وانما لها الحق بتوجيه رسل بعنوان مبعوثين عندما تدعوها الحاجة لذلك تنتهي ماموريتهم بانتهاء النازلة او النوازل الموفدين من اجلها حيث ان خطة المبعوث في نظر اهل السياسة غير خطة السفير لان المبعوث خطته في الغالب موقفة كما سبقت الاشارة لذلك وخطة السفير سياسية قارة وهذا الاصطلاح من قبيل الافهام الدقيقة واين هو من فهم شاعر تونس الشيخ محمود قابادو حيث يقول :

وامضى وزير البحر لله دره سفير الاسلابل يستحكم الربط

فلفظ سفير في هذا البنت وان كان صحيحا بالوجه اللغوي لا يؤدى في عرف اهل السياسة غير معنى مبعوث فحسب على ان كتاب العربية وشعراء الدور القديم بتونس كانوا اكثر تشبها ببلالة التركيب ورقة الشعر منه بكنه الشيء المتحدث عنه على عكس اهل النظم والشرف في هذا الزمان الذي كثر فيه احتكاك الافكار وتقدها وانت تعلم ان الحقيقة بنت النقد

بعد هذه المقدمة نقول ان المملكة التونسية لم يكن لها كما رايت نواب رسميون قارون بالبلاد الاروباوية ولكنها كانت كما لم تزل توجه المبعوثين بالماموريات الهامة لمختلف البلدان باروبا وغيرها من الاقطار ولقد تكلفنا لضبط عدد المبعوثين التونسيين الذين اوفدتهم تونس لفرنسا في عهد العصر الحسينى ابتداء من دولة المولى حسين بن علي تركي الى انتهاء دولة المشير محمد الصادق باي فكانوا اثنين وخمسين مبعوثا بين امراء ووزراء وكبراء في الدولة منهم المشير احمد باي الاول والمشير محمد الصادق باي (للجزائر) والامير الامين باي والامير المامون باي والامير الطيب باي (للجزائر) ومن الوزراء يوسف خوجه صاحب الطابع ومحمد خوجه ومصطفى خزندار وخير الدين ومصطفى آغه ومصطفى بن اسماعيل وحسين (للجزائر) ومن الكبراء في الدولة محمود كاهية ومحمد بن عياد وجوزاين رافو وابنه فليكس ومحمود عزيز وامير الامراء رشيد المملوك (للجزائر) وحسونه متالي وحسن القرون وغيرهم وزيادة على ذلك فقد كان للملكة التونسية وكلاء بالخارج ولكنهم غير معترف بهم رسميا من لدن حكومات العواصم المستقرين بها بيد انه كان لهم الاذن من سمو الباى في احاطته علما بماجريات الاحوال التي تم بلادها فكان لتونس في عهد الدولة الصادقية وكيل بباريس وهو البارون جول دي لسباس واليه ينسب الشارع الجديد المحدث بحي البليدير الاعلى وهو اخو فرديناند دي لسباس

مبتكر قنال السويس بمصر. كما كان لها وكيل بقسنطينة وعناية وهو يوسف اليقرو عامل الاعراض وامير الامراء فيما بعد ووكلاء بايطاليا في مدن نابلي وفريسة والقرنة وكلياري وبليرم وطرابنية ووكيل بمالطة من ابناء هذه الجزيرة وقفت له على مكتوب من انشائه بالقلم العربي خاطب به الوزير مصطفى بن اسماعيل عبارته تضحك النكلي ووكيل بجبل طارق وكان يهوديا ووكيل بالمونكو ولعمري ما هي المصالح التونسية التي استوجبت اذ ذلك اقامة وكيل بتلك الناحية التي هي عبارة عن دار للمقامرة فحسب ووكيل باشبونه ووكيل باصطخولم كذلك كان لتونس في العصر المذكور عدة وكلاء بالبلاد الشرقية فبلندينة المنورة كان وكيلها الشيخ حمزة ظافر من اقارب الشيخ محمد ظافر المشهور معتقد السلطان عبد الحميد خان والاستانة عمر ارواي اصيل جزيرة حربة وبالقاهرة سعيد الشماخي الجربي ايضا وبالاكندرية الحاج علي القيزاني ثم صالح بن دحمان وبطرابلس الغرب الحاج قاسم البقار وبنغاري الحاج احمد المهداوي وفي صدر الدولة العلوية سمي عبد الرحمن برهان الزمزمي وكيل للتوانسة (لا لتونس بمكة المشرفة وماتت هذه الخطة بموت صاحبها واتفق انه نقل عنه للشريف عون الرقيق امير مكة المكرمة اتخاذ للقب قنصل تونس فلما حضر لديه في موسم الحج وتقدم لتقبيل راحته دفعه بجمع يده انكارا لما بلغه عنه . هكذا سمعت من بعض نقاة الحجاج ممن حضر وقفة ذلك الموسم والعهدة عليه واعلم ان جميع اولئك الوكلاء من اروباويين ومسلمين انتهت ماموريتهم يوم انتصاب الحماية وكان من اشهرهم واوفرهم اخلاصا للمملكة التونسية البارون جول ده لسابس وكيلها بباريس والمرحوم عمر ارواي وكيلها بالاستانة وهذا كان ابوه وكيلها من قبله والتحق عمر ارواي بالوزير خير الدين باشا اثناء اقامته بالاستانة وكان يعرفه من قبل ويعتمده في المهمات ناهيك انه جعله احد اوصيائه على بنيه من بعده ومات عمر ارواي عن تسعين سنة في عام ١٣٣٥ ومن احبابه بتونس المرحوم العربي بسيس وعنه اخذنا هذه الافادات في حقه مع كثير غيرها مما لا محل لذكره بهذه النبة .

ونختتم هذا الباب بحديث غريب لم يتقدم نشره باللغة العربية بتونس وصورته ملخصا عما جاء في بعض اجزاء مجلة المشيخة القرطاجية ان الوزير مصطفى خزندار اقام في سنة ١٢٧٧ وكيل لسمو الباي بمدينة جنوة من اعمال إيطاليا وهو الكونت فاندوني واعطاه لقب قنصل جنرال فلم تعترف به الحكومة الطليانية ولكنه لم يعبا برفضها وتمادى على احداثه المشاكل بين تونس وإيطاليا وكتب في الجرائد فصولا اثارت الخواطر بلندرة والاستانة كان يمضي عليها باسمه مذيلا بلقب « قنصل جنرال صاحب الجلالة باشا باي تونس » واستندراموا الا طائلة من الوزارة التونسية في مقابلة ما يكتبه من الفصول

ولك ان تقول الفضول ثم تدرج في تهافته ومساعيه بايham الوزير المذكور انه سيحصل له على العضوية باحد المجامع العلمية بفض . ما ينشره في حقه من الاطراء والثناء بالجرائد الاروباوية ويستزيد من استدراار الاموال مع الحصول على رتبة الكمندور في نيشان الافتخار. وفيما بين ذلك يختلق النوازل ويكتب الوزير بما لا وجود له ويستاذنه في القيام بالماموريات التي يهيم اسبابها ويتهافت بين البلدان فينما يكون بجنوة يكاتبه بانه على سفر لسويسرة ثم يعلمه بانه انتقل لباريس ومنها الى لندرة لمصالح دولة جلالة الباشا باي « ثم يغرب عليه بالاخبار والحواادث المختلفة يستدر منه المال وبالأخر اضطرت الحكومة الطليانية للتججير عليه بالاقامة في بلادها فانتقل بقنصليته لمدينة لندرة وطلب من الوزير ٦٧٠٠٠ فرنكا عن مضاريف انتصابه في السنة الاولى وكان يحيل سندات مطالبه المالية على البنوك فعمجزت الخزينة التونسية عن دفعها ومن ذلك مبلغ قدره ١٦٨١٣٨ فرنك دفعه له الوزير بسرايته بقرطجته بتذاكر مالية تونسية بعنوان تصفية حساباته معه وانتهاء مامورياته فقبض المال وسخر من البقية واستمر على تقلباته واعماله باروبا ساعيا لعقد قروض باسم الدولة التونسية وتعرف ببعض قرابة الوزير بتونس وغيرهم منهم الصحافي علي فارس الشدياق وهذا الرجل الذي عرفناه بالذات في آخر عمره كان يمثل الفطنة الشرقية باكمل معانيها وكان ملحقا بقسم المترجمين بالوزارة الخارجية بحلق الوادي وبهنا الثغر اقام ابوه من قبله اثر اعتناقه للإسلام في سنة ١٢٦٤ وكان اسلامه على يد الشيخ الجدد قدس سره والواسطة في ذلك الوزير حسين مستشار المعارف ولكن الخطوة التي نطت بعهدته كانت دون مواهبه واطماعه فكتب في ذلك قصيدته التي يقول في مطلعها :

ماذا جنيت وما جنت اجدادي حتى غدا حبسي بحلق الوادي
ولم لو ان مقامه بحلق الوادي لم يئأ له فيه عيش فقد قال في ذلك ايضا :
مجاورة اليهود غدت نصيبي بحلق الوادي والسكنى اضطرار
وقالوا هل ترى فينا خيارا فقلت خياركم فيه الخيار

وكان من حظه الارتحال عن تونس ومن حظ ابنه الترجمة بالوزارة الخارجية ثم الالتحاق بابه بعد تأسيسه لجريدة الجوائب في عام ١٢٧٧ اما الكونت فاندوني موضوع الحديث فانه لما اعيت مذاهبه وتحقق غلق الابواب الخزندارية دونه فقد قام بقضية على الدولة التونسية طالبا من خزيتها بقية اجورة في مقابلة خدماته . . . الجلييلة التي اجهده في سبيل مصالح البلاد التونسية باروبا وكانت تلك البقية مقدرة في حسابه بثلاثة ملايين ولاذ بحكومة بلادة فتدخلت الدولة الطليانية في النازلة وركن الشقان لتشكيل لجنة من بعض حكام محكمة النقض والابرار برومة لتصفية مطالب فاندوني فحكمت هذه

الاول

ننشر تحت هذا القسم نص الفرائد الثلاث التي القيت يوم الحفل العظيم الذي اقامته (الجمعية الزيتونية) في الشهر المنصرم لتسجيل تاريخ الحركة العلمية بجامع الزيتونة ونشر فضائله بقلم امير شعراء الخضراء السيد الشافلي خزندار

الفريدة الاولى

الابيك يا ثاني القرون	حديثك والحديث لذو شجون
تمثل بيننا الماضي فكدا	نشاهد ما تقصه بالعيون
هنا الحجاب عبد الله خطت	يداه البيت تخطيط الحصون
تذكرنا المعاهد من بناها	فتدعوننا لمعرفة اليقين
هنا الزيتونة الهادي سناها	بنور الله لا نور الفصون
فلا شرقية بلغت علاها	ولا غربية في اي حين
لها في نسبة البيت افتخار	تأبد بالشروح وبالمشور
فبات المعهد العلمي بحرا	يفيض عليك بالدر الثمين
اذا استمطرت راحا من ذويه	جرت كالسيل من ماء معين
تسلسلت الفحول به هداة	تمشت بين سهل والحزون
تصفح دفتر الملوك تصفح	عن الكشاف للسر المصون
فلولا الدهر حركنا لاودت	بنا الاحلام في ذاك الكون

اللجنة برفض اكثر تلك المطالب وبقبول البقية منها مرتبه عن خمس سنوات واشترطوا على ان يكون الدفع نقدا ذهباً برومة . فهذه القصة الغريبة ليست هي بالاولى في بابها وضروب النصب والاحتيال كانت كثيرة في الزمن الماضي والماضي وصفه الشاعر الحكيم بقواه :

ما مضى فبات والمؤمل غيب ولك الساعة التي انت فيها
محمد بن الخوجه

الفريدة الثانية

لمدير المجلة

كفى العلم ان اعىى اللسانين حمده
وليست يد الانسان مهما تظاولت
فحظ الورى من صيب العلم قطرة
يزيد جلال العلم ما ازداد منعة
وكل امرىء تصبو الى العز نفسه
جرى قلم الرحمان بالعلم فاستقى
فشعت على الاكوان لآلآء شمس
واودع في روع النهى بعض سره
فسبحان من اعطى وسبحان من هدى
واطلع بدر الدين من خير مطلع
حمى الكعبة الغراء والموئل الذي
ديار بني عدنان ءاباء هاشم

وناء بفرسان البرية حده
بسالفة من امره ما توده
وسلواهم من طيفه اللدن وعده
وحلوعذاب النفس ما ازداد صده
يهون لدى غول المعارج جهده
بمورده الاسماء آدم عبده
وطوق لبات الخلائف عقده
فهب لها في عدة الفتح جنده
وسبحان من قد هل بالعلم رفته
يضع به بان الجنان ورنده
يقرب آمال القواصد بعده
واسرة من بذ الاكارم محده

بني الزيتونة الخضرا هلموا
وكونوا الروضة الغناء تزهو
لئن عدموا فما عدت بنوهم
فما من حازم الا ونادى
فبثوا في نفوس القوم روحا
فما للجامعات ولست اطري
ومدوا للاخاء يدا فانتم
تغذيتم لبان العلم فاشفوا
وذودوا عن حماء بكل حزم
ويحسن بعد ذلك ان ينادي
« اذا ما راية رفعت لمجد »

بهمتكم لتحقيق الظنون
بانوار المعارف واليقين
ولا الاحرار راضية بدون
« متى اضع للعمامة تعرفوني »
مؤبدة باخلاص ودين
سواكم في البلاد فصادقوني
احق الناس بالحق المين
به غلامن الداء الدفين
تكونوا منه في الحصن الحصين
فقى الخضراء وضاء الجبين
تلقاها عرابة باليمين
محمد الشاذلي خزنة دار

جلاسه لنا بدرا يؤيده الهدى
يفيض على الغبراء علما وحكمة
وينثر من آي الكتاب فريدها
فرائد عرفان وخرد حكمة
وسار على مثاله من فاز واهتدى
فشيدت صروح العلم في خير موضع
تيممها القصاد تحذوهم المني



معاهد للإسلام جازت قبائها
مبان على التقوى اقيمت بهمة
لتونس منها معهد غير أنه
ترد له الابصار وهي خواشع
تنضد عقد المتقين دعائه
تجمع طلاب العلا حلقاته
يفوح بازهار المعارف روضه
تهادي به الاعلام من كل جيبه
اذا قال قولاً زال للشك غيبه
بذاك حكى التاريخ عن امه للذي
تذكرنا الذكرى بايام عزه
وما السن التاريخ عن امر يومه
فمن نكد الايام ادمان شعبنا



اقوم الهدى لا يصلح الله امرنا
سلام على ايام مجده تصرمت
سلام ورضوان على خير معقل

الطاهر البقصار

الفريدة الثالثة

للاديب العالم الشيخ علي النيفر المدرس
من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

بماضي بني الحضراء كم مثل سارا
تبارك من اولى بني تونس العلى
وشاد بهم بنيان كل فضيلة
خوالدهما أودت بهن يد البلى
مآثر قد أنسين ما أثر الاولى
تراث به نعتز أصبح بيننا
مظاهر فخر يهر العين حسنها
اولئك قوم اثلوا مجد تونس
ونالوا كما شاء المنى كل مفخر
بكل مجال للحياة وحلبة
وفي كل علم نافع أو صناعة
لقد خلدوا للقطر ذكرا معطرا
وكائن لهذا المصر من تالد العلى
علا صيته دهرا فأخمل ذكرها
واشرف ما جلى به المعهد الذي
هو المعهد العلمي والمعلم الذي
تبارك منشأه لذلك ما اتمى
له مفخر بين المعاهد طائر
تسير به الركبان شرقا ومغربا
قرارة عرفان ومنبع حكمة
أضاءت على الدنيا فني كل بقعة
أغار بها الآفاق حسنا وبهجة

وكم اثر تعنوله النفس اكبارا
وخولهم صيتا بذا الكون قد طارا
وابقى لهم في ساحة المجد آثارا
وإن كن قد أبلين دهرا وأعصارا
تساموا نهي من آل قيصر او دارا
مضاعا وما تلتني لنا فيه أعذارا
وليدة علم صرحه قط ما انهارا
ولاحوا بها قدما شموسا وأقمارا
نأى بالذي باراهم فيه أو جارى
ترى لحياة القوم ركضا وإحضارا
يطيلون إيرادا لعمري وإصدارا
به قد سما بين الممالك مقدارا
وطارفها ما فيهما بذا أمصارا
وغادرها في مهجة الدهر اسرارا
ارق بنات المجد عوننا وأبكارا
يباهي هلال الافق أدرك إيدارا
لزيتونة باليمن تؤذن إشعارا
يعم بقاع الارض سهلا وأوعارا
ويجتاب آفاقا صداة واقطارا
ومبزغ آيات تملأن انوارا
ترى أثرا منها وتسمع اخبارا
وزان بها التاريخ كتباً وأسفاراً

لدى كل صقع مسحة من جمالها
فكم لاح من آفاقه جهذله
وألقوا عصا التسيار في عرصاته
فأحيى نفوسا منهم سيب هديه
به بسقت أفنان اغصان علمهم
فآبوا الى اوطانهم وقد اغتدوا
يذيعون من علياه ما لم يجنه الز
ويتلون آيات التناء على الاولى
فمن عالم بالدين يسفر عن حجى
ينير دياحير الضلال الخابط
وأخر قد الفت له العربية الـ
جرى لمداها فاستقل بخصلها
وذي ادب مستملح عز ان ترى
بوشي برود القول تحسب انها
مطارف من نسج اليراعة احكمت
بدائع من سحر البيان روائع
اوانس الا انهن شوارد
وكم غرست في ارض طرس يراعه
وفتح من روض الفصاحة نوره
وابدع ما ولى المصاقع دونه
وفي كل فن قادة يحذقونه
كمثل ابن خلدون ومثل ابن عرفة
وغيرهم من كل حبر معمم
ولا برحت والحمد لله ثلبة
كذا العيلم السامي المدارك من سبى
فلولا هم لا نقض صرح فخارنا

وعرف شذي يزدري الروض معطارا
أمال بغاة الرشذ قصدا واسفارا
وكم اكرمت في الدهر وفدا وزوارا
واجرى لهم من صوبه العذب تيارا
وادنت من الجاني ثمارا وازهارا
لذا المعهد الزاهي دعاة وانصارا
زمان على طول اليهود ولا وارى
به وضعوا مما جنى الجهل آصارا
اصيل بعيد الغور كالصبح اسفارا
ويمحو بتيار الهداية اوضارا
عقباد فلم يخط السيل ولا جارا
وأكرم بمضمار المعارف مضمارا
له مشها من حاكة القول ديارا
حدائق قد راقى نفوسا وابصارا
لبابا غدت من جيد الشعر مختارا
عقائل تأبى بالجوائز امهارة
دوان وقد جاوزن نجدا واغوارا
بواسق قول جادها الفكر مدرارا
وفجر ينبوع البلاغة انهارا
حيارى وما ان ادركوا منه معشارا
تراهم به ادرى واوسع انظارا
ومن منهما اسمى واشرف اخطارا
على كرم لا لئوم فيه ولا عارا
تنير به سبلا وتبلغ اوطارا
بتيانه الراقي عقولا وافكارا
الى هوة سوداء يا قوم وانهارا

المكتبات

عناية الامم الحية بها وتفریطنا فيها

— ٣ —

وبعد فالشيء الذي يؤسف له ويبحث في النفوس حسرة ممضة وألماً مستمراً هو حالة المكتبتين اللتين كان يجب علينا ان نوليها من العناية اقصى ما يمكن تقديمه في سبيل ترقيةهما والنهوض بهما نحو الكمال فقيح بنا وأيم الحق ان نضع في الامر ونغمض جفوننا على ما تقررنا به مطابع الشرق والغرب من قديم التأليف وجديدها وترك مكتباتنا في تراجع مزري وانحطاط مشين اني اعتقد - وحقاً ما اعتقد - ان منشأ هذه الحال هو اسناد القيام بشؤون المكتبتين لانا لا خبرة لهم بالنظم التي تسير عليها المكتبات الراقية وغاية ما يمكن ان يقوموا به تمكين المطالعين والمستعيرين من طلباتهم - وفرق بين من يتولى التوزيع وبين من يتولى وظيفة حافظ مكتبة ذلك ان ما يتطلبه وظيف موزع كتب غير ما تتطلبه وظيفة حافظ مكتبة وكفى دليلاً على ذلك ان هذه الوظيفة في بلاد الغرب وبعض البلاد الشرقية الراقية - كمصر - لا يهد بها الا لرجال العلم والدراية بهذا الفن وممن لهم تخصص فيه وانتساب الى المعاهد المعدة لذلك. ومن اتاحت له زيارة المكتبات الاروية استيقن ذلك وآمن بخطارة هذه المناصب التي تساهلنا فيها الى ابعد حدود التساهل

ان وظيفة حافظ مكتبة يتحتم اسنادها لمن له معرفة بالخطوط وتطوراتها الفنية وقيمتها الانثوية واطلاع على حركات النشر وارتباط بشركاته في اطراف المعمورة وإلمام بمحتويات المكاتب العالمية حتى تنتفع المكتبة بخبرته ويمسنى له بذلك ان يقدم لاداراته التقارير الفنية فيما تتطلبه حالة المكتبة

وفوا دينكم حفظاً وصانوا لسانكم	وما هو من عاداتكم لم يكن ضاراً
ثلاث عرا لا عيش يبقى لامة	اذا فصمتها بل تحل العفا داراً
فكونوا بها مستمسكين ولا تتوا	لقد خاب مرء عزمه في العلى خارا
وكونوا حماة المعهد الفذ ترشدوا	وكونوا بمن فيه ايب قوام ابراراً
تشيدوا به عبداً لاسلافكم وهي	وتحيوا بما تجنوا من الحمد اعماراً

التي لنظره ووجوه الاصلاح التي يراها لازمة لهوضها وترقيتها وجعلها وافية بحاجة الثقافة العامة بتوفير مصادرها

فهل ان القائمين على المكتبتين هم على ما وصفنا ؟ كلا والف كلا اذا كيف تؤمل منهم رقي المكتبة والاسترباع بشؤونها ومتى يستقيم الظل والعود اعوج ؟

ليس من الحق ان تقم على اولئك المتوظفين حالة المكتبة وما هي فيه من تراجع اذ ليس لهم من الامر شيء ولا وجه لتحميلهم وزر هذه النقصية وهم - والحق يقال - قائمون بوظائفهم وهي توزيع الكتب وتمكين المستعيرين من طلباتهم خير قيام ممثلين في سلوكهم كرم الخلق ولطافة المعشر . ولكن المسؤل عن ذلك هم من تداولوا الاشراف على الجامع في القديم والحديث فهؤلاء هم الذين كان عليهم ان يقوموا خالتها ويتدخلوا في اسناد وظائفها لاهل المعرفة المتخرجين من الجامع ممن لهم المثافة التامة لهذا الفن والاطلاع الواسع على النظم التي يستدعيها وان يبذلوا جهودا صادقة لتوفير الاعتمادات اللازمة لتنميتها وتغيير نظامها العتيق الذي لا يتماشى مع ما تقتضيه الاصول الفنية التي تسير عليها المكتبات الراقية اليوم . ومن المهازل التي يقف امامها المرء في هذا الموضوع ان المقدر السنوي لكلا المكتبتين نحو ١٤٠٠ فرنكا فاي شيء يا ترى يمكن ان يسد هذا المقدار ؟ ربما يقال انه ارصد برسم تجليد الكتب وإصلاحها ولكن هل هو كاف لما أرصد اليه ؟ لاشك انه دون الكفاية ثم اين هي الاعتمادات اللازمة لتنمية المكتبة وتوسيع دائرتها ؟ الجواب ٠٠٠٠ رب يسر !!

اذكر اني اجتمعت مرة مع احد ممن لهم اتصال مباشر بتسيير ادارة الجامع . وكانت حالة المكتبة تؤلني وتبعث في نفسي الحسرة على مصيرها الذي تسير اليه - فكنت لا آلو جهدا في تعرف احوالها ما سمحت لي بذلك الفرصة فجري حديث بيني وبين تلك الشخصية بمناسبة صدور قانون الاصلاح الاخير وتدرجت معها للحديث عن المكتبة وكيف لم يقع الالتفات اليها والسعي في رفع مستواها رغما عما هي عليه من ضيق الموارد ونضوبها مما اخرجته لنا مطابع الشرق والغرب و... فاجابني بما معناه « ان الناس لم يطلعوا الموجود فأني حاجة للزيادة » فذكرته ان حاجة الباحثين لا تتماشى مع هذا الجواب وان القانون الاخير قد جاء في عدة فصول منه ما يرمي لتنمية حركة التأليف وترويجها وان الشرط الاساسي لذلك هو المكتبة المنظمة الفنية بالمراجع فاجابني عن ذلك بانه لا توجد مخصصات كافية من ميزانية الجامع للمكتبة وانه على فرض وجودها فان ضيق المحل الحالي يحول دون تنميتها لم ذا ايها القوم لم توجد المخصصات الكافية لتوسيع نطاق المكتبة ؟ هل تطمعون من الحكومة ان تمكنكم من القدر الكافي دون طلب والحاح ؟

اما الجواب بضيق المحل فقد حرت في فهمه ولم اهتمد لوجه الحل فيه . واجب على كل مزيد للاصلاح ان يهيب بكل زيتوني لطالب باصلاح المكتبة اصلاحا تنبوا به المكان اللائق بها كاول مكتبة عربية بالشمال الافريقي اذ قبيح بنا معصر الزيتونيين ان نظرف العيون على القذى ونستقيم لمثل ذلك الركود الفاضح لاسيما وقد قامت لجانب مكتبتنا العريقة مكتبة العطارين الحديثة الناشئة التي زخزت بمحتوياتها وشمخت عليها بنوادرها القيمة وليس لذلك سبب سوى ان هذه غريبة وتلك شرقية . ايها الزيتونيون افتحوا ابصاركم على ذلك الشعاع الذي يضيء بقبس من بين كتب التاريخ الحافز وارهبوا اسماعكم للصدى المرن لبيت الحكمة ببغداد ودار العلم بطرابلس الشام (١) وخزائن الحكم الثاني بقرطبة (٢) واقبلوها دعوة خالصة فاني لا اريد الا الاصلاح ما استطعت . ان المكتبة لم تبلغ الى هذه الحال من السقوط والتاخر الا من جراء السكوت الذي فرضته اعتبارات وهمية كانت تحول بين خائري العزائم وبين ان يصدعوا بكلمة الحق المرة او ينسوا بنت شقة في تذكير القائمين بالامر والاهابة بهم الى بحث روح التجديد ، وما تلك الاعتبارات الا التخوف من غضب بكر وسخط زيد وقمة خالد ، ولكن فاتهم انهم بسكوتهم ذلك قد فرطوا في تراث اسلافهم واعانوا على اتلافه وضياعه فعانت فيه الارضة وانت على ما به من آثار الفن الخالد المنكود فبقينا عالة على ما بخزائن الغرب حتى ان احدا ليقف مدهوشا امام ما يعرض عليه من آثار اسلافه ويعجب من عناية القوم بها وتقرطنا فيها . وأرى ان تجديد المكتبة لا يتم الا على هذه الاصول :

(أ) - انتداب شخصية شرقية لها الخبرة التامة للاشراف على تجديد المكتبة ويكون ذلك بمقتضى عقد لمدة يمكن فيها تخرج من يضطلع بالمهمة من الزيتونيين خاصة ولنا في ذلك اسوة حسنة بمصر فقد انتدبت عندمارأت الضرورة قاضية بذلك شخصيات علمية كبرى من علماء الالمان والاطليان . وفي زعمنا ان انتداب من يقوم بهذه المهمة اجدى من انتداب من يقوم بتدريس الموسيقى بمدرسة العطارين

(١) كانت تحتوي على ٤٠٠ الف مجلد بلغت فهارسها اربعة واربعين مجلدا - ص ٨٨ - من حاضر الاندلس وغايها . (٢) ولما ولي بعده ابنه هشام المؤيد وهو غلام لم يحتلم بعد تغلب على مهام الدولة حاجبه ابن ابي هاشم المشهور فعمد الى خزائن الحكم المذكورة بمحضر خواص اهل العلم بالدين وامر باحراق ما فيها من الكتب القديمة في المطلق والنجوم والفلسفة عدا كتب الطب والحساب واللغة والتجويد والافهار والاحبار والفقه والحديث فاحرق منها الكثير واتى البعض منها في ابار القصر وهيل عليها التراب وغبرت بضروب التفسير وفعل ذلك تحببا الى عوام الاندلس وتقيحا لمذهب الخليفة الحكم عندهم اذ كان كل من قرأها متهما عندهم بالخروج من الملة ومظنون به الالحاد في الغريفة اه طبقات الامم لمساعد الاندلسي ص ٦٦ . (٢) كان عددا ما بها من الكتب عندما احرقها الصليبيون سنة ١٠٣ هـ هجرية ثلاثة ملايين مجلد . راجع مجلة الزهراء ص ٤٤١ ج ٣ ص ٢٧

(ب) - طلب ارساد اعتماد مالي يوازي ما هو مخصص لمكتبة العطارين يجعل تحت تصرف هيئة من رجال لهم خبرة بالكتب واطلاع على ما تصدره ديار النشر بالشرق والغرب

(ج) - تكوين لجنة ممن يعطف على المكتبة التونسية مهمتها الدعاية لفائدة المكتبتين وفتح اكتاب عام لمشروع المكتبة

(د) توسيع دائرة عملها وعدم الاقتصار على الكتب العربية حتى تكون جامعة لاهم ما تصدره المطابع في اشهر اللغات سيما ماله ارتباط بتاريخ الشمال الافريقي والتشريع الاسلامي والادب العربي واطن ان حضرات المحافظين لا يمانعون في ذلك فقد وجدنا لهم في ذلك وجها يمكن الاستناد اليه واعتباره كدليل للجواز وهو وجود عدة كتب باللغة التركية والفارسية وحتى الايطالية والفرنسية فرجاؤنا الا يرتاعوا لهذا الطلب والا يحولوا دون تنفيذه ان قدر له التنفيذ

(هـ) توحيد المكتبتين ومنع اعارة المخطوطات على الاطلاق والمطبوعات النادرة مع تمكين الراغبين من مطالعتها تحت الرقابة اليقضة وذلك احتفاظا بالباقي من عبث المستعيرين الا ان يبين هناك من يدعى منهم الضياع ويقدم لدفع العوض

(و) السعي في ايجاد محل مناسب للمكتبة تضم فيه محتويات المكتبتين وهناك امور اخرى تتطلبها المكتبة كاحداث متحف للمخطوط وقسم للنسخ وآخر للتصوير الشمسي وتخصيص مكان للجرايد والمجلات والخرائط وغير ذلك

بقيت لنا كلمة عن مكتبي الخلدونية وقدماء الصادقية نضعها هنا اتماما للبحث اما المكتبة الاولى فعلى صغرها فانها تقوم بدور لا بأس به في اداء المهمة الثقافية والاقبال عليها متزايد بفضل حزم رئيسها القائم عليها وعنايته بها

واما المكتبة الثانية فهي مع كل الاسف في اهمال لم تكن تتوقعه من القائمين عليها الذين عرفنا فيهم النشاط والغيرة على مؤسساتهم القومية ناهيك ان العناكب قد مدت انسجتها على خزائنها الموصدة منذ ثلاثة اعوام او تزيد والانكى من ذلك ان هناك شائعات تروج بين جماعة قدماء الصادقية حول محتوياتها النفيسة واستئثار بعض الشخصيات بنقائسها فرجاؤنا من هيئة القدماء ان تقف وقفها الحازمة وتبعث مكتبتها من جديد وتحفظ بذلك التراث الذي أوتمنت عليه

هذه نفثة قد املتها علينا الرغبة في حفظ كرامة مكتبتنا من ان تذال والحرص على الذماء الباقي نأمل ان يكون لها اثرها في تقويم حالة المكتبة التونسية والسير بها نحو الكمال على ايدي ابنائها المخلصين

محمد بن الشاذلي العائلي

العام الإسلامي

المسلمون في فينلاندا

بقلم الاستاذ عثمان الحكماك
المدرس بالمدرسة العليا للاداب

٣

الآداب الفنلندية

قد وعدنا بالتحدث عن الاداب الفنلندية كملحق لهذا البحث . فاليك بعض البيانات عن تلك الآداب :

ان اللغة الفنلندية احدى لغات العائلة المعروفة « بالفنلندية الاوغرية » وهي جملة لغات مبشرة شذر من القطب الشمالي الى فينلاندا الى بلاد المجر عنها (هنغاريا) . وقد حاول بعض العلماء ان يضيفوا اليها اللغة التركية ولهجات التار والمغول وحتى اللغة اليابانية بنفسها . وقد لا حظ علماء اللسان منذ عصور قديمة القرابة اللغوية الموجودة بين اللغات الآرية او المسماة في عرف اليوم بالهندية الاروباوية وبين اللغات الفنلندية الاوغرية . واللغة الفنلندية عبارة عن لغة موسيقية جميلة يتكلم بها مليونان من السكان ولها لهجات ثانوية نحو الست او السبع .

واما الآداب الفنلندية فانها نشأت بنشوء المذهب البروتستاني الذي نشره المصلح الالماني لوثر والفيلسوف الفرنسي كالفين في القرن السادس عشر . فلما ظهر هذا المذهب المقاوم لنفوذ البابا اولا وبالذات خرج احد الفنلانديين المسمى « بطرس سير كيلاهتي » وقصد جامعة وتيمبيرغ فآخذ المدهت الجديد عن لوثر نفسه واستمد تعاليمه من يناعيه الاصلية . وبعد ان تحصل على الشهادات اللازمة رجع الى مسقط راسه فسمي راهبا قانونيا سنة ١٥٢٥ وتعين للرئاسة الدينية بكتدراية توركو وقد قصر عمله على هذه المدينة لكنه كان عملا خصبيا مثمرا . لا سيما وانه كان يرمي الى احياء اللغة الوطنية ومقاومة النفوذ الاجني باسم الدين . فاخذت عنه نخبة قليلة اصول اللغة الوطنية وقواعدها وفي الآن نفسه اصول المذهب الجديد الذي هو في الحقيقة مقاوم لكتاتوليكية البابا والمذهب الارثوذكس اي مذهب الامة الروسية المستولية على فينلاندا يومئذ . وقد كان الملك غوستاف

قليل الاهتمام بالنتائج الفكرية والدينية المتولدة عن اصلاح لوثر وحسبه ان يجد فيه ثمرة سياسية ومالية . فاقر الوعظ الديني بالانجيل المترجم ترجمة حديثة على يد لوثر . ثم لما سمي السراهب ميكائيل اغريقولا اقبل اقبالا جديا على احداث الاداب الوطنية واقامة دعائم الآداب الدينية على لغة الوطن . كان اصله ابنا لاحد المساكين الفقراء . فدرس بجامعة ويظمبيرغ وترأس مدرسة توركو الدينية . وقد كان عمله الاساسي الذي كرس عليه حياته هو احداث آداب دينية باللغة السوطينية . فنشر سنة ١٥٤٣ كتابا في اصول الدين على مذهب لوثر ونشر سنة ١٥٤٤ كتاب ادعية وكان اخذ في ترجمة التوراة منذ كان طالبا بجامعة ويظمبيرغ فظهر العهد الجديد سنة ١٥٤٨ بمدينة اسطوخولم . وطبع كتاب المعمودية سنة ١٥٤٩ وبدأت تظهر ترجمة العهد القديم سنة ١٥٤١ ثم نشر كتاب مزامير داود عليه السلام وسفر الانبياء . لكن اغريقولا مات سنة ١٥٥٤ بعد ان قام بعمل ماجد وهو احياء الآداب الوطنية التي لا توجد نهضة قومية بدونها ولا تيسر انتشال البلاد الا بانتشالها . فلم يحك لنا التاريخ ان امة من الامم نهضت قبل نهوض ادابها القومية او بدونها وهكذا تكونت الاداب الفنلاندية الدينية وغير الدينية ويمكن اعتباره اباه كما يمكن اعتبار هذه النهضة الادبية الخطوة الاولى والرئيسية في نهضة الوطن الفنلاندي .

خرجت فنلندا في القرن الثامن عشر من ربة الروس ودخلت تحت سيادة السويديين . فبلغت الحضارة الجديدة التي هي مزيج من حضارتي الامتين الفنلاندية والسويدية اوج علاها يومئذ . فشعرت الامة الفنلاندية بذاتيتها وبمقدار نبوغها وبان لها الحق في تبوء مقعدها من الحضارة ومركزها من الشمس . ومع ان اللغة السويدية كانت اللغة الرسمية فان الفنلاندية كانت شرطا في تسمية الموظفين منذ سنة ١٧٣٩ ونقلت مجلة القوانين السويدية الى اللسان الفنلاندي في نحو ذلك التاريخ وقد ظهر يومئذ نبوغ الفنلانديين الفكري . فكانت الاداب مشتملة على ثلاث لغات . وهي اللاتينية والسويدية والفنلاندية . ولو ان هذه الاخيرة كانت صاحبة المقام الاسمي والظاهرة على احتيا لانها اللسان الوطني الذي يجب ان يبرز على غيره من اللسان . وكانت هذه الاداب مشتملة على جميع الفنون العقلية من ادب التخيل الى ادب التعمق العلمي الى الادب العلمي المستوعب للرياضيات والفلك والطبيعة والتاريخ الطبيعي والاقتصاد السياسي والطب والفلسفة والتاريخ وفلسفة اللسان . وما جاءت سنة ١٧٧١ حتى نشأت صحافة باللسان السويدي وفي سنة ١٧٧٦ ظهرت اوليات الصحف باللغة الفنلاندية . وكان مركز كل هذا النشاط الفكري جامعة توركو .

وكما توغل العلماء في البحث عن التاريخ الفنلاندي كلما زادت الامة اعتصاما بتاريخها الوطني

وآدابها القومية وكلها زادت هذه الروح في الطبقات الشعبية انتشارا بحيث لم يات القرن التاسع عشر الا ومليونان من الفينلانديين يتكلمون بلغتهم الوطنية مقابل اربعمائة الف يتحدثون عادة بالسويدية . وكانت اللغة السويدية لسان الطبقة البورجوازية الحرة . وهي طبقة متوسط المتوظفين و « البلدية » من ارباب الصنائع والتجارات والمزارع . ومن جهة اخرى لم تكن اللغة الفينلاندية لسان اهل البادية وسكان الغابات فحسب بل كانت لسان رجال الكنيسة والارسطوقراطية المالكة للارضين الشاسعة . لانها كانت ترى فيها الوسيلة الوحيدة لحفظ التقاليد الاجتماعية والدينية . فنهضت ثلة من العلماء واقتفت اثر العلامة بورثان الذي احيى دراسة الاداب الوطنية في القرن الثامن عشر . وظهرت نشأة جديدة ضاعفت جهودها في هذه السبيل نخص بالذكر منها غوستاف رفال الذي نشر معجم اللغة الفينلاندية سنة ١٨٢٦ وفي سنة ١٨٣١ تأسست « جمعية احياء الاداب الوطنية الفينلاندية » التي سرعان ما صارت مركزا كبيرا لهذا النوع من المباحث . وكان كاتب هذه الجمعية العام الاستاذ لوقروت الذي ولد سنة ١٨٠٢ وكان ينوي اولا تعاطي الطب ثم عدل عن ذلك لتكريس حياته على احياء الاداب الوطنية وجمع الاشعار الشعبية فجمع ديوانا اودع فيه اغاني الشعب واشعاره ونشره تحت اسم « كالفالا » وقد بين جبرائيل راين مقصد هذه الجمعية في الكلمات الاتية التي القاها يوم ١٦ مارس ١٨٤٢ :

« ان واجب كل فينلاندي ان يسعى قولاً وفعلاً وكتابة في سبيل تحقيق غاية هذه الجمعية وهي احياء ادبنا القومي وان يبذل كل ما في وسعه لنشر الثقافة الوطنية وتوسيع نطاقها والرقى بها من طور الى طور . ومن واجب كل فينلاندي ان يكرس جهوده لفائدة الشعب الذي خرج منه ولفائدة آداب بلاده . فاذا فعل كل واحد منا ذلك لا بد ان ياتي يوم طال الزمان ام قصر تصير فيه اللغة الفينلاندية من اكبر اللغات وتتبوأ مقعدها الشريف الى جانب لغات المدنية العالمية »

لم يكن هذا البرنامج الا مرحلة اولى تجاوزها بكثير الاستاذ يوحنا ولهم سنيلمان (١٨٠٦ - ١٨٨١) الذي كان تلميذ الفيلسوف الالماني هيجل والفيلسوف فيخت . فكان يرى ان الامة كوحدة وعنوان سياسيين تجد في لغتها الوطنية وسيلة تعبيرها الطبيعية والطريقة الفطرية التي يمكن للامة التي قد توحد شعورها وتقاليدها ان تفصح بها عن مقاصدها ولا يمكن ان توجد وسيلة اخرى بين افراد تلك الامة للاعراب عما يجول بخواطرهم . وبناء عليه فان وجود لغتين راقيتين في ضمن امة واحدة هو شيء مخالف لاوضاع الطبيعة وقلته من الفلتات . فاداه هذا التفكير الى الطعن في اللغة السويدية مع كونها هي اللغة التي كان يعبر بها عن هذه الافكار . وفي ذلك الوقت نفسه قام الادباء بمجهود جبار لتحقيق احياء آدابهم واخراجها من حيز القوة الى حيز الفعل فحاولت جمعية احياء

الحركة العلمية والادبية

في جامع الزيتونة

اضرب تلامذة جامع الزيتونة وفروعه بالحاضرة عن القراءة ابتداء من يوم الاربعاء ٢٠ حجة المنصرم و ٣٠ مارس الجاري وسبب هذا الاضراب هو ان الطلبة قدموا مطالب للحكومة وقابلوا من اجلها رجال الحل والعقد ولما لم تقع اجابتهم عنها اعلنوا الاعتصاب وتنحصر مطالب التلامذة في خمسة امور اصلية : (١) اصلاح مدارس السكنى بصورة تلامي قواعد الصحة والنظام حيث انها الآن خالية من جميع المرافق وطلبة الزيتونة عند ما يقايسون بين حالة مساكن طلبة المدارس الدولية وبين حالة مساكنهم يجدون البون شاسعا والفرق عظيما . فمن اجل ذلك الحوا في اصلاح حالة مدارسهم بايجاد منافذ للهواء وتزويدها بالكهرباء وماء زغوان واحداث بيوت للعلاج الوقفي فيها

(٢) بناء مدارس جديدة لايواء العدد الوافر من الطلبة الذين ضاقت عن ايوائهم المدارس القديمة (٣) اصدار الاوامر العلية لحاملي شهادة التطويع او التحصيل طبق النظام الجاري من قديم الزمان

الآداب الفنلندية ايجاد آداب عصرية . فقللت عدة تأليف اجنبية الى اللسان الفنلاندي . لان احياء الآداب لا يكون اولا الا بالترجمة . اما ترى ان الآداب العربية ما نهضت الا بالتراجم الفارسية والهندية واليونانية وان آداب اوربا ما نهضت الا عند ما اسس الفنش العاشر ملك اسبانيا جمعية لنقل الكتب العربية الى اللسان اللاطيني ؟ وفي نحو ذلك العصر اشتهر الاستاذ الكويست استاذ الآداب الفنلاندية بجامعة هلسنكي بما نشره من الاشعار النفيسة باللسان الفنلاندي . وظهرت يومئذ عدة صحف باللغة الوطنية مثل صديق الفلاح وغيره . وبالرغم عن العراقيل المختلفة فان هذه الحركة المباركة ما زادت الانموا وانتشارا . وقد تأسست حركة انصار اللغة الفنلاندية ازاء انصار اللغة السويدية فآلت سنة ١٨٨٢ الى تساوي اللغتين في المعاملة . اما اشهر الكتاب الفنلانديين فالشاعران الكويست وكروهن والكاتب الروائي بايفارينستا المشهور برواياته البدوية وخصوصا الكاتب الكبير يوحنا آهيو صاحب الصيت العالمي . واما من ناحية التعليم العمومي فان العدد العظيم من المدارس جعل فنلاندا محرومة من امي واحد « يذهب عنها العين ويطير النفس » وقد اصبحت جامعة هلسنكي من اكبر الجامعات العلية في العالم بأسره «

عثمان الكعاك

في العدد المقبل المسلمون في بولونيا ورومانيا وبلغاريا

(٤) فتح ابواب الوظائف الدولية في وجه الزيتونيين ولا سيما التعليم بالمكاتب الدولية
 (٥) اعفاء المحرزين على شهادة الاهلية من الخدمة العسكرية قياسا على الشهادة الابتدائية الفرنسية
 وقد علمنا من المكتوب الذي خاطبت به الحكومة مشيخة الجامع ونشرته المشيخة بالصحف
 اليومية ان المطالب الثلاثة الاول نفذ منها الثالث وشرع في تنفيذ الاولين واما الطالبان الاخيران اللذان
 هما بيت القصيد فلا يزالان محل نظر وتفاهم بين دواوين الحكومة ونحن نرجو من الله تعالى ان
 ينظر الى كليتنا بعين اللطف وان يحقق مطالبنا وآمالنا . ونرغب من الحكومة التي تعودنا منها رعاية
 جانب الجامع وبنيه ان تعمل لتحقيق مطالب الزيتونيين وانجاز رغباتهم حتى تهدأ الافكار ويستقر
 الاطمئنان في النفوس . وننتقم هذا الفرصة لتكذيب ما اشارت اليه بعض النشريات من اتهام المجلة
 الزيتونية بوقوفها موقفا غير لائق . وتسلي عن هذا الاتهام بما نعتقد من ان ناشرة ومروجه يعلم
 انه قد افترى على المجلة كذبا . وانه قد استغل حسن نية بعض الناس فيه ففسد عليهم ما لو تدبروه
 لردوا كيدة في نحره . ولما مكنوه من التستر بهم لاشفاء غلته . ولولا مراعاة حسن نية الجماعة لما
 اقدمت المجلة على هذا التكذيب

جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم وفروعه

اشرنا في عدد مضى الى ما ظهر في جامع الزيتونة من الحركات العلمية والمشاريع المفيدة، وتكلمنا
 على (جمعية الزيتونيين) ونريد الآن اتمام الحديث عن بقية ما ظهر من الحركات التي تفجرت من
 ذلك ينبوع العظيم الذي هو مصدر كل خير وبركة بهذه البلاد من ذلك جمعية ضعفاء التلامذة .
 فهذه الجمعية هي اهم مشروع زيتوني ظهر في هذه البلاد . نظرا لشرف موضوعها ولما له من
 الاهمية . وهو (مد يد الاعانة للضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم وفروعه من حيث المأكل والملبس
 والسكنى والحالة الصحية ومن كل ما يمكن ان يطرأ مما يحتاج للاعانة وتجدة الجمعية استعدادا للقيام به)
 وقد شرعت الجمعية في تحقيق ما اسست من اجله ابتداء من غرة شهر جانفي المنصرم الموافق
 ليوم الجمعة ١٨ شوال المنصرم . حيث نظم في ذلك اليوم اطعام ما يزيد على المائة تلميذ بمطعم وقع
 اختياره لذلك . ووقع الاتفاق مع صاحبه على شروط مراعى فيها المصلحة التامة للتلامذة . من الناحيتين
 المادية والادبية ثم زادت في عدد التلامذة الذين تمنح لهم الاعانة على الوجه المذكور خمسة وسبعين
 تلميذا ابتداء من غرة فيفري المنصرم الموافق ليوم الاثنين ١٩ قعدة فصار عدد التلامذة المحرزين
 على المنحة المذكورة مائة وخمسة وسبعين . والمؤمل ان يتسع نطاق العمل في وقت قريب حتى تتمكن
 الجمعية من ترضية جميع المحتاحين من تلامذة الجامع .

ونريد بهاته المناسبة ان نذكر لمحة تاريخية عن هذه الجمعية وتأسيسها وما مر بها من الاطوار باختصار حتى نصل بها الى حالتها الحاضرة :

في عام ١٣٥٠ فكر حضرة العالم الفاضل الشيخ سيدي محمد العزيز النيفر نائب الدولة لدى النظارة العلمية في ذلك العهد وكاهية شيخ الجامع الآن . في تأسيس جمعية لاعانة فقراء التلامذة وعرض ذلك على النظارة العلمية فوجد منها اذنا صاغية وتاييدا لما عرضه . ولا سيما من جناب رئيسها العلامة الجليل الشيخ سيدي احمد يبرم شيخ الاسلام السابق رحمه الله . وإئسر ذلك اذنت النظارة كاتبها بتحرير مكتوب على لسان المدرسين في طلب تأسيس هاته الجمعية . فحرر بتاريخ ذي الحجة ١٣٥٠ الموافق لافريل ١٩٣٢ وامضى عليه غالب المشايخ بالجامع . وكان مكتوبا بليغا مؤثرا تنقل منه الفقرات الآتية : (وبعد فلا يخفى على الجناب ما يقاسيه كثيرون من تلامذة الجامع ابناء الجميع من عسر الحال وشدة الاحتياج ومن اجل هاته الحالة الاسيفة رأى المصححون أسفل هذا ان يتقدموا لجنابكم باقتراح نؤمل ان يخفف عنهم من الوقور الذي احنى ظهورهم ويريحهم ولو شيئا ما من عناء غربتهم وان كانوا بين اهلهم وذويهم

وقرابة الادباء يقصر دونها عند اللبب قرابة الارحام

نظرا لهاته الحالة المزعجة فقد رأى كل منا ان يلتزم بدفع ما لا يقل عن خمسة فرنكات شهريا ويصرف ما يتجمع من ذلك في سبيل اعانة التلامذة الخ .) ثم ورد من الوزارة الكبرى مكتوب مؤرخ في حجة ١٣٥١ وفي افريل ١٩٣٣ مخاطب به شيخ الجامع (بعد ان اطلت النظارة العلمية) تضمن الاذن للمشايخ المدرسين بوضع قانون اساسي للجمعية . وفي يوم الاحد ٢١ و ١٦ من الشهرين المذكورين اجتمع المشايخ المدرسون بمسجد الجمعية الخلدونية لانتخاب هيئة تضع القانون الاساسي . فانتخب لذلك اربعة مشايخ وهم المرحوم الشيخ عثمان بن الحوجه . والمشايخ السادة : محمد العزيز النيفر والبشير النيفر ومحمد المختار بن محمود . وبعد ما فرغت هذه اللجنة من وضع القانون الاساسي انعقدت جلسة عامة بالمكتبة العبدلية في يوم الاثنين ١ شعبان ١٣٥٢ و ٢٠ نوفمبر ١٩٣٣ عرض فيها القانون وبعد عرضه وقع انتخاب الشيخ محمد العزيز النيفر رئيسا للجمعية ثم وقع انتخاب اعضاء الجمعية . وبعد ايام اجتمع الاعضاء وكونوا مجلس الجمعية على الصورة الآتية : المشايخ السادة : محمد العزيز النيفر (رئيس) محمد البشير النيفر (كاهيته) محمد الهادي بن القاضي (أمين مال) الحاج علي ابن الحوجه (كاهيته) محمد المختار بن محمود (كاتب) علي النيفر (كاهيته) ابراهيم النيفر . محمد الزغواني . الناصر الصدام . الخطاب بوشناق . العربي الماجري . الشاذلي بن القاضي (اعضاء)

فتقدم المجلس المذكور للدولة بالقانون الاساسي . وبعد حفلات ومحاورات صادقت الدولة عليه بمقتضى قرار صادر من جناب المولى الوزير الاكبر بتاريخ ٢٨ محرم ١٣٥٤ و ٢ ماي ١٩٣٥ ثم حدثت امور منعت هذه الجمعية من الظهور الى امد ارادة ثم ظهرت عناية الله بها . فزال تلك الموانع وتيسأت الاسباب فظهر الحق وبطل عمل المفسدين والله ولي المصلحين

وقد تشرف وفد من مجلس الجمعية متركب من المشايخ السادة محمد العزيز النيفر محمد البشير النيفر محمد الهادي ابن القاضي محمد المختار بن محمود بمقابلة صاحب الجلالة ملكنا المعظم ابقاء الله في يوم الخميس ٣٠ جمادى الثانية و ١٧ نوفمبر سنة ١٣٥٥ - ١٩٣٦ بقصره الصيفي بشاطيء المرسى فاقبلهم في مجلسه الفخيم بحضور وزرائه ورجال دولته . وظهر لهم من العناية والتأييد ما عهد منه في مثل هذه الاعمال الصالحة . والقى بين يديه رئيس الجمعية خطابا بين فيه الغرض من الجمعية وبرنامج اعمالها وطلب منه مد يد الاعانة اليها وجعلها تحت اشرافه فتأثر ابقاء الله من ذلك وقال لرجال الوفد مشافهة ما نصه : (بارك الله فيكم وربنا يعينكم) . فودعه الوفد وخرج منهجا من هذا الاقبال العظيم والتأييد السامي . ومن ذلك الوقت اخذ المجلس بعد المعدات اللازمة لتنفيذ ما وضعت الجمعية لاجله . فطلب من عموم الامة مد يد الاعانة للجمعية . كما طلب ذلك من الحكومة فاجيبت دعوته وانهالت عليه العطايا من الامة حتى تمكن من الشروع في تنفيذ اعماله ابتداء من غرة جاني المنصرم كما اشرنا اليه سابقا جزى الله المحسنين خير جزاء . واعان مجلس الجمعية على القيام باعباء ما كلف به احسن قيام . والله ولي الاعانة والتوفيق .

محمد عثمان باشا داي الجزائر

اسم كتاب الفه الكاتب المؤرخ السيد احمد توفيق المدني تكلم فيه عن تاريخ الجزائر في العصر التركي وتراجم علماء ذلك العصر رتبته على مقدمة كتمهيد لدراسة التاريخ التركي في الجزائر وخمسة اقسام تضمن القسم الاول خلاصة واقية عن تاريخ الحكم التركي في الجزائر واشتمل القسم الثاني على بيان الحالة العلمية في ذلك العهد واشتمل القسم الثالث على سيرة (محمد عثمان باشا) واشتمل القسم الرابع على تعريب قسم من دفتر التشريعات والقسم الخامس على مقتطفات عن مذاكرات احد كبار المستشرقين ممن عاش في الجزائر ايام الباشا . وقد جعل بدل الاشتراك فيه ١٥ فرنكا فعلى الراغبين فيه ان يقدموا بدل اشتراكهم ليصل لهم الكتاب يوم انجاز طبعه . وعنوان المكاتبه السيد احمد توفيق المدني - زنقة باربرجير عدد ١ - الجزائر .

نريد المجلة

تورد على المجلة رسائل كثيرة يطلب مرسلوها نشرها ولكن نطاق المجلة يضيق عن نشرها جميعا لذلك سنتقصر على نشر الرسائل التي تشتمل على اغراض اجتماعية او انتقادية لانها بذلك تتجاوز منطقة ادارة المجلة وتصير حقاً مشاعاً لعموم قرائها ومن الواجب اطلاعهم عليها لذلك سننشر تحت هذا العنوان الرسائل التي ترد الينا من هذا القليل معتذرين لمرسلها الافاضل بان ما يقع من التأخير في نشرها سببه ضيق نطاق المجلة . وتراكم المواد عليها :

رسالة الجزائر

وردت الينا من الجزائر رسالة من صديقنا العالم الفاضل الاديب الشيخ مبارك المليبي عضو جمعية العلماء بالجزائر في التنويه بشأن الرابطة الكبرى التي يقوم بها جامع الزيتونة عمره الله بين القطرين الشقيقين الجزائر وتونس وبالمهمة التي ستقوم بها المجلة الزيتونية في هذا الشأن . مع ابداء ملاحظات املاها عليه اخلاصه لهذه المجلة ولهئيتها . بارك الله فيه واليك الرسالة بنصها :

المجلة الزيتونية

جامع الزيتونة أقدم الكليات الاسلامية الثلاث . ومنه انبعث الضوء نحو المغرب . فتأسس بقاس جامع القرويين . ثم انفصل منه نور نحو المشرق ازدهر بالقاهرة . فكان الجامع الازهر . فلجامع الزيتونة الفضل العام على العالم الاسلامي في حياته الفكرية . ثم له علينا الفضل بصفة خاصة . فبه انتفعنا فيما كتب لنا من علوم الدين ووسائلها . لذلك تجدنا نهوى جامع الزيتونة ونعرف له منزلته . فيسوءنا ويضعنا كل ما يتباه من خلل . ويسرنا ويشرفنا كل ما يدركه من شرف . وان هوانا له لهُوى عاقل . وان معرفتنا لمنزلته لمعرفة سالمة من التعصب . فلا هوانا يمنعا ان ندرك ما به من ضعف . ولا هو يحملنا على اكبار ما يتصل به فنكون من المغرورين . نكتب هذا وبين ايدينا اثر من آثار ذلك الجامع المعمور هو « المجلة الزيتونية » الممتعة يحمل عرشها اربعة من شيوخه المدرسين وفقهائه الاقوياء . فقد حمل الى البريد الجزء الثالث من هذه المجلة . ولا ادري اضاع به العددان قبله ايام اقامتي بمدينة الجزائر فقد ضاعت علي يومئذ اجزاء من مجلات اخر (١) ولا أنتقل قبل ان أبدي شكري لرجال ادارة المجلة واعجابي بهمتمهم لنهوضهم بهذا العمل الجليل الجليل ولحفظهم لذلك العهد اجتماعنا في الطلب وان تطاولت عليه حقبة . ثم لنعد الى محبتنا فلننظرها بعين ذلك الهوى العاقل في غير تعصب او احتقار . فانا نجد هاروضة باسقة الاغصان وارقة الظلال متنوعة الاشجار ناضجة الثمار واذا كان فيها نقص فبالقياس الى مجد ذلك الجامع التالذ اذ هي لسانه المعرب عن مبلغ حياته الفكرية وبيانه العربي . وعلى تلك الحياة وذلك البيان يقوم مجد جامعا الطريف وكل ما يخشى الهائم بحب جامع الزيتونة ان يقصر طريقه عن تالده بل ان لا يفوق حاضره ماضيه حتى لا يخرج عن سنة الشوء والارتقاء

(١) نعم ارسلنا اليكم

ان الذي سرنى جدا وملاني ثقة بحسن مستقبل مجلتنا وتحسين سمعة جامعنا هو اشتباك امضآت فنية ناشطين بامضآت شيب متبصرين . وان تعاون فتوة الفتيان وحنكة الشيوخ على الاخذ بيد هذه المجلة لما يبشر ببوت قدمها في سلم الكمال ويضمن لها السير في طريق الاستقامة والاعتدال ويربي النشء على احترام الكبار . ويدعو الكبار الى مشاركة الشبان . وفي امتزاج هاتين الطبقتين قضاء على الجود وسلامة من التطرف .

وليسمح لي رجال ادارة مجلتنا بابداء ملاحظة مجملة هي من باب النظر الى مجلتنا بعين ذلك الهوى العاقل . فأقول :

ان القواعد العلمية الاصطلاحية ينبغي ان يستعان بها على الفهم ولا تستعمل في التفهيم بهذه الصحف السيارة التي يخاطب بها كل الطبقات ويقصد فيها الى تقريب المعاني من أذهان لم ترتض بالدرس ودقائق عبد الحكيم والخيالي وتمكين العظات من القلوب القاسيات . وادخال القواعد الاصطلاحية في مخاطبة كل الطبقات قد يكون عائقا للكتاب من اجتناء ثمرات أقلامهم وعقبة تصد القراء عن الانتفاع بنصح النصحاء . وقد جاء الكتاب المبين هداية عامة . فكان خاليا من الاوضاع الخاصة والاصطلاحات العلمية . رعى قدر الاعتراف من بيان الكتاب العزيز يحصل الارتواء للقراء والتأثير من الكتاب . وتلك غاية العاملين المخلصين .

وكتب بميلة خامس رمضان ١٣٥٥
مبارك بن محمد الملي

(المجلة الزيتونية) تشكر حضرة الصديق الفاضل على ما ابداه في هذه الرسالة اللطيفة من التنويه بالكلية الزيتونية التي هي اقدم الكليات العلمية الاسلامية . ثم على تنويه بهذه المجلة وافراد هيئتها الذين اسسوها متحلية باسم الكلية التي تصدر عنها . معتمدين على الله ان يوفقهم الى ان يسيروا بها في طريق التقدم والارتقاء حتى يصلوا بها الى ارقى درجات الكمال . ثم تلفت نظر حضرة كاتبها الفاضل الى ان ملاحظته التي تتعلق بأسلوب المجلة والتي نشكره على ابدائها كما نشكر كل كاتب يتقدم اليها بما يراه من الملاحظات كنا قد اجبنا عنها في صدر العدد الثاني جوابا كافيا تقتصر الآن على اعادة ذكر محل الحاجة منه : فقد قلنا ما نصه : واننا نغتنم هذه الفرصة لابداء ملاحظة تتعلق بتحديد مبدأ المجلة الذي ستسير عليه بحول الله ليكون في ذلك جواب عن بعض ملاحظات يدفع الى ابدائها حسن نية اصحابها مع غفلتهم عن المبدأ : ان (المجلة الزيتونية) انما اسست لخدمة العلم والدين وليست خاصة بطبقة معينة من الناس تسايروهم وتماشيههم وتعرض عن سواهم . اذن في نشر المباحث العلمية الدقيقة التي قد لا تهم الا طبقات معينة من الناس . وتشر المباحث الدينية والاجتماعية التي تهم عموم الناس فتحصل بها للعالم الذكرى . ويتعلم بها غيره ما لم يحط به خيرا . ومن طبيعة هذا الازدواج ان تنشر فيها مقالات تكون محررة على ما تقتضيه المباحث العلمية من دقة في التحرير . وسمو في التعبير . ولا يكون في ذلك غضاظة في نظر الناقد البصير . هذا ما قلناه سابقا وفيه الكفاية في الجواب عما ابداه الاخ الفاضل

اصلاح خطأ

وقع في مقال شرف الكعبة من الجزء السادس من السنة الاولى من المجلة الزيتونية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٧٠	١	والتذيل والمقدمة	والتذيل والتعقيب والمقدمة
»	٥	فعله	فصله
»	٢٠	العتيق عندهم في	العتيق في
٢٧١	٥	الحبش	الحبشة
٢٧٢	١٣	ينادي	ينادي
»	٢١	رافع	واضع
٢٧٣	١٣	تأسيس معابد	تأسيس اصاب معابد
٢٧٥	١	اقدام	اثر اقدام
»	١٢	منذ	فقد
»	٢٤	ثقل	ثقل
٢٧٦	٢٢	ءآمنوا	أمنوا
»	٢٥	الآيات	الآية

اعذار

ضاق نطاق هذا العدد عن نشر تقرير المجلات والجرائد والكتب التي وردت لادارة المجلة وعن نشر سير المسامرات العلمية والادبية في الشهر المنصرم وموعدنا بذلك العدد المقبل ان شاء الله

تباع المجلة في الاماكن التالية

اماكن بيع المجلة بالحاضرة

المكتبة العلمية سوق الكتبية رقم ١٢

مكتبة الاستقامة سوق المطارين

المكتبة العتيقة سوق الصوف رقم ١٣

مكتبة الامان سوق السرايرية رقم ٢٢

المكتبة الزيتونية سوق السرايرية

مكتبة الرجاء سوق الكتبية رقم ٢

المكتبة العربية الكبرى سوق السرايرية

مكتبة السعادة نهج الكتبية رقم ٤

دكان السيد محمد بن عمر حوار ادارة الاوقاف

رقم ٧٢

البشير وبلقاسم بن عمارة سوق السرايرية

رقم ٣٠

السيد حمدان الشريف بسوسة

» محمد الصالح البكوش بباجه

» محمد العربي بالمكنين

» محمد زهرة بالنستير

» ابوبكر بن محمد الصانع بقصر هلال

» الصادق بوزيان بالقيروان

» سعد بن بلقاسم الصحراوي ببسطة

» علي بباي بسوق الجمعة رقم ١٢ بصفاس

» قدري قعيب بقفصة

» المكتبة الاسلامية بتوزر

» عمر اسكندر بنفطة

» شرف الدين الدقاشي بدقاش

» محمد بن علي امنجه بقابس

» حمزة شورو بميدون جربة

اسماء متعهدي بيع المجلة بالقطر الجزائري

السيد محمود نسيم بشارع لالير رقم ٤٢ بالجزاير

» محمود باش طهجي بساحة شارتر بالجزائر

مكتبة النجاح بقسنطينة

» قندوز بنهج جنجراس بسطيف

» الاخضر بن مبارك بسكرة

» بن داود بساحة دي فرقولات بمنابة

» محمد الهادي جلال بتبسة

مكتبة السيد مصطفى باغلي بنهج سكاك ٢ بتلمسان

اسماء متعهدي بيع المجلة في بلدان المملكة

السيد الحبيب الذوايدي ببنزرت بنهج احمد باي

» احمد المراتب متعهد بيع المجلات ببنزرت

» محمد حويشي القلعة الكبرى

» علي المزي بماطر

» صالح ابن الشيخ بقلبييه

» عبد القادر قربوج بنابل

» حمودة الذكواني بمنزل جميل

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

نشرها الهيئة من مبرر كبرى جامع الزيتونة بالعموم

الجزء الثامن | تونس في صفر عام ١٣٥٦ وفي افريل عام ١٩٣٧ | المجلد الاول

شهرية وسفنتها عشرة اشهر

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد السديد بن القاضى

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القايسى

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثانى بجامع
حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمجل الادارة

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمان الجزء فرنكان

صاحبه المقال	صحيفة
سيف الاسلام يعطى لحامي الاسلام؟ بقلم رئيس التحرير	٣٥٩
تتمة المقدمة الرابعة في غاية المفسر	٣٦٦
» صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام المالكي	من التفسير
» العالم الشيخ سيدي الصادق المحرزي الاستاذ بجامع الزيتونة	الزكاة ٣٧٠
» صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط المفتي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة	بقية شرح حديث التوكل ٣٧٤
.....	اسئلة واجوبتها ٣٧٧
» صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام المالكي	لا صفر ٣٨١
» امين مال المجلة	آداب الزوجية ٣٨٦
» العالم المؤوخ سيدي محمد بن الحوجة المستشار لدى الحكومة التونسية	دار الباي بتونس ٣٩٠
» العالم الشيخ سيدي ابراهيم النيفر المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة	ترجمة الشيخ صالح الكواش ... ٣٩٩
» مدير المجلة	ذكرى المتبي (شعر) ٤٠٤
.....	الحركة العلمية ٤٠٦

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠	وصلات الاشتراك لا تعتبر الا اذا
» بلاد شمال افريقيا ٣٠	كانت ممضاة من امين المال
» في الخارج ٤٠	والمخابرات المالية لا تكون الا معه
يخصم الربع للتلازمة	

المجلة العلمية

مجلة علمية اوبية اخلاقية

نشرها الهيئة من مراكشي جامع الزيتونة بالعمور

الجزء الثامن	تونس في صفر عام ١٣٥٦ وفي افريل عام ١٩٣٧	المجلد الاول
--------------	---	--------------

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سيف الاسلام يعطى لحامي الاسلام

فما هو هذا السيف؟ ومن هو هذا الحامي؟

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

بقلم رئيس التحرير

ان المسلمين مهما ضعف سلطانهم . وتضعفت شوكتهم . وقل نفوذهم . فان قوة الاسلام لا تزال مبثوثة في نفوسهم . وعزته لا تزال شعارا لهم . وروحه التي بعثها فيهم لا تزال حية نامية لا تزبد لها الحوادث والمصائب الا قوة وصلابة . ولا تكسبها تقلبات الدهر ونوائبه الا شدة أمل فيما وعد الله به عباده المؤمنين . فكل من يحاول اطفاء هذا النور وطمس هذا الشعور فانما يحاول العبث الذي لا يرجع منه بطائل . ومن اجل ذلك ترى المسلم الصادق في ايمانه وعقيدته يتسامح في كل شيء الا في العبث بدينه

والاستهزاء به . فهو عند ذلك ينقلب اسداً هصوراً لا يصدأ ضاد عن مقاومة من يريد العبث والاستهزاء بدينه مهما كان سلاحه ومهما كانت قوته . فلا يتعجب حينئذ من اهتزاز المسلمين في جميع اقطار الارض مما وقع في مدينة طرابلس الغرب عند ما زارها زعيم ايطاليا السنيور موسوليني في اوائل شهر المحرم المنصرم من العبث والاستهزاء بكلمة الاسلام . فقد علم القراء تفاصيل تلك الرحلة وما جرى فيها من مظاهر الاجلال والتعظيم المتجاوزين حد الوصف . وما كان لنا ان نتعرض لهذا المظاهر التي من شأنها ان تقع لكل رجل عظيم يزور بلاداً تحت امرته ونفوذه . ويتسيطر عليها تسيطر الامير على رعيته فذلك امر معتاد لا غرابة فيه . وانما الذي دعانا للتعرض لهذا الرحلة هو الناحية الدينية الاسلامية فقد كان من جملة ما وقع في ذلك الاحتفال ان اهدي للدوتشي سيف اطلقوا عليه (سيف الاسلام) ثم لقبوه بعد ذلك او لقب نفسه بـ (حامي الاسلام) فيالله لهذا الاسلام الذي وصل به ضعف بنيه وتغلب الغير عليهم الى ان يعبث به الى هذا الحد . تخرج عائلة قرملي بطرابلس سيفاً من مخلفات اجدادها لم يشهر ولا يوماً واحداً في سبيل الدفاع عن الحق واعلاء كلمة الله . ولم يشعمل ولا مرة واحدة في استرداد ما اغتصب من حقوق المسلمين . ورد غائلة العدوان عنهم . وليست له ادنى قيمة تاريخية اكثر من كونه سيفاً كسائر السيوف التي يملكها الافراد او تباع في محلات التجارة . ثم يوصف لمحض الرياء والتزلف بانه (سيف الاسلام) ثم يقدم للدوتشي في محفل رهيب فيحمله بيده ويلوح به في الفضاء متفاخراً مختللاً متظاهراً بان الاسلام قد صار في قبضته . مهلاً ايها المسلمون ان الاسلام اليوم لا سيف له . نقول هذا والاسف يفرنا من كل جانب . اذ لو كان للاسلام سيف لكان له من القوة والعزة ما يكون حافظاً له عن ان يقع في ايدي من لا يرقبون في مؤمن إلا ولاذمة . ولا يحملون لابنائهم رحمة ولا عطفاً . ولو وقع الاكتفاء بهذا لكان في الامر بعض تسلية ولكن وقع التجاوز الى ما هو اشد وانكى وهو وصف الدوتشي بانه (حامي الاسلام) فيالله لهذا الاسلام الذي وصل به ضعف بنيه وتغلب الغير عليهم الى ان يعبث به الى هذا الحد . أين المؤسس الاعظم لهذه الشريعة صلى الله عليه وسلم ؟ أين خلفاؤه الراشدون ؟ أين الخلفاء من بني امية وبني العباس في المشرق والمغرب ؟ أين ملوك الاسلام على اختلاف العصور والازمان ؟ أينكم يا خلفاء بني عثمان . يا من رفعتن شأن الاسلام قروناً متطاولة ودافعتن عنه باموالكم وجنودكم وكتنتم

في صراع متواصل ونزاع لا ينقطع مع دول تألّبت عليكم واحكمت ضع البرامج لمحق اسمكم من الوجود . فكنتم متغلبين حيناً ومغلوبين احياناً . ثم جاء رجل من صفار جندكم واتباعكم تربي في نعمائكم . وارتفع ذكره تحت لوائكم . فشقى صدور اعدائكم . ونكل بكم اشد تنكيل . وانكر جميلكم . وطمس آثاركم وشنت شملكم وشرّد خليفتم وخلفكم في انحاء الارض فانهار بذلك آخر معقل من معاقل الاسلام . واندك آخر حصن من حصونه . واضمحلت تلك القوة المعنوية . وذلك الالال الاّهي العظيم الذي كان يحس به كل مسلم وكان يتجدد ذكره في كل يوم جمعة عند ما تضحج جوامع المسلمين بدعاء الائمة للخليفة الاعظم . أين هؤلاء جميعاً ؟

اتى على الكل امر لا مرد له حتى قضوا فكان القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك كما حكى عن خيال الطيف وسمان
فجائع الدهر انواع منوعة وللزمان مسرات واحزان
وللحوادث سلوان يسهلها وما لما حل بالاسلام سلوان

اللهم لا حامي للاسلام الا انت تباركت قدرتك وجلت عظمتك .

ما اكبره من وصف . وما اروعها من كلمة : (حماية الاسلام) . ان للاسلام ربا يحميه . وانباء او عملوا بما وضعه لهم الاسلام من قواعد . وما سنه لهم من شرائع . ولو دخل الاسلام في قلوبهم حقيقة وتغلغل في ضمائرهم لبقيت للاسلام صولته ومهابته . ولبقى اسمه تخرله الجبابرة وتهتز عند ذكره القياصرة . ولكنهم فرطوا في جميع ما جاء به الاسلام من قواعد لتنظيم الحياة . واهملوا ما احتوى عليه من المبادئ التي تكمل سعادة الحياة بنوعها وتعلقوا بالاسلام من ناحية العقيدة . وتباعدوا عنه من ناحية العمل . فحقت عليهم كلمة العذاب (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون) . ان المسلمين لم يباغ عددتهم في وقت من الاوقات مثلما بلغ في زماننا هذا . وانهم لم يصلوا فيما سبق الى درجة من الضعف والانحلال مثل التي وصلوا اليها اليوم . فما هو السر في ذلك ؟ السر في ذلك ظاهر . وهو ان الرقي الذي وصل اليه المسلمون فيما سبق . والعزلة القعساء التي رفعوا بهارؤ وسهم الى السماء ودوخوا بها العوالم لم يكن سببها كثرة عددهم ولا قوة عددهم . وانما سببها قوة العقيدة ورسوخ الايمان . والسير في كل الحركات والاعمال على مقتضى شريعة الاسلام . فسادوا بسبب ذلك . ورفعوا كلمة الله في جميع الاقطار

وملؤ الدنيا عدلاً واماناً. وفتحوا من الممالك بذلك العدد القليل وفي ذلك الزمان القصير ما ترك
افكار الباحثين عن التاريخ في حيرة للوصول الى سبب ذلك وعلته. ثم خالف من بعدهم
خلف ضعفت فيهم قوة الايمان وتركوا العمل بتعاليمه الباهرة ونفشت فيهم المناكر. وانقادوا
للشهوات. واستفحلت فيهم الاغراض والاحقاد. وتوجهوا لغير الله. وكفروا بانعم الله.
فوصلوا الى ما هم عليه من المذلة والهوان. والتقاطع والتدابير والخذلان. وصاروا عبيداً بعد
ان كانوا سادة. ومنقادين بعد ان كانوا قادة :

ورثنا المجد عن اباء صدق اسأنا في ديارهم الصنيعا
اذا لحسب الرفيع توأكلته بناءة السوء اوشك أن يضيعا

نعم اوشك ان يضيع حقيقة والافبماذا نفسر خلع لقب (حامي الاسلام) على زعيم
ايطاليا الفاشيستي. ذلك اللقب الذي كنا نعد من المبالغة اطلاقه على خلفاء الاسلام وامرائه
ثم نطلقه على رجل بطبيعة عقيدته وجنسيته ومبادئه السياسية لا يمكن ان يكون جامياً
للالسلام. لو كان غرضنا من هذه المقالة ان نتعرض للناحية السياسية لذكرنا القراء بحوادث
(الجبل الاخضر) واجلاء الطرابلسيين عن ديارهم وتشريدهم عن اوطانهم. وحشر ثمانين
الفانهم في حضيرة مسيحية بالاسلاك الشائكة. وهتك حرمة الاسلام ودوس المصاحف في
المساجد والزوايا فان التاريخ لا ينسى. ولكن ما لنا ولهذه المآسي والتذكير بها. فلعل
الدوتشي قد أدرك اليوم خطأ تلك السياسة الهوجاء. وذلك المركب الوعر الذي ركب
من قبل. وأد ان يتدارك ما مضى بالاحسان لاهل طرابلس اولئك العرب الامجاد. وأراد
ان يمد لهم يد المساعدة وياخذهم بالرفق واللين. بعد ما رأى ان سياسة الضغط والشدّة لا
تنتج شيئاً. وبعد ما رأى ان الدول الاستعمارية الكبرى قد غيرت سياستها مع الشعوب
الاسلامية التي تحت كفالتها وابدت نحوها من العطف والمجاملة وصدق اللهجة ما اقتضته
طبيعة الاحوال. بعد ما افادتها تجربة الاعوام الطويلة التي قضتها مع الشعوب الاسلامية :
أن المسلمين امة لها من مجادة التاريخ. ورفعة العقيدة وسمو الافكار. والاعتزاز بالنفس
ما يستحيل معه اخذهم بالشدّة والعنف والقهر والغلبة. وان تلك السياسة لا تجلب الا
سوء النية. واستعجال الاحقاد. ونمو البغض في النفوس. بخلاف سياسة الرفق واللين.
وفتح ابواب المفاهمة. وحسن الاصغاء لما يقدم من المطالب والاقتراحات. فان ذلك من شأنه

أن يزيل تلك الاحقاد كلها . ويجعل تلك الامم تعيش مع الشعوب الاسلامية في هناء ورغد عيش

ومراد النفوس احقر من أن تتعمداً فيه وان تستفاني

قلنا لعل الدوتشي بعدما شاهد ذلك كله - وهو من دهاة السياسة - اراد ان يسلك ذلك مع الشعب الطرابلسي المجيد . ويؤيد ذلك التصريحات التي أجاب بها زميلنا الاستاذ تيسير ظييات الكيلاني صاحب مجلة (الجزيرة) التي تصدر بدمشق عن الاسئلة التي القاها عليه . فقد كان من جملة تلك التصريحات : (ان الدوتشي سيصدر عفوا عاما عن المبعدين الطرابلسيين والسماح لهم بالعودة الى طرابلس واعادة ممتلكاتهم الا الممتلكات التي حجزت وقدمت للبلديات لتوزيع ايراداتها على الاعمال الانسانية والخيرية .

ومن جملتها قوله (لقد اعطينا للمسلمين في الحبشة الحرية الدينية الكاملة) والدوتشي بهذا الصنيع الجميل . وبهذا السياسة الرشيدة التي أراد ان يسلكها جدير بان يثنى عليه ويشكر كما يشكر كل من كان ظالما فكف عن الظلم . او مخطئا فرجع الى الصواب . اما كونه يستحق بذلك ان يخلع عليه وصف (حامي الاسلام) . فلا . فان للاسلام ربا يحميه ويدود عن حمالة ويحفظ بنيه . وواجب على كل من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ان لا يتلاعب بدينه الى هذا الحد وان يكون له من المروءة وعزة النفس ما يحول بينه وبين جعل الدين آلة يتوصل بها لنيل اغراضه . وقضاء شهواته . ثم ان استيئنا مما جرى في هذا الاحتفال لم يقف عند هذا . ولم ينته بهذا المهزلة . بل قد وقفنا على شيء آخر زادنا كمدا وحزنا وهو تصريحات رجال الشرع في طرابلس بخطب تخجل منها المروءة والانسانية والدين . فقد وقفنا على خطبتين القى احدهما قاضي طرابلس الشيخ محمود بورخيص . والقى الاخرى قاضي زليطن ^(١) . فاما قاضي طرابلس فانه القى خطبته بين يدي الدوتشي عند ما ذهب الى جامع فرجي بمحضر الائمة والمدرسين ورجال الشرع وقد افتتحها بقوله (اني بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن رجال الشرع الشريف اقدم لكم خير تحية وقلوبنا مفضحة بالولاء والاخلاص . والسنتنا لاهجة بالدعاء . وعيوننا

(٢) نشرت الخطبتان بنصهما الاصلي في جريدة (الزهرة) الغراء في عددها المؤرخ بيوم ١٤

مقصود نظرها عليك لا تبصر غيرك) . فاي شرف واي ايمان يبقى لرجل يصرح بصيغة النصر التي لم يكتف فيها بالمفهوم بل أكدها بالمنطوق فانه قد صرف نظره عن الله . ولم يبق له فيه امل ولا رجاء . وانه حصر امله ورجاءه في عبد من عباده ولو كان من اقوى المسلمين ايمانا واكثرهم نفعا . ثم لم يكتف الشيخ بذلك بل زاد ما هو ابلغ في النكايه فقال (. . .) بحيث حق لنا ان نعد انفسنا من السعداء ان نعيش في ظل العلم المثلث اللون المجيد . وتحت حاكم الفاشيزم المبجل السعيد) . ونحن ليس لنا الا ان نقدم تهنتنا لهذا الشيخ على السعادة التي احاطت به من كل جانب وكان سببها استغلاله بالعلم المثلث . ورضوخه لسيطرة حاكم الفاشيزم) . ثم زاد بعد ذلك قوله : (وانى لنا ان ننسى كل ما ايدت به الاسلام من قول وفعل في عدة مواقفك السياسية الدولية المشهورة فحزت بذلك اجماع اربعمائة مليون من المسلمين على تحبيذ عملك هذا وثلت عطفهم الشديد) . وهذا يعد من الشيخ ازدراء واستهزاء بعموم المسلمين وتقول عليهم ما لم يقولوا وحاشاهم ان يقولوا . وهل من الامانة وحسن الايمان ان تعبر عن فكر اربعمائة مليون فتحكي اجماعهم على تايدك فيما قلته مع اننا نعلم ان الكثير من مواطنيك ناقدون عليك منتقدون سلوكك . فكيف تبيح لنفسك ان تعبر عن فكرة الف مسلم فضلا عن اربعمائة مليون ثم تذكر الشيخ قول الله تعالى (ادعوني استجب لكم) فختم خطبته . وهو في بيت من بيوت الله لا ينقصه الا الوقوف على المنبر . بالدعاء والابتغال الى الله فقال (فمالنا الا ان نرفع اكف الدعاء الى الله عز وجل ان يديم ايامك نصراً واعتزازاً . وان يزيد على الدوام ايطاليا الفاشيستية قوة وشوكة في العالم) .

ثم توسل الى الله برحمته ان يجيب دعواته فقال : (اللهم استجب دعاءنا هذا برحمتك يا ارحم الراحمين) . ونحن نستعيز بالله من هذا التلاعب بالدين ومن هذا العبث الذي لم تقم اعيننا على مثله لا من المتقدمين ولا من المتأخرين .

واما قاضي زليطن فانه القى خطبته عند ما زار الدوتشي زاوية سيدي عبد السلام الاسمر رضي الله عنه وكان ذلك بمحضر مشايخ الزاوية وغيرهم . ولم يفته ان يفتتح خطابه بالبسملة لانه من الامور ذات الشأن . ثم نولا بشأن زيارة الدوتشي لطرابلس وانها تنورت بقدمه وطوق جيدها بشرف تباهي به مدى الازمان . ثم استنتج من زيارته

لهذا الضريح المقدس انه يدل (على مشاركته للمسلمين في تعظيم صاحبه) . ولسنا ندري بعد هذا التعظيم هل دخل الدوتشي في الطريقة ووقف قليلا في حلقة الذكر والانشاد وشارك في الميعاد . ولعل الشيخ وقع له سهو عن ذكر ذلك . ثم نوله بشأن (الثريا البديعة التي اراد الدوتشي تقديمها لتنوير مقام شيخنا وقدوتنا سيدي عبد السلام الاسمر بها) ثم قال (وبوسعي انؤكد لك ان اثرها سيتعدى هذه الحجرة وانها ستبقي دائما قلوبنا المملوءة بمحبتك لنا وبالاخلاص لايطاليا التي جدد مجدها الباذخ بفكرتك النيرة . وعزيمتك الماضية) . ونحن نقول ان الشيخ عبد السلام رضي الله عنه لو كان يعلم ان مثل هذا الكلام سيقال عند ضريحه . وسينطق به واحد من اتباعه ومريديه هاجر من بلاد طرابلس واختار ان يموت غريقا في البحر . او غريبا في الصحراء . ما يلجج احد بذكره . ولا يهتدي احد الى قبره . ثم ختم الشيخ خطابه بكبيرة الكبائر . ووقع في عشرة لالعالها^(١) حيث قال (ونسأل الله ان ياخذ بيدك لا تمام هذا الصرح الشامخ . ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) . فكان الشيخ لم يكتف بما وقع فيه سابقا من الترهات والباطيل . فاراد ان يسجل افطع نوع من انواع الضلال . وهو العبث بكتاب الله فهو يتضرع الى الله ان ياخذ بيد الدوتشي . ثم يطبق عليه آية من القرآن مدعيا انه مما يدخل في عمومها . وهي قوله تعالى (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

ونحن نقول : ما كان اغنى هذا الشيخ عن الدخول في هذا المأزق الحرج . وما كان اغناة عن الوقوف هذا الموقف الشائن الذي يحط من كرامة العلم والعلماء ويصيرهم سخرية بين الناس . والافأى داع لتطبيق آيات القرآن في هذا المقام . وتحريفها عن موضعها . وحملها على معنى يعتقد الشيخ نفسه انها مناقضة له . وواردة في نقيضه ، أغفل عما ورد من الايات في اذار من يحرفون الكلم عن مواضعه . وعما أعد الله من العقاب لمن يتلاعب بدينه ويتخذ له زوا وسخرية ؟ وبعد فان هذين الشيخين - غفر الله لهما - قد اساءا للاربعمائة مليون مسلم بصفة عامة ، ولعلماء الدين منهم بصفة خاصة بخروجهما عن الجادة وركوبهما متن الشطط وعدم التأمل في العواقب ، والافانها قد كانا في حل مما وقعنا فيه لو اقتصرنا على الترحيب بالضيف وتقديم التحية اليه ، من غير هذه المبالغات الفاحشة والاستشهادات

(١) يقال عشرة لالعالها اي عشرة لا يخلص منها ولا يقال صاحبها وهو منل

القرآن الكريم

المقدمة الرابعة في غاية المفسر من التفسير

(٢)

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

فغرض المفسر بيان ما يصل اليه او ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأنم بيان يحتمله المعنى ولا ياباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن او يتوقف عليه فهمه اكمل فهم او يخدم المقصد تفصيلا وتقريرا كما اشرنا اليه في المقدمة الاولى مع اقامة الحجة على ذلك ان كان به خفاء او لتوقع مكابرة من معاند او جاهل . فلا جرم كان رائد المفسر في ذلك ان يعرف على الاجمال مقاصد القرآن مما جاء لاجله ويعرف اصطلاحه في اطلاق الالفاظ وللتزليل اصطلاح وعادات وتعرض صاحب الكشف الى شيء من عادات القرآن في متناثر كلامه في تفسيره . فطرايق المفسرين للقرآن ثلاثة اما الاختصار على الظاهر من المعنى الاصلي للتركيب مع بيانه وايضاحه وهذا هو الاصل . واما استنباط معان من وراء الظاهر تقتضيها دلالة اللفظ او المقام ولا يجافىها الاستعمال ولا مقصد القرآن وتلك هي مستبعات

المخجلة . والتساهل بالدين والعبث به . والترفع به عن الابتذال والامتنان ، فان للمجاملة عند العقلاء حدا لا تتعداه ، ومنطقة لا تتجاوزها ، والله تعالى قد جعل العزة لنفسه ولرسوله وللمؤمنين بنص كتابه المبين فكيف يحل لمؤمن ان يتنازل عن هاته المنزلة الرفيعة التي كتبها الله له ، وجعله اهلا لها ، اللهم انا نسئلك هداية تهدي بها قلوبنا ، وتفتح بها بصائرنا ، وان تملأ نفوسنا من خشيتك ورهبتك ، وتمفو عنا بلطفك ورحمتك ، اللهم انا لا ننظر الا اليك ، ولا نترقب الخير الا منك ، ولا نقف الا ببابك . فحقق رجاءنا واسمع نداءنا

(وجعلوا لله شركاء قل سموهم ، ام تنبؤنه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول ، بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضل الله فما له من هاد)

محمد المختار بن محمد

التركيب وهي من خصائص اللغة العربية المبحوث عنها في علم البلاغة ككون التأكيد يدل على انكار المخاطب وكفحوى الخطاب ودلالة الإشارة واحتمال المجاز مع الحقيقة . واما ان يجلب المسائل ويسطها لمناسبة بينها وبين المعنى اولان زيادة فهم المعنى متوقف عليها او للتوفيق بين المعنى القرآني وبين بعض العلوم مما له تعلق بمقصد من مقاصد التشريع لزيادة تنبيه اليه او لرد مطاعن من يزعم انه ينافيه لا على انها مما هو مراد الله من الآية بل القصد التوسع كما اشرنا اليه في المقدمة الثانية ففي الطريقة الثانية قد فرغ العلماء وفصلوا في الاحكام وخصوها بالتأليف الواسعة وكذلك تفاريج الاخلاق والآداب التي اكثر منها حجة الاسلام الغزالي في كتاب الاحياء ، فلا يلام المفسر اذا اتى بشيء من تفاريج العلوم مما له خدمة للمقاصد القرآنية وله مزيد تعلق بالامور الاسلامية . كما نفرض ان يفسر قوله تعالى « وكلم الله موسى تكليما » بما ذكره المتكلمون في انبات الكلام النفسي والحجج لذلك والقول في القرآن وما قاله اهل المذاهب في ذلك وكذا ان يفسر قوله تعالى في قصة موسى مع الخضر بكثير من آداب المعلم والمتعلم كما فعل الغزالي وقد قال ابن العربي أنه أمل على هاته القصة ثمانمائة مسألة وكذلك تقرير مسائل من علم التشريع لزيادة بيان قوله تعالى في خلق الانسان « من نطفة ثم من علقه » الآيات فانه راجع الى المقصد وهو مزيد تقرير عظمة القدرة الآلئية . وفي الطريقة الثالثة تجلب مسائل علمية من علوم لها مناسبة بمقصد الآية اما على ان بعضها يومي اليه معنى الآية ولو بتلويح ما كما يفسر احد قوله تعالى « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا » فيذكر تقسيم علوم الحكمة ومنافعها مدخلا ذلك تحت قوله خيرا كثيرا فالحكمة وان كانت علما اصطلاحيا وليس هو تمام المعنى للآية الا ان معنى الآية الاصلي لا يفوت وتفاريج الحكمة تعين عليه وكذلك ان نأخذ من قوله تعالى « كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » تفاصيل من علم الاقتصاد السياسي وتوزيع الثروة العامة ويعلل بذلك مشروعية الزكاة والموايرث والمعاملات المركبة من رأس مال وعمل على ان ذلك تومي اليه الآية ايماء وان بعض مسائل العلوم قد تكون اشد تعلقا بتفسير اي القرآن كما نفرض مسألة كلامية لتقرير دليل قرآني مثل برهان التمانع لتقرير معنى قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » وكثتير مسائل المتشابه لتحقيق معنى نحو قوله تعالى « والسماء بينها بأيد » فهذا كونه من غايات التفسير واضح وكذا قوله تعالى « اولم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » فان القصد منه الاعتبار بالحالة المشاهدة فلو زاد المفسر ففصل تلك الحالة وبين اسرارها وعللها بما هو مبين في علم الهيئة كان قد زاد المقصد خدمة واما على وجه التوفيق بين المعنى القرآني وبين المسائل الصحيحة من العلم حيث يمكن الجمع واما على وجه الاسترواح من الآية كما يؤخذ من قوله تعالى « ويوم نسير الجبال » ان فناء العالم يكون بالزلازل ومن قوله « اذا الشمس كورت الآية ان نظام الجاذبية يختل عند فناء العالم وشرط كون ذلك مقبولا ان يسلك صاحبه

مسلك الإيجاز فلا يجلب إلا الخلاصة من ذلك العلم ولا يصير الاستطراد كالغرض المقصود له لئلا يكون كقولهم الشيء بالشيء يذكر . وللعلماء في سلوك هذه الطريقة الثالثة على الأجمال آراء فاما جماعة منهم فيرون من الحسن التوفيق بين العلوم غير الدينية والالهية وبين المعاني القرآنية ويرون القرآن مشيرا الى كثير منها قال ابن رشد الحفيد في فصل المقال « اجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل والسبب في ورود الشرع بظاهر وباطن هو اختلاف نظر الناس وتباين قرائحهم في التصديق . وتخلص الى القول بان بين العلوم الشرعية والفلسفية اتصالا . والى مثل ذلك ذهب قطب الدين محمود الشيرازي في شرح حكمة الاشراق وهذا الغزالي والامام الرازي وجمهور المحققين صنيعهم يقتضي التبسط وتوفيق المسائل العلمية بشرط ان تخرج عن الصلاحية اللفظية فقد ملأوا كتبهم من الاستدلال على المعاني القرآنية بقواعد العلوم الحكمية وغيرها وكذلك فعل الفقهاء في كتب احكام القرآن . وكذلك كان ابن جني والزجاج وابو حيان قد اشبعوا تفاسيرهم من الاستدلال على القواعد العربية ولا شك أن الكلام الصادر من علام الغيوب تعالى وتقدس لا تبني معانيه على فهم طائفة واحدة ولكن معانية تطابق الحقائق وكل ما كان من الحقيقة في علم من العلوم وكانت الآية لها اعتلاق بذلك فالحقيقة العلمية مرادة بمقدار ما بلغت اليه افهام البشر وبمقدار ما سئلهم اليه ذلك يختلف باختلاف المقامات ويبني على توفر آلات الفهم وشرطه ان لا يخرج عما يصلح له اللفظ عربية ولا يبعد عن الظاهر الا بدليل ولا يكون تكلفا بينا ولا خروجا عن المعنى الاصلي حتى لا يكون في ذلك كتفاسير الباطنية واقوال المهوسين

وذهب جماعة منهم الشاطبي انه لا يصح في مسلك الفهم والافهام الا ما يكون عاما بجميع العرب فلا يتكلف فيه فوق ما بقدرون عليه . وقال في المسألة الرابعة من النوع الثاني : ما تقرر من امية الشريعة وانها جارية على مذاهب اهلها وهم العرب تنبني عليه قواعد منها ان كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد فاضافوا اليه كل علم يذكر للمتقدمين او المتأخرين من علوم الطبيعات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف واشباهها وهذا اذا عرضناه على ما تقدم لم يصح فان السلف الصالح كانوا اعلم بالقرآن وعلومه وما اودع فيه ولم يبلغنا انه تكلم احد منهم في شيء من هذا سوى ما ثبت فيه من احكام التكاليف واحكام الآخرة نعم تضمن علومنا من جنس علوم العرب وما هو على مبدءها مما يتعجب منه أولو الالباب ولا تبلغه ادراكات العقول الراجعة السخ « وهذا مبني على ما اسسه من تكون القرآن لما كان خطابا للاميين وهم العرب فانما يعتمد في مسلك فهمه واقامه على مقدرتهم وطاقتهم وان الشريعة امية وهو اساس واه وباطل لوجوه احدها ان ما بناء عليه يقتضي ان القرآن لم يقصد منه انتقال العرب من حال الى حال وهذا باطل لما قدمناه قال تعالى « فقلك من اناء

الغيب نوحيا اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا » الثاني ان مقاصد القرآن راجعة لعموم الدعوة وهو معجزة باقية فلا بد ان يكون فيه ما يصلح لان تناوله افهام من يأتي من الناس في عصور انتشار العلوم العالية . الثالث ان السلف قالوا انه لا تنقضي عجائبه يعنون معانيه ولو كان كما قال الشاطبي لانقضت عجائبه بانحصار انواع معانيه . الرابع ان من تمام اعجازه ان يتضمن من المعاني مع ايجاز لفظه ما لم تف به الاسفار المتكاثرة . الخامس ان مقدار افهام المخاطبين به ابتداء لا يقتضي الا ان يكون المعنى الاصلي مفهوما لديهم . فاما ما زاد على المعاني الاساسية فقد يتهيأ لفهمه اقوام وتحجب عنه اقوام . السادس ان عدم تكلم السلف ان كان فيما ليس راجعا لمقاصده فنحن نساعده عليه وان كان فيما يرجع لمقاصده فلا نسلم وقوفهم فيها عند ظواهر الآيات بل قد بينوا وفصلوا وفرعوا فكان ذلك في بعض علوم عنوا بها ولا يمنع ذلك ان نقفي على آثارهم في علوم اخرى راجعة لخدمة المقاصد القرآنية او لبيان سعة العلوم الاسلامية اما وراء ذلك فان ذكره لايضاح المعنى فذلك تابع للتفسير ايضا لان العلوم العقلية انما تبحث عن احوال الاشياء على ما هي عليه وان كان فيما زاد على ذلك فذلك ليس من التفسير ولكنه تكملة للمباحث العلمية واستطرد في العلم لمناسبة التفسير ايمكون متعاطي التفسير اوسع قريحة في العلوم

وذهب ابن العربي في العواصم الى انكار التوفيق بين العلوم الفلسفية والمعاني القرآنية ولم يتكلم على غير هاته العلوم وذلك على عادته في تحقيرها لاجل ما خولطت به من الضلالات وهو مفرط في ذلك مستخف بالحكماء والعقلاء وكذلك كان شان فقهاء الاندلس في عصره . وسكت عن غيرها وذكر في مواضع انه أملى خمسمائة مسألة على سورة نوح وثمانمائة على قصة موسى والحضر فدل على انه لا يمنع التفريع والتوفيق في غير العلوم الفلسفية . وأنا انصر اهل الرأي الاول واقول ان علاقة العلوم بالقرآن على اربعة مراتب الاولى علوم تضمنها القرآن كاخبار الانبياء والامم وتهذيب الاخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والاصول والعربية والبلاغة . الثانية علوم تزيد المفسر علما بالحكمة والهيئة وخواص المخلوقات . الثالثة علوم اشار اليها او جاءت مؤيدة له كعلم طبقات الارض والطب والمنطق . الرابعة علوم لا علاقة لها به اما لبطلانها كالزجر والعيافة والميثولوجيا . واما لانها لا تعين على خدمته كعلم العروض والقوافي .



الزكاة

قال الله تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

نزلت الآية الكريمة في السنة الثانية من الهجرة النبوية وهي السنة التي شعشع فيها نور الاسلام بما تتابع فيها من نزول آيات الاحكام وذكر المفسرون في سبب نزولها وارتباطها بالآية التي قبلها وهي قوله تعالى (وءآخرون اعترفوا بذنبهم خلطوا عملا صالحا وءآخرا سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) ان ثلاثة من الانصار الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهم ابو لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة ابن حزام لما ندموا عما وقع منهم أوثقوا انفسهم على سواربي المسجد وأقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم من غزوته الى المدينة ودخل المسجد ورءاهم على تلك الحالة سأل عنهم واخبر بخبرهم فقال وانا أقسم اني لا احلهم حتى أوامر فيهم فنزل قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنبهم الآية فأطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا وانما تخلقنا عنك بسببها فتصدق بها وطهرنا فقال صلى الله عليه وسلم ما أمرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزل قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها الآية فاخذ منهم صلى الله عليه وسلم بعض اموالهم وتصدق بها واستدل اكثر الفقهاء بالآية المذكورة على ايجاب الزكاة ولا منافات بين عموم الحكم وخصوص السبب وسميت هاته الصدقة في لسان الشرع بالزكاة التي هي في اللغة النمو ترغيبا في القيام بها اذ الانفس البشرية مجبولة على حب المال وما ينمي به وهي من النظم الجليلة التي تدفع عن الاغنياء رذيلة الشح وتعين على ابواب من البر في مصلحة مجموع الامة ومن نظر في تعدد مصارفها استيقن بانها الحبل المتين والساعد المعين لربط الجامعة الاسلامية والوحدة القومية وقد كان للعرب في جاهليتهم نظام فيما ينتج لهم من الحرث والانعام فيجعلون منه نصيبا لله يوزع على الفقراء ونصيبا للاوثان يصرف لسدتها والقائمين بأمرها ولكن كان اهتمامهم بالمحافظة على ما جعلوه للاوثان اشد واعتناؤهم به اتم مما يجعلونه لله كما خبر الله تعالى عنهم بقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزرعهم وهذا الشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون فجاءت الشريعة السمحة في الزكاة بهذا النظام الحكيم المرتكز على دعائم البر مبينة بالقراءان العظيم مقدار الزكاة وهو البعض وما تجب فيه ووقته اجمالا على ما تشير اليه آية خذ من اموالهم صدقة

وقوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده وتفصيلا بالسنة النبوية قولاً وفعلاً قال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون ولو جاء القرآن بتفصيل كل شيء لضاعت به الصدور والسطور . ولما كان الخطاب بأخذ الزكاة في الآية الكريمة متوجها اليه صلى الله عليه وسلم تولى بنفسه أخذها من الاموال الظاهرة كالانعام والحراث ومن الاموال الخفية كالنقود وعروض التجارة فيأتون بها اليه ويدعو لاربابها كما ورد في الحديث أن بني ابي اوفى لما أتوه بالصدقة قال اللهم صل على آل ابي اوفى عملاً بقوله تعالى وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم اي تسكن اليها نفوسهم وتطيب بها قلوبهم ومن هنا كان ينبغي للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق كما ورد فيقول ءاجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت . ويضعها صلى الله عليه وسلم في مصارفها التي جاء بها قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم . ويوزعها عليهم باجتهاد المصيب صلى الله عليه وسلم ولما انتشر الاسلام في السنة التاسعة ارسل صلى الله عليه وسلم السعاة لاخذها رفقا بامته وقال لمعاذ ابن جبل رضي الله عنه لما ارسله واليا على اليمن خذها من اغنيائهم واقسمها على فقرائهم واستنبط ابو حنيفة من هذا الحديث ان الفقير الذي يكون مصرفاً للزكاة هو من لا يملك نصاباً وهو مائة درهم او قيمتها فاضلاً عن قوته وقوة اهله زائداً عن حوائجه الاصلية لانه صلى الله عليه وسلم جعل في الحديث الناس على قسمين اغنياء وفقراء والغني من يملك النصاب والفقير من لا يملكه ولا واسطة بينهما وكراه اخراج زكاة اهل بلدة فيها فقراء واعطاءها لفقراء بلد آخر الا اذا كان فيهم ذو قرابة للمتصدق كما كره ان يعطى نصاب لفقير واحد لانه يصير به غنياً الا في خلاص دين عليه . واستمر عمل الولاية في خلاص الزكاة عن الاموال الظاهرة والخفية في مدته صلى الله عليه وسلم ومدة خليفته ابي بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان رضي الله عنهم ولما كثرت الاموال واتسعت الارزاق بما فتح الله به على المسلمين من الممالك رأى سيدنا عثمان ان في تتبع الاموال الخفية حرصاً على اربابها اذ من شأنها ان تكون مخبوءة في الدور والحوانيت وربما تشاعن تتبعها مفاسد درؤها اولى وكان عمر بن الخطاب يقول لعماله لا تنبشوا على الناس اموالهم فاوكل عثمان صدقتها لاربابها وخطب في الناس وقال ان هذا الشهر شهر زكاتكم فمن كان منكم عليه دين فليقضه ثم يؤد زكاة ما بقي ان كان نصاباً وذلك بعد مفاوضة الصحابة واجماعهم على ما رأى رضي الله عنه فكانت ارباب الاموال الخفية كالوكلاء عن الامام في ذلك القدر وبما ان الوكالة لا تبطل حق الموكل في المطالبة قال ابو حنيفة رضي الله عنه اذا علم الامام باناس لا يؤدون الزكاة طالبهم بها واذا انتفت تهمة الترك فليس له حق المطالبة لمخالفته لما انعقد عليه الاجماع واما زكاة الاموال الظاهرة كالانعام والحراث فبقي الحق في خلاصها وصرفها في مصارفها للامام خاصة حتى لا يصدق من وجبت عليه في ادعاء اخراجها لغير الامام هذا

ولا تجب الزكاة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانهم لا ملك لهم مع الله تعالى وما في ايديهم ودائع يبدلونها في اوان بذلها ويمنعونها عن غير محلها والى هذا يشير حديث نحن معاشر الانبياء لا نورث وما تركناه صدقه وتحمل عليه معارضة سيدنا ابي بكر رضي الله عنه لسيدتنا فاطمة لما طلبت ميراثها مم تركه صلى الله عليه وسلم من الحيطان بالمدينة وان الخليفة الثاني لما سلها الى سيدنا علي رضي الله عنهما امره بان يتولى صدقتها فيما يراه. واما قوله تعالى في حق عيسى عليه السلام واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا فللمراد منه والله اعلم زكاة النفس من الرذائل التي لا تليق بمقام الانبياء عليهم السلام لا زكاة الاموال وعليه فتكون الوصية جامعة بين عبادة الله المرادة من الصلاة وصيانة النفس عما يشينها. هذا وقد اختلف مالك وابو حنيفة رضي الله عنهما في سبب ايجاب الزكاة فذهب الامام مالك الى ان السبب الموجب هو ملك النصاب الحولي وذهب ابو حنيفة الى ان السبب هو ملك النصاب فقط والحول تاحيل لوجوب الاداء وكان السر في ذلك ان يكون ما يدفعه المزكي مما يستفيدة لا من رأس المال ويتفرع على قول ابي حنيفة رضي الله عنه صحة تعجيل الزكاة ممن يملك النصاب قبل مضي الحول بشرط النية عند الدفع للفقير او عزل ما يريد اعطائه للفقراء عن ماله ودفعه لهم شيئا فشيئا بقدر الحاجة قال في الهداية وان قدم الزكاة على الحول وهو مالك للنصاب جاز ويجوز التعجيل لاكثر من سنة وقال ابن الهمام في شرحها ويجوز لنصب ان كان في ملكه نصاب واحد لان النصاب الاول هو الاصل في السببية والزائد عليه تابع له انتهى وهي رخصة عظيمة في سد خلة الفقراء في سني المجاعة التي تعثر بها احكام لا تكون لغيرها فقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا قطع في عذق ولا عام سنة اي شدة لشبهة المجاعة والحدود تدرأ بالشبهات. وقد بنى صاحب المحبية على صحة تعجيل الزكاة قبل تمام الحول قوله :

اجرى على قريبه المحتاج ما يكفيه كل العام قال العلماء

يجزيه ان من الزكاة دفعه وانه اوقع ذاك موقعه

والقريب من ليس باصل ولا فرع كالاخ وابن العم فيصح اجراء النفقة عليه من الزكاة المعجلة ولو مياومة بشرط ملكية المنفق للنصاب والنية عند الدفع او عزل ما يريد انفاقه عليه وتمليكه له ولا كفي اباحة الطعام له وان لا يقضي القاضي بوجوب نفقته عليه الا ان يكون ما يدفعه له زائدا عما قدر له ولا يلزم اعلام المتصدق عليه بانه من الزكاة واثار بقوله وانه اوقع ذاك موقعه الى ان التصدق عليه افضل من التصدق على غيره لانه صدقة وصلة رحم وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث زينب امرأة عبد الله حين سالت عن صدقتها على عبد الله وايتام بني اخ لها في حجرها فقال لك اجران اجر الصدقة واجر القرابة . ومما ورد في فضيلة الزكاة ما حدث به بشير ابن الخصاصية رضي الله عنه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ابايه فقلت له غلام تابيعني يا رسول الله فمد رسول الله يده

فقال على ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله وتعلي الصلوات الخمس المكتوبات لوقتها وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم وتحج البيت وتجاهد في سبيل الله فقلت يا رسول الله كلا لا اطيق أما ابتداء الزكاة فما لي الا حمولة اهلي وما يقومون به واما الجهاد فاني رجل جبان فاخاف ان تخضع نفسي فافر فأبوء بغضب من الله فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال يا بشير لا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة فقلت يا رسول الله ابسط يدك فبسط يده فبايعته عليهن . هذا وان الشارع كما حث على الصدقة الواجبة وبين فضيلتها في ايماء آية وفي ايماء حديث حث على صدقة التطوع وبين فضيلتها فقال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً يضاعفه له اضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون . لما نزلت الآية الكريمة انقسم الخلق بحكمة الله ومشيتة حين سمعوا هاتى الآية اقساماً ففرقوا فرقاً ثلاثة الاولى الرذلى قالوا ان رب محمد محتاج فقير الينا ونحن اغنياء فهذه جهالة لا تخفى على ذي لب فرد الله عليهم بقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء والفرقة الثانية آثرت الشح والبخل وقدمت الرغبة في المال فما انفق في سبيل الله ولا اعانت احداً تكاسلاً عن الطاعة وركبونا الى هذه الدار ولا تحسبن الذين ييخسون بما اتاهم الله من فضله هو خيراً لهم والفرقة الثالثة لما سمعت هاتى الآية بادرت الى الامشال بسرعة ككابي الدحداح فقد روي عن زيد ابن سلم رضي الله عنه قال لما نزل من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً قال ابو الدحداح فذاك ابي وامى يا رسول الله ان الله يستقرض وهو غني عن القرض قال نعم يريد ان يدخلكم الجنة به قال فانا ان اقرضت ربي قرضاً يضمن لي به ولصيتي الدحداحة معى الجنة قال نعم قال ناولني يدك فناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال ان لي حديثين احدهما بالساقلة والاخرى بالعالية والله لا املك غيرهما قد جعلتهما قرضاً لله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل احدهما لله والاخرى دعماً لمعيشة لك ولعمالك فقال اشهد يا رسول الله اني جعلت خيرهما لله تعالى وهو حائط فيه ستمائة نخلة قال اذا يجزيك الله به الجنة فانطلق ابو الدحداح حتى جاء ام الدحداح وهي مع صبياتها في الحديقة تدور تحب النخل فانشد يقول

هداك ربي سبل الرشاد	الى سبيل الخير والسداد
بيني من الحائط بالوداد	فقدمضى قرضاً الى التنادي
اقرضته الله على اعتماد	بالطوع لامن ولا ارتداد
إلارءاء الضعف في الميعاد	فارتجلي بالنفس والاولاد
والبر لا شك خير زاد	قدمه المرء الى المعاد

قالت ام الدحداح ربح بيعك بارك الله لك فيما اشتريت واجابته ام الدحداح وانشدت تقول

بشرك الله بخير وفرح	مثلك ادى ما لديه ونصح
قد متع الله عيالي ومنح	بالعجوة السوداء والزهر البطح
والعبد يسعى وله ما قد كدح	طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت ام الدحداح على صبياتها تخرج من افواههم وتتفص اكمامهم حتى افضت الى الحائط الآخر فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم في الجنة من عذق رداح ودار فباح لابي الدحداح .
(محمد الصادق المحرزي) الاستاذ بجامع الزيتونة

الحديث الشريف

باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه

— ٢ —

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز
جعيط المفتي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة

واما الاكتواء فثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم كوى سعد ابن معاذ في اكحله وكوى سعد بن زرارة وبعث الى ابي بن كعب طبيباً ففقطعه عرقاً ثم كواه وجاء عنه . من اكثوى او استرقى فقد برى . من التوكل (١) وجاء عنه . الشفاء في ثلاثة في شرطة محجم او شربة عسل او كية بنار وأنهى امي عن الكي . وجاء في حديث الصحيحين وما احب ان اكثوي وقد تضمنت هذه الاحاديث مع حديث الباب اربعة اشياء احدها فعله ثانيها عدم محبته ثالثها الثناء على من تركه رابعها النهي عنه ولا تعارض فيها بحمد الله ففعله يدل على الجواز وعدم محبته لا يدل على المنع والثناء على تاركه يدل على ان تركه افضل والنهي عنه اما على سبيل الاختيار من دون علة او عن النوع الذي لا يحتاج معه الى كي . وقيل في الجمع ان المنهي عنه هو الاكتواء ابتداء قبل حدوث العلة والمباح هو الاكتواء بعد حدوث العلة . اذا علمنا ماورد في الرقية والكي فللعلماء في حمل حديث الباب المفيد مرجوحية الرقية والكي والمشعر بمنافتهما للتوكل افهام وفي معنى الاسترقاء والاكتواء سائر انواع التداوي فحكى المازري عن الاقلين كراهة التداوي مطلقاً لحديث الباب لكن غمز حجة الاسلام الغزالي هذا القول وعابه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم تدأوى ولا يكون لغيرة من الرسوخ في التوكل ما له قال وليس اعراض من اعرض من السلف عن التداوي لكون الترك افضل بل لخواطر علق بهم كالاغتغال بالعبادة عن العلاج او رؤية ان العلة مزمنة او توهم عدم نفع الادوية لقلة التجربة او فقدها او لنيل ثواب المرض او لحوف افة الصحة او غير ذلك . والاكثر من العلماء على الجواز او عدم منافاة العلاج بجميع انواعه للتوكل وعليه ففي حمل الحديث اقوال الاول الرقى المذمومة واما الرقى بكتاب الله وبالكلام الطيب فليس مرجوحاً بل سنة الثاني الرقى المأفون فيها فتركها افضل والحديث خارج لبيان اعلا درجات التوكل واحاديث فعل الرقى

ليان الجواز وهذا وان ذهب اليه الخطابي واختاره عياض فيظهر انه لا يستقيم مع تكرار الرقية من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يشعر به حديث عائشة المتقدم اذ يان الجواز لا يكون مع التكرار وانما يكون مع القلة وقد رقى جبريل عليه السلام رسول الله ورقته عائشة رضي الله عنها ولو كان مرجوحا لاشعرها وقد استشعر ابن الاثير ما اورده فتمجّل لدفعه بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في اعلامقامات العرفان ودرجات التوكل فكان ذلك منه للتشريع وبيان الجواز ومع ذلك فلا ينقص من توكله لانه كان كامل التوكل يقينا فلا يؤثر فيه تعاطي الاسباب شيئا بخلاف غيره ولو كان كثير التوكل فكان من ترك الاسباب وفوض واخلص ارفع مقاما. قلت يبعده حديث من استرقى او اکتوى فقد برىء من التوكل فانه يفيد المضادة لاصل التوكل لا للمراتب العلية منه. القول الثالث في الحديث حمّله على من اعتقد نفع الادوية بطبعها كما كان اهل الجاهلية يعتقدون وقد ذهب الى هذا القول المازري والطبري وطائفة ورده القاضي عياض بان السبعين الفامزية على غيرهم وفضيلة انقروا بها عمن يشاركون في اصل الفضل والديانة ولو كان الامر على ما ذهب اليه المازري لم يبق لهم اختصاص لان عدم اعتقاد ذلك عند كل مسلم ومن اعتقد خلافه كفر. وقد سلم اعتراضه شراح مسلم ويظهر للعبد ان الاعتراض غير وجيه لان المزية في توكلهم ولهذا قيل وعلى ربهم يتوكلون ويكون الكلام على سبيل الترقى فيصير الحديث بمعنى لا يعتقدون تاثير الاسباب ولا يركنون اليها وانما ذكر الاسترقاء والاكتواء من بين سائر الادوية اهتماما بشانها لما تاصل في نفوس الجاهلية من اعتقاد تاثيرهما ومما يشرح هذا ويرد اعتراض القاضي ذكر الطيرة معهما مع انها دائرة بين الكفر والحكمة على ما سياتي ان شاء الله

القول الرابع في الحديث حمّله على من يجتنب فعل ذلك في الصحة خشية وقوع الداء واما من يستعمل الدواء بعد وقوع الداء فلا واليه ذهب الداودي. قلت ان سلم ظهور هذا الحمل في الاكتواء لما فيه من الاذابة ولما ينشأ عنه من الامر الفاحش فلا يظهر في الاسترقاء لانه في معنى الدعاء الذي يشرع لدفع المكاره الحاصلة او المتوقعة. هذا ما يتعلق بالاسترقاء والاكتواء واما التطير فهو مصدر تطير وجاء المصدر على طيرة كتخير خيرة ولم يرد في المصادر على هذا الوزن غيرهما وجاء في الاسماء حرفان شيء طيبة اي طيب وتولة لضرب من السحر وقد تقدم تفسيرها قال الزجاج واشتقاق الطيرة اما من الطيران لان الانسان اذا تشاءم بشيء وكرهه تباعد عنه فشبّه سرعة اعراضه عنه بالطيران او من الطير لانهم كانوا يتشاءمون ببعضها ويزجرونها فكانوا ينفرون الطير والظباء فان اخذت ذات اليمين تبركوا ومضوا لحاجتهم وان اخذت ذات الشمال نكصوا وتولوا عن سفرهم وحوائجهم ولما كان ذلك يصدهم في كثير من الاوقات عن المضي في مقاصدهم ابطل الشارع ذلك بقوله لا طيرة واخبر ان ذلك لا يجلب نفعا ولا يدفع ضرا وجاء في بعض الاحاديث الطيرة شرك اي اعتقاد انها تنفع او تضر بذاتها

شرك اذ لا فاعل الا الله تعالى وجاء في مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي قال قلت يا رسول الله مورا كنا نصنعها في الجاهلية كنا ناتي الكهان قال فلا تأتوا الكهان قال قلت كنا نتطير قال ذلك شيء يجده احدكم في نفسه فلا يصدكنكم قال الابي هذا نفي وابطال للطيرة بالبرهان وهو ابلغ فالمعنى لا تطيروا فان الطيرة لا وجود لها وانما هو شيء يوجد من قبل الظنون من غير ان يكون له اصل . وقد ظهر بما سقناه من الاحاديث ان اعتقاد التأثير بالذات فيما يتطير منه شرك وان التطير مع عدم اعتقاد التأثير بالذات حرام وعلل الشهاب القرافي الحرمة بانها سوء ظن بالله تعالى وحكى عن بعض العلماء انه سئل عن المتطير من شيء يفعل فيصيبه المكروه وغير المتطير يفعل فلا يصيبه اذى هل لذلك اصل في الشريعة فاجاب أصله قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وفي بعض الطرق فليظن بي خيرا والمتطير ظن الله يؤذيه عند فعل ما تطير منه واساء الظن بالله فقابله الله على سوء ظنه باذايته بما تطير به بخلاف غيره قال القرافي وضابط التطير المنهي عنه خوف الاذية من فعل ما لم تجر العادة بانه سبب مود سواء كانت العادة مطردة او اكرية ويدل لهذا الصابط قوله في الحديث ذلك شيء يجده احدكم في نفسه اي ولا حقيقة له كما تقدم تفسيره

ومن تعليل الطيرة بما تقدم نعلم وجه مفارقة الفال لها وكراهة رسول الله صلى الله عليه وسلم للطيرة وجهه للفال وقد فسر عليه الصلاة والسلام لما سئل عنه بقوله ألكلمة الصالحة يسمعها احدكم قال القرطبي الفال تنشرح له النفس وتستبشر له بقضاء الحاجة فيحسن الظن بالله تعالى بخلاف الطيرة . وفي الترمذي من حديث صحيح كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج لحاجة يعجبه ان يسمع ياراشد يانجيح وروى قاسم ابن اصبح ان بريدة الاسلمي من بني سهم خرج في سبعين راكبا في اهله يتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فقال من انت فقال بريدة فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر وقال برد امرنا وصلح ثم قال ممن قال من اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بي بكر سلنا ثم قال ممن قال من بني سهم قال خرج سهمنا . قلت يظهر في الفرق بين الطيرة المكروهة والفال المحبوب زيادة على ما ذكرناه ان الطيرة تبعث الفشل والخور في النفوس وتبسطها عن المضي في مطالبها فكرهت لئلا يحصل ضعف العزيمة والالتقياد الى الاوهام الباطلة واما الفال فانه يقوي العزيمة ويبعث النشاط ويفري بالاقدام المعقود بناصيته النجاح فلذلك أحبه وأعجبه وليست الاستخارة المشروعة على وزان الطيرة لان الطيرة تبعث على الاحجام لغير سبب معتبر واما الاستخارة ففي المشاريع المجهولة العاقبة وليس فيها ما يبعث على الاحجام وانما هي عبارة عن التجاء العبد الى الله تعالى في ابعاده عن ذلك المشروع ان كان يفضي الى مكروه وشر وتوقيفه له وتيسيره عليه ان كان يسفر عن نجاح وخير فهي دعاء محض والدعاء مشروع في كل مهم قال تعالى : ادعوني استجب لكم .

الفتاوى واللامعات

الجواب عن بعض الاسئلة الواردة على المجلة

س (١) ما قولكم ابقاكم الله في رجل توفي وترك والدين فقيرين عاجزين وزوجة وسبع بنات قاصرات وخلف تركة تقدر بمليون فرنك ولكن هاته التركة مرهونة في دين قدره ثلاثمائة الف فرنك وبما ان قيمة الملك في هاته الظروف منحطة كثيرا فلا يمكن بيع شيء من المخلف المذكور لسداد الدين نظرا للمصلحة في عدم تقويت ملك له قيمة ولذلك باشر المقدم على هذا الملك دفع الدين المذكور من مدخول كرائه وبقي الورثة في حالة سيئة من الضيق والاحتياج فالمطلوب منكم بيان حكم الله فيما يخص النفقة على من ذكر اكل فرد من الوارثين وكيف تكون القسمة بعد خلاص الدين جازاكم الله عن الاسلام خير الجزاء

الحاج محمد بن سليمان الدو - (بنزرت)

س (٢) رجل ذو ثروة وله اولاد وبنت وقد اراد ان يخصص قدرا من ثروته لابنته بعد وفاته ويترك الباقي على الشيعاء بين جميع الابناء مع ان الابناء متساوون في الصلاح وضده فهل يجوز له ذلك وهل يصح شرعا .

محمد الشهيد - (تونس)

ج (١) اما بعد فالجواب عن المسألة الاولى . اما يخص الرشاء من الورثة فانهم ينظرون لانفسهم اي الامرين اصلح لهم اما البقاء على الاعاشة مع المولى عليهم ويجري امر الجميع على ما فيه المصلحة المشتركة التي يراها القاضي كما سيأتي واما ان ياخذوا حظهم بالقسمة اذا قبلت التركة القسمة فيتصرفوا في مناهم بما يظهر لهم . واما المولى عليهم فالقاضي ينظر لهم اي الامرين اصلح اما الاستمرار على خلاص الدين من ريع التركة وهو اولى اذا تيسر بدون اضرار بالمولى عليهم في ابدانهم ولا في بريتهم فان كان في ذلك ضرر عليهم من هذين الجانبين فالبيع بقدر الحاجة اولى لان المال انما جعله الله لقوام الحياة ويجري القاضي في ذلك على قاعدة ارتكاب اخف الضررين فهذا هو حكم الله فيما يخص النفقة على الورثة من مالهم الموروث . واما قسمة التركة فان الورثة المذكورين كلهم أصحاب فروض ومقادير فروضهم اكثر مما يحمله تكسير المال الى كسور فيصار في هذه التركة الى العول فاصل هذه الفريضة ان تنجز الى اربعة وعشرين لانه اقل عدد فيه ثمن وسدس وثلاث ولما كانت الفرائض في قضية الحال ثمنا وسدسين وثلاثين وتلك كسور لا تتحملها الاربعة والعشرون وتصير بالعول الى سبعة وعشرين لانها تعول بمثل ثمن الاربعة والعشرين وهو ثلاثة وهذه

الفريضة هي التي تلقب في الفرائض بالمنبرية (نسبة الى منبر الخليفة علي رضي الله عنه اذ اجاب عنها وهو يخطب على المنبر فقال صار نمنها تسعا) وعليه فيكون للزوجة من ذلك ثلاثة ولكل من الابوين اربعة وللبنات ستة عشر فلك سبعة وعشرون جزءا .

ج (٢) واما المسألة الثانية فالجواب عنها ان تخصيص بعض الولد بمال كبير دون بقية الاولاد قد اختلف فيه ائمة الاسلام ومشهور مذهب مالك رحمه الله ان ذلك مكروه وانه اذا وقع صح ومضى كسائر الهبات بشروطها اقيت بذلك وانا محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي في ٢٦ محرم و ٧ افريل سنة ١٣٥٦ - ١٩٣٧



وورد على ادارة المجلة السؤالان الآتيان :

(١) موظف له مرتب شهري ينفق منه ما يسدد حاجته ويدخر الباقي في صندوق وهكذا دواليك حتى تجمع له من النقود المدخرة ما يكون نصابا ثم وفقه الله الى اداء الزكاة فمن اي تاريخ ينبغي الحول بالنسبة له ايستقبل بذلك المال المدخر حولا كاملا ام يجب عليه اخراج الزكاة حالا اذا فرضنا ان اول شيء وضعه في الصندوق مضى عليه حول ام كيف الحال

(٢) انسان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ويحفظ القرآن الكريم ولا يعمل بما فيه فهل يعتبر كارها للقرآن ام لا

جواب السؤال الاول ان هذا الموظف الذي يوفر من مرتبه كل شهر مقدارا لا يبلغ نصاب الزكاة ثم يدخره حتى تجمع لديه ماكمل به نصابها حكمه على مقتضى المذهب المالكي ان يستقبل الحول من يوم قبض المقدار المكمل للنصاب وادخاره ولا يعتبر يوم قبض المقادير الاخرى السابقة عنه مبدا الحول لنقصانها حيثئذ عن النصاب ولنيسط ذلك موضحا بادلته فنقول

اقتضت حكمة الله البالغة ونعمته السابعة ان جعل للفقراء حظا في اموال الاغنياء متى بلغت مقدارا خاصا وهو المسمى بالنصاب رحمة منه تعالى بالفريقين معا اذ ان في الزكاة التي أوجبها الباري جل وعلا على الاغنياء في اموالهم للسائل والمحروم وجعلها احدى دعائم الاسلام الخمس رفقا بالفقير بدفع غائلة الفقر عنه وهي في الوقت نفسه تتضمن الرفق بالغني ايضا بدفع غائلة الفقراء عنه زيادة عن موافقتها ما تقتضيه المروءة الانسانية وما تستدعيه الاخوة الاسلاميه من انتشال الفقراء والمساكين من وهدة البؤس والشقاء ولزيادة الرفق بالاغنياء في اداء هذا السوابج الانساني العظيم وتخفيفا لواقع اخراج المال من يد ربه الذي يرى انه الاحق به لانه الذي كدح وأجهد نفسه في سبيل الحصول عليه في الاعم الاغلب جعل الشارع الحكيم الزكاة واجبة في فضول الاموال وعفوها قال تعالى خطابا

لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ العفو فكان وجوبها مختصا بالاموال التي يقصد بها النماء واستثمار الربح الا ما ورد نص الشارع على عدم وجوبها فيه كالعبيد والحيث قال عليه الصلاة والسلام ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة اه فوضحت السنة النبوية الشريفة اصناف المال الواجبة فيها الزكاة مما توفر فيه المقصد الآنف ولذا وقع اتفاق الائمة على وجوب الزكاة في ثلاثة اصناف من المال الاول الحرث ونعني به الحبوب والشمار المقتاتة اي التي تستقيم بها البنية لانها تسد خلة الفقير دون غيرها لاتقاء العلة المذكورة فيه الثاني الماشية وهي النعم من ابل وبقر وغنم الثالث النقد من ذهب وفضة وفي معناهما ما يتولدان عنه من عروض التجارة اماما سبيله القنية والانتفاع به مباشرة ولا يقصد به التنمية فلا تجب فيه الزكاة، ومراعاة لهذا المعنى شرط فقهاؤنا في المال الواجبة فيه الزكاة القدرة على انماؤه قال ابن الحاجب في مختصره الفرعي في باب الزكاة فشرط العين غير المعدن والركازان يكون نصابا مملوكا حولاكاملا غير معجوز عن انماؤه اه قال صاحب التوضيح تعليقا على قوله غير معجوز عن انماؤه احتراز به من العين المغصوبة ومن المدفون والموروث اذا لم يعلم اه

ولكون الزكاة انما تجب في فضل المال وعفوه كما اوضحناه بينت السنة الغراء ان وجوبها منوط بشرط هو مظنة حصول النماء في المال الا وهو مرور الحول كما في التقدين غير المعدن او ما يتنزل منزلة مرور الحول كما في المعشرات وهي الحبوب والشمار فقد نزل ما بين وقت الزراعة والحصاد في الزرع وما بين اول اطوار الثمرة حين تكون نورا وجذاذها بالنسبة للثمرة منزلة مرور الحول حيث اوجب الله دفع زكاة ذلك يوم الحصاد قال تعالى وآتوا حقه يوم حصاده . وألحق المعدن بالزرع في عدم اشتراط مضي الحول لانهما معا خارجان من الارض ومما اعتبر فيه مرور الحول تقديرا ما تولد عما تجب فيه الزكاة فان حوله حول اصله نتاجا كان او ربعا لتقدير كونه في اصله المتولد هو عنه . اذا تمهد هذا فالوظف الوارد في السؤال يستقبل الحول من تاريخ تمام النصاب ولا يضم ما كمل به النصاب الى ما وفره اولا بحيث يكون مبدأ حولهما يوم قبض الموفر اولا لان المال حينئذ لم يبلغ نصابا وايضا حال ذلك اقول

ان المرتب ونحوه من العين التي لم تتولد عن مال او تولدت عن مال غير مزكى يسمى في عرف فقهاءنا فائدة وقد عرفها ابن عرفة في باب الزكاة بقوله ما ملك لا عن عوض ملك لتجر اه وابن الحاجب بقوله ما يتجدد لا عن مال مزكى اه وهو اوضح من تعريف ابن عرفة وعرفها خليل بقوله ما يتجدد لا عن مال او غير مزكى اه اي ما يتجدد عن غير مال او عن مال غير مزكى وحكم الفائدة في الزكاة ان كانت نصابا ان يستقبل بها الحول من يوم قبضها قال خليل واستقبل بفائدة اه اي ان كانت نصابا كما أفصح عنه شارحه عبد الباقي ومثل لها بما يقبض من وظائف وقال العدوي في حاشيته

على شرح الحرشي على المختصر الخليلي تعليقا على عبارة المذكورة ومن الفوائد ما يحصل للانسان من عمل كاجرة كتابة او صنعة او امامة ونحو ذلك اهـ

فان طرأت فائدة على فائدة كما في واقعة السؤال فذلك يتصور باربعة صور ، اما ان تطرأ كاملة النصاب على كاملته . او ناقصته على ناقصته . او كاملته على ناقصته . او ناقصته على كاملته فمضى كانت الفائدة الاولى كاملة النصاب سواء اكانت الثانية كاملته ام ناقصته لم تضم احدهما للآخرى بل تزكى كل واحدة منهما عند مرور حولها ومضى كانت الفائدة الاولى ناقصة النصاب ضمت الى الثانية كاملة النصاب كانت او ناقصته فتكون زكاهما معا عند دوران حول الثانية قال خ - نذكر لفظه ممزوجا بمحل الحاجة من عبارة شارحه عبد الباقي - قال : وتضم الفائدة الاولى في حال كونها ناقصة عن نصاب لثانية فيها نصاب او دونه وحصل من مجموعهما نصاب فيصير ان كالشيء الواحد او لثلاثة ان لم يحصل من مجموع الاولين نصاب وهكذا اهـ ففوله وتضم الفائدة الاولى الخ هو بمعنى استقبال الحول من يوم حصول الفائدة الثانية او الثالثة التي بها كمل النصاب وهي عين مسألتنا الوارد عنها السؤال والله اعلم

اما السؤال الثاني فأقول في الجواب عنه : ان السائل وقع له اجمال فيه اذ ان كراهية القرآن المسؤول عن صحة اتصاف المؤمن بها اذا كان تاركا للعمل بما في الكتاب العزيز او عدمها لم يوضح السائل مراده منها هل هو كون الشيء ثقيل على النفس شاقا وهو احد معانيها او تسخط الشيء ومقته وهو الشائع من معانيها في استعمالنا ولعل السائل يريد ان كان يعني من الكراهية هذا الاخير فالجواب ان المؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر لا يتصف بها قطعا والا لم يكن مؤمنا وان كان مراده من كراهية القرآن معناها الاول وهو ثقله على النفس وكونه شاقا عليها مع تمام ايمانها به ورضاها كان المؤمن التارك للعمل بالقرآن متصفا بها قطعا اذ ان تركه للعمل بالكتاب العزيز مع ايمانه به لا يكون الا ناشئا عن الكسل وضعف العزيمة واتباع وساوس الشيطان وما تسوله النفس الامارة بالسوء ولنزد المقام ايضا بنقل عبارة الامام فخر الدين الرازي عند تفسيره قوله تعالى . كتب عليكم القتال وهو كره لكم الآية قال ما نصه المسألة الثانية قوله كره لكم فيه اشكال وهو ان الظاهر من قوله كتب عليكم ان هذا الخطاب مع المؤمنين والعقل يدل عليه ايضا لان الكافر لا يؤمر بقتال الكافر واذا كان كذلك فكيف قال وهو كره لكم فان هذا يشعر بكون المؤمن كارهيا لحكم الله وتكليفه وذلك غير جائز لان المؤمن لا يكون ساخطا لاوامر الله تعالى وتكليفه بل يرضى بذلك ويحبه ويتمسك به ويعلم انه صلاحه وفي تركه فسادا والجواب من وجهين الاول ان المراد من الكره كونه شاقا على النفس والمكلف وان علم ان ما امره الله به فهو صلاحه لكن لا يخرج بذلك عن كونه ثقيل شاقا على النفس لان التكليف عبارة عن الزام ما في فعله كلفة ومشقة اهـ المراد منه والى الله يرد العلم كله على النيفر

• • •

س - ما قولكم في رجل اقر في قائم حياه لزوجة كان مشغوبا بحبها وقت الاقرار وسجل ذلك

الوعد والوفاء

لا صفر

جبل الانسان على تطلب المعرفة والانسام بميسم العلم فهو متعلم وعالم ومعلم بطبعه لذلك ترى الطفل يسأل عن كل ما يراه ويسمعه ويحاول ان يري رفيقه كل ما يلوح له من امر مستغرب ويعرفه بكل ما وصل اليه عليه وادراكه . وشأن الامم في جهالتها الاولى او العارضة لها عن تدهور من اوج الهداية الى حضيض الضلالة ان تتجمل لانفسها معارف مخلوطة بين حق وباطل تغل بها تعطشها الى العلم وغالب ذلك هو من وضع اهل الذكاء منهم الذين لم يقدر لهم صقل ذكائهم بالمعارف الحقة فهم بذكائهم الفكري تنعكس حركة عقولهم على نفسها فتخترع من تخيلاتنا واوهامها ما يحسبونه علما ويشيعونه في دهماء القوم عن غرور وغفلة او عن دهاء وحيلة ليقنعوا بذلك مراقبي القيادة والزعامة . لذلك لا تجد امة يخلو تاريخ علومها من الابتداء بعلوم وهمية وخرافية تكون هي قصارى علومها قبل نهوض حضارتها ويتفارتون في تنظيمها تفاوت عقولهم في الاختراع . فقد كان للكلدان خرافات من عبادة الكواكب وارواحها وكان للمصريين خرافات في احوال الموتى والموجودات بحجة عادلة وادعى ورثته بعدموته ان ذلك الاقرار صدر منه مصدر المحاباة وان لهم بينة تصدقهم في دعوى الشغف فهل يصدق الوارث في دعواه ويبطل الاقرار ام لا

ج - اعلم ان الزوج اذا أقر لزوجته فاما ان يكون اقراره لها في حال صحته أو في مرضه فان كان الاقرار في حال الصحة فاققراره نافذ عليه مطلقا سواء علم ميله لها ام لا ورث كلالة ام لا قال ابن عبد البر وكل من اقر لوارث او لغير وارث في صحته بشيء من المال او الدين او البراءات او قبض ائمان المبيعات فاققراره عليه جائز لا تلحقه فيه تهمة ولا يظن فيه توليخ والاجنبي والوارث في ذلك سواء وكذا القريب والبعيد والعدو والصديق في الاقرار في الصحة سواء ولا يحتاج من أقر على نفسه في الصحة بيع شيء وقبضه ثمنه الى معاينة قبض الثمن وهذا القول هو المشهور وهو قول ابن القاسم في المدونة والعنبة قال المتطي وعليه العمل : واما اذا كان اقراره لزوجته في حال مرضه فان علم ان الاقرار له سبب فالاقرار نافذ معمول به وان لم يعلم لذلك سبب فان ثبت انه مشغوف بها يبطل اقراره ويكون غير نافذ لاثامه بمحاباتها الا اذا اجازة الورثة فعتية منهم لها . وان ثبت انه مبغض لها فاققراره ماض معمول به وللورثة الحق في القيام بابطال ذلك الاقرار ان شاء وقال خليل كزوج علم بغضه لها

المقدسة وكان لليونان خرافات في احوال الآلهة والابطال . فاذا ارتقت تلك الامم وتواضعت العلوم الصحيحة بقيت بقايا من العلوم الوهمية عالققة بعقول الطائفة التي حظها من المعارف الحقّة قليل او معدوم . الا ترى ان المصريين مع ما كان في كهننتهم من العلوم الحكمية لم تخذل عامتهم من الايمان باوهام خرافية وكذلك الحال في اليونان اذ لم يكن لغالب اساطين العلم في هؤلاء واولئك دعوة الى اصلاح التفكير والاعتقاد في العامة الانادرا مثل ما كان من سقراط بطريقته الوعظية والتمثيلية وديوجينوس بطريقته التهكمية (١) بل كان غالبهم يقتصر من علمه على التعليم الخاص . على هذا السنن كان شأن العرب في جاهليتهم فقد تعلقوا باوهام باطلة ابتكروها تخيلاتهم او وضعها لهم اهل الدهاء من المتطلعين الى التفوق والزعامة في القبائل فيرسمون لهم رسوما ويخيلون لهم انها معارف استأثروا بها ليجمعوا انفسهم مرجعا يرجع اليه الاقوام فانطوت بهم عصور في ضلالة حتى اذا استيقظوا منها في القيامة قالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا . وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر عن عمرو بن لحي جد خزاعة انه يجز قصبه في النار لانه اول من بحر البحيرة وسيب السائب وحمى الحامي ووصل الوصلة (٢) ودعا الناس الى عبادة الاصنام . كان العرب قد ادعوا لانفسهم علوما وهمية منها الطيرة . والفسال . والزجر . والعيافة . والرقى . والسلوات . وكذبوا تكاذيب اشاعوها بين الناس من دعوى تعرض الغول لهم في اسفارهم وخروج طائر من دم قتيل يسمى الهامة ومحدثهم مع الجن وغير ذلك

وحاصل هذه العلوم انها استخراج معان دالة على وقوع حوادث مستقبلية للعامة او الخاصة تستخرج من احوال تبدو من حركات الطير او الوحش ومرورها ونزولها او من اقوال تقرر السمع على غير ترقب او من مقارنات بين الاشياء وملازمات للاشياء يجعلونها كالمقصود من تلك الاشياء مثل تشاؤمهم بالهام وهو ذكر البوم لانه يألف الخراب والمقابر ويصبح كالناعي فجعلوه علامة على الخلاء وان دلت عندهم على معان حسنة تفاءلوا بها مثل ان يمر بالمسافر من جانبه الايمن بقرة وحشية سليمة القرن . وبعض هذه المعلومات تبلغ من الشهرة عندهم الى حد ان يستوي الناس في استطلاعها وبعضها يتركب من احوال كثيرة او يحتاج الى دقائق فيحتاج العامة الى عرضها على اهل المعرفة والعارف بدقائق ذلك يدعى العراف وقد اشتهر اهل اليمامة واهل نجد بعرافيهم (٣) واشتهرت بنو لهب قبيلة من الازد بالزجر والعيافة

(١) كان سقراط اشهر فلاسفة اثينا يدعو العامة جهرا الى واجهم ويضرب الامثال بوضع حكايات على السنة الحيوان وكان ديوجينوس زاهدا من حكماء اثينا وكان يلقي الوعظ والترية بالتهكم على احوال قومه التي لا يرضاه

(٢) المشار اليها في قوله تعالى « ما جعل الله من بحيرة » الآية في سورة المائدة

(٣) قال عروة بن حزام « بذلت لعراف اليمامة حكمه . » وعراف نجد ان هما شقياني »

اضاء على العرب وهم في ظلمات الجاهلية نور بزغ وفجر سطع وهو نور الاسلام الذي جاء لانتقاذ البشر كلهم من ظلمات الاوهام والزيف فطلعت شمس على العرب مثل كل الامم فانحى على عقائد العرب الضالة . وحسبك ان الله تعالى وصف الاعتقاد الباطل بانه اعتقاد الجاهلية اذ قال « يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية » فكان اول ما دعاهم الاسلام اليه صحة الاعتقاد المستتب تصحيح التفكير فدعاهم الى صحة الاعتقاد في ذات الله وصفاته ثم الى نبذ سفاهة الاحلام في هذه الاوهام وقد تكرر ذلك في القرآن « قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين » (١) وارشدهم الى ان ما لا دليل عليه من وحي او عقل يقبح تقلده فقال القرآن فيهم « ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم لنا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون »

ومن الضلالات التي اعتقدها العرب اعتقاد أن شهر صفر شهر مشؤوم واصل هذا الاعتقاد نشأ من استخراج معنى مما يقارن هذا الشهر من الاحوال في الغالب عندهم وهو ما يكثر فيه من الرزايا بالقتال والقتل ذلك ان شهر صفر يقع بعد ثلاثة اشهر حرم نسقا وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وكان العرب يتجنبون القتال والقتل في الاشهر الحرم لانها أشهر أمن قال الله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام » الآية فكانوا يقضون الاشهر الحرم على احسن من تطلب الثارات والغزوات وتشت حاجتهم في تلك الاشهر فاذا جاء صفر بادر كل من في نفسه حق على عدوه فتاوره فيكثر القتال والقتال ولذلك قيل انه ساء صفر لانهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوه صفرا من المتاع والمال اي خلوا منهما قال النبياني يحذر قومه من التعرض لبلاد النعمان بن الحارث ملك الشام في شهر صفر

لقد نبت يني ذبيان عن أقر وعن تربعهم في كل اصفار (٢)

ولذلك كان من يريد العمرة منهم لا يعتمر في صفر اذ لا يأمن على نفسه فكان من قواعدهم في العمرة ان يقولوا « اذا برأ الدبر وعفا الاثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر » (٣) على احد تفسيرين في المراد من صفر وهو التأويل الظاهر . وقيل ارادوا به شهر المحرم وانه كان في الجاهلية

(١) اشارت الآية الى وأد البنات والى تحريمهم بعض الانعام على انفسهم كما قال تعالى « وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء براءهم » الآية في سورة الانعام
(٢) أقر بضم الهمزة وضم القاف اسم جبل وبجانبه واد يقال له ذو أقر وهو مراد النابتة فحذف ذو وهو واد لبني مرة وكانت ذبيان نزلت به بعد اغارتهم على بلاد الشام . والتربيع الإقامة في الربيع لاجل المرعى ومراده بكل اصفار في كل شهر صفر من كل عام لانهم يتعرضون اغارة النعمان بن الحارث (٣) وكانوا لا يعتمرون في اشهر الحج بل يرجعون الى ما فاقهم ثم يخرجون معتمرين

يسمى صفر الاول وان تسميته محرما من اصطلاح الاسلام وقد ذهب الى هذا بعض ائمة اللغة واحسب انه اشتباه لان تغيير الاسماء في الامور العامة يدخل على الناس تليسا لا يقصده الشارع ألا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب خطبة حجة الوداع فقال اي شهر هذا . قال الراوي فسكتنا حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس ذا الحجة . ثم ذكر في اثناء الخطبة الا شهر الحرم فقال : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان . فلو كان اسم المحرم اسما جديدا لوضحه للحاضرين السواردين من الآفاق القاصية . على ان حادثا مثل هذا لو حدث لتناقله الناس وانما كانوا يطلقون عليه وصفر لفظ الصفرين تغليا

فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشاؤم بصفر . روى مسلم من حديث جابر بن عبد الله وابي هريرة والسائب بن يزيد رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا عدوى ولا صفر . اتفق هؤلاء الاصحاب الثلاثة على هذا اللفظ وفي رواية بعضهم زيادة : ولا هامة ولا غول ولا طيرة ولا نوء . وقد اختلف العلماء في المراد من صفر في هذا الحديث ف قيل اراد الشهر وهو الصحيح وبه قال مالك وابو عبيدة معمر بن المثنى وقيل اراد مرضا في البطن سمي الصفر كانت العرب يعتقدونه معديا وبه قال ابن وهب ومطرف وابو عبيد القاسم بن سلام وفيه بعد . لان قوله لا عدوى يعني عن قوله ولا صفر . وعلى انه اراد الشهر ف قيل اراد ابطال النسيء وقيل اراد ابطال التشاؤم بشهر صفر وهذا الاخير هو الظاهر عندي (١)

ووجه الدلالة فيه انه قد علم من استعمال العرب انه اذا نفي اسم الجنس ولم يذكر الخبر ان يقدر الخبر بما يدل عليه المقام فالمعنى هنا لا صفر مشئوم اذ هذا الوصف هو الوصف الذي يختص به صفر من بين الاشهر وهكذا يقدر لكل مني في هذا الحديث على اختلاف رواياته بما يناسب معتقد أهل الجاهلية فيه . وسواء كان هذا هو المراد من هذا الحديث ام غيره فقد اتفق علماء الاسلام على ان اعتقاد نحس هذا الشهر اعتقاد باطل في نظر الاسلام وانه من بقايا الجاهلية التي انقذ الله منها بنعمة الاسلام قد ابطال الاسلام عوائد الجاهلية فزالت من عقول جمهور المؤمنين وبقيت بقاياها في عقول الجيلة من الاعراب البعداء عن التوغل في تعاليم الاسلام فلصقت تلك العقائد بالمسلمين شيئا فشيئا مع تخميم الجبل بالدين بينهم ومنها التشاؤم بشهر صفر حتى صار كثير من الناس يتجنب السفر في شهر صفر اقتباسا من حذر الجاهلية السفر فيه خوفا من تعرض الاعداء ويتجنبون فيه ابتداء الاعمال خشية ان لا تكون مباركة وقد شاع بين المسلمين ان يصفوا شهر صفر بقولهم صفر الخير فلا ادري

(١) وجه كونه الظاهر انه لو اريد ابطال النسيء لكان الاظهر ان يقول لا نسيء لانه اشهر ولان النسيء لا يختص بشهر صفر بل يقع بين صفر ومحرم لانه جعل صفر محرما او العكس

هل ارادوا به الرد على من يتشأم به او ارادوا التفاؤل لتلطيف شره كما يقال للملدوغ السليم وايماما كان فذلك الوصف مؤذن بتاصل عقيدة التشاؤم بهذا الشهر عندهم

ولاهل تونس حظ عظيم من اعتقاد التشاؤم بصفر لا سيما النساء وضعاف النفوس فالناس يسمينه (ربيب العاشوراء) ليجعلوا له حظا من الحزن فيه وتجنب الاعراس والتقلات

ومن الناس من يزيد ضغطا على إبالة فيضم الى عقيدة الجاهلية عقيدة أجهل منها وهي اعتقاد ان يوم الاربعاء الاخير من صفر هو انحس ايام العام ومن العجب انهم ينسبون ذلك الى الدين الذي اوصاهم بابطال عقائد الجاهلية فتكون هذه النسبة ضلالة مضاعفة يستندون الى حديث موضوع يروي عن ابن عباس ان رسول الله قال « اخر اربعاء في الشهر يوم نحس مستمر » وقد نص الائمة على ان هذا حديث موضوع فاذا ضم ذلك الى التشاؤم بشهر صفر من بين الاشهر انتجت هذه المقدمات الباطلة نتيجة مثلها وهي ان اخر اربعاء من شهر صفر أشأم ايام العام . واهل تونس يسمونها (الاربعاء الكحلاء) اي السوداء كناية عن نحسها لان السواد شعار الحزن والمصائب عكس البياض قال ابو الطيب في الشيب

أبعد بعدت ياضا لا يياض له لانت اسود في عيني من الظلم

وهو اعتقاد باطل اذ ليس في الايام نحس قال مالك رحمه الله « الايام كلها ايام الله وانما يفضل بعض الايام بعضها بما جعل الله له من الفضل فيما اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولاجل هذا الاعتقاد الباطل قد اخترع بعض الجهلة المركبين صلاة تصلى صباح يوم الاربعاء الاخير من صفر وهي صلاة ذات اربع ركعات متواليات تقرأ في كل ركعة منها سور من القراءات مكررة متعددة وتعاد في كل ركعة ويدعى عقب الصلاة بدعاء معين . وهي بدعة وضلالة اذ لا تتلقى الصلوات ذوات الهيئات الخاصة الا من قبل الشرع ولم يرد في هذه الصلاة من جهة الشرع اثر قوي ولا ضعيف فهي موضوعة . وليست من قبيل مطلق النوافل لانها غير جارية على صفات الصلوات النوافل فليحذر المسلمون من فعلها ولا سيما من لهم حظ من العلم . ونعوذ بالله من علم لا ينفع .

وهو متبع

حرره محمد الطاهر ابن عاشور



الْإِخْلَاقُ

ومبلغ عناية الشارع بها

آداب الزوجية وحكمها

كما ظهرت عناية الشارع الحكيم بالاخلاق فيما شرعه للبشر من عقائد وعبادات كذلك ظهرت آثار ذلك فيما وضعه من اصول لبناء الاسرة ونظام المجتمع فنظم الاسرة ورتب علاقات العائلة على اساس المحبة والسلام

تتكون العائلة من الزوجين قال تعالى « انا خلقناكم من ذكر واتى » فلا بد من تقرير اصول هذا الازدواج ليثمر الثمرة المطلوبة على أكمل وجوها وبأقوى بالغاية المنشودة في اجمل صورها فحث الشارع على الزواج اولا ورغب فيه واتى في هذا الباب بأساليب مختلفة في التنويه بشانه وبيان فضائله وتحريك الدواعي المثيرة للاخذ بأسبابه حتى جعله افضل من التخلي لنوافل العبادات (١) زيادة على ما هو مركب في النفس البشرية من الميل الجلي والطبع الغريزي الدافع له ليقنطع بذلك ما قد يظن به من ان ليس فيه سوى قضاء الشهوة البهيمية واللذة الجسمانية وان ذلك مناف للكمال الروحاني الذي يجب ان يجعل مطمح انظار الكمل من البشر وان الاشتغال به قد يعوق الانسان عن بلوغ رتبة اهل الكمال ويحول دون صرف الهمة الى معالي الامور . رمى الشارع هذه الاعتبارات في فياقي الاعمال ولم يقدح لها وزنا من الاعتبار وجعل التزوج من اهم مقاصد اذ به تتكون العائلة وتتحقق المقاصد الهائلة فيسمى الانسان ويجتهد في تحصيل كسبه وكسب من يعوله من افراد بيته وتحصل الالفة المرادة ويتم التعاون على العمران وترتبط اجزاء المجتمع البشري على اصل المحبة والنفع العام . فمن العائلة المبنية على الزوجين تتفرع اغصان شجرة الاقارب من ابناء وبنات واعمام وعمات واخوال

(١) جاء في البخاري عن انس ابن مالك رضي الله عنه جاء ثلاثة رهط الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما اخبروا كانهم تقولوا « اي عدوها قليلة » فقالوا وابن نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فقال احدهم اما انا فاني اصلي الليل ابداً وقال آخر انا اصوم الدهر ولا افطر وقال آخر انا اعتزل النساء فلا اتزوج ابداً فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انتم الذين قلتم كذا وكذا اما والله اني لاشاكم لله واتحاكم له لكني اصوم وافطر واصلي وارقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني

وخلالات واجداد وجدات الى اصهار واخذان ثم كل اسرة تكون كاللبنة في بناء الامة فمستكون الامة من مجموع عائلات ومهما كثرت العائلات وافرادها ازداد شان الامة قوة وتماسكا وعلاصيتها بين الامم ثم ان الشارع وراء هذا التوغيب في النكاح احاطه بقوانين وآداب يجب على المسلم مراعاتها والاخذ بها ليكون زواجه زواجا شرعيا كاملا والعمدة في هذا الباب ما جاء في الكتاب العزيز والسنة المطهرة مما له تعلق بآداب الزوجية واحكامها وما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في زواجه فهو المثل الاعلى للكمال الانساني في جميع احواله العامة والخاصة وقد أمرنا باتباعه في جميع ما جاء به صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلًا . ولنجعل حديثنا في هذا الباب مبنيًا على ثلاث شعب . الشعبة الاولى في بيان الآداب المتعلقة بكيفية انعقاد رابطة الزوجية بين الزوجين . الشعبة الثانية في بيان الآداب التي يجب ان يتحلى بها الزوجان بعد انعقاد رابطة الزوجية بينهما لتثمر ثمرتها المطلوبة . الشعبة الثالثة في بيان آداب المفارقة حيث لم يتيسر للزوجين إقامة حدود الزوجية بينهما ولستضع في جميع ذلك بالكتاب والسنة فهما النبراس المضيء لظلمات المسالك الوعرة والشمس المشرقة في سماء الباحثين عن طرق السعادة البشرية الحققة

آداب التزوج

على المسلم اذا تاقت نفسه للمرأة قضاء لحق شهوته الحيوانية وبدافع التآلف الجنسي والتعاون على قضاء شؤون الحياة ان يطلب المرأة الصالحة ليحصن بها فرجه ويكف بصره كما جاء في الحديث ومن وراء ذلك يستكثر بها سواد المسلمين فتزداد بذلك قوتهم وتتم منعهم في عين عدوهم . والمرأة الصالحة هي المسئلة المتدينة القادرة على العمل النافع لها ولزوجها من حيث هي ربة منزل وراعيتها كما يؤخذ من حديث كلهم راع وكلهم مسؤول عن رعيته الى ان قال عليه السلام والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته ويجب ان لا يجعل همه البحث عن فائقة الجمال او الحسب او الغنية المترفة فان هذه المرأة قد تزهو عليه بجمالها او بفائق حسنها او بكثرة مالها فيكون ذلك حائلا دون المقصد الاهم من النكاح وهو التآلف والتعاون على قضاء مصالح الحياة والاشتراك في القيام على شؤون المنزل الداخلية والخارجية وقد روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تنكح المرأة لاربعة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاطفر بذات الدين تربت يداك اي فاطل ذات الدين وفز بنكاحها فقد جعل صلى الله عليه وسلم ذات الدين افضل النساء الاربع وجعل المحصل عليها ظافرا وفائزا بمرغوبه . وفي مسلم ايضا من طريق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة

واذا كانت المرأة مسؤولة عن رعي بيتها فالواجب اعدادها لهذا المهم حتى تؤدي رسالتها احسن

تأدية وتقوم بما هي مسؤولة عن أدائه كما يجب ولا يتم هذا الاعداد الا بالتربية والتعليم المناسب لما سيناط بعهدتها من شؤون الحياة وما هو امس بوظيفتها في المجتمع البشري من حمل وإرضاع وتربية ولد تربية صحيحة كافلة باعداده لان يكون رجلا صالحا او امرأة سالحة ونعني بالصلاح هنا معناه اللغوي وهو النفع والافادة بحيث لا يكون كلالا على المجتمع البشري وعضوا أشل فيه لا ترجى منه فائدة ولا تدفع به نائبة . ومن ذلك ان تكون قادرة على تدبير امور منزلها من شؤون طبخ واصلاح ثياب وتنظيم اثاث بيت وتنظيفها وتلقين اخلاق عالية هذا الى ما يجب من معرفة ما يلزم لحفظ دينها والقيام بما يفترض عليها ديانة ومباذي حفظ صحة وأدب وافر ولطافة معشر وكل هذا لا بد له من التلقين والدرس المنظم . ولذا فاني ارى المدرسة للبنات ضرورة لازمة وليس لنا ان ندعي ان هذا امر سهل يمكن ان تأخذ البنت في البيت تلقينا من امها واقاربها . أجل وان كان للبيت دخل وأي دخل في تكوين شخصية البنت واعدادها لما يراد منها في مستقبل حياتها ولكن البيت وحدها لا تكفي لذلك بل لابد من ان تتعاون البيت والمدرسة على تلقين البنت ما تحتاجه اذا صارت ربة منزل . ففي البيت تلقن مبادئ الاخلاق السامية من صدق الحديث والوفاء بالعهد وحسن المعاشرة والعطف على الضعيف واعانة ذي الحاجة وتعظيم الكبير ورحمة الصغير وتعود القيام بشؤون البيت وتحمل مسؤولية ما يلزم من تكاليف العائلة الداخلية وتنظيم اثاث المنزل كما تلقن اصول العقيدة الاسلامية الصحيحة كل ذلك على طريق الدرس التطبيقي العلمي . وفي المدرسة تلقن الكتابة والقراءة بلغة دينها وعشيرتها وهي العربية وتدرس مع ذلك ما تتوقف عليه قدرتها على المطالعة المفيدة من اصول قواعد الاعراب والتصريف واللغة بطريقة سهلة قريبة ممزوجة بشيء من الادب الراقي الذي لا يحجون فيه . كما تلقن شيئا من القرآن الحكيم والسنة النبوية خصوصا ما يتعلق من ذلك بأداب الصحة والمعاشرة وما يتعلق بحقوق الزوجية والاحكام النسائية . كما تلقن قواعد اصول الدين وقواعد فقه العبادات بطريقة مختصرة سهلة تحصينا لعقيدتها من جهة ولتكون من جهة اخرى قادرة على تلقين ابنائها عقيدة اسلامية مصفاة من ادران الخرافات الزائفة والعادات القبيحة التي يظن الكثير من جاهلات نساءنا انها من الدين وليست من الدين في شيء بل ربما تكون خطرا على الدين واهله . كما يجب ان تلقن بحملا عن تاريخ الاسلام والمسلمين بوجه عام وتاريخ فضليات نساء الاسلام بالمعنى الاثني الاثني الاثني لكي لا يكون لها قدوة سالحة ومثلا اعلا هذا من جهة الفنون النظرية واما من جهة الفنون التطبيقية فيجب ان تدرس الحساب ومبادئ الجغرافيا والصحة وتدبير المنزل والتربية وكل ما له علاقة بالبيت فاذا تعاونت البيت والمدرسة على تكوين هذه الثقافة للبنات امكننا ان نفتخر بوجود المرأة الصالحة التي هي الضالة المنشودة لنا والتي امرتنا شريعتنا بالبحث عنها عند ارادة التزوج وأممكننا ان نثق بمستقبل ابائنا في جو هذا البيت الذي

تدبره امرأة من هذا الطراز . فلنعمل جهد طاقتنا لتكوين امهات لابنائنا يمكن الاعتماد عليهن في تربية رجال مستقبلنا وليكن عملنا على هذا البرنامج الذي سطرت ولنثق بالمستقبل . والامر بايدنا ولا يتوقف الا على شيء من الحزم والاعتماد على النفس وترك التواكل وانتظار ما تتحققنا به الحكومة من تعليم قد لا يتفق مع مشاربنا واتجاهنا في هذه الحياة وسبيل ذلك عندي هين وهو ان نجتمع ونشكل جمعية باسم « جمعية تعليم البنت المسلمة » ثم ان هذه الجمعية تعمل على جمع اشتراكات منظمة من اهل البلاد وتقرر برنامجا محكما لفتح مدرسة قرآنية للبنات المسلمات ويكون برنامج التعليم بهذه المدرسة على نحو ما قررت آنفا أو بتعديل خفيف على حسب ما يقترح عليه اعضاء الجمعية ثم تتقدم هذه الجمعية بمطلب الترخيص لهذه المدرسة من الحكومة ولا إخال الحكومة الاملية طلب الامة خصوصا اذا تظافرت افرادها على هذا الطلب بل ولا إخالها الا مقرررة إعانة مناسبة لهذه المدرسة خصوصا ونحن في جو اصلاح عام ومن ناحية التعليم على الاخص .

ولنفرض ان الاسباب تهيأت وان العناصر تعاقدت ووجدت المرأة الصالحة بهذا المعنى وما ذلك على همة امتنا التواقة للكمال بعزير ولا صعب التحقيق . وعلى كل فان اصل الصلاح والعفة والتدين موجود الآن في كثير من بناتنا والله الحمد فعلى الزوج ان يطلبها من وايها بالخطبة الشرعية وعلى الولي ان يسهل امر زواجها ولا يعضلها بمنعها من التزوج ما دام الزوج كفتلها بان يكون في درجة قومها ديانة ونسبا وحرقة (١) وانما اعتبر الشارع الكفاءة والمناسبة بين الزوجين لان ذلك اكفل بدوام العشرة وحصول الازدواج المطلوب من التزوج الذي يرغب الشارع في دوامه وعدم انفصام حبله بالطلاق المبغوض له ولا سبيل لحصول هذا الازدواج الدائم الا بانتظام امر العشرة وتوافق الطباع مع ان في اتصال الزوجين بعضهما ذلك الاتصال الشديد ما يوجب في كثير من الاحيان حصول التشاجر والتشاقق من كل ما يوجب فصم عقده . فاذا كانت الطباع متقاربة واساليب حياة الزوجين قبل الدخول في عقدة الزوجية متشابهة كان ذلك لا محالة اضمن لدوام العشرة وحصول الالفة المرادة وعلى فرض حصول شيء من النفرة احيانا فانه سرعان ما يزول وتعود المياه لمجاريها . فاذا حصل التراضي من الجانبين ووشما في المستقبل خيرا فعليهما ان يتما العقد على الوجه الشرعي ولا يجعل المهر مقصدا اصليا لهما فان المهر ما جعل الا تنويها بشأن استحلال الفروج التي حرم الله وتشريفا للمرأة باظهار عزتها قال تعالى : واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم الآية لكن لا على معنى التباهي والتفاخر به لان ذلك مما يعوق عنه ويجعله في حيز الامور الصعبة

(١) جاء عن النبي صلعم اذا اتاكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير وعن عمر رضي الله عنه قال لا تمنع تزوج ذوات الاحساب الا من الاكفاء

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

دار الباى بتونس

نظرا لما عازمت عليه الحكومة التونسية في هذا العام من ادخال اصلاحات على دار الباى التي هي مقر الوزارة الكبرى والكتابة العامة في هذا العهد بقصد تجديد ما تهدم من ذلك القصر العظيم وتمتين الموجود منه فقد رايناها فرصة مناسبة لان نبسط على صفحات هاته المجلة تاريخ تأسيس هذا القصر وما مر به من الاطوار وما تدارات عليه من الحوادث على مر الاعصار . فرغبنا من حضرة العلامة المفضل القسام بتحرير قسم التاريخ بالمجلة السيد محمد بن الخوجة ومن استاذ تحرير من كبار موظفي الدولة له تطلع في التاريخ التونسي ان يكتب لنا في هذا الموضوع . فكتب كل واحد منهما مقالة مفيدة جدا في هذا الباب . وسنشر كل واحدة تحت عنوانها . شاكرين حضرة الكاتين الفاضلين على ما لهما من العناية والتنقيب عن نواحي التاريخ التونسي فالى قرائنا الافاضل اولى المقالتين :

متى كان تأسيس دار الباى ومن احدثها ومتى لقبوها بسراية المملكة

استفيد من بعض الصكوك العتيقة ان الجهة التي منها البقعة الموجودة بها سراية المملكة كانت في المائة التاسعة مشتملة على فنادق شتى منتشرة هنا وهناك وجاء في كتاب ابتسام الغروس ان احد الفنادق بتلك الجهة انتزعه السلطان الحفصي ممن كان بيده وبنى مكانه زاوية للشيخ سيدي احمد بن عروس

البعيدة المال وذلك ينافي ما قصده الشارع من تسهيله حتى تحصل مقاصده الشريفة باطراد وقد جاء في الحديث التحذير من التغالي في المهور ففيه ان من شؤم المرأة غلامه مهرها . والاولى ان لا تبأشر المرأة العقد بنفسها بل توكله لوليها لان مباشرة المرأة العقد بنفسها مما وقع في ضحته خلاف بين الاثيمة فالاولى ان يباشر عقدها وليها ليكون هذا العقد صحيحا باجماع ولا باس بالاحتياط في امر الفروج لما لها من كبير الشأن في نظر الشارع مع ان في مباشرة المرأة العقد نكاحا تقليد من معنى الحشمة والحياء المطلوين شرعا وخصوصا من النساء زد على ذلك ما في مداخلة الولي في الامر من توطيد لدعائم عقدة النكاح حيث يمنع بعد ذلك من الاعتراض عليها في اختيار هذا الزوج دون رايه ورضاه ولا باس باعلان النكاح وإقامة وليمة شرعية عند البناء تشهيرا لامره وتعريفا به والدعاء للزوج والزوجة بالبركة كما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم بارك لهم وبارك عليهم (للبحث بقية)

محمد بن القاضى

ووقفها عليه وعلى اقاربه ثم لما توفي رضى الله عنه في عام ٨٦٨ على عهد السلطان ابي عمرو الحفصي دفن بها وكان مركز الامارة على عهد بني حفص بالقصبة وبها مساكنهم ولم يبق بها شيء من اثارهم سوى الجامع الحفصي وصومعته الجميلة وهذه قام باحكام صنعها (علي بن محمد بن قاسم عريف البناء) في سنة ٦٣٠ وبعد سقوط الدولة الحفصية في المائة العاشرة وقيام الدولة المرادية في ظل آل عثمان جعل الامراء المراديون مساكنهم خارج القصبة على مقربة منها فكان موقعها بالبقعة التي بها سراية المملكة كما سياتي الكلام عليه وابقوا مركز الامارة بالقصبة والاخبار في ذلك مستفيضة والتواريخ على اتفاق فيها وفي عهدهم تعددت اسواق الشاشية وكان بعضها واقعا حيث بطحاء القصبة اليوم فوقع حريق قضى عليه بما فيه ولما دخلت الايالة التونسية في حكم البيت الحسيني خلد الله بقاءه سكن المولى حسين بن علي تركي بدار حمودة باشا المرادي اولا وسكنها قبله المرحوم ابراهيم الشريف وهو آخر من تولى حكم تونس في منتهى الدولة المرادية . ثم انتقل المولى حسين الى قصور باردو . ومن هذا التاريخ جعل الامراء الحسينيون كرسي ملكهم ومساكنهم بباردو وباردو من بقايا الدولة الحفصية ولما آلت نوبة الملك للباي حمودة باشا الحسيني وجه مهجته نحو عمارة الحاضرة التونسية فبنى داخلها وخارجها الثكنات والحصون والمساجد والاسبلة وغير ذلك من اعمال البر وفي جملة ذلك انه اسس سوق الباى وياشر احياء دار الامراء المرادين قال في مسامرات الظريف في ترجمة المشير « حمد الصادق باي » وبني (اي الباى) سوق القصبة والعلو الباذخ الذي قبالة على دار المولى حمودة باشا المرادي التي عاوضها حمودة باشا المشير الحسيني في غرة شوال ١٢١٩ وجدد بنائها على الوجه الاتقن فكان هذا العلو الصادقي كالتاج على جبهة ذلك الجمال وتسمى اليوم سراية المملكة اه فحمودة باشا الحسيني هو الذي انشأ سراية المملكة فوق اطلال دار المرادين وبني علوه البديع المشتمل على مساكنه ومساكن حاشيته ومن اجلها ترصعا وتزويقا وتنميقا قاعة الانتظار ذات الهو العجيب والسقيف المموه بالذهب الوهاج وبيت القبة ذات النقوش الاندلسية الجميلة وبه يجلس في هذا العهد سمو الملك ابقاء الله في حفلة يوم رابع العيد كما يجتمع به مجلس الوزراء في موفى كل شهر وفي مجاري العادة هو بيت صدر الوزارة وقد قدمنا لك ان هذا العلو اجتهد الباى حمودة باشا في تنسيقه وتهذيب اساليبه كما تشهد بذلك عرصاته وجدرانه وسقوفه ولا سيما صحنه الفسيح الذي هو عبارة عن نموذج حي مما حفظه الذوق العربي الصميم لاهل الاندلس بقرطبة وغرناطة وقد جعل النظر على تلك الاشغال لو كـيـل مرته الحاج العربي زروق وكان شاهد المرمة الشيخ اسماعيل التميمي الذي قدمه لحظة القضاء بعد حين اما المباشرون لبناء فكانوا جماعة من مهرة البناءين بعصرهم منهم الامين محمد توسة والامين حميدة النيقرو جد المرحوم سليمان النيقرو المهندس البلدي وهذا الحفيد شارك في بناء باب البحر سنة ١٢٦٤ والايات التي على واجهة الباب من نظم المدرس الشيخ احمد بن محمد يرم المتوفى سنة ١٢٨٠

ومن البديهي ان اشغال النقش حديدة) والتطريز الفسيفسائي المتخللة به جدران بيوت ذلك
العلو كان انجازه بمشاركة معلمين من المغاربة وفدوا على تونس وعلمهم حفظ تلك الصناعة جماعة من
ابناء البلاد ظهر حذقهم فيها بما انجزوه من الاشغال الساحرة كما تراه بمعالم كثيرة منها زاوية سيدي
حسن بن مسكه بسيدي المشرف بناها المرحوم مصطفى بن محمود باي في حدود سنة ١٢٥٢ ودار
الاصارمة بنهج التريونال ودار العشرة المعروفة بدار حسين حيث مساكن ودواوين الجنرال القائد
الاعلى للجيش الفرنسي بـتونس ولسوء الحظ ان هذه الصناعة الجميلة طوى حدينها الزمان وآخر
من اشتهر فيها الامين الحاج يونس النقاش المتوفي سنة ١٢٩٠ ومن تلاميذه المرحوم قارة مصطفى الذي
بأشغال (النقش حديدة) الموجودة بواجهة المحكمة العدلية الفرنسية بشارع باب البنات

وسمعنا من الثقة ومن المرحوم الامير الـاي محمد بروطه وهو رجل ولد على عهد الباى حمودة
باشا ومات في سنة ١٣٣١ عن مائة واربع سنين ان الباى المذكور لما بأشرب بناء السراية التي نحن
بصددها وافق ذلك عام مسغبة فكان يستقدم المحتاجين من العامة للتوسيع عليهم والانتفاع بيدهم
العاملة في مرمتها ويمونهم في مقابلة ذلك فالصانع الكبير بخبزتين والصانع الصغير بخبزة واحدة
وهذا مما حمل بعض معاصريه على وصفه بالشح على انه ندم على بناء هذه السراية وقال ان الاموال التي
انفقها من اجلها لم ترجع بفائدة على اهل البلاد

وفي هذا العهد جدد الامير المذكور عمارة المسجد المجاور لسرايته ووقف على امامه دارا
لسكناء ابتلعها ادارة الاشغال العامة بطريق المعاوضة في جملة الابنية من اسواق ودور وحوانيت
الحقوها الادارة المذكورة لنحو ربع قرن فانت

وفي عهد المرحوم المولى حسين بن محمود باي تولى هذا الامير انجاز ما لم يتم من الاشغال
بالطاق السفلي من السراية في عهد خاله حمودة باشا فبأشرب اتمام سقيفتها مع ما يتبعه من البيوت واطاف
لذلك جريا على عادة اسلافه في التسابق لاعمال البر سبيلا عموميا موقعه ببست العسة الموجود في
هذا الزمان بسقيف السراية وما زال اثره حيا لهذا اليوم بشهادة الايات المنقوشة فوق شبك ذلك
البيت ومطلعها

هذا سبيل الفضل والاحسان ومورد عذب لدى الضمائم

وجاء عصر المشير احمد باي الاول وهو صاحب المواهب العالية والاطماع الواسعة فاعتنى بهذه
السراية ايما اعتناء وجدد ريشها واثانها وزاد في زخرفتها وكان كثير التردد عليها لانه يقصدها كلما
جاء لتعاهد الثكنات والعاكر المشغوف بهم وكانت في ايامه كما في ايام سلفه معدة لنزول ضيوف
الدولة كالامراء والمبعوثين الوافدين على تونس من اروبا ومن الاستانة ومن سكنها في عهده الدوك

مبناسي اصغر ابنه الملك لويز فيليب في سنة ١٢٦١ قال في تاريخ تونس للحكيم فرانك طبيب الباي ما معناه في شأن هذه الزيارة ان الباي الذي هو امير مسلم خصص منذ عدة ايام قصره الجميل المسمى دار الباي لقبول ضيفه المسيحي والاحتفاء به بتلك الدار التي احكم تأنيثها بابداع على النمط الاروباوي مع الاحتفاظ في جميع كلياتها وجزئياتها بالبذخ والفخامة العجيبة التي لا يناسبها في الوصف الا اعاجيب قصص الف ليلة وليلة « ثم قال » ومن حسن مصارفة الباي ونحريته ان زين جدران تلك السراية بصور تمثل اشهر الوقائع الحربية التي كملت حين فرنسا بالفخر مدا هذه الخمسين سنة الاخيرة يعني من انتصارات الجمهورية الاولى بايطاليا حتى الاستيلاء على مدينة قسنطينة وقدم بعد الدوك مبناسي المذكور اخواه البرنس جوانفيل والدوك دومال ونزلا ايضا بسراية المملكة في ضيافة المشير احمد باي وقلدهما نشان البيت الحسيني وكتب لهما في ذلك ظهيرا عظيما من انشاء كاتبه الشيخ احمد ابن ابي الضياف تضمن ما لهذا الباي من المودة والتعلق بفرنسا فقد جاء فيه قوله « فانه حصل لنا بقدمكم فرح وسرور لا ينسى مدا الاعصار والدهور حيث تفضلتم بزيارتنا ووضحتم وثيق الربط في صحبتنا ومزيد الاعتناء بدولتنا وصداقة عيلتنا (ومنه ايضا قوله « وقبولكم له اي للنشان الحسيني) زيادة في سرورنا وايضاح لنورنا وتقوية لصدورنا وتزداد الرفعة والشان لهذا النشان ومن هذا رأيت الدارين واحدة والقلوب على الصفا متعاضدة وهي اعظم فائدة حصلها عمري واكبر سرور ساعدني به دهريري واقوى كنز اعدده لذخري » وهذا الظهير لم تقف عليه بتاريخ الشيخ ابن ابي الضياف ولكن عبارته باكملها نشر ترجمتها الباحثة هوقون بكتابه المتعلق بالبايات الحسينيين - اما الانثاءات والمعلقات الكثيرة والغريبة المشار اليها في كلام الحكيم فرانك السالف الذكر فقد تناولها التلاشي على توالي السنين وما بقي منها بيع بالمرزاد العمومي في جملة الاشياء القديمة التي وقع تجديدها في سنة ١٣٢٠ بعد الفترة التي خيمت على السراية مدا الاربعة اعوام قبلها

وفي اواخر سنة ١٢٧٧ نزل ضيفا بدار الباي البرنس نابليون ابن عم الامبراطور نابليون الثالث مصحوبا بزوجه البرنيسة كلوتيلد ابنة ملك ايطاليا فيكتور عمانويل الثاني ولما توجه لزيارة سمو الباي في قصر باردو اهداه سموه سيفا دمشقيا مرصعا وقلده النشان الحسيني في موكب حافل ورد له الزيارة بنفسه في يومه بسراية المملكة والوثائق التاريخية التي لدينا بشأن هذه الزيارة تضمنت افادات شتى منها ان زوجة البرنس لما كانت زوجا في حضرة الباي دخلت هي لزيارة الجريم حيث جلست ساعة زمنية في حضرة سمو الباية ومن حولها من نساء الاعيان وانه في اليوم الثاني من سكناه بالسراية اخذوا له حمام دار الجلد ليستحم فيه مع رجال حاشيته وكان المكلف بموانسته مدة اقامته بمراية المملكة امير اللواء فرحات مستشار الوزارة الخارجية وان الذي تلقاه عند وصوله ونزوله بحلق الوادي هو وزير البحر خير الدين

وفي العام المذكور اجريت اصلاحات معتبرة وتوسيعات وتانيات بسراية المملكة منها بيت المجلس الاكبر لاجتماعه بعد الاعلان بقانون عهد الامان وكان عدد اعضاء هذا المجلس ستين من العلماء والاعيان ومن رجال الدولة وكان يصدر بيت المجلس كرسى ملوكى يجلس عليه سمو الباى عند افتتاح المجلس وبه كانوا يعقدون الحفلة السنوية لحتم امتحانات تلامذة المدرسة الصادقية يحضرها سمو الباى ووزراؤه ورجال دولته والعلماء والقناصل والاعيان وكانت دواوين الدولة قبل عصر الحماية تتنصب موقتا في شهر رمضان بسراية المملكة بالبيت الذي به اليوم رئيس القسم الاول ومعتمدة وبيت المجلس الاكبر المذكور انفا هو الذي قسموه اقساماً لنصب دواوين الحكومة عند انتقالها من باردو لتونس في عام ١٣٠٠

وفي ذي القعدة ١٢٧٨ وفد على الحاضرة مبعوث عثماني اسمه سعيد باشا اوفده السلطان عبد العزيز خان مع النيشان العثماني المرصع للمشير محمد الصادق باي فاسكنه البساي في ضيافته بسراية المملكة مدة اقامته بتونس وفي العام التالي نزل بها البرنس دي قال ولي عهد بريطانيا العظمى والبرنس فريدريك ولي عهد المانيا وقدم بعدهما في العام نفسه البرنس همبرت ولي عهد ايطاليا وكان قدوم هؤلاء الامراء ومن تقدمهم من اقرانهم عنوانا على ابتهاج دولهم بما توفق له سمو الباى من الاعلان بقانون عهد الامان وهذا الصنيع نفسه هو الذي كان باعنا على اتحاف الباى بجملة من الاوسمة العالية وبرسوم بعض ملوك اربا كرسى الامبراطور نابليون الثالث والامبراطور فرانسوا جوزاف والملك فيكتور عمانويل الثاني مما هو موجود لهذا اليوم في جملة المجموعة النادرة والثمينة من الرسوم الملكية التي منها صورة الملك لويز فيليب المصنوعة من نسيج قوبلان اهداها صاحبها لحبيبه المشير احمد باي في سنة ١٢٦٢ قدروا قيمتها لستين سنة فارطة بمائة الف فرنك فتكون قيمتها في الزمن الحاضر قرربة من المليون

ولما ابتليت العمالة التونسية بثورة علي بن غداهم قدمت الاساطيل الاروباوية اليها التونسية كما حضر بحلق الوادي في ذلك الوقت قسم من الاسطول العثماني ومعه حيدر افندي الموفود من لدن الباب العالي لاستكشاف الحال فهذا المبعوث نزل ايضا ضيفا بسراية المملكة اثناء تلك الايام العصية (حجة ١٢٨٠) ولقد وقعت بيدي ورقة في جملة اوراق وتقاييد لبعض رجال الدور القديم ممن كان لهم المام باحوال الدولة فاذا بها بيان ما صرفوه على البرنس فريدريك شارل في كامل المدة التي نزل خلالها ضيفا بسراية المملكة في اوائل ١٢٨٩ وقدر ذلك ٦٩٨٥ ريالا على يد مستشار الوزارة الخارجية ومقتضى ورقة اخرى بلغم ثمن فطور رتبوه بسراية المملكة في رجب ١٢٩٢ اكراما لاميرال عثماني الى ٦٢٤ ريالا وممن حضر هذا الفطور امير لواء العسة حسن الزاوش وضاح افندي مترجم اللغة التركية بالوزارة الخارجية واتفق ان قدمت لتونس في العام قبله البرنيسة دة هيس

من قرابة امبراطور المانيا مصحوبة بولديها البرنس ارنست والبرنس البير وكان وصولهم ليلة المولد الشريف فحال ذلك دون انزالهم بسراية المملكة لقدوم سمو الباى بنية المبيت بها للاختقال بذلك الموسم ولكن سموه انزلها وولديها وحاشيتها على نفقته بدار الكفليس طايا بحومة باب البحر ولم يسمح بنزولها في احد الحانات وخرجت وولداها للتفرج على زينة الاسواق في الليل وفي صبيحة يوم المولد اقتبلها سمو الباى مع ولديها بسراية المملكة بعد رجوعه من الجامع وقد كلا من الولدين الصنف الاكبر من نيشان الافتخار ثم بعد انصرافها وجه الباى حفيدة البرنس حسين باي لرد الزيارة لها بدار قنصلات المانيا هكذا وقفت عليه بمجموعة الرائد التونسي لعام ١٢٩١ ونظير هذه الضيافة الرسمية خارج دار الباى وقعت مرة اخرى في عهد المشير احمد باي فانه لما قدم عليه عمر جمال افندي في سنة ١٢٥٩ من قبل الباب العالي لتسوية الخلاف الحاصل بينه وبين دولة سردينيا انزله الباى بالكرم بستان صهره ابي النخبة مصطفى باغا وزير الحرب :

وفي اواسط عام ١٢٩١ شرع المشير محمد الصادق باي في بناء العلو الجديد المطل على بطحاء القصة الذي سبقت الاشارة اليه وسأني الكلام على سبب هدمه اما اتمام بنائه فقد كان في شعبان ١٢٩٢ وافتتحوه عن اذن الباى بتلاوة آيات الذكر الحكيم هكذا سمعت من والدي رحمه الله واول موكب رسمي اقيم به كان لتلقي زيارة اميرال الاسطول الفرنسي الذي قدم لتونس آواخر الشهر المذكور وتسابت اقلام البلغاء والشعراء لتهنئة المولى الامير بما احدث من الابنية الجميلة التي اعادت على سراية القصة شأها من ذلك قصيدة عصماء للمفتي الشيخ احمد كريم (١) جاء فيها قوله :

وانظر الى تونس الخضراء قصبتها عاد الشباب اليها وانتفى الهرم

وقد وقفت على تقيد لبعض الاعيان تضمن تفصيل المصاريف الناتجة عن بناء العلو المتحدث عنه مع ما يتبعه من البطاح والسوق المواجهة لدار الباى حيث محلات ادارتي المال والاشغال العامة في التاريخ الحاضر فاذا به ربالات

مصرف ببناء العلو بواسطة الحاج الطاهر بن عمر امين البناء والحاج عمر بوعشير امين التجارة على يد امير اللواء العربي زروق رئيس المجلس البلدي ٨٩٠٠٠

مصرف الدرج والدربوز والواجهة ١٥٨٧٥

تحسينات الحاقية لم تشملها وفقة البناء ٦٩٧٠

مصرف دهن شامل لمحلات العلو الجديد ولحوانيت السوق ٦٤١٠

مصرف اتمام بناء السوق بعد عجز الجمعية التي احدثته ٣٥٠٠٠

مصرف تهية بطحاء القصة وجلب ماء زغوان لها وتنويرها بستة فوانس غازية ٣٢٣٩٠

١٨٥٦١٥

(١) انظر ترجمته في الجزء السادس من المجلة صحيفة ٢٩٨

واصلاح حائط مقبرة السلسلة وتمهيد الطريق بينها وبين باب المنارة مراعاة للباب الذي فتحته جمعية الاوقاف في تلك الاثناء بالجامع الحفصي على الطريق المذكور وكان بابه بداخل القصة فيما تقدم من القرون وهذه الحسنة الخالدة عززتها الجمعية يومئذ بك بحسنة اعظم منها ألا وهي احياء جامع الحلق الذي اسسته اميرة حفصية حوالي المائة الثامنة للهجرة وكانت هذه المآثر هي فاتحة السعي في عمارة بيوت الله بعد احداث جمعية الاوقاف بهمة المصلح الكبير الوزير خير الدين وكان بوسط بطحاء القصة خصة عظيمة وسط حوض حوله دكاكين لجلوس العموم وبصحف زاوية الشيخ سيدي الشريف المجاورة للسراية كانت هنالك نخلة عالية كادت تناطح السحاب قصت عليها زوبعة شديدة في سنة ١٣١٦ هذا وقد رأيت ان السوق المسامت لسراية المملكة كان في عهدة جمعية تونسية عجزت عن اتمامه وصورة الخبر ان هذه السوق اقيم بعضها فوق مقبرة الترك الدارسة وبعضها على طلل معصرة قديمة كانت بجوار ديوان المدافعية في عهد الترك وحديثها طويل ملخصه تشكيل جمعية رجالها اربعة من كبار الموظفين ولا حاجة لذكر اسمائهم اقطعهم الدولة مساحة من الارض ليتولوا بناء اسواق للتجارة بطريق المساهمة ولما شرعوا في ذلك تداخل بينهم بعض شياطين الانس وتعطل اتمام المشروع فتولى انجازة بطريقة حاسمة رجل الحزم والعزم الوزير خير الدين اذ كلف المجلس البلدي بامره وهذا بدوره ناط ببناء مقاطعة بعهدة من تتحمل بذلك من لزامة البناء الاروباويين ولما تم بناء السوق انتصب به جماعة من اعيان التجار المسلمين ليوازنوا به تجارة سوق الباى التي كانت حوائنها بيد اليهود فكانت متاجرهم في البداية دالجة ولكنهم ما لبثوا حتى رجعوا القهقري لاسباب مالية يطول شرحها فمدت الحنية جناحها على ذلك المشروع الاهلي وغلقت السوق وحوائنها الى ان جاءت دولة الحماية واقامت مقامها ادارتي الاشغال العامة والمالية اثر انتقال دواوين الحكومة من باردو للحاضرة

وفيما بين عام ١٢٩٢ وعام ١٢٩٤ تكرر نزول الضيوف من الامراء الاروباويين بدار الباى تارة بالسكنى وتارة بحضور مادبات اكرام اقيمت لهم بها عن اذن سمو الباى

وفي شوال ١٢٩٥ وفد على تونس شريف وزان مولاي عبد السلام بن مولاي الحاج العربي من ذرية مولاي الطيب صاحب الطريقة المشهورة فانزله الباى في ضيافته بسراية المملكة وقلده الصنف الاكبر من نيشان الافتخار وفي مدة اقامته بالسراية زاره قنصل فرانسوا وغيره من نواب الدول بتونس مما قامت بنشرة مفصلا صحيفة الرائد التونسي ووقفت بالصحيفة ٧١ من كئناش للشيخ الوالد على نص مكتوب خصوصي من السلطان عبد الحميد خان مؤرخ في ١٠ قعدة ١٢٩٥ خاطب به المشير محمد الصادق باي في اعلامه بتوجيه باخرة عثمانية مع الاميرالاي سليمان بك لحل عائلة الوزير خير الدين من تونس للاستانة وان الرسول المذكور انزله سمو الباى بسراية المملكة مدة اسبوع وكان المصاحب له اثناء اقامته بدار الباى المعين الاميرالاي ابراهيم باشا بلهوان

ولم يقع العثور بعد هذه الضيافة على اسماء من نزل بالسراية من الضيوف في الثلاثة الاعوام التالية اللهم الا سكنى الجنرال لمير بها في اواخر حجة ١٢٩٨ كما سيأتي الكلام عليه

وقد ورد فيما تقدم ذكر زاوية سيدي الشريف المجاورة لخزنة المكاتب المنتصبة بالطابق السفلي من السراية فهذه الزاوية فيما يقال اشار المكلف اذ ذاك بالوقوف على اشغال بطحاء القصبة بازالتها ونقل رفاتها لمقبرة السلسلة واتفق ان ذلك المامور ادركه اجله في تلك الاثناء بحادث عرضي فتشام الناس من ذلك وراوة عقابا للمساعي المبذولة في محو الزاوية المشار اليها ولم يمض بعدها احد بسوء وما أشبه هذه القصة بنظيرتها قريبة العهد المتعلقة بقبر الفرعون المصري توت انخ أمون الذي كشف عنه احد علماء الآثار من الانكليز بوادي الملوك في سنة ١٣٤١ (١٩٢٢ للميلاد) واتفق ان لسعته ذبابة عند دخوله للرمس الفرعوني فسم دمه ومات بعد يومين من تلك اللسعة والتاريخ يعيد نفسه كما هو مقرر معلوم . وفي الشهور الاولى من انتصاب الحماية سكن بسراية المملكة الجنرال لمير حاكم قلعة تونس وهو اول من مثل الدولة الحامية بالمشاركة في موكب المولد الشريف حيث صاحب سمو الباي محمد الصادق في ١٢ ربيع الانور ١٢٩٩ من السراية الى جامع الزيتونة وابتداء من العام التالي صارت هذه المشاركة من متعلقات الوزير المقيم فكان المسيو كمبون هو المصاحب للمولى علي باي عند خروجه لمولد عام ١٣٠٠ وعلى هذه القاعدة استمر العمل بها الى اليوم ولما وقع احداث الكتابة العامة لاجراء الرقابة الفرنسية على الادارة التونسية باثروا في منتصف ربيع الاخر سنة ١٣٠٠ نقل دواوين الحكومة التونسية من بارودو للحاضرة لنصبها بصفة قارة بسراية حلق الوادي التي احداثها احمد باي آخر مدته وفي رمضان بسراية المملكة بالحاضرة حيث هي الآن وعنها تفرعت بقية الادارات الموجودة لهذا العهد منها ادارة الحرب وادارة الامور العدلية ومحاسنها والمطبعة الرسمية التي كانت نفسها اسطبلا تابعا للسراية في العهد القديم وادارة المحافظة وكان مكانها قبوة الاتراك في عهد الدولة المرادية وزيد على ذلك ابنية الكتابة العامة وكان حولها بئر عميقة من عمل الاقدمين فجعلوها دار الطباعة خزنة عمومية لمحفوظات الدولة وبنوا فوقها وفوق البئر وما حولها اقسام الكتابة العامة الشامل نظرها للقسم الاول الذي ابقى مركزه بمحلات السراية الملكية حيث كان هو صلة الوصل بين الكتابة العامة وبين الوزارة الكبرى وهذه مركزها بالسراية العاصرة ومن وقت هذا الازدواج بين القديم والجديد نزع من سراية المملكة صبغة الضيافة التي كانت متلبسة بها في الدور القديم ولم يبق من مظاهرها الا المادبة الملكية التي كان سمو الباي يقيمها ليلة المولد الشريف وليلة ٢٧ رمضان ويلوح ان هذه المادبة من محدثات المشير احمد باي لانه هو اول من رتب الاحتفال بموسم المولد النبوي ولم يكونوا يحتفلون به قبله اللهم الا ما اعتادوه من عهد

الدولة الحفصية من قراءة بردة الشيخ ابو صيري بكتاتيب تعليم القرآن الكريم فرتب المشير احمد باي في عام ١٢٥٧ حفلة عسكرية نهار المولد كما هو جار لهذا العهد ورتب الميتم بسرارية المملكة لاحياء تلك الليلة اما المادبة التي تقام ليلتشد بالسراية فان اغلب الوانها كان يوتى بها من دينار الوزراء واهل الدائرة الملكية يتنافسون في ذلك ومن يحرز منهم قصب السبق يحتفظ بحساب ايام العام ولياليه ليتدارك ما فاتته في الموسم التالي ولا خلاف في ان المشير محمد الصادق باي هو الذي وسع في حفلة ليلة المولد وليلة ٢٧ رمضان وكساها حلة الفخامة والجلال فقد رايت في بعض التقايد ان مصروف مادبة عشائه ليلة مولد ١٢٨٩ بلغ الى ٦٩٠٠ ريالا وهو مبلغ عظيم بالنسبة لذلك الزمان

وكان كاسلافه يقضي تلك الليلة بسرارية المملكة ومبيته بالبيت المطل على القصة وعلى قياسه جرى عمل اخيه المولى علي باي في مبادي ملكه وكان يعقد مواكب الهامة بالبيت المشار اليه وبه تلقى زيارة ملك البليجك ليوبلد الثاني وزيرة الكثيرين من وزراء فرنسا منهم وزير المعارف ميسو بوانكارتي الذي تقدم فيما بعد لرئاسة الجمهورية وكان قدومه للمشاركة في حفلة فتح مرسى تونس لسير السفن (١٣١٠) ولما قدم على التوالي لزيارة تونس اصحاب الفخامة رؤساء الجمهورية الفرنسية اقيمت لكل منهم مادبة ملوكية فاخرة بسرارية المملكة آخرتها الوليمة السنية التي اقامها سيدنا ومولانا الملك الموجود متع الله ببقائه الوجود بمناسبة قبوله لفخامة ميسو دومرق في عام ١٣٥٠ وفي سنة ١٣٣٠ اكتشفوا على تداعي بسقف صحن العلو الجديد واستقر الراي على هدمه ولما شرعوا في ذلك وجدوا ان قبة السقوف كانت متداعية ايضا فاضطروا الهدمها وفي حملتها سقف السب المطل على بطحاء القصة والبيت نفسه لظهور سقوط في جدار الطاق السفلي القديم المقام عليه البيت المذكور وهذا البيت هو الذي كانت تقام به امتحانات الجامع الاعظم في صائفة كل عام وكان مناخها جامع الزيتونة في الدور القديم فلما تولى المستعرب ميسو ماشويل مديرا للمعارف سعى في نقل الامتحانات المشار اليها من الجامع لدار الباى ظنا منه فيما يقال ان جعلها خارج الجامع يسهل له الحضور لجانب المشائخ النظار بمجلس الامتحان وفعلا قدم ذات يوم لمجلس الامتحان وكان المشائخ في الاختبار والجميع بحال جلوس فوق فرش ارضية (جزاري) فوجم المدير عن خلع نعاله واكتفى بإشارة السلام على الشيوخ بيده وهو واقف بالباب وحضراتهم حيوة بالمثل من مكانهم ولم يزيدوا على ذلك شيئا فكان هذا الحادث هو المانع لفتح باب مشاركة ميسو ماشويل في امتحانات جامع الزيتونة عمره الله

وفي خلال هذه العشرين سنة الاخيرة دار الحديث مرارا في شأن تجديد ما وقع هدمه من سراية المملكة واصلاح ما بقي منها متداعيا للسقوط وكلما عزموا على انجاز تلك الاشغال الا وكانت حالة الميزانية عثرة في ذلك السبيل وبقي بمحفوظي ان الاشغال المذكورة كان وقع تقديرها بنحو ثلاثة ملايين في مدة الحرب ولا شك انها اليوم اكثر من ذلك بكثير ويلوح ان دار الباى سيطلع نجم شبابها من جديد في الاجل

الشيخ صالح الكواش

بقلم العالم النحرير الشيخ سيدي ابراهيم النيفر
المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

للتاريخ نواح متعددة وجهات كثيرة . وقد اختلفت اتجاهات المؤرخين فمن مؤرخ جعل همه حياة الملوك بضبط اوقات ولاداتهم وولاياتهم ووفياتهم وأهم ما وقع في زمانهم من الحوادث العظيمة من حرب وصلاح وبيان سيرتهم واسماء وزرائهم وقضاتهم وغير ذلك . ومن مؤرخ همه في حياة الامم الاجتماعية والسياسية والعلمية وبيان اطوارها ارتقاء وانحطاطا وما بلغت اليه من المدنية . ومن مؤرخ بذل جهده للتنقيب عن حياة العظماء والنوابغ في السياسة والعلم وبيان آثارهم واعمالهم وفضائلهم على الحياة العامة . من ملك اقام قسطاس العدل بين الرعية واعان على نشر العلوم وتعمير البلدان وخلق من امة ميتة شعبا حيا فتيا وفتح معالكا وامصارا جعلها محاللا فسيحا لا انتشار شعبه وتعمير ارضها وبث المدنية بين ربوعها . ومن عالم نفع الناس بعلمه وبثه في صدور الرجال عامل بما عليه الله قوام بحقوق الله لا تأخذه في الحق لومة لائم آمر بالمعروف ناه عن المنكر لا يضره من خالفه حتى ياتيه اليقين . ومن مخترع كان له على الانسانية الفضل العظيم والمزية الكبرى باختراع نفع به الهيا الاجتماعية وأدى به خدمة نحو البشرية . ومن اديب كبير أيقظ شعورا وأثار احساسا فبعث امة من مرقدها وبث فيها روحا بعد موتها . ومن كاتب بليغ وخطيب مصقع كان لنفثات قلمه الاثر الفعال والصدى الذي تتجاوب به الاصقاع واهم هذه البحوث التاريخية البحث عن حياة الامم ارتقاء وانحطاطا بالكشف عن حياتها الاجتماعية وحياتها السياسية وحياتها العلمية ومبلغ ما وصلت اليه في جميع ادوارها واسباب ارتفاعها

القريب لانهم اعتبروا لها في ميزانية العام الفارط . بلغا معتبرا من المال لفحص ابنتها الموجودة باجمعها مع تحرير خريطة هندسية لما تحتاج اليه من التجديد وقد استغرقت هذه الاشغال التحضيرية عدة اشهر وتومت على السوجه الاكمل ويقال ان تلك الاشغال لما كانت ذات اهمية عظيمة لا بد من تقسيمها على عدة سنين لان ميزانية عام واحد ليس في وسعها التحمل بتلك الاكلاف المتعبرة دفعة واحدة ولاجل ذلك خصصوا قسطا اوليا بمقدار مليون بميزانية هذا العام للشروع في البناء المرغوب ليتم انجازه في الاجل المحسوب ونختم هذه النبذة بذكر الاسماء التي عرفت بها هذه السراية في ادوار حياتها المديدة فقد كانت في مبادئها تسمى دار حمودة باشا ثم اطلقوا عليها اسماء اخرى منها دار القصة ودار الباي ودار الضيوف ودار المملكة وسراية المملكة وهذا التعريف الاخير هو اسمها في النصوص الرسمية الحديثة واول ما استعملوه في عهد المشير محمد باي اثناء حوادث عهد الامان واما عند الافرنج فانها لا تعرف بغير اسم دار الباي وهذا مسك الختام وعلى القاري السلام محمد بن الخوجة

وسقوطها ولكن البحث عن حياة الرجال وما لهم من الآثار والمناقب هو النور الذي بضيه طريق الباحث عن تاريخ الامم . فما عظمة الامة الا برجالها النواخب في العلوم والسياسة والحروب . وقد اشتهر في تاريخ تونس كثير من رجال العلم والادب والاجتماع والسياسة يجب على كل مريد للبحث عن تراثنا العظيم وتالدنا القديم ان يتتبع ويستقصي اخبارهم ويستتبع من جميع ذلك ما كان عليه سلفنا في كل طور من اطوارها من عظمة وضدها وارتقاء وانحطاط . ولذلك عازمت على امداد المجلة الزيتونية المباركة بحياة بعض عظمائنا الذين كانت لهم منزلة خاصة حفظها لهم التاريخ كانت هذه الفكرة تختصر في نفسي فزارني بعض افاضل الادباء الباحثين وجرى بيننا حديث ذو شجون انتهى بنا الى ذكر العلامة الكبير الشيخ صالح الكواش فذكرت له شيئا من اخباره وما كان له من الصراحة في القول والقيام بواجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم تهيبه لاصحاب الولايات والنفوذ . فرغب في ان انشر شيئا من ترجمته في المجلة الزيتونية فوعده بذلك ولكن الشواغل الكثيرة حالت دون تحقيق هذه الامنية في وقتها ولما سنحت الفرصة بادرت الى كتابة هذه الكلمة وان كانت دون مقداره . لا تني باستقصاء جميع اخباره . فاقول مستعينا بالله

صله ونشأته

هو الشيخ صالح بن حسن شهر الكواش . ولد بتونس سنة ١١٣٧ واصل جده من الكاف يتصل نسبه بالشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش المغربي الذي يتصل نسبه بسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما . وولد ابوه بالحاضرة وكان يشتغل بالفلاحة وكان فرانا ايضا قرب زاوية سيدي المشرف . والكواش بلسان اهل تونس هو الفران ولا ادري المناسبة بين المعنى الوضعي للكواش والمعنى المتعارف . فالكواش لغة هو كثير الفزع . من كاش بمعنى فزع

طلبه للعلم

حفظ القرآن صغيرا وتعلقت همته بطلب العلم وكان ابوه يمنعه من ذلك ويريد ان يرغمه على الاشتغال معه بالقرن وربما اوكل اليه رعايته فيترك القرن ويذهب لقراءة العلم فإذا جاء وبخه وربما ضربه وحجر عليه العود للقراءة فلا يلبث ان يعود حتى سئم ابوه من ذلك فتركه ونفسه ومات ابوه وعمره اربع عشرة سنة فاقبل على طلب العلم بشغف متناه وتلهف شديد . ووجد بغيته من اعلام ذلك العصر فقرأ على العلامة الكبير الشيخ محمد الغرياني والعلامة الصالح الشيخ عبد الكبير الشريف والقاضي العادل الشيخ حمودة الريكلي والشيخ احمد اللعلاخ والعلامة الطائر الصيت الشيخ محمد يرم الاول وغيرهم من اعلام ذلك العصر ولم يمض على ابتداء طلبه للعلم الا بضع سنوات حتى برز على اقرانه وشاع ذكره مع صغر سنه

تدريسه

انتصب للتدريس بجامع الزيتونة فخرج اليه الطلاب وانتفعوا به أيما انتفاع وتخرج عليه جماعة من العلماء كالعلامة الكبير الشيخ اسماعيل التميمي والعلامة الصالح الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي وغيرهما ممن بطول بنا تعدادهم . وكان آية الله في التحقيق والحفظ مع ذكاء وقاد ، كاد ان يحفض كل ما قرأه حتى انه كان يقرئ المطول وشرح الزرقاني على المختصر . وروى على محل الدرس بدار بعض الكتبيين مروورا خفيفا ثم يدخل جامع الزيتونة فيأتي بتحقيقات عجيبة وينقل من حواشي المطول ما مر على رؤيته له السنون العديدة وكان إخصائيا في المطول لا يقدر أحد من علماء عصره على مجاراته فيه

امتحانه

امتحن الشيخ رضي الله عنه محتين . اولاهما : اضطراره للخروج من تونس محتفيا خوفا على نفسه وذلك أن البلاد التونسية كانت تعيش مدة الباشا علي مغتصب الملك من عمه المولى حسين بن علي تحت كابوس شديد من الضغط بحيث إن الناس كانوا لا يأمنون على انفسهم ويكفي الامير أن يهتم عنده الانسان بورود مكتوب عليه أو سلام من أبناء عمه الملتجئين الى قسنطينة فيأمر بشنقه أو نفيه أو سجنه دون تبين . وقد وشي بالشيخ الى الباشا بأن له علاقة بأبناء عمه فعزم على الانتقام منه فعلم الشيخ بذلك فلاد بالاختفاء وخرج متكررا ينتقل من بلد الى بلد حتى وصل طرابلس ثم ذهب الى ازمير فالقسنطينية واستقر بها ولقي بها حظوة كبرى واجتمع بشيخ الاسلام بها وبعلمائها وجرت بينهم مذكرات علمية ظهر فيها فضله واستقر بها زمانا لقي فيه من أهلها كرامة موفورة وحصلت يده على ثروة وعزم على الاستقرار بها نهائيا ولما دالت دولة الباشا علي وقدم الحاضرة ابناء المولى حسين بن علي وولي الامر أكبرهما المولى محمد الرشيد بعث الى الشيخ باسلامبول يستقدمه ويشوقه الى وطنه فحن اليه وحب الوطن من الأيمان) فقدم تونس عن كره من علماء اسلامبول واكرم مقدمه المولى محمد الرشيد وانتفع به خلق كثير اما محتته الثانية فهي ان بعض الفسقة وشي به الى المولى علي باي ابن المولى حسين بن علي مدة ولايته ونسب اليه امورا هو منها بري . فنفاه الباي الى منزل تميم ثم ندم على ما فرط منه وتبين كذب الوشاية فأسرع الى استقدمه بعد شهر من نفيه ولما وصل الحاضرة استقدمه لداره وعظمه وطلب منه أن يعفو عنه معتذرا بأن بعض الافاكين نقل اليه ما غير قلبه عليه فامتنع من مساعدته وقال له إن الله ولاك امرنا فعليك بالتبث والله تعالى يقول : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وأنت لم تبين فلم يزل يلاطفه ويستعطفه حتى عفا عنه

تأليفه

شرح الصلاة المشيشية باقتراح من شيخ الاسلام باسلامبول شرحا عجيبا أعجب به علماء الترك غاية الإعجاب . وشرح قصيدة الامير محمد الرشيد باي القايفة التي مطلعها :

امولاي إن النفس لما تعودت جميلك راحت بالفواضل تنطق
شرحا مطولا أتى فيه بالعجب العجائب من التحقيق اختصرة العلامة المرحوم الشيخ احمد بن
حسين كبير اهل الشورى المالكية

شعر لا

كان رحمه الله يقول الشعر الجيد لكنه من الشعراء المقلين . ومن شعره يهني الامير علي باي
بموت يونس باي :

راحة الصب غيبة الرقيب حين زال الرقيب زال عنائي
فاذا أسعد الزمان محبا نزه القلب في رياض الهناء

الى أن يقول :

تونس الانس زال قطك من اسفل فاحو علامة العلياء
ليس للغاصب الظلوم قرار بل يزال تحتما بالقضاء
أورائه سبيل الى الاخذ سد نعم هو ضامن للتواء
ياسد للافاصب رد منه مستحق لوارث الملكاه
فالذي منكم يعيش قليلا منشد الحال قوله الاشقياء
« ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء »
يا أميرا سما بحسن خصال ورفى همه على الجوزاء
هكذا تنقضي الاعادي بمحض الرفض لا بتكلف وعناء
خلد الله دولة الملك فيكم بالغا فضلكم عنان السماء

اخلاقه

كان رحمه الله شديدا في الحق لا تأخذه فيه لومة لائم لا يهاب اميرا ولا وزيرا ولا صاحب شوكة
يجاهر برأيه ولو أدى ذلك الى ما أدى . ولذلك امتحن . قال له الامير علي باي مرة يا ايها الشيخ :
انك جمعت من العلم والدين ما تفرق في غيرك ولكنك لا تحسن السياسة . فقال انا اعلم الناس بالسياسة
ولكنك تريد ان تخالف الشرع وأجاريك على ذلك فاذا لم أجارك قلت اني لا احسن السياسة .
ويروى انه دخل يوما على المولى محمود باشا وقد مات ولده فوجدته شديد الحزن عديم الصبر فقال
له : ان الله ما بولده ابتدا . ولا عليك اعتدى . فان رضيت فياحبذا . والا فعليك بذأ او بذأ . وأشار
الى جداري البيت فمري عنه وصبر واحتسب

ومن شدته في تغيير المنكر انه حضر يوما ختم بعض التلامذة لتجويد القرآن على العالم الشيخ
حمادة ابن الامين استاذ علم القراءات في عصره فقرأ قوله تعالى : ما أغنى عنه ماله وما كسب . ولما
اغاد الآية لاستيعاب اوجه القراءات اقتصر على قوله أغنى عنه ماله وما كسب . فصاح به الشيخ صالح
وقال له : ان الله يقول : ما أغنى وانت تقول أغنى فقال له الشيخ حمادة ان اصطلاحنا أننا لا نعبد
من الآية الا محل الحاجة . في اختلاف القراء فشدد الشيخ صالح عليه التكبير واصر الشيخ حمادة على
رأيه واشتد بينهما النزاع واقترب المجلس على غير طائل . ورفع الشيخ حمادة امره الى الامير محمود
باشا فلم ينفعه ولم يجد من العلماء من يؤيده فانقطع الشيخ حمادة عن التدريس من ذلك الوقت ولم
يعود اليه وانكر يوما على ائمة جامع الزيتونة التزام تأخير صلاة الظهر فلما علم بذلك العلامة الشيخ

عمر المحجوب امام الحرم قال : كيف ينكر الشيخ ذلك وقد نص الشاطبي على جوازها ، فلما سمع الشيخ صالح قال : قولوا له يقلب الورقة يجد فيها ان ذلك جائز ، لم يتخذ عادة .
وقد كان رحمه الله زاهدا في الدنيا راغبا عما في ايدي الناس لا يميل الى البذخة في المأكل والملبس والسكن . ولي مشيخة المدرسة المنتصرية والتدريس بها وكان من اوقافها دار حبس على شيخها فسكنها الشيخ مدة فتداعت للسقوط فذهب الى المولى حمودة باشا وقال له : ان الدار تداعت للسقوط وليس في مال الوقف ما يكفي لاصلاحها وطلب منه ان يصلحها من بيت المال . فقال له الامير : اشترى لك دارا تسكنها وتبقى لذريتك من بعدك والدار يصلحها وكيل الوقف من الفواضل فقال له الشيخ ليس من مكارم الاخلاق ان اسكن دارا زنا فاذا تداعت اتركها واما ولدي فالله له من بعدي . وكان الامر كذلك وانتقل مدة الاصلاح الى دار تليذه الشيخ محمد المسعودي ثم رجع اليها . وكان الوزير يوسف صاحب الطابع يحضر كل يوم بنفسه لمعاينة الترميم عناية بالشيخ . ولما توفي وولي مشيخة المدرسة تليذه الشيخ محمد السنوسي الكافي صاحب نظم لفظ الدرر ضايق ولد الشيخ في سكنى الدار حتى انه طلب منه ان يمهله اياما ريثما يجد دارا يسكنها فلم يسعفه الشيخ السنوسي بذلك ولم يراع حق شيخه ولعله كان مضطرا لسكنها . وكان الشيخ شديد الحب لولده الشيخ محمد الذي اعتنى بتعليمه حتى صارت له رتبة علمية وولي العدالة . ومن شدة حبه له انه كان لا ينطق باسمه الا مقرونا بالسيادة فلا يقول الا سيدي محمد حتى جرى ذلك على السنة تلامذته فكانوا لا يذكرون اسمه الا كما يذكره الشيخ . ولكنه امتحن بعد أبيه واخر عن العدالة وضاق به الامر حتى سعى له الشيخ محمد يرم الثاني في ارجاع امر العدالة له

وفاته

توفي الشيخ رحمه الله مساء يوم الاثنين سابع عشر شوال ودفن صبيحه يوم الاربعاء تاسع عشر عام ١٢١٨ هـ ، ورثاه كثير من الشعراء ومنهم العلامة الكبير تليذه الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي بقصيدة كتبت على قبره ودفن قرب ضريح الامام ابن عرفة جوار المغارة الشاذلية بالجلال ونصها :

ولتلك من خطب تنسوج النوائج	وترتاع في اغماض دهن الصفائح
أريقت له دون الدموع دماؤنا	وشقت له دون الجيوب الجوارح
هو القدر المحتوم يلقيه سائح	ويرمي به في غامض الميم سابع
وأما وقد أودى الحمام بصالح	وقد عم ظلم في علا الدين واضح
هو العلم العلامة الفرد من غدا	ولا فرد في أدنى معالبه طامع
هو المنهل الفيض ينسوع عليه	بماء حياة بحرة العذب طافح
امام الوري الشيخ الهمام الذي له	مآثر راقية في علاها المدائح
فحق كان اما فكره فهو معجز	ذكاء ، واما علمه فهو فاضح
حوى فكره كل العلوم بنقل ما	ومعقولها نقل له وهو شارح
فمن العلوم الدين من بعد صالح	إذا نابها خطب من الغير فادح
كوى مضرع الكواش اكباد اهله	ففي كل قلب من جوى الحزن قاذح
حوى قبره مع ضيقه من علومه	رأوسي قد ضاقت بين الانباطح
حوى جامع العلم الذي انتقاد لاسمه	إذا ما تلى من مشكل معلم جامع
فما غاب حتى اذبرت أنجم الهدى	وصباح باديسار المعارف صائح
وقال الوري قد مات علامة الوري	فأرخ (يموت العلم ان مات صالح)

الذكرى

ذكرى المتنبي

حياة تنقضي والذكر حي
لعمري ذلك الامل العصي
فما كل النفوس تعيش ذكرا
ولا كل المدارك احمدي
فكم من أنفـس نـيت وفات
وقد نـيت وما سـكت النـعي
حياة المرء في عطل ممات
وموت اخي الحـجـى عيش رضي
تمجده الروائح والغوادي
وتكبره الصبائح والعشي

أأودى ذكر احمد بعد الف
تقضى او خبا الاثر النسي
وغيد قريضه تختال عجبا
بقـدأين منه السـمـهـري
والحاض مراض فاتكات
يحاذر هول طعتها الكمي
شدت بهائها الدنيا وغنى
بها القمران والنجم العلي
فمال الدهر من طرب وأشجى
وحملت العهد لها التحايا
ولاحت في سماء الشعر نورا
وعم المشرقين سنا فاضحي
بدائعها لآل الضاد وشي
ومعناها لاهل الشعر وحسي
معين بلاغة غدق روي
ودأماء بها الشعراء غاصت
محاسن نسجها غرر غوالي
تلاأ مثل ازهار الروابي

لاحمد منطق في الشعر فرد
عصامي البلاغة بابلي
بـراعـتـه لـها القـدح المـعـلى
وحـكـمـته لـها الشـان العـلى

ترى معدوحه يهتز عجباً
 وقد مدح الغطارف فاعتلاهم
 يطول على الملوك اذا أثناهم
 وهل غير الحجى كنف ومنجى
 وهل ان السيوف تفيد شيئاً
 تلمس شعراً حمد كل سمح
 اتى حمدات ممتدحا فوافى
 تصان بسيف دولته المعالي
 لسان المدح في علياه طلق
 نزاحم منهما ملك همام
 فذا كلف بنيل الملك صب
 فقادراً أحمد حطبا وولى
 وام النيل تسرعه الاماني
 فالقى ملك كافور عظيما
 وألقى مصر باسمه المحيا
 فزاد طموحه للعز طولاً
 ووطن بوعد كافور وفاء
 اما قد اوجس الاستاذ خوفاً
 تحدى بالمدائح مادحيه
 قضى بالنيل اياماً ولما
 ولاقى من لدن كافور مطلا
 هجماً مصراً وصاحبها بشعر
 وغادر ساحة الهرمين يحدو
 كذا كفى الحياة مع الاماني
 يكلل هامة الدنيا بشعر
 ومن قد خلف الآيات تلى

كمن قد ناله من خفي
 جلال من مدائحه سني
 فيعصمه حجاب العبقري
 اذا فلق الظلام المشرفي
 اذا قدح الزناد الالهي
 تتاح بضل مغناه المطي
 فتى براله الخلق الرضي
 ويخشي بأسه الحدث القسي
 وصوت الشعر من نعمه حي
 وتواق الى العليا أبي
 وذاك بما سوى حلب سخي
 وبين ضلوعه قلب وفي
 ويغريه العين الكوثرى
 أريكته الكنائس والقسي
 تتوجها السعادة والرقى
 واغراه الدهاء الاعجمي
 وذلك لودرى ظن قوي
 ومادحه بمزعمه نبى
 وبين غضونها شتم خفى
 جفاه الحظ والعيش الهني
 وأضوى له الامل القسي
 له جفن العلي هطل دمي
 ركائبه الحسام المشرقي
 نجد في تطلبها جري
 يئذ به النظام الجوهري
 على سمع البرية فهو حي

الطاهر القصير

الحرارة العلمية والادبية

الاحتفال برأس العام الهجري

أقيمت حفلة كبرى بمناسبة دخول العام الهجري الجديد شارك في القيام بها جمعية الشبان المسلمين وجمعية الشبيبة الزيتونية وجمعية الرابطة الادبية . وكانت تحت رئاسة الشيخ محمد المختار بن محمود رئيس تحرير المجلة الزيتونية . وقد وقعت اثر صلاة العشاء من يوم السبت في ٣٠ ذي الحجة سنة ١٣٥٥ (الموافق ليوم ١٣ مارس سنة ١٩٣٧) بجامع ابي الحيرات يوسف صاحب الطابع .

افتتحت الحفلة بتلاوة القرآن العظيم . ثم وقف رئيس الحفلة فالقى مسامرة يسط فيها القول عن تاريخ الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام . وتعرض لما لاقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشدائد في تبليغ دعوة الاسلام من مشركي العرب وكفار قريش الذين قابلوا تلك الدعوة بالمقاومة الشديدة . والاصرار على الكفر . والتفنن في اساليب المقاومة . فصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك كله . وقابله بصدر رحب وعزيمة صادقة في التوكل على الله . والاعتماد عليه . حتى صدق الله وعده . ونصر عبده . ونشرت كلمة الله في جميع البقاع . وانتشر دين الاسلام . ودخل الناس فيه افواجا . ثم بعد هذا الاستعراض التاريخي تعرض لما ينبغي ان يستفاد من ذلك من العبر . التي من اهمها استنصار المسلم لكل ما يلاقه من الاذى في سبيل الدفاع عن دين الاسلام . مع بذل الجهد في نشره وبيان فضائله للناس ولو ضحى المسلم في سبيل ذلك بنفسه وماله وولده . (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) . وبعدما انتهى من مسامرته اعطيت الكلمة لبقية السادة الخطباء والشعراء فالقى كل واحد منهم ما يناسب المقام مع الاجادة وحسن الاختيار وكانوا على الترتيب الآتي : محمد الصادق بسيس (خطبة) محمد الغربي (خطبة) رشيد ادريس (خطبة) الصادق ابن عبد الحميد (خطبة) علي البلهوان (خطبة) الاخضر السائحي (قضية) الطيب بن عيسى (خطبة) الطاهر الباجي (خطبة) . ولما انتهى الخطباء وقع التوجه الى الله والتضرع اليه في بيت من بيوته ان يجعل هذا العام الجديد عام رغد ورخاء وسرور وهناء . وان يكشف عنا هذه الضائقة الكبرى التي اناخت بكلكتها على البلاد التونسية وان ينظر الى هذا القطر والى سائر اقطار المسلمين بعين لطفه ورحمته . انه هو الجواد الكريم الرؤوف الرحيم .

احتفال جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بالهجرة

ثم ان جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين اقامت احتفالا آخر بالهجرة في يوم الخميس ١٢ محرم (الموافق ليوم ٢٥ مارس بمقر الجمعية الخلدونية . وقد كانت حفلة رائعة حضرها بعض المشايخ المدرسين بالجامع الاعظم وكثير من طلبة وغيرهم من الفضلاء والادباء . وقد تداول فيها الخطابة نجباء من تلامذة الجامع الاعظم الجزائريين فاجادوا واحسنوا وشارك فيها بعض علماء الجزائر بارشال كليات القيت في تلك الحفلة بالنيابة عنهم ووقف في آخر الحفلة الشيخ محمد المختار بن محمود فارتجل خطابا اظهر فيه إتهاجه بهاته الحفلة وبزراعة الذين تداولوا القول فيها . واثني على الطلبة الجزائريين لما تحلوا به من الحزم والعزم وحسن التربية . وقد علمنا ان الجمعية ستطبع جميع ما التي في هاته الحفلة في نشرة خاصة تخليدا لهذه الذكرى وتسجيلا لما قامت به من الاعمال . ونحن نشكر الجمعية المذكورة ونثني على اعضائها وعلى رئيسها الشاب النقيب السيد الشاذلي المكي . ونرجو لهم من الله الاعانة والتوفيق .

مجلة شمس الاسلام

تعزيز جانب المجلة الزيتونية بمجلة اخرى من نوعها تعمل لبث الفضائل ومكارم الاخلاق .
وتنشر محاسن الدين الاسلامي وفضائله . وتثير حركة النهوض الفكري مع التقيد بقواعد الدين
والسير على ضوء مبادئه . وتعمل لمقاومة كل حركة يظهر منها الزيغ والاحساد والتمشي مع الهوى
تلك هي مجلة (شمس الاسلام) لصاحبها ورئيس تحريرها حضرة العالم الجليل الشيخ
محمد الصالح بن مراد الاستاذ بجامع الزيتونة

ومن يعرف هذا الشيخ المفضل وما جبل عليه من الصراحة والاستقلال بالرأي وصدق
العزيمة وواسع النظر يحصل له اليقين بما ستكون عليه مجلته من الرقي في اسلوبها وانتقاء مواضيعها
وجمال تبويبها .

وقد صدر العدد الاول منها في غرة شهر المحرم المنصرم واطلعنا عليه فوجدناه مطابقا لما توقعنا
ان يكون قبل صدره . فهو مفعم بالمواضيع المفيدة التي تهتم كل من يطلع عليه . فنحث عموم القراء
على الاقبال على هاته المجلة الراقية والحرص على مطالعتها . ونرجو لصاحبها العلامة الكبير مزيد
الاعانة ووافر النشاط .

جريدة (الشورى) ترتدي ثوب (الشباب)

كانت جريدة الشورى تقوم بعمل عظيم لا تكاد تضاهيها فيه أية جريدة اخرى . فقد كانت منبرا
حرأ . ومجالا واسعا لخدمة القضية العربية والدفاع عن العرب في مختلف الاقطار والامصار . فكنت
اذا قرأها لا تشعر بانها جريدة تصدر عن بلاد خاصة . بل يمكنك ان تنسبها لاي بلاد شئت من
البلدان العربية . والمسائرون للحركة التونسية يعلمون ذلك اكثر من غيرهم . فقد كانت جريدة
الشورى تنشر عن تونس اكثر مما كان يمكن نشره في الجرائد التونسية في بعض الاوقات . حتى
ان التونسيين لم يطلعوا على كتاب الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي الفه عن تونس الا فيها

وما ذلك الا لما جبل عليه صاحبها ومؤسسها حضرة الكاتب الاديب السيد محمد علي الطاهر من
التفاني في خدمة القضية العربية والاخلاص في الدفاع عنها . فمن اجل ذلك استاء الناس وضائق منهم
الصدور . عند ما تعطلت جريدة (الشورى) عن الصدور . وذلك في عام ١٣٥٠ واضطر صاحبها
الى التاعد شيئا ما عن ميدان الصحافة . ولكن ها هو اليوم يرجع لاصدار جريدته من جديد .
متحلية باسم (الشباب) الذي استعاره من صديقه الكاتب الشهير محمود عزمي . ونحن نتفاءل بهذا
الاسم خيراً لانه يشعر بان جريدة الشورى سيعود لها شبابها . وتكون كما كانت عليه من قبل او
احسن . فعلا قد صدر العدد الاول من هذه الجريدة مؤرخا بيوم الاربعاء ٦ حجة سنة ١٣٥٥ وفي
١٧ فيفري سنة ١٩٣٧ واتصلنا به . وبعد ما اجلنا فيه الطرف وجدناه مفعماً بالمقالات المفيدة .
والتحارير الرفيعة . وموشح الصدر بمقالة لامير البيان شكيب ارسلان عالج فيها مسألة الاسكندرونة
وخسران صفقة العرب والترك فيها . ونحن نرجو لهاته الجريدة توفر اسباب الحياة . وان يتسع
محالها كما اتسع من قبل . لخدمة القضية العربية ونحرض قراءنا على الاعتناء بمطالعتها . والمساهمة الى
الاشتراك فيها . وعنوانها لا يزال هو العنوان القديم :

(شارع عبد العزيز رقم ٣٠ بالعتبة الخضراء بالقاهرة)

المجلة العلمية

مجلة علمية اوسية اخلاقية

تصويرها الفنية من مدرسي جامع الزيتونة المعروف

عدد خاص

بالمولد النبوي الشريف

لعام ١٣٥٦

عددنا الخاص

بذكرى المولد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام

سارت المجالات الدينية في هذه الاعوام الاخيرة على سنة حسنة وهي اغتنام فرصة حلول المواسم الاسلامية فتصدر اعدادا خاصة تتعلق بتلك المواسم ويشارك في تحريرها اعيان العلماء والفضلاء . فيسقط فيها القول . ولكنها تتخذ طريقة عامة فتحشر فيما تنشره من الاعداد الخاصة كل ما يمت الى موضوعها الخاص ولو بنسب بعيد

وقد رات (المجلة الزيتونية) ان تصدر عدد شهر ربيع الاول خاصا بذكرى المولد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام وارادت ان تتكرر طريقة لم تسبق اليها من قبل وهي ان يكون العدد خاصا بالمولد وما يتعلق به بحيث تكون جميع الفصول المنشورة به خاصة بهاته النقطة من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم

يفتح القارئ هذا العدد . فيطالع اولاً (ذكرى منقذ البشرية الاعظم صلى الله عليه وسلم . وما هي العبرة من اقامة الذكريات . وما الذي ينبغي ان يستفيدة المسلمون منها بصفة خاصة .) ثم يطالع بحثاً يتعلق (بالاسم الشريف) ثم بحثاً في (النسب الطاهر) وما يتعلق به ثم قصة (زواج الابوين الكريمين) ثم ذكر ما توالى من البشائر بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم بحثاً يتعلق (بموضع الحمل والولادة) ثم بحثاً في (تحقيق تاريخ الولادة) ثم بحثاً يتعلق بالوليمة والختان ثم (ترجمة القابلة) التي لها الشرف العظيم باشراف محياه عليه الصلاة والسلام على يديها ثم (وصف الذات الشريفة) ثم بحثاً تاريخياً يتعلق (بتاريخ الاحتفال بالمولد عند المسلمين بصفة عامة) يليه بحث عن (الاحتفال بالمولد بتونس) ثم بعد ذلك بحثاً مستفيضاً عن (الموالد) التي قلها المسلمون في مختلف الاعصار وعلى اختلاف الاقطار والامصار وقد اشتمل على ٦٥ مؤلفاً من التأليف المولدية ويتخلل ذلك قصائد نوبة وضعت كل واحدة منها في المكان اللائق بها

وقد راعينا في ترتيب فصول هذا العدد الوضع الطبيعي محافظة على انسجام المواضيع . وتمشيا مع الحوادث كما وقعت

هذا هو عددنا الممتاز تقدمه كتحفة فنية لعموم قرائنا راغبين منهم ان يقدروا قيمة هذا العمل العظيم الذي اقدمنا عليه ولنا من كرم اخلاقهم ومن دقة هذا المسلك الذي ابتكرناه ما يكون عذراً عما وقع لنا فيه من سهو او تقصير .

والمرجو من الله سبحانه تعالى ان يجعل هذا المولد مباركا على صاحب الجلالة ملكنا المعظم سيدنا احمد باشا ابي وعلى جميع الامم في مختلف انحاء الارض .

وان يكون فاتحة خير وسعادة . وان يعمننا بنفحات صاحبه عليه الصلاة والسلام . حتى يعود للنفوس اطمئنانها . ويقوى ايمانها ويرجع للحكومات اعتدالها واتزانها . بفضلها وكرمه .

(لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) قلم التحرير

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة بالعمور

الجزء التاسع | تونس في ربيع الانور عام ١٣٥٦ وفي ماي عام ١٩٣٧ | المجلد الاول

شهرية وستتها عشرة اشهر

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد السيد بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

صاحب المجلة :

عبد الشاذل بن القاوي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع
حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القمصان

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

عدد خاص بالمولد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكرى ولادة منقذ البشرية الاعظم

صلى الله عليه وسلم

العبرة من الذكريات... ما يجب ان يستفيدة المسلمون من ذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقلم رئيس التحرير

لكل امة من امم الارض ايام مشهودة • ورجال ابطال • وحوادث كبرى
تفاخر بها وتحفظ بتاريخها • وتحرص على اشهارها حتى يعرفها الناس فيقروا لها بالمجد
واسبقية الفضل • وحتى تبقى منتقشة على قلوب الناشئين من ابنائها فيشبوا معتزين
بانفسهم • مفاخرين بقوميتهم • عاملين على احياء ما اندثر من مجدهم • او انطمس من
مآثرهم •

وللامة العربية من غرر الايام • واعاظم الرجال • ومهمات الحوادث ما يجعلها
تتبعوا بحق مقعد العز والشرف بين سائر امم الارض • وما يخول لها بحق ان تقتخر
وترفع راسها عاليا الى عنان السماء • ولا يضيرها ما وصلت اليه في بعض الاحيان من
تاخر واستعباد • وتخاذل وانحلال • فالديادول • ولا بد ان ياتي يوم - يرويه بعيدا
ونرا لا قريبا - تفتك فيه الامة العربية ما اغتصب من حقوقها • وانتك من حرمتها •
وابترز من مآثرها •

ولا نريد ان نتحدث الآن عن تفصيل ما للعرب من المآثر الخالدة • والتاريخ
المجيد فذلك له وقته وله مقامه • وانما الذي يهمنا الآن - ونحن في شهر المولد - ان
نتحدث عن معجزة العرب الكبرى • وهي النبي العربي سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله
عليه وسلم • فنقول

شاعت الظلالة • وعمت الجهالة • وطغت القولة على الحق • وفشت عبادة الاوثان

ونمى الشرك وتعددت الاديان • وتعزز الناس بالعصية • والنزعة الطائفية وتهاقت
الناس على القتال • وزال الاطمئنان من النفوس • وانتهكت الحرمات • وتنوعت
المعاصي والموبقات • فصار العالم كليل دامس تراكمت ظلمته حتى كاد لا يرجى له
اصباح او كبحر لجي تلاطمت امواجه فلا يؤمل راكمه النجاة •

هذه هي الحالة التي وصل اليها البشر • وهي حالة منذرة بالخطر العظيم والخطب الجسيم
فاراد الله تعالى ان ينقذ البشرية مما آلت اليه • واختار ان يكون انقاذها على طريق
الامة العربية • وعلى يد رجل عربي من ارفع العرب بيتا واعلاهم مقاما • واشرفهم
عنصرا ومحتدا • فظهر الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم فاشرقت العوالم • بعد
ظلامها وتبسم الزمان بعد عبوسه • فكانت الساعة التي ولد فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ساعة الفصل بين الحق والباطل • والانتقال من الظلمة الى النور • والتحول
من الشقاء الى السعادة ورغد العيش لا بالنسبة للعرب وحدهم بل لجميع الامم على
اختلاف الاجناس والاديان والاقاليم • اذ من خصائص هذا الرسول العظيم صلى الله
عليه وسلم ان الله قد جعله رحمة للعالمين • وما من احد على وجه الارض الا وقد استفاد
من بركاته وفيضه عليه الصلاة والسلام : فجدير بمولده ان يكون عيداً من الاعياد
العالمية التي تتشارك جميع الامم في الابتهاج بها • والتنويه بشأنها

ثم ان الاحتفال بذكرى ولادته صلى الله عليه وسلم ينبغي ان لا يجعل مقصوراً على
مظاهر الابتهاج والفرح • بل يجب ان يضم الى ذلك ما يستفاد منه من العبر وما
يستخلص منه من المواعظ وان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبراً يجب على
المسلمين ان يستفيدوا منها ويسيروا على منوالها حتى تنهأ لهم الاسباب لاسترجاع بعض
ما لهم من عز ضائع وشرف مبدس

ومواضع العبرة من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة متعددة • يعسر على
الباحث استقصاؤها : والبلوغ الى نهايتها

وان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بضم
ونرى من المناسب ان نقصر هنا على واحدة من تلك العبر لما لها من الاهمية
الكبرى • ولما لها من التعلق بحياتنا الحاضرة • وهي (الوحدة الاسلامية)

ان من يتتبع سير رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقواله واعماله يتجلى له ان
من اهم الاغراض التي كان يسعى اليها . ويجتهد فيها تكوين الوحدة الاسلامية .
بقطع دابر الخلاف بين المسلمين . وايجاد اسباب التوادد والتراحم بينهم .
ومعلوم ان افقتك الامراض بالامم هو مرض التخاذل والانقسام . فالامة التي تتلى
بهذا المرض تكون عرضة للفناء . ولقمة سائغة لكل فم يريد ابتلاعها . فمن اجل ذلك
جاء دين الاسلام بالحث على تقوية روابط المودة . والاجتهاد في اجتناب بذور الخلاف
وكان اول مظهر عملي قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الغرض ما وضعه من
التآخي بين المهاجرين والانصار حتى صار الانصاري يتنازل للمهاجر عن ماله وداره .
وعن احدى زوجتيه .

ثم جاءت اقوال الشارع مؤكدة لذلك . فقال الله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا
وتذهب ريحكم) وقال صلى الله عليه وسلم (المسلمون تتكافأ دماءهم ويأخذ بعضهم
ادناهم وهم يد على من سواهم) وقال صلى الله عليه وسلم (مثل المسلمين في تواددهم
وتراحمهم كالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) الى غير
ذلك من الاقوال البليغة في هذا الباب

فنشا المسلمون في الصدر الاول على هذا النظام المحكم من المودة والمحبة .
فسادوا وشادوا وبلغوا الغاية القصوى في العز والشرف ونفوذ الكلمة .

ثم اخذ داء الانقسام يظهر بينهم . فتضمعت كلمتهم . وتشتت شملهم . وضعف
سلطانهم . وبعد ان كان الادنى يأخذ بالذمة صار اعلاهم لاذمة له . وبعد ان كانت
الامة تتالم لالم الفرد صار الفرد يسخر من ألم الامة . وهكذا اخذ هذا الداء ينمو
شيئا فشيئا . حتى استفحل امرا . وصار خطرا من اكبر الاخطار التي يعسر علاجها .

ولا نريد في هذا المقام ان نستشهد على ذلك بغير ما نحن عليه في بلادنا التونسية
حتى لا ينطبق علينا قوله تعالى (اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم)

اتنا اذا نظرنا الى حالتنا في بلادنا نجد اننا قد احرزنا على اوفر نصيب من هذا
الداء العضال حتى كاد يكون كل فرد عدوا لصاحبه . فمن تنازع بالالقباب . ومن
تحكك على الاعراض . ومن تراشق بسهام التشاتم والطعن . ومن اتهم بالخيانة او

بالجن او بالتملق . الى غير ذلك من انواع القدح والطعن . في وقت توجب علينا فيه الظروف والحوادث وتقلبات الزمان ان نفرض الطرف عن النقائص وان نلتمس لبعضنا الاعذار . وان نجتهد في تكوين وحدة متراسة الصفوف . متساندة القوى علنا نتقدم بعض خطوات الى الامام . ونسترجع مجدا ضائع مع الايام . فكأننا لم نكتف بما اصابنا بل اردنا ان نكون عوناً للايام على انفسنا . وءالة تقضي بها على ارواحنا . فضاعت بسبب ذلك اعمال نافعة . ومجهودات صالحة . وتلاشت نتائج كدنا نقضي عليها بايدينا . ولا ارى من اليسير . ما دمننا على هاته الحالة . انه يمكننا ان نتقدم ولو خطوة واحدة الى الامام .

وانك ليلئم بك العجب الى اقصا عند ما ترى هذا الخلق الذميم متفشيا بين المعدودين في صف العقلاء . والمرموقين بعين الاعتبار . فيقوى عند ذلك يأسك من حصول الشفاء . واقتلاع بذور هذا الداء . فنحن اذا اردنا ان نحتفل حقيقة بذكرى المولد وجب علينا ان نحاسب انفسنا على مقدار ما نحن عليه من الاهتداء بهدي هذا الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم . اذ اقامة الاحتفالات الصورية . والتفنن في المظاهر التي لا روح لها شيء لا معنى له .

وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له ابتعادنا عن خلق واحد ذميم من الاخلاق التي نهانا عنها اكثر من سروره بالف احتفال . نقيمه لذكرى مولده مع التلبس بما نهانا عنه .

وعليه فالعبرة التي يجب ان يستفيدها المسلمون من ذكرى الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم هي الاجتهاد في السير على منوال ما شرعه لهم من الاحكام . وما سنه لهم من الاخلاق . اذ تلك هي فائدة الذكريات . واقامة الاحتفالات . والافانها تكون شجبا بدون روح . وجسما بدون قلب . والله ينظر الى القلوب لا الى الصور . وفي ذلك عبرة بالغة لمن اتقى السمع واعتبر . . .

محمد المختار بن محمود



تسميته صلى الله عليه وسلم محمداً

بقلم صاحب الفضيلة العالم الأشهر الشيخ
سيدي محمد بن يوسف شيخ الاسلام الحنفي

هذا الاسم الشريف هو أشهر اسمائه صلى الله عليه وسلم واجلها قدراً ويلة في الاشتهار والمزية اسم احمد وكل منهما علم منقول من الصفة المشتقة من الحمد منبئ عن الذات مع ما هو من خصائصه صلى الله عليه وسلم دون غيره ممن يسمى بذلك وهو اعتبار اتصافه صلى الله عليه وسلم بمبدأ الاشتقاق البالغ في طرفي الحمادية والمحمودية الى الغاية التي ليس لمخلوق بعدها منتهى ولا وراءها مرمى وفاقا لبناء احد الاسمين على صيغة افعال التفضيل المشعرة بالتعظيم وبناء ثانيهما على صيغة المفعول من التفعيل المقتضي للتكثير ووقوع الحمد عليه مرة بعد اخرى كالعظم والمجد وإعلاما بوصف نبوته ومنشور رسالته من مبدأ وجوده وذلك بظهور مطابقة الاسم للمسمى واللفظ للمعنى فهو صلى الله عليه وسلم أفضل الناس حامداً وأوفرهم محموداً في الدنيا لمبالغته صلى الله عليه وسلم في حمده لمولاه حتى قال عليه الصلاة والسلام لا احصي ثناء عليك كما اثنيت على نفسك وكثرة حمد الناس له لما جاء به من العلم والحكمة والنور المبين الذي اضاء العالم وازاح ظلمات الجهالة - والشمس عن مدح المادح غنية - وفي الآخرة فانه يفتح عليه في مقام الشفاعة العظمى بمحامد لم يفتح بها على احد قبله فيحمد بها ربه وذلك المقام هو المقام المحمود الذي يحمده فيه الاولون والآخرين

وقد سماه تعالى محمداً فكتب في الذكر وهو ام الكتاب قبل ان يخلق السموات والارض ان محمداً خاتم النبيين كما في صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ، وروى الحاكم في صحيحه ان آدم عليه الصلاة والسلام رأى اسم محمد مكتوباً على العرش وفي بعض الروايات وعلى كل موضع في الجنة مقروناً باسم الله تعالى . كما سماه احمد في الكتب المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى لسان عيسى المحكي بقوله تعالى ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وعلى لسان موسى في حديث المناجاة الذي رواه الحافظ ابو نعيم عن انس بن مالك ثم الهم الله تعالى جده عبد المطلب الى تسميته محمداً برؤيا رآها وعبرت بمولود له يتبعه اهل المشرق واهل المغرب ويحمده اهل السماء والارض مع ما اخبرته به امه آمنة مما رأت من عجائب حمله وهو ما قيل لها وهي نائمة او بين النائمة واليقضى انك حملت بخير العالمين او بسيد هذه الامة فاذا ولدته فسميه محمداً واكتمي شأنك وقيل لجده كيف سميته باسم ليس لاحد من ابائك اي وعادة العرب تسمية المولود باسم احد ابائه احياء لذكره فقال لاني ارجو ان يحمده اهل الارض كلهم وفي رواية اردت ان يحمده الله في السماء ويحمده الناس في

الأرض وحسبك تشريفاً لهذا الاسم وتوحيها بشانه اختصاصه بكلمة الشهادة وبالاذان والشهد في الصلاة ورضي الله عن حسان ابن ثابت المؤيد بروح القدس اذ يقول :

وَضُمَ الْإِلَهِ اسْمُ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْحُسْنِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ

ولم يعرف في العرب من تسمى محمداً صيانة من الله تعالى لهذا الاسم الى ان حان وقت ظهوره صلى الله عليه وسلم في عالم الوجود وبشر بعض اهل الكتاب باسمه وقرب زمانه في ظروف مختلفة ومناسبات متعددة فسمى جماعة من العرب اولادهم بذلك رجاء ان يكون المسمى هو النبي المبشر به والله اعلم حيث يجعل رسالاته .

ماكل من زاز الحمى سمع النداء من اهله اهلاً بذلك الزائر

وذكر القاضي عياض ان الذي تسمى بذلك ستة وهم (محمد بن احيحة) بضم الهمزة وفتح الحاء بن الجلاح بضم الجيم وتخفيف اللام الاوسي وحكي ان سبب تسميته بذلك ان احد ملوك اليمن كان حاصر المدينة قبل ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم فخرج له احيحة ومعه الجبر الذي عندهم فاخبره الجبر بان هذا بلد نبي يبعث يسمي محمداً فسمى احيحة ابنه محمداً لذلك ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن البراء بن طريف بن عتارة بضم العين وكسرهما ومحمد بن سفيان بن مجاشع التميمي ومحمد بن حمران بن ربيعة بن مالك الجعفي المعروف بالشويعر لقبه بذلك امرؤ القيس لبيت قاله ومحمد بن خزاعي بضم الخاء وفتح الزاي وياه في آخره مشددة وهو اسم على صيغة النسب . وعده لمحمد ابن مسلمة الانصاري وهو الصحابي المشهور ليس بجيد لانه ولد بعد ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم بنحو عشرين سنة والكلام فيمن تسمى قبل ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وجمع الحافظ ابن حجر في جزء مفرد عشرين ولكن بعد طرح المكرر والموهوم بقي خمسة عشر خمسة مما ذكره عياض وهم غير محمد بن مسلمة وعشرة مما زاده ابن حجر اشهرهم محمد بن عدي بن ربيعة بن سودة بضم السين على وزن حذافة من بني تميم ومنهم محمد بن اسامة بن مالك بن حبيب ابن العنبر التميمي ومحمد بن الحارث بن حديج بمهملتين وباء وحيم على وزن التصغير من المعمرين في الجاهلية ومحمد ابن حرماز بكسر الحاء وسكون الراء وآخره زاي اليعمري ومحمد بن خولي الهمداني ومحمد بن اليحمد بضم الياء وكسر الميم الازدي ومحمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة ومحمد بن الاسيدي بضم الهمزة وفتح البين وكسر الياء المشددة التي قبل الدال ومحمد الفقيمي بضم الفاء وفتح القاف وسكون الياء ومحمد بن عمرو بن مغفل بضم الميم وسكون المعجمة وكسر الفاء وهؤلاء الخمسة عشر كلهم ماتوا قبل ولادته صلى الله عليه وسلم ولم يدركوا الاسلام الا محمد بن عدي بن سودة في سياق خبره ما يشعر بادراكه الاسلام وذلك انه سئل كيف سماك ابوك في الجاهلية محمداً فقال للسائل سألت ابي عما

سالتني فقال خرجت رابع اربعة من تميم انا أحدهم فتنزلنا على غدير فاشرف علينا الديراني فقال لنا انه يبعث منكم وشيكا نبيء فسارعوا اليه فقلنا ما اسمه قال محمد فلما انصرفنا ولد لكل منا ولد فسماه محمدا لذلك ومن كمال صيانة اسمه وحماية رسالته صلى الله عليه وسلم ان كل من تسمى باسمه في الجاهلية لم يدع النبوة ولا ادعاها احد له ولم يظهر عليه ما يدعو الى التوهم في امره

هذا وقد سمي الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم في القرآن وفي الكتب المنزلة باسماء كثيرة وورد في الحديث كذلك عدة اسماء وكلها اوصاف مدح والموضوع وضع الاعلام هو اسم محمد واسم احمد وقد اعتنى فريق من العلماء بجمع ما جاء من ذلك بين مستوعب ومقتصر على نوع منها ونحن نذكر في هذا الملخص جملة منها على وجه الاختصار تبركا بذكر اسمائه الشريفة ونعوته الكريمة

فهو صلى الله عليه وسلم (النبيء والرسول) خاطبه الله بقوله في القراءات يا ايها النبيء يا ايها الرسول ولم يخاطبه باسمه خصوصية له صلى الله عليه وسلم كما حزم به عياض وغيرها (الامر والناهي) كما قال تعالى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر (الامين) بذلك سماه الله تعالى في قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين على احد القولين وعليه اكثر المفسرين وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد مرفوعا الا تأمنوني وانا أمين من في السماء ياتيني خبر من في السماء صباحا ومساء . وقد كان عليه الصلاة والسلام يعرف بالامين قبل النبوة وبعدها ويكفي شاهدا قول قریش في قصة بناء البيت هذا الامين رضينا وكانت توضع عنده الودائع ولما هاجر خلف عليا ليؤدي عنه الودائع والامانات (البشير النذير) قال تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا (السراج المنير) سماه تعالى بذلك في قوله وسراجا منيرا (خاتم النبيين) وصفه بذلك في قوله ولكن رسول الله وخاتم النبيين (الداعي الى الله) قال تعالى وداعيا الى الله باذنه (ذو الخلق العظيم) ففي القراءات وانك لملى خلق عظيم وحيث وصف خلقه بالعظيم فهو صلى الله عليه وسلم عظيم اي جليل شأنه وقد وقع في التوراة في حق نبي الله اسماعيل عليه السلام وسيلد عظيما لامة عظيمة (الامي) قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبيء الامي والامي هو الذي لا يكتب كما في الحديث نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب نسبة الى الام كانه على الحالة التي ولدته امه وهذا الوصف في حقه صلى الله عليه وسلم معجزة وفي غيره تعجزة (عبد الله) سماه تعالى بذلك في آيات كثيرة ومقامات متعددة وناهيك بتشريفه باسم العبودية في مقام الاسراء فقال سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا وقال فاعرج الى عبده ما اوحى ولما خير صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا ونبيا عبدا اختار ان يكون نبيا عبدا تواضعا وخضوعا لله تبارك وتعالى وفي حديث مسلم ان احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن واما ما يذكر على اللسان خير الاسماء ما حمد وما عبد قال الحافظ السخاوي ما علمته

(الرءوف الرحيم) ففي القراءة ان الكريم لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم باؤمنين رؤوف رحيم (الفارقليط) وقعت تسميته بذلك في الانجيل بفتح الراء وسكون القاف وبسكون الراء مع فتح القاف واصله الفارقليط بباء مشوبة بفاء وءاخرة الف مقصورة ثم عرب بالباء او الفاء وحذفت الالف من ءاخرة ومعناه الذي يفرق بين الحق والباطل (رماد ماذ) بميم مفتوحة ثم الف ثم ذال معجمة منونة ثم ميم ثم الف ثم ذال معجمة ومعناه طيب طيب ولا ريب انه صلى الله عليه وسلم طيب الطيين وحسبك انه كان يؤخذ من عرقه ليتطيب به (بشرى عيسى) عليه السلام وبشرى فعلى من البشارة وهي الخبر السار اي المبشر به في قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد (طاب طاب) من اسمائه في التوراة ومعناه طيب (دعوة ابراهيم) عليه السلام كما قال صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابي ابراهيم يعني ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية (اتقى الناس) روى مسلم عن جابر مرفوعا قد علمتم اني اتقاكم وابركم واصدقكم حديثا وجماع القول في معنى التقوى قول علي رضي الله عنه الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل ولا شك انه صلى الله عليه وسلم سيّد المتقين (الاعلم بالله) قال صلى الله عليه وسلم انا اتقاكم واعلمكم بالله رواه البخاري (اجود الناس) روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم اجود الناس (الازهر) وهو النير المشرق الوجه روى مسلم عن انس انه كان صلى الله عليه وسلم ازهر اللون اي ابيض مستنيرا فهو بمعنى حديث عايشة رضي الله تعالى عنها انه كان ابيض (سيف الله المسلول) روى الحاكم في صحيحه ان كعب بن زهير لما انشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته بانت سعاد وانتهى الى قوله

ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيف الهند مسلول

قال له النبي صلى الله عليه وسلم من سيف الله (الصالح) وهو وصف جامع لمعاني الخير وفي حديث الاسراء قول الملائكة له مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح (المتوكل) من اسمائه في التوراة ففي البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفاته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبي ورسولي سميتك المتوكل وفي التنزيل وتوكل على الله (مدينة العلم) جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا مدينة العلم وعلي بابا رواه الترمذي وصححه الحاكم ايضا عن علي ورواه الحاكم والطبراني وابو الشيخ وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما والصواب انه حديث حسن كما قال ابن حجر لا موضوع كما زعم ابن الجوزي ولا صحيح كما قال الحاكم ولكن من المحدثين من يسمي الحسن صحيحا (قائد الغر المحجلين) روى الشيخان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان امي يدعون يوم القيامة غرا محجلين

نسب الرسول عليه السلام

ومناسبتة لعلي ذلك المقام

سلسلة النسب النبوي - شرفه - طهارته - زكأؤه

بقلم صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ سيدي
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

رسول الله صلى الله عليه وسلم هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن حكيم (ويلقب بكلاب) بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

ويتهيئ نسب عدنان الى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام باتفاق علماء الانساب في الاسلام والجاهلية وبالتواتر عند العرب وغيرهم من الامم السامية . وبخصوص القرآن والسنة قال الله تعالى مخاطبا اهل مكة « ملء ابيكم ابراهيم » وقال تحكيمة عن ابراهيم « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم الى قوله : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم » وقد ثبت في السنة ان النبيء

من آثار الوضوء (سيد بني آدم وحامل لواء الحمد) لقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة رواه مسلم وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال انا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا وصف نفسه بتلك الاوصاف وامثالها تحدثا بالنعمة لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث كما يرشد اليه قوله في حديث الترمذي ولا فخر ولان ذلك من البيان الذي يجب تبليغه لامته ليعرفوه ويعتقدوه (الماحي والحاشر والعاقب) هذه الاوصاف الثلاثة وردت في حديث محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب رواه الشيخان وقد فسر الماحي في الحديث بانه الذي يمحو الله به الكفر قال القاضي عياض اي من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد بانه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى ظهور ما جاء به من الحجج والبراهين الواضحة الدالة على بطلان ما ينتحله ارباب الملل والنحل من الضلالات والاعتقادات الفاسدة وفسر الحاشر بانه الذي يحشر الناس على قدمه اي يقدمهم وهم خلفه لقوله في رواية اخرى يحشر الناس على عقبي والحديث انا اول من تنشق عنه الارض ومعنى العاقب لغه هو الآخر والمراد به في الحديث انه الذي ليس بعده نبي ولا شك ان سيدنا ومولانا محمدا هو خاتم النبيين وامام المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين واصحابه الطيبين والحمد لله رب العالمين .

محمد بن يوسف

عليه السلام انتسب (اي ذكر ءاباءه) فبلغ مرة الى كنانة ولم يزد وبلغ مرة الى عدنان ولم يزد وزاد مرة فذكر عدنان بن أدد ثم امسك وروى عنه ابن عباس انه لما بلغ عدنان قال كذب النسابون مرتين او ثلاثا اي لا تحقيق عند العارفين بالانساب بمن فوق عدنان او بمن فوق أدد قال السهيلي والاصح ان قوله كذب النسابون من كلام عبد الله بن مسعود وان عمر بن الخطاب ايضا قال انما تنتسب الى عدنان وفوق ذلك لا ندري ما هو اهـ

وام رسول الله هي ءامنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم فزهرة اخو قصي وهي تلتقي مع رسول الله في حكيم هذا العقد النفيس ما انتظم في سمطيه الا جواهر لم يشنه وكنت ولم تنخره قاذحة فكانت كل فرائده في الاحيال نيرة واضحة ، وما هو الا نسب شريف العنصر ، وكفاه برهانا ان يسمع واع ويرى مبصر ، وان الله تعالى كما قدر لمحمد ان يكون افضل رسله ، وان يكون مبعوثا بما يوصل اليه من اقوم سبله ، كذلك قدر له اكمال الفضائل في ذاته وما يحف به ، وجعل اول مظهر لذلك ان قدر له طهارة نسبه . حتى لا توضع تلك الجوهرة الفضة في غير صدف امثالها ولا تزن بنقيصة تنطرق اليها او الى مثالا ، فاذا نحن غصنا في بحر الانساب روم استخراجها ، ملئت نفوسنا عجبا من صفاتها وابتهاجها ، فمثلنا حينئذ كمثل قوله :

او درة صدفية غواصها بهيج متى يرها يهل ويسجد

شرف هذا النسب

ان شرف العنصر والنسب معدود في الفضائل الذاتية ولكن ليس عدله في الفضائل من حيث هو كاف في تحصيل فضائل الذات اذ قد يخلف للفرع مخيلة الاصل ، وبنبت في منابت النخيل شجر الاثل وانما يعد فضيلة من حيث هو وسيلة الى نماء الفضائل في النفس المطبوعة على الفضيلة ، وقدوة للخلف يأتسون بها ءثار اسلافهم في مرتقى الكمال فيحصل من ذلك كالان كمال الذات وكال القدوة ، ومن حيث هو قاطع لالسنة الحاسدين الذين يحسدون اهل الكمال على كمالهم ، والمعاندين لكل من يدعوهم الى خلع ذميم اعمالهم فاذا لم يجدوا مغمزا فيمن حسدوه وعاندوه التمسوا له ما يحف به من العوارض ولا شيء يحف بالمرء اشد به تعلقا من حال ءابائه فمن اجل ذلك شرف الله قدر نبيه بان قدر له في الازل ، ءاباء كانوا في مرتبة السؤدد واجل ، وقد قال الله تعالى « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم » وقال « لقد جاءكم رسول من انفسكم » قرىء في الآيتين بضم الفاء في لفظ انفس على انه جمع نفس فيكون معناه من نسبهم لان لفظ النفس متعين في هذا المقام لهذا المعنى ويقفهم منه ان المقصود به نسب خاص وهو النسب الرفيع اي من خير انسابهم بقرينة مقام المدح والمن . وقرىء بفتح الفاء من انفس ففسر بانه اسم تفضيل مشتق من النفاسة اي من اشرفهم والمراد

شرف النسب روي عن علي بن أبي طالب يآثره الى رسول الله انه قال من انفسكم نسبا وصهرا وفي صحيح البخاري عن ابي سفيان في حديث هرقل انه كان من كلامه مع ابي سفيان ان قال له : « وسالتك عن نسبه (يعني النبي صلى الله عليه وسلم) فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها »

ان شرف النسب يقوم من شرف القوم وشرف العشيرة ومن نزاهة سلسلة الآباء والامهات عن ان يلتصق بهما ما يثلم ذلك الشرف . ويعود تقصه بغضاضة في شرف الخلف .

فاما شرف القوم وشرف العشيرة فحاصل في شرف العرب من بين الامم وفي شرف قريش وفي شرف بني هاشم ولست الآن بصدد تفصيل الكلام فيهما لان ذلك يطول وأقتنع هنا بما رواه مسلم في صحيحه والترمذي عن وائلة بن الاسقع (١) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم »

واما نزاهة سلسلة الآباء والامهات فنزاهة سلسلة الآباء هي السؤدد ونزاهة سلسلة الامهات هي الصيانة فاما سؤدد آباءه صلى الله عليه وسلم فالولم ابراهيم رسول الله ثم ابنه اسماعيل رسول ابن رسول وهو افضل اولاد ابراهيم على الصحيح ثم ان جميع آباء رسول الله الذين حفظت اسمائهم الى عدنان كانوا افضل احيالهم في اقوامهم وجمع مكارمهم مرموقين بعين الوقار والتعظيم . فابوه عبد الله فضله الله بمقبة نذر عبد المطلب ابيه ان يذبحه قربانا لله شكرا على ان جعله عاشر عشرة ذكور من ابنائه والهم الله قريشا فاشاروا بفدائه بمائة من الابل فكان ذلك الهاما آلهيا ليكون آخر آباء رسول الله في ذرية ابراهيم ذريحا مقدي كما كان اولهم من تلك الذرية ذريحا مقدي ولذلك وصف رسول الله بانه ابن الذريحين . وابوه عبد المطلب كان افضل قريش وسيد اهل البطحاء ومظهر بشر زمزم كما ظهرت لاسماعيل . وابوه هاشم واسمه عمرو كان سيد قريش ومطعم الناس في المجاعة قال عبد الله ابن جدعان :

عمرو العلاء هشم الثريد لقومه قوم بمكة مستنين عجاف

وابوه عبد مناف كانت قريش تلقبه قمر البطحاء . وابوه قصي هو سيد قريش ومعيد مجدهم وجامع شتاتهم وهو الذي استرد ولاية الكعبة من خزاعة . ولم يحفظ لنا التاريخ ما كان من السيادة لحكيم ومرة على قومهما . وكعب كان من اعظم سادة قريش والعرب قاطبة وهو اول من سمي يوم

(١) وائلة بالثاء المثناة والاسقع بقاف وهو من بني كنانة صحابي خدم النبي ثلاث سنين وتوفي

العروبة بالجمعة لانه كان يجمع فيه قريشا ويخطبهم وقد أرخت قريش بعام موته (١) ولم يحفظ لنا التاريخ مما كان من مجد لؤي وغالب وفهر الملقب بقريش لانه كان يقرش عن خلة المحتاج فيسدها بماله . ومالك والنظر طوي مجدهما في منسي التاريخ . وكنانة كان عظيم القدر اعز من دفعت اليه المطي . وخزيمة لم يحظ التاريخ بذكر مجده . ومدركة كان في وجهه نور فكانوا يعلمون به انه يؤذن بني يخرج من نسله والياس اول من اهدى البدن الى الكعبة وهو الذي ظفر بالحجر الذي قام عليه ابراهيم لبناء الكعبة وهو المسمى بمقام ابراهيم . وابوه مضر كان افضل قومه وقد روي (٢) ان رسول الله قال لا تسبوا مضر فانه كان قد اسلم . وابوه نزار كان في وجهه نور وكان واضع الكتابة العربية في احد الاقوال . وابوه معد كان قائد قومه وكان يحارب بني اسرائيل يدفع غاراتهم عن بلاد العرب . وابوه عدنان كان اشرف العرب وكان يختصر لما غزا بلاد العرب وغزا اريشليم حمل معه عدنان ومعه النبي ارميا الى بابل . وبين عدنان واسماعيل اربعون ابا او سبعة وثلاثون اسدلت العصور على مجدهم ستور القدم فحجبت عنا مجدا يملا ذكره السمع والفم .

وهل ينبت الخطي الا وشيجه وتنبت الا في منابتها النخل

طهارة هذا النسب

طهارة النسب هي خلوصه من الشكوك والامشاج وهذا النسب النبوي قد كان اباؤه في شرف محتدهم وحسن سمعتهم وراءاستهم لافضل مكان في بلاد العرب وفي العالم اجمع وهو بيت ابراهيم وتسلسلهم من ابراهيم ماكانوا ليجعلوا اقترانهم بالنساء الا على طريقة العقد المسمى بالنكاح الذي تقوم حقيقته من وصفين وهما الاختصاص والشهرة الذين هما اوثق ضمان لصحة النسب فالاختصاص هو حقيقة النكاح اي ان تختص المرأة برجل لا يقربها غيره ما دامت في عصمته لم تنفصل عنه بطلاق او موت وبذلك الاختصاص لا يتطرق الاحتمال في الابوة والبنوة ، والشهرة ان يخطب الرجل المرأة بواسطة اوليائها او ذوي قرابتها من رجال قبيلتها فترضى ويرضون ويدفع اليها صداقا وتزف اليه علنا بذلك يسلم النسب من الخفاء والادعاء قال محمد بن السائب الكلبي النسابة « كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيها سفاحا ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية غير النكاح »

(١) كان موت كعب قبل عام الفيل بخمسمائة وستين سنة .

(٢) رواه ابن سعد عن عبد الله بن خالد مرسلا . وفي الروض الانف للسبيلي ان الزبير بن بكار روى في مسنده لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مؤمنين وكلا الحديثين بين مرتبتي الحسن والضعف .

فتنزيه الله نسب رسوله من ذلك ليس لكون تلك العقود محرمة اذ لم يكن يومئذ شرع يميز الحلال من الحرام ولكن لان ما عدا النكاح يعتريه الشك في صحة النسب المتولد منه

زكاء هذا النسب

اردت بزكاء النسب سلامة السادة ابناء رسول الله من وصمة الحزبي يوم عرض الامم وحسابها وهذا فضيلة دينية ليس اليها كبير التفات في شرف الابن لان النقائص الجثمانية اذا اعترت الاصول كان من شأنها ان تجر للفرع نقصا يتطرق خلقته لان الفرع سلالة من الاصل او يتطرق عرضه او رمق عيون القوم اياه اذا كانت نقائص الاصول مما يذم به الاصل في عرف البشر او عرف القبيلة كعدم الحصانة في الامهات وخسة الفعال في الآباء كما اشرنا اليه انفا ، واما الاغلاط الاعتقادية والعلمية فهي اشياء تتعلق بالتفكير وهو حركة النفس في المعقولات وتلك من الانفعالات النفسية المتجددة والمتغيرة وليست من اصل الحلقة الا ترى انها تقبل الابداع والاضمحلال والزيادة والنقصان بحسب البيئة والتعليم وحسن التلقي وصحة العلوم والانكباب على التمحيص وبحسب اعداد تلك فرما صدئت عقول ناهية ذكية بسبب الاعراض عن استعمال ذهابها وربما تقفت عقول بطيئة بقوة الكد والانكباب فعلينا من ذلك ان الاعراض الفكرية لا ينجر مفعولها من الاصل الى فرعه ولا يثبت حكمها الا لصاحبها خاصة ، فالنظر الى الحالة الاعتقادية في ازمان الجاهلية ان كان من توقع تطرق النبز للبتصف بها فاهل الجاهلية كانوا يعدون الذين اعتقدوا اعتقادهم من كمل سادتهم فلا يتوقع منهم ان ينزوا الرسول عليه السلام بتقدير كون بعض اباائه كانوا يعتقدون اعتقاد الجاهلية ، وان كان من جانب توقع غض نظر المسلمين فالمسلمون قد تقرر في قلوبهم من جلالة قدر الرسول عليه السلام وفضله ما لا يخالجهم معه خاطر من خواطر التنقيص

واما من جانب الحقائق فتتقص المرء لاحوال اصوله تنقيص وهمي اذ الحقيقة لا تسمح بان يوصف احد الا بما فيه والامور الوهمية انما تظهر آثارها في العالم الدينيوي واما العالم الاخروي فهو عالم الحقائق فلا يتقص المرء فيه بالاحوال الاضافية المنجسة من غيره « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » فالزكاء الاخروي لا يؤثر وجوده ولا عدمه شرفا في الدنيا والآخرة قبل مجيء الشريعة اذ التدين بدين باطل او بالكفر والشرك لا ينافي كرم العنصر ولا شعار السؤدد فكم من سادة وكرام وقادة امم كانوا في العرب وغيرهم بلغوا من شرف المجد ومرتقى السؤدد مبلغا بعيدا ولم يكونوا متقليدين ديناصحيحا وكم من صالحي قوم وطلاب نجاة كانوا ضعفاء لا يؤبه بهم وقد قال قوم شعيب له « لولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزير » وكان حاتم الطائي وهرم بن سنان وعبد الله بن جدعان من اكبر سادة العرب من المشركين وفي الحديث « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية

خيارهم في الاسلام « فلو كان آباء رسول الله او بعضهم على دين العرب في الجاهلية كما كان آباء افاضل المسلمين من الصحابة لما كان ذلك محلاً بما ثبت لهم من كرم العنصر وشرف السؤدد ولا منقصاً من قدر الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن عظم قدر الرسول وكرامته على ربه زوت له من عند ربه الكريم جميع ما به التفاضل والاعتبار فضم الى كرم عنصره في الدنيا شرف آبائه في الآخرة

والشرف الاخروي يتقوم بالنجاة من العذاب وبرفع الدرجات في دار الثواب ولعلماء الاسلام في تحقيق مقام آبائه صلى الله عليه وسلم من هذا الشرف اقوال فكأن جماعة قليلة نظرت الى ما يقتضي ان هذا الشرف لا يتقع به غير صاحبه وليس هو كالشرف في الدنيا يعد عدمه او الضعف فيه نقصاً بين اهلها فمن اجل ذلك لم يغوصوا بالنظر واتبعوا ادلة ظاهرية فقالوا ان آباء رسول الله الذين كانوا على دين قومهم غير ناجين يوم القيامة وهذا قول من يرى ان الايمان بالله ووحدايته واجب بالعقل لا بالشرع وهو قول جمهور الماتريديّة وكافة المعتزلة ورأوا ان شان العرب كلهم في تلك العصور هو الشرك وان احاديث كثيرة دلت على عقوبة مشركي العرب على شركهم في الآخرة وان رسول الله قال لاعرابي سأله عن ابيه قال في النار وانا احبب عن هذا باننا لو سلمنا ان الايمان واجب على الناس بدلالة العقل فمن انبأنا بأن ابوي رسول الله وآباءه كانوا على دين قومهم ولم لا يكونون ممن رفض عبادة الاصنام وتوخي الخنيفية ما استطاع وانهم لم يكونوا يتظاهرون بذلك اذ لا موجب للتظاهر به اذ لم تكن لهم قدرة على تقويم دين قومهم ولا شريعة توجب عليهم تفسير المنكر وربما كان التظاهر به يوجب نفور قومهم منهم فيضيع بذلك كثير من مساعينهم لحير قومهم وعمارة كعبتهم وليس وجود احد في امة تدين بالشرك يقتضي ان يكون الموجد بينهم هو على ملتهم واما الحديث الذي رواه مسلم عن حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان اعرابيا سأل رسول الله عن ابيه فقال له في النار فقال له وابن ابوك يا رسول الله قال في النار فقد اجاب عنه العلماء بوجوه احسنها ان الراوي وهو حماد بن سلمة رواه بالمعنى فغلط فيه لانه قد رواه معمر بن ثابت عن انس انه لما قال له ابن ابوك يا رسول الله قال له رسول الله حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار قالوا ومعمر اثبت من حماد فان حماداً تكلم في حفظه وله احاديث منكورة ولذلك لم يخرج له البخاري في الصحيح شيئاً وكذلك روى الحديث ابن ماجة عن الزهري عن عامر بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه بمثل ما رواه معمر عن ثابت عن انس فيكون جواب رسول الله جري على الاسلوب الحكيم على خلاف مقتضى الظاهر فلا علاقة له بالمسؤول عنه فظنه حماد جارياً على مقتضى الظاهر ولم ير له وجه اتصال بالسؤال الا ان يكون على معنى افادة الحكم الخاص بوجه العموم فعبر عنه بما اقتضى انه اخبار بأن المسؤول عنه في النار واعلم ان الحال الذي اقتضى اخراج جواب رسول الله على طريقة الاسلوب الحكيم وعدوله عن صريح الجواب

انه رأى في جواب سؤاله ما يوجب انكسار نفسه لان شأن الذي يصيبه ما يكره ان يشتد عليه اذا كان غيره ممن يظنه قد شاركه في المصيبة سالما من تلك المصيبة . وقيل في الجواب ان السائل عن بقوله اين ابوك ابا طالب فانه الذي يعرفه الناس وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينسب اليه لانه كافله الا ترى ان قريشا قالوا لابي طالب « قل لابنك يرجع عن شتم آبائنا » وقالوا له حين كتبوا صحيفة القطيعة « أسلم الينا ابنك ونحن نعوضك عنه بأحد ابنائنا » وذهب جماعة الى ان الحديث منسوخ بما دل على عدم مؤاخذه اهل الفترة وهو بعيد لان النسخ لا يدخل الاخبار والرسول على مقتضى تلك الرواية أخبر بان المسؤل عنه في النار فكيف ينسخ ما أخبر به فلا يستقيم هذا الجواب الا بتكلف . فاما جمهور علماء الامة ونحن في زميرهم فقد اثبتوا لابوي رسول الله وآبائه الشرف الاخروي ولهم في ذلك ثلاث مراتب :

المرتبة الاولى انه شرف النجاة من خزي يوم القيامة بان يكونوا ناجين من عذاب النار وذلك بأنهم كانوا على دين قومهم او بعضه ولكنهم غير مؤاخذين على ذلك لانهم لم يأتهم رسول بشرع فيكفروا به حتى يحق عليهم عذاب الكافرين بالرسول لان الله تعالى يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والمراد بالرسول هو معناه المعروف في اللغة ومن تأوله بما يشمل دلالة العقل فقد خرج عن مبيع اللغة على انه يصادمه قوله نبعث اذ العقل لا يبعث ومما نوقن به ان آباء رسول الله وامهاته كانوا كلهم من اهل الفترة اذ لم يقم في العرب العدنانية رسول بعد اسماعيل عليه السلام فان الرسل الذين جاءوا من بعده في العرب هم هود وصالح ارسلا الى عاد وثمود من العرب القحطانيين وشعيب ارسلا لاهل الرس وهم بقية من ثمود وخالد بن سنان العبسي ارسلا الى عبس خاصة من العدنانيين وقيل هو نبي وليس برسول فمن كان يعد من آباء رسول الله بعد الذين ادركوا اسماعيل فهم اهل فترة وقد قال جمهور علماء السنة والائمة الثلاثة مالك والشافعي واحمد والا شاعرة كلهم واهل بخارى من الماتريدية ان اهل الفترة غير مؤاخذين على الجهل بالله وبوحدانيته لقوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » وردوا او تأولوا جميع الآثار الدالة على خلاف هذا الاصل وقال المالكية انها اخبار آحاد لا تعارض قواطع الاعتقاد واذا بطل استحقاق العذاب لم يتحقق الوعيد في شانهم فقيل انهم غير معذبين ولا مثابين وهو ظاهر كلام المحدثين ثم يقع امتحانهم فيدخلون الجنة وقيل يدخلون الجنة دون امتحان وهو منسوب لاهل الاصول من الاشاعرة وللشافعي في الامم . المرتبة الثانية ان شرفهم الاخروي شرف الثواب على الايمان بالله الواحد على حكم ما ثبت لمن خلع الشرك من اهل الفترة مثل امية بن ابي الصلت وزيد بن عمرو بن ثعلبة فاذا كانوا كذلك ثبت لهم النجاة والثواب على قول جميع علماء الاسلام وبهذا قال الامام فخر الدين الرازي وجماعة من العلماء منهم جلال الدين

السيوطي والقسطلاني وهو قول الشيعة . وانا استروح لهذا دليلا من قوله تعالى « واذ قال ابراهيم لايه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهديني وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل تمتع هؤلاء وآباؤهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين » فثبت ان كلمة التوحيد بقيت في عقب ابراهيم اي لم تنقطع فلم تنزل يحفظها حافظ من عقبه وقوله لعلهم يرجعون اي رجاء ان يرجع من لا يعلمها الى من يعلمها فلا ينقطع ذلك من عقب ابراهيم . والاشارة والضمير عائدان الى العرب بقرينة السياق وقرينة قوله « ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » وهذه كلها مقالة العرب وآباء العرب يشمل جميع آباء جميعهم ما عدا آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه غير داخل في الاشارة ومعنى تمتعهم وآبائهم تمتعهم ~~ب~~كف العذاب عنهم في الدنيا وفي الآخرة عمن اشركوا في مدة الفترة حتى جاءهم محمد فحقت يومئذ مؤاخذتهم فيؤخذ من عرض هذا الكلام وفجواه ان آباء محمد صلى الله عليه وسلم من العقب الذين بقيت فيهم كلمة التوحيد فكانوا مؤمنين في مدة الفترة ولم يكونوا ممتعين ولا يقال لعل الذين بقيت فيهم كلمة التوحيد هم بنو اسرائيل لانا نقول : هذا القول ينافي سياق توبيخ العرب والتعريض بهم والتعليل . وهذا الدليل احسن واقرب من احتجاج بعض العلماء بقوله تعالى « وتقلبك في الساجدين » على احد تفسيرين وهو تفسير بعيد ولا حاجة الى بيان ذلك فراجع . ويعضد هذا المسلك في هذه المرتبة ما ورد من الآثار المتظافرة التي يقوي بعضها بعضا بان عبد المطلب وهاشما وعبد مناف وقصيا وكعبا وكنانة وخزيمة ومدركة والياس ومضرا وعدنان كانوا مؤمنين على دين ابراهيم وان عبد المطلب وقصيا حرما الحمر على انفسهما واوصى قصي ابناؤه بترك شرها وترك عبادة ما سوى الله تعالى فهؤلاء ثبت فيهم آثار رواها السهيلي وغيره والمكوفي عنهم من سلسلة الآباء لا يظن بهم الا انهم كانوا على دين ابراهيم لا سيما من تجاوز عدنان فان قريهم الى اسماعيل وابراهيم يقوي الظن بايمانهم بدين ابويهم المرتبة الثالثة ان يكون شرفهم في الآخرة بنيل فضيلة صالحى المسلمين من أتباع هذا الدين المحمدي . وهذه المرتبة لم يدل عليها دليل من صحاح الآثار وانما روي فيها حديث عن عائشة رضي الله عنها خاص بان الله احبى لرسول الله ابويه حتى امانا به رواه الخطيب البغدادي والسهيلي وابن عساكر والقرطبي وابن شاهين وابن المنير والطبري وابن كثير واتفق معظمهم على ان سنده ضعيف فيه مجاهيل ومال بعضهم الى تصحيحه ووقع للبعض في هذا المقام تخليط وخروج عن دائرة مجاري البحث . ونحن على ما عاهدنا عليه من ترك التكلف وصون العلم عن التحريف ويقينا بان الله اغنى اهل هذا الدين بصحيحه عن الضعيف نقول الحق ان هذا الحديث ضعيف وان نوال ابوي رسول الله فضيلة الايمان لا تكون رهنا على حالة احياء ابويه الاقربين بحيث اذا صح الحديث

زواج عبد الله بآمنة

ونبذة من تاريخ حياته

قالت :

لك مثل الابل التي نحرت عنك اذا احببت طليبي يا عبد الله
قال لها عبد الله كيف السبيل لذلك وابي لا اعصي له امرا وهو الراغب في تزويجي وله وحده
حق الاختيار وان اخلاقي تحول دون مكاشفته امرك وتقاليد عشيرتي تصدني عن ان اتجاسر واغامر
بكرامتي في سبيل ما تطلين واما الحرام وانشد :

اما الحرام فالملات دونه والحل لا حل فاستبينه

يحمي الكريم عرضه ودينه فكيف بالامر الذي تبغينه

وسار في طريقه معرضا عنها ولم يحتفل بما عرضت عليه من مائة النعم كما كان يصنع من قبل
مع اللواتي كن يتحبن اليه من فتيات مكة وقد كلفن به من شدة ما كساه الله من حلة الجمال فقد كان
عبد الله مستقيما القد معتدلا القامة جميل الطلعة مشرق المحيا

قال ابن اسحاق يزعمون ان المرأة التي تعرضت لعبد الله هي من بني اسد اخت ورقة بن نوفل
اهـ واسمها ام قتال (١) وورقة هذا هو الراهب الذي له موقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند ما اخبرته السيدة خديجة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم بما حصل له عليه الصلاة والسلام
في غار حراء فقال : لقد جاءه الناموس الاكبر الذي كان ينزل على موسى وعيسى وانه لبي هذه
الامة فقول لي فليثبت .

حققت واذا ضعف بطلت فانا اذا جزمنا بانهم كانوا على بقية من ملة ابراهيم كان ذلك محصلا
لاستحقاقهما الثواب بفضل الله تعالى وثبتت لهم فضيلة قل أن شاركهم فيها مشارك واذا انفتح باب
الفضل لم يبق الرفع الدرجات فلله الاختيار في اكرامهم باحسن ما يكرم به صالحوا المؤمنين فاذا
كان الله قد اكرم من نصر رسول الله وايدة وهم اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم أفلا
يكرم من كان سببا في ظهور رسوله وهم آباؤه وامهاته فان كل الاسباب الخاصة بالرسول مظاهر لعناية
الله تعالى به وكلها من عند الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولقد قال تعالى لرسوله (ولسوف
يعطيك ربك فترضى)

(١) وفي رواية اخرى قتيلة ولا يبعد ان ترجع الرواية الثانية للاولى وتكون قتيلة تصغير قتال

ويصح لنا ان نضم الى هذا الموقف موقفه الثاني الذي استفادته منه احتة فانه اعلمها انه سيظهر في أمد غير بعيد نبي تظهر على محيا ابيه انوار الرسالة فيا سعادة من كانت وعاء لذلك النور فما تفرست في شباب مكة حتى دار في خلدها انه النور الذي يبدو على محيا الذبيح . وما أقدمت على مكاشفته وإباحة عرضها لشابات مكة الا لتال الشرف الاسمي الذي كان يحدثها عنه اخوها الراهب وفي رواية ابن الكلبي انها تسمى فاطمة بنت مر ووصفت بانها كانت كاهنة قرأت الكتب المتقدمة وعلمت منها مثل ما تقدم عن ورقة

فمن هو هذا الذبيح ؟

وما هي المائة من الابل ؟

الذبيح هو وصف عبد الله الذي اشتهر به بين اهل مكة منذ قدمه ابوه للوفاء بنذرة وذلك ان عبد المطلب وفق للكشف عن مكان زمزم البئر التي تفجرت عيونها تحت قدمي جده اسماعيل عليه السلام وقد كان مضاض بن عمرو أخو جرحم القبيلة العربية لما عبث قومه ولم يرعوا حقوق الحرم عمد الى غزالتين من ذهب ودروع وأسياف كان جميعها داخل الكعبة فاخذها ودفنها في بئر زمزم وطم البئر واعتزل قومه من ذلك الحين ثم كانت حروب بين جرحم وخزاعة كانت العاقبة لخزاعة واجلوا جرحم عن مكة وبقيت البئر مطمومة كل ايام خزاعة وايام قريش الى ان جاء عصر عبد المطلب ففتف به هاتف في منامه يرشده الى مكان البئر بين اساف ونائلة (١) فعند ذلك جاء بالمعول يصحبه ابنه الحرث ليعينه على ما هو قادم عليه ولم يكن له في ذلك العهد سواه . وما زال عبد المطلب يتعمق في الحفر حتى ظهرت له بواذر صدق الامل بظهور الغزالتين والدروع والاسياف فرفع صوته مكبرا . هنالك اقبلت عليه قريش ولما شاهدوا ما عثر عليه عبد المطلب من الكنز دب في نفوسهم داء الحسد وترافعت الاصوات وكثر الصخب حول عبد المطلب لمن سيكون هذا الكنز العظيم وعبد المطلب واجم في سكون عميق لا ينطق ببنت شفة وهو لا يريد من قومه ان يتنازعوا في امر خص به دونهم فخطابه احد رجال قريش ما لك لا تجيب يا شيبه (٢) وانت الذي عثر على الكنز

(١) هما صنمان تذبح عندهما النسك ونقل ابن الكلبي . نزاع للعرب في امرهما من ذلك ان العرب تزعم ان اسام اسم رجل من جرحم ونائلة بنت من جرحم أيضا مسخا لارتكابهما امرا منكرا في الحرم اه وهذا المكان حيث البئر كانا فيه بعد ان قتلها عمرو بن لحي من جوف الكعبة ثم نقل اساف الى الصفا ونائلة الى الروة بعد وبقيتا هنالك الى أن ظهر الاسلام وكسرا مع ما كسر من الاصنام

(٢) هو اسم عبد المطلب الذي سمي به اولا ولما مات ابوه وبقي عند اخواله بني النجار بالمدينة قدم عليه المطلب واخرجه ردفه على ناقته الى مكة ولما رآته قريش قالوا هذا المطلب وبصحبته عبدة ولم يكونوا يعرفونه قبل ذلك الحين فغلب عليه عبد المطلب وعرف به من تاريخه وقليل من خطابه بشيبة

ورأيك أحق ان يتبع وعلم عبد المطلب ما عليه القوم من التأثير حيث فاتتهم مزية المبادرة فلا يفوتهم نصيبهم من الغنيمة . وما هم بالمستضعفين حتى اذا أثر به نفسه يتركونه وما رزق من بطن الارض ويرجعون عنه راضين . كل ذلك دار في خلدده حين لازمه الصمت فاستعجله القوم قبل الجواب وقالوا له يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق ايضا هنالك تبين له . اهام راغبون فيه ولكن عبد المطلب اخذته العزة بنفسه وأبى ان يقاسمهم الكنز فيعد ذلك منه ضعفا وهو الحريص على حفظ كرامته من ان تداس ويغلب على امره قسرا لا تفضلا منه فكان جوابه لا هلموا الى امر نصف بيبي وبينكم تعالوا الى التحكيم فمما كان من قريش الا انها اتفادت لرأيه والكل في نفوسهم شيء ولكن كيف السبيل وشية يدعو الى أمر مشروع

ثم كان الرأي على ان يضرب على الكنز بالقداح (١) فيكون للكعبة قدحان اصفران ولقريش قدحان ايضا ولعبد المطلب قدحان اسودان ومن خرج قدحاه على شيء من الكنز كان له ومن تخلف قدحاه لا يكون له نصيب وسلت القداح لمن هو موكل بها يضرب بها عند هبل (٢) فخرجت الغزالتان للكعبة وخرجت الاسياف والدروع لعبد المطلب وتخلف قدحان قريش لم يخرججا على شيء ولكن النفس الكريمة ابت ان تستأثر بشيء ولو عن حق ولو كانت في أشد الحاجة اليه فابى عبد المطلب الا ان يكون الكنز كله للكعبة عن طوعية لا بمفعول الارهاق فعمد الى الاسياف التي خرجت له وضرب منها بابا للكعبة وجعل احدي الغزالتين صفائح وجعل الاخرى في الكعبة وعد اهل السير انه اول ذهب حليت به الكعبة فكانت مبرة من شية قدر له اهل مكة قدرها

ولم تقف بقريش المنافسة عند هذا الحد بل نازعوه ايضا في تقرده باتمام حفر زمزم كما نازعوه فيمن تكون له السقاية حتى قام له عدي بن نوفل بن عبد مناف وسار اليه متفخخ الاوداج من شدة ما يحس به من وجد وكذلك كل ذي نعمة محسود وقال له : يا عبد المطلب تستطيع علينا وانت فذ لا ولد لك يعني بذلك انه لم تعدد ابناءؤه فاحفاها عبد المطلب في نفسه ولما تم له حفر البئر وسلم له في السقاية دعا ربه ونذر ان لو يرزق عشرة بنين يشد بهم عضده ويقوي بهم ساعده على منافسيه في الرعامة ويتفاخر بهم على عدي واضرا به لينحرن اقدمهم قربانا عند الكعبة

ولما تكامل بنوه عشرة وقرعنا بهم اعلهم بنذرهم ودعاهم الى الوفاء فلبوا نداءه وتقدموا اليه طائعين ولم يعصوا له امرا فحكم فيهم القداح وكذلك كانت قريش كلما اشتدت بها الحيرة في امر لجأت الى تحكيم الآلهة المزعومة عن طريق القداح فامر بنيه ان يأخذ كل واحد منهم قدحا ليكتب

(١) القداح بكسر القاف جمع قدح وهو السهم قبل ان يراش وينصل

(٢) اسم صنم كان في جوف الكعبة وهو الذي يعنيه ابوسفيان بن حرب يوم احد حين انتهت الواقعة حيث نادى باعلى صوته اعل هبل اي اظهر دينك

عليه اسمه ثم تقدم بها الى هبل وسلمها الى القيم ليضرب بها على الابناء فخرج القدح على عبد الدار (١) الابن الاصغر من كانت لايه نحوه مزيد شفقة ورحمة وكذلك شان الاب مع اصغر بنيه ولكن ما حيلة عبد المطلب والامر ليس له منه بد في زعمه فاخذ الشاب من يده وسار به نحو أساف ونائلة الصنمين حيث المذبح بينهما وامسك بيده الشفرة وتله للجين هنالك تعالت الاصوات من كل جانب وما هي الا اصوات اشراف قريش قد قدموا عليه يمانعونه فيما عزم عليه وقيمون عليه الحجة بان لا يتركها سنة بعده وخاطبوه ان فعلت هذا لا يزال الواحد منا يأتي بابنه حتى يذبحه

ثم هذا المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم يناشده الله ان لا يذبح ابنه حتى يعذر فيه ثم يقول له لان كان فداؤه باموالنا فديناه . فما وسع الاب الشفوق الا ان ينزل عند ارادتهم من استفتاء الكاهنة التي بالحجر عند يثرب (مدينة الرسول بعد) وحضروا عندها وقد احضر عبد المطلب ابنه الذبيح معه فاستفتاها في حادثة ابنه فافتتهم بعد ان اهلتهم مدة استعمالها من تابعها كما تزعم ويزعمون ان ارجعوا الى بلادكم حتى اذا حضرت عند الحرم قربوا صاحبكم الذي خرج قدحه الى مكان ضرب القداح ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعلى الابل القداح فان خرج القدح على صاحبكم فزيدوا في الابل عشرة اخرى وهكذا حتى يرضى ربكم ويخلص صاحبكم فاذا خرجت على الابل فانحروها قد رضى ربكم ونجى صاحبكم

هنالك وجد عبد المطلب المختلص لابنه بما بينته لهم الكاهنة من وجه الاعتذار وما كان اهل الشرك يلتجئون الى امثال هاته الكاهنة الاليتحللوا من اثم عظيم . ويتقبلون ما يفتونهم به بكامل الانقياد وحسن الاعتقاد مؤولين ذلك انه لا يكون الا من طريق آلهتهم المنزوعة فلا حرج عليهم بعد ان ياتوا بما جاءهم به الكهان وكذلك كان غالب حالهم بقطع النظر عن خصوص هاته الحادثة فما كانوا يلتجئون الا الى امثال هاته الابطال التي ما انزل الله بها من سلطان وقد جاء الاسلام بعد بمقاومة امثال هاته الترهات وان الحكم الا لله (فان اختلفتم في شيء فردوه الى الله والرسول) والرجوع به الى الله والرسول هو الرجوع به الى الشرع الاسلامي القويم الذي اختاره الله للناس كافة وما ربك بظلام للعبيد ولما باشر عبد المطلب ما اشترت به الكاهنة وضربت القداح على الذبيح والابل خرج القدح الاول على عبد الله فزاد عبد المطلب عشرة من الابل واستمر في كل مرة يخرج القدح على الذبيح والاب يزيد عشرة من الابل الى ان بلغت مائة فخرج القدح على الابل هنالك رفع الاب صوته مقسما انه لا تطمئن نفسه الا اذا تكرر ذلك ثلاثا وفي كل مرة تخرج على الابل حيثن اطمان

(١) هو الاسم الاول الذي سمي به عبد الله بن عبد المطلب وما كان يعرف الابه ثم لما وقع الفداء اطلق عليه ابوه عبد الله وسماه به فصار من يومئذ يعرف به

فؤاده وفدى ابنه فنحرت الابل وتركته لا يصد عنها انسان ولا حيوان . فذلك الابن هو الذبيح الذي فداه ابوه عبد المطلب بمائة من الابل وسماه من بعد الفداء بعبد الله وتلك هي المائة من الابل التي عرضتها ام قتال اخت ورقة ابن نوفل على شاب قريش وثاني الذبيحين يروي لنا الحاكم : ان اعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا بن الذبيحين فتبسم عليه الصلاة والسلام ولم ينكر عليه .

وكان من رأي عبد المطلب بعد ان نجى ابنه عبد الله وقدم الفداء عنه ان يزوجه فخرج يخطب له من بني زهرة فأتى عبد المطلب الى وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة نسا وشرفا وخطبه آمنة ابنت اخيه وهب لابنه عبد الله وكانت يومئذ في حجرة لموت ايها فاستبشر وهيب لها ته الخطبة واجاب طلب عبد المطلب فيما يرغب فيه لابنه كما اجابه لما خطبه في ابنته هالة لنفسه التي استولدها حمزة ضريب رسول الله وصفية . وهل من سبب في اختيار عبد المطلب زوجة ابنه عبد الله من بني زهرة دون سواهم من بيوتات العرب وبطون قريش وعلى الخصوص آمنة من بين نساء بني زهرة ؟ يذهب روات اخبار العرب في ذلك كل مذهب فهذا ابن دحية يروي عن البرقي ان سبب اختياره لها من بني زهرة هو ان عبد المطلب كان يأتي اليمن وكان ينزل فيها على عظمائهم فنزل في هاته المرة عليه فاذا عنده رجل ممن قرأ الكتب فقال له ائذن لي ان افتش منخرك فقال دونك فانظر فقال ارى نبوة وملكا واراها في المنافين عبد مناف بن قصي وعبد مناف بن زهرة فلما انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله الى بني زهرة فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب فولدت له حمزة وزوج ابنه عبد الله آمنة فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروي غير ابن دحية عن ابن عباس ما حدثه به ابوه نفسه عن سبب الاختيار وهو قريب مما تقدم ويحق لنا ان نبحث في هاته الرواية من جهة ان عبد المطلب لماذا وقع اختياره في سليلة عبد مناف بن زهرة دون سليلة عبد مناف بن قصي ولو راعى هاته الرواية لتزوج هو من احدى القبيلتين وابنه من الاخرى وفي ذلك من الحيلة ما لا يخفى واما اختيار الزوجة خصوصا آمنة من بين شابات بني زهرة فيروي لنا بعض الرواة ان كاهنة قالت يا بني زهرة ان فيكم من تلد نذيرا فاعرضوا علي بناتكن فعرضن عليها فقالت في كل واحدة منهن قولا حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه تلد نذيرا له شان وبرهان منير فيكون عبد المطلب علم بقصة الكاهنة فكانت بشارتها هي الحامل له على ان يختارها لابنه زوجة بقي انه اذا علم ذلك فلم اختار لنفسه هالة سيما بعد ما اعلمه الكاهن من امر النبوة والملك

وتم نكاح عبد الله بآمنة يوم الاثنين على طريقة انكحتهم فقد كان الرجل اذا اراد ان يتزوج يقول هو او قريبه خطب ويقول اهل الزوجة نكح ويتم بذلك النكاح بعد ان يتواطأ على مقدار من

المال يقدمه الزوج للزوجة ويسمونه الملاك وربما عبروا على النكاح بالاملاك وهذا النكاح هو الذي اقيمت عليه انساب العرب وهو الشائع في قبائلهم وهو المعنى في قوله عليه الصلاة والسلام فيما خرجه البيهقي في دلائل النبوة عن انس رضي الله عنه : ما افترق الناس فرقتين الا جعلني الله من خيرهما فاخرجت من بين ابوي فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية وخرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت الى ابي وامي فانا خيركم نفسا وخيركم ابا

وهذا الشيء الذي كان في عهد الجاهلية مختلف الاساليب احدها السفاح وهو المنفي في الحديث وهو ان تسافح المرأة رجلا ويزني بها ثم اذا توافقا على النكاح بعد يجري على الصورة الاولى الثاني جماع البغايا بان يدخل على المرأة جماعا حتى اذا حملت ووضعت حملها الحقته بمن يغلب عليه شبهة ممن وطئها الثالث الاستبضاع وهو ان يستبضعها زوجها اذا طهرت من حیضتها من اجني ثم يعتزلها حتى يستين حملها من ذلك الرجل الذي استبضعت منه ثم ان احب زوجها ان يصيبها بعده اصاها الرابع الجمع وهو ان يجتمع ما دون العشرة من الرجال ويدخلون على ذات الرأية من البغايا يطوؤونها ثم اذا مضت عليها ليل من وضع حملها ترسل لهم ولا يستطيع رجل منهم ان يمتنع عن الحضور ثم اذا اجتمعوا تقول لهم قد عرفتم الذي كان من امركم وقد ولدت ثم تلحقه باحدهم الذي تختاره منهم وهاته الانواع الثلاثة مع النوع الاول وهو النكاح هي الواردة في البخاري عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ان النكاح في الجاهلية كان على اربعة اشياء نكاح كنكاح الناس اليوم تعني المشروع في الاسلام وانما يختلفان هو بلفظ خطب ونكح والمشروع بلفظ الايجاب والقبول ونكاح البغايا ونكاح الاستبضاع ونكاح الجمع

ويذكر المؤرخون انواعا آخر السفاح وهو المتقدم . والمقت وهو الذي نزل فيه قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف) على ما ذكره البخاري قال كان في الجاهلية وصدر الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها فالتقى ثوبه على تلك المرأة وصار احق بها من نفسها ومن غيرها فان شاء ان يتزوجها تزوجها من غير صداق الا الصداق الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ولم يعطها شيئا وان شاء عضلها وضارها لتقتدي منه فمات بعض الانصار عن زوجة فجاء ولد له من غيرها وطرح ثوبه عليها ثم تركها لم يقربها ولم ينفق عليها ليضارها لتقتدي منه فماتت تلك المرأة وشكت حالها للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى : ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم الآية

ويظهر من سيرة العرب أن جميع الأنواع ما عدا الاول ليست من السنة المثلى التي يتخذها اشراف العرب وانما يعتمد اليها اهل الخلع والمجون وهم في ذلك غير مرتضين منهم صنيعهم ذاك ويعدو اهل المروءة من العرب انه اتباع للهوى ولربما اعتقدوا حرمة كابدلنا على ذلك تسمية بعض

مكان حمل رسول الله

صلى الله عليه وسلم وبلد الولادة ومكانها

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز
جعيط المقي المالكى والاستاذ بجامع الزيتونة

اقترح علي بمناسبة استهلال شهر المولد الشريف ان ألم باطراف هذا الموضوع الاثري مكان حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلد الولادة ومكانها فاخذت اتقصى المصادر التي يستقى منها ويستند اليها فالفيت الروايات مضطربة والخلاف متسع المجال في هذا الموضوع وفي عامة الاطوار والحوادث السابقة على النبوة فحداني ذلك الى البحث عن اسباب اضطراب الروايات وتعدد الاقوال المبسوطة في كتب المواليد والسير وقد انتهى بي قطع مراحل البحث والتفكير الى اعتقاد ان الاضطراب نتيجة امور

احدها اعتماد العرب في الحوادث على الحفظ والرواية واهمال تقيدها بالكتابة لقلة انتشارها يومئذ فتتوارى الحقيقة مع مرور الزمان بحجب الاوهام والسيان
ثانيها ابتداء الخراصين وتلفيق الافاكين حكايات بعيدة عن الحقيقة ظنا منهم ان كل ما يفيض الى مقصد نبيل وغرض شريف كتنمية حب الرسول وتعظيمه يباح ابتداعه فيتلقف من لا تحقيق عنده صنيعهم بالقبول فيتسع مجال الخلاف والاضطراب

اقسامه بالملتق وقول عبد الله للمرأة التي عرضت عليه نفسها اما الحرام فالملات دونه : اذا صحت الواقعة) وما كان شائعا الا النوع الاول . وهذا ابن الكلبي يحدثنا انه كتب للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجد فيها سفاحا ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية في بعض احوالهم . ونحن ان شككنا في صحة كل ما يدعيه من حيث علمه باشخاص الامهات وازواجهن فلنا شواهد اخرى على شيوع النكاح حتى من الحديث المتقدم في نبوت النكاح في كافة سلسلة النسب الشريف وكان دخول عبد الله على آمنه يوم الاثنين من شهر جمادى الثانية قبل قدوم الفيل ببضعة اشهر عند اهلها في منازل بني زهرة بعد ان املكها وهو نفس اليوم الذي دخل فيه ابوه عبد المطلب على هالة بعد ان اولما على الطريقة التي كانت تتخذها العرب في اعراسهم من ضرب الدقوف واشهار الاسنة والسيوف ويشر الزوج على الحاضرين عند الزوجة الثار وقد كان ثارهم اذ ذاك التمر وانتهت ايام العرس بعد مضي ثلاثة ايام من الزفاف

الثالث طريان الاهتمام بتحقيق تلك الاحوال بعد عهد حدوثها بزمن بعيد ينزل في اثنائه نازل الحما فيودي بمشاهديها ولذلك اسباب

الاول ان العناية باحوال الرسول لا تتوجه الا بعد تقرر الارسال ورسوخ دعائمه وتأصله في نفوس المؤمنين به فاذ ذاك تبعث الرغبات في ارتياد الاحوال السابقة للنبوة اقيادا لعامل المحبة والتعظيم فيكون بين الزمانيين زمن الحوادث وزمن البحث أمد طويل، تستتر معه الحقيقة

الثاني ان الاستشراف لاستجلاء احوال ما قبل النبوة لا يحدث الا بعد تمام استقصاء احوال ما بعد النبوة لتأثير الاحوال الثانية في التشريع دون الاحوال الاولى فلا تمت الى التشريع بسبب ولا يتعلق بها غرض لولا مكانة صاحبها في النفوس وذلك يشغل الفئة المعاصرة للنبوة والشاهدة ما قبلها عن تتبع الاحوال الاولى

الثالث ان موارد الاهتمام ومسارح البحث تختلف باختلاف العصور واحوال الباحثين فربما اهتم اهل عصر بما لا تتجه اليه عناية اهل عصر اخر لتباين الميول واختلاف الادواق فينشأ الاختلاف لقلة الاهتمام بالحادثة المبحوث عنها ونحو اهتمام الحاضرين لها عنها فيضعف اليقين ويحصل الاختلاف واذا أفضينا بنجوى النفس وعصارة التفكير وعندي انهما من الملح . فلم يبق الا السير الخيث الى افاضة الكلام على الحديث المقترح

مكان ابتداء الحمل

كان ابتداء الحمل برسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطى (١) ذلك ان بناء عبد الله بن عبد المطلب على امانة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة كان في شعب ابي طالب ووقع الحمل اثر البناء كما تدل عليه قصة المرأة الكاهنة او التي معها ضرب من الفراسة فانها عرضت نفسها على عبد الله بن عبد المطلب فأبى وبعد ان تزوج بأمنة واقام عندها ثلاثا خرج من عندها واتى المرأة الراغبة فيه وقال مالك لا تعرضين علي ما عرضت علي بالامس قالت فارقتك النور الذي كان معك بالامس فليس لي بك اليوم حاجة انما اردت ان يكون النور في فابي الله الا ان يجعله حيث شاء فهذه القصة ان صحت تدل دلالة واضحة على ان ابتداء الحمل كان اثناء الليالي الثلاث من ليلة البناء التي اقام فيها بشعب ابي طالب

بلد الولادة ومكانها

جمهور اهل السير متواطئون على ان الولادة بمكة وشذ من زعم ان الولادة بعسفان وهي قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلا من مكة واذا اخذنا بالمذهب الصحيح من ان الولادة بمكة ففي (١) هو الموضع الذي بين منى والحجون . والحجون جبل يبعد عن مكة بنحو ثلاثة اميال وبه مقبرة اهلها .

حالة العرب الدينية

قبل البعثة والبشائر به صلى الله عليه وسلم

بقلم العالم النحرير الشيخ محمد الصادق
المرحزي الأستاذ بجامعة الزيتونة

كانت العرب من ولد اسماعيل عليه السلام ومن جاورهم من قبلي جرهم وخزاعة يوحدون الله ويحجون ويطوفون بالبيت العتيق ملبيين بتلبية الحليل عليه السلام وهي لبيك اللهم لبيك وحدك لا شريك لك لبيك ولما توفي تولى امر البيت بعده ابنه ثابت ثم توفي ثابت فتولى امر البيت مضاض بن عمرو الجرهمي جد ثابت لأمه واستمرت جرهم ولادة البيت والحكام بمكة لا ينازعهم اولاد اسماعيل في ذلك لحقوا ولهم الى ان بغت جرهم بمكة وظلموا من يدخلها من غير اهلها واكلوا مال الكعبة الذي يهدي لها وحيثد قامت عليهم قبيلة خزاعة واطردوهم من مكة الى اليمن ودفنت جرهم ما عندهم من الذخائر الذهبية في بئر زمزم وردموها واخفوا اثرها الى ان اظهرها عبد المطلب لرؤيا رءاها وكان اخر سيد منهم عمر بن الحارث الجرهمي وهو القائل

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولادة البيت من بعد ثابت نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا صروف الليالي والدهور البواتر

ثم تولت خزاعة امر البيت . وكان اول سيد منهم عمرو بن لحي الخزاعي يقال انه عاش ثلاثمائة

تعيين المكان اقوال الاول ان محل الولادة شعب بني هاشم من الطرف الشرقي بمكة الثاني ان محلها ردم بني جمح بمكة وهو لبني قراد والردم بفتح الراء وسكون الدال الثالث ان محلها الدار التي انتقلت لمحمد بن يوسف الثقفي اخي الحجاج بن يوسف صاحب بني امية وموطد ملكها وهي دار بزقاق المدك كانت قبل بيد عقيل بن ابي طالب قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبها له فلم تزل بيده حتى توفي عنها فباعها ولده من محمد بن يوسف وقيل ان عقيل باعها بعد الهجرة تبع القريش حين باعوا دور المهاجرين ويقال ان محمد بن يوسف أدخل ذلك البيت في داره التي يقال لها البيضاء فلم تزل كذلك حتى حجت خيزران ام الرشيد فافردت ذلك البيت وجعلته مسجدا يصلي فيه ويقال ان دار محمد بن يوسف بنتها زبيدة زوجة الرشيد مسجدا حين حجت وهي عند الصفا

محمد العزيز جعيط

سنة واربعين سنة وولد له الف مقاتل وكان يذبح في موسم الحج عشرة آلاف بدنه ويكسو عشرة آلاف حلة وبلغ من الشرف ما لم يبلغه احد قبله ولا بعده من العرب في الجاهلية كل ذلك والعرب يوحدون الله ولا يشركون به شيئا الى ان خرج عمرو الى الشام في حاجة له فوجد العماليق من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام يعبدون الاصنام فسالهم عنها فقالوا له اصنام نستمطر بها فتمطرنا ونستصر بها فتصرنا فقال لهم الا تعطوني صنما منها اذهب به الى ارض العرب فاعطوه صنما يقال له هبل فجاء به الى مكة ونصبه في جوف الكعبة وامر العرب بعبادته وتعظيمه فامتثلوا امره وظلوا عليه عاكفين وبه مشركين يستقسمون عنده بالازلام ويتقربون اليه بذبح الانعام وربما آثروه على الله تعالى بالقربات كما قال تعالى وجعلوا الله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا الله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان الله فهو يصل لشركائهم ساء ما يحكمون ولما رأى عمرو اقبال العرب على عبادة ذلك الوثن وسوس له الشيطان فجلب لهم من جده آلهة كانت تعبد في زمن نوح وادريس عليهما السلام وهي ود وسواع ويقوت ويعوق ونسر قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى حكاية عن نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبيرا وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اظلموا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا . وكانت هاته الاسماء لاناس صالحين في عصرهم وقيل من اولاد ادم لصلبه فلما ماتوا حزن اهل عصرهم عليهم فصور لهم ابليس اللعين امثالهم من صفر ونحاس ليستانسوا بها فجعلوها في مؤخر المسجد فلما هلك اهل ذلك العصر وسوس الشيطان لاولادهم فعبدوها ثم ان الطوفان دفنها في ساحل جدة فاخرجا عمرو باخبار اللعين وانتشرت عبادتها في العرب وكان ود لكليب وسواع لهدان ويغوث لمذحج وهو ابو قبيلة من اليمن ويعوق لهذيل ونسر لمحير ومن مآثر عمرو ولعنه الله انه هو الذي نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قديد وكانت الازد يحجون اليه ويعظمونه وكذلك الاوس والخزرج وغسان وهي صخرة عظيمة جعلها عمرو من المعابد كما جعل اللات والعزى قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى افرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى اللات صنم على صورة انسان كان يلت السوق بالسمن ويطمم الحجاج والعزى لغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وسن عمرو اكل الميتة في العرب وكانوا يستقذرونها وهو اول من سبب السائبة وبحر البجيرة ووصل الوصيلة وحمل الحامية ونسبوا ذلك لله تعالى فرد الله عليهم فيما ابتدعوه بقوله ما جعل الله من بجيرة لا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يفقهون فالبجيرة الناقة اذا انتجت خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنبا اي شقوها وخلوا سيلها فلا تركب ولا تحلب وكان

الرجل منهم يقول ان شفيت فناقني ساية ويجعلها بالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة اثنى
 فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهم وان ولدتهما قالوا وصلت الاثنى اخاها فلا يذبح الذكر واذا انتجت
 من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يعنوه من ماء ولا من مرعى وقالوا قد حمى ظهره
 ذلك من مبتدعات عمرو بن لحي وظلالاته لهم ناسبا ذلك لله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقد جاء
 من رواية البخاري رحمه الله تعالى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت جهنم يحطم
 بعضها بعضا ورايت عمرا يجرد امعاءه في النار وفي رواية يؤذي اهل النار بريح قصبه اي امعاءه وقال
 صلى الله عليه وسلم لا كنتم الخزاعي زوج ام معبد صاحبة الشوبهة العجفاء التي مر بها صلى الله عليه وسلم
 في هجرته للمدينة ومسح بيده الكريمة على ضرعها فدرت بما لم يكن في الحسبان يا اكثم - والاكنم واسع
 البطن - رايت عمر بن لحي يجرد امعاءه في النار فما رايت رجلا اشبه به منك ولا بك منه فقال اكثم
 فعسى ان يضري شبهه يا رسول الله فقال لا لانك مؤمن وهو كافر هذا ورغما عما كان لعمر من العظمة
 في العرب واستماع القول لم يتبعه جميعهم في بدعه وضلالاته بل اكثرهم كما قال تعالى وما يؤمن
 اكثرهم بالله الا وهم مشركون وفي آية اخرى واكثرهم لا يعقلون بل كان من العرب في الجاهلية
 اجلة موحدون لم يتبعوه فيما سنه وابتدعه ولم يسجدوا لصنم قط وينهون عشائهم عن الشرك بالله
 كالكنم بن صيني وقيس ابن ساعدة وربيعة واخوه مضر من اجداد النبي صلى الله عليه وسلم وقد ورد
 في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لا تسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مؤمنين وفي رواية لا تسبوا مضر
 فانه كان على ملة ابراهيم ومما يحفظ عنه « من يزرع شرا يحصد ندامة » ولما مات عمرو بن لحي وسبق
 الى جهنم وردا تولت امر البيت اولاده وبقيت الولاية في بيتهم خمسمائة سنة وكان اخرهم حليل الذي
 تزوج ابنته قصي وهو الجد الرابع للنبي صلى الله عليه وسلم لانه عليه الصلاة والسلام ابن عبد الله بن
 عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي واسمه زيد وانما سمي قصي لان امه بعد موت ابيه
 بعثت به الى الشام فتربى عند اخواله من بني قضاة وبعد ما كبر رجع الى مكة فعرفته قريش وعرفت
 نسبه فسودوه عليهم وتزوج بنت حليل الخزاعي المذكور لشرفه ولما حضر حليل الوفاة ولم يكن له
 ولد اوصى بولاية البيت لصهره قصي فتولى امر البيت وانتقلت ولايتها من خزاعة الى قريش ولقصي
 مآثر حسنة منها انه جمع قريشا بعد تفرقها في البلاء وجعلهم اثني عشر قبيلة فقبل له مجمعا قال بعض
 المحدثين ولذلك سماه صلى الله عليه وسلم مجمعا والى ذلك يشير حذافة ابن غاثم بقوله :

قصي لعمرى كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

من قصيدته التي مدح بها عبد المطلب حين انجده من كربة وقع فيها وقال في مطلعها

بنو شيبه الحمد الذي كان وجهه يضئ ظلام الليل كالقمر البدر

فصارت له السيادة على قريش وابتعدت قريش خزاعة من مكة لمعارضتهم لقصي كما ابتعدوا هم جرهم وامر قصي قريشا ان يبنوا دورهم داخل الحرم حول البيت لتهايم العرب فبنوها ولم يبق حول البيت الا قدر المطاف وجعلوا ابواب دورهم للكعبة وكان لكل بطن منهم باب ينسب اليه كباب بني شيبه وباب بني مخزوم وبقيت كذلك الى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن ابي بكر ولما ولي عمر بن خطاب الخلافة اشترى تلك الدور من اربابها وهدمها وجعلها مسجدا حول الكعبة ولذلك يسمي الى الآن بالحرم المكي ولم يبق من تلك الابواب الا باب بني شيبه لانه دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم للكعبة عام الفتح وهو قايم الى الآن حذو المطاف وبني قصي حذو الحرم دار الندوة وكانت قريش تجتمع فيها للمشاورة في امورها لا يدخلها الا من بلغ الاربعين ولا يتزوج رجل من قريش على امرأة الا فيها ولا يعقد لواء حرب الا فيها ولا زالت هاته الدار في يد بني عبد الدار الى ان صارت لحكيم بني حزام فباعها في الاسلام بمائة الف درهم فلامه عبد الله بن الزبير وقال اتبيع مكرمة اباك وشرفهم فقال رضي الله تعالى عنه ذهبت المكارم الا التقوى واشهدكم ان ثمنها في سبيل الله فايها المقبون وكان قصي من حكماء العرب فمن كلامه من اكرم لثيما شاركه في لؤمه ومن استحسن قبيحا ترك الى قبجه ومن لم تصلحه الكرامة اصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود هو العدو الحفي ولما احتضر قال لابنيه اجتنبوا الخمر فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان وعدت ولاية قصي امر البيت وجمعه لقبائل قريش بعد تفرقها من المبشرات المنبئة بقرب بعثته صلى الله عليه وسلم عليه وسله ليخرج من بيت عز وشرف وكان ابوه كلاب هو الجد الثالث لآمنة لأمه صلى الله عليه وسلم وكلات ابن مرة وهو الجد السادس لابي بكر رضي الله عنه ومرة ابن كعب وهو الجد الثامن لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه وكان كعب يجمع قومه يوم العروبة اي الرحمة الذي هو يوم الجمعة ويقال انه اول من سماه يوم الجمعة لاجتماع قريش فيه وقيل لم تسم العروبة الجمعة الا مذ جاء الاسلام فكانت قريش تجتمع فيه الى كعب ليعضهم ويذكرهم ببعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بانه من ولده ويامرهم باتباعه ويقول سياقي لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وينشد ابياتا منها

على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر اخبارا صودق خيرها

وينشد ايضا

يا ليتني شاهد فحواء دعوته حين العشيرة تبغى الحق خذلانا

وكان بينه وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم خمس مائة سنة وستون سنة . ومن الدلائل المبشرة ببعثته صلى الله عليه وسلم زيادة عما جاءت به الاناجيل السماوية والاخبار النبوية من لبدن ادم عليه

السلام مما هو مقرر في الاذهان ولا يحتاج الى بيان ما يؤثر عن كنانة ابن خزيمة وهو الجدد الثاني عشر للنبي صلى الله عليه وسلم فقد كان شيخا حسنا تحج الى العرب اي تقصده لعله وفصله وكان يقول قد آن خروج نبي من مكة يدعى احمد يدعو الى الله والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم ولا تكذبوا ما جاء به فهو الحق ومن اجداده صلى الله عليه وسلم الياس بن مضر وكان حكيما في العرب مثل لقمان الحكيم وكانت العرب لا تقضي امرا دونة وهو اول من صفر بمقام ابراهيم عليه السلام لما غرق البيت في زمن نوح وموضعه في زاوية البيت ثم اخرج منه صلى الله عليه وسلم ووضعه امام البيت كما هو الآن وكان مؤمنا بالله لا يسجد للاصنام وفي الحديث لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وكان يرى نوره صلى الله عليه وسلم في وجهه ثم لا زال ينتقل وينمو ذلك النور في وجوه اجداده صلى الله عليه وسلم كلما ازدادوا قربا منه الى ان وصل الى هاشم والد عبد المطلب جده الادني صلى الله عليه وسلم واسمه عمر العلقم بهاشم لانه اول من شهم الثريد واطعمه بمكة للمساكين بعد جده ابراهيم عليه السلام وفي ذلك يقول الشاعر

عمر العلقم ذو الندى من لا يسابقه مر السحاب ولا ريح تجاريه
جفانه كالجواي للوفود اذا لبوا بمكة ناداهم مناديه
او امحلوا اخصبوا منها وقد ملئت قوتنا لحاضرهم منها وباديه

ومما يؤثر عن هاشم انه كان اذا اهل هلال ذي الحجة قام صبيحته واسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول في خطبته يا معشر قريش انكم سادة العرب واحسنها وجوها واحلاما وأوسطها انسابا اي اشرفها واقربها لاسماعيل عليه السلام يا معشر قريش انكم اجوار بيت الله اكرمكم الله بولايته وخصكم بجواره وانه ياتكم زوار الله يعظمون بيته فهم اضيافه واحق من اكرم اضياف الله انتم فاكرموا ضيفه وزوار بيته فورب هذه البيت لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتموه ولما توفي هاشم انتقلت ولاية البيت لابنه عبد المطلب واسمه شيبة الحمد .

هذا ومبشرات صلى الله عليه وسلم اكثر من ان تذكر واشهر من ان تتشر فقد بشر به كل عارف حكيم وكتاب كريم قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم اي يخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في القتل العمد والخطا وقطع الاعضاء التي يعصى بها وقرض اي قطع موضع النجاسة من الثوب كيفما كان والمراد بكونه مكتوبا في التوراة والانجيل اي مذكورا صلى الله عليه وسلم فيهما باسمه وصفته وتصديقا للآية الكريمة والله اصدق القائلين ما اخبر به العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال خرجت في تجارة الى اليمن في ركب فيه ابو سفيان بن حرب فورد كتاب حنظلة بن ابي سفيان ان

محمدًا قائم في ابطح مكة يقول انا رسول الله أدعوكم الى الله ففشى ذلك في مجالس اهل اليمن فجاءه خبر من اليهود فقال بلغني ان فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال قال العباس فقلت نعم فقال نأشدتك الله هل كان لابن اخيك صبوة فقلت لا والله ولا كذب ولا خان وما كان اسمه عند قريش الا الامين فقال هل كتب بيده قال العباس فاردت ان اقول نعم فخشيت من ابني سفيان ان يكذبني ويرد علي فقلت لا يكتب فوثب الخبر وترك رداءه وقال ذبحت يهود وقتلت يهود قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون «الضمير يعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق له ذكر لدلالة الكلام عليه اي يعرفونه باوصافه كعرفتهم ابنائهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه وكان من اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به من بني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل امه قد خانت ومما لا ريب فيه انه صلى الله عليه وسلم لم يكن مجبولاً عندهم وانما كفروا به حسداً وعناداً والله يهدي من يشاء ومما يؤثر عن امية بن ابی الصلت الثقفي قال لابي سفيان اني لاجد في الكتاب صفة نبي بيعت فكنت اظن اني هو وكنت اتحدث بذلك ثم ظهر لي انه من بني عبد مناف فنظرت فلم اجد فيهم من هو متصف باخلاقه الا عتبة بن ربيعة الا انه قد جاوز الاربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره قال ابو سفيان فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قلت لامية فقال امية اما انه حق فاتبعه فقلت له فانت ما يمنعك قال الحياء من نساء ثقيف اني كنت اخبرهم بانني هو ثم اصير تبعاً لفي من عبد مناف وقد روي عن حكيم ابن حزام رضي الله عنه قال دخلنا الشام لتجارة قبل ان اسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فارسل الينا ملك الروم فجئناه فقال من اي العرب انتم من هذا الرجل الذي يزعم انه نبي فقال حكيم فقلت يجمعني واياه الاب الخامس فقال هل انتم صادقين فيما اسالكم عنه فقلنا نعم فقال انتم ممن اتبعه ام ممن رد عليه فقلنا ممن رد عليه وعاداه فسالنا عن اشيء مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه ثم نهض واستنهضنا معه فاتي محلا في قصره وامر بفتحته ففتح وجاء الى ستر فامر بكشفها فاذا صورة رجل فقال انعرفون من هذه صورته قلنا لا قال هذه صورة آدم ثم تتبع ابوابها ففتحها وكشف عن صور الانبياء فيقول اما هذا صاحبكم فنقول لا فيقول لنا هذه صورة فلان حتى نتج بابا وكشف عن صورة محمد بن عبد الله صاحبنا قال اندرون متى صورت هذه الصورة قلنا لا فقال منذ اكثر من الف سنة وان صاحبكم لنبي مرسل ولوددت اني عبده فاشرب ما يغسل من قدميه وحديث سيف ذي يزن مع جدّه عبد المطلب في حقّه صلى الله عليه وسلم شهير وقصة اسلام سلمان الفارسي خبرها مستطير ولو شاء الله لأمن من في الارض ولكن الله يهدي من يشاء الى سواء السبيل

يوم المولد النبوي وعام الفيل

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد بن
الحوجة المستشار بالحكومة التونسية

اتفق جمهور رجال الحديث واصحاب السير على ان ولادة النبي صلى الله عليه وسلم كانت عام الفيل وروى بعض المحدثين ان الرسول عليه السلام قال ولدت في زمن الملك العادل فما هو عام الفيل ؟ وما هو زمن الملك العادل ؟

قبل البحث عن هذين الزمنين لا بد لنا من تقديم تمهيد وحيز ليتصور القاري لماذا لم يرد فيما ذكره اهل الصدر الاول عن الولادة الشريفة تعيين وقتها بالاحالة على عام معلوم من تاريخ محفوظ كتواريخ عصور الانبياء عليهم السلام ومنها التاريخ المسيحي المتصل بزمن الفترة التي اشرقت بعدها الانوار المحمدية ومقدار ما بين ميلاد عيسى عليه السلام ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ستمائة واثنان وعشرون سنة والجواب والله اعلم ان عصر النبوة كان متداخلا في عصرين عظيمين من عصور التاريخ وهما عصر الروم وعصر الفرس واهل هذين الجيلين كانوا يؤرخون بمدد ملوكهم وعظمائهم فالروم كان تاريخهم من الاسكندر الاكبر وهو من اعظم رجالهم ولد بمقدونية ومات سنة ٣٢٣ قبل الميلاد والفرس كانوا يؤرخون بملوكهم ومنهم ملوك الطبقة الثانية بنو ساسان اولهم اردشير ابن بك شاه ومن عقبه كسرى الاول او الاكبر واسمه انوشروان وهذا هو الملك العادل الذي ولد في زمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسياقي خبره وباروبا كانوا يؤرخون في تلك الاعصر باشهر الحوادث عندهم كتأسيس مدينة رومة القديمة وبهذا التاريخ ضبطوا ولادة المسيح عليه السلام فقالوا انه ولد بيت لحم عام ٧٤٩ لرومة وسياقي الكلام على التاريخ المسيحي وما تناوله من الاغلاط ولم يكن بناء رومة بالمرجع الوحيد لديهم بل كانوا يؤرخون ايضا بما يسمونه في ملتهم عصر الشهداء وهم الاشياخ الذين ماتوا تحت العذاب في عهد الانباطور الظالم ديوكلتيانوس الروماني المتوفى سنة ٣١٣ للميلاد وغيرهم كان يؤرخ بتخريب بيت المقدس على يد الانباطور طيطش في عهد ايبه سنة ٧٠ للميلاد ولم يشذ عن هذه الطريقة الا اليهود فانهم كانوا وما زالوا يؤرخون ببداية الخليفة في زعمهم وعامهم الموافق لعامنا الحاضر ١٣٥٦ هو عام ٥٦٩٧ على ما جاء في التوراة بذكرهم وليست كل هذه البدايات لتاريخ الازمان عند الامم المختلفة بالوحيدة في العصور الخالية بل هنالك غيرها مما لا محل لبسطه بهذه النبذة لذلك نكتفي هنا بذكر ما كان مشهورا من التواريخ التي لها علاقة بالموضوع الذي نحن بصددده وهي ثلاثة. تاريخ الروم وتاريخ الفرس وتاريخ الميلاد واكثرها ذكرا

لدى رجال التاريخ في الاسلام ومنهم اصحاب السير هو تاريخ الفرس لما بينهم وبين العرب من صلة الجوار ناهيك انهم اول الامم الاعجمية الذين اعتنقوا الاسلام وقد رايت فيما تقدم انه لم يكن هنالك ذكر للتاريخ المسيحي في عصر النبوة لانه لم يكن معمولاً به يومئذ كما ستراه انما كان التاريخ المشهور في ذلك العصر بجزيرة العرب هو التاريخ الفارسي كما قدمنا ومنه زمن الملك العادل كسرى الاول انوشروان الذي ولد على عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الموافق لعام الفيل الذي سنتكلم عليه وكسرى هذا غير حفيده كسرى الثاني الذي تمزق ملكه عند البعثة النبوية وهي من معجزاته صلى الله عليه وسلم قال ولي الدين بن خلدون وعلى عهد كسرى (الاول) ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم لثنتين واربعين سنة من ملكه وذلك عام الفيل اه فهذه الطريقة في ضبط الحوادث الهامة باحالة وقت ظهورها على حوادث اخرى عظيمة مثلها تقدمتها في الوجود هي التي درج عليها الامم الغابرة كما قدمنا وهكذا استرسلت كيفية ضبط الحوادث التاريخية الى ان ظهر التاريخ الهجري في خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك في السنة السادسة عشرة للهجرة الشريفة وقد رايت فيما سبق ان التاريخ المسيحي يتقدم على الهجرة النبوية بستمائة واثنين وعشرين سنة فهذا التاريخ لم يستقر قراره عند اهله الا على رأس المائة الثامنة لليلاد بعناية الانباط طور شمران نعم ان احد القسيسين برومة وهو الراهب دونيس من رجال المائة السادسة في تاريخهم ضبط بالتدقيق في زعمه تاريخ ولادة المسيح عليه السلام وعلى حسابه انبنى التاريخ المسيحي كله لكن تحرر لديهم بعد ازمان ان ذلك الحساب غير صحيح لتاخره عن يوم الميلاد الحقيقي باربعة اعوام وعلى هذا التحريف جرى عمل الامم المسيحية حتى اليوم بمعنى انهم ابقوا ما كان على ما كان باستمرارهم على ما ضبطه الراهب دونيس بدون اعتبار للغلط المحقق الذي عثروا عليه

ولنرجع بك لتاريخ زمن كسرى انوشروان الذي تخلله عام الفيل وكلاهما عمدتاني تحرير تاريخ المولد الشريف فكسرى تولى ملك الفرس من سنة ٥٣١ الى سنة ٥٧٩ للميلاد وكان مشهوراً بالعدل ناهيك انه انتصف من نفسه لخصي وكان مكرماً للعلماء ومحبا للعلم وفي ايامه ترجم كتاب كيلة ودمنة من العبرية للغة الفرس وفي الاصطلاح السياسي المصري لا يجوز تعريف الفرس بهذا الاسم بل حكم الشاه بهلوي بنسبتهم لاصلهم الايراني قتل ايران ولا تقل فارس . واما عام الفيل فهو عام مولده صلى الله عليه وسلم ويوافق في التاريخ المسيحي سنة ٥٧١ على ما رواه ثقات الحساب المسلمين البارعين في الفنون الرياضية منهم الباشا محمود حمدي المصري الفلكي الذي سيأتي ذكره وهذا العام يساوي العام ٤٢ من ملك كسرى الذي نقله لنا ابن خلدون

وزعم الراهب كولبو من حزب المبشرين بالحبشة في تاريخه الكبير لهذه البلاد ان عام الفيل

كان سنة ٥٦٩ هـ للميلاد وهذا القول يوافق ما نقله ابن الاثير من ان عام الولادة الشريفة - وهو نفس عام الفيل على القول المشهور - كان سنة ٨٩٢ هـ لذي القرنين هذا اذا جوزنا ان ذا القرنين هو نفسه الاسكندر المقدوني المتوفي سنة ٣٢٣ قبل الميلاد لان السنة ٨٩٢ المذكورة آتفا موافقة بالحساب الشمسي لمجموع المدة الواقعة بين موت الاسكندر المقدوني وبين عام الفيل ولا تعجب اذا قلت لك ان ذا القرنين والمقدوني اسكندر ان اثنان لا اسكندر واحد وقال المسعودي في مروج الذهب ان عام الفيل يوافق سنة ٨٨٢ هـ لذي القرنين لا سنة ٨٩٢ هـ واذا تعارضا تساقطا وليس هذا الخلاف بالوحيد في هذا المقام بين المؤرخين فان الروايات فيه كثيرة ليس فقط عند مؤرخي الافرنج بل وعند رجال الحديث واصحاب السير ومؤرخي العرب ايضا ولكنهم ابي علماء الاسلام لم يهملوا الامر بل اجتهدوا في نقده الى ان بلغوا فيه لدرجة الترحيح الذي كانت غايته النتيجة المتفق عليها اليوم عند جمهور العلماء في الشرق والغرب يعني وقوع المولد في الثاني عشر من ربيع الاول الموافق لخمسين يوما مضت على حضور الفيل لهدم البيت الحرام بقيادة أبرهة الاشرم الذي ستكلم عليه وبهذا القول الذي رجحه أئمة الاسلام يوافق المولد النبوي يوم ٢٠ نيسان (ابريل) سنة ٥٧١ هـ للميلاد وهو تاريخه الصحيح الذي حرره بالحساب الفلكي المدقق لثمانين سنة ماضية العلامة الوزير محمود حمدي باشا المصري المعروف بالفلكي وهذا الرجل الرياضي المشهور يعده اهل الشرق من كبار رجال النهضة المصرية درس العلوم الرياضية بباريس في عهد سعيد باشا بن محمد علي الكبير وصنف في سنة ١٨٥٨ كتابه في التقاويم العربية قبل الاسلام بحث فيه عن يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمره السعيد فوصل الى نتيجة ماألا انه ولد في ٩ ربيع الاول الموافق ٢٠ نيسان (ابريل) سنة ٥٧١ هـ للميلاد وانه مات عليه السلام عن ٦٣ سنة قمرية وثلاثة ايام ودقق النظر في هذا البحث لغاية ادته لثبوت كون العرب كانوا يعملون بالحساب القمري الصرف وارتأى ان العرب في العصر الجاهلي لم يكونوا يعرفون الساعات التي ينقسم اليها اليوم وهو رأي جماعة من الفرنسيين والانكليز وله غير ذلك من التأليف المفيدة في الفنون الرياضية والطبيعية والجغرافية منها خريطة هندسية محررة بغاية الدقة للبلاد المصرية معروفة باسمه لهذا الزمان وتقلد رحمه الله مناصب ذات شأن منها وزارة الاشغال العامة ووزارة المعارف فزهت العلوم في عهده وأضاءت البلاد بها وناب عن حكومة بلاده في المجمع الجغرافي بباريس سنة ١٨٧٥ وفي البندقية سنة ١٨٨١ وتولى رئاسة الجمعية الجغرافية الحديوية ولما ادركه اجله وصفته اللسان والاقلام بقولها انه كان هماما حازما محبا لوطنه قضى حياته عاملا على خدمته مجاهدا في سبيل نشر المعارف حتى توفاه الله فجأة سنة ١٣٠٣ وهو محاط بالكتب والاوراق. هذا وقد رأيت فيما نقلنا عن هذا الوزير الرياضي ان الولادة الشريفة كانت في ٩ ربيع الاول لا في ١٢ منه وهذا القول رغم

مطابقته ليوم المولد بالحساب الشمسي (٢٠ نيسان) لا يصح اعتباره كيوم المولد لمخالفته للقول المشهور الذي رجحه رجال الحديث من ان الولادة كانت يوم ١٢ ربيع الاول فحسبنا الحاقه بالروايات المختلفة الواردة في يوم الولادة وهي سبعة على ما جاء في المواهب اللدنية بشرح الزرقاني منها يوم ٢ ربيع الاول الى ان قال « وقيل ولد (عليه السلام) لثمان من ربيع الاول وهو اختيار اكثر اهل الحديث وقيل لعشر منه وقيل لاثني عشر وعليه عمل اهل مكة قديما وحديثا في زيارتهم موضع مولده (ورب الدار أدري بما فيها - وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان عشرة منه وقيل لثمان بقين منه ثم قال والمشهور انه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول وهو قول محمد بن اسحاق بن يسار امام المغازي اه قلت هو اول من كتب في السيرة النبوية وضبط يوم المولد الشريف وعنه روى عبد الملك بن هاشم وكان لابن اسحاق الباع الطويل والرواية الثابتة في الحديث وثقه الامام البخاري ولكنه لم يخرج عنه في صحيحه لطعن مالك فيه ومات ابن اسحاق سنة ١٥٠ -

واختلف العلماء في مدة الحمل به صلى الله عليه وسلم فقيل تسعة اشهر وهو القول الصحيح الذي اعتمدته رجال الحديث وقيل عشرة وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة الجملة خمسة اقوال قول راجح واربعة مرجوحة يمجها الذوق السليم لتلبسها اما بالنقص في حالة الولادة في الشهر السادس والسابع والثامن واما بعله في حالة الولادة فيما بعد الشهر التاسع الذي هو أجلها الطبيعي لكافة البشر نعم ان الجنين يكون عند زرع الروح فيه باذن خالقه مستكمل الحلقة ابتداء من الشهر السادس من مدة الحمل ولكنه اذا ولد قبل نهاية الشهر التاسع تكون ولادته سابقة الابان كباكورة الثمار وهذه دون احتها التي يكمل نضجها في وقته الطبيعي وقول من يرى ان الجنين المتزائد في الشهر الثامن لا يعيش وان النبي صلى الله عليه وسلم ولد فيه وعاش وتلك معجزة له عليه السلام كما وقع لاختيه عيسى صلوات الله عليه فهذه رواية من قبيل احاديث القصاصين ليست من الصحة بمكان . فاولا لان عيسى عليه السلام حملت به امه وولدت في ساعة واحدة وهو القول الصحيح الذي اتفق عليه جمهور العلماء وثانيا لان العلم اثبت ان المولود الثعوفي متوفرة فيه شروط العيش اكثر من المولود السبوعي المتفق بين الناس على عيشه ولكن دون المولود الذي يولد في تمام الشهر التاسع الذي هو متبهي المدة الطبيعية للحمل والاحصائيات الطبية جاءت مؤيدة لذلك كما يؤيده العقل والذوق السليم فولادة الجنين قبل ابانه غير متوفرة فيها شروط استكمال التكون المرتبط بمدة التسعة اشهر وهو نقص لمخالفته لنواميس الخليقة ومقام الانبياء منزلة عما ينقصهم عن بقية البشر ولو اراد الله جعل معجزة للنبي عليه الصلاة والسلام متلبسة بحمل امه به لفعل ذلك بما فيه الاعجاز الذي هو خرق العوائد وهو سبحانه وتعالى انما يقول للشيء كون فيكون وليس من الاعجاز في مجاري العادات الولادة في الشهر الثامن من الحمل ولم يثبت ان الذي يولد فيه لا يعيش .

والمقام يقتضي الاطّاب لاهمية الموضوع لذلك تنقل هنا بعض ما وقفت عليه مما كتبه كبار المستشرقين في هذا المقام ومنهم العلامة هوار الفرنساوي وهو من الافذاذ الاروباويين الذين توقفوا في الاعصر المتاخرة لكشف اللثام عن محاسن الاسلام اذ كتب في التعريف بعلوم الاسلام وعلمائه ما لم يكتبه ابن النديم في كتاب الفهرست فهذا الرجل العالم كتب ايضا تاريخا عاما للعرب ومما جاء فيه زعمه ان تاريخ مولد النبي صلى الله عليه وسلم ليس له اساس يعتمد عليه لضبطه بالتدقيق ولكن المؤرخ لافيس من اكابر المؤرخين الفرنسيين أثبت في تاريخه العام ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد في ٢٠ نيسان (ابريل) سنة ٥٧١ وهذا التاريخ يطابق ما اتفق عليه ائمة المسلمين من انه صلى الله عليه وسلم ولد في فصل الربيع وفي شهر ربيع الاول وقال المستشرق الطلياني فراكاسي مترجم القراء ان الولادة كانت في ٢٠ نيسان ولكن العام هو سنة ٥٧٠ او ٥٧١ فهو متفق معنا في الشهر ومتشكك في العام وممن يقول بان الولادة كانت في عام ٥٧٠ المستشرق كوسان برسفال وزاد على ذلك بزعمه انها كانت في ٢٩ من شهر آب (اغشت) الذي هو اشد شهور الحر وعنه نقله المستشرق كازمرسكي في مقدمة ترجمته للقراء وقال انه نتيجة بحث طويل عريض وهذه الرواية لم يقل بها احد غيره لان الولادة كانت كما قدمناه في شهر ربيع الاول من فصل الربيع كما اثبتته اهل الذكر من حساب الاسلام وكما رجحه رجال الحديث وكتاب السيرة النبوية منهم الخوارزمي على ما رواه الامام القسطلاني وكفى به حجة نعم ان بعض ارباب السير روى في تاريخ الولادة اقوالا كثيرة منها انه صلى الله عليه وسلم ولد في المحرم يوم عاشوراء ومنها انه ولد في رجب ومنها انه ولد في رمضان وهذه كلها روايات مرجوحة لم يعتمد عليها رجال الحديث ودفعوها بأدلة قاطعة مذكورة بمحلها من كتب السنة، فتحصل من جميع ما تقدم ان مولد النبي صلى الله عليه وسلم كان بمقتضى ما رجحه جمهور علماء الاسلام في ثاني عشر ربيع الاول من عام الفيل يوافق التاريخ المسيحي يوم ٢٠ نيسان (ابريل) سنة ٥٧١ ولقائل ان يقول هنا ان مبتكر فكرة الاحتفال بالمولد في الاسلام يعني مظفر الدين ملك اربل كان يحتفل به على التناوب مرة في اليوم الثامن ومرة في اليوم الثاني عشر من ربيع الاول والجواب ان هذا العمل لا يستفاد منه اكثر من معرفة درجة التورع الذي كان عليه الملك المشار اليه شكر الله سعيه فانه لما كان مقصوده العناية بالمولد النبوي وليته على ما قصه علينا التاريخ ناهيك انه كان ينفق في ذلك السبيل ثلاثمائة الف دينار كل عام كان همه محصورا في التوفيق بين صنيعه وبين الوقت الحقيقي المطابق للولادة الشريفة للتبرك به حتى لا يفوته وقتها ولو على القول المرجوح ولهذا السلوك اشباه ونظائر حتى في زماننا هذا فقد سمعنا غير مرة من اخواننا الذين اكرمهم الله بحج البيت الحرام انهم وقفوا مرتين في يومين متتابعين بجبل عرفات احدهما يوم الجمعة مظنة موافقة يوم الوقفة ليوم الجمعة الذي هو يوم الحج الاكبر حتى لا يفوتهم فضلها على كلا الاحتمالين ولو اكتفوا بوقفة واحدة لكان حجهم صحيحا بما لا ريب فيه

بقي علينا البحث فيما هو اليوم الاسبوعي الذي وافق المولد وهل الولادة كانت ليلا او نهارا وهذا الباب استغرق ايضا مجلدات وانقد دنونا من المداد لما تناوله من اختلاف الاقوال وتناقض الروايات والذي رجحه اهل الذكر هو ان الولادة كانت يوم الاثنين في المواهب اللدنية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم الاثنين فقال « ذاك يوم ولدت فيه وانزلت علي فيه النبوة » يعني بداية الوحي الشريف وقوله يوم الاثنين يستفاد منه ان الولادة كانت نهارا لا ليلا كما قال به بعض رواة الحديث بناء على ما ورد من تدلي النجوم في رواية البيهقي وكلام البيهقي ردة دحية من كبار رجال الحديث وقال الزركشي (غير المؤرخ) ان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم نهارا اه والخلاصة ان القول الصحيح الذي اعتمدته اكثر رجال الحديث هو ان الولادة كانت عند الفجر والفجر اول منازل النهار وهذا القول يستفاد صراحة من جواب عبد المطلب جد النبي عليه السلام للراهب عيص الذي كان اعلمهم من قبل باقتراب ظهور النبي الغربي المبشر به في الانجيل وعبرة عبد المطلب « ولد لي الليلة مع الصبح مولود » فافادت المعية انه عند طلوع الفجر وقال الخوارزمي ان يوم الولادة هو ٢٠ نيسان (ابريل) وبه قال جماعة من اهل الحديث وبه قال محمود باشا المصري وبه قال المؤرخ لا فيس الفرنسي وغيره من المؤرخين فالولادة الشريفة كانت يوم الاثنين وساعاتها هي الفجر وبعبارة افصح ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صبح يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول على القول المشهور وذلك عام الفيل الذي يوافقه بالحساب القمري عام ٤٢٠ لملك كسرى (٥٣ قبل الهجرة) وهذا يوافقه بالحساب الشمسي يوم الاثنين موفى ٢٠ نيسان (ابريل) سنة ٥٧١ للميلاد ولم يبق بعد هذا محل للاتقاد ولا مجال للعناد

بقيت لي ملاحظة نوردها هنا في حق أبرهة وحيشه والفيل الذي جاء به لهدم الكعبة المشرفة فأبرهه ويعرف بالاشرم لضربة سيف شمرت شفته واتفق وحاجبه ومعنى أبرهه في اللسان الحبشي هو ابراهيم في العبرية وابراهيم في العربية وكان واليا على اليمن للنجاشي اصحبه كما جاء لفظه في التواريخ العربية وصوابه اصبحه كما هو اصله في اللغة الحبشية والحيش الذي جاء به كان عدده ستين الفا التحق بهم اصحاب الجرائم الذين كانوا في سجنه وعددهم نحو الالف شقي والفيل المصاحب له الذي قص علينا القرآن خبره قالوا انه ابيض اللون واسمه محمود ولعله لفظ محرف عن « ماموت » الذي هو اسم صنف قديم من الفيلة انقرض نوعه في الزمن البعيد وفي رواية ابن خلدون ان هذا الفيل كان برأس سرب من الفيلة عدده ثلاثة عشر وقيل اكثر من ذلك وكان القصد من احضار تلك الحيوانات الضخام التي لم تكن معروفة اذاك بالحجاز هو ارباب العرب وحسب لان ابرهة وكان يدين بالنصرانية لم يجيء للحاربة بل لمجرد تخريب البيت الحرام اخذا بالنار من العرب قبل اعتناقهم للاسلام لانهم سخروا به لما بنى كنيسة فخمة بصنعاء اليمن بنية تحويل حج العرب اليها عوض حجهم

للبيت الحرام فقد اخبر قريشا وسيدهم عبد المطلب انه لا يحاربهم الا اذا منعه من هدم الكعبة المشرفة والقصة معروفة في كتب التفسير والحديث والسير وغيرها انما تضمن حديثها عبارة لبست ثوب الخلود وهي قول عبد المطلب « ان للبيت ربا يجمعه » وعبد المطلب هو جد الرسول عليه السلام من جهة ابيه وكان سيد قريش ولم يكن قسيسا كما زعمه المؤرخ كولبو راهب الحبشة الذي نعته بقوله « القس الاكبر للكعبة » فلما حضر عبد المطلب لدى أبرهة في طلب ابله التي اغتصبها منه أتباع أبرهة قال له ابرهة « اني اكبرتك عند رؤيتك فلما طلبت ابل زهدت فيك لانه كان اولى بك ان تطلب مني الرجوع عن نية هدم الكعبة دين آباءك واجدادك » فقال له عبد المطلب : « طلبت منك ابل لاني انا ربا وللبيت رب يجمعه » وهكذا كان فان الله تعالى حمى بيته بارسال الطير الابل (ومعناه الجماعات ولا مفرد له من لفظه) شبيهة بالخطاطيف وكانت تحمل في مناقرها ومخالبها حصاة صغيرة بمقدار العدسة طلتها يد الاقدار بجراثيم الجدري ولم يكن معروفا قبل ذلك العام بالحجاز فكان كل من اصابته حصاة منها هلك بوقته وقد استفيد حديثا من نقوش تاريخية كشف عنها الاثري كلازير بجهة سد مأرب ان أبرهة كان يطلق على نفسه في تلك النقوش المكتوبة بالقلم الحيري لقب « الامير التابع لملك الحبشة ملك سبا وريدان وحضرموت ويمنات (جمع لبلاد اليمن) وعرب نجاد (نجد) وعرب السواحل

والفيل نوعان افريقي ولونه اشهب وهندي ولونه ابيض والاول اضخم من الثاني وهو اجسم الحيوانات ذوات الثدي مشهور بالذء والهدوء والرافة ويعيش اسرابا ورايت في بعض التفاسير انه لا يلد متى كان في قيد الاسر وهو وهم فقد نشرت الجرائد في العام الفارط رسم فيل صغير ولد بفرنسا لاحدى الفيلة التي جاءت مع سيرك عمار لتونس لعامين فارطين وفي هذا الشهر اخبرت الجرائد بولادة فيل آخر باروبا قال الراوي انه الثاني عشر فيلا الذي ولد بها بالمشاهدة الصحيحة وقال ابن خلدون ان الحيوانات الضائرة لا تلد في الاسر وانا رايت بعيني لبوة وحوها شبلان بمتحف الحيوان بمدينة بوردو ولدا قبل ذلك بأسبوع ولها في الاسر ثلاث سنين مع اسدين فحلين قالوا ان الولد للفراس وللعاشر الحجر وما سمعناه وراينا لا يناقض القول الآخر لان الحقيقة هو ان تلك الحيوانات يقل نسلها في قيد الاسر عن حالتها في القفار وفي رؤوس الجبال لذلك قال ابن خلدون وغيره بانها لا تلد في الاسر يعني اذا وقع عكس ذلك كان من الشاذ الذي لا حكم له ونختم هذه النبذة المباركة نلفت نظر القاري لمولد عام ١٣٥٩ القابل فان يومه سيوافق كما في البدء يوم ٢٠ نيسان (ابريل) الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا يستهل الملك الا لاهله ولا ترجع الايام الا الى الشهر

محمد بن الخوجة

الحمل والولادة - ثم الوليمة والختان

بقلم العالم الشيخ محمد الهادي
ابن القاضي المدرس بجامع الزيتونة

ظهرت علائم الحمل على عروس عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب بن عبد مناف بعد افضاء عبد الله اليها واقامته عندها بيت ابيها ثلاثة ايام كما هي العادة عند العرب فيمن يدخل بعروسه بين قومها وكان حملا خفيفا لم تحتمل بسببه اذى او نصبا حتى انها ذكرت انها لم تشعر بامتلاء بطنها الامن تخلف عاداتها واستمرار طهرها (١) وكان زوجها الفتى الشاب مضطرا بحكم طبيعة البلاد وعادات اهلها وبحكم المنزل الذي صار مسؤولا عن حياة اهله وإعالتهم للبحث عن اسباب الرزق المفقودة ببلده وما ذلك الا بالسفر والخروج مع من يخرج من اهل مكة في رحلتي الشتاء والصيف فخرج وهو كاره مفارقة العروس الحامل ولم يمض على دخوله بها غير ايام قلائل ولكن هي الحياة وتكاليف الحياة خرج مع القافلة قاصدا غرة من بلاد الشام معللا النفس بالرجوع القريب وبالظفر بالمرغوب الذي يسعى له حتى يتم هناؤه وتسعد معيشته مع عروسه الشابة وولدها المنتظر في احضان السعادة الشاملة والنعمة التامة

وما خرج عبد الله من مكة حتى كتبت له الاقدار ان لا رجوع لهذا البلد وان هذا آخر عهده بالسعادة الدنيوية والحياة الزوجية وان هذا الولد سيولد يتيما ويربي يتيما وانه الولد الذي تسولى العناية السماوية تربيته وتهذيبه واعداة للخطة العظمى والمنصب الاسمى وهو السفارة بين السماء والارض وتقل اسرار الملكوت الاعلى لبني الانسان النازل في ذلك العصر الى اخس دركات الجبل والضلال . ما كان اشقى البشر في ذلك العصر القوضي لاوازع ديني ولا اخلاقي يصدهم عما هم فيه من المناكر وما اعظم سعادتهم بهذا النبي الخاتم المنتظر الذي يرفع عنهم اصرهم ويكسر الاغلال التي كانت عليهم . يحرر عقول البشر من قيود الوثنية الاولى ويرفعها لمستوى الملا الاعلى

(١) في الخصائص الكبرى للسيوطي : وقال ابن سعد ان الواقدي قال حدثني علي بن يزيد ابن عبد الله بن وهب بن زمعة عن ابيه عن عمته قالت كنا نسمع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت به آمنة كانت تقول ما شعرت اني حملت به ولا وجدت ثقله كما تجد النساء الا اني قد أنكرت رفع حيصتي واتاني آت وانا بين النائم واليقظان فقال هل شعرت انك حملت فاقول ما ادري فقال انك قد حملت بسيد هذه الامة ونبيها وذلك يوم الاثنين ثم امهني حتى اذا دنت ولادتي اتاني ذلك الآتي فقال قولي

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد

فكنت اقول ذلك فذكرت ذلك لنسائي فقلن لي تعلقي حديدا في عضدك وفي عنقك قالت ففعلت فلم يكن يترك الا اياما فاجده قد قطع فكنت لا اتملقه

دعوة ابراهيم وبشرى عيسى والنور الذي اضاءت له مشارق الارض ومغاريها (١) وقد حفت بها بشائر مدة حملها بهذا الجنين المبارك دلت على ما لهذا الولد المنتظر من شان واي شان حتى سمت قريش تلك السنة بسنة الفتح والابتهاج فقد كانت قريش في جذب وبلاء وشصف عيش فلما جاءت سنة الحمل اخضرت الارض وحملت الاشجار واتاهم الوفرة من كل مكان

ولما تم لها من حملها شهران توفي (٢) عبد الله بديار اخوال ابيه عبد المطلب (٣) هم بنو عدي بن النجار ودفن بدار النابغة الجعدي والى هذا القبر كان يحج عبد المطلب كما كانت تحج اليه آمنة الزوجة الوفية وذلك ان عبد الله عرج مع القافلة عند الرجوع الى مكة على شرب فلما وصلوها - وكان عبد الله مريضاً - تخلف عند اخواله ريثما يصح ورجعت القافلة الى مكة دونه فلما سال عنه عبد المطلب قالوا تركناه مريضاً عند اخواله فارسل اليه ابنه الاكبر وهو الحرث ليأتي به فما وصل حتى وجدته قد مات ودفن . فرجع الحرث يحمل نبي عبد الله الى ابيه الشيخ الكبير وزوجه الشابة ولا تسال عما اصاب الوالد من جراء فقد اصغر اولاده واحبهم الى قلبه وما اصاب العروس ولما يكتمل عقد سعادتها وقد انشدت ترثيه حين بلغها خبر موته :

عفا جانب البطحاء من آل هاشم وجاور لحدا خارجا في الغمام

(١) عن شداد ابن اوس قال بينا نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ كبير من بني عامر هو بدرة قومه يتوكأ على عصا فمثل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبه الى جده فقال يا بن عبد المطلب اني انبئت انك تزعم انك رسول الله الى الناس ارسلك بما ارسل به ابراهيم وموسى وعيسى من الانبياء الا انك فئت بعظيم وانما كانت الانبياء والخلفاء في يستين من بني اسرائيل وانت ممن يعبد هذه الحجارة والاوثان فمالك والنبوة ولكن لكل حق حقيقة وانبئي بحقيقة قولك وبدء شانك فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم بمسألته ثم قال يا اخا بني عامر ان لهذا الحديث الذي سالتني عنه نبأ ومجلساً فاجلس . فثنى رجله ثم برك كما يبرك البعير فاستقبله صلى الله عليه وسلم فقال : يا اخا بني عامر ان حقيقة قولي وبدء شائي اني دعوة ابني ابراهيم (اي حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية) وبشرى اخي عيسى وهو قوله تعالى (واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد) واني كنت بكر ابني وامي حملتني كاتقل ما تحمل النساء وجعلت تشكو الى صواحبها ثقل ما تجدن انهارات في المنام ان الذي في بطنها خرج نورا قالت فجعلت اتبع بصري النور والنور يسبق بصري حتى اضاءت له مشارق الارض ومغاريها اه قال الحافظ ابو نعيم الذي وقع في هذه الرواية كان في ابتداء الحمل والخفة التي جاءت فيما سبق كانت عند استمرار الحمل ليكون بذلك خارجاً عن المعتاد

(٢) عن ابن اسحاق رحمه الله لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ان توفي وام رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به فقبل ان ذلك من علامات نبوته في الكتب القديمة وان موت والدته كان بعد ان تم لها من حملها شهران

(٣) فان هاشماً تزوج من بني عدي فولد له عبد المطلب . اما اخوال عبد الله فانما هم من قريش من بني مخزوم

دعته المنيا دعوة فاجايا وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره تعاورة اصحابه في التزاحم
فان تك غالته المنون وربها فقد كاف معطاء كثير التراحم

وبقيت آمنة بيت ابي طالب تتقدم بها أشهر الحمل الى ان ولدت له صلى الله عليه وسلم فلما وضعت بعثت الى جده وهو عند الكعبة تخبره انه ولد له غلام فجاء لحينه وأخذ الولد بين يديه وقلبه مفعم سرورا وغبطة لحلف ابنه عبد الله وذهب به حتى دخل الكعبة فعوضه ودعاه وسماه محمدا ولما سئل عن تسميته بهذا الاسم ولم يكن مشتهرا عندهم قال اردت ان يكون محمدا في السماء لله وفي الارض لخلقه وقد أقام له جده يوم سابع ولادته وليمة اظهارا لشدة فرحه به واغتباطه بوجوده فامر بجزور فنحرت ودعا رجالا من قريش فحضروا وطعموا واقامة الولائم عند العرب لازدياد غلام يرحى منه عمل نافع او ذكر خالد سنة تعارفوها منذ ازمانهم الاولى وقد جاء الاسلام بتقرير هذه الوليمة واعتبارها فندب الى العقيقة وهي شاة تذبح يوم سابع الولادة . روى الجماعة الا مسما عن سلمان بن عامر الضبي قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الاذى والمراد باماطة الاذى في الحديث حلق شعر رأسه كما جاء في الحديث الآخر عن سمرة قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل غلام رهين بعقيقته تذبح عنه يوم سابع ولادته ويسمى فيه ويحلق راسه) رواه الخمسة وبه جزم الاصمعي وقال في الفتح لكن لا يتعين ذلك في حلق الرأس فالاولى حمل الاذى على ما هو أعم من حلق الرأس ويؤيد ذلك ان في بعض طرق حديث عمر بن شعيب ويماط عنه أقذاره

ختانه

وقد اختلفت الروايات هنا اختلافا كثيرا في انه ولد محتونا (١) او ختنه جده عبد المطلب يوم سابع ولادته او ختنه جبريل حين طهر قلبه وهو عند مرضعته حليلة السعدية والوقوف هنا لتتبع هذه الروايات بالنقد والتمحيص مما لاغناء فيه ونرجح مما ذكره اهل السير في ذلك انه ولد محتونا ختنا غير تام وان جده اتم ختنه يوم سابع الولادة وفي هذا جمع بين الاقوال المتدافعة والله اعلم .

محمد بن القاسم

عيد الزمان

لمدير المجلة

ته يا ربيع على الشهور فزارا
وبدا هلالك من مطالع سعدة
ويزف للثقلين خير بشارة
ذكرالك يا عيد الزمان محيدة
عيد به الاسلام شيد بناؤه
عيد به اتخذل الضلال وحزبه
وتلاشت الاصنام فاقدة الجدا
واندك معبد فارس فقضى اسى
واتت على النيران طلعة نير
وقضى اليقين على الضلالة فانثنى
طه بن عبد الله من هتفت له
طه بن امانة الامينة صفوة ال
طه الكريم ارومة خير البرية
خير السورى اما واشرفهم ابا
لولالة لم تكن البسيطة موطئا
لولالة ما ودقت عيون غمامة
او عب بالغبرا خضم زاخر
من قبل ادم رن في الكون اسمه
وشدت بمعناه الملائك قبلها
وبدا اسمه بالعرش نوراً ساطعا
فاعجب لفرع سابق عن اصله
اعظم بساعة وضعه من ساعة
اعظم بمن شرف البرية كلها
اعظم بمن منح الرسالة خاتما
فلقد لبست من العلاء شعارا
يكسو العوالم بهجة ووقارا
اسمى من السبع العلامقدارا
تستبشر الدنيا بها استبشارا
وسما على هام الزمان منارا
فجنوا بما هم يأفكون خسارا
تقعا مثارا في الفضل وغبارا
كسرى وايقن بالنهاية دارا
من افق مكة يهر الابصارا
عطف الهدى لمحمد اكبارا
لسن العوالم بالنسب معطارا
مرب الاعزة انفسا وديارا
ية ذمة وابرهام انصارا
واعزهم الا واكرم جارا
يوما ولم يكن الفضل مطارا
فتكملت هام الربا ازهارا
يجري السفائن عسكرا جرادا
وهفا شذاه على الوجود عرادا
تلفي البسيطة فوقها ديارا
يزري الشمس ويخجل الاقمارا
واعجب لسر يكشف الاسرارا
مرضية قد خلدت اعصارا
وحبا معدا بالعلم ونزارا
فجلا محاسن شرعه انوارا

جمعت شريعته الفضائل خردا وحوث تعاليم الهدى ابكارا
رعت بمهد الصون والكف الذي تعنوله همم الصروف صفارا
الموئل القدسي حيث السدرة الـ سغنا تظلل ملائكا ابرارا
مستغفرين مسبحين الله لا يعصونه فيما قضى واختارا



يا ايها الامي يا من شرعه محض الخليفة رحمة ويسارا
يا ايها الامي يا من لفظه قد ابكت الشمراء والشارا
يا بهجة الازمان يا من وجهه فلق من الصبح المين انارا
يا اسعد السعداء يا من كفه تبرى السقام وتكشف الاضارا
يا طيب الانفاس يا من عرفه يذر النفوس من الزكاء سكارا
يا اصدق الصدقاء يا من سبحت في كفه صم الحصى اقرارا
يا من ثوى في غار ثور فاغتندى نسج العناكب بالمجاز ستارا
يا من جرى لبن العجاف بمسحه فسقى واروى غلة وأوارا
يا من يعصب بالحجارة بطنه عند الطوى وابى الجبال نظارا
يا من حباة الله ارفع رتبة تدع النجوم النيرات حيارا
يا من رقى للسبع فاجتاز المدا ورأى العظيم الواحد القهارا
يا من سقاها الفضل في معراجيه غشا وفيا بالمنى مدرارا
يا من اتم ببعثه الاخلاق فانه بعثت مسوكا في الفضاء وبهارة
يا من اتى بالذكر بالغ حجة يقف العنود حياها محتارا
يا من اتى بالعدل والاحسان دس تنورا يقبل العالمين عثارا
يا من دعا بالدين حتى اذ بدا شر الخليفة جرد البتارا
فاقام دين الله فوق قواعد ظهرت على شم الجبال قرارا
المسلمون تخاذلوا وسطت بهم هوج النفوس اكابرا وصغارا
وتفرقت كلماتهم ايدي سبا حتى غدوا مستضعفين اسارى
مانوا عن المثلى التي مهدتها لهم فلاقوا محنة وخسارا
وغدا مهاد العلم يعمره القطا من بعد ما ساب النوى اعصارا
لم يفهموا ذكراك الازينة او محفلا يستنطق الاوتارا

ترجمة الشفاء

(قابلة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

بقلم العالم المحقق الشيخ محمد
البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة

« ضبط اسمها »

الشفاء بشين مكسورة وفاء مخففة معدودة على ما يفهم من كلام صاحب القاموس حيث قال :
الشفاء الدواء الى ان قال : وسموا بشفاء
ومثله لابن الاثير في الجامع
ولبرهان الحلبي انه بالكسر والقصر قال في كتابه المقتنى : الشفا بكسر الشين المعجمة مقصور
فيما اعليه اه ومثله للحافظ في التبصير وبه صدر صاحب المنهل الاصفى
وضبطه صاحب نسيم الرياض بشين معجمة مفتوحة وفاء مشددة ومدة وهو المشهور على الالسة
وجرى عليه الامام البوصيري اذ يقول في الهمزية : وشفنا بقولها الشفاء وفي شرح منلا علي قاري
على الشفاء استظهار انه تصحيف وتحريف
وبناء على ما صدرنا به فهو علم منقول واياه ارتضى منلا علي قاري في شرحه على الشفاء قال :
والتحقيق ان الشفاء مصدر في الاصل ثم نقلته العرب علما للوثأه وكانه ينظر الى الكثير الغالب فقد

او ناعقا يقر المسمع صوته يتكلف التسبيح والاذكارا

هذا الذي قد جد بعدك فليدر	حرز الشفاعة بالضعاف سوارا
وليرع شاعرك الرهين بذنبه	من يغفر الآثام والاوزارا
ويفض عليه واهله وبلاده	نعمات جل بفضلكم مقدارا
وينله يوم الفصل وافر رحمة	قربا لحضرة نزلكم وجوارا
صلى عليك الله يا خير الورى	واعز اشراف الانام نجارا
والآل والاصحاب صفوة يعرب	ما لاح نجم في السما وتواری

الحنا عر القصار

سمي به الذكور ايضا وقد اطلق صاحب القاموس في تعبيره اذ قال : وسموا شفاء اه قال في تاج العروس : وغالب ذلك في اسماء النساء اه
واسمها العنقاء قال ابن الاثير : قد ذكر ابن ابي عاصم في ترجمة عبد الرحمن بن عوف ان امه العنقاء ويقال لها الشفاء

« نسبا وصلتها بعبد الرحمن بن عوف »

هي بنت عوف بن عبد الحرث بن زهرة وامها كما في الطبقات لابن سعد سلمى بنت عامر بن بياض بن سبيع الخزاعي
وهي والدة عبد الرحمن بن عوف « احد العشرة المبشرين بالجنة » قاله الحافظ في الاصابة ومثله للحافظ الذهبي وللقاضي عياض في الشفاء كما ترى عند الكلام على آيات مولده صلى الله عليه وسلم وحكى الشهاب الحفاجي في شرحه على الشفاء انها اخت عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، وهو خلاف ما عليه اكثر اهل العلم والحفاظ

« اسلامها وهجرتها »

كانت الشفاء رضي الله عنها من اول الناس اسلاما وذلك انها شهدت عند مولده صلى الله عليه وسلم ما حفظته ذاكرتها الى بعثته فكانت في مقدمة من آمن به عليه الصلاة والسلام
أخرج أبو نعيم من طريق ولدها عبد الرحمن بن عوف عنها قالت لما ولدت آمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك الله ورحم بك واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم قالت ثم البسته واضجعت فلم البث ان غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عني فسمعت قائلا يقول اين ذهبت به قال الى المشرق فلم يزل الحديث مني على بال حتى ابتعثه الله فكانت في اول الناس اسلاما واما هجرتها فقد كانت مع اختها لامها بنت ابي قيس

« وفاتها »

توفيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن سعد في الطبقات وجاءت فيها سنة العتاقة عن الميت قال ابنها عبد الرحمن للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اعتق عن امي ؟ قال نعم فأعتق عنها

محمد البشير النيفر



الشعائل المحمدية

بقلم صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ سيدي
محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام المالكي

لا احسب مسلماً يخير في اي الاماني احب اليه ان يحصل بعد تعدادها ثم لا يكون مختاراً منها ان يرى ذات نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . واذا كان رسول الله قد تمنى ان يرى من يجيء بعده من المسلمين لمحبه امته كما في الموطا عن ابي هريرة ان رسول الله قال وددت اني قد رايت اخواننا فقال له اصحابه يا رسول الله ألسنا باخوانك قال بل انتم اصحابي واخواننا الذين لم ياتوا بعد (وانا فرطهم على الحوض) فكيف لا تكون شدة حب الامة نبيها مبعث تمنيم ان يروه . فلئن فاتهم امكان رؤية ذاته الشريفة فلهم في التعلق بصفاته سلوى كما قال البوصيري .. (فتزهر في ذاته ومعانيه استماعاً ان عز منها اجتلاء) ولاجل هذا تنافس السلف الصالح الذين لم يشاهدوا ذات النبي صلى الله عليه وسلم او لم تعلق تفاصيل صفاته المباركة بمخيلاتهم لصغر سنهم حين رأوه . دآئين على طلب تعرف صفاته عساهم ان يتلمحوا من تلك الصفات ملامح ذاته المباركة فقد سأل الحسن والحسين رضي الله عنهما خالهما هند ابن ابي هالة (١) وكان وصافاً عن صفة رسول الله وسأل الحسين اباه علياً رضي الله عنهما ثم حدث بها اخاه الحسن وقد استشعر من بقي من الصحابة أهمية جمع صفات رسول الله لمن ياتي من أمته فظهر منهم حرص على تحديث الناس بذلك فكان أبو هريرة رضي الله عنه اذا رأى احداً من الاعراب او احداً لم ير النبي صلى الله عليه وسلم يقول له الا أصف لك النبي ثم يفيض في وصف شعائله وجاء رجل من بني عامر الى ابي أمامة الباهلي فقال له يا ابا أمامة انك رجل عربي إذا وصفت شيئاً شفيت منه فصف لي رسول الله كافي أراه فافاض أبو أمامة في ذكر شعائله صلى الله عليه وسلم . فصار مثل المسلمين في ذلك كمثل قول بشار

قالوا بمن لا ترى تعنى فقلت لهم الاذن كالعين توتي القلب ما كانا

وان محبة الذات تقتضي محبة ذكر صفاتها كما ان محبة ذكر الصفات تقتضي المحبة من صاحب الصفات بما دل عليه حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين ان رجلاً كان يقرأ لاصحابه في صلاتهم فيجتم بقل هو الله أحد فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال سلوة لاي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لانها صفة الرحمان وانا أحب ان أقرأ بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه ان الله يحب . ولقد بسر الله للمؤمنين ان ألهمهم البحث عن شعائل رسول الله قبل انقراض عصر الصحابة ليبقى منها أثر

(١) هو هند بن ابي هالة امه خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها فهو ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخو فاطمة لامها فلذلك دعاها الحسن والحسين خالهما توفي يوم الجمل سنة ٣٦ مع جند علي رضي الله عنه

قائم لمن يأتي من المسلمين في سائر العصور والاحيال يرد على قلوبهم روحا يهب على لبيب اشواقهم الى ذات نبيهم فانبرى المسلمون في اواخر عصر الصحابة الى تقييد هذه الصفات المباركة كما ينبغي بذلك وجدانا معظم احاديث شعائله صلى الله عليه وسلم مرويا عن المعمرين من الصحابة مثل ما يروى عن انس بن مالك وسهل بن سعد وابي الطفيل عامر بن وائله اواخر اصحاب رسول الله وفاة او عمن ثبتت لهم الصفة بالمولد الذين كان لهم بخاصة اصحاب رسول الله اتصال مثل الحسن والحسين فيما روياه عن ايهمما كرم الله وجهه او عن خالهما هند بن ابى هالة رضي الله عنه وقد كان اصحاب رسول الله اذا رأوا رجلا يشبه رسول الله اهتزت انفسهم اليه شوقا الى شبيهه فقد كان ابو بكر اذا رأى الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله يقول « يا بني شبيهه بالنبي . ليس شيئا بعلي » وكان كابس (١) بن ربيعة يشبه النبي صلى الله عليه وسلم فكان أنس بن مالك اذا رآه بكى وبلغ خبره الى الخليفة معاوية رضي الله عنه (وهو من اعرف الناس بصفة رسول الله اذ كان صاحبه وصهره وكتب وحيه) فارسل معاوية في ان يوجه اليه كابس من البصرة الى دمشق فلما دخل عليه قبل معاوية بين عيني كابس واقطعه قطيعة وكانوا يحصون الصحابة الذين يشبهون رسول الله في كثير من شعائله ويحصون من كان يشبهه من التابعين فمثلهم كمثل قول الشيخ ابن الفارض

وابيت سهرانا امثل طيفه للعين كي القى خيال خياله

ثم انقرض عصر الصحابة فغفل الناس عن معرفة من يشبه الذين يشبهون رسول الله لان المشابهة في ملامح الذات لا يتوسمها الا الذي عرف الذات فتمحصل له عند رؤية مشابه الذات لمحة من طلعة الذات المشبه بها فهناك يتوسم الذات اللائحة حتى يعرف من اين جاء الشبه فيصفه وسنذكر اسماء من احصيناهم من هؤلاء السادة في آخر هذا المقال

الآثار المروية في الشعائل

ان احاديث الشعائل المحمدية الراجعة الى صفة ذاته كثيرة تنتهي اسانيدها الى ثلاثة وعشرين من الصحابة وهم علي بن ابي طالب . سعد بن ابي وقاص . عائشة . عبد الله بن عمر . انس بن مالك . ابو هريرة . جابر بن عبد الله . البراء بن عازب . جابر بن سمرة . ابو أمامة الباهلي . جبير بن مطعم . ابو الطفيل . هند ابن أبي هالة . عمرو بن اخطب . سلمان الفارسي . ابو سعيد الخدري . عبد الله بن سرجس . ام هاني بنت ابي طالب . ابو رمة (٢) ام هلال او ام بلال (٣) . عبد الله بن عباس . السائب بن يزيد . ام سعيد الخزاعية .

(١) كابس بكاف في اوله بن ربيعة من بني سامة بن لؤي من اهل البصرة تابعي
(٢) هو بكسر الراء وسكون الميم اشتهر بكنيته وقيل اسمه رفاعه كما قاله الترمذي وقيل حيان روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو من تيم الرباب كما حزم به الترمذي وقيل تميمي من بني تميم

(٣) ام هلال بنت بلال وقيل العكس قيل هي من الصحابة وقيل غير ذلك

وقد رايت ان أحذف اسانيدها وأختصر ماورد فيها مما به الحاجة ويسهل معه التوصيف وأرتبه على مواضع الجسد ولا اذكر الا ما فيه صفة ذات من شأنها ان تشاهد واترك المكرر الا ما في بعضه بيان او خلاف بالنسبة لبعض آخر مع المحافظة على الالفاظ الواردة في الآثار واذا كان بعض ما وصفه به الواصفون يفسر البعض الآخر ذكرته بكلمة اي التفسيرية بدون وضع بين هلالين واذا كان التفسير من كلامي ذكرته بين هلالين

تفصيل الشمائل

(عموم الجسم والقامة) ليس رسول الله بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وهو ربعة (متوسط الطول) الى الطول اقرب رجل بين الرجلين بعيد ما بين المنكبين . جليل الكتف (جمع الكتفين وهو الكاهل) جليل المشاش (رؤوس المناكب) ضخم العظام ضخم الكراديس (رؤوس المفاصل) فخم مفخم (ليس بنحيف ولا دقيق العظام) ليس بالمطم (الكثير اللحم) ولما كبر بدن . بادن متماسك (غير مسترخي اللحم) اجرد سائل الاطراف (غير قصير اليدين ولا الاصابع) اذا مشى يتكفأ يتقلع كأنما ينحط من صبب (مكان منحدر) او ينقلع من صخر كأنما يمشي في صعد أسرع الناس مشية لونه ليس بالايض الامن (الشديد البياض) ولا بالآدم (الاسمر) اسمر اللون الى البياض اي ايض مشرب بحمرة أزهـر اللون ايض كأنما صيغ من فضة أنور المتجرد (ما تغطيه الثياب)

الرأس - عظيم الهامة . رجل الشعر اي ليس بالجعد القلط (الجعد الموصوف بالجعودة وهي عسر ارتخاء الشعر والقطط (الشديد الجعود) ولا بالسبط (السبوطه ارتخاء الشعر بدون التواء) وقيل سبط الشعر (فالعنى انه الى السبوطه اقرب) عظيم الجمه كان شعرة فوق الوفرة ودون الجمه (الوفرة الشعر الواصل الى شحمة الاذنين والجمه ما تدلى على المنكبين والجمه بينهما) وقيل كان ذا وفرة اي شعرة الى شحمة اذنيه وقيل كان ذالمة (ولعلها احوال) ان فرقت عقيقته (شعر الرأس) فرقه والا تركه وكان يسدل شعرة وكان اهل الكتاب يسدلون وكان المشركون يفرقون وكان يحب موافقة اهل الكتاب ثم فرق رأسه وربما ظفـره فقد دخل مكة يوم الفتح وله اربع صفائر وكان شعرة اسود وفي صدغيه شيب قليل شعرات

الوجه - في وجهه تدوير مع استطالة قليلة . لم يكن بالملكثم (اي المدور الوجه) واسع الجبين صلت الجبين سهل الحدين اسبل الحدين (لا تنوء فيهما) ولوجهه بريق كان الشمس تجري في وجهه الانف - اقنى العرينين (اقنى طويل بدقة والعرينين الانف) يحسبه من لم يتأمله اشـم (الشمم استواء أعلى قصبة الانف مع ارتفاع يسير في الارنية) يري في أنفه بعض احديداً

العينان - اكحل العينين ادعجهما (شديد سوادهما) وقال هباب بن سمرّة اذا نظرت اليه قلت اكحل العينين وليس باكحل اشكل (الشكل حمرة في ياض العين) مشرب العينين حمرة وقيل اجور (شديد يياض ايض العينين) . افخذ (طويل شق العينين) اهدب الاشفار (طوليلها) في اشفاره وظف (كثرة شعر) نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء (الى فوق) جل نظره الملاحظة (حافظا نظره)

الحاجبان - ازج الحواجب (دقيقهما مع تقوس) سوانغ في غير قرن وقيل مقرون الحاجبين (اي يقربان من القرن) بين حاجبيه عرق يدرة الغضب

الفم - ضليع الفم (واسعه) حسنه مقلج الاسنان اذا تكلم ريء كالنور يخرج من بين ثناياه . ضحكه تبسم وربما ضحك حتى بدت نواجذه

الاذنان - تام الاذنين

اللحية والشارب - كث اللحية (كثيرة الشعر) قد ملات نحرة سوداء اللون فيها شيب شعرات في مقدمها من تحت الشفة السفلى وكان يقص شاربه (من جهة الشفة)

العنق - في عنقه سطع (بالتحريك ارتفاع) كان عنقه ابريق فضة اذا التفت التفت جميعا الصدر والبطن - سواء البطن والصدر موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط اشعر اعالي الصدر ليس في بطنه وصدره شعر غير ذلك دقيق المسربة (بضم الراء الشعر الذي يكون من النحر الى السرة) عاري الثديين والبطن (من الشعر) اجرد بطنه ايض كالقراطيس المثنية بعضهم على بعض .

اليدان - اشعر الذراعين والمنكبين طويل الزندين عبل العضدين (ضخمهما) شثن الكفين (غليظ فخم) رجب الراحة ضخم الكراديس (رؤوس العظام) سائل الاطراف لين الكفين كالحرير وروي ان سبابته اطول من الوسطيين وهو غلط وانما ذكر ذلك في سبابتي رجليه كما سياتي الظهر - ين ككتفيه في ظهره خاتم النبوة وهو غدة اي بضعة ناشزة حمراء مثل زر الحجلة (الزر بزاي مكسورة ثم راء قطعة من ثوب تحشى بصوف او نحوه وتخط فتكون كشكل البيضة يشد بها شقة اثواب الحجلة بفتحيتين وهي البيت كالقبة بان يدخل الزر في عروة تقابله فتقع الشقة على الشقة)

الرجلان - شثن القدمين خمضان الاخمصين (ضامر وسط القدمين) مسيح القدمين أملسهما لا تنوء فيهما ولا شقوق (قليل لحم العقب رجب القدمين اي ضخمهما وكان في ساقيه خموشة اي دقة) ولساقيه بريق وروي احمد بن حنبل والبيهقي حديث ان سبابتي ساقيه اطول من الوسطيين لكن في

سندة سلمة بن حفص السعدي كان يضع الحديث والصحيح ان ذلك لا اصل له وان خلق انشاء رسول الله على احسن خلقه صلى الله عليه وسلم

من يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان بعض الصحابة وبعض التابعين يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعد من بعد التابعين احد يشبهه وسبب ذلك ان اصحاب رسول الله الذين كانوا يرون شبهه في بعض الذوات قد انقرضوا في عصر التابعين فلم يبق من تلوح له ملامح ذات رسول الله في بعض الذين يشبهونه لان الشبه يحصل من مجموع صفات لا يتفطن لها الا من يعرف المشبه به الموصوف بها

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان ابراهيم الخليل عليه السلام هو شبيهه من الانبياء المتقدمين

واما الذين يشبهون رسول الله من امته فتسعة عشر او عشرون وهم : ابنته فاطمة وابنه ابراهيم وجعفر بن ابي طالب قال له رسول الله اشبهت خلقي وخلقي وابو سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب اخو رسول الله من الرضاعة وعثمان بن عفان وقثم بن العباس والحسن بن علي يشبه رسول الله في نصفه الاعلى وكان ابوبكر يلاطفه وهو صغير يقول له « بابي شبيه بالذي ليس شبيها بعلي » والحسين يشبهه في نصفه الاسفل . وعبد الله بن جعفر بن ابي طالب . عون بن جعفر بن ابي طالب . محمد بن عقيل ابن ابي طالب . مسلم بن عقيل بن ابي طالب . عبد الله بن الحرث بن نوفل الملقب بـ « مسلم بن معتب ابن ابي لهب » . عجير بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب . كاس بن ربيعة . السائب بن عبيد . عبد الله بن عامر بن كريز العشمي . عبد الله بن ابي طلحة الخولاني . وكان كف علي بن ابي طالب يشبه بكف رسول الله فهؤلاء الذين بلغ بهم استقرارهم لمن ذكر انه يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان مشابهم اياه متفاوتة وكلها لا تبلغ تمام شبهه وهذا معنى قول علي رضي الله عنه في حديث صفته « يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله » وعليه يحمل قول البوصيري رحمه الله

منزلة عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

محمد الطاهر بن عاشور



مولد طه

للعالم الاديب الشيخ علي النيفر المدرس
من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

ماحيا للشكوك يفرى دجاها	لاح نجم الهدى بمولد طه
ومضت تهتدي به في سراها	فانشئت نحوه البرية تعشو
من مناح تفضي لصوب مناها	تتجرى في سعيها لاحبات
ودهاها من العمى ما دهاها	بعد ان عمها الضلال زمانا
في المهاوي فيالتعن خطاه	وغدت تسرع الخطا لتردى
ترهات لم تدر يوما سواها	ما رأت من سنا الحقائق الا
ومن البؤس ناصبا ما عناها	قد عناها من البلاء ممضا
هد جثمانها واخرس فاهها	مسها الهون والشقاء بقرح
حالك لم يكدر يريم حماها	وعراها من المظالم قطع
بحروب امست بها تنباهي	امم امرها شتيت تفاني
حلبات الردى لاقصى مداها	تتبارى على عتاق الهوى في
ذو الحجى الجاهلي الاسفاها	يقدم الايد الضئيل ويأبى

حين لاح الهدى بمولد طه	يا لها غمرة تجلت وشيكا
ل بانوارها يشع سناها	حين القى الهناء والامن والعد
سجسجا انعشت به من نجاها	وافاءت تلك السعادة ظلا
دولة الاقويا ودكت بناها	واستوى الناس في الحقوق ودالت
يوم لانت من القساسة قناها	يوم حاط الورى سياج اخاء
كل نفس تسير نحو هداها	واستقامت غلف القلوب واضحت
ب مفيض ليسرها ورخاها	مولد كان مبزغ العز للعر
وان من بعد شقوة وهداها	مولد المرسل الذي اسعد الاك
ذي البرايا بجودها وجداهها	ذي اليد السمحة التي غمرت هـ

فاق شمس الضحى سنا وعلاها	بدر تم سرى بآفاق طهر
--------------------------	----------------------

من لدن آدم الى صلب عبد الله
ثم أوفى على العوالم من مظ
مطلع الرشيد والهدى ابنة وهب
دوحتا سؤدد تفرع غصن
ناط عقد الزواج بينهما الال
حبذا ذلك الزواج الذي أئ
ه يسري حيث العلل تناهي
هر نبل وعفة لن يضاهي
من انافت في مجدها وعلاها
عنهما طاول الغصون وباهي
غفة موصولة باقوى عراها
مرب خير الورى واعلاها جاها



حملته الرؤم آمنة البر
لم يؤدها ولم تجد منه يوما
ولكم من خوارق باهرات
وترامى لها من الجانب القد
منبأ ان ذا الجنين رسول
ودعاها لان يسمى اذاما
وبأثناء حمله مات عبد الله
ياله سؤوداً حواه يتيماً
ة حملا لم توه منه قواها
وحا يسر الغضى في حشاها
شهدتها فيه يرز صداها
سي طيف مبشر في كراها
للبرايا وانه مصطفاه
وضعته محمدا ورجاها
ه أف لذا المنون وواها
لوحواه سواه يوما لتاها



منذ حين الولاد لاحت تباشير
وأمر خوارق وأعاجيب
حضرت نسوة لدى وضعه من
وبتعالى نور فريشت قصور الش
ساطعا من سنا النبوة قد ضا
وتدانت منه الكواكب والاهر
وتداعى الايوان يؤذن ان قد
ولد المصطفى فقست عيون
واضعا كفه على حبة الست
رافعاً رأسه الى مهيطل الوح
ومشيراً باصبع منه للتو
ر علاه كالشمس رئت ضحاها
ب تبدت لنا الزمان رواها
حضرة القدس هن قطب رحاها
ام من مكة وريث ربها
ه به بطن مكة ودرأها
نام خرت معفرات جياها
حان من دولة الطغاة تواها
للبرايا به وزال قذاها
ر حذاراً من مقلة ان تراها
سي ومرة ذاته في سراها
جيد مالوف نفسه من صياها

ثم طافت به ملائكة الله به بأمصار ارضه وقراها
ولد المصطفى كحيلة نظيفا لم يدنس من الدنيا بأذاها
وتبدى مقطوع سر ومختو ناوكم من عناية قد حواها

ارضته الفتاة اخت بني سعد مدوقد دكت الخطوب صفها
فصفا عيشها وأحسب مرعا ها وبالهاشمي طاب ثراها
ورأت من نمو البدع ما أد هش منها فؤادها وحجاها
وكأين رأت بواهر آي منه كثر طول المدى ما طواها
شق عن صدره لديها فراحته من حذار عليه يطمو أساها
حملته لأمه وهي ولهي فارقه ولم يكن عن رضاها

ثم أودى بأمه الدهر طفلا بكأس المنون ملئ سقاها
فغد اجده حفيأ به حدة ي طوى نفسه العزوف رداها
فأولاه لظله عمه القر م أبو طالب وأولاه جاها
لم يزل كالثالة ناصر ادع سوته من شبا العداة حماها
ثم أودى فكأن عامه عام ال حزن لما العداة أبدت قلاها
وتولت خديجة زوجة البر ة فيه حيث الجنان قراها
هي كانت من المواسين للمخ تار حقا والمؤمنين بداها
وهي أم لجل أولاده الزه ر كفاها بذنا فخارا كفاها
ابدا ما ابتغى زواجا عليها لحقوق لها جسام رعاها
لم يكن ينكح النساء لسر قدسي حتى انطوت في ثراها
وقضاء الحقوق من شيم العر ب ورعي الذمام اقصى مناها
منيت طيب وعرق كريم انجبا السيد الذي لن يضاهي
واذا ما ارومته المرء طابت اشبهتها فروعها وجناها

نشأ المصطفى على خير ما ين شا ذو نية يضئ سناها
جامعا مفرد المحاسن قد زا ته بين الوري بابي حلاها

جمع الصدق والامانة والعفة ة والباس والندى وسواها
من خلال غر تجمعن في ذا ته جل الذي بها قد جباها
شب لا يرتضي المجون لبوسا يبعث الشرك فطرة والسفاها

* * *

لم يزل شأنه كذلك حتى خص بالبعثة البعيد مداها
فدعا للاله هذي البرايا ماحضا نصحه لها اذ دعاها
دعوة عمت الورى كلهم لـ سمتها الحق والسداد سداها
ايدت صدقها من الله آي ليس تبقي لذي الجحود اشتباها
معجزات كالصبح كاثرن في العد درمال الدهناء بل وحصاها
قد رواها لنا الزمان وابقا ها كتاب راق النهى وسباها
منزل من لدن عليم الخفايا أوضح السبل للهدى وجلاها
سيف حق مصمم زهقت من ه الاباطيل واستباح حماها
لم تفرط آياته الغر من شي ء وما ان تفيض يوماركها
اعجزت كل مصقع ببيان ينزل العصم من منيع ذراها
هي كانت خلق النبي ومنحى هديه لا يجحد عنه اتجاها
قد هدت ناكبا عن الحق للاس لام للشرعة المرف صداها

* * *

شرعة تكفل السعادة للخذ ق ويحيي النفوس صوب حياها
مهدت منهج السلوك الى خد ر الحياتين ضل من قد اباهها
لم تزل مشرعا لهدى البرايا في جميع الشئون يروي صداها
لهج الدهر مفصحا عن علاها وأقرت لها بذاكم عداها
اصبح الناس فرقتين سعيد ليس ينفك يهتدي بهداها
وشقي أبى انصاعا اليها وبافك طوع الضلال رماها
رام اطفاء نورها وابى الد ه تعالى ان لا يتم سناها
حارب الاشقياء صدا عن الد ه رسول الآله بل والآلهها

* * *

ثم هبت بكل نصر وفتح نفحات لطف الآله جداها

وحى الله دعوة الحق بالهج
ورسا الدين واستقرت بناه
وسرى نوره الى انفس العر
حيث وافى لطية هو والصح
واواه الانصار في خير ماوى
وغدوا والنبي غيظ الاعادي
ان ذب الانصار عن حوزة الدي
اخضعوا المشركين بعد اعتزاز
يوم خاضوا مع الزسول غمارا
فسلوا عنهم حينئذ وبدرا
وسلوا مكة عن الفتح ماذا
وسواها من الملاحم ماها

ثم لما ان تم واكتمل الدي
آثر المصطفى الذي هو ابقى
فارقته انواره فغدت في
ويح يوم الاثنين ماذا جلالة
اصبح المسلمون فيه حيارى
لم يزل خطبه يجدد فينا

ما لنا سلوة بشيء سوى شر
وبحسب المحب قفو خطاه
ليس يعلو للمسلمين منار
افلح المسلمون في غابر الاز
هي يسر ورحمة فاقنقوها
شرع بر بالمؤمنين رؤف
فعليه صلى الآله تعالى
وعلى صجبه وتابع ذيا
عته ان يفوح عرف صباها
فهو مأمول نفسه ورضاها
بسوى ساحبا وغير حماها
مان لما تمسكوا بعراها
فاز مرة قد اهتدى فاقنقهاها
خاتم الرسل من به تنباهي
وعلى آله السرفيعين جاها
ك الضياء البادي بمولد طه
على النيفر

كيف نشأ احتفال المولد

في بلاد الاسلام

ان ما يملأ قلوب المسلمين في اليوم الثاني عشر من ربيع الاول كل عام من ناموس المحبة العلوي وما يهز نفوسهم من الفيض النوراني المتدفق جمالا وجلالا لياقي اليهم محلامن ذكريات القرون الخالية بأريج طيب ينم عما كان لاسلافهم الكرام من العناية بذلك اليوم التاريخي الاعظم وما ابتكروا لاظهار التعلق به واعلان تمجيده من مظاهر الاحتفالات فتطلع النفوس الى استقصاء خبر تلك الايام الزهراء والليالي الغراء اذ المسلمون ملوكا وسوقة يتسابقون الى الوفاء بالمستطاع من حقوق ذلك اليوم السعيد

وان في هذا الحديث العذب لسببا يمت الى رحاب الفضل النبوي بخدمة من تشرفوا بخدمته والانتساب اليه وتخليد فضلهم بين معالم الدين نرجو الاستمسك به اذ نقضي الى قرأنا في هذه الكلمة بما جمعنا من ذكر الاحتفالات المولدية في عصور التاريخ

ولعل اقدم ما عرف من مظاهر الاحتفال بهذا اليوم ما كان يفعله اهل مكة من زيارة المحل الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم وكلام الشهاب القسطلاني في المواهب اللدنية على اجمالها يفيد ان هذا وقع من احيال يصح الاقتداء بفعلها وذكر ابن ظهير في كتابه الجامع اللطيف انه وجد هذه العادة في القرن العاشر يتوارثها الخلف عن السلف وبحث عن اوليتها فلم يظفر بها

اما الاحتفال بهذه الذكرى الميمونة في غير مكة فاول ما ظهر بمصر اثناء القرن الخامس على عهد الخلفاء الفاطميين ولم يكن مولد النبي صلى الله عليه وسلم عندهم خاصا بالاحتفال بل كانوا يحتفلون معه بخمسة موالد اخرى هي مولد علي بن ابي طالب ومولد فاطمة ابنة رسول الله ومولد الحسن ومولد الحسين رضي الله عنهم ومولد الخليفة الذي يكون متوليا كل في اليوم الموافق له من ايام السنة

وكيفية ذلك الاحتفال على ما اورده القلقشندي والمقرئزي ان يجلس الخليفة بالمنظرة التي فوق باب الذهب من القصر الكبير وهي ادنى مناظر القصر من الارض ويكون قاضي القضاة وداعي الدعاة ومفتي الدولة والاشراف ومتولي دار العلم والخطباء والمتصدرون بجوامع القاهرة والقيمون على مشاهدتها مجتمعين بالجامع الازهر يختمون القرآن الكريم موزعا وعند انتهاء صلاة العصر يمنع مرور الناس في ما بين الجامع الازهر والقصر الكبير ويقف والي القاهرة وصاحب بابها

لتنظيم السير ومنع الازدحام ويركب من كان بالجامع الازهر يتقدمهم قاضي القضاة نحو القصر الكبير حتى اذا لم يبق لهم عن الوصول الى المنطرة الا خطوات ترحلوا وتقدموا نحو المنطرة باجلال وتشوف الى رؤية وجه الخليفة فتفتح احدى الطاقات المظلة من المنطرة ويبدو منها وجه الخليفة وتفتح طاقة اخرى فيبدو منها احد الاستاذين مسلما على الحاضرين بيده مبلغا اياهم سلام امير المؤمنين ويخصص بالذكر وجوه الحاضرين بنعوتهم المعتادة ثم يقف القراء وخطباء الجوامع الثلاث الكبرى تحت حائط المنطرة مستقبليين الناس بوجوههم فيتداول الخطباء الخطابة والقراء خلال ذلك يقرءون حتى اذا انتهوا أخرج الاستاذ يده من الطاقة مسلما ثم اغلقت الطاقتان وانفض الناس وتوزع في ذلك اليوم على الفقراء من النقود والطعام والحلوى مقادير ذات بال يقع توزيعها بالجامع الازهر وجامع الفسفاط والقرافة كما يحمل الى ديار الاغنياء والمستخدمين من طرف الخليفة عدد وافر من صواني الحلويات حتى يكون ما ينفق في هذا الموسم الشريف بالغامات الدنانير وآلاف الدراهم ومئات الآلاف من ارطال الطعام

وقد استمرت هذه العادة طول مدة الحكم الفاطمي بالديار المصرية حتى اذا اسقطت دولتهم اواسط القرن السادس كان هذا في جملة ما ابطلت الدولة الايوبية من عوائدهم ومحت من آثارهم الا ان سنة الاحتفال بالمولد النبوي لم تكند تنقطع من مصر في ظلمة القرن السادس حتى ظهرت بناحي الموصل على صبح القرن السابع ظهورها البين اذا اصبح الاحتفال خاصا بالمولد النبوي لا كما كان يفعل الشيعة من اشراكه موالد آل البيت

واول ما بدى ذلك بمدينة أربل بسعي ملكها ومعرها الامير الشاب الشهم المحسن المتفضل الملك المعظم ابي سعيد مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين كوجك علي المتوفى سنة ٦٣٠ ودفين المشهد العلوي الشريف بالكوفة

وقد بالغ رحمه الله في تعظيم الاحتفال بالمولد وتفخيمه حتى كان يهتز ما حول مدينته من الموصل والعراق وبلاد الكرد والعجم فتفيض على مدينته بوفود الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء فتقام الاحتفالات الشائقة التي قصر وصف الواصفين عن الاحاطة بها .

ويبدأ الاستعداد لتلك الاحتفالات وتقاطر الوفود لاجلها من اول محرم ولا تبدى الاحتفالات الا اليوم الاول من ربيع الاول .

فمن يومئذ يعطل جميع الناس اعمالهم وتقام فيما بين قلعته وقصر الخاقانة قباب خشبية مزينة ذات طبقات في كل طبقة منها جوق من ارباب المغاني واصحاب الخيال (١) وسر الملاهي وما يزال

(١) العبارة مأخوذة عن ابن خلكان والمراد به خيال الظل المعروف عندنا (بقره كوز)

داب الناس الدوران على تلك القباب وينزل السلطان كل يوم من قلعته بعد صلاة العصر فيشارك الناس في طوافهم ومرحهم ويستمر هذا ستة ايام او عشرة بحسب اليوم الذي يقام فيه احتفال المولد تلك السنة لانه كان يقيم الاحتفال في اليوم الثاني عشر عاما وفي اليوم الثامن عاما مراعاة للخلاف . فاذا كان اليوم السادس او العاشر ولم يبق للمولد الا يومان جمعت قطعان كثيرة لا تحصى من الابل والبقر والغنم وسيقت الى الميدان الاكبر الذي بين القلعة والخانقاه محفوفة بالطبول وجوقات المغاني والملاهي فشرع في نحرها ونصبت القدور لطبخ الالوان المختلفة من الطعام ويستمر النحر والطبخ متواليا وفي ليلة المولد يصلي المغرب بالقلعة ثم يقيم بعد الصلاة مجلس انشاد وذكر حافل ومنه يخرج في موكب بهيج تتقدمه مآت من الشموع العظمى موقدة فيحترق الميدان الاكبر حتى ينتهي الى الخانقاه . وفي صباح يوم المولد يقيم بالميدان مجمعا حاشدا يضم الاعيان والرؤساء وعموم الناس من اهل بلدة والوافدين عليه وينصب كرسي للوعاظ وموضع لجلوسه هو على شكل برج من الخشب ولكل من كرسي الوعاظ ومقام الملك شبائيك على الميدان ويكون جلوس العلماء والاعيان حول مجلسه وكرسي الوعظ . ثم يبدأ في عرض الجند بالميدان ويتخلل ذلك العرض قيام الوعاظ من كرسيم لوعظ الناس والملك مشرف على عرض الجند مرة ومصغ الى الوعاظ اخرى .

وفي اثناء ذلك ينادي الحاضرين من الرؤساء والاعيان والوافدين على بلده فيخلع عليهم حتى اذا كان قرب الزوال وفرغ من عرض الجند اقيم سماطان احدهما بالميدان لعامة الناس وصعاليكهم والآخر بالخانقاه لمن كان مجلسه حول الكرسي ويقع الارسال الى دار من تعين لان يرسل اليه من السماط ولا ينتهي السماط الى قرب العصر . ويبست تلك الليلة بالخانقاه ويقضيها ليلة سماع فاخر الى الصباح اذ يتجهز الوافدون للسفر فيعد كل منهم بنفقة

وقد نقل ابن الجوزي عن بعض من حضر هذه الاحتفالات انه كان ينفق عليها ثلاثمائة الف دينار وقد كانت هذه الاحتفالات منشأ لتأليف الكتب الخاصة باخبار المولد الشريف وتلاوتها في الاجتماع لذكرى المولد وذلك انه في سنة ٦٠٤ كان من جملة الوافدين على الملك مظفر الدين العلامة الرحالة الحافظ المحدث اللغوي ابو الخطاب مجد الدين عمر بن الحسين ابن دحية البلسي الاندلسي الظاهري ثم الحنبلي المتوفى بالقاهرة سنة ٦٣٣ فلما رأى عناية الملك بامر المولد صنف له كتابا سماه التنوير بمولد السراج المنير وقرأه بمحاضرة في موكب يوم المولد على كرسي الوعظ وذيله بقصيدة مطلعها . لولا الوشاة وهم اعداؤنا وصموا . فاجازة بالف دينار واتخذت تلاوته عادة للملك فكان كثيرا ما يقرؤه بنفسه وسمعه منه القاضي احمد بن خلكان وجرى على عمله الملوك فذاعت مجالس تلاوة المولد بالمشرق وكتب العلماء موالد كثيرة نسجا على منوال الحافظ ابن دحية

وشاعت هذه العادة بالمغرب اواسط القرن السابع وكان اول من ادخلها ابو القاسم العزفي امير سبتة من عام ٦٤٧ الى عام ٦٧٧ وهو من بيت العلم والامارة التي قال فيها ابو العباس المقرري في ازهار الرياض بنو العز في المشاهير الذين برزوا في ميدان السبق على الخواص والجاهير وحازوا رئاسة الدين والدنيا وفازوا بالمكانة السامية والمرتبة العليا.

وقد استحسن رواج هذه العادة بالمغرب شيوخ المذهب المالكي به ومنهم ابو موسى ابن الامام ونقل الخطيب ابن مرزوق ان بعض العلماء انكر ذلك الا انه استظهر قول ابن الامام والجمهور وتقرر اتباع هذا الاستحسان عند طبقات العلماء بالمغرب وجرى ملوك المغرب والاندرلس على الاعتناء بحفلة المولد فلم يكونوا يغفلونها

وكان السبق في ذلك الميدان للاحتفال الباهر الذي يقيمه كل عام بمدينة تلمسان السلطان ابو جم موسى الزباني وكان ملكه فيما بين ٧٦٠ و ٧٩١

وكان الاحتفال يقام ليلة المولد بالمشور وهو ساحة القصر في استعمال اهل المغرب ويدعى اليه خاصة الناس وعامتهم فيكون المشور بالغاية الالهة واكمل مظاهر الزينة مفروشا بالزرايى الفاخرة وعليها نمارق الجلد المغربي الرفيع قد حفتها الوسائد المغشى جلدها بالذهب وابنت في اطراف المجلس الشموع العظيمة المزهرة ويجلس السلطان في صدر المجلس والناس حوله وهم في قربهم منه على نسبة مراتبهم والخدمة في ثياب ملونة يطوفون عليهم بالمباخر والمرشات

ويكون المنشدون قياما بين يدي السلطان يترنمون بالمديح النبوي والزهديات واول ما يتدثون بانشاد قصيدة السلطان وكان ينظم كل عام قصيدة كما ينظم له الشعراء قصائد بتلك المناسبة تعرف عندهم بالملادييات فمنها في بعض السنين قصيدة كاتبه ابي زكرياء ابن خلدون

ما على الصب في الهوى من جناح ان يرى حلف عبرة واقتضاح
وفي بعضها موشح محمد ابن ابي جمعة التلايسي الذي عارض به ليل الهوى يقضان وطالعه

لي مدمع هتان ينهل مثل الدرر
قد صير الاجفان ما ان لها من اثر

وقد ضمن جميع تلك القصائد الحافظ ابو عبد الله التنسي في كتابه الذي سماه راح الارواح فيما قاله السلطان ابو حمو من الشعر وما قيل فيه من الامداح وفي آخر الليل يمد للحاضرين سماء فاخر يشهده الملك وينقض المحفل عند انبلاج الصباح

ومن ابداع ما كان يزبن تلك الحفلة المنجاجة البديعة ذات التماثيل العظيمة من اللجين التي كانت تستعمل عندهم لمعرفة الساعات بالليل وقد يخرج بنا الاطناب في وصفها عن الموضوع فمن اراد التمللي من ذلك فليرجع الى الجزء الرابع من نفح الطيب

والى جانب هذه الاحتفالات الرسمية التي تقام لذكرى المولد من طرف الملوك تقام احتفالات اخرى خاصة يجعلها الناس في منازلهم لتلاوة المولد وانشيد المديح ويظهرون لها علامات الفرح وشارات الزينة وتصدق فيها الصدقات وتؤدب المآدب

وقد ظهرت هذه الاحتفالات بالشرق في القرن السابع واستحسنها امام الشافعية يومئذ الشيخ

عبد الرحمان ابو شامة شيخ الامام النوري واستمر تنافس الناس في اقامة الموالد ومبالغتهم في النفقة عليها حتى قرنوا الانشاد فقر الدفوف ونفخ المزامير

ولم ينبلج صبح القرن الثامن الا وقد حف بالاحتفالات من الغلو ما كان داعيا لانكار كثير من العلماء انكارا جرحهم الى الانكار على اصل اقامة المولد وكان في مقدمة هؤلاء الفقيه المالكي تاج الدين عمر بن علي اللخمي الاسكندري المعروف بالفاكهاني المتوفي سنة ٧٣١ فكتب في ذلك رسالة سماها المورد في الكلام على المولد وقد اوردها جلال الدين السيوطي بنصها في كتاب حسن المقصد الآتي ذكره : وقد دخل في عوائد المولد صدر القرن الثامن عادة الوقوف لاجلال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابتداءها بالشام واول من فعلها الشيخ الامام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي المتوفي سنة ٧٥٦ في قصة اوردها ابنه الشيخ تاج الدين في طبقات الشافعية بالعبارات الآتية احضر مرة حتمة بالجامع الاموي وحضرت القضاة واعيان البلد بين يديه وهو جالس في محراب الصحابة فانشد المنشد قصيدة الصرصري التي اولها - قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب - فلما قال

وان تنهض الاشراف عند سماعه قياما صفوف اوجنيا على الركب

حصل للشيخ حالة وقام واقفا للحال فاحتاج الناس كلهم ان يقوموا فقاموا اجمعون وحصلت ساعة طيبة اه

وقد التزم الناس من يومئذ انشاد ابيات الصرصري في مجالس المولد والقيام عندها وكان ذكرهم الأبيات ملتزما عند الوصول الى ذكر ساعة المولد ثم صار بعضهم يجعل القيام لمجرد ذكر المولد وقد اتى القرن التاسع والناس بين محيز ومانع مترددين في حكم اقامة الموالد والقيام لها محتارين في ما تضم الحفلات المولدية من الامور المتقدمة التي كانت سببا لانكار المنكرين حتى فاه ائمة القرن التاسع الاعلام امثال الحافظ السيوطي والحافظ ابن حجر العسقلاني وابن حجر الهيثمي بتأييد اقامة المولد واستحسانه وصرحوا بان ما طرا على الموالد من الامور المنكرة يجب تجريد الموالد عنها ولا تكون قاضية على الاصل بالابطال واستخرجوا لذلك ادلة مستروحة من السنة الشريفة وعلى ذلك بني الحافظ السيوطي رسالته البديعة (حسن المقصد في عمل المولد) التي رد فيها على رسالة الفاكهاني المتقدمة

وتقرر هذا الاستحسان عند علماء المسلمين وشاعت الموالد في غالب البلاد الاسلامية وكان لرؤساء الزوايا الصوفية بالمشرق والمغرب عناية زائدة بهذه الاحتفالات التي اصطبغت باشكال مختلفة بحسب اختلاف الطرق الصوفية الراجعة لها تلك المعاهد واتخذ مشايخ الصوفية بحصر الاحتفال المولد مواكب سيرة في الطرقات زيادة على مجلس التلاوة .

ولم تنزل هذه العوائد متوارثة بغالب بلاد الاسلام على نحو ما كانت عليه في القرن التاسع ولكن الظاهر انه قد اعتراها فتور بالمغرب الاقصي منذ القرن العاشر فقد ذكر الاستاذ العلامة سيدي محمد الحنجوي في رسالته المسماة اصفاء المورد في عدم القيام عند سماع المولد كتبها سنة ١٣٣٧ ما نصه ولا كان عمل المواليد يحتفل فيه الكثير من الناس فيما ادركنا وانما ذلك في هذه السنة وما قرب منها

محمد الفاضل ابن عاشور

مرور مائة عام

على تأسيس حفلة مولدية رسمية بتونس

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد ابن الخوجه
المستشار لدى الحكومة التونسية

اعلم ان الاحتفال بالمولد الشريف في تونس كان ظهوره لأول مرة في المائة الثامنة على عهد امراء الدولة الحفصية سلكوا في ذلك مسلك سلاطين بني مرين بالمغرب وكان اكثرهم عناية بعيد الميلاد الاشرف السلطان ابوعنان فاقتدى بصنيعه السلطان الحفصي ابوفارس عبد العزيز فكان موسم المولد في زمنه مظهرا للزينة والصدقات ولا سيما احياء ليلته بالتلاوة والانشيد وقصائد المديح وفي عهدهم على ما افاده التواتر كان ابتداء جمع الصبيان بالكتائب على قراءة قصيدة الامام البصري في ايام المولد ورتبوا لهم في مقابلة ذلك منحة نصف الريال التي ما زالت موجودة لهذا الزمان واما منحة الخمسة ريالات التي تعطى للمؤدين بمناسبة المولد الشريف فانها حدثت في عصر الدولة المرادية اسسها المرجوم يوسف داي (١) كما فاده صاحب المونس وقال انهم كانوا يعطونها اياهم ليلة المولد حتى ان الكتاب الذي يكون معطلا مدة العام يجيء صاحبه ليتقاضى ما هو معلوم ومن الغريب ان هذه المنحة التي مر على احداثها اكثر من ثلاثة قرون لم يتناولها التطور الطبيعي في البشر ويلوح ان كرامتها ظهرت في بقائها لهذا الزمان فلا تمدن عينيك لما وراء ذلك ولكن ليتصور القاري مقدار اهميتها في عصر ظهورها فنقل له هنا اسعار بعض المأكولات في الدولة المرادية وفي بداية العصر الحسيني فرغيف القمح في ايام الداوي اسطامراد (٢) كان وزنه ٣٦ اوقية وقيمته ناصري واحد وقطار اللحم البقري كان سعرة ريالا واحدا في الزمن المذكور وفي عهد المولى حسين بن علي (٣) كان ثمن القفيز قمحا ثمانية ريالات وثمان الكباش نصف ريال والقنطار عسلا بريالين اثنين وقلة السمن بخمسة ارباع ومطر الزيت بثلاثة ارباع والثلاثة ارطال تمر بناصري واحد قال في المشرع الملكي وكان ثمن فرس السرج في تلك الايام ٢٠ ريالا وثمان فرس الخدمة ٨ ريالات وكسوة الرجل المستكملة ومعه قفطان قيمتها ثلاثون ريالا وكسوة المرأة خمسة ريالات ومنه يظهر ان منحة الخمسة ريالات التي تفضل بها يوسف داي على المؤدين كانت تكفيهم يومئذ لكثيرة عام كامل فاذا اشترى الواحد منهم مثلا لمعاشه ربع قفيز قمحا وكباشا لحمله قديدا مع مطر زيت ونصف قلة سمن وربع قطار عسل يدخره لعصيد المولد الذي سيأتي ذكره في الختام تبقى له بقية من الخمسة ريالات ، اللهم بارك .

(١) توفي سنة ١٠٤٧ - (٢) توفي سنة ١٠٥٠ - (٣) توفي سنة ١١٥٣

هذا وعلى قياس بني أبي حفص في الاعتناء بالمولد جرى عمل الامراء المراديين ولا سيما واسطة عقدهم محمد ويدعى حمودة باشا صاحب الجامع المجاور للزاوية العروسية ومثله حفيده محمد باشا المرادي صاحب الجامع المواجه للزاوية المحرزية وقد حكى المؤرخ ابن أبي دينار ان في زمنه (القرن الحادي عشر) كان الاحتفال بليلة المولد في تونس بالغاحد الغاية لا سيما بدار ققيب الاشراف ونص عبارته « وتكون ليلة عظمى بدار ققيب الاشراف يحضرها الحلة من الناس والقراء والفقهاء ويقع فيها السماع والانايد بالمدائح النبوية ويهرع الناس اليها من اطراف البلد وتكون عندهم من الليالي العقم (١) اه ثم ذكر الزينة التي كانت تقوم بها بعض الزوايا كالزاوية القشيشية نسبة لابي الغيث القشاش (٢) ولا سيما الزاوية البكرية (٣) بمناسبة المولد وقال انها تدوم نصف شهر ويهرع الناس للتفرج والمبيت بالزاوية البكرية المذكورة وعلى قدم امراء الدولة المرادية نسج ملوك الدولة الحسينية وكانوا يكثررون الصدقات في شهر المولد ناهيك ان المولى حسين بن علي كانت صدقاته تتجاوز حدود بلاده فانها كانت تصيب القريب والبعيد حتى اسارى المسلمين بمالطة وبغيرها من بلاد النصارى وكان يبعث لهم الزيت لانارة مساجدهم هنالك ويزودهم بالاكفان لادراج موتاهم واول امير حسيني رتب موكبا رسميا للمولد الشريف بتونس هو المشير احمد باي الاول وكان ذلك في سنة ١٢٥٧ ورتب موكبا مثله بمدينة القيروان وسياقي وصف هذا الموكب فيكون الاحتفال بموسم المولد في عامنا هذا جاء متمما لعدد المائة في صحيفة حسنات البيت الحسيني خلد الله دواؤه وقد امتاز المشير محمد الصادق باي بالزيادة في تفخيم هذا الموسم النبوي حيث عمم في سنة ١٢٩٣ الاحتفال به في سائر عواصم المملكة التونسية وخصص لذلك اعتمادات مالية بميزانية الدولة ينفق منها القدر اللازم لاشهار المولد بجامع الزيتونة وجوامع الحاضرة وزواياها على يد شيخ المدينة ويصرف الباقي على الحفلات المولدية التي تقام بجوامع البلدان على يد العمال وبمثل هذا جرى العمل الى هذا الزمان وقد اتفق ان كانت ميزانية عام ١٩١٧ في عصر الحماية (شاملة لمولدي عامين هجريين وهما عام ١٣٣٥ وعام ١٣٣٦ ولم يكن طبعاً بتلك الميزانية الا المال الكافي لموسم عام واحد فتداركت الدولة تلك الحال باخذ المال اللازم للمولد الثاني من فواضل الميزان واما صورة الاحتفال المولدي الرسمي الذي رتبه المشير احمد باي وسار اخلافه بكرسي الملك على منهاجه فحديثه طويل نلخصه فيما يلي .

- (١) يعني الفريدة يقال امرأة عقيم يعني لا تلد وضده امرأة متاق اي كثيرة الولد.
 (٢) مشهور بالصلاح واليه تنسب حومة القشاشين على مقربة من جامع الزيتونة كان معاصراً ليوسف داي ومن اصهاره الشيخ تاج العارفين البكري توفي سنة ١٠٣٠
 (٣) نسبة لال البكري من ذرية سيدنا عثمان بن عفان رضوان الله عليه انحصرت امامة جامع الزيتونة في بيتهم مدة ١٩٣ سنة.

ففي ليلة ثاني عشر ربيع الاول على ما تثبتته الرؤية الشرعية يقدم سمو الباي المعظم في موكب به الفخيم اعاصمة مملكته بنية زيارة مقامات الصالحين وهي ضريح سيدي علي بن زياد (١) وضريح سيدي محرز بن خلف (٢) وضريح سيدي ابن عروس (٣) وضريح سيدي ابراهيم الرياحي (٤) وضريح سيدي علي شبيحة (٥) وضريح سيدي علي محسن (٦) وبعد هاته الزيارة واقفاضة الصدقات يعود الموكب لسراية المملكة حيث تقام مادبة ملكية فاخرة يحضرها مع سمو الباي ولي عهده والوزراء وامراء الامراء وكبار اهل الدائرة السنية وطبيب القصر الملوكي وقد حضرت مرة في جملة من شرفهم بالاستدعاء المولى محمد الحبيب باي للعشاء مع سموه ليلة المولد فكان معنا حول المائدة جميع اطباء حضرته الرسميين وغير الرسميين وكانوا ستة في العدد قفلت له يا مولاي تتوكل على الله في الاكل من كل هذه الالوان الشبية ولا نخشى تخمة لانكم جعلتم بيننا وبينها سدا منيعا من الحكماء فضحك وقال لاطبائه علينا الاكل وعليكم رد البال ولولا ان هذه الحكاية جاءت بها القافية لما شغلت بها نظر القاري اما اصل هذه المادبة المولدية فانها من محدثات المشير احمد باي المتقدم ذكره وكان الوزراء من اصهاره ومماليكه يترصدون ليالي العام للتقرب اليه في ليلة المولد بصنع الاطعمة الشبية في بيوتهم وازادتها

(١) من اصحاب الامام مالك كان قفيها ورعا رفض خطة القضاء بتونس يؤتى اليه من بعيد لاختد الفتوى منه توفي سنة ١٨٣

(٢) من ذرية سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومن الصالحين والعلماء العاملين ينعت في عصره بالمعلم محرز لانه كان مؤدبا مرييا يعلم الصبيان القرآن والفقه وهو عماد اهل تونس في القديم وفي الحديث ينعتونه بسلطان المدينة وآخر تجديد تناول زاويته كان في سنة ١٢٧٩ على عهد المشير محمد الصادق باي وتوفي رضي الله عنه سنة ٤١٣

(٣) صاحب الكرامات الباهرة مات وهو ابن تسعين سنة عن دون عقب والخلف المنسوب اليه من نسل اخيه بورك فيه وزاويته بناها له السلطان محمد المنتصر الحفصي في المائة الثامنة وعلى واجبتها بالنقش في الحجر عبارة تشعر بذلك توفي رضي الله عنه سنة ٨٦٨

(٤) من اهل الصلاح الشرعي ومن اقطاب العلم وهو اشهر مشاهير علماء تونس في القرن الماضي تخرجت عليه طبقات من كبار العلماء تولى رئاسة المذهب المالكي وامامة جامع الزيتونة وقام بسفارة لدى سلطان المغرب سنة ١٢١٨ في طلب الميرة وبذلك المناسبة اجتمع بالقطب سيدي احمد التيجاني رضي الله عنه واخذ عنه طريقته التي نشرها بتونس عند رجوعه اليها كما قام بسفارة اخرى في عام ١٢٥٤ لدى السلطان محمود خان الثاني في مهمة سياسية اوفده من اجلها المشير احمد باي وحج قبل ذلك عن والده الباشا مصطفى باي في سنة ١٢٥٢ وزاويته من اشهر زوايا حاضرة تونس جددت عمارتها في سنة ١٢٩٥ بعناية المشير محمد الصادق باي وبلغت نفقة قبتها ذات النقوش الجميلة لمائة الف ريال توفي رضي الله عنه في طاعون سنة ١٢٦٦

(٥) من المشهورين بالصلاح وبزاويته يتصب ميعاد الطريقة السلامية وهذه الزاوية بناها له الوزير مصطفى خزندار في سنة ١٢٦٩ وبها دفن رضي الله عنه عند وفاته سنة ١٢٧١

(٦) من مال البيت الاطهار واصحاب الكرامات دفن بداره عند وفاته في سنة ١٢٩٧

للهائدة المولدية وسمعت ممن نقل عن نديمه الشيخ مصطفى السماقي ان سموه كان بمعزل عن ذلك لانه كان متخوشنا في عيشه لا يعيل للرفاهية بحال وكان لابن غمه المشير محمد الصادق باي عناية عظيمة بالمولد الشريف ويتغالى في ترتيب المأدبة المولدية بما تبلغ قيمته لنحو سبعة آلاف ريال هكذا رايت في مصروفاته عن عام ١٢٨٩ وهو مبلغ وافر بالنسبة لعصره ولخزينة دولته وقد جرت العادة في مدة البايات السابقين ان عشاء المولد لا يحضره من رجال الدولة الا كبار متوظفيها المسلمين لكن هذه العادة تخلفت لأول مرة في سنة ١٣٣٢ حيث استدعى امير ذلك العصر باشارة من احد وزرائه لسياسة رآها في ذلك خلافا للعادة المألوفة جميع اعضاء مجلس الوزراء الشامل للوزراء والمديرين الفرنسيين والتونسيين وهذه العادة الجديدة اختلت في السنين التالية لتعطيل المأدبة المولدية بسبب استعمار ناز الحرب العالمية ثم اعيد ارتسامها بشكلها القديم مع تغيير قليل ولكن بدون تتابع على ممر السنين

هذا وبعد ان يستريح سمو الباي المعظم برهة من الزمان بعد صلاة العشاء يجلس بالمقعد المطل على سوق الترك وعندها ينتظم الموكب الملوكي فيخرج سموه من سراية المملكة في مظهر مهيب ويسير على القدم لزيارة اسواق التجارة الاهلية بينما تكون البطاح والشوارع التي حول القصباء محتبكة كاحتباك الرمانة بالمتفرجين والموسيقى الملكية تترنم بالحانها المطربة بحديقة القصباء ومن عقائد العامة بتونس ان اراقة قهوة البن من دلائل الخير المنتظر لذلك اعتاد اصحاب القهاوي العربية اراقة جزوات القهوة في ممر سمو الباي المعظم وسموه يحسن لهم في مقابلة ذلك قالوا ان المرحوم حمودة باشا جاء مرة للمشاركة في افراح اقامها اهل تونس تكريما لحضرته فقدم نحوه بسوق العطارين أحد القهواحية وارق جزوتين من القهوة فنهاه الباي عما رآه تبذيرا ولكنه فهم المقصود من صنيعه فاحسن له بنصف محبوب وعلى قياس جزوة القهوة وعلى قاعدة التقل من المهم الى الالم يتسابق في زماننا هذا اعيان التجار في ميدان المجاملة والمكارمة لحد اراقة قوارير العطور عند قدمي سمو ملكهم المحبوب فيمتلي الفضاء بالرائحة الزكية وبعضهم يفرش قطع الديباج ليتمر عليها سموه الى غير ذلك من مظاهر الفرح والحفاوة بامير البلاد وفي اثناء تجوله بالاسواق يشرف سموه بزيارته حانوت امين البركة فيعرض على انظاره الشريفة ما لديه من المجوهرات الفاخرة المعدة للبيع وقد يتفق ان سموه يرغب في بعضها بالشراء ومن سوق البركة يتقدم سموه لزيارة بقية الاسواق وتكون بالغة حد الغاية في الزينة والاسراج فيدخل سوق الشواشية حيث يجلس بحانوت امين الصناعة ويتناول قهوة الاكرام واهل هذا السوق كلهم من ابناء البلاد واعيانها ومعلوم ان صناعة الشاشية هي ام الصنائع التونسية والفضل في تهذيبها يرجع لاهل الحالية الاندلسية ثم يزور حانوت امين سوق الحرائرية وحانوت امين سوق البلاغية ويختتم سموه زيارته بالدخول لسوق العطارين الذي هو أشهر اسواق التجارة واقدمها

أحدثه الأمير أبو زكريا يحيى الحفصي في النصف الأول من المائة السابعة وكان في القديم الجانب سوق العطارين سوق آخر اسمه سوق الطيبين مواجه لصحن الجنائز وبه كانت تباع الزهور من ورد وباسمين وغير ذلك يشتري منها اصحاب حوانيت سوق العطارين ما يلزمهم من الزهور الصالحة للتقطير ومن اهل سوق الطيبين في حال شبابه العلامة الشيخ محمد بن علي قويسم صاحب دائرة المعارف المسماة كتاب سمط اللآل وتوفي سنة ١١١٤ بعد ان باشر التدريس بجامع محمد باشا المرادي وعند دخول الباي لسوق العطارين يشرف بزيارته حانوت امين الصناعة ويتناول من يده القهوة المسنونة وفي زماننا هذا اضيف لذلك زيارة المغازة المنصورية التي اشتهر صاحبها بالاتجار في الاقمشة البديعة وفي صناعة العطور السليمة وادهان الشودة الذكية ومياه الطيب ومنها ماء الكونجلو الذي اقرده بصره وهذا اللفظ محرف عن acqua angelo في اللغة الطليانية ومعناه ماء الملك ولولا خوف الخروج عن الموضوع لبخنا هنا عن ماهية هذا الماء وعن حسبه ونسبه وربما عدنا له في مناسبة اخرى وعلى ذكر سوق العطارين نقول ان لاهل تونس رغبة زائدة في انواع الطيب وهي احد الامور الثلاثة التي رغبت فيها السنة وقد امتاز الملوك الحسينيون الاكثار منها في المواسم والاحتفالات ولا سيما في ليالي رمضان وفي ليلة المولد فقد وقفت على دفتر في بعض مصروفات الباشا محمود باي واذا به تفصيل ما اتفق بمناسبة الاحتفال بمبعوث عثماني وفد عليه مبشرا بازدياد مولود للسلطان محمود خان الثاني وكان في جملة مصاريف هذا الاحتفال جانب من البخور ضمنه اوقية عنبر خام للاستعمال ساعة قراءة فرمان المبشر بالمولود المذكور ورأيت في تمديد آخر مؤرخ بعام ١٢٥٤ ان المشير احمد باي اشترى رطلا من القماري عند دخول شهر المولد ذلك العام مما يدل على ان عنايته بالمولود النبوي كانت متقدمة على الاحتفال به بالطريقة الرسمية ووقعت بيدي ورقة في بعض مصروفات المشير محمد الصادق باي عن عام ١٢٩٠ فاذا بها ١٧٤٨ ريبالا ثمن مسك وعنبر وعود للبخور في ليالي رمضان وخلال تجول سمو الباي المعظم بهاتيك الاسواق يكون سير الموكب بنظام حكيم وفي مقدمته شيخ المدينة لانه هو الذي يمشي به في الناس وخطة شيخ المدينة من انظمة الدولة الحفصية وعنها ورثه المراديون واستكمل نظامها في عهد الدولة الحسينية . وكان البايات يبيتون بمرآة المملكة ليلة المولد وبطلت هذه العادة لنحو اربعين سنة فارطة وفي السنين الاولى من عصر الحماية كان المجلس البلدي يرتب حفلة بلدية فخمة ليلة المولد بمناسبة قدوم سمو الباي للحاضرة فيشرف سموه الدار البلدية ويقدم لقدمه فخامة الوزير المقيم والوزراء وشيوخ الاسلام واركان الدولة وقواد الجيوش واصحاب الجيش من كبار السدوات التونسيين والفرنساويين ثم انقطعت هذه العادة في حدود سنة ١٣١٢ لاسباب ليس هنا محل بسطها

وفي صبيحة يوم المولد يعود سمو الباي المعظم لسراية المملكة للتبرك بحضور قراءة القصة الشريفة بجامع الزيتونة وهذا الاحتفال رتبته المشير احمد باي كما سبقت اليه الاشارة وحفه بمظاهر المهابة والحلال حيث جعله احتفالا عسكريا بكل المعاني ففي ساعة معلومة يعينها سمو الباي يقدم للسراية والبيت الحسيني والوزراء وامراء الامراء وامراء الالوية وبقية الضباط من كافة الطبقات ويكون جميعهم بكسوة التشريف الكبرى مع ما لهم من الاوسمة والنعموت وفي الوقت الذي يكون فيه حضرة الباي المعظم على أهبة الخروج يلتحق بسموه فخامة المقيم العام بنية المشاركة في الاحتفال ولك ان تسألني عن اصل هذه المشاركة من الدولة الحامية في هذا الموسم الاسلامي الصميم والجواب هو ان سراية المملكة كان نزل بها موقتا الجنرال لامبير حاكم قلعة تونس في شهر حجة ١٢٩٨ فلما حل يوم المولد الشريف من عام ١٢٩٩ وقدم المشير محمد الصادق باي للاحتفال به حسب العادة المألوفة استشاره الجنرال لامبير في ذلك واعرب لحضرته عن رغبته بالمشاركة العسكرية الفرنسية مع العساكر التونسية في تلك الحفلة اظهارا لما للدولة الحامية من الاحترام والتبجيل نحو الديانة الاسلامية ونحو صاحب المملكة التونسية فشكر الباي سعيه واجازة بذلك وخرج سموه من سراية المملكة في موكبه مصحوبا بالجنرال المذكور وحوله واليت ووزراء ورجال دولته مارا بين سمطين من العساكر الفرنسية والتونسية من باب السرايا الى باب جامع الزيتونة وفي العام التالي اي في مولد عام ١٣٠٠ الذي هو اول مولد احتفل به المولى علي باي الثالث كان المصاحب له في الاحتفال الوزير المقيم مسيو كميون وعلى منواله نسج اخلافه الى هذا اليوم وقد احتوى العدد ١١ من الرائد التونسي لعام ١٣٠٠ على حديث ذلك الموكب ضمنه تفاصيل لا تخلو من فائدة للمولعين بالتاريخ هذا هو اصل مشاركة دولة الحماية في موسم مولد النبي، وهي سياسة لها معنى عمق في تودد فرنسا للمسلمين شهد التاريخ برسوخها من عهد قديم فان نابليون بونابرت لما احتل بعساكره البلاد المصرية اوائل القرن الماضي اختلط بالفقهاء وربما تزي بزيمهم في بعض الاحيان وكان يشمل برعيه وعطفه تقيب الاشراف ويستمد صالح الدعاء من الشيخ خليل البكري وبعث اليه ذات يوم ثلاثمائة محبوب على وجه المشاركة في الاحتفال بمولد عام ١٢١٣ وفي تاريخ الجبرتي انه كان يستفتح رسائله لقاضي مصر مرة بعبارة « بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين » وتارة بكلمتي التوحيد ويختم كتابه بالتاريخ الهجري وهي سياسة رشيدة في مقام استمالة القلوب فسياسة فرنسا الاسلامية الحالية بقيت تحتفظه بشيء من سياسة نابليون الاول والتاريخ يعيد نفسه مادام الفلك يدور

ولنرجع بك لحديث المولد بالذات فنقول عند وصول الموكب المولدي لباب البهور بجامع الزيتونة يتلقى سمو الباي عبارات التهانى مكررة من فخامة المقيم العام ثم يضافه سموه مودعا اياه باجل شواهد الوداد ويتقدم نحو مدرج الجامع متبوعا بوزرائه واهل دائرته فيدخل لبيت الصلاة

قاصدا المحراب وهنالك يستقبله المشايخ الائمة وشيوخ المجلس الشرعي بالذهيين ويكون الجامع حيثذء اخذا حفله من الازدهاء والازدهار تسرج فيه السرج الكهربائية في رابعة النهار والناس في عدد الالوف كانما على رموسهم الاطيار وبالوقت يشرع فضيلة الامام الاكبر من مال البيت الاطهار في قصة ولادة النبي المختار وهي من محررات شيخ الغيوخ وطود الرسوخ سيدي ابراهيم الراحي اختصرها من مولد شيخ الطريقة الرحانية سيدي مصطفى البكري فلها ينتهي في قراءة الايات المعروفة الى قوله

فقم ايها الراحي لنيل سعادة قيام محب صادق الحب والادب

يستوي المقام الملوكي قائما ويقف كل من بالجامع على قدميه وتطلق المدافع من برج الجلاز ثم يحتم الامام القصة الشريفة جالسا ويتبعها بالدعاء لسمو المولى الامير وآل بيته ورجال دولته ولعامة المسلمين وبعد ذلك يقع تقديم كؤوس الحليب على وجه البركة لحضرة الباي المعظم وآل بيته ووزرائه واهل حاشيته ولفضيلة الشيوخ ثم يطاف بكؤوس الشربات المعطر على عموم بقية الحاضرين بالجامع وينتهي المجلس برش الجميع بماء الطيب ثم يخرج الموكب الملوكي من الجامع بقصد للرجوع في ابهة عزه واقباله لسراية المملكة هذا وقد جرت العادة في تونس واعمالها ان كل اهل بيت يتبركون بصنع عصيد السميد والسمن والعسل يوم المولد والموسرون يصنعون عصيدا من مزيج الحليب والفستق والسكر يسمونها الرغيدة نعتوها بذلك تقاولا بالعيش الرغيد ومنهم من يتبادل فيما بينهم ذلك على وجه الهدية والتبرك وبعض الزوايا يمشون من عصيدتهم لدار الباي في مولد كل عام

وقد وقعت يدي قطعة من ازمة بيت الحز ندار شاكير في عهد المرحومين محمود باي وابنه حسين باي فاذا ما كلام على عصيدة البركة التي حجي بها من زاوية الشيخ سيدي ابي الحسن الحلقاوي (١) لدار الباي في عام ١٢٣٥ ومثل ذلك في عام ١٢٤٤ باضافة عصيدة اخرى مولدية حجي بها للدار الكريمة من زاوية سيدي عبد المؤمن (٢) ومما تضمنه ذلك التقييد انهم احسنوا الكل من تقيي الزاويتين يربالين وعلى ذلك القياس جرى عمل بعض البيوت الشريفة في الاعصر المتأخرة فقد ادركنا من ذلك المشاركة الواسعة التي كان يقوم بها شيخ المعاسنة (٣) من آل بيت الاطهار في الدولتين العلوية والناصرية بما يهديه على وجه البركة من الاطعمة الفاخرة للائدة المولدية وامتاز عامل بنزرت باهداء شيء مما تنتجه جهته من الثمار الشبهة كغضب رفراف المشهور بخلاوته وطراوته هذا ما بلغه جهدي في هذا الموضوع وحيد المقل دموعه فخذ منه ما بدا لك ودع ما بقي والى القابل الملتقى (ان شاء الله)

محمد بن الحوجه

(١) صاحب الزاوية المعروفة باب الحضراء كان معاصرا للداي اسطام مراد توفيا سنة ١٠٥٠ الى بيته نسبت حومة الحلقاوين وصوابه الحلقاوين والاشتقاق من بنت الحلقا المعروف

(٢) بنهج السواحل وصاحبها هو سيدي محمد بن عبد المؤمن الساحلي من المشهورين بالصلاح

(٣) هو الشيخ محمد بن الطاهر محسن امام جامع الزيتونة توفي سنة ١٣٢٩

التأليف المولدية

ذكر بعض ما كتب على خصوص المولد النبوي الشريف
من الكتب وبيان اخذ بعضها عن بعض وطرق الاتصال بها

بقلم العلامة الذائع الصيت الشيخ محمد عبد الحي الكتاني الشريف

قبل كل شيء أردت أن أصارح المطالع المدقق بان الرجل الحرير لو جال واطال الترحال
وكشف عن ساعده تنقيا وبحثا في خزائن الارض طولها وعرضها لم يجد في البشر على اختلاف وجوه
العظمة والاكبار من تتبع الناس منه وقائع المبلاد وحوادث الوفاة وشتى الحركات والسكنات واحوال
الاقامة والتقلات واطوار الغضب والرضى ودقائق السلم والحرب والعطاء والمنع والتحريم والتحليل
غير فرد واحد في العالم الانساني هو نبي المرسلين ورسول العالمين عليه افضل صلوات الله وازكى
تحياته . بحيث لو قدر لدولة عظيمة من الدول الارضية ان تجتهد في جمع كل ما كتب عنه عليه السلام
لجمعت من ذلك خاصة مكتبة عظيمة لا تقصر عن اعظم مكاتب العالم .

اقول هذا بعد العلم بما ضاع واضاعه اهله واحرقه اعداؤه من كتب هذا الشأن في وقعة التتار
واستيلاء الاسبان على الاندلس .

وربما تلتفت سائلا هل سبقك احد الى هذا الاحساس والشعور فاحيك بعبارة وجدتها لرجل
عظيم من أوعية التاريخ في الاسلام وهو الحافظ شمس الدين السخاوي في كتابه الاعلان بالتوحيخ
لمن ذم التاريخ انه لو حصل التصدي لجمع اسم من كتب في السيرة النبوية لكان في عشرين مجلدا فاكتر
هذه عبارته عما كتب من القرون الاولى الى القرن التاسع فاذا زدت عليه ما كتب بعده في هذه
القرون الاربعة انجلي الامر على حقيقة ما ذكرناه

واذا اردت مثالا يوقفك على ما وراءه فان عائلة واحدة بالمغرب الاقصى هي العائلة الكتانية اتفق
لعدد من افراد علمائها الاشتغال بالتدوين في الشئون المحمدية فمنهم من كتب في ميلاده عليه السلام
ومنهم من كتب في علمه ومنهم من كتب في نظام حكومته ومنهم من كتب في شبيهه وخضابه ومنهم من
كتب في اكله ولباسه ومنهم من كتب في شمائله وغير ذلك مما يجتمع منه لهم خاصة قريب من مائة
مصنف يجتمع منها عدة مجلدات ضخمة

وهذا يدل على اهتمام المسلمين بشئون نبيهم اهتماما لم يشاركهم فيه رجال دين آخر وهاهي
خزائن الارض مفتوحة في وجوه المطالعين واغلب فهاريسها مطبوعة فهل يجد المطالع فيها المتتبع
مثل هذا او بعضه للنصارى واليهود في انبيائهم او للبوذيين او البراهمة في زعمائهم لا لا

وفي خصوص ما اتدبنا اليه من جمع اسماء من كتب في الولادة المحمدية نجد ان محدث الحجاز في القرن الحادي عشر الشمس ابن ٧٤٠ الصديقي المكي يقول في مولده ما وقع عند حمل امه عليه السلام به وولادتها مما هو شاهد بكمال سيادته وعظيم مكاته بحر ورده الورد ومنهل عذب عكف على وروده اكثر العلماء فتعددت فيه التأليف وكثرت فيه التصانيف الخ

وقد يظن غر من اهل القصور والتقصير ان العناية بهذا الموضوع شبكة انما حصل فيها جملة من المتأخرين ممن لا يقام لهم وزن وهذا ظن وبعض الظن اثم لانا نجد من بين المصنفين في المولد النبوي جماعة من كبار الحفاظ والائمة الذين عليهم المدار في النقل والنقد امثال الحفاظ ابي بكر ابن ابي عاصم من اهل المائة الثالثة والحافظ ابي الخطاب ابن دحية الكلبي الاندلسي والحافظ ابي القاسم العربي السبكي والمحدث الاخباري سيد الدين ابن طغر بك الاموي الدمشقي ومحدث فارس سعيد الدين الكازروني والحافظ ابن كثير والحافظ ابن الجري الشيرازي والحافظ العراقي صاحب الالفيتين والحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي والحافظ ابن حجر القسطلاني وتلميذه الحافظ السخاوي والحافظ السيوطي وتلميذهما الحافظ ابن الريع وابن حجر الهيثمي والنجم الغيطي وابن علان المكي وغيرهم كثير . ولامر ما جذع قصير انه فقد قال قاضي تونس ابو عبد الله محمد ابن قاسم الرصام في كتابه تذكرة المحسنين في اسماء سيد المرسلين ومن آداب من علم انه العاقب صلى الله عليه وان الله اوجده عقب الانبياء فليكثر من مطالعة ميلاده ويعني بحفظ تاريخه ويتعلم نسبه الكريم وما حفظه مولاه به في صغره وكيف انبته الله نباتا حسنا ويتذكر ما ظهر في ميلاده من الآيات والعجائب العجيبة لكي ينشرح بذلك صدره ويزداد محبة الى محبته ويقوى ايمانه ويهتدي بسنته وطريقته

وقال مؤرخ الديار المصرية التقي المقريري في كتابه امتاع الاسماع فيما للنبي صلى الله عليه وسلم من الحفدة والمتاع وغير جميل بمن تصدر للتدريس والافتاء وجلس للحكم بين الناس وحصل القضاء ان يجهل من احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبه وجميل سيرته ما لا غنى ممن صدق وآمن به من معرفته ولا بد لكل من اتسم بالعلم من درايته

ولما نزلت علي ارادة من اتدبنا للكتابة في هذا الباب رايت تسهيلا على المطالع ان ارتب لمن تيسر له الوقوف عليه او على خبره في هذه العجالة على حروف المعجم فاذكر المؤلف في المولد في حرف اسمه ان كان مشهورا به ولم اطلع على اسم مولده او في حرف اسم المولد ان كان له اسم معروف فتشير الى المطبوع منها واين طبع والمخطوط منها واين يوجد في المكاتب التي اعرفها او دخلتها وقد احيل في اسم المولد ان ذكر فيه على محل ذكر اسم مؤلفه ان ذكر فيه زيادة في الافادة والله المستعان

حرف الالف

(ارشاد الحائرين) بشرح بهجة السامعين والناظرين وهو شرح علي مولد النجم الغيطي

(للعلامة أبي الحسن) لعلي بن عبد القادر النبتي الحنفي المصري موقت الجامع الازهر المتوفى بمصر في نيف وستين والف (اوله الحمد لله الذي صور خلق الانسان من تراب الخ اتمه بالجامع الازهر) موجودة منه نسخة بالمكتبة السلطانية بمصر (انوار تكرار الجلالة) في مولد ومعرج خاتم الرسالة مولد منظوم (مؤلفه) الشيخ علي سالم بن محمد بن سالم الطنطاوي المقي الحنفي (قال في خطبته اما بعد فهذا تأليف لم يسألني فيه احد دعاني اليه شوقي) والتزمت ان يكون قبل كل لفظ جلالة فتح اوضح للتفخيم ليكون باللفظ مزيد التعظيم فهو بذكر الله ولو تكرر لا يسأم منه القاري ولا يتضرر (وطالعه) الله رب ونعم الخالق الله * كافي العباد ونعم الرازق الله * له الوجود قديم واجب ابدا * ولا افتتاح له فاول الله *) وهو نظم حلو بديع اشتمل على نحو سبعمائة بيت اكمله ناظمه عام ١٣٠٩ طبع بمصر (بمطبعة محمد مصطفى عام ١٣١٠ في ص ٣٢) (اثاره الاغوار والانبجاء) بدليل معتقد ولادة النبي صلى الله عليه وسلم من السبيل المعتاد لجامعه محمد عبد الحي الكتاني سبب وضعه سؤال ورد من مراکش عام ١٣٢٨ وقد طبع بتونس عام ١٣٤٠ (في ص ٦٥) وقد غار على هذه الرسالة مفت في مجلة الاسلام المصرية فاخذ جله من غير عدو

« الاسرار الربانية » (اسم مولد الشيخ العارف) السيد محمد عثمان بن أبي بكر بن عبد الله المرغني الطايحي المكي المتوفى سنة ١٢٦٨ وهو مطبوع في مصر (في صفحات ٦٤) وعليه حاشية اسمها خلاصة الانوار البهية لمحمد عبد السلام القصدي (وقد اطال في الثناء على هذا المولد صاحب الوسيلة العظمى الشيخ محمد ايوب البشاوري الهندي)

« اقتناص الشورد » من موارد الموالد وهو شرح على مولد ابن حجر تأليف الشيخ محمد بن محمد المنصوري الشهير بالحياط من علماء القرن الثاني عشر (اوله الحمد لله الذي خلق قبل الاشياء نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من نوره) الفه في زمن قراءته للمولد المذكور عام ١١٦٦ استمد فيه من السيرة الحلبية ومن شرح ابن حجر على الهمزية ومن مولد الشيخ القيطي وغيره) بالمكتبة السلطانية بمصر نسخة منه

« ابن الشيخ اق شمس الدين » التركي له مولد بالتركية منظوم عزاء له في كشف الظنون

حرف الباء

« بدر التمام » في مولد خير الانام لعالم سوريا (البدر) حبيب الجسر الطرابلسي الشامي صاحب الرسالة الحميدية والحصون المحمدية اوله

حمدالمن بعث النبي رحيماً بالمؤمنين وزاده تكريماً

وهو نظم سلس (مطبوع بمطبعة جريدة طرابلس الشام) عام ١٣١٥ (في صفحات ٥٥) ثم

اعيد طبعه مع تصرف تحت عنوان « بهجة الانام في مولد بدر التمام سيدنا محمد عليه السلام » وقد طبع بالمطبعة الاهلية ببيروت عام ١٣٣١ (في صفحات ٢٢)

« البرزنجي » هو مفتي المدينة (المنورة) واديسها (السيد جعفر) البرزنجي الحسيني المدني المتوفى عام ١١٧٧ - له مولد سماه « عقد الجوهر في مولد النبي الازهر » وهو مشهور مستعمل في المشارق والمغرب (قال عنه الشيخ النباهي في جواهر البحار ليس له نظير اه وقال عنه بعض رجال من المغاربة هو المولد الفائق الرائق فصاحة وبلاغة المشتغل على ما لا يسع المؤمن جهله من ذكر اجداده عليه السلام واطوار حمله وذكر ولادته الشريفة والحوارق التي ظهرت بعدها) والكل بابدع تسجيع واعجب تصنيف وترصيع يسحر الاب وياخذ بمجامع القلب ويكفيك انه لا يتلى بالحرمين الشريفين سواء ولا يختص سرده عندهم بريع الانور بل في سائر اوقات العام « اوله ابتدء الاملاء باسم الذات العلية » طبع مرارا وقد ترجم الى التركية وغيرها من اللغات ونظمه جماعة وشروحه كثيرة فمن شروحه شرح سميه مفتي المدينة المنورة ايضا السيد جعفر بن اسماعيل البرزنجي المدني له عليه شرح واسع في مجلد سماه الكوكب الانور على عقد الجوهر اتمه عام ١٢٧٩ وهو في ص ٤٤٣ طبع بالمطبعة الوهية بمصر عام ١٢٩٠ وممن كتب عليه ايضا شيخ المالكية بمصر الشيخ محمد بن احمد عlish المالكي الازهري سمي حاشيته عليه القول المنجي على مولد البرزنجي مطبوعة بهامش الكوكب الانور وطبعت بمصر ايضا مستقلة (ومما يستلطف على البرزنجي في مولده هذا انه يسوق معجزات المولد وارهاصاته سياقاً مسجعا لا على انه مرفوع لثلا يقع في محذور النسبة للجناب النبوي من غير اسناد قاطع) وممن نظمته حفيده (عالم المدينة المنورة) السيد زين العابدين بن محمد الهادي بن زين العابدين ابن العلامة السيد جعفر المذكور اوله (بدأت باسم الذات عالية الشأن * بها مستمدا فيض جود واحسان) وهو نظم عذب احلى من ترة ومن لطفه انه جعل تعظيمه نظما * فقال الاهي روح روحه وضريحه * بعرف شذي من صلاة ورضوان * وقد طبع هذا النظم مرارا بالهند ومصر وممن نظمها ايضا حفيد مؤلفه ابو الحسن علي البرزنجي (اوله : في الذكر بسم الله توجت السور * وبه اتوج خير ميلاد اغر) وهو نظم حلو ويفصل موضوعاته بيتين * يا نقطة الباء يا مفتاح كنت ويا * خير الانام ويا من لا شبيه له * من ذا يضاھيك والاكوان ما خلقت * الا لاجلك والمولى اصطفاك له * وهو موجود بالمكتبة الكتانية وممن اختصره الشافعي المكي المتوفى عام ١٣١٧ (الشهاب) احمد جمال الدين التونسي وذيله بخاتمة في وصف ما يجري بتونس من الاحتفالات الرسمية بعيد المولد النبوي (اتمه سنة ١٣٠٢ وتم طبعه عام ١٣١٧) بالمطبعة الرسمية التونسية وممن شرحه الشيخ محمد نوري الجاوي سماه مدارج الصعود الى اكساء البرود اتمه عام ١٢٩٣ وهو مطبوع

بمصر بالمطبعة الجمالية في صفحات ٦٠ (ولنا سند عجيب متصل بمولد البرزنجي من داعي سليل مؤلفه شيخنا عالم المدينة المنورة الشهاب احمد بن اسماعيل ابن زين العابدين بن محمد الهادي بن زين العابدين ابن السيد جعفر البرزنجي مسلسلا بالاباء عن ابيه اسماعيل عن ابيه زين العابدين عن ابيه محمد الهادي عن ابيه زين العابدين عن ابيه مؤلفه وبهذا السند اروى نظمه المذكور للسيد زين العابدين واروى شرحه الكوكب الانور عن شيخنا بدر الحجاز السيد حسين بن محمد بن حسين الحبشي الباعلوي المكي عن مؤلفه السيد جعفر البرزنجي المتوفى بالمدينة المنورة عام ١٣١٧

« البرعي » هو العارف (ابو محمد) عبد الرحيم البرعي دفين الحجازين المدينة المنورة والينبع كان في القرن الخامس له مولد منشور مطبوع بمصر في (مطبعة محمد افندي مصطفى عام ١٣٠٨ في ص ٣٢ وطبع ايضا بمصر عام ١٢٩٨ في ص ٩٨

« بلوغ السعد والتهاني » مولد الفقيه المحدث (الناسك ابى العباس) احمد العمراني الفاسي من اعيان مدرسي القرويين الآن (له مولد) مطبوع سماه (بلوغ السعد والتهاني في مولد صاحب السبع المثاني) اكمله ١٣٣٦ طبع بفاس (ص ٢٨)

« البلوغ الفوزي » انظر اللخمي (في حرف اللام)

« بهجة الفكر » (على مولد ابن حجر) انظر مولد ابن حجر في حرف الحاء

حرف التاء

تحفة ذوي العرفان في مولد سيد بني عدنان لعالم الشام (ومحدثه ومسنده وصوفيه واذيبه) الشيخ عبد العزيز اسماعيل النابلسي الدمشقي الحنفي المتوفى عام ١١٤٣ اوله الحمد لله الذي فتح اقفال هذا العالم بمفتاح ظهور سيد السادات ضمن فيه جميع اسماء سور القرآن الكريم (هو مولد عذب) مختصر (طبع في دمشق عام ١٢٨١ بالمطبعة الرومانية في ص ١٣)

« ترويح الفؤاد » بمولد خير العباد للعلامة (الشيخ) عبد السلام بن ابراهيم اللقاني المالكي المصري المتوفى عام ١٠٧٨ - اوله الحمد لله الذي اطعم قمر الهداية من فلك السعود اتمه عام ١٠٩٨ - بالمكتبة السلطانية بمصر (منه نسخة)

« التحفة السنية » انظر مولد الدردير (في حرف الدال)

« التعريف بالمولد الشريف » للاحافظ (المقرئ ابى الخير) محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي الشيرازي الشافعي المتوفى بشيواز سنة ٨٣٣ له كتاب التعريف بالمولد الشريف وعرف التعريف مختصرة (نسبهما له) الاحافظ السخاوي (في ترجمة من الضوء اللامع ص : ٢٥٧) (جزء ٩) وفي المكتبة الكتانية احدهما (في مجلد اوله الحمد لله الذي جعل شهر ربيع الاول بهذا النبي

المرسل ربيع قلوب الابرار وهو في مجلد وسط اشتمل على تراجم اولها الاحاديث والاثار الواردة في ذكر نسبه عليه السلام) ومن عاداته سياق الاحاديث بسنده (وروايته فيه غالبها عن ابي عمر محمد ابن احمد بن قدامة المقدسي وابي حفص المراغي وست العرب ابنة محمد بن علي المقدسي شفاها عنها سنة ٧٧٦ بظاهر دمشق والصلاح ابن ابي عمر وغيرهم وختمه ببذرة جامعة في السيرة النبوية وذكر في فصل عقده لذكر مكان ولادته عليه السلام (انه بحمد الله باق الى اليوم) قل ثم اني لما حججت سنة ٨٢٧ من الله علي بالمجاورة وقرى علي هذا المولد في شهر ربيع الاول عام ٨٢٨ (رأيته) قد تشعب ووقع من شغفه جانب (وكاد ان يتداعى) فاستدركت بالعمارة ويذهب اليه اهل مكة كل عام للمولد ويحتفلون بذلك اشد من احتفالهم بيوم العيد)

« التوير في مولد السراج المنير » للحافظ (الرجال الخطاب) عمر ابن الحسن بن دحية الكلبي الاندلسي (الظاهري) دفين مصر والمتوفى بها سنة ٨٣٤ ذكره له ابن خلكان في ترجمته (قائلا انه عمله باربل للملك المعظم مظفر الدين ابن زين الدين وقرأه عليه بنفسه قال ولما عمل هذا الكتاب دفع له الملك المعظم الف دينار قال ابن خلكان وسمعناه على الملك المعظم في ستة مجالس في جمادى الاخيرة سنة ٦٢٦ - اه وفي كشف الظنون ان ابن دحية الفه باربل عام ٦٠٤ - وهو متوجه الى خراسان وانه اجازة بالف دينار دون ما احيز عليه مدة اقامته اه وقد بسط ترجمته المقرئ في نقح الطيب صفحة ٣٦٨ من الجزء الاول طبع ٢)

حرف الميم

« جامع الاثار » في مولد النبي المختار لحافظ (الديار الشامية الامام) محمد بن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢ مولد في ثلاثة مجلدات ذكره له السخاوي في الضوء اللامع وصاحب كشف الظنون وغيرهما

« جنى الجنتين » في التفضيل بين الليلتين ليلة القدر وليلة المولد (لفخر المغارب على المشارق نادرة الدنيا وخطيبها) ابي عبد الله محمد بن احمد بن مرزوق التلمساني المتوفى سنة ٧٨١ بمصر في جزء وسط اوله الحمد لله الذي لا شبه له في عظمة ذاته (صدره بخطبة مسبهة اشار فيها الى ما لاقاة في حياته من المحن والمنح وطول الترحال وتقلب فيه من المناصب وما حله من المحافل وان مما جرى له فيها مسألة التفاضل بين الليلتين والقائم حمل حل هذه المشكلة على عاتقه) قال فجمعت فيه من الاخبار والاثار ومذاهب علماء الاقطار (وغرر الفرائد ودرر الفوائد وتواريخ الامم) والنكت الصحيحة والطرف الادبية وقسمه الى ثلاثة ابواب واسند فيه كثيرا من الاحاديث باسنادها فيها وفي المكتبة الكتانية منه نسخة عتيقة (جلبتها من تونس بخط ابراهيم بن علي بن محمد الفلاري اتمها عام ١٠٠١ وفيها نسخة اخرى اظنها بخط اندلسي يسر الله نشره)

« ابن الجوزي » لا ادري من ابن الجوزي هذا غير ما وجدت على ظهر مولد مطبوع بالمكتبة (الانسية) بيروت عام ١٣٣٠ عنوانه مولد الجوزي الشهير بالعروسي وهي الطبعة الثالثة اوله الحمد لله الذي ابرز من عنده عروس الحضرة صباحا منيرا (في صفحات ٤٨) وقد طبع هذا المولد بمصر عام ١٣٠٠ صفحات ٧٩ وعام ١٣٠١ طبع حجر بمصر ايضا ص ٧٩ وعام ١٣٣٠ انظر اللخمي في حرف اللام وللشيخ محمد بن عمر نووي (الجاوي المكي بغية العوام) في شرح مولد سيد الانام وهو شرح على مولد ابن الجوزي هذا فرغ منه عام ١٢٩٤ طبع بمصر (الجعفري) (هو الامام برهان) ابراهيم ابن عمر الشامي المتوفى عام ٧٣٢ له مولد سماه موعده الكرام بمولد النبي عليه السلام نقل عنه ابن علان في مولده وذكره له في كشف الظنون (المطبوع)

حرف الحاء

حسن البحري المتوفى سنة ٩٩٩ له مولد منظوم بالتركية (الحاتمي) هو الشيخ الاكبر (المحدث الكلامي الفيلسوفي النظار الاديب الاشهر) محي الدين ابن العربي الحاتمي الاندلسي دفين دمشق المتوفى بها عام ٦٣٨ له مولد عجيب السياق اوله الحمد لله الذي افتتح عالم التدبير والامكان وهو في نحو كراسة موجود منه نسخة خطية في المكتبة الكتانية (تم نسخها عام ١٣٠٦ ضمن مجموع تحت عدد ٤٧٩٣) وقد ذكر له في كشف الظنون كتاب عنوانه المولد الجسماني والروحاني (حسين الجسر) انظر بدر التمام ابن حجر العسقلاني هو سيد الحفاظ امام الايمة احمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي المصري المتوفى عام ٨٥٣ صاحب فتح الباري وغيرها له مولد نبوي ذكره له الشيخ محمد بن علي الشنواني في الدرة السنية

« ابن حجر » الهنمي (هو الامام العلامة المحدث الاصولي الصوفي المسند) شهاب الدين احمد ابن حجر الهنمي المكي الشافعي المتوفى بمكة المكرمة سنة ٩٧٤ له مولد صغير في نحو كراسة (قال عنه الشيخ النباهي في جواهر البحار هو من اجمع الموالد واصحابها) وله مولد آخر سماه بالنعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم قال في طاعة مولده الصغير عنه ذكرت فيه بالاسانيد التي نقلها ائمة السنن والحديث (الموصوفون بالحفظ والاتقان والجلالة والرفعة في القديم والحديث مما هو سالم من وضع الوضاعين وانتحال الملحددين والمفتريين) لا كالكثير الموالد التي بايدي الناس فان فيها كثيرا من الموضوع المخلوق المصنوع لكن في ذلك الكتاب بسيط لا يتم معه قراءته في مجلس واحد فاختصر منه بحذف اسانيد وغرائبها واقتصرته منه على ما بسنده متابع او معاضد روما لتسهيل على المادحين

وقصد ايجازتهم معرفة تلك المزايا والكرامات لينتظموا بذلك في سلك انجين لاجنباب الرفيع الخ
وافتحه بالكلام على قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم) وهو مولد نفيس في مقدار كراسة
وقد اعتنى بمولد ابن حجر هذا جماعة من الحجازيين والشاميين والمصريين فتداولوه بالتعليق
والدرس منهم (العلامة الشيخ محمد الداود) وابسط شروحه وانفعها شرح العلامة السيد احمد
ابن عبد العزيز عابدين الدمشقي المتوفى عام ١٣٢٠ (والد صديقنا مفتي دمشق الفقيه المسند السيد
ابي الخير عابدين فانه خدمه بشرح واسع سماه نشر الدر على مولد ابن حجر في مجلد كبير) وممن
خدمه من المتأخرين العلامة الشيخ محمد الزكي الغريقي المصري كتب عليه حاشية اولى وثانية
موجودة في المكتبة الكتانية في جزء وسط (قال في آخرها انتخبها من شرح شيخ شيوخنا الشيخ
محمد الشافعي الملقب بالحياط المنصوري مع بعض زيادة اضعفناها حال الكتابة واتمها عام ١٢٢٩

وممن كتب عليه من المتأخرين (العالم العارف) الشيخ فتح الله بن محمد (السمديسي)
المصري فله عليه حواش في كراسين جردها من خطه السيد محمد بن محمد بن موسى عام ١٢٤٠
وهي موجودة بخط المذكور في المكتبة الكتانية وممن اختصره الشيخ علي بن سليمان العلائي
سبط نورالدين الحفاحي الدمياطي قال في اول اختصاره لما كان علماء دمياط لهم عناية بقراءة خاتمة
مولد ابن حجر ليلة المولد الشريف وكان استيفائها اذ ذاك يعسر لاسيما على الاشياخ الكبار تراءى لي
ان اختصرها من غير اخلال بالمرام وهو في كراس موجود في المكتبة الكتانية صدره بالكلام على
آية لقد جاءكم رسول الخ وبهامش نسخة اخرى ثم اعلم انه اجمع غالب من ألف في المولد على
افتتاحه بهذه الآية لمناستها له اعظم مناسبة لان حاصل الموالد على كثرتها بيان ارساله صلى الله عليه وسلم
ونشئته وما وجد من الخوارق عند ولادته وبيان نسبه الشريف وطهارته وما جبل عليه من مكارم
الاخلاق من اصل طبيعته وهذه الآية قاطعة بذلك والآية الاخرى مرتبطة بها ومرتبطة عليها اه
وللشيخ حسن الشبراوي على مولد ابن حجر حاشية اولها الحمد لله الذي انار
الوجود بمولد سيد المرسلين فرغ منها عام ١٢٣٥ موجودة منها نسخة بالمكتبة السلطانية بمصر .
وللشيخ محمد بن عبادة المعيني العدوي المتوفى عام ١١٩٣ عليه حاشية موجودة منها
نسخة في مكتبة المجلس البلدي في الاسكندرية في مجلد والشمس محمد بن احمد بن علي الجمل
المحلي المصري الشافعي له عليه حاشية مسماة بهجة الفكر على مولد ابن حجر طبعت بمطبعة الكمال
الاحمدية بطنانة عام ١٣٢٢ في ص ١٦٤ ولنا سند متصل بمولد ابن حجر الهتمي وذلك من طرق منها
عن المسند المعمر ابي عبد الله محمد امين رضوان المدني عام ١٣٢٥ بالروضة الشريفة من المسجد
النبوي وهو عن شيخه الشيخ عطية بن ابراهيم القماش المدني وقد وجدت بخطه على اول ورقة من

مولد ابن حجر وهو عندي بخطه تلقى عطية القماش هذا الكتاب عن شيخه شيخ الاسلام الشيخ ابراهيم الباجوري في ربيع الاول عام ١٢٦٥ في ستة محالس وقد سمعته منه دراسة مع جمع غير بجامع الازهر عن محمد الامير الكبير ومحمد الفضالي كلاهما على العلامة السقاط عن الشيخ محمد الزرقاني عن والده الشيخ عبد الباقي عن النور على الاجهوري عن الشمس محمد الرمي الصغير عن مؤلفه العلامة احمد ابن حجر الهيثمي هـ

« حسن المقصد في عمل المولد » للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ وقد طبع « حصول الفرج وحلول الفرج » في مولد من انزل عليه الخ شرح للشيخ محمود ابن عبد المحسن الشهير بابن الموقع الدمشقي الشافعي (شارح الشمائل اوله حمدا لمنشئ المصنوعات وخالق العالم والعالم ليعلم) وهو مطبوع بالمطبعة الاميرية ببولاق عام ١٣٠٧ في ص ٥٠٠ مصدر بتقارض علماء الشام ومصر عليه كالبرهان ابراهيم ابن محمود العطار والسيد محمد المبارك الجزائري والسيد محمد المنيني مفتي الشام ومفتي الحنابلة الشهاب احمد الشطي والشهاب احمد الرفاعي المصري وغيرهم) .

حرف الحاء

« خلاصة الكلام » في مولد المصطفى عليه السلام لصديقنا الشيخ رضوان بن العدل بيبرس الجزائري المصري الشافعي اوله الحمد لله المنفرد بالوجود والايجاد ذكر في طالعته السبب الحامل له على جمعه قائلًا ولم اقل الا من كتب عظيمة الشان محررة من التحريف والنقصان كالمواهب وشرحها ومولد ابن حجر والدردير وهو الذي عليه جل الاعتماد وهو مرتب عنده ٦٤ ناوليه مؤلفه على سبعة فصول اكمله عام ١٢٩٣ وعليه تعاليق لمؤلفه واتم طبعه بمطبعة بولاق عام ١٣١٣ (في ص بمصر عام ١٣٢٣)

« خلاصة الانوار البهية » اسم تعاليق على مولد السيد محمد عثمان المرفغي المسمى بالاسرار الربانية .

« اختصار السيد البرزنجي » تقدم في حرف الباء .

« خالد بن الوليد » له مولد طبع بالمطبعة الشرقية بمصر عام ١٣٥١ ص ٣٤

« الحضري » هو العلامة ابو عبد الله محمد الحضري الدماطي المصري الشافعي له مولد صدره بالكلام على آية لقد جاءكم وهو مطبوع بمصر (في ص ٢٨ من غير بيان سنة طبعه او مطبعته ولا مصححه ولا مؤلفه من هو هل الحضري الكبير محشي ابن عقيل او الصغير ؟)

« الحفاحي » العلامي تقدم في اختصار مولد ابن حجر .

حرف الدال

« الدر المنظم » في مولد النبي المعظم للامام المحدث المسند الراوية ابي العباس احمد ابن الصالح المحدث القاضي ابي عبد الله محمد بن احمد الاعمي ثم العزفي السبكي ولم يكمله فأكمله بعده ولده المحدث الاصولي النحوي اللغوي الشاعر محمد بن احمد سلطان سبته ابوالقاسم العزفي المتوفى بها عام ٦٧٧ وله سبعون سنة ودولته ثلاثون سنة هذا المولد هو اكبر الموالد واوسعها رواية وافادة موجودة منه نسخة بالكتابة الكتانية في مجلد ضخم اوله قرات على ابي رحمه الله ورضي عنه ونظر وجهه في غرة شهر رمضان المعظم سنة ٦٣٣ قلمت رضي الله عنكم احمد الله حمد من عرف جلاله وكاله وعلى ان المبتدا منه وان المنتهى له افتتحه بالكلام ضد الابتداع والمبتدعة واعتذر عن عدم تكثيره سياق الاسانيد في المقروء والمسموع ثللا يطول هذا المجموع ثم عقد فصولا مسهبة في الاعياد والمواسم التي جرى على اهل الاندلس التشبه والتقليد فيها لمجاورهم من الامم التي كانت تريد ابتلاعهم كعيد النوروز والمهرجان والميلاد واطال في ذم التشبه وساق كلام شيخه مؤرخ الاندلس ومسندها ابي القاسم ابن بشكوال القرطبي في جزء له خاص بذلك الى ان قال العزفي فامعنت النظر واعملت الفكر فيما يشغل عن هذه البدع ويدفع في صدر هذه المناكر ولو بامر مباح ليس على فاعله جناح فعلم الله النية واطلع على الطوية فالحمنا سبحانه ان انبههم على امر اذا تقرر لديهم قامت الحجة عليهم دينا ودنيا واقطع العذر اذا تموضوا عنه احسن عوض فنبهتهم على ميلاد نبهم المصطفى سيد ولد آدم والامر العجيب والاقبال على ما لا يعني والاعراض عما وجب فكثيرا ما يسئلون عن ميلاد عيسى وينظرون يومه ، قيامه محمد ياخيرة الامم كفى بنا جفاء ان لا نعرف ميلاد نبينا وتعرف ميلاد غيره من الانبياء كميلاد عيسى ورحي اولا يكن سؤالهم عن ميلاد نبهم احق واولى بالاهتمام والفرح فيه والنفقة فيه اسرع خلفا قال ثم رايت تلقي ذلك للنشء الصغار انجح وانفع ممن غلب عليه سيء العوائد من الكبار الى ان قال ولا ريب انهم اوعى للحفظ واقل للوعظ وعلمت ان مكاتب العلم تجمعهم وان سواهم لا يبلغهم ذلك كما بلغهم ولا يسمعون اياي كما اسمعتم فاحتسبت ذاك بنفسي وعممت بقصدي مكاتب البلد التي في ايام عمارتها تجمعهم وينت لهم السني من اعمال اهل زمانهم في ذلك ولم ادر شيئا يزرع في قلوبهم القبول لذلك حتى يسدى ذلك لآبائهم وامهاتهم ثم ذكر انه انتقد عليه بعض من اراد ان يتكلم قبل ان يتعلم تعطيل قراءة الصبيان في المساجد والمكاتب يوم هذا المولد العظيم وظن ان الناس لا يعقلونه في غير هذه الارض (سبته) قال وقد شهد الحجاج والسفار ان يوم المولد بمكة لا يقام فيه شغل ولا يشتري ولا يباع ولا يشتغلون الا بزيارة مسقط راسه الكريم مسرعين الى ذلك وتفتح فيه الكعبة وتزار فيه ثم ذكر انه قسم كتابه الى فصول الاول في وجوب معرفة مولده على كافة امته او يكون من فروض الكفاية على علماء

ملته الثاني في ابتداء خلقه الثالث في ذكر نسبه وهكذا الى اربعين فصلا وممر بها فصلا
فصلا ولولا خوف الاطالة لسقت من فصوله مثالا ليعلم ان ما في موالد المتأخرين هو قل من كثر
مما في موالد المتقدمين اهل القرن السادس والسابع وقل فصل الا وهو مطرز بالرواية العالية من
فطاحلة الاندلسيين والمغاربة كابن بشكوال والسهيلي والحجري وابن حوط الله وغيرهم من تلاميذ ابن
العربي المعافري وبالجملة فهو مولد جامع مما يفتخر به المغاربة بل الافارقة ومن اندر ما فيه ختمه
بالمراثي التي رثي بها عليه السلام من كبار الصحابة والصحابيات وقال ولد مؤلفه السلطان ابو القاسم
العزفي في آخره وكان الذي حمل ابي علي تأليفه والاقبال عليه بكلية وتصنيفه ما ذكره في اول الكتاب
من متابعة اهل ذلك الوقت في اقامة النيروز والمهرجان لاهل الكتاب فكان في ذلك من الخير العظيم
الاعتناء بهذا المولد الكريم وضم ما اتشر فيه وتفرق في كتب المؤلفين في القديم والحديث فاحسن
رضي الله عنه في ذلك ما شاء واصابه ثم المنية قبل بلوغ الامل في اكمله فاكمله وربته وخرجه
من الميضة وخلصته وهذبه على النوع الذي قصده وهو نسختان صغرى قد رويت عني وحملت
وكبرى وهي هذه وقد تمت وكملت وميزت في هذه الكبرى بين ما هو من كلام ابي وتأليفه وبين ما
زده انا فيه عند تخريجه وتصنيفه بان ترجمت على كلامه بقال المؤلف . وعلى كلامي بقلت . ولم اعدل
عما اشار له ابي في صدر الكتاب من ذلك الاكثر ولقصوري وتقصيري عن استيفاء ما ورد في ذلك
من الاخبار والآثار وقد قال المقرئ في ازهار الرياض عن مولد العزفي هذا يذكر فيه ما خص الله به
نبيه وفضله على كل من تاخر من خلقه او تقدم وما امتن به عليه وعلى امته من ان جعله افضل الانبياء
وجعلهم افضل الامم ليتخذوا مولده الكريم موسما يتبركون فيه ما كانوا يقيمونه من اعياد
النصارى وعوائدهم التي يجب لمغانيها ان تعطل ولمبانيها ان تهدم وكان الرئيس ابو القاسم كتب بخطه
اجازة في هذا الكتاب للخطيب ابي علي ابن الخطيب ابي فارس ابن غالب الجمحي من جماعة اهل سبتة
واعيانا حين قراه عليه بالجامع الاعظم في ربيع الثاني عام ٦٥٧ وفي محل اخر من ازهار الرياض
ان الاحتفال بالمولد السعيد على ما كان عليه بنو مرين سنة بالمغرب الشيخ ابو العباس العزفي وتلك
السنة باقية الى الآن بحسن نيته واعتناؤه بالجانب العالي وفي محل اخر من ازهار الرياض العزفي
صاحب سبتة هو الذي سن ذلك في بلاد المغرب . واتي بزلقي تدنيه الى الله وتقربه واقفئ الناس سنته
وتقلدوا منته تعظيما للجانب الذي له السمو والعلو اه ومن مفاخر هذا المولد ان الحافظ ابن حجر
وهو من هو رواة وساق اسناده في المعجم المفهرس له قائلا في كتاب الدر المنظم في المولد المعظم لابي
القاسم محمد ابن الامام ابي العباس احمد بن محمد بن احمد اللخمي المغربي السبتي امير سبتة اخبرنا
ابو حيان محمد بن حيان اجازة عن جده عن ابي القاسم المذكور اجازة به اه . ومن ساق اسناده

الشمس محمد بن سليمان الردائي دفين دمشق في صلة الخلف بموصول السلف وحافظ الحجاز شيخ
بعض شيوخنا الشمس محمد عابد الانصاري السندي المدني في ثبته خضر الشارد في حرف الدال قال
وأما كتاب الدر المنظم في المولد المعظم لابي القاسم محمد بن أحمد بن محمد الالحمي المغربي السبتي امير
سبته فارويه بالسند المتقدم الى ابن حجر الهيتمي عن الشرف عبد الحق السباطي عن الحافظ ابن
حجر انا ابو حيان محمد بن حيان عن جده عن ابي القاسم المذكور اهـ

« الدر التنظيم في مولد النبي الكريم » نقل عنه كثيرا محدث الحجاز الشمس محمد علي بن
علان الصديقي في مولده قائلًا ولا اعرف اسم مؤلفه وهو مشتمل على ثلاثين بابا ووضعه حسن
ونظمه متقن اهـ . قلت وقد اكتشفت اسم مؤلفه وذلك ان القسطلاني في المواهب اللدنية نقل عن
المولد الشريف لابن طغربك فوجدت شارحها الزرقاني قال انسمى بالدر التنظيم في المولد الكريم
لابن طغربك بطاء مهملة مضمومة وغين معجمة ساكنة وفتح الموحدة وكانه علم مركب من طغربك
لقب الامام العلامة المحدث سعيد الدين ابي جعفر عمر بن ايوب بن عمر الحميدي التركاني الدمشقي
الحنفي لم ار له في ابن خلكان ترجمة اهـ منه ص ٥٢ ج اول قلت وجدت ترجمته في طبقات الحنفية
المسمى بالجواهر المضئية للحافظ عبد القادر القرشي قائلًا فيه عمر بن ايوب بن عمر بن ارسلان
التركاني الدمشقي المنعوت بالسيف المعروف بابن طغربك سمع الكثير وطلب بنفسه وقرأ وكتب
وحصل وخرج وجمع وكان صالحا مثبثا حسن الطريقة وحدث هكذا ذكره الشريف في فتاويه وقال
كان ثقة مفيدا وخرج معجما لشيوخه مولده سنة ٦٢٥ هـ ومات بمصر سنة ٦٧٠ هـ منها ص - ٣٧٧
طبع الهند

« الدر المنظم » ذكره في كشف الظنون ولم يذكر الذي قبله عازيا له لابي القاسم محمد بن
عثمان المؤلوي الدمشقي قال ثم اختصرة وسماه اللفظ الجميل بمولد النبي الجليل اهـ

« مولد الدودير » (هو العلامة الفقيه الصوفي) شيخ المالكية بالديار المصرية (شهاب الدين)
أحمد بن محمد العدوي الازهري المصري المالكي المعروف بالدردير المتوفى ١٢٠١ له مولد لطيف في
كراسة (اوله الحمد لله الواجب الوجود الذي بعث فينا نبيا وحيدا محمدا صلى الله عليه وسلم بالآيات
البيانات والمعجزات الباهرات) وهو كثير الاستعمال بمصر وقد خدمه جماعة من المصريين والشاميين
وغيرهم منهم العلامة (ابو عبد الله) محمد بن محمد الامير الصغير المالكي المصري له عليه حاشية
سمها التحفة السنية على مولد خير البرية (اولها حمدا لمن تفضل علينا بنعمة الابرار من العدم الى
الوجود ذكر في اوله انه كان عام ١٢٢٨ امر والدته الشيخ الامير الكبير بقراءة مولد الدردير لما فيه
من حسن الاختصار وذكر ما هو ضروري من الآثار رغبة منه لاداعته ومحبة لتداوله واشاعته فرغب

بعض الاعزة في ان يكتب عليه خدمة له بشيء لا قبل الخلق عليه) ومنهم البرهان ابراهيم الباجوري الشافعي شيخ الجامع الازهر المتوفى ١٢٧٦ له عليه حاشية مطبوعة بمـ ٣ مرات واحسن ما كتب عليه فتح القدير على الفاظ مولد الشهاب احمد الدردير للعالم المسند الاديب جواب الشرق والغرب ابي المحاسن يوسف بن بدر الدين الدمشقي دخل تونس واخذ عنه بها وممن استجاز منه الوزير السيد العزيز بوعتور جد صديقنا شيخ الاسلام المالكي الآن الشيخ الطاهر بن عاشور حفظه الله وتوفي بدمشق سنة ١٢٧٩ في مجلد وسط موجود في المكتبة الكتانية (اوله سبحانه لا علم لنا الا ما علمتنا) الفه باسم وطلب شيخ الاسلام بالاستانة على عهده العلامة المسند الاديب عارف حكمة الحسيني قائلا سالي ان اضع تقييدا كالشرح لمولد الشهاب الدردير لشدة اعتناؤه به واستعداده لحفظه وجعله من جملة (أوراده) قال فكنت اتبع اصول مسائله من مظانها وأطبقها عليه في امكانها وما لم اقف على شيء فيه اصرف الفكر في فهم معانيه فاعتمدت في تخريج احاديثه على المواهب وشرحها قال وقع لي بفضل الله علي زيادات ربما استدركت عليه في بعض العبارات قال وقد اخذت هذا المولد عن محدث عصره ونخبة اقرانه في عصره الشيخ محمد الامين الصغير وهو اخذه عن المؤلف واخذت روايته عن شيخنا خاتمة المحققين السيد محمد الحسيني المدعو بفتح الله وعن شيخنا الشيخ احمد الصاوي وعن الشيخ محمد الفضالي - ح - وارويه بالاجازة العامة عن السيد حسين القويني والشيخ حسن العطار وكلهم بمصر ما عدا السيد فتح الله فعن والد شيخنا الاول بل الكل اخذ عنه وروى منه واكمل تصنيفه عام ١٢٤٣ ونروي ما مؤلفه عاليا عن شيخ المعمرين عبد الرزاق بن حسن البيطار والمفتي السيد ابي الخير بن احمد بن عابدين لدمشقي الاول بدمشق والثاني ببعلبك عام ١٣٣٤ وهما عن الشيخ يوسف بن بدر الدين المذكور

« ابن دحية » انظر التثوير (في حرف التاء)

« ابن الربيع » هو الامام محدث اليمن ومسنده الوحيه عبد الرحمان بن علي الربيع الشيباني البدراني اليمني المتوفى عام ٩٤٤ له مولد نسبه له في ترجمة صاحب النور السافر في اهل القرن العاشر (انظر ص ٢٠٢ اوله الحمد لله القوي الغالب الوالي الطالب الخ) في المكتبة الكتانية نسخة مما طبع منه بالهند عام ١٣١٣ (ونسخة اخرى وهو مقدار كراسة وطبع ايضا بمكة) .

ايتنا في هذا العدد القسم الاول من التحرير الجامع لصاحبه العلامة الهمام في ما الف من الموالد وقد تعدد نشر كامل هذا البحث القيم لضيق نطاق العدد على اتساعه ونحن نشكر لمة حضرة صاحبه معتذرين عما اضطررنا له من هذا التقسيم .

المرجو من القارئ اصلاح الاخطاء الاتية

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٤٢٢	٩٥	المتظافرة	المتضافرة
٤٢٣	١٦	مضرا	مضر
٤٢٤	٢٤	صالحوا	صالحو
٤٢٦	١٤	طوعية	طواعية
٤٢٧	١٤	نجى	نجا
٤٢٨	٨	ابنت	بنت
٤٢٨	١٠	صفية	صفيه
٤٢٨	١٢	روات	رواة
٤٣٣	٢٥	لاساية	ولا سائية
٤٣٣	١٠	لشركائهم	الى شركائهم
٤٣٣	١١	يقوت	يغوث
٤٣٣	١٤	اظلوا	أضلوا
٤٣١	٢٥	الحامية	الحامي
٤٢٤	١	بالبحيرة	كالبحيرة
٤٣٤	٧	لاكنم	لاكنم
٤٢٤	١٣	اجلة	جلة
٤٣٤	١٤	اخوة	أخيه
٤٣٤	٢٢	حليل	حليلا
٤٣٥	١٠	بني	بن
٤٣٥	١٦	لامه	امه
٤٣٥	٢٠	ليعضهم	ليعضهم
٤٣٥	٢٣	صودق	صديق
٤٣٦	٦	ضفر	ظفر
٤٣٦	٩	ينموا	ينمو
٤٣٦	١٠	عمر	عمرو
٤٣٦	١٠	شهم	هشم
٤٣٦	١٩	هذه	هذا
٤٣٧	٢٠	صادقين	صادقون

كما وقعت بعض اخطاء في الجزء الثامن وجب التنبيه عليها

٣٦٨	٢٧	قتلك من ابناء الغيب	تلك من ابناء الغيب
٣٧٠	٦	بذنبهم	بذنوبهم
٣٧٣	٧	يضاعفه	فيضاعفه
٣٨٣	٨	أن الذين	قل ان الذين

تنبيهه - وقع تاخير مقال حالة العرب الدينية عن مكانه الاصلي لسهو مطبعي

صحيحة	المواضيع	اسماء محرريها
٤٠٨	ذكرى ولادة منقذ البشرية الاعظم . . .	بقلم رئيس التحرير
٤١٢	تسميته صلى الله عليه وسلم . محمدا	» صاحب الفضيلة الامام الشيخ سيدي محمد بن يوسف شيخ الاسلام الحنفي
٤١٦	نسبه الطاهر	» بقلم صاحب الفضيلة الامام الشيخ سيدي محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام المالكي
٤٢٤	زواج الابوين الشريفين ونبذة من حياة عبد الله	» صاحب المجلة
٤٣٠	مكان وبلد الولادة ومكانها محل رسول الله صلى الله عليه وسلم	» صاحب الفضيلة الامام الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط المفتي المالكي والاساذ بجامع الزيتونة
٤٣٢	حالة العرب الدينية قبل الاسلام والبيانات به عليه السلام	» العالم التحرير الشيخ الصادق المحرزي الاستاذ بجامع الزيتونة
٤٣٨	يوم المولد النبوي وعام الفيل	» العالم المؤرخ السيد محمد بن الحوجة المستشار بالحكومة التونسية
٤٤٥	الحمل والولادة ثم الوليمة والختان	» العالم الشيخ محمد الهادي ابن القاضي المدرس بجامع الزيتونة
٤٤٨	عيد الزمان - شعر -	» مدير المجلة
٤٥٠	ترجمة الشفا - قابلته عليه السلام	» العالم المحقق الشيخ محمد البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة
٤٥٢	الشمال المحمدية	» صاحب الفضيلة الامام الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
٤٥٧	مولد طه - شعر -	» العالم الاديب الشيخ علي النيفر المدرس بجامع الزيتونة
٤٦٢	كيف نشأ احتفال المولد في بلاد الاسلام	» العالم اللوذعي الشيخ الفاضل بن عاشور المدرس بجامع الزيتونة
٤٦٧	مرور مائة عام على تأسيس حفلة مولدية بتونس	» العالم المؤرخ السيد محمد بن الحوجة المستشار لدى الحكومة التونسية
٤٧٤	التأليف المولدية	» العلامة الذائع الصيت الشيخ محمد عبد الحي الكتاني

المجلة الزبونية

مجلة علمية اوسية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة بالعمير

صاحب المجلة: محمد الشاذلي ابن القاضي

عدد ممتاز

خاتمة المجلد الاول

لعام ١٣٥٦-٥٧

كتاب بزوغ القمر او المقامات الحريرية

فوق المسارح وموشحة بالصور

ان افضل ما وهبه الله لعباده من العطايا . وخصم به من المزايا . موهبة العلم التي تجعل صاحبها خالدا الذكر . طيب النشر . لا ينسى ما طال الزمان . ولا يبلى اثره ما تعاقب الجديدان . لا سيما ان قرن العلم بصدق العزيمة . فان صاحبه ياتي بالعجب العجاب . ولا يصده ارتفاع السن وكثرة الاتعاب . وممن منحه الله هذه المزية . في بلادنا التونسية حضرة العالم الفاضل الاديب . الحازم البارع الاريب . الحائز من العلوم الادبية اوفر نصيب . السيد حميدة الحبيب . فان الله قد اودع فيه همة علمية . ونفسا تواقا الى بلوغ نهايات الشرف وان كانت قصية .

كان هذا الرجل الفاضل مغمورا في بحر الوظائف الذي قلما يتاح لراكبه خدمة العلم الشريف فلما خلغ عنه رداءه . واستبدل براحته عناءه . انصرف الى خدمة العلوم العربية التي هي بالغاية حرية . وكان من نتائجه التي تعشي النظر . كتابه (بزوغ القمر) . الذي يقع في ثمانية عشر جزءا صدر منها الجزء الاول في الشهر الماضي .

عمد في هذا الكتاب الى شيء مبتكر لم يسبق اليه . وهي افراغ المقامات الحريرية في قوالب الروايات المسرحية . فبدأ اولا بذكر خلاصة المقامة وبيان مميزاتها وذكر اللغات التي ترجمت اليها ثم يذكر المقامة بنصها ثم يفرغها في قالب رواية تمثيلية مسرحية . على اسلوب الروايات في الحوار وتبادل الحديث والتوسع على قدر الحاجة . ولم يكتف في ذلك بمجرد اللفظ بل اراد ان يكون عمله عملا تطبيقيا فنشر عدة صور تمثل المناظر الماخوذة من المقامات . بغاية الدقة ونهاية الاتقان . ثم انه زيادة على ذلك نشر تحت كل مقامة شرحا بقلم شيخ المستشرقين وعمدتهم في القرن الماضي العلامة الفرنسي البارون سلفستر دساسي الذي وضعه باللغة العربية . ونشر مع الشرح ترجمتها الى اللغة الفرنسية التي وضعها المستشرقون .

وقد افتح كتابه بمقدمات جمعت بين حسن الافادة وطلاوة التعبير تعرض فيها لترجمة الحريري وترجمة البارون دساسي . وتكلم فيها عن المقامات والتصوير . وعن تاثير الديانات الاسلامية والمسيحية واليهودية في التصوير

وفد زاد في قيمة الكتاب جودة ورقة وجمال طبعه الذي يرجع الفضل فيه الى المطبعة التونسية الصنادلية التي اشتهرت بالاتقان والاجادة في كل ما يصدر عنها . ولا تشك في ان الطبعات الادبية في جميع الاقطار العربية سيقدرون قيمة هذا الكتاب وصاحبه بالاسراع الى اقتنائه والاطلاع عليه . فهو امنية كل اديب . ونحن نجدد تهنئتنا لحضرة مؤلفه الفاضل ونحبه على الاسراع بطبع بقية اجزاء الكتاب .

الاشتراك

عن ستة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات	٢٠	وصولات الاشتراك تعتبر الا اذا
» بالبلاد شمال افريقية	»	»
» في الخارج	»	»
تخصم الربع للتسليم	٤٠	كانت ممضاة من امين المال
		والمخابرات المالية لا تكون الا معه

المجلة الزيتونية

مجلة علمية اوسية اخلاقية

نصرها الهية من بربركي جامع الزيتونة للعلوم

الجزء العاشر | تونس في ربيع الثاني عام ١٣٥٦ وفي جوان عام ١٩٣٧ | المجلد الاول

انتهاء العام الاول للمجلة

بهذا العدد تختم (المجلة الزيتونية) عامها الاول راجية ان تكون قد توقفت في اثنائه الى القيام ببعض ما اسست لاجله . من تحقيق المباحث العلمية . ونشر التعاليم الدينية . وبث الاخلاق الشرعية . والمساهمة في احياء تاريخ هذه البلاد . بنشر بعض صفحات كانت في زوايا الاهمال . يجهلها العامة . ويعرفها القليل من الخاصة . والمسيرة للحركة الادبية بتسجيل اخبارها . ونشر بعض القصائد الفرر التي تكون دليلا على رقي الادب في تونس

كما ترجو ان تكون قد احرزت على رضا قرائها الافاضل ومشتريها الكرام ونفتنم هذه الفرصة لنقدم اليهم وافر شكرنا على ما لا قينا منهم من المساعدة المادية والادبية بما كانوا به عند حسن ظننا فيهم جازاهم الله خيرا

ونرى من الواجب ان نسجل شكرنا للسادة العلماء الاعلام الذين لا قينا منهم من الاعانة . والمساعدة على اعمال المجلة ما يعجز السنتنا عن التعبير عنه . والى اللقاء في العام المقبل على احسن حال ان شاء الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حكم الله في التجنيس

بقلم رئيس التحرير

لقد ابتلى المسلمون في هذا الزمان بأنواع من البلايا التي لولا أنها قد لاقت منهم صدوراً ملئت بالآيمان وقلوباً تدرعت بالصبر، وعقولاً تحصنت بالحكمة لصار الإسلام انزلاً بعد عين، ولنلق على أطلاله غراب البين، ولكن الله سبحانه وتعالى لما جعل دين الإسلام ناسخاً لجميع الأديان، وجعل رسوله صلى الله عليه وسلم خاتماً لجميع الأنبياء، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، حاطه بسياج منيع من حفظه ورعايته، ووقاه من كل عابث هدام، وبث في نفوس أهله قوة ومناعة ورباطة جاش يقاومون بها الأخطار ويقارعون بها المصائب ونفوسهم أمانة مطمئنة راضية مرضية، واثقة بصدق الوعد مترقة للنصر الذي وعد الله به عباده المؤمنين

ومن تلك المصائب التي ابتلي بها المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً فتنة التجنيس لأنها ترجع إلى المساس بروح الدين الذي يضحي في سبيله المسلمون بكل عزيز ونفيس فلقد كان التجنيس في بلادنا التونسية مشارفناً كبرى، واضطرابات متنوعة، وكان سبباً في تشتيت شمل بعض العائلات، وإحداث الأحن والأحقاد بين الأخوة والأقارب، وكان المظنون أن الفتنة فيه قد خمدت بعد الاعتراف الرسمي بكفر المتجنس وإحداث مقبرة خاصة للمتجنسين، ولا سيما بعد إدراك جماعة من المتجنسين لخطر ما وقعوا فيه، وسعيهم في تلافيه، بإحداث جمعية تسعى في إرجاعهم إلى حظيرة الإسلام، وتكفير ما اقترفوه من الآثام، سموها (اللجنة التحضيرية للمسلمين التونسيين المعتنقين للجنسية الفرنسية للرجوع للجنسية التونسية) كان المظنون ذلك ولكن فريقاً آخر من المتجنسين اغتتم حادثة الجلاز الأخيرة، وهي إخراج متجنس دفن بمقبرة الجلاز بعد دفنه يومين، فأعادوا الكرة من جديد وعقدوا اجتماعات صرحوا فيها، كما نشرته الجرائد اليومية، بأن التجنيس لا شيء فيه، وأنه لا يوجب الكفر، ونسبوا القول بذلك إلى بعض العلماء افتراء وزوراً، وغرضهم من ذلك التأثير على الحكومة من ناحية، حتى ترجع فيما قررت من أحداث مقبرة خاصة للمتجنسين والتأثير على الفكر العام من ناحية أخرى حتى يفض الطرف عنهم ويعاملهم معاملة المسلمين، فكان

ذلك باعنا لنا على تحرير هاته المسئلة من اصلها . لا سيما وقد وردت الينا عدة اسئلة في هذا الموضوع من جملتها سؤال من لجنة المتجنسين الذين يريدون الرجوع الى الاسلام المشار اليها آنفا بامضاء رئيسها السيد محمد التركي المتوظف بوزارة العدلية وغرضنا ان نلم في هذه المقالة بتحرير المسئلة تحريراً مستفيضاً يحيط بها من جميع نواحيها . حتى لا يبقى فيها ريب لمريب . وحتى تقطع جبهة قول كل خطيب . والله المرجو ان يوقفنا للقول السديد والراي الرشيد . وهو حسبنا ونعم الوكيل . فنقول :

صورة التجنيس

وينبغي ان نضبط الموضوع بذكر صورة عقدة التجنيس . حتى تتمكن من بناء احكامها عليها . وحتى يكون القراء على بينة تامة من الموضوع .

يكون الانسان مسلماً يعمل بالاسلام . ويهتدي بهديه ويأتمر بما جاء به . فيتعلق غرضه بالانسلاخ عن الجنسية الاسلامية . والعياذ بالله . لغرض ادبي سافل او مادي زائل . فيعتقد جنسية دولة من الدول الاجنبية التي تدين بالمسيحية وتعمل بالقوانين الوضعية . فيصير معتبراً كفرد من افرادها . ويلتزم في (عقدة التجنيس) بالانسلاخ عن احكام الشريعة الاسلامية وعن العمل بمقتضاها . ويلتزم في مقابلة ذلك بالعمل بقوانين تلك الدولة التي تجنس بجنسيتها . سواء في احواله الشخصية او في المعاملات او في العقود والالتزامات او في جميع الجزئيات . فيكون بذلك قد نبذ الاسلام وانسلخ عنه . ودخل في الكفر راضياً مختاراً ورتب على ذلك تغيير في احواله من جميع النواحي . يطلق امراته فيكون طلاقه غير نافذ ويجبر قانوناً على البقاء معها والاتفاق عليها . ويموت فتقسم تركته على غير الفريضة الشرعية . ويصير مجبوراً على التحاكم الى غير قضاة الشرع . وقبل ان يمضي على عقدة التجنيس يكون عالماً بجميع ذلك مطالعاً عليه فهذه صورة عقدة التجنيس

التجنيس في نظر العقلاء

ولا شك ان كل من له نصيب من العقل يستكر التجنيس وينكر على المتجنس . لان انتقال الانسان من جنسيته الاصلية الى جنسية اخرى يتضمن اعترافه باحتقار الجنسية التي كان عليها والازدراء بها . فهو كمن ينكر اباة لحقارته . او نسب لوضاعته . او بلادة لانحطاطها وكل عاقل مهما عظم شأنه وارتفع مقامه فانه لا يرضى بالاتساب لغير ابيه ولو كان من احط الناس قدراً ولا بالاتحال لغير نسبه ولو كانت من اسقط الانساب . ولا بالاتماء لغير بلادة ولو كانت من احقر البلدان هذا من الناحية الاخلاقية . وهناك ناحية جديرة بالاعتبار . وهي جنابة المتجنس على بلاده ووطنه لان الامم كما تتفاخر بمناعتها وقوتها تتفاخر ايضاً بعدد افرادها . فللعهد قيعة كبرى بين الامم والمتجنس

بتجنسه قد نقص من عدد أمته . ووفر العدد لامة اخرى . فهو قد سعى الى تضعيف قيمة امته بعمله الشنيع . واذا كانت الامم الغربية على كثرة عددها ووفرة عددها تقرأ لهذا الامر حسابه وتتخذ كل الوسائل لمنع ابنائها من اعتناق غير جنسيتها فما بالك بالامم المستضعفة التي جمعت بين قلة العدد والعدد فلا شك ان المتجنس من افرادها تكون جنائته عند العقلاء افضع ويكون جرمه عند الله اعظم ومن جملة ما قررته بعض الدول الغربية في مسألة التجنيس انها لا تعترف به بالنسبة لابنائها . حتى اذا فرضنا ان احد ابنائها سافر الى بلاد اجنبية وتجنس بجنسيتها واقام فيها مدة طويلة فانه بمجرد رجوعه الى بلاده لا تعترف بحكومته بتلك الجنسية ولا تطبق عليه الا قوانين بلادها .

التجنس في نظر الشرع

هذا هو بيت القصيد من هذا التحرير . وهو الغرض الاصلي الذي نريد ان نصل اليه ونفصل فيه . ليكون الناس على بينة من امرهم . ولقد بينا فيما سبق صورة التجنيس وما يشتمل عليه من الالتزام بنبد العمل بالشرع والتقاضي لدى غير قضاة الشرع . والامتناع من التحاكم لديهم . وبعض ذلك موجب للارتداد . فضلا عن جميعه فيحكم الله في المتجنس هو انه مرتد . يعامل معاملة المرتدين . وتنطبق عليه جميع احكامهم . وذلك لان حقيقة المرتد هو الرجوع عن دين الاسلام كما عرفه في فتح القدير . والرجوع عن الاسلام يكون بامور كثيرة ضبطها في الفتاوى البرازية (١) وفي الفتاوى الهندية (٢) في تسعة انواع وفرعا على كل نوع منها فروعاً كثيرة . ومن تتبع كتب الفقه وامعن فيها النظر وقف على عدة فروع تدل على كون المتجنس مرتداً . والمجال لا يتسع لنقل جميع ما وقفنا عليه من الفروع فنقتصر منها على ما هو صريح في هذا الباب .

الفرع الاول . قال في الحيربة : سئل عن رجل قال لا اعمل بالشرع وانما اعمل بدعائم العرب . فاجاب بانه اذا قال ذلك لاعتقاد عدم حقية الشرع أو استخفافاً فلا ريب في كفره باجماع المسلمين اهـ (صفحة ١٠٦ طبع بولاق من باب المرتدين) ومعلوم ان المتجنس لا يعمل بالشرع واذا لم يكن يعتقد عدم حقيقته فعلى الاقل يحكم عليه بانه مستخف به والا لما استبدله بغيره

الفرع الثاني . قال في الهندية : اذا قال الرجل لحصمه اذهب معي الى الشرع فقال خصمه لا اذهب الى الشرع الا جبراً يكون كافراً اهـ (صفحة ٢٧٢ جزء ٢ طبعة بولاق الثانية) ولا شك ان المتجنس ممتنع من الذهاب الى الشرع .

البقية على صفحة ٥٤٢

محمد المختار ابن محمود

(١) انظر صفحة ٣٢٠ من الجزء ٣ المطبوع على هامش الجزء ٦ من الفتاوى الهندية طبعة بولاق الثانية
(٢) انظر صفحة ٢٥٣ من الجزء ٢ طبعة بولاق الثانية

القرآن الكريم

المقدمة الخامسة في اسباب النزول

بقلم صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ سيدي
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

اولع كثير من المفسرين بتطلب اسباب لنزول آي القرآن اعني بالبحث عن وقائع يدعى ان آيات كثيرة من القرآن نزلت لاجل بيان احكام تلك الوقائع او لحكايتها او انكارها او نحو ذلك وأغربوا في ذلك واكثروا حتى رفعوا الثقة بما ذكروا بيدنا نجد في كثير من آيات القرآن إشارة الى الاسباب التي دعت الى نزولها فكان امر اسباب نزول القرآن دائرا بين القصد والاسراف وكان في غض النظر عنه وارسال حبله على غاربه خطر عظيم في فهم القرآن ربما جر الى الخطر في اصل الايمان فذلك الذي دعاني الى خوض هذا الغرض في مقدمات التفسير لظهور شدة الحاجة الى تمحيصه في اثناء التفسير وللاستغناء عن اعادة الكلام عليه عند عرض تلك المسائل غير مدخر عنكم ما أراه في ذلك رايا يجمع لكم شتاتها . وانا عاذر المتقدمين الذين الفوا في اسباب النزول فاستكثروا منها بان كل من يتصدى لتأليف كتاب في موضوع غير متبع تمتلكه حجة التوسع فيه فلا ينفك يستزيد من ملتقطاته ليزكي مقبسه ويمد انفاسه فيرضى بما يجد رضاء الصب بالوعد ، ويقول زدني من حديثك يا سعد ، غير هباب لعادل ولا متطلب معذرة عاذر وكذلك شان الوسع اذا امتلك القلب ولكني لا اعذر اساطين المفسرين الذين تلقفوا الروايات الضعيفة فاثبتوها في كتبهم ولم ينهوا على مراتبها قوة وضعفا حتى أوهموا كثيرا من الظاهريين في العلم ان القرآن لا تنزل آياته الا لاجل حوادث تدعو اليها وبئس هذا الوهم فان القرآن جاء هاديا الى ما به صلاح الامة في اصناف الصلاح فلا يتوقف نزول على حدوث الحوادث الداعية لتشريع الاحكام . نعم ان العلماء توجسوا منها فقالوا ان سبب النزول لا يخص الاطائفة شاذة ادعت التخصيص بها .

والر ان اسباب النزول كانت كلها متعلقة بآيات عامة لما دخل من ذلك ضرر على عمومها اذ قد اراحنا ائمة الاصول بقولهم العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . ولكن اسبابا كثيرة رام روايتها

تعيين مراد من عام او تقييد مطلق او الحياء الى محمل فتلك هي التي قد تقف عرضة امام معاني التفسير قبل التنبيه على ضعفها او تأويلها وقد قال الواحدي في اول كتابه في اسباب النزول

« اما اليوم فكل احد يخزع للآية سببا ويختلق افكا وكذبا ملفيا زمامه الى الجهالة غير مفكر في الوعيد - وقال لا يحل القول في اسباب نزول الكتاب الا بالرواية والسمع ممن شاهدوا التنزيل » ان من اسباب النزول ما ليس المفسر بغني عن علمه لان فيها بيان محمل او ايضاح خفي وموجز ومنها ما يكون وحده تفسيراً ومنها ما يدل المفسر على تطالب الادلة التي بها تأويل الآية او نحو ذلك ففي البخاري ان مروان بن الحكم ارسل الى ابن عباس لئن كان كل امرئ فرح بما اتى واحب أن يحمده بما لم يفعل معذبا لعذبني أجمعون يشير الى قوله تعالى « لا يحسن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبهم بمقازة من العذاب ولهم عذاب اليم » فقال له ابن عباس انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهودا فسألهم على شيء فكتموه اياه واخبروه بغيره فاروه انهم قد استحمدوا اليه بما اخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ثم قرا ابن عباس « واذ اخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب لتبينته للناس ولا تكتمنونه الى قوله لا يحسن الذين يفرحون الآيات . وفي الموطأ عن هشام بن عروة بن الزبير عن ابيه انه قال لعائشة ام المؤمنين وانا يومئذ حديث السن رأيت قول الله تعالى « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما . فما على الرجل شيء الا يطوف بهما قالت عائشة كلا لو كان كما تقول لكنت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما انما نزلت هذه الآية في الانصار كانوا يهدون لمناة وكانوا يتخرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله عن ذلك فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما اه وقد تصفحت اسباب النزول التي صحت اسانيدها فوجدتها خمسة اقسام :

(١) قسم هو المقصود من الآية يتوقف فهم المراد منها على علمه فلا بد من البحث عنه للمفسر وهذا منه تفسير مبهمات القرآن مثل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها . ونحو عبس وتولى ان جاءه الاعمى . ومنه ما اقتضاه حال خاص نحو يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا . ومثل بعض الآيات التي فيها ومن الناس

(٢) وذم هو حوادث تسببت عنها تشريعات احكام وصورة تلك الحوادث لا تبين مجملا ولا تخالف مدلول الآية بوجه تخصيص او تعميم او تقييد ولكنها اذا ذكرت امثالا وجدت مساوية لمدلولات الآيات النازلة عند حدوثها مثل حديث عويمر العجلاني الذي نزلت عنه آية اللعان ومثل حديث كعب بن عجرة الذي نزلت عنه آية ومن كان مريضا او به اذى من رأسه ففدية من صيام

الآية فقد قال كعب بن عجرة هي لي خاصة ولكم عامة ومثل قول ام سلمة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم يغزو الرجال ولا تغزو فتزل قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بحضكم على بعض الآية وهذا القسم لا يفيد البحث فيه الازيادة تفهم في معنى الآية وتمثيلاً لحكمها ولا يخشى اعتقاد تخصيص الحكم بتلك الحادثة اذ قد اتفق العلماء او كادوا على ان سبب النزول في مثل هذا لا يخصص واتفقوا على ان اصل التشريع ان لا يكون خاصاً .

(٣) وقسم هو حوادث تكثر امثالها واذ تختص بشخص واحد فنزلت الآية لاعلانها وبيان احكامها وزجر من يرتكبها فكثيرا ما تجد المفسرين وغيرهم يقولون نزلت هذه الآية في كذا وكذا وهم يريدون ان من الاحوال التي تشير اليها تلك الآية تلك الحالة الخاصة فكانهم يريدون التمثيل ففي كتاب الايمان من صحيح البخاري باب قول الله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا حديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين طبر يقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فدخل الاشعث بن قيس فقال ما حدثكم ابو عبد الرحمن قالوا كذا وكذا قال في انزلت كانت لي بئر في ارض ابن عم لي الخ فابن مسعود جعل الآية عامة لانه جعلها تصديقا لحديث عام والاشعث ابن قيس توهمها خاصة به اذ قال في انزلت بصيغة الحصر ومثل الآيات النازلة في المناققين في سورة براءة المفتحة بقوله تعالى ومنهم ومنهم ولذلك قال ابن عباس - كنا نسمي سورة التوبة سورة الفاضحة . ومثل قوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم فلا حاجة لبيان انها نزلت لما اظهر بعض اليهود مودة المؤمنين . وهذا القسم قد اكرر من ذكره اهل القصص وضعفاء المفسرين ولا فائدة في ذكره على ان ذكره قد يوهم القاصرين قصر الآية على تلك الحادثة لعدم ظهور العموم من الفاظ تلك الآيات .

(٤) وقسم هو حوادث نزلت وفي القرآن آيات تناسب معانيها فيقع في عبارات بعض السلف ما يوهم ان تلك الحوادث هي المقصود من تلك الآيات مع ان المراد والله اعلم انها مما يدخل في معنى الآية ويدل لهذا النوع وجود اختلاف كثير بين الصحابة في كثير من اسباب النزول كما هو مبسوط في المسألة الخامسة من بحث اسباب النزول من الاتقان فارجعوا اليه ففيه امثلة كثيرة . وفي البخاري في سورة النساء ان ابن عباس قرأ قوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا . بالف بعد لام السلام وقال كان رجل في غنيمة له فلهقه المسلمون فقال السلام عليكم (اي تحية السلام) فقتلوه (اي ظنوه مشركا يريد أن يتقي منهم بالسلام) واخذوا غنيمة فانزل الله في ذلك ولا تقولوا الآية فالواقعة لا بد ان تكون قد وقعت لان ابن عباس رواها لكن الآية ليست نازلة فيها

وانما ذلك فهم فهمه ابن عباس والظاهر ان الآية نزلت في احكام الجهاد بدليل ما قبلها وما بعدها فان قبلها يا ايها الذين ءامنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وبعدها فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل ، وفي تفسير تلك السورة من صحيح البخاري بعد ان ذكر حديث الزبير والانصاري في ماء شراج الحرة قال الزبير فما احسب هذه الآيات الا نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية قال الشيخ السيوطي في الاتقان عن الزركشي قد عرف من عادة الصحابة والتابعين ان احدهم اذا قال نزلت هذه الآية في كذا فانه يريد بذلك انها تتضمن هذا الحكم لا ان هذا كان السبب في نزولها وفيه عن ابن تيمية قد تنازع العلماء في قول الصحابي نزلت هذه الآية في كذا هل يجري مجرى المسند او يجري مجرى التفسير فالبخاري يدخله في المسند واكثر اهل المسانيد لا يدخلونه فيه بخلاف ما اذا ذكر سببا نزلت عقبه فانهم كلهم يدخلونه في المسند .

(٥) وقسم بين مجملات ويدفع متشابهات مثل قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون فاذا ظن احد ان من هنا للشرط اشكل عليه كيف يكون الجور في الحكم كفرائم ان علم ان سبب النزول هم النصارى علم انها موصولة وعلم ان الذين تركوا الحكم بالانجيل لا يتعجب منهم ان يكفروا بمحمد : وكذلك حديث عبد الله بن مسعود قال لما نزل قوله تعالى الذين ءامنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، شق ذلك على اصحاب رسول الله وقالوا اينالم يلبس ايمانه بظلم (ظنوا ان الظلم هو المعصية) فقال رسول الله انه ليس بذلك الا تسمع لقول لقمان لابنه ان الشرك لظلم عظيم .

هذا وان القرآن كتاب جاء لهدى امة والتشريع لها وهذا الهدي قد يكون واردا قبل الحاجة اليه وقد يكون نازلا عند الحاجة وقد يكون مخاطبا به قوم على وجه الزجر او الثناء او غيرهما . وقد يكون مخاطبا به جميع من يصلح لخطابه وهو في جميع ذلك قد جاء بكليات تشريعية وتهديبية فكما لا يجوز حمل كلماته على خصوصيات جزئية لان ذلك مبطل مراد الله تعالى من كلامه والحكمة في ذلك ان يكون وعي الامة لدينها سهلا عليها وليمكن تواتر الدين وليكون لعلماء الامة مزية الاستنباط والا فان الله قادر ان يجعل القرآن اضعاف هذا المنزل وان يطيل عمر النبي صلى الله عليه وسلم للتشريع اكثر مما اطال عمر ابراهيم وموسى ولذلك قال تعالى واتممت عليكم نعمتي . كذلك لا يجوز تعميم ما قصد منه الخصوص ولا اطلاق ما قصد منه التقييد لان ذلك قد يفضي الى التخليط في المراد او الى ابطاله من اصله . وقد اغتر بعض الفرق بذلك قال ابن سيرين في الخوارج انهم عمدوا الى آيات الوعيد النازلة في المشركين فوضعوها على المسلمين فجاءوا بدعة القول بالتكفير بالذنوب وقد قال الحرورية لعلي رضي الله عنه يوم التحكيم ان الحكم الا لله فقال علي كلمة حق اريد بها باطل وفسرها في خطبة له في نهج البلاغة .

تنبيه ونصيحة

ان واجب النصح في الدين والتنبيه الى ما يغفل عنه المسلمون مما يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم قضى علي ان ابنه اخوانا الى خطر امر تفسير كتاب الله والقول فيه دون مستند من نقل صحيح عن اساطين المفسرين او من ابداء تفسير او تاويل من قائله اذا كان القائل قد توفرت فيه شروط المفسر من الضلاعة في علوم الشريعة وعلوم العربية ولا سيما علما المعاني والبيان الذين بدونهما لا يأمن المرء من تكرار الخطأ في فهم معاني القرآن فيضل المقدم على ذلك وبضل غيره وقد قال العلامة الزمخشري في خطبة الكشف « ان اسلا العلوم بما يغمر القرآن وانها بما يبهز الالباب الفوارح علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بزاهل الدنيا في صناعة الكلام والنحوي وان كان انجى من سيبويه والفوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علما المعاني والبيان وتمهل في ارتيادهما ، اؤونة وتعب في التتخير عنهما ازمة ، اخذا من سائر العلوم بحظ ، جامعا بين امرين تحقيق وحفظ ، كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه ورد عليه فارسا في علم الاعراب ، مقدما في جملة الكتاب . (يعني كتاب سيبويه) وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها ، مشتعل القريحة وقادها ، دراكا الهجة وان لطف شأنها ، منتبها الى الرمزة وان خفي مكانها اه)

وقال العلامة السكاكي في المفتاح « وفيما ذكرنا ما ينبه على ان الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدس من كلامه مفتقر الى هذين العلمين (المعاني والبيان) اشد الافتقار فالويل لكل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل اه »

وقد ذكر القرطبي في مقدمة التفسير ان من فسر شيئا من القرآن بدون مستند من نقل صحيح او دليل اقتضته قوانين العلم كالنحو والاصول والبلاغة فهو متبع لهواه ورأيه المجرد واقع في الوعيد الوارد فيمن فسر القرآن بهواه ورأيه

وبرغم هذا ونحوه فقد رأينا تهافت كثير من الناس على الخوض في تفسير آيات من القرآن فممنهم من يتصدى لبيان معاني الآيات على طريقة كتب التفسير ومنهم من يضع الآية ثم يركض في محالات من اساليب المقالات تاركا معنى الآية جانبا . جانبا من معاني الدعوة والموعظة ما كان جانبا وقد دلت شواهد الحال على ضعف كفاءة البعض لهذا العمل العلمي الجليل فيجب على العاقل ان يعرف قدره وان لا يتمدى طوره وان يرد الاشياء الى اربابها ويأتي البيوت من ابوابها وعلى من لا يانس من نفسه

الحديث الشريف

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

كل معروف صدقة (رواه البخاري ومسلم)

الاسلام دين السعادة التي كلفها البشر منذ حياته الاولى بما حواه من التعاليم السامية وما بينه للعالمين من سبل الهداية فهو يجب اليهم النفع العام ويرغبهم فيه بشتى الوسائل . ورتب على اهتمام المكلف بالصالح العام حصول النفع الخاص ليفرغ جهده في تحصيله . وكذلك تقاد النفوس طوعا وعن اختيار الى التخلق باسمى الصفات رغبة منها اولا في جلب النفع الشخصي الموعود به فاذا هي قد قامت بواجبها نحو المجتمع الذي هي منه واليه . فالمسلم يشعر بمقتضى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حياته الفردية اذا لم يكن لها اثر فعال في مقومات الامة الاسلامية فانها حياة لم تنتج لصاحبها سعادة الحياة وما بعد الحياة . وهذا الشعور قد يكون له من تلك النصوص المتظافرة على اقامة اصل عام الا وهو وجوب اهتمام المسلم بالصالح العام والنفع الشامل . وهذا الحديث الذي نحن بصدد بيان ما تضمنه من مباد سامية ما هو الا نص من تلك النصوص التي اقيم عليها ذلك الاصل العام فיעلمنا المصلح الاكبر والمرشد الامين ان المسلم عليه ان يتقدم الى المسلمين اخوانه في الدين بما يستطيعه من انواع المعروف ووعدة عليه الصلاة والسلام على ذلك ان كل معروف يقوم به هو له صدقة

الكفاة وهو يرغب في افادة العموم بمعاني القرآن ان يقتصر على نقل كلام المفسرين في التفسير المشتهرة عازيا ذلك الى مواقفه مع التحفظ على عباراته وفي الناس طبقة ترتقي كفاءتها الى درجة تجولها التصرف في جمع كلام المفسرين وترتيبه واحتصاره والواجب على كل راغب في التحلي بذلك ان يدقق النظر في ميزان نفسه ليقف عند الحد الذي يثق به عندها حتى لا يختلط الحائر بالزباد ولا يكون كحاطب في حاله سواد وبذلك تحصل الفائدة والاستبراء للدين والعرض . وان سكوت العلماء على ذلك زيادة في الورطة . وافحاش لاهل هذه الغلطة فمن يركب متن عيما ويخطب خطب عشواء فيحق على اساطين العلم تقويم اعوجاجه وتمييز حلوه من اجاجه تحذيرا للمطالع وتنزيلا في البرج

محمد الطاهر ابن عاشور

والطالع

فما هو منسمى المعروف الذي ورد ذكره في الحديث الشريف ؟ وما المراد من الصدقة ؟
قال الراغب : المعروف اسم كل فعل عرف حسنه بالشرع والعقل هـ . فالمرء هو ما ادرك
حسنة العقل وجاء الشرع مقررًا لذلك الحسن وبه صبح اطلاق اسم الحسن الشرعي عليه وترتب
عليه ما يترتب على امثاله من الشرعيات من الثواب الآجل والمدح العاجل - او ان العقل لم يظهر له
حسنة اولا حتى جاء الشرع به فانكشفت له عند ذلك صفة الحسن .

وقال بعضهم في تفسير المعروف هو كل امر يعرف بالشرع او العقل انه حسن وكان هذا التفسير
هو للمعروف بصفة اعم وليس بتفسير للمعروف الشرعي اعني الذي يترتب عليه الثواب
وقال ابن ابي جمرة : يطلق اسم المعروف على ما عرف بادلة الشرع انه من اعمال البر سواء
جرت به العادة ام لا . هـ ومعنى جرت به العادة ان اهل المروءة والرأي اعتادوه على انه من الكمالات
من قبل ورود الشرع به ويمكن ارجاع هذا التفسير الى الاول

والمراد بكون المعروف صدقة ان له ثوابا كثواب الصدقة فان شأن الصدقة ان يترتب عليها
الثواب وهو الاجر الاخروي والديني وايضا بالشكر والثناء والتعطف والمحبة ونحو ذلك
فالأن بطل اصل الصدقة ما يخرج المراء من ماله متطوعا هـ . فظهر من هذا ان المعروف
ليس هو نفس الصدقة الا ترى ان من المعروف الكلمة الطيبة يتلطف بها المراء الى اخيه على ما سياتي
بيانه وهي ليست بمال فيكون المراد من الحديث ثواب الصدقة . وفي صحيح مسلم عن ابي ذر رضي
الله عنه ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالاجور
يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم قال او ليس قد جعل الله لكم ما
تصدقون . ان بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وامر
بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة وفي بضع احدكم صدقة . قالوا يا رسول الله اياقي احدنا
شهوته ويكون له فيها اجر . قال او رأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر فكذلك اذا وضعها
في الحلال كان له اجر .

فقد فهم الصحابة ان المراد اجر الصدقة فقالوا له صلى الله عليه وسلم اياقي احدنا شهوته ويكون
له فيها اجر وكذلك عبر عليه الصلاة والسلام من بعد حيث قال وكذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر
فيكون معنى الحديث كل ما هو معروف من جميع اصناف وانواع المبرات والحسنات الشرعية
التي اعتبرها الشارع معروفا وقربة مثابته مثابة الصدقة فينال على ذلك ثوابا واجرا كما ينال
المتصدق من الثواب جزاء له عما تقدم به لآخوانه من النفع ومكافأة له عن اهتمامه بصالح الغير وعدم
قصره نظره على خويصة نفسه

ولفظ كل في الحديث للعموم فافاد ان المعروف الذي هاته صفته يعم القول والفعل الحقير والعظيم فهو يشير الى ان المرء لا يحتقر شيئا من المعروف ولا يستكف عن القيام بادنى مراتبه كما ترشد الى ذلك الزيادة التي في غير هاته الرواية . ففي مسند احمد رضي الله عنه من تمام الحديث ومن المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق وان تكفى من دلوك في اناء اخيك . فقبه جمل من المعروف ان ينسبط الانسان عند مواجهة اخيه المسلم ويقابله بوجه طلق . وان من المعروف ان يعينه فيصب له في انائه من دلوه اذا كان عاجزا اعانة له واذا لم يكن عاجزا مودة وفي ذلك من الرحمة ما لا يخفى وفي مسند ابى حنيفة رضي الله عنه من رواية عطاء عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف فعلته الى غني او فقير صدقة .

فهذا كله يدلنا دلالة واضحة على ان القرية لا تنحصر في اعانة المحتاج كما انه لا تخص بالافعال بل كما تحصل للفقير تحصل مع الغني وكما تكون بالافعال تكون بالاقوال وهو المناسب للعموم المستفاد من كل الا ترى ان الامر بالمعروف يكون مبررة كما جاء في حديث مسلم المتقدم وهو من الاقوال ويكون للغني والفقير

وروى البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على كل مسلم صدقة فقالوا يا نبي الله فان لم يجد . قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق . قالوا فان لم يجد . قال يعين ذا الحاجة الملهوف . قالوا فان لم يجد . قال فليعمل بالمعروف . قالوا فان لم يفعل . قال فليمسك عن الشر فانها له صدقة فانت ترى انه صلى الله عليه وسلم بين لهم ان الامساك عن الشر يكون له بمثابة الصدقة في الاجر والثواب وهذا يشمل امساكه عن الشر بالنسبة لكافة المخلوقات من غير فرق بين غني وفقير وامير وصعلوك

ولا يتسرب الى بعض الازهان ان الامساك عن الشر هو أدنى المراتب وانما يصار اليه اذا عجز عن الاتيان بالقرب . بل المراد ان الامساك عن الشر وحده يكون له قرينة ويحصل له به اجر وان لم تصحبه انواع اخر من المعروف . وتوضيح ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بصدد بيان الامور الايجابية وحيث لم توجد انتقل الى التروك وفي مقدمتها الامساك عن الشر بسائر انواعه فالانسان مطالب اولا باجتنب المنكر والشور ثم بارتكاب الحسنات وانواع القربات هذا وان حصر انواع المعروف التي تدخل في عموم هذا الحديث يكاد لا يمكن فلنقتصر على بيان قسم منها وذلك ان المعروف له طرفان اعلى وادنى وبينهما مراتب كثيرة فبقدر عظم النفع تسمو القرينة ويعظم الاجر وبقدر قلة النفع تقل الدرجات فكلما كان النفع اشمل كان الاجر اعظم وكل ذلك بحسب استعداد المرء وما روض نفسه عليه .

فمن للمعروف انشاء دور العجز واغاثة المنكوبين واعانة ابناء السبيل . والرحمة بالضعفاء والمرضى وتأسيس المدارس العلمية والخانات لطلبة العلم . والاعانة على تأسيس الشركات التي ينجر منها نفع عام كتشغيل اليد العاطلة . ورد هجمات الغير على الصنائع المحلية وترقية النتائج العمرانية واستثمار محصولات الارض التي خلق فيها وعاش من طياتها وبذل الصدقات للفقراء لا سيما في عام المسغبة فان ذلك يكون له حصنا حصينا يتقي به النار وسعيرها فقد جاء في الحديث الشريف فيما برويه البخاري ومسلم من طريق عدي بن حاتم رضي الله عنه قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم النار فتعود منها وأشاح بوجهه (أي أعرض) ثم ذكر النار فتعود منها وأشاح بوجهه ثم قال : اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة فارشدنا صلى الله عليه وسلم الى ان النار عذابا عظيما وخطرها جسيم وان الاتقاء منها يكون بعمل الخير وبين لنا ان الصدقات تنجي من هولها وان الكامة الطيبة يحرك بها الانسان لسانه ويتلطف بها لاجيه ربما تكون له خيرا من صدقة المال قال تعالى (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حلیم) فرد السائل بالقول الجميل او وعده بالعطاء عند اليسار هو من المعروف الواقعي من عذاب الجحيم وكذلك أدبنا القراءان وعلينا كيف نعتذر للسائل وتلطف في رده باطيب الكلمات قال تعالى : (واما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا) ومن المعروف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاصلاح بين الناس وبذل النصيح فان الداعي الى الهدى له من الاجر والثواب مثل أجر من اتبعه من غير ان ينقص لمن اتبعه شيئا من اجره فالمرشد الى الخير كانت كلمته سببا في وجود النفع في المجتمع الانساني من الذين اتبعوا نصائحه فما يأتيونه من الطيبات كانه هو الذي فعله فحق له ان ينال جزاء موفورا

وعلى عكس هذا يكون جزاء من دعى الى ضلالة او ابتدع في الدين ما ليس منه كما افصح عن ذلك حديث مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من اتبعه لا ينقص من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثم من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيئا فمن المعروف الدعوة الى صلاح الناس ومن المنكر الدعوة الى تضليلهم قال تعالى (ولا خير في نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما) .

ومن المعروف الرحمة بجميع الكائنات وذلك ان الرحمة بالانسان وبالحيوان عاطفة شريفة جاءت آثار كثيرة في الترويب فيها واجمعها قوله عليه الصلاة والسلام (من لا يرحم لا يرحم) فمن لا يرحم مخلوقات الله لا يرتجي رحمة من الله . وقد مدح الله نبيه في القراءان حيث وصفه باخص انواع الرحمة حيث يقول (بالمؤمنين رؤوف رحيم) والرحمة تتناول رحمة الآباء بابنائهم ورحمة الابناء

ورحمة الأزواج والاقارب ورحمة الخدم ورحمة اهل دينك والرحمة بالناس اجمعين والكلمة الجامعة لهذا ان تحب لهم ما تحب لنفسك فتمددهم به حسب الطاقة وتكره لهم ما تكره لها فتدفعه عنهم بما اعطيت من قوة والرحمة بالحيوان أن لا تحمله ثقيلًا ولا تكلفه عسيرًا ولا تبركه بلا طعام حتى الكلب يأتي يلهث فتقدم له شيئًا من الماء رحمة بمخلوق من مخلوق الله الى غير ذلك من انواع الرحمت ومن المعروف ستر عورات المسلمين وعدم تتبع زلاتهم كما يرشد الى ذلك حديث ابي داود عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من رأى عورة فسترها كان كمن احيا مودة) (١)

فحسب المرء ان يشتغل بعيوب نفسه ليصلحها ولا يلتفت الى عيوب الناس الا ليرشدهم من غير تشهير ولا انتقام .

ومن المعروف رعاية حق الجار والضيف كما ورد ذلك خاصة في حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خير او ليصمت

ومن المعروف كفالة الايتام بتأسيس الملاحي لهم وتربيتهم تربية اسلامية وعدم تركهم يترامون على الاعتاب حتى تعثر عليهم طوائف الرهبان فيدخلوهم في كفالتهم ثم في دينهم طبعًا بدعوى انهم ما صنعوا ذلك الا رحمة بهم وفي ذلك من الخطر على ابنائنا وبناتنا ما لا يكيف والاثم يعم الكافة فيحفظهم ورعايتهم فرض كفاية ومن تقدم وقام بهاته المبرة وسعى في تأسيس ملجأ يحفظهم من ايدي العابثين فقد اتى بمعروف وصدق عليه قوله عليه الصلاة والسلام انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال باصبعه السبابة والوسطى اي اشار بهما الى قرب الدرجة ، فعلى اللبيب ان يشعر عن ساعد الجد ولا يأو جهدا في القيام بما جاء به الاسلام من اصناف القربات ولا يحتقر منها شيئًا حتى اللقمة يضعها في فم امرأته ولنكتف بهذا القدر مما ذكرناه من اصناف المبرات وفقنا الله للقيام بحقوق الاسلام انه قريب محيب

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) المودة هي التي تدفن وهي حية خشية العار او الفقر وهي عادة جاهلية حرمها الاسلام وتوعدهم فاعلها بالعقاب العظيم كما وعد من ائقدها وسعى في احياها نوابا حزيلًا قال تعالى (ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا)

التنبيه على احاديث ضعيفة

او موضوعة رائجة على السنة الناس

بقلم صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

ان من اكبر ما اضر بالمسلمين في تصورهم معاني الدين هو غرورهم بما املوا عليهم من تهوين امر العمل بشرائع الاسلام ورضاهم بالاعتصار على فضيلة الايمان والاسلام مع اهمال كثير من الاعمال ، ومن قلب حقائق شرعية في اصول الدين او في فروعه وهذه الاحوال انما جرهما اليهم مرويات ضعيفة تكاثرت بين المسلمين بسبب تهاون بعض اهل الحديث بالاحاديث الضعيفة في فضائل الاعمال وقد ادخلت تلك الاحاديث والاحاديث الموضوعة الشائنة بين المسلمين والمجهول ومنها عند عامتهم وكثير من خاصتهم المعرضين عن تمحيص اسانيد الاحاديث اغلاطا كثيرة سرى مفعولها في الناس فلم تخل بعض كتبهم من بعضها . فكان حقا على كل من يتصدى لاصلاح حال المسلمين ان ينبه على تمحيص الآثار لما في التساهل في قبول واهنها من الاخطار التي لا يقدر المرء مقدار ما تفضي اليه فمن حق المسلم الاعراض عنها والاشتغال بالصحيح والحسن فهو اهون عليه وها انا اذكر طائفة منها مرتبة على حروف المعجم وستقفها في كل عدد بعدد من نوعها

أ - أنا مدينة العلم وعلي بابها - حديث موضوع بجميع اسانيده على ما انفصل عليه المحققون من المحدثين ولا عبرة بمن أخرجه اغترارا بظاهر حال راويه وقد وضعه ابو الصلت واشتهر به

أ - احبوا العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي ولسان اهل الجنة في الجنة عربي - رواه الحاكم وصححه على عادته وقال الايمة هو ضعيف

أ - ان الله خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم الخ - اخرجه ابن عدي في كتاب الضعفاء وقال الايمة هو حديث ضعيف

أ - اذا ذلت العرب ذل الاسلام - رواه ابو يعلى في مسنده قال العراقي في رسالته في فضل العرب هو حديث صحيح قال المناوي وفيه ما فيه

ب - بعثت لانتم صلاح الاخلاق - رواه الحاكم والبيهقي وهو ضعيف

ج - حب العرب ايمان وبغضهم قفاق - اخرجه الحاكم في المستدرك وهو حديث ضعيف

ج - حب العرب ايمان وبغضهم كفر فمن احب العرب فقد احبني ومن ابغض العرب فقد ابغضني - هو اشد ضعفا من الذي قبله

التآليف المولدية

ذكر بعض ما كتب على خصوص المولد النبوي الشريف
من الكتب وبيان اخذ بعضها عن بعض وطرق الاتصال بها

بقلم العلامة الذائع الصيت الشيخ محمد عبد الحي الكتاني الشريف

— ٢ —

حرف الذال

« الذكر الشريف » في اثبات المولد المنيف للعالم العارف المرشد الكبير الشيخ احمد سعيد
ابن الشيخ ابي سعيد العمدي المجدح الدهلوي المتوفى عام ١٢٧٧ ومن رسالة الفها في مشروعية
الاجتماع والاحتفال للمولد الشريف والقيام عند الوصول لذكر الولادة النبوية لم اقف عليها انما
ذكرها له ولده الشيخ محمد فظهر في حياة ابيه

حرف الراء

« الرفاعي » هو السيد محمد بن احمد الرفاعي المدني له مولد منظوم اوله
هدا لمن من نوره قد اظهر ا نورا منيرا للمظاهر مظهرا
ويقول اثناء الخطبة :

هذا بفضل الله عقد مفرد في مولد الهادي يفوق الجوهرا
واجزم بنيل مقاصد في مجلس يتلى به هذا فكن مستحضرا

- ط - طلب العلم فريضة على كل مسلم - حديث ضعيف
- م - من تشبه بقوم فهو منهم - رواه احمد والطبراني وهو حديث ضعيف
- م - من كان يحسن ان يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فانه يورث النفاق - رواه الحاكم في
المستدرک وقال صحيح وانكره الذهبي
- ص - الصلاة تبؤس وتمسكن - لا يعرف اصله
- ق - قدموا قريشيا ولا تقدموها وتعلموها ولا تعلموها ولولا ان تبطر قريش
لاخبرتها ما لخيارها عند الله - اخرجه جماعة باسانيد كلها ضعيفة
- ي - يا جابر اول خلق الله نور نبيك حديث طويل وهو حديث منكر يتردد حاله بين
الضعف والوضع
- محمد الطاهر ابن عاشور

يا فوز من يقدونه بنفوسهم وعيالهم طوبى لمن قد عطرا
وهو نظم مستوفى موجود في المكتبة الكتانية

« الرفاعي » هو اشتهر مشاهير علماء العرب في الاستانة العلية في دورها الاسلامي الاخير
السيد محمد ابو الهدى بن حسن الرفاعي الحلبي المتوفى بالاستانة عام ١٣٢٧ . له مولد منظوم سماه
آداب العرفان في مولد سيد ولد عدنان طالعه :

نحمد الله لدى بدء الكلام وعلى خير الوري اذكى السلام

اتم نظمه عام ١٣٠٢ طبع بمطبعة البلاغة بطرابلس الشام ارويّه عن مؤلفه مكتبة والنسخة
التي ارسل الي من الاستانة . ووجوده بالمكتبة الكتانية الى الآن

« الرياحي » هو عالم الديار التونسية ابو اسحاق ابراهيم بن عبد القادر الرياحي المالكي
التونسي المتوفى بها عام ١٢٦٦ له مولد لطيف صغير الجرم لخصه من مولد الشيخ مصطفى البكري
المصري عام ١٢٥٧ وهو المولد الذي يقرأ بحضرة ملوكها الى الآن في المحفل الرسمي وهو اول من
قرأ المولد في جامع الزيتونة . اول المولد المذكور الحمد لله الذي لم يترك الخلق سدى فارسل المرسلين
رحمة وهدى وقد ساق نصه الاصلي حفيده في تعطير النواحي مصدرا به جزءه الثاني عن خط مصنفه
قال بخلاف المستعمل الآن فان فيه التصرف والاختصار ويتصل اسنادنا بابي اسحاق الرياحي عن
آخر تلاميذه في افريقية القاضي السيد محمد الطيب النيفر وابي النجاة سالم بوحاجب كلاهما عنه

« رسالة العلامة الشيخ محمد بيرم » الخامس التونسي دفين مصر في احكام الاشرف وولائهم
وتعظيمهم وتكريمهم وما يتعلق بهم من الاحكام المجبولة عند اكثر الناس وما ينبغي ان يعمل لحفظ
النسب (وجعل الانسب ان يتلا في حفلة المولد الكريم رسالته هذه المشتملة على ما ذكر قائلا آخرها
فلتقم اجلالا لهذا النبي الكريم الذي بلغنا الى هذا الضل العظيم ومن رسالة له نفيسة طبعت بمصر
عام ١٣٠٢ في ١٤ ص)

حرف الطاء

« طيب المولد » قال محدث الحجاز الشمس محمد علي ابن علان المكي « في مولده » ولد صلى
الله عليه وسلم بمكة ومحل مولده منها معروف فتواتر عند اهلها خلفا عن سلف يذهب الانام اليه
كل عام ليلة المولد ويحتفل به فيها اعظم احتفال ويزار سائر ايام العام من الحاص والعام وقد الفت
فيه جزءا سمّيته طيب المولد انتهى ولم أقف عليه

حرف الكاف

« الكتاني » خالف عالم فقهاء المغرب ابو المواهب جعفر بن ادريس الكتاني الفاسي المتوفى

بفاس عام ١٣٢٣ ودفن ضجيعا لعالم افريقية دراس بن اسماعيل له مولد سمعناه من لفظه ومما حفظته عن لفظه رحمه الله من مولده هذا ان شيخ الاسلام بالمغرب وفخرة ابا عبد الله محمد ابن ابي بكر الدلائي كان يحتفل للمولد النبوي غاية الاحتفال وكان ياتي الناس لحضور احتفاله بزايته من حواضر البلاد وبواديا ما بين شرفاء وعلماء واولياء وشعراء واغنياء وفقراء وسوقة ورؤساء وكان يطعمهم بالاطعمة المنوعة على طبقاتهم بما لا يعهد مثله عند غيره في زاوية من زوايا المغرب وانما يكون ذلك عند اعظم الملوك وكان يرفع اليه الشعراء الامداح النبوية فتقرأ بين يديه ويجيزهم عليها بالجوائز السنية وحكي ان رجلا ادبيا اتى اليه في الموسم الشريف بقصيدتين احدهما في مدح المولود فيه عليه السلام والاخرى في مدح الشيخ فلما انقضى الموسم اخرج له الشيخ صرة فيها مائة دينار في يده اليمنى وفي اليسرى فلس واحد وقال له هذه المائة دينار جائزة مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الفلوس على مدح محمد ابن ابي بكر وبعد موت الحال بمدة وجدت هذه القصة مبسوبة في البذور الضاوية في تاريخ الزاوية الدلائية في الفرع الخامس الذي عقده لاحتفال الزاوية بالمولد مما لم يكن لغيرها من عالم او ولي

« الكتاني » ولده العلامة المؤرخ الصوفي شامة العصر ابو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني صاحب سلوة الانفاس المتوفى بفاس عام ١٣٤٥ له مولد طبع بفاس مرارا وله مولد آخر سماه اليمن والاسعاد بمولد خير العباد اوله الحمد لله الذي شرف هذا الوجود بميلاد اكرم نبي واعز مولود وقد طبع في الرباط (في ص ٥٩ وهو مولد حميد مملوء نقلا وقوائد وامتنع من مولده الاول)

« الكتاني » شقيقنا نادرة الاعصار والامصار ابو الفيض محمد ابن الشيخ ابي المكارم عبد الكبير الكتاني الفاسي المتوفى عام ١٣٢٧ له مولد قديم الفه على منهاج الموالد المعروفة وله مولد آخر جديد الفه على لسان اهل الوجدان وهو مطبوع بفاس

« الكتاني » جامع هذه الشذرة محمد عبد الحي الكتاني له مولد هو اول مؤلفاته لم يخرج الى الآن سر الله تحريرة ونشرة

« الكتاني » ابن خالنا الفقيه المدرس الخطيب ابو عبد الله محمد الطاهر بن الحسن الكتاني المتوفى عام ١٣٤٩ بفاس له مولد قرأه علينا مرارا

« الكازروني » هو « الامام » سعيد الدين محمد ابن مسعود الكازروني له المولد الشريف ذكره استاذة محدث اليمن السيد بكر بن عمر الاهدل بشته قائلًا واما المولد الشريف للامام سعيد الدين الكازروني فاجازني به السيد أبو بكر بن علي البطاح الاهدل قال اخبرني به شيخنا الامام الطاهر ابن الحسن الاهدل قال اخبرني به الحافظ ابن الربيع قال اخبرني به الحافظ زين الدين الشرفي

الفتاوى والامام

وردت على ادارة المجلة عدداً اسئلة وهما نحن نشبثها مع اجوبتها

سؤال

ما قولكم رضي الله عنكم فيمن وقع منه مع زوجته مشاجرة آلت الى شدة الغضب فوقع عليها الثلاث في كلمة واحدة مع انه لا قدرة له على التزوج بغيرها وله ابناء منها هل يلزمه الثلاث مراعاة للفظ والفسد او يلزمه طلبة واحدة لكونه اوقعه في مجلس واحد بلفظ واحد ولان ظاهر الآية يقتضي تفريق الطلاق بالزمان والمكان او تراعى العلة المتقدمة ومن اجلها يقع العدول عن المشهور حسبما افق بذلك بعض من تصدى للفتيا باحدى قرى عملنا ووقع طائفة من الحيلة بفتواه في فتنة وبلاء وفتح بابا يعسر سده على العقلاء وصار كل من يصدر منه ذلك اليمين يؤم تلك الدار فتجدهم يتهافون عليه تهافت الفراش على النار ويعضد فتواه باقوال يعزوها الى العلماء كاصبح ابن الحباب وعدي ابن اوطاة وابن اسحاق صاحب كتاب السيرة النبوية وعلي بن موسى صاحب كتاب الغنوز في الصناعة وابن الجوزي ثم يقول : وحكم به ابو بكر الصديق رضي الله عنه مدة خلافته وحكم به عمر ابن

عن القاضي تقي الدين الفاسي عن العلامة محمد بن محمد بن مسعود الكازروني قال اخبرني به والدي الحافظ سعيد الدين محمد ابن مسعود الكازروني

« ابن كثير » هو (الامام) الحافظ (ابو الفداء) اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي صاحب التفسير والتاريخ من كبار اصحاب الحافظ ابن تيمية الحنبلي المتوفى سنة ٧٧٤ له مولد قل غنه ابن علان المكي في مولده وهذا من العجائب كون اصحاب ابن تيمية يدلون بدلومهم مع اصحاب المواليد ولا عجب

« ابن كيران » هو الفقيه المدرس ابو محمد الطيب ابن ابي بكر ابن شيخ الجماعة بفاس ابي محمد الشيخ الطيب ابن كيران الفاسي المتوفى بفاس ١٣١٤ له مولد منشور . في المكتبة الكتانية قطعة منه « الكوكب الانور » على عقد الجوهر في مولد النبي الازهر للسيد جعفر البرزنجي تقدم في حرف الباء

« كنز الراغبين العصابة في المولد المحمدي والوفاء للشيخ محمد الشامي . الدمشقي . موجودة منه نسخة من مجموع في مكتبة المجلس البلدي بالاسكندرية (د) محمد عبد الحي الكتاني

الخطاب رضي الله عنه سنتين من خلافته فلما اكثر الناس من ذلك جعلها عمر ثلاثا تنكيلا بهم لعلمهم يتوبون . ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم به لبعض اصحابه المسمى برصانة وامره بترجيحها فهل ما قرر وسطر له صبغة في المذهب ويعتمد عليه في الفتوى او يلغى بيننا بذلك بينا شافيا يستضاء بنوره ويهتدى بهديه فاتم الملجأ لحل المشكلات وعليكم المعول في كشف المضلات والسلام من معظم قدركم محمد الترمذي بن عبد الوهاب الماجري

الجواب

ان الذي اتفق عليه ائمة المذاهب التي تقلدتها الامة ان طلاق الثلاث في كلمة واحدة يلزم منه البتات كما يلزم من وقوع الطلاق ثالثا عقب تطليقتين استنادا الى ما استقر عليه قضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستمر عليه عمل الخلفاء بعده وقضاة العدل واجمع عليه من يعتد بهم من اهل العلم ولا نقاب الى قول من شذ من العلماء فقال بخلاف ذلك مثل ابن وضاح وابن زباع ومحمد بن بقي بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الحشني واصبغ بن الحباب وابن مغيث من فقهاء المالكية بالاندلس بله الذين لا يمدون في عداد الفقهاء مثل ابن اسحاق وابن موسى وابن الجوزي ودليل هذا من القرآن قوله تعالى عقب ذكر الطلاق والعدة « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » ومن السنة الصحيحة ظاهر حديث عويمر العجلاني انه لما فرغ من ملاعنة امرأته بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقها ثلاثا في كلمة واحدة ولم يامر بذلك رسول الله فحرمت عليه بذلك ولم يثبت من قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعارض هذا ولا يظن بعمر بن الخطاب ان يأخذ بشيء ثبت خلافه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واما ما ينقل من قضاء ابي بكر رضي الله عنه ومن قضاء عمر في صدر خلافته بجعل ذلك طلاقا واحدة فذلك من الاجتهاد وقد ظهر اجتهاد ارجح منه اشارة اليه عمر بقوله ارى الناس قد استعجلوا في امر كانت لهم فيه اناة فارى ان نحملهم ما حملوه انفسهم وليس قصد عمر بذلك التاديب كما يتوهمه بعض الضعفاء اذ التاديب لا يكون بقطع العصمة المعتبرة شرعا واذا كان العلماء قد انكروا العقوبة بالمال القابل للنقل فكيف يظن بهم ان يعاقبوا بتطليق الزوجات والعصمة لا تقبل النقل ومن الناس الذين يخوضون في ذلك من يقولون ان ما قضى به عمر غير موجود في القرآن يظن ان عدم وجوده في القرآن يوجب الغناء وهذا خطأ لان ادلة الدين غير منحصرة في القرآن فالقرآن ذكر صنفين من طلاق الثلاث وهو الغالب والاجتهاد الحق به صنف آخر وقد انعقد اجماع علماء الامة على الاخذ بما رواه عمر فصار من الاجماع المستند لدليل اجتهادي راجح على دليل الاجتهاد الذي سبقه وبذلك اخذ ائمة المذاهب الاربعة التي دونت وتدارسها العلماء وتلقتها الامة بالقبول واقتصر على اتباعها اهل السنة في سائر اقطار الاسلام.

فكل عن يستفتي علما اليوم فانما يريد من استفتائه ان يخبره بقول امامه الذي قلده فالملكي مثلا انما يسأل عن مذهب مالك الذي اتبعه لانه لا يجوز له العمل بغيره الا عند الضرورة اي عند ما يكون قول امامه في المسألة النازلة به فيه شدة فحيث لا يجوز له تقليد مذهب آخر في تلك الجزئية من المذاهب المعروفة المعتبرة وهذه نكتة يعملها كثير من الذين يتصدون للفتوى فيحسبون الناس اذا سألوهم انهم يسألونهم عن اميالهم وينسون انهم انما يسألونهم عن مذاهبهم التي يقلدونها. وهذا كله مبني على ما رجحه العلماء من انه يجب على العامي التزام مذهب معين وبذلك عملت الامة منذ قرون طويلة فلا تجد مسلما الا وهو مقلد مذهب ينسب نفسه اليه ثم اذا التزمه لا يجوز الخروج عنه لانه تلاعب بالدين وميل مع الهوى والشهوة الا اذا نزلت به ضرورة فيجوز الانتقال في تلك الجزئية بناء على قاعدة ان المشقة تجلب التيسير تلك القاعدة المأخوذة من استقراء الرخص الشرعية اما الرجل الذي ذكر السائل انه افتى الناس بعدم لزوم البتة من طلاق الثلاث في كلية فقد افتى بخلاف المذاهب الاربعة وهو جاهل بشروط الفتوى فلا يعمل بفتواه ويجب على اهل العلم تنبيه الناس على خطاه لئلا يفتروا به وحق على حكام المسلمين زجره وتاديبه لجهله بقدره وتجاوز طوره فانه اذا استنسر البغاث افسد في الارض وعاث .

(٢) السؤال

وبعد فقد تقرر ان الحبس قرينة بيد اتنا نرى اناسا بل غالب الامة يجسسون ريعهم وعقارهم على الاولاد اي اولادهم الذكور دون بناتهم وقد قال ابو الضياء خليل رحمه الله عاطفا على المبطلات او على بنيه دون بناته وعمل الناس على خلافه والحال ان خليلا اقتصر في مختصرة على ما به الفتوى فهل تلك الاحباس التي من هذا القبيل باطلة كما ذكر خليل او ما مشى عليه خليل ضعيف . ازالة القناع والسلام من التهامي عزيز - قرقة

الجواب

ان المروي عن مالك رحمه الله في تحبيس المحبس على بنيه دون بناته روايتان الاولى رواية ابن القاسم عنه في العتبية ان ذلك مبطل للمحبس . الثانية رواية علي بن زياد عنه ان ذلك مكروه ففسرت الكراهة بمعنى ما يثاب على تركه ولا يعاقب على فعله وهذا هو الذي اختاره اللخمي وشهره عياض . وفسرت بمعنى التحريم فيكون ذلك حراما ولكنه يمضي بعد الوقوع وقريب من هذا التفسير مروي عن ابن القاسم انه رأي له . ولم ينقل سحنون في المدونة شيئا في ذلك عن ابن القاسم ولا عن مالك ولكن سحنونا روى فيها عن ابن وهب كلاما في هذه المسألة لم يجزم فيه بشيء . وقد

جرى العمل قديما وحديثا برواية علي بن زياد لترجيح اللخمي وعياض اياها ولانها جارية على حكم تخصيص بعض الاولاد بالعطية وفيه خلاف اشرنا اليه في جواب لنا في الجزء الثامن من المجلة الزيتونية باختصار انظر صفحة ٣٨٧ وقد اشار الى هذا العمل السجلهاسي في نظمه في العمل العام بقوله

وبنفوذ حبس ان نزلا على البنين لا البنات عملا

اما قول خليل في مختصرة عاطفا على المبطلات « او على بنيه دون بناته » فقد درج فيه على رواية ابن القاسم في العتية وقد اعترضه الشراح بانه ما كان له ان يعتمد عليه وانا اعتذر لخليل بما في جلبه هنا تطويل . واما قول خليل في مختصرة مبينا لما به الفتوى فمعناه انه يبين ما الشأن ان تكون به الفتوى اي في نظره على انه قد جرى في مواضع كثيرة على خلاف ما به الفتوى والكمال لله

(٣) السؤال

هل استخلاص اموال الدولة على الحيوان يطرح منه الزكاة المفروضة شرعا والسلام من منور الكنزاري

الجواب

قد ذكرت في الفتوى التي نشرت بعدد ٩٢٢١ من جريدة الزهرة وفي جريدة النهضة ان ذلك الاداء يجوز ان يحسبه المركزي من زكاته على الانعام

(٤) السؤال

اما بعد فمعد يومين اتصلت برسالة من احد اعيان صفاقس يطلب فيها بيان حكم الله في بيع حشيشة الدخان لانه لا يريد ان يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه وعليه فالمرجو من حضرتكم بيان الحكم في ذلك مع زيادة بيان حكم مستعمل تلك الحشيشة ولكم الشكر التام والتحية الخالصة والسلام من ابنكم حسن الشعبوني

الجواب

اعلم ان حشيشة الدخان المسماة بالتبغ والتبناك هي طاهرة ولا تؤثر في العقل فيجوز التدخين بها في الفم ومن قال بتحريم التدخين بها فقد اخطأ واشتبه عليه الحال ولذلك لا يلتفت الى قوله لا يمنع بيعها ولا التجارة فيها ولا غرسها واما الحشيشة المسماة بالكروري فالتدخين بها في الفم حرام وكذا تناولها بالاكل لان ذلك يخدر العقل ويفسده والمخدرات والمفسدات جميعها حرام على ما صرح به الشهاب القرافي في الفرق الاربعين وعليه فيبيعها حرام لانها لا تقصد الا للتخدير

(٥) السؤال

التجار يبيعون الزيت بالتفصيل وفي اثناء اخذه من اناه البائع الى اناه المشتري جرت العادة

باستعمال مصب يعرف « بالقمع يوضع على الاناء المنقول اليه وبالضرورة تتعلق كمية قليلة من الزيت بآلة الصب وهو - القمع - بعد الثاني والاحتياط وهي من حقوق المشتري لكنها ترجع للبائع لتعلقها بمصبه ووجود الكلفة في انتظار زوالها فهل تحل لهذا الاخير لكونه لم يعتمد استرجاعها ام كيف الحال تنتظر جوابكم الكافي ولكم الشكر وجزاءكم على الله

الجواب

ان المقدار من الزيت الذي يتعلق بالمصب عند صبه من اناء البائع الى اناء المشتري امر طفيف معفو عنه لدخول الناس على التسامح في ذلك افق بجميع ذلك محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

(٦) السؤال

مكان بيع من زمن بعيد والشائع عنه الان انه كان حسبا وانتقل بالبيع مرات ومنذ خرج عنه بائعه الاول لم يظهر رسم تحييسه فهل ان مجرد تلك الاشاعة يقوم مقام نص الحبس وهل يأثم المشتري اذا هو اشترى ذلك المكان وخصوصا اذا كان بيد اجني واراد مسلم ان يشتريه

الجواب

ان شيوع الحبسية لا يقوم مقام رسم الحبس والمشتري لذلك المكان لا يأثم اذا لم يكن عالما بالحبسية اما كون الشيوع لا يقوم مقام رسم الحبس فوجه حصول الشك في صدق مق تضاضا وصحته لجمالة مصدره وابهام نشأته والتردد فيما طرأ على الحبسية من معاوضة او حكم بفساد والشك لا ينهض للاعتماد عليه ولهذا ذهب الفقهاء الى اهمال ما يلقى في طرر الكتب او اوائلها من كتابة كلمات تفيد وقفيته وقطعوا بعدم ثبوت الوقفية بذلك - واما عدم تأنيب المشتري لذلك المكان فوجه ان التأنيب لا يكون الا منع تحقق الخطر وليس هنا ما يعدو دائرة الشك لكن من الورع التجافي عن شراء هذا المكان فان الورع ان يدع الانسان ما لا باس به خيفة ان يقع فيما فيه باس

(٧) السؤال

ان معظم الفلاحين اليوم بل اكثرهم من الفلاحين الكبار يتعاملون من صندوق الاعانة الدولية للفلاحين الكبار بفائض قدرة سبعة في المائة ويشترون عليهم شيئا آخر وهو انه لا يسوغ له التعامل الا اذا التزم بالسيكورتاه وهو الضمان عندهم من الجوائح السماوية فهل يسوغ ويجوز شرعا للفلاح أن يتعامل من الصندوق بالفائض المذكور مع السيكورتاه التي تضمن له الجوائح السماوية كحجر وغيره وكذلك الحرق على ان يدفع مالا في مقابلة ذلك فكيف الحكم في الفائض في الصورة الاولى وكذلك المدفوع الى دار السيكورتاه فهل يسوغ ويجوز شرعا للفلاح الاقدام على الامرين او لا يجوز ويمنع

شرعا والحال ان الفلاحين اليوم في بؤس وشقاء ليس عندهم ما يباع ولا يشتري لبذر اراضيهم المهيثة ولا باب يتعامل منه معاملة شرعية والحال ان عليهم مطالب وديون كثيرة وليس لهم باب يطرقونه سوى الفلاحة . وتعسر الامر

الجواب

يمنع التعامل بالفائض سواء أكان قليلا ام كثيرا لآية الربا وليس عجز الفلاح عن بذر ارضه ميسحاله الاقراض بالفائض وينبغي للعاجز عجزا ماليا عن الاشتغال بالفلاحة ان يشترك مع غيره فيها على طريق المزارعة او بكري لغيره الارض او يبيع شيئا من ارضه لتعمير ما بقى له ولا يجوز دفع مال في مقابلة ضمان الجوائح الامر المعبر عنه بالسيكورتاة لانه من وادي القمار واكل المال بالباطل لتردد الامر بين سلامة المضمون فيخسر دافع المال وبين عطبه فيربح وتخسر الشركات وما هذا سبيله محض قمار وعقود المعاوضات يشترط في صحتها السلامة من الغرر والجهالة وهي قاعدة قطعية مستقراة من جزئيات كثيرة مبثوثة في الشريعة

(٨) السؤال

ما هو حكم الصدقة عن الميت من طرف ورثته وهل ما يفعله الناس من قراءة قرآن ويدفعون عن ذلك اجرة الى القراء ويسمى هذا ختما او ما يفعلونه من تسبيح وتهليل مائة الف مرة ويطعمون الناس ويعطونهم اجرهم (اعني القراء) ويسمون هذه الفية الى غير ذلك من الصدقات المختلفة الانواع فهل هذه الاعمال يذهب ثوابها الى الميت ام لا وما تفعل في قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى

الجواب

ان الصدقة عن الميت عند جمهور العلماء صحيحة نافعة لميت لحديث عائشة ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امي افلتت نفسها ولم توص واظنها لو تكلمت تصدقت اقلها اجر ان تصدقت عنها قال نعم وحكى ابن بزيمة عن قوم شذوا فقالوا لا يصل ثواب الصدقة الى الميت والحديث حجة عليهم واما قراءة القراء والتسبيح والتهليل وغير ذلك من عمل الابدان فمورد اختلاف بين العلماء داخل المذهب المالكي وخارجه فمشهور مذهبي مالك والشافعي انه لا يصل نعمها الى الميت لقوله تعالى (وان ليس للانسان الا ما سعى) ومذهب الامام احمد وهو مختار جماعة من المالكية والشافعية ان ثوابها يصل قياسا على الصدقة بالمال والحديث من مات وعليه صوم صام عنه وليه والحديث الختمية القائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابني

شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الرحلة أفا حج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع ويستخلص مما ذكرنا ان آية وان ليس للانسان الا ما سعى مخصصة اما بالصدقة خاصة او بها وبغيرها من الاعمال البدنية النافعة للميت وتخصيص القرآن بالنسبة جائز عند الجمهور وبالقيااس جائز عند جماع كما هو مبسوط في علم الاصول وقد بسط البناني في حاشية الزرقاني عند قول خليل (وعلى قبرة) من باب الجائز المسألة فقال قال في التوضيح المذهب ان القراءة لا تصل الى الميت . حكاه القرافي في قواعد الشيخ ابن ابي جمرة وفيها ثلاثة اقوال تصل مطلقا لا تصل مطلقا الثالث ان كانت عند القبر وصلت وفي موضع غيره لم تصل قال في المسائل الملقوطة ويعني بكونها في موضع القبر تصل . . انه يحصل له اجر مستمع وفي آخر نوازل ابن رشد وان قرأ الرجل واهدى ثواب قراءته للميت جاز ذلك وحصل للميت اجره اه وقال ابن هلال في نوازل . . الذي افق به ابن رشد وذهب اليه غير واحد من المشايخ الاندلسيين ان الميت ينتفع بقراءة القرآن الكريم ويصل اليه نفعه ويحصل له اجره اذا وهب القاري قراءته له وبه جرى عمل المسلمين شرقا وغربا ووثقوا على ذلك اوقافا واستمر عليه الامر منذ ازمة سابقة اه واطال الرهوني في حواشي الزرقاني الكلام على المسألة ونقل عن ابن ابي زيد القاسي انه رأى جوابا لعبد الله الورياحلي من جملة ما يتضمنه ان الاجارة على القراءة لا تجوز وذلك جرحه في اكلمها الا ان يقرأ القاري على وجه التطوع ويعطيه ولي الميت على وجه الصلة والعطية لا على وجه الاجارة قال ابو زيد القاسي وما ذكره من منع الاجارة لعله مبني على عدم النفع كما حكاه عن معروف مذهب مالك وفي جواب للغبريني الميت ينتفع بقراءة القرآن هذا هو الصحيح والخلاف فيه مشهور والاجرة عليه جائزة اه ما نقله الرهوني وفي شرح الابي في حديث الصدقة عن الميت ما نصه هذه الاوقاف والتحايس على القراءة على الغير على القول بالانتقال الامر فيها واضح واما على عدم الانتقال فتواب القراءة الحرف بعشر للقاري وللمحبس ثواب اعانته والتسبب في ذلك لان المعين على الخير كفعله اه افق بجميع ذلك عبده محمد العزيز جعيط المفتي المالكي اخذ الله بيده

(٩) سؤال

رجل وجد امه وزوجته في حال مشاجرة ولم يدر الظلمة منهما فصدر منه ظاهرا وعلى سبيل الوعد فقط تطيبا لحاطر والدته قوله لها (والله تبدا مطلقة) معتقدا عدم لزوم الطلاق له لانه لم ينوه باللفظ المذكور ومتعمدا الدخول على يعين غموس لانه كاذب في قوله ثم قال لزوجته (روجي باقي ليلة وارجمي) وبعث معها اخته تأكيدا للرجوع فكان الامر كذلك ذهبت ورجعت وادى الكفارة لحلفه كاذبا وذلك منذ احدى وعشرين سنة لاعتقاده انه لا يلزمه غير الكفارة المذكورة وفي هذه الايام اجتمع هذا الرجل وكان من طلبة العلم بطالب آخر وجر الحديث بينهما الى مسألة

المؤاخضة بالنية فقال له الطالب الآخر ألم تعلم ان الطلاق الصريح يلزم ولو بدون نية فأخذ صاحب الواقعة يسأل العلماء هنا (اي في جربة) فمنهم من قال له الطلاق وقع ويلزمك الرجعة ومنهم من قال لا يلزمك شيء والآن رفع سؤاله اليكم وهو مشفق من عدم لحوق ذريته بنسبه ممن تزايد له بعد حلفه فماذا تقولون في جوابه بارك الله لنا فيكم .

الجواب الهمننا الله للصواب

انه لا خفاء ان الفاظ الطلاق وصيغه تحمل على ما يراد بها في عرف الحالف كما ذلك منصوص لغير واحد فان كان اللفظ محتملا فالاعتماد على نية الحالف وعلى القرائن قال العلامة ابن مرزوق فيما نقله عنه صاحب المعيار - ج ٤ - ص ١٠٤ ما نصه ان المدار على القرائن في الالفاظ المحتملة وعلى ذلك بنى اللخمي الكلام في هذه الالفاظ مع اعتبار قوة دلالة بعضها حتى التزم في بعضها الطلاق وانه لا يصدق في غيره اهـ .

بناء على هذا التنديد اقول من قال مخاطبا لاه في شان زوجته (والله تبدا مطلقة) قاصدا بذلك وعدها بطلاقها ظاهراً فقط من غير نية ايقاع الطلاق وذلك لتطبيب خاطرها حيث كانت في حال شجار مع زوجته ولو انه لم يبين له الظلمة منهما اقول بناء على ما تقدم لا يخلو حال مقاله هذا من احتمالات ثلاث .

الاحتمال الاول - ان يكون عرف بلد الحالف استعمال هذه الصيغة وهي (والله تبدا مطلقة) في الوعد بالطلاق لا في ارادة ايقاع الطلاق وعلى هذا الاحتمال لا يلزم الطلاق لان الوعد بالطلاق لا يلزم به الطلاق على المشهور في الوعد انه لا يجب الوفاء به ان لم يدخل الموعد بسبب الوعد في عهدة سواء أكان الوعد بالطلاق معلقا لما روي عن مالك انه قال (ولو قال لزوجته اذا قدمت من سفري لاطلقنك فليس عليه وليس كالمعتق الذي هو الله) وروي مثله عن سحنون او كان غير معلق لما في المدونة قال مالك من قال لامراته والله لا اطلقنك فليس بمول ولا يمنع من الوطء فان شاء طلق فبر وان لم يطلق لم يحث الا بموته او موتها ولا يجبر على الكفارة اهـ وروي عن ابن القاسم (ان من قال لله علي ان اطلقك فلا شيء عليه لان نذره الطلاق ليس عليه الوفاء به وقد بسط مسألة عدم لزوم الطلاق بالوعد به (وهو ما استظهره ابن عرفة) المحقق ابو عبد الله بن مرزوق في تحرير له ضاف اتصر فيه (لشيخه ابن عرفة في استظهاره المذكور حسبما ذلك مبسوط في كتاب المعيار للعلامة الونشريسي - ج ٤ ص ١٠٢)

الاحتمال الثاني - ان تكون عادة بلد الحالف ارادة تنجيز الطلاق بقول الزوج (والله تبدا مطلقة) ولكن الحالف خالف ما تعارفوه واراد به مجرد الوعد ولم ينوبه ايقاع الطلاق حسبما جزم

به في سؤاله وعلى هذا الاحتمال يتردد في لزوم الطلاق له وعدم لزومه وبيان ذلك ان صريح الطلاق وان نص ايمتنا على لزوم الطلاق به ولو لم ينو به الحالف الطلاق وذلك ان قصد التلفظ به لكن ذلك يتصور بصورتين لان المتلفظ بصريح الطلاق قصدا من غير نية ايقاع الطلاق تارة لا تكون له نية حين نطقه به لا في طلاق ولا في غيره وهذا يلزمه الطلاق اتفاقا وتارة تكون له نية غير ايقاع الطلاق كما في واقعة الحال فانه نوى الوعد بالطلاق لا الطلاق وفي هذه الصورة الأخيرة طريقتان - الاولى -

طريقة المدونة لزوم الطلاق له في الفتوى والقضاء ففي ابن يونس ما نصه ومن المدونة قلت لابن القاسم فيمن قال لزوجه انت طالق وقال نويت من وثاق ولم ارد الطلاق ولا بينة عليه وجاء مستفتيا قال الطلاق يلزمه وقد قال مالك رضي الله عنه فيمن قال لزوجه كلاما مبتدأ انت برة ولم ينسب به الطلاق فهي طالق ولا ينفعه ما اراد بذلك بقلبه فكذلك سألتك اه وهذه الطريقة صوبها المسلامة بناني في حاشيته على عبد الباقي عند قول خ (وصدق في نفيه ان دل بساط على العد او كانت موثقة فقلت اطلقني وان لم تساله فتاويلان) قائلا كيف يعدل عن كلامها مع تسليم الشيوخ له اه ويعني بالشيوخ ابن يونس والبخمي وعياض وابن الحجب وابن عبد السلام وابن عرفة وغيرهم .

الثانية - طريقة القرافي قلها عنه عبد الباقي عند شرحه لعبارة خ الآفة قال القرافي الزام الطلاق فيها (اي مسألة المدونة التي سئل عنها ابن القاسم لو قيل انه خلاف الاجماع لم يبعد لانه نظير من طلق امرأته فقيل له ما صنعت فقال هي طالق واراد الاخبار فقال ابو الطاهر لا يلزمه في الفتوى اجماعا ثم قال راي القرافي ينبغي ان تحمل مسألة الوثاق على اللزوم في القضاء دون الفتوى اه وهاته الطريقة اعتمدها من المتأخرين الشيخ علي الاحموري ومن تبعه وبمقتضاها قيد التاويلين في عبارة خ السابقة واعتمد الشيخ مصطفى الرماصي كلام القرافي ومال الى تقييد الشيخ الاحموري كلام خ اما المحقق بناني فصوب طريقة المدونة المتقدمة وجعل كلام القرافي مما يؤخذ تفقها لا فقها كما يقولون

لكن يلوح ان طريقة القرافي هذه تعضدها فتاوى عدة لحلة من شيوخ المذهب المالكي

فعنها ما ذكره صاحب المعيار ج ٤ ص ٧٥ عن فتوى الشيخ ابي محمد عبد الله العبدوسي فيمن البحت عليه احذى زوجتيه ان يطلق ضررتها فاستحفظ على ذلك للشهود بانه مهما طلق زوجته فلائنه باي طلاق كان او حرما باي تحريم كان فانه غير ملتزم لذلك وانه مبطله ثم طلق زوجته المستحفظ في شأنها وحرما بناء على طلب زوجته الاخرى منه ذلك فهل له مراجعتها لاجل الاستحفاظ المذكور ام لا فاجاب بانه لا يلزمه تحريمها لاجل استرعائه وهي باقية في عصمته ولا يقال هل له مراجعتها لانها لم تخرج عن عصمته وهذا اذا لم يقصد الى تحريمها حالة تحريمها لفظا دون نية اه ومنها ما ذكره صاحب المعيار ايضا ج ٤ ص ١٠٠ ونصه وسئل (اي ابو سعيد فرج بن قاسم

بن لب) عن قال الطلاق ولم ينو التزامه فاجاب لا يلزمه شيء اتفاقا اه

ومنها ما ذكره ايضا ج ٤ ص ١٩٣ وسئل (يعني ابا عبد الله المواق) عن رجل كان يتحدث مع رجل آخر فقال له طلق امراتك فقال له في جوابه (تراها بحال مطلقة) هل يلزمه طلاق ام لا فاجاب ان كان الرجل خاف من الطلاق فقال له في جوابه (تراها بحال مطلقة) لم يلزمه شيء اذ لم يقصد بذلك ايقاع الطلاق اهـ

وازاء هذا الخلاف بناء على هذا الاحتمال فالاحتياط يقتضي اعتبار ما صدر من السائل وهو قوله (والله تبدا مطلقة) طلاقا وبموجبه يراجعها بصداق وولي وشهود بعد استبرائها (واستبراء الحرية كعدتها في مثل هذا) لانه على احتمال الحنث انما تلزمه طلقة قال خ وتلزم واحدة الانثى اكثر ولا يتوهمن السائل عدم لحوق ذريته بنسبه اثناء هذه المدة على احتمال الحنث بل ان من ولد له فيها لاحق بنسبه قطعاً على كل احتمال

في نوازل الشريف العلي ج ١ ك ١٦ ص ٢ ونقله عنه الشيخ المهدي في نوازله ما نصه مختصراً وسئل سيدي يحيى السراج عن اولاد الحائنين بالطلاق والحرام هل يلحقون بآبائهم او يكونون اولاد الزنى فاجاب انهم يلحقون بآبائهم ويتوارثون وليسوا هم كاولاد الزنى المحض فان اولاد الزنى المحض لا يلحقون بآبائهم ولا يتوارثون اهـ

ثم نقل اثره من خط ابي العباس احمد بن عرضون ما نصه سئل القوري عن حلف بالطلاق الثلاث والايمان اللازمة ويحنت ويقيم مع زوجته في الحرام حتى يلد معها الاولاد على تلك الحالة فهل يرثه اولاده ام لا فاجاب الفتيا فيها من شيوخنا المتأخرين لحوق الاولاد وتوريثهم وفي تعليل ذلك من اصله طول لا تسعه هذه البطاقة والله سبحانه اعلم اهـ

فاذا كان هذا حكم اولاد الحائنين بالحرام والطلاق الثلاث فكيف بالحالف في مسألتنا خصوصا واشهب من ايمتنا يرى صحة الرجعة بمجرد الفعل بدون نية الارتجاع وان كان خلاف المذهب

الاحتمال الثالث - ان يكون قول السائل (والله تبدا مطلقة) لم يجز العرف فيه عند اهل بلد الحالف بارادة ايقاع الطلاق ولا الوعد به بمعنى كون هذه الصيغة محتملة للامرين وعليه فالظاهر عدم لزوم الطلاق لنيته اولا ولقرينة ارادة الوعد بالطلاق دون ارادة الطلاق ثانيا وهذه القرينة هي قوله (والله) اذ القسم يقصد به عربية تحقيق صدق الخبر ولو اراد الطلاق لكانت الجملة انشائية فلا معنى لتأكيدهما بالقسم هذا ما تقتضيه قواعد العربية ويوافقه الاستعمال في لغتنا الدارجة فانه لم يعتد الحلف على الانشاءات فلا نسمع زوجا يقول لزوجته (والله انت طالق) ولا بائعا يقول لمن ساومه (والله بعت لك) فقوله (والله تبدا مطلقة) هو بمثابة والله لتكونن مطلقة على معنى الوعد وقد سلف انه لا يلزم هذا ملاح لي في جواب هذا السؤال والله اعلم

(١٠) السؤال

يحتفل هنا (اي في جربة) لفائدة الجمعية الخيرية ولفائدة الفقراء بجعل قصاص (فداوي) يروي للحاضرين ما كان عليه بعض الملوك وما وقع لهم من المعارك الحربية وغير ذلك من الاحاديث المسلية والحكايات المضحكة ويتخذون عند باب المجل الذي فيه الاحتفال بوابا لاستخلاص مقدار من المال من الداخلين فهل يصدق على هذا القصاص قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً اولئك لهم عذاب مبين) وهل يحرم سماعه ام لا

الجواب

ان هذا القصاص اذا كان يروي اقاصيص مكذوبة وهو الواقع من القصاصيين (الفداوية) فلا جرم يحرم عليه روايتها كما يحرم على غيره سماعها منه كما لا يخفى
قال في المرشد

يصون سمعه عن المآثم كغية نيمة زور كذب
لسانه اخرى بترك ما جلب

وفي المعنى يقول الشاعر

وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح شريك لقائله فانتبه

وقال المثقف العبدى

فسمع السوء شريك له ومطعم المأكول كالآكل

اما الآية الكريمة فلا تنطبق على هذا القصاص اذ لم يقصد بما يقص من الاكاذيب الصد عن سبيل الله والاستهزاء بها ولا في فعله ما يتضمنهما ويتضح ذلك بذكر سبب نزول هذه الآية وذلك انها نزلت على ما ذكره العلماء في احد المستهزين الذين قال الله فيهم (انا كفيناك المستهزين) وهو النضر ابن الحرث العبدي كان اذا جلس رسول الله مجلسا للناس يحدثهم ويذكرهم ما اصاب من قبلهم قال النضر (هلموا يا معشر قريش فاني احسن منه حديثا) ثم يحدث عن ملوك فارس وكان يعلم احاديثهم ويقول ما احاديث محمد الا اساطير الاولين فنزل فيه في سورة لقمان (ومن الناس من يشتري لهو الحديث الى قوله فبشره بعذاب اليم)

(١١) السؤال

هلك هالك وترك زوجة واما وثلاث اخوات شقائق او لآب كيف يكون تأصيل هذه الفريضة وتصحيحها.

الجواب ان فريضة هذا الهالك من اثني عشر وتعود الى ثلاثة

عشر (والعول في اصطلاح الفرضيين الزيادة في السهام والنقص من المقادير) ويبان ذلك ان للزوجة الربع ومقامه اربعة وللأم السدس ومقامه ستة وللأخوات الثلثان مقامهما ثلاثة نجد الثلاثة داخلة في الستة فنكتفي بالستة وننسبها للاربعة فيتوافقان بالنصف يضرب نصف احدهما في كامل الاخرى باثني عشر هو اصل المسألة للزوجة الربع

(١)	
١٣	١٢
٣	٣
٢	٢
٨	٨

زوجة

أم

أخت شقيقة

أخت شقيقة

أخت شقيقة

ثلاثة وللأم السدس اثنان وللأخوات الثلثان ثمانية فعالت الى ثلاثة عشر ويرسم كما بالجدول عدد ١٥ فنجد

(٢)		
٣٩	١٣	١٢
٩	٣	٣
٦	٢	٢
٨	٨	٨
٨		
٨		

نصيب الأخوات الثلاث ثمانية وهي غير منقسمة عليهن ومخالفة

اعداد رؤوسهن فتضرب الفريضة في عدد رؤوسهن والحاصل زوجة

تصبح منه الفريضة ومن اخذ شيئاً في اصل الفريضة يأخذها أم

مضروباً فيما ضربت فيه الفريضة فتكون الفريضة من تسعة أخت شقيقة

وثلاثين حاصلة من ضرب ثلاثة عشر اصل الفريضة في ثلاثة أخت شقيقة

للزوجة ثلاثة مضروبة في ثلاثة بتسعة وللأم اثنان مضروبان أخت شقيقة

في ثلاثة بستة وللأخوات اربعة وعشرون حاصلة من ضرب ثمانية في ثلاثة لكل واحدة منهن ثمانية. كما بالجدول عدد ٢

(١٢) السؤال

انسان عليه صلوات فائتة وجهل مقدارها لانه كان تارة يصلي وتارة لا يصلي ودام ذلك منه عدة سنوات والآن اراد قضاءها فكيف يمكن له تقديرها وكيف يقضيها واشغاله كثيرة افيدونا الجواب واجركم على الله

الجواب ان قضاء الصلوات الفائتة واجب قال الله تعالى اقم الصلاة لذكرى وفي الحديث الصحيح عن انس رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وأقم الصلاة لذكرى

ومشهور مذهب المالكية ان قضاءها واجب على نحو ما فاتته من قصر واتمام وسر وجهر وذلك على الفور وهو ظاهر المدونة ومعلوم ان ظاهرها يعتبر عندنا نضاً وبناء على هذا فلا يجوز تأخير قضاها الا لعذر كما لا يجوز له التنفل خلافاً للقاضي ابي بكر بن العربي الا ما خف من الصلوات لمسنونة وفجر يومه وشفعه المتصل بالوتر اما ما كثر من النوافل المرغب فيها كقيام رمضان فلا فان عمل أجز من جهة انه طاعة واثم من جهة ما فيه من تأخير قضاء الفائتة قال عبد الباقي في شرح قول ١ وجب قضاء فائتة مطلقاً ان قوله (مطلقاً) حال من قضاء ومن فائتة اي حال كون القضاء

الوعظ والذكر

خطبة منبرية في المعاشرة بالمعروف

الحمد لله الذي جعل الرجال قوامين على النساء ، وأوجب معاشرتهن بالمعروف ووقايتهن من دواعي الشقاء ، أحمده على أن شرع لنا ما فيه صلاحنا بمحض فضله ورحمته ، وجعل كل إنسان راعياً ومسئولاً عن رعيته ، وأشكره شكراً يخولنا المزيد من نعمته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تترار جلاء الجنان ، وتثقل يوم الحساب الميزان ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بفصل الحق وواضح الفرقان ، الجامع لاشتات الاخلاق الفاضلة الحسان ، وصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه السادة الاعيان ، وكل من تبعهم باحسان ، أيها الناس أن الله عهد اليكم بعهود فافقوا بعهوده ، وحد لكم حدوداً

مطلقاً في جميع الاوقات ولو المحرمة والمكروهة ثم ذكر انه يستثنى من التعميم في الاوقات وقت يحتاج فيه الى تحصيل معاشه . ابو الحسن . انظر هل درس العلم من ذلك ام لا ومراعاة بالعلم غير المتعين اما المتعين فينبغي ان يقدم مطلقاً كتمريض واشراف قريب ونحوه على الموت فيما يظهر اه . وقيل يجب قضاء الفائتة على التراخي وقيل يلزمه ان يقضي يومين في يوم وقيل انما يؤمر بتعجيلها خوف معالجة الموت فيجوز تأخيرها لمدة بحيث يغلب على ظنة اداؤها . اما مقدار الصلوات الفائتة المقضية فيعتمد في تقديره على ظنه فما شك هل فعله يجب عليه قضاؤه .

قال عبد الباقي في شرح قول خ (مطلقاً) من عبارته السالفة ما نصه وحال كونها فائتة مطلقاً تحقيقاً او ظناً او شكاً مستنداً لعلامة لا لمجرد وهم أو تجويز عقلي ولكنه يتوقى في وقت النهي في المشكوك فيه وجوباً في المحرم وندباً في المكروه وحال كونها اي الفائتة فائتة سهواً باتفاق او عمداً على المعروف اه

فزيادة المخيض في الجواب ان واجب هذا الانسان في قضاائه لما فاتته من الصلوات التي لم يسدّر مقدارها ان يطرح ما يتحقق او يظن انه صلاة في ماضي عمرة ويقضي ما يظن ويشك في ادائه له وذلك في جميع اوقاته عدا اوقات الضرورات كوقت الاكل والنوم واداء ما افترضه او سنه الله عليه ووقت سعيه لمعاشه ووقت اشتغاله بدراسة العلم هذا مشهور مذهب مالك وهنالك اقوال تقابل المشهور منها ان يقضي صلاة يومين في يوم والله اعلم وبه التوفيق

علي النيفر

المدرس بجامعة الزيتونة

قفوا عند حدوده، ونصبكم رعاة فلا تقصروا في امر الرعايه، واستودعكم ودائع فلا تغفلوا عن النظر اليها بعين العناية، جعل لكم من انفسكم ازواجا، ووضح لكم في معاملتن شرعة ومنهاجا، فوجب الاتفاق عليهن بحسب السعة والاقتدار، وامر بمعاشرتهن بالمعروف ونهى عن امساكن لاجل الضرار، واوكل الى البعولة تاديبهن الادب المصلح فشرع، وعظهن وهجرهن في المضاجع، وضربهن ضربا غير مبرح ونه رسولہ عليه الصلاة والسلام الى ما فيهن من الاعوجاج، وما افقر من خلق من ضلع اعوج الى مهرة في طرق العلاج، وقد شاهدنا في هذه الازمنة الفاسدة ان امر جمهور الازواج مع زوجاتهم بين افراط وتقصير، فانتشر الاختلال وافضى الى فساد شرعة المستطير، فبعض الازواج قصر في القيام بحقوقهن المعتبرة، واضربهن ضرراً لا يبيحه الشريعة المطهرة فتراه يتقاعس عن الارتفاق، ويهرق زوجته جبرها على خدمة اليهود والنصارى ايما ارهاق، لتقوم بامر الاتفاق فاذا اظهرت ابناء، سامها خسفاً واعتداء فضرها ضرباً موجعاً وشتماً شتماً مقذعاً ولعن ابويها ومن يمت بقرابة اليها وبعضهم يوغل في انواع المكر والحديعة لتتخلى له زوجته عن ما لها وشوارها فاذا خابت مساعيه تفنن في ايدائها وضرارها فيمنعها من زيارة ابويها ولا يجيبها لمقترحاتها المباحة مع قدرته عليها، ويتركها في بيتها منفردة اليقة الارق، كثيرة القلق، من شدة الخوف والفرق، ولا يرجع الى محله الا بعد مضي نصف الليل او جلده وربما كلفها عند الرجوع تهيئة عشائه الممزوج بالدموع واغلظ لها في الخطاب، وتسبب في استحالة ما يأتي به من السباب، وبعضهم افراط فيما يظنه احسانا، فلم يقم للاعتدال ميزاناً، ولم يمسك زمام المراقبة الموجوبة للعفة والصيانة، والقي الحبلى على الفسارب حتى ضاعت الامانة، فترك زوجته تجوب الطرقات طرقي النهار وزلفا من الليل، بصفة يندى لها جبين المروعة ويتسع بها مجال الوليل، واباح لها غشيان ديار الملاهي، والمنصف من يلقفها بمكامن الدواهي، فمكناها من الاختلاط بالرجال، حتى تكسرت النصال على النصال، ودب الفساد بين الاسر من اثر هذا الاهمال، وتراكمت الاهوال، فانه الله في زوجاتكم لا تبغوا عليهن سيلا، والينوا لهن القول واسطوا الوجه وافعلوا معهن جيلا، ولا تكلفوهن امراً ثقيلا، فليس على المرأة اذا كانت ممن يخدمن بانفسهن الا القيام بشؤون الزوج من طبخ طعامه وغسل ثيابه، وعليه ان يطعمها ويكسوها بقدر وجدة واكسابه، ولا يسوغ له جبرها على الاكساب لتعوله، فان ذلك من واجبات البعولة، وان كانت ممن لا يخدمن بانفسهن فليس عليها الا المراقبة والاشراف، والاحتفاظ على ما جعله تحت تصرفها من الرمي به في فضاء الاسراف، وعلى الازواج حفظ زوجاتهم ومنعهن من التبرج في الطرقات، والخروج متعطرات، حتى لا يفريهن الشيطان ويفري بهن، ويزين لهن ما لا يجوز في خواطرهن، لو كن في بيوتهن، فخير المرأة ان لا ترى ولا ترى، وشرهن من لم يزعا الحياء عن التعرض للورى، واذا خرجت فلا تخرج الامسترة

فيما لا بد لها منه مما حضوره مباح، ولا تحضر من ذلك ما فيه نوح نائحة او لهو من مزمار او عود او شبهه من الملاهي الملهية الا الدف في النكاح، وعلى الأزواج امرهن باقامة الصلوات وفعل الخيرات وصدهن عن غشيان المنكرات، فبذلك تصلح الاسر وتحفظ من الآفات.

اخرج البخاري في صحيحه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المرأة كالضلع ان اقمته كسرتها وان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج وفي رواية عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤدي جارة واستوصوا بالنساء خيراً فانهن خلقن من ضلع اعوج وان اعوج شيء في الضلع اعلاة فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء خيراً،

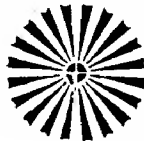
واخرج البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير نساء ركبهن الابل صالحوا نساء قريش احبوا على ولد في صغره وارعاة على زوج في ذات يده، واخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن زمعة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلد احدكم امراته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم واخرج البخاري في صحيحه عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والدخول على النساء فقال رجل من الانصار يا رسول الله افرايت الحمو قال الحمو الموت،

واخرج البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة ما ترك غني واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول تقول المرأة اما ان تطعمني واما ان تطلقني ويقول العبد اطعمني واستعملني ويقول الابن اطعمني الى من تدعني وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا استاذنكم نساؤكم بالليل الى المسجد فاذنوا لهن قالت عائشة لو ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء لمنعهن كما منعت نساء بني اسرائيل.

ان اتقوا المواعظ تبشيرا وانذارا. واعملوا نفعاً واعظمها اعتباراً، كلام من لم يزل عزيزاً جباراً، اعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قوا انفسكم واهليكم ناراً،

محمد العزيز جعيط

خطيب جامع الحلق



اهداء ثواب الاعمال

تعددت اقوال علماء الاسلام في ان الميت هل ينتفع بالقرب التي تهدي له من اخيه الحي ويصله ثوابها ام هي تكون لمهديها خاصة ولا يصل منها شيء للميت وهذا الخلاف بينهم يجرى اولاً في اصل الاهداء هل يصل او لا ثم عند من يقول به يجري فيما هي القرب التي يصل ثوابها والقرب التي لا يصل ثوابها على ان هذا الاختلاف ليس هو في حكم شرعي كما قاله الشهاب القرافي في الفرق الثاني والسبعين بعد المائة وانما هو في امر واقع هل هو كذلك ام لا

وقال في فتح القدير وليس الخلاف في ان له ذلك اولاً بل الخلاف في انه يجعل بالجعل اولاً بل يلغو جعله

اما القول بعدم وصول الثواب فينسب الى اهل الاعتزال على معنى انهم يقولون ان ثواب العبادات وسائر القرب يكون خاصاً بصاحبها ولا ينتفع الميت بشيء من ثواب المهدي فلا يناله ثواب تلك العبادة التي اتي بها المهدي ولا مثل ثوابه اصلاً سواء أكانت العبادة مالية كالصدقة او بدنية كالصلاة او ذات شائبتين كالحج محتجين بظاهر قوله تعالى (وان ليس للانسان الا ما سعى)

وذهب اهل السنة الى وصول ثواب العبادات المالية كالصدقات الى الميت وينتفع بما يهدي اليه كما ينتفع بها صاحبها وقد حكى الامام النووي في شرح مسلم الاتفاق على ان الصدقة عن الميت تنفعه ويصله ثوابها وبين ذلك عند شرحه للحديث الذي اخرج به مسلم عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ان ر- لا قال يا رسول الله ان امي افلتت (١) ولم توص واظنها لو تكلمت تصدقت افلها اجر ان تصدقت عنها قال نعم

قال النووي وكذا اتفاقهم على وصول الدعاء وقضاء الدين بالنصوص الواردة في الجميع . وقال في التارخانية الافضل لمن يتصدق نقلاً ان ينوي لجميع المؤمنين والمؤمنات لانها تصل اليهم ولا ينقص من اجرة شيء . اهـ

وحكاية النووي الاتفاق تدل على ان من خالف من اهل السنة بعد ذلك منه شذوذاً وانه ليس من اهل الدراية الذين يعتد بمخالفتهم حتى انه عبر في بعض المواطن بالاجماع على ذلك

وليس منه احضار الطعام لمن جاء لاهل الميت بقصد التعزية كما جاءنا في بعض الاسئلة قال في فتح القدير : يكره اتخاذ الضيافة من الطعام من اهل الميت وهي بدعة مستقبحة روى الامام احمد وابن ماجه

باسناد صحيح عن جرير بن عبد الله قال كنا نعد الاجتماع الى اهل الميت وصنع الطعام من النياحة اه
وعدهم ذلك من النياحة صريح في عدم الجواز . وعد في الفتاوى البزازية من المكروهات اتخاذ اهل
الميت الطعام في اليوم الاول والثالث وبعد الاسبوع ونقل الطعام الى القبر في المواسم واتخاذ الدعوة لقراءة
القرآن وجمع الصالحاء والقراء للختم او لقراءة سورة الانعام او الاخلاص . والحاصل ان اتخاذ الطعام
عند قراءة القرآن لاجل الاكل يكره اه ونقل المولى ابن عابدين عن المعراج ان هذه الافعال كلها
تتخذ للسمعة والرياء فيحترز عنها لانهم لا يريدون بها وجه الله تعالى اه ومن اراد ان ينفع الميت
فليصدق لوجه الله تعالى ويهدي الثواب للميت . واما اهداء الاقارب الطعام لاهل الميت فتندب اليه
الشارع قال في الفتح ويستحب لخير ان اهل الميت والاقرباء الاباعد تهئة طعام لهم لقوله صلى الله عليه
وسلم اصنعوا آل جعفر طعاما فقد جاءهم ما يشغلهم رواه الترمذي وحسنه واخرجه الحاكم وصححه
واما العبادات ذات الشائبتين كالحج والعمرة فقد قال الحنفية والشافعية والحنابلة ان الميت يصله
ثوابها ويتنفع به

قال الامام النووي في شرح مسلم يصح الحج عن الميت اذا كان حج الاسلام . يعني حج
الفرض . وكذا اذا اوصى بحج التطوع على الاصح عندنا يعني الشافعية
وقال في الدر الاصل ان كل من اتى بعبادة ما له جعل ثوابه لغيره وان نواها عند الفعل
لنفسه لظاهر الأدلة . اه

واما العبادات البدنية المحضة كالصلاة والصيام والطواف وتلاوة القرآن والاذكار فقد قال الحنفية
بوصول ثوابها للمهدي اليه على الاطلاق من غير فرق بينها كما في الفتاوى الهندية وغيرهما من كتب المذهب
قال في البحر من صام او صلى او تصدق وجعل ثوابه لغيره من الاموات او الاحياء جاز ويصل
ثوابها اليهم . وكذا في البدائع . وقال في البحر ايضا لا فرق بين النفل والفرض ولا يعود الفرض في
ذمة المكلف اذا اهدى ثوابه لان عدم الثواب لا يستلزم عدم السقوط عن ذمته اه . قال المولى ابن
عابدين قد علمت ان ثواب المهدي لا ينعدم اه . مفاد كلاميهما صحة اهداء ثواب الفرض مع اجزاء
العبادة وسقوط الطلب وحصول الثواب للمهدي له من غير ان ينقص شيء عن المهدي وكلام صاحب
البحر في براءة الذمة ولو على فرض سقوط الثواب فكيف وهو باق لم يفته منه شيء .
ومن هنا جاء قولهم كما في البحر يصل الثواب للمهدي له من غير فرق بين ان ينوي المهدي
به لغير عند فعل القرية او يفعله لنفسه ثم يجعل ثوابه لغيره لاطلاق النصوص الواردة في ذلك .

وليست مسألة اهداء الثواب كمسألة النيابة في فعل الواجبات ففيها العبادة المالية تقبل النيابة
وذات الشائبتين تقبل النيابة عند العجز الدائم والبدنية لا تقبل النيابة البتة وهو المحمل الذي خرج

عليه حديث (لا يصوم احد عن احد ولا يصلي احد عن احد) ، فذلك انما في حق الخروج من عهدة التكليف وان هاته العبادات البدنية لا تقبل النيابة في براءة الذمة وسقوط الطلب ويبقى ما وراء ذلك وهو اهداء الثواب . وقال جمهور الحنابلة يصل الثواب الى المهدي اليه في سائر العبادات البدنية كما هو الحال في العبادات المالية وذات الشائتين . وجرى الخلاف في اهداء الثواب الى الحي قال الحافظ ابن القيم الجوزية في كتاب الروح اختلف في اهداء الثواب الى الحي فقليل يصح لاطلاق قول احمد يفعل الخير ويجعل نصفه لايه او امه وقيل لا لكونه غير محتاج لانه يمكنه العمل بنفسه . اهـ واما الميت فلا يمكنه ذلك

وهل يشترط ان يتلفظ باهداء الثواب عندهم قال ابن القيم لا يشترط في الوصول ان يهديه بلفظه بل تكفي النية كما لو أعطى فقيرا بنية الزكاة يجزيه ذلك لان السنة لم تشترط ذلك في حديث الحج عن الغير ونحوه ثم قال نعم اذا فعله لنفسه او لاثم نوى جعل ذلك الثواب لغيره لم يكف . واختار ابن القيم اشتراط وقوع نية اهداء الثواب عند فعل الطاعة وانه يصح اهداء ثواب الواجبات بعد كونها تجزى عن الفاعل ويسقط عنه الوجوب بنفس الفعل . ومشهور مذهب الشافعي وامام دار الهجرة رضي الله عنهما عدم وصول ثواب العبادات البدنية كالصلاة والصيام وقد نقل الشيخ بناني في اهداء ثواب قراءة القرآن للميت اقوالا ثلاثة المذهب انها لا تصل وقيل تصل ان كانت عند القبر وقيل تصل مطلقا وذكر ابن الحاج في المدخل ان من اراد وصول ثواب قراءته بلا خلاف فليجعل ذلك دعاء بان يقول اللهم اوصل ثواب ما أقرأه الى فلان . اهـ ووجه كلامه بان الدعاء متفق على وصول نفعه للميت لكن نفع الدعاء غير ثواب ما تلي الا ان يقال نفع الدعاء يكون باستجابته وهو قد دعا بجعل الثواب لفلان فيستجاب دعاؤه بذلك ان شاء الله

قال الحافظ السيوطي . مما ورد من الادلة على ان الدعاء ينفع قوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) وما اخرجه البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له

وقال الامام النووي اما الصلاة وسائر الطاعات فلا يصل ثوابها للميت والمشهور في مذهبا ان قراءة القرآن لا يصله ثوابها ايضا اهـ ونقل عن بعض الشافعية ان ما عليه المتأخرون منهم وصول مثل ثواب القارئ للميت وذكروا للقول بالمنع تأويل ثلاثة اولها انما قالوا بعدم وصول عين ثواب قارئ القرآن الذي اهدى ثوابه لصاحبه . الثاني انهم قالوا بعدم الوصول اذا قرأ لا بحضرة الميت . الثالث انهم قالوا بالمنع اذا نوى الثواب للغير ولم يدع باللهم اجعل ثواب هاته الطاعة لفلان ونحوه . ومفاد هذا انهم يشترطون لوصول مثل ثواب المهدي ان تكون القراءة عند الميت وان ياتي بلفظ الدعاء

واما حجة من يقول بعدم وصول الثواب الى المهدي اليه مما يدل عليه ظاهر الآية الكريمة وهي قوله تعالى (وان ليس للانسان الا ما سعى) فقد أجاب عنها اهل القول الثاني بان الآية من العام الذي دخله التخصيص او المطلق الذي ورد مقيدة على لسان الشارع بما ثبت في السنة مما يخص الصدقة او ما يعمها وسائر العبادات البدنية النافعة للميت من ذلك ما تقدم لنا من حديث ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها الذي رواه مسلم وما رواه ابو داود عنه ، صلى الله عليه وسلم انه قال اقرؤا على امواتكم يس . وما رواه الدارقطني ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كان لي ابوان ابرهما حال حياتهما فكيف لي ببرهما بعد موتهما فقال صلى الله عليه وسلم ان من البر بعد الموت ان تصلي لهما مع صلاتك وان تصوم لهما مع صومك . وما رواه عن علي كرم الله وجهه عنه صلى الله عليه وسلم قال من مر على المقابر وقرأ قل هو الله احد احدى عشرة مرة ثم وهب اجرها للاموات اعطي من الاجر بعدد الاموات وقال الكمال : ان الآية وان كانت ظاهرة فيما قاله المعتزلة لكن يحتمل انها مقيدة وقد ثبت ما يوجب المصير الى ذلك وهو ما صح عنه صلى الله عليه وسلم انه ضحى كبشين املحين احدهما عنه والآخر عن امته . فقد روي هذا عن عدة من الصحابة وانتشر مخرجوه فلا يبعد ان يكون مشهورا يجوز تقييد الكتاب به بما لم يجعله صاحبه لغيره ثم ذكر احاديث كثيرة كلها تفيد وصول النفع لغير المهدي ثم قال الكمال فهذا كله ونحوه مما تركنا خوف الاطالة يبلغ القدر المشترك بينه وهو الانتفاع بعمل الغير مبلغ التواتر

ثم قال الكمال وكذا ما في الكتاب العزيز من الامر بالدعاء ومن الاخبار باستغفار الملائكة للمؤمنين فهو قطعي في حصول النفع فيخالف ظاهر الآية التي استدلو بها اذ ظاهرها ان لا ينفع استغفار احد لاحد بوجه من الوجوه لانه ليس من سعيه فقطعنا بانتهاء ارادة ظاهرها فتعين ان يقد اطلاقها بما لم يبه العامل اه فيصير المعنى والله اعلم وان ليس للانسان من الاعمال الا ما سعى اليه بنفسه والا ما يبه العامل الى غيره على ما جاء في شرح تاويله للآية . هذا وهل يصح اخذ شيء من حطام الدنيا ليجعل الآخذ ثواب عبادته للمعطي قال المولى ان عابدين لا يجوز ذلك لانه ان كان اخذه على ما قدمه من القرية يكون يبعها لها وذلك باطل قطعا وان كان اخذ ليعمل يكون اجارة على عبادة وهي باطلة ايضا كما نص على ذلك فقهاء المذهب وما استثنى للضرورة من جواز اخذ الاجرة على التعليم والامامة والاذان اذا قطع عنهم رزقهم من بيت المال العامة انما ذلك معلل بالضرورة وخوف ضياع الدين وهذا لا ضرورة تدعوا اليه فلا يجوز حيثئذ الاستئجار على تلاوة القرآن والذكر ونحو ذلك . ومن هنا جاء عدم جواز الاستئجار على الحج وانما يعطي النفقة التي تكفيه ذهابا وايابا كما هو مصرح به في كتب المذهب وقال الشرنبلالي لم يذكر احد من مشايخنا جواز الاستئجار على الحج بل المصرح به في

التاريخ

صحيفة من تاريخ تونس

كيف نشأت مصلحة البريد بتونس (البوسطة والتلغراف)

بقلم العالم المؤرخ سيدي محمد بن الحوجه
المستشار لدى الحكومة التونسية

كان العرب يقدرّون المسافات بالبريد والبريد عبارة عن أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة اميال
قال الناظم :

ان البريد من الفراسخ اربع ولفرسخ فثلاث اميال ضعوا
وأطلق لفظ البريد منذ القديم على نقل الرسائل قالوا ان الخليفة عبد الله المأمون ايض شعر
رأسه قبل بلوغه الثلاثين ولما سئل في ذلك قال ان الذي أشاب رأسه هو صلصلة البريد لانهم كانوا في
عامة كتب المذهب عدم جواز الاستئجار قال المولى ابن عابدين في حواشيه على الدر وما ورد عن
الفقهاء من جواز الاستئجار على الطاعات انما بينوه في التعليم والآذان والامامة خاصة ولم يذكر
واحد منهم انه افق بذلك على العموم والتعليل بالضرورة فيفيد ان الحكم يدور مع العلة وجودا وعدمها
ولا ضرورة في الاستئجار لتحصيل الثواب
فعلت من هذا ان علماءنا معاشر الحنفية يقولون بوصول ثواب العبادة للغير مطلقا حيا كان او
ميتا ولا يفرقون في ذلك بين العبادة المالية والبدنية وذات الشائتين وهو مذهب الحنابلة وبه قال متأخرو
الشافعية في ذات الشائتين على نحو ما مر وقال به المتأخرون من الشافعية والمالكية في خصوص
اهداء ثواب قراءة القرآن والاذكار

وعلمت ايضا ان صحة اهداء لا تثبت الا اذا كانت الطاعة يقصد بها وجه الله تعالى ولم يلبسها لم
يحبطها ولم يقصد صاحبها من ورائها نقعا ماديا اما اذا كانت على سبيل الاستئجار ونحوه مما تعود
الناس في بعض البلاد الاسلامية من المماكسة في القدر الذي يتسلمه القاري كما جاءنا في بعض الاسئلة او
اشتراط شروط لا يقدم القاري الذي سيهدي ثوابه للميت على القراءة الا بعد التحصيل عليها فذلك
لا يجوز ولا ثواب يرتجى وصوله بل ان حصول النفع وترتب الثواب موكول الى الاخلاص وكون
القربة طاعة مقصودا بها وجه الله تعالى

بجمل الشاذلي القاسمي

زمانه يحملون الرسائل في قماطر (١) من الجلد كركاء الماء ويضعونها فوق ظهور البغال فكانت عند سيرها تحدث حركة تسمع من بعيد واتفق ان اتساع ممالك الخلافة العباسية وتلاوح اطرافها نشأ عنه مقدمات ظهور الشقاق ببعض جهاتها السحيقة فكان المأمون على وجل مما يحمله له البريد من ولائه بالآفاق وهذا سبب شيب رأسه قبل الابان وكان نظام البريد في الدولة الجفصية شيبا به في الدولة العباسية فاذا كتب السلطان لاحد عماله بالآفاق يدفع الكتاب مشمعا عليه بلصاق يمد من يقع الاختيار على تجهيزه من النقباء او الوصفان من عبيد البلاط فيركب ذلك المجهز بغلاله ويرتحل قاصدا الجهة الموفود لها فاذا عيى بغله تركه عند عامل الجهة واخذ منه بغلا مكانه بطريق السخرة وهكذا الى ان يبلغ جهة مقصده وليس لرسول السلطان اكراه الغير على مؤنته وعلف دابته اللهم الا اذا كان ذلك عن طيب نفس منه عملا بما توجه قوانين الاستضافة - فالبريد هو مسمى البوسطة في الاصطلاح العصري واما التلغراف فقد ترجمه الشيخ احمد فارس الشدياق (٢) بالموحي - في كتابه كشف المخا عن فنون اوروبا وهو استنباط لاباس به لان صاحب القاموس عرف الوحي بقوله هو الاشارة والكتابه والرسالة والالهام والكلام الخفي وترجموه بدواوين الدولة التونسية عند ظهوره بسلك الاشارة واصطلحت الجرائد على تسميته بالبرق وكلا التعريفين يستفاد منه ايضا المعنى المقصود من التلغراف أما معناه اللفظي فانه مشتق من كلمتين في اللغة اليونانية وهما « تبلي » ومعناه بعيد و « غراف » ومعناه كتب فيكون معنى تلغراف الكتابة من بعيد ويلوح ان احسن تعريف به هو لفظه الاصلي ولا حاجة لنا للتكلف بالبحث عن مرادف له في العربية وهو لا وجود له بها بتاتلا وغاية ما كان معروفا عند العرب في تبليغ الاخبار بسرعة هو الحمام الزاجل كما وقع اثناء الحروب الصليبية والاشارات النارية فوق رؤس الجبال وبالرباطات التي كانت لديهم كما كان بسواحل افريقيا ومنها طرابلس وقابس والمنستير وسوسة قالوا ان الخبر كان يصل من طرابلس الغرب لتونس في يوم واحد، واعلم ان التلغراف المعروف كان ظهوره باروبا في حدود سنة ١٢٦٠ للهجرة (١٨٤٤ للميلاد)

وكان ابتداء الانتفاع به في تونس اوائل دولة المشير محمد الصادق باي نعم انه كان لديهم قبل ذلك نوع من التلغراف بالعلامة الشعاعية بدون سلوك اتخذه المشير احمد باي الاول فيما بين تونس وحلق الوادي مع مركز وسط بجزيرة شكلي ولكن التلغراف السلكي نصب بتونس في سنة ١٢٧٦ اثر ولاية المشير محمد الصادق باي حيث امضى اتفاقا مع الدولة الفرنسية في تخويلها منحة احداث

(١) جمع قماطر وهو محفظة الكتب ويقال ايضا قماطر بتشديد الطاء

(٢) توفي سنة ١٣٠٥

التلغراف من حلق الوادي الى حدود الجزائر من جهة سوق اهراس بشرط مروره على حاضرة تونس وباردو وباجة والكاف مع اعتباره ملكا للدولة التونسية ولها الحق باسترجاعه لمجرد دفع مصاريف نصبه التي قدمت الدولة الفرنسية والتزمت هذه الدولة من جهتها بتمرير من يعينهم سمو الباي من المأمورين التونسيين لتعلم الصناعة التلغرافية ولكن لم يقع السعي بعد في تهيئة طبقة من الشبان التونسيين لاقتناء التعليم الصالح بذلك ولو في هذا الزمان الذي تكرر التصريح فيه بسياسة التشريك في المنافع بين الامتين الحامية والمحمية ثم ان سمو الباي المشار اليه امضى معاهدة اخرى مع الدولة الفرنسية في شوال ١٢٧٧ تضمنت اشتراء الدولة التونسية لاسلاك التلغراف التي نصبها الدولة الفرنسية بتسعين الف فرنك وتسعمائة وسبعة وتسعين فرنكا تدفعها الاولى للثانية على اقساط منجمة واقتتلت الدولة الفرنسية بصفة مؤقتة حق استخدام التلغراف المتحدث عنه مع الانتفاع بمداخله لفائدتها الى الوقت الذي يراه سمو الباي مناسباً لتولي شؤونه مباشرة بواسطة الحكومة التونسية وكان من شروط هذه المعاهدة الثانية ايضا تحويل الحكومة الفرنسية حق نصب الاسلاك التلغرافية من تونس لسوسة وصفاقس وجربة ثم الى حمام الانف والمنستير والمهدية وقابس ان اقتضى الحال وان تتولى الدولة الفرنسية ادارة شؤون جميعها بواسطة اعوانها الى ان يتيسر لسمو الباي استرجاعها على شروط الاتفاق الاول وكان مركز ادارة التلغراف يومئذ بدار الكاهية بنهج القطر على مقربة من قشلة سيدي عامر، ومن مباشرة في مبادي انتصابه بباردو المستعرب مسيو روا فقد كان في شبابه مأمورا لتلغرافيا وفي كهولته مأمورا قنصليا ومراقبا مدنيا ببلد الكاف ثم في مشييه كاتباً عاماً بالدولة التونسية مع وزارة التفويض من لدن الدولة الجمهورية قال بعض اهل النظر ان المزاي التي قام بها مسيو روا لفائدة امته تقدر بمزايا جيش ظافر ان لم تكن اكثر من ذلك. هذا تاريخ نشأة التلغراف بتونس وعنه تفرع التلفون والتلغراف اللاسلكي في عصر الحماية . ولنرجع بك لخدمة البريد يعني بواسطة بتونس في الدور القديم كانت الرسائل الخصوصية بين الناس يتولى نقلها المسافرون وارباب عربات النقل والسيارة وكانوا يركبون الحير الساحلية المشهورة بسرعة العدو وغير ذلك من الوسائل التي كان حكمها الصدفة والاتفاق وكان قطع المراحل يستغرق وقتا طويلا فلمكتوب الذي يوجه من تونس لسوسة لا يبلغها قبل اليوم الثالث والرسائل الموجهة للقيروان تصلها في اليوم الرابع والموجهة لقابس تستغرق ثمانية ايام في الطريق وليقس ما لم يقل واما المكاتب الرسمية فكان المكلفون بتليغها اما اصحاب النوازل الصادرة تلك المكاتب لفائدتهم واما صباحية الاوجاق والبايون والماليك بسراية باردو ولا يكون ذلك الا باجور باهضة لها نظام مخصوص اسمه «التعين» يستخلصه حامل المكتوب من الخصم بدون رحمة ولا حنان ولو كان ذلك قبل ثبوت الحق عليه ولتنقل لك هنا عبارة مكتوب

من متعلقات محلة احمد زروق المشهورة التي خرجت لتمهيد الراحة واستخلاص الغنائم اثناء ثورة علي بن غذاهم ومنها يستفاد كيف كانوا يوجهون المال من جهات العمالة لقائد المحلة في ذلك الزمان ونص العبارة بحروفها

المقام الذي نطلب (له) من الله دوام البقاء وزيادة العز والارتقاء الاعز الهمام المفخم امير الامراء سيدي احمد زروق (١) امير المحلة المنصورة ابقاه الله اما بعد اهداء السلام التام وتقبيل ايديكم الكرام يليه رعاكم الله هو انه اخبرنا الاجل المرعي المحترم الموقر سيدي محمود الجلولي (٢) عامل المهديّة موجه لكم خمسون (كذا) الف ريال صحبة تابعه علي الزوالي وحانبه (٣) من الحوائب المتعين ودمتم ودامت لكم السعادة والسلام من مقبل ايديكم الاضيائي (٤) سليمان الفرجاوي ومحمود فرجي في ٨ رمضان سنة ١٢٨١ هـ

وكان للقناصل بتونس سيارون خصوصيون لنقل رسائلهم للبلاد الساحلية يتخبونهم من بين الافراد المستظليين بجاههم والمنقطعين اليهم وان شئت قلت الى دراهمهم ومن اشهر من عرف منهم بسرعة السير وتبليغ الامانة رجل اسمه محمد جلم كان يقطع المسافة الفاصلة بين تونس وبين سوسة (١٤٥ كيلو متر) في يوم وليلة وكان اجر السيار عن نقل المکتوب من الحاضرة لسوسة ربع الريال وكان اخطر المسالك على السيارين طريق خنقة الحجاج فكم من سيار لاقى بها حتفه وذبحت حمولته طعمة لقطاع الطريق ومن اشتهر بالحجارة ومغالبة الاخطار السيار صالح غوله فقد كان في مدة ثورة علي بن غذاهم يتعهد بتبليغ الرسائل والاموال ذات البال خلال الجهات الثائرة التي كانت تحركها يد السياسة الاجنبية ولم يتفق له حصول ما يسوء ومن اشتهر يومئذ بسرعة العدو في مدينة تونس السيار بوراس وكان يتقاضى نصف الريال عن كل رسالة يبلغها من الحاضرة لصفاس

اما تبليغ الرسائل على طريق البحر فاول ما وقع ترتيبه بين تونس وبين نهر مرسليليا في حدود سنة ١٢٦٣ للهجرة (١٨٤٧ للميلاد) في عهد المشير احمد باي بواسطة سفينة تجارية تقدم من فرنسا لياه حلق الوادي مرة في كل نصف شهر وتمر في طريقها على بلد عنابة (٥) ومنها يحملون

(١) من الوزراء الماليك تولى وزارة الحرب ووزارة البحر ومات سنة ١٣٠٦

(٢) استشهد في سنة ١٢٨٤

(٣) لفظ حانبه في النساں التركي يقابله لفظ صبايحي ولفظ محازني في اصطلاح الاوجاق انما الحوائب (جمع حانبه) كانوا من نسل الاتراك والآخرين من نسل العرب والبربر

(٤) ضابط بوجق الحوائب وهو لفظ تركي مركب من اوضه ومعناه يت وباشي ومعناه رئيس وجملة العبارة تدل على كبير جماعة

(٥) وتسمى ايضا بونة واليا ينسب صاحب كتاب شمس المعارف الشيخ احمد بن علي البسوفي

المتوفى سنة ٦٢٢

الثلج الطبيعي للمشير المشار اليه وفي السنين الاخيرة المتقدمة على عصر الحماية رتبت بعض الشركات البحرية الفرنسية واليطالية سير سفن اسبوعية لنقل الرسائل والمسافرين والبضائع بين تونس واعمالها الساحية وبينها وبين البلاد الاروباوية وهذه الحالة هي التي دخلت عليها فرنسا لتونس في سنة ١٢٩٨ (١٨٨١ للميلاد) وكان في مقدمة مساعي دولة الحماية ابطال البوسطات الاجنبية الموجودة يومئذ بالمملكة التونسية وفي ضمنها الخط التلغرافي الطلياني التابع لسكة حديد حلق الوادي لان هذا الخط لعب دورا سياسيا عنيفا اثناء الحوادث التي اعقبها نصب الحماية على تونس . ثم في سنة ١٣٠٥ احوالت الدولة الفرنسية للدولة التونسية حقوقها في البوسطة والتلغراف وصدر امر المقدس المولى علي باي الثالث في غرة شوال من العام المذكور بتأسيس ادارة تونسية للبوسطة والتلغراف والتلفون وهذه الادارة هي الموجودة في عهدنا الحاضر وغني عن البيان ان هذه المصلحة الاجتماعية قامت في بحر هذه الخمسين سنة بوظائفها على احسن اسلوب واتم مرغوب وقد شملت منافعها الحاضر والبادي من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى اقصى الجنوب حتى الواحات الصحراوية الى منتهى حصن لوسيان سان المجاور لغدامس بعد المرور على برج الثور (١) العصب

ونختم هذه النبذة بالاشارة لنصب اسلاك التلفون بتونس واول ما عرف من ذلك سلك التلفون المنتقل الذي كان في صحبة الجنرال بريار عند دخوله على المشير محمد الصادق باي في طلب امضاء سك الحماية ويائر ذلك وقع نصب تلفون خصوصي بين السفارة العامة وبين الكتابة العامة ثم وقع تعميمه على التدريج لفائدة افراد الناس ابتداء بمدينة سوسة في عام ١٣٠٩ واعقبه بعد مدة ظهور التلغراف اللاسلكي ولم يؤمن التونسيون بصدقه عند شيوع خبره لكن اتفق في تلك الاثناء محيي فخامة رئيس الجمهورية لزيارة تونس في سنة ١٣٢٠ واقامت له بمدينة بنزرت مأدبة اكرام يوم ارتحاله وممن حضرها معه وزراء الحضرة العلية وفي اثنائها عرض انحراف بمزاج المرحوم الوزير امير الامراء ابي عبد الله محمد الجلولي وركب فخامة الرئيس البحر عائدا لفرنسا لكنه في اثناء الطريق بعث على جناح القيب بتلغراف لاسلكي للحضرة العلية يستفسر فيه عن صحة وزيرها من ذلك الانحراف الذي كانت عاقبته عافية وسلامة وتناقلت ذلك الالسن القصار والطوال (٢) وعند ذلك رجع للناس رشدهم وامنوا بالتلغراف اللاسلكي كمايمانهم في يومنا هذا بالراديو قال اديب المغرب :

لا غروان كلوا المربخ او زحلا ، وانت تسمع للراديو وما فعلا

محمد بن الخوجة

(١) له سمي في السماء

(٢) الالسن القصار هي الالسن البشرية والالسن الطوال هي الجرائد وليس اطولها حد محدود

تاريخ سراية المملكة التونسية

مع الاستشهاد بوثائق تاريخية وقع تبادلها بين الامير
محمد الصادق باشا باي ووزيره الاكبر خير الدين باشا

بقلم العالم المؤرخ الاستاذ محمد صالح مزالي عامل بنزرت

علينا مما نشرته الصحف الاخبارية ان الحكومة التونسية صرفت عنايتها الى ترميم سراية
المملكة الكائنة بطحاء القصبه والمعروفة عند العموم باسم دار الباي وقد خصصت لذلك بميزان العام
الحجاري اعتماداً اولاً قدره مليون فرنك - فرائناً من المناسب ايتاء قراء المجلة الزيتونية الكرام نبذة
تاريخية تتعلق بهذا القصر

فهو على قدمه احدث ما بناه ملوك تونس لسكناهم بالحاضرة وهو الوحيد الذي لا زال قائم
الذات بعد اندثار قصر بني حفص داخل برج القصبه
يرجع تأسيسه الى عهد المقدس المبرور حمودة باشا خامس الحسينيين الذي تربع على العرش
الملكي اواخر المائة الثانية عشرة هجرية

قال الاستاذ المحقق الشيخ محمد بيرم في الجزء الاول من كتابه صفوة الاعتبار بمستودع
الامصار والاقطار عند وصف قاعدة القطر التونسي « وامام حصن القصبه داخل المدينة بطحاء
عظيمة وفي جبتها الجنوبية سراية المملكة التي بناها حمودة باشا ولا زالت معتنى بها الى الآن وهي مقر
الحكومة والوالي عند وفوده للحاضرة » وقال في الجزء الثاني من نفس التأليف عند ذكر سياسة
حمودة باشا « وهو في الحقيقة اعقل فروع ذلك البيت الذين استولوا على القطر فقد انشأ فيه مالم
يكن فيه من الحصون والقشل والسفن والذخائر حتى ان مبانيه الخاصة به لم تزل منتفعا بها الى الآن
كبستان منوبة الذي صار قشلة للخيالة وداره بتونس المسماة الآن بسراية المملكة واعانه مقام وزيره
يوسف صاحب الطابع الملقب بابي الخيرات من كثرة اباديه في طرق البر »

وقد أبدء المؤسس في اتقان البناء وزخرفه بانواع الزينة والتفنن - وما زال الناظر مبتهجا بما
يشاهده فيه الى يومنا هذا من الرخام الابيض والاسود المنظم على اشكال هندسية لطيفة ومن الزليج
والفسيفساء مختلفة الصور والالوان ومن النقوش في الجص الابيض المسماة (نقش حديدة) ذات
الازياء المتنوعة والرسوم الناهرة - كما ان خشب السقوف فيه من التزييق والتمويه بالذهب ما يحرك
النفوس ويؤذن بالعجب

من المأثور ان حمودة باشا جلب لصنع تلك الطرف الساحرة بعض من اشتهروا بالمغرب الاقصى

بمهارتهم النادرة فيما ورثوه عن الاندلس من الفنون المستظرفة - وقد ايد ذلك بطرق عقلية المهندس الفرنسي هنري صلاح الدين المتخصص بدراس الآثار القديمة اذ حلل انواع الزخرفة واساليب التزييق المستعملة بدار الباي تحليلا فنيا ونظر بينها وبين ما يجانها في البناءات الاخرى فأتضح من ذلك ان الصنعة الخاصة بسراية المملكة مغايرة لصنعة قصر باردو مثلا او دار حسين التي يشغلها اليوم القائد الاعلى للجيش وبكس ذلك فهي مشابهة تمام المشابهة لما يوجد بفاس او بالاندلس

على ان استخدام مهرة المغاربة لمباشرة الصناعة الفنية بتونس لم يقع على عهد حودة باشا فقط بل ان الوزير خير الدين في مدة المشير الثالث اغتم فرطة مرور الحاج حسن الفاسي بالحاضرة لتكليفه باتمام قبة ضريح العالم الجليل والولي الصالح سيدي ابراهيم الرياحي

ولكن جلب صني الايدي من بلد بعيد يكلف الآجر بلا شك اتفاق اموال اوفر من استعمال التونسيين او الاسارى من الافرنج ولربما ادرك ذلك حودة باشا بعد تشييد سرايته

فقد قال البارع الاكتب الشيخ احمد بن ابي الضياف في تاريخه عند ذكر هذا الامير « ومن اخباره انه يكره السرف في غير مصلحة معتبرة حتى نسب الى الشح ولا شك انه من الامانة لان ما في يده من المال هو في الحقيقة لمصالح العباد والبلاد لا لشهواته ويقول في مجالسه غير مرة ندمت على بناء دار القصبة وهي الدار المنتفع بها الى الآن وعلى بناء قصر منوبة اذ لا يعود على البلاد منهما نفع بجلب مصلحة او دفع مضرة سوى ما يظهر للرأي من فخامة المبنى وحسن المنظر »

اعلم ان من اهم بقايا ما شيدة حودة باشا الصحن العلوي ذا الاساطين المرمية وما حوله من البيوت المعدة للمواكب الملوكية وكذلك بيت القبة البية المخصص عادة للمولى الوزير الاكبر وقد تحل به احيانا الحضرة الشايخة العلية واقامت به المآدب لرؤساء الجمهورية .

اما الاقسام المطلة على بطحاء القصبة فهي احدث منها عهدا - قال الشيخ يرم الخامس عند ذكر مساعي خير الدين الوزير الناصح الامين « ومنها انشاء بطحاء القصبة وتحسينها وانشاء قصر للوالي على الوجه المثل على البطحاء المذكورة من قصر المملكة الذي بناه حودة باشا » واهم ما شمله هذا البناء المحدث على عهد الدولة الصادقية بيت الكرسي الذي اضطرت الحكومة الى هدمه خشية سقوطه وكان مخصصا لاقامة بعض المواكب الحافلة منها موكب رابع العيدين حيث يقدم الامير المقدى الى الحاضرة بقصد رد الزيارة الى اعيان البلدية الذين سبق وفودهم الى قصر باردو مهئين بالعيد ولا يخفى ما في هاته السنة المباركة من الرمز الى العواطف الابوية التي يكنها الجنب العالي نحو رعاياه

وبما ان الاعيان ياتون افواجا للشرف بتلك الزيارة الملوكية كان هذا البيت اليق من غيره لهم لاتساعه وحسن تربيته ولذلك تعين تجديد بنائه في البرنامج الذي عازمت الحكومة على تنفيذه

اما تاريخ احداثه فلدينا ما يمكننا من ضبطه بغاية التدقيق - وذلك ان من عادة الوزير خير الدين انه كان يعرض كتابة على المقدس المبرور المشير محمد الصادق باي ما يحدث يوميا من الامور التي تم جنابه وفي الغالب يجيبه الملك في نفس القرطاس بحيث تجمع عند الوزير عدد وافر من هذه الخطابات مع اجوبتها - فهي غنيمة للمؤرخين ثمرتها لا تتلف ومعدنها لا ينزف -

حظيت بان وصلت الي مع غيرها من الاوراق المخلفة عن خير الدين والتي نشرت البعض منها على صفحات المجلة التونسية - لسان معهد قرطاجنة العلمي -
فاليك نص البطاقة المشار فيها الى اتمام البيت المتقدم ذكره -

الحمد لله المعروف على الحضرة العلية دام علاها ان وزارة البحر اخبرت بان الدونالة الفرنسية قد لاحت من البعد . يكن معلوم الحضرة العلية بذلك ونعلم الحضرة العلية انني تكلمت يوم التاريخ مع قنصل الفرنسيين بان الاميرال يقابل الحضرة العلية يوم الثلاثاء الآتي قبل زواله ثلاث ساعات يكن معلوم الحضرة العلية ذلك وان البيت المباركة بسراية المملكة تمت اليوم على خير يكن معلوم الحضرة العلية بذلك والسلام من المقبل بايديكم خديمكم امير الامراء الوزير الاكبر خير الدين في ٢٧ شعبان الاكرم سنة ١٢٩٢ صبح خير الدين - وباسفله بخط الامير ما نصه -

الى ابنا العزيز سيدي خيار الدين * ووزيرنا الاكبر اما بعد السلام *

فقد وردت لنا بطاقة من جنابكم تخبرنا في شان الدونالة الفرنسية ظهرت على بعد علمنا وكذلك المقابلة في الوقت المذكور وما اخبرتنا في شأن اتمام البيت المباركة علمنا فلياذن ابني بختم قرآن في البيت المذكورة قبل دخولي اليها وهي ليلة غدا ان شاء الله (١) والسلام من الفقير الى ربه محمد الصادق باي في ٢٧ شعبان ١٢٩٢ -

- اما القسم الملاصق لضريح سيدي الشريف فقد جدد بناءه بعد الحرب الكبرى وزيد فيه لاىواء مختلف مصالح الكتابة العامة -

ونلاحظ هنا ان ترتيب الدواوين الادارية باقسام سراية المملكة حديث عهد ولم يتم على صورته الحالية الا بعد الاحتلال اما قبله فقد كانت دواوين الحكومة المركزية بقصر باردو عدا وزارة البحر فانها كانت بحلق الوادي -

على ان سراية المملكة انما اقيمت بقصد السكنى كما تقدم ولكن الامراء في نفس الامر والنواق

(١) في هذه الحكاية وفي حكايات اخرى تمنائها دليل عن تغفل الروح الدينية في ملوك الدولة التونسية من قديم الزمان الى يومنا هذا ولا سيما ملكنا الحالي ابقاء الله

لم يلبثوا فيها الا نادرا فصارت معدة لقبول الضيوف الذين ترى الحكومة اكرامهم - فممن اقام بها الملكة (كارولين) زوجة جورج الرابع ملك انكلترا والدوق (دومينسي) والبرنس (دو جوافيل) والدوق (دومال) ابنا لويز فيليب ملك فرنسا وغيرهم وكانت هذه السنة معلومة لدى الاجانب حتى ان الرحالة ثيران الفرنسي تعرض لذلك في كتابه بعد البعثة العلمية التي قام بها في القطر التونسي سنة ١٨٦٠ ميلادية - واليك ما يؤيدها ايضا من مخلفات خير الدين -

الحمد لله المعروض على الحضرة العلية ادام الله تعالى عزها وعلاها انه بلغ لخدم الحضرة العلية ان نفرين احدهما من ابنا سلاطين الهند قدما الى تونس يوم التاريخ وحيث ان عادة الحضرة العلية دام علاها تكرمة امثال المذكورين بالنزول في سراية المملكة بالحاضرة من القادمين على الحضرة العلية من اوربا فان النفرين المذكورين احق بالاكرام وقد وجها من يكشف عن تحقيق حال النفرين وتنتظر ما يصدر به الاذن العلي لتعمده والله تعالى يحرس الحضرة العلية برعايته والسلام وكتب في يوم الاربعاء ١٨ من ربيع الانور سنة ١٢٩٣ صح خير الدين

الى ابنا العزيز سيدي خيار الدين وزيرنا الاكبر اما بعد السلام فقد اتصل بنا بطاقة من جنابكم وما اخبرتنا فيها علما فان ثبته عندكم من هاته الرتبة فالواجب اكرامه للغاية لان هذا اول قدوم ابنا سلاطين الهند لحضرتنا والسلام من الفقير الى ربه محمد الصادق باي في ١٨ ربيع الاول سنة ١٢٩٣ ومن ذلك :

الحمد لله المعروض على الحضرة العلية ادامها الله تعالى انه بلغني من السيد حسين على ان قبطان البابور اخبر البرنس بان البحر هائج وان ركوبهم اليوم مع شدة الريح يكون فيه تعب كبير فظهر للسيد حسين ان يقول لهم على لسان الحضرة انهم في محل حبيب دولتهم فاذا كان البحر هائجا فلا يلزم ركوبهم اليوم وانهم استحسنوا ذلك للغاية حيث ان النسوة خافت من البحر فاذا ظهر للجناح العلي فاني نرسل للسيد حسين باستحسان الحضرة ذلك والسلام من خديمكم خير الدين في ٥ ربيع الاول سنة ١٢٩٤

الى ابنا العزيز سيدي خيار الدين ووزيرنا الاكبر اما بعد السلام فالذي ذكره لنا في البطاقة الموجهة من جنابكم استحسنه صنيع ابني فيما اذن به للغاية والسلام من الفقير الى ربه محمد الصادق باي في ٥ ربيع الاول سنة ١٢٩٤

ومن ذلك :

الحمد لله المعروض على الحضرة العلية ادامها الله تعالى ان السيد حسين وزير الاستشارة اخبر ان البرنس راكب ماضي ساعتين من زوال يوم التاريخ وذكر السيد حسين المذكور ان يكون سيدي حسين باي بسراية المملكة ماضي ساعتين من زوال اليوم يكون ذلك معلوم الحضرة العلية والسلام من المقل بايديكم خديمكم امير الامراء الوزير الاكبر خير الدين في ٧ ربيع الانور سنة ١٢٩٤ صح خير الدين

الى ابننا العزيز سيدي خير الدين ووزيرنا الاكبر اما بعد السلام فقد وردت لنا بطاقة من جنابكم فيما اخبر به السيد حسين علناه فيرسل ابني احدا من معيانتكم لسيدي حسين باي ليتوجه الوقت الذي ذكره يكون بسراية المملكة والسلام من الفقير الى ربه محمد الصادق باي في ربيع الاول سنة ١٢٩٤ وفي بعض الاحيان كان يكتفى بتحضير المتادب بها لمن لم يكن نازلا فيها من كبار الضيوف حسبما يستفاد ذلك من النص التالي

الحمد لله المعروض على الحضرة العلية ادامها الله تعالى فان خديمكم اوصى بلانجي بتحضير فطور للاميرال التركي بسراية المملكة اليوم غير انه يلزم يكون احدا من جهة الدولة بالسراية المذكورة لقبوله وللطور معه اذا ظهر للحضرة العلية ان ياذن امير لواء العسة بالتوجه لسراية المملكة فانه مناسب او من يظهر للحضرة العلية غير امير لواء العسة المذكور اما حضور احد فانه يلزم للسياسة والسلام من خديمكم الوزير الاكبر خير الدين في ١٤ رجب سنة ١٢٩٢ . فقد اوصينا لواء العسة يتوجه لدار المملكة لقبوله هناك والسلام من الفقير الى ربه محمد الصادق باي في ١٤ رجب الاصح سنة ١٢٩٢

وبالطرفة بخط خير الدين - واوصيت سي صالح خوجه يتوجه معه ايضا وكان قد طبخ الطعام بها لحمله خارجها كما في الصورة التالية -

الحمد لله المعروض على الحضرة العلية ادام الله تعالى بقاها فان البرنس المان يطلب مقابلة الحضرة العلية يوم السبت من غير رسمي فاذا ظهر للحضرة العلية يكون ذلك بالقصر السعيد باقي ساعتين للزوال وانه يلزم يرسل له زوج كرارس اخرى غير التي عنده في ذلك اليوم وكذلك طلب ان يتوجه غدا للفرجة على حمام الانف فاني اوصيت بان يحضروا له فطور بسراية المملكة ويرفعوه معه لان مراده يتوجه صباح ولا يرجع الا بعد العصر وكذلك اوصيت يتوجه معهم اضة باشي مع مخازنية ٤ لرد البال منهم والسلام من خديمكم خير الدين الوزير الاكبر في ٢٥ قعدة سنة ١٢٩٢ الى ابننا العزيز سيدي خير الدين ووزيرنا الاكبر اما بعد السلام فقد وصلتنا بطاقة من جنابكم وعلنا فلك الاذن في جميع ما قررته لنا في بطاقتكم في الكرارس وغيرهم والسلام من الفقير الى ربه محمد الصادق باي في ٢٦ قعدة سنة ١٢٩٢ - اهـ

اما الآن وقد قررت الحكومة تجديد بناء السراية يسرنا ان اقتضى حسن تدبيرها احترام القسم العتيق منها - بحيث يحصل التوفيق بين توسيع منطقة الدواوين الادارية وبين المحافظة على كل ما فيه قيمة اثرية - وقد فرض المهندسون ثلاث سنوات لانجاز ما قرر من الاعمال وستتم بحول الله وتكون السراية من افخر المباني التي يعلقها التاريخ بمهد سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني ايده الله بسر السبع المثاني محمد صالح مزالي

البكاء

البكاء في الشعر العربي

- ٤ -

ان فرار الشعراء كذي الرمة من لواعج الغرام إلى الاستراحة بالموت كفرار امرئ القيس من الليل إلى الصباح ثم ذمه الصباح اذ يقول :

الا يها الليل الطويل الا انجل يصبح وما الا صباح منك بامثل

اذ هم قد اعتبروا الموت اعظم المصائب واشد النوازل واكره العوادي حتى تخيلوا له ابشع ما تدركه الحواس من القبح الباطل لا قباض النفس فوصفوه بالسواد والكلج واثبتوا له المخالب والانياب ولم يستيقظوه وبسحقوه الا في مقابلة ما هو اشد على نفس الكريم من كل مكروه وهو الهوان والغلبة وذل الاسر وما اليه كما قال ابو الطيب :

غير ان الفتى يلاقى المنايا كالحات ولا يلاقي الهوانا

من اجل ذلك نرى الموت في الاستعمالات الشعرية اعظم بواعث الحزن ونجده شديد الاقتران بالبكاء الذي هو مظهر الحزن الاكبر حتى قرع عن هذا الاتصال ان شاع في استعمال اللغة التعبير بالبكاء من مطلق ذكر الموت والتوجع له لانهم اخذوا البكاء في لوازمه القسرية حتى انهم اذا انجست ذكرياتهم الحزينة لمراى بعض الجمادات وافاضوا من حزنهم عليه فتخيلوه حزينا اغرقوا في هذا الخيال فنزلوه منزلة العاقل وجعلوه باكيا مبالغة في التعبير عن حزنه وهو ضرب قريب من التجريد وفيه يقول النابغة في رثاء النعمان مفصحا عن بكاء قصره عليه .

بكي حارث الجولان من فقد ربه وحواران منه موحش متضائل

وعلى ذلك قال جرير في رثاء عمر بن عبد العزيز

والشمس كاسفة ليست بطالعة تبكي عليك نجوم الليل والقمر

وقد قطن الشعراء في اسناد هذا البكاء الى اشياء مختلفة باختلاف مقامات الكلام وصفات المبكي عليهم فجعلوا للناير تبكي لفقد الفصحاء والحر تبكي لفقد الندماء كما قال ابو وائلة :

بكي المنبر الغربي اذ قمت فوقه فكادت مسامير الحديد تنوب
وقال احد شعراء العراق يرثي صديقه زلزل :

الحمر تبكي في ابارقها والقينة الحمصانة السرود

وكثيرا ما اسندوا هذا البكاء الى السماء توليدا من قوله تعالى (فما بكت عليهم السماء والارض)
فكان ابداع في الادعاء واغرق في التخيل لان للسماء ماء المطر الذي يشبه انصبابه انصباب الدمع
فيصير بطريق المجاز المركب ايماء الى الحقيقة وابرزا لغير الحاصل في معرض الحاصل كما قال ابو
بكر ابن اللبانة في خروج المعتمد

تبكي السماء بمزن رائج غاد على البهاليل من ابناء عباد
وقد انتهوا في هذا الباب الى اثبات البكاء للمجردات كما قال :

مررت على المروضة وهي تبكي . فقلت علام تتحب الفتاة
فقال كيف لا ابكي واهلي جميعا دون خلق الله ماتوا

ومن هنا استمد المعري في رسالة الففران الصورة الخيالية للهائم الذي تقيمه القصائد على ابي تمام
ومن هذا التلازم الظاهر بين البكاء وبين الموت في الخيال الشعري نرى الذين دلت اشعارهم
على امتناعهم من البكاء عند الموت ممن توطنت قلوبهم على المصائب وتمرن على احتمال الارزاء هم
افراد شواد بالنسبة الى الذين يخور جلداهم لمراى الموت فتغلب عليهم دواعي البكاء وفي ذلك يقول
بشامة بن حزن النهشلي

ولا تراهم وان جلت مصيبتهم مع البكاة على من مات يبكوا
وقد بلغ بهم الاستسلام لسلطان البكاء عند الموت ان اصبح القاتل يبكي على قتيله ذلك من غرّب
ابواب البكاء وفيه يقول الحماسي :

وبكي حين نقتلكم عليكم وقتلكم كانا لانبالي
وفيه قال البحتري فابدم في المطابقة

اذا احتربت يوما وفاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها

وإذا كان البكاء لموت العدو بابا مطروقا فالبكاء للقرابة اوضح منهجا والبكاء على النفس اقوى باعنا
وقد تعددت اساليب البكاء في الشعر ومعانيه باختلاف حال المبكي عليه ونسبته من الباكي
واصبح ذكر البكاء اعظم مظاهر العاطفة الشخصية في شعر المراني لان باب المراني في الشعر العربي
باب يتجاذبه اصلان اصل هو شعر الملحمة من جهة ما فيه من ذكر الحروب وبطولة المرثي والحث
على الثار واصل هو الاحساس من جهة ما فيه من لوعة الرائي والحنوع لقهر الموت واحياء روابط
القرابة وذكريات الوداد

وبذلك امتزجت الملاحم والشعر الاحساسى في هذا الباب امتزاجا قويا حتى تأتى لابي تمام في ديوان الحماسة ان يورد كثيرا من المراثى في باب الحماسة وتوغلت مرثا عديدة في ناحية الملحمة حتى كادت تخلو عن الناحية العاطفية بناتا

ومن هنا تفاوتت اغراض الرثاء في قوة المظهر الاحساسى فكان اعلاها في ذلك رثاء النفس ورثاء الآباء وادناها رثاء قتلى الحرب من غير الاقارب والوسط في ذلك رثاء الابناء ورثاء الاخوان اما رثاء النفس فهو على عزته باب قديم في الشعر فتحه امرؤ القيس وورد في معلقة طرفة وفي شعر لبید وفيه اليائتان الرائعتان لعبد يغوث وهو جاهلي ومالك بن الريب وهو اموي وقد اوردهما ابو علي القالي في ذيل اماليه وبقي هذا الغرض في اشعار المولدين ومن اشهر ما لهم فيه ابيات لسان الدين ابن الخطيب الثائية التي اوردها المقرئ في فحح الطيب وفي ازهار الريض ولم يرد ذكر البكاء في هذه المراثى من طريق مباشر وانما ورد فيها استحضار البكاء المتوقع على الميت ممن يحق ان يبكي عليه كما قال طرفة :

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم احفل متى ناح عودي
وقال مالك بن الريب :

تذكرت من يبكي علي فلم اجد سوى السيف والرمح الرديني باكيا
واشقر خنذيذ يجر عنانه الى الماء لم يترك له الدهر ساكيا
ثم قال :

وبالرمحل مني نسوة لو رايتني يـكـين وفدين الطيب المداويا
فمنهن ام وابتها وخالتي وباكية اخرى تهبج البواكيا
وقد زاد لبید على استحضار هذا البكاء ان وصفه وحدد امدة بقوله يوصي ابنته :

فان حان يوما ان يموت ابوكا فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لا صديقه اهان ولا خان الامير ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

ويلتحق بالبكاء على النفس البكاء لانصرام الشباب لانه في الحقيقة بكاء على جزء من الحياة عند استشعار قرب الموت كما قال عدي بن زيد :

ولقد بكيت على الشباب لو انه كان البكاء به علي يعمود
ليس الشباب وان جزعت براجع ابدا وليس له عليك معيد

كما يلتحق به البكاء لفراق الوطن لان محبة الوطن في اعتبارات الشعر ناشئة عن محبة النفس والحنين الى شبابها على طريقة ابن الرومي التي يقول فيها :

وحب اوطان الرجال اليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا

اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

ومن مثل البكاء لفراق الوطن ما اورده الجاحظ في رسالة الحنين الى الاوطان

اذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي واضحي فؤادي نوبة للهمام

حيننا الى ارض بها اخضر شاربني وحلت بها عني عقود التمام

واما رثاء الآباء فللمظهر الحماسي ضعيف فيه بقدر ما قوي فيه المظهر الاحساسى وذلك لان من يكون له اولاد يقولون الشعر لا يكون سبه قاضيا بالموت في الحروب فتجردت رزية الاب بذلك للناحية العاطفية وذلك سر غلبة هذا الغرض على شعر النساء لانهن اقوى شعورا بتلك الرزية مجردة عن غناء الابطال وهو مع ذلك اقل في شعر النساء من رثاء الاخوان لان المرأة تحس في فقد الاخ ما تحس في فقد الوالد مع زيادة ما عندها من الاعجاب بالبطولة واللوعة لمصاب الشباب والتعلق باخذ الثار واصح ما ورد من شعر النساء في رثاء الآباء قول اروى بنت الحباب فيما اورده البحتري في حماسه:

قل للارامل واليتامى قد نوى فلتبك اعينها لفقد حباب

اودى ابن كل مخاطر بتلاده وبفسه بقيا على الاحساب

الراكبين من الامور صدورها لا يركبون معاهد الاذئاب

ومن هذا الباب ما يروى من رثاء بنات عبد المطلب اباهم مما اثبتته ابن هشام في السيرة ومن رثاء ابنة كليب اباهما الواردة في اخبار البسوس وكلاهما مشكوك في صحة نسبته اذ لم يثبت في دواوين الادب ولم يرد الا من طريق القصص . واما بكاء الابناء فقد اشتهر فيه ابو ذؤيب الهذلي بعينته الشهيرة

أمن المنون وريها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وقد اورد من هذا الباب مثلا صالحة الامام السيوطي في رسالته التي سماها (الجلد في فقد الولد)

واما بكاء الاخوان فقد ورد فيه ما لا يحصى كثرة من شعر الرجال والنساء وكان تجاذب بابي

الحاسة والرثاء اياه على نسبة متساوية

واقدم ما اشتهر في هذا الباب مرثي مهلهل بن ربيعة لاخته كليب واشهرها الرائية :

(البلتا بندي حسم انيري)

وتبعه في هذا المنهج كثيرون كالحنساء في بكائها على صخر ومعاوية ابني عمرو حتى ضرب بها

المثل ولى بنت طريف التي تقول :

ايا شجر الحاسوب مالك مورقا كانك لم تحزن على ابن طريف

وهو من شواهد الكشف

وقتيلة بنت الحارث اذ تقول مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم في قتل اخاها النضر في اسرى بدر :
 احمدها انت ضني كريمة * الى آخر القصيدة التي اوردها ابن هشام في السيرة ومطلعها
 يا راكبا ان الاثيل مظنة من صبح خامسة وانت موفق
 ومريم بنت طارق التي رثت اخاها في ابيات انشدها ابن الانباري في اماليه تقول فيها :
 بتاكا نجم ليل بينها قمر يجلو الدجى فهوى من بينها القمر
 وعمره بنت العجلان التي رثت اخاها عمرو في قطعة رائعة اوردها الشريف المرتضى في اماليه
 وكان موته بسبب اقتراس نمرين فلذلك تقول في مطلعها :

سألت بعمر و اخي صجبه فافضعني حين ردوا السؤال
 وقالوا اتيح له نائما اعر السباع عليه احالا
 اتيح له نمرا أجبل فنالا لعمرك منه منالا

الخ . ومنها الشاهد المشهور في النحو . - لقد علم الضيف والمرملونا البيتين والفارعة بنت
 شداد التي قالت ترثي اخاها مسعودا قطعها الدالية :

يا عين بكى لمسعود بن شداد بكاء ذي عبرات شجوه باد

وقد اوردها بتمامها الحصري في زهر الآداب ومن اشهر الرجال في هذا الباب عدي اخو
 مهلهل بن ربيعة الذي اظهر في رثاء مهلهل ما اظهر مهلهل في رثاء كليب وقد اورد ذكره المرزباني في
 معجم الشعراء . ومتمم ابن نوريه اخو مالك بن نوريه الذي قتله خطأ خالد بن الوليد وقد سارت
 الركبان بشعره فيه وعقد له حديثا ابو الفرج في الاغانى في الجزء الرابع عشر . وكعب الغنوي الذي
 اشتهر برثائه اخاه ابا المغوار بالبائية التي مطلعها

تقول سليمي ما لجسمك شاجبا كانك يحميك الشراب طيب

وبه ضرب المثل شاعرنا وحافظ العربية بمصرنا الاستاذ الكبادي اذ يقول في مرثيته لامير
 الشعراء احمد شوقي رحمه الله

شوقي رثيتك عن فؤاد موجع كثرنا كعب في ابي المغوار

وضرار بن نهشل اذ يقول في رثاء اخيه يزيد

لعنري لئن امسى يزيد بن نهشل حشا جدت تسفي عليه الروائح

لقد كان ممن يسط الكف بالندی اذا ضن بالخير الاكف الشحائح

الى آخر كلمته التي منها البيت المشهور في الشواهد

ليك يزيد ضارع لخصومة ومختبظ مما تطيح الطوائح

العام الإسلامي

المسلمون في بولونيا

بقلم الاستاذ عثمان الكعاك

يوجد في بولونيا من المسلمين نحو ٦٠٠٠ نسمة ضارين بحجة ويلنو وناحية نوفوغرودك . كما يوجد ما يقرب من الفين مستقرين بمدينة كوناس عاصمة بلاد ليطوانيا وجالية ثالثة قرية من هذا العدد كائنة ببلدة مينسك في روسيا السوفياتية . لكن لم تبقى اية صلة بين مسلمي بولونيا وغيرهم من مسلمي كوناس ومينسك رغم وجود قرابة بينهم جميعا لا شك فيها . وذلك ان العلاقات قد قطعت بين مدينتي ويلنو وكوناس اللتين لا تكادان تبعدان عن بعضهما ٢٠٠ كيلو متر على اثر الخلاف الذي شجر بين بولونيا وليطوانيا . واما جالية مينسك فقد فصلتها الحكومة السوفياتية تمام الفصل عن بقية العالم وحرمت عليها تحريما باتا ان تتخابر (ولو بالرسائل) مع مسلمي ويلنو ، ولو جرؤ احداهم على ذلك لانه من صارم العقاب ما تشيب لهوله الاطفال واصل المسلمين البولونيين - في البعض - من التتار المهاجرين من جزيرة القرم وجبال القوقاز ، والبعض الآخر من التتار النازحين من قارة آسيا على عهد جنكيز خان . هاجر البعض منهم اختيارا الى بولونيا غير ان معظمهم من اسرى الحرب الذين اخذهم الدوق الكبير وبطولد في غزواته بجهات سباسب الجنوب فأقروا بالبلاد في القرن الخامس عشر (التاسع الهجري) واقطعهم ملوك بولونيا الارضين . ولما كانت سنة ١٤١٠ قادم زعيمهم الامير جلال

ورثاء الاخوان بعد ذلك شائع شيوعا كان سلوة لفاقدي اخوانهم كما قالت النساء

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي

واما رثاء الأزواج فقد مر بنا من مثله ما شككنا في صحته من اخبار البسوس والحق انه باب غير مطروق في الشعر القديم لان العلاقة بين الرجل والمرأة لم تكن تقوم على العاطفة بل لم يكن مبنيا الا تحصيل السعادة المادية للطرفين كما يدل له حوار النساء الذي ورد به حديث ام زرع

واما رثاء غير الاقارب فهو ضرب يتمحض الى الشعر الحماسي ومظهر البكاء فيه ضعيف وان كان بابا يمثل منزلة المرأة في الحياة الجاهلية وهنا نمسك العنان عن هذا الحديث المترامي الاطراف المتعلق من النفوس الحساسة بالشقاق مكتفين بهذه الالامة غير مستترين صوب الغمامة ولعل خوالج النفس تعود بنا اليه فنوافيه بمجلد يتاوله من وسطه وحواليه

محمد الفاضل

الدين وابلوا البلاء الحسن في وقعة عز ورفال الشهيرة وتفوقوا بسالتهم وقيمتهم العسكرية النادرة المثال . وهذا الحادث التاريخي يلذ لكل بولوني مسلم ان يعيد ذكره . ومن ذلك العهد سار البولونيون على هذه السنة الحسنة ومنحوا وطنهم بولونيا جنودا بواسل ووطنيين صادقين على كرا الشهور ومرالدهور . الكثيرون من هؤلاء التار تزوجوا بنسوة بولونيات من بنات البلاد الاصليات وسرعان ما تحولن الى مسلمات مؤمنات . وكلهم يشتون كرم محتدهم ونبل ارومتهم وما من عائلة الا وهي تحفظ . كاعز شيء لديها . باعلام الاجداد . وقد اصبح هؤلاء البولونيون اليوم من الطبقة البرجوازية المتوسطة ، فقليلهم غني وكلهم متمتعون بشيء من اليسر الطيب الذي لا بأس به . وكثير منهم ما زالوا يملكون الارضين التي اقطعها ملوك بولونيا لاجدادهم . ومنهم من هو ملازم للفلاحة بالارياض وتطلب النخبة المفكرة من المسلمين البولونيين المهين الحرة كالطب والمحاماة والهندسة والصيدلية وترغب في الوظيف والعدالة والرتب العسكرية في الجيش البولوني . ويجب علينا ان نلاحظ هنا ان التار البولونيين كانوا ينخرطون في سلك الجيش القيصري الروسي . قبل الحرب . بكامل الحرية وما ازقت ساعة الحرب حتى كان الجيش الروسي يشتمل على اربعة امراء (جنرال) جنود من البولونيين التاريين وكان صاغلاسي (كولونيل) فرسان الحرس القيصري في بطرهورف تاريا اصله من مدينة ويلنو . ثم لما حدث الانقلاب الروسي نظم المسلمون البولونيون كتيبة اسلامية خاصة وجاهدوا الى جانب البولونيين ضد البلشفيك . والى يومنا هذا ما زالت هذه الامة التارية القليلة العدد متمسكة اشد التمسك باذيال الشعب البولوني ، لا سيما وافرادها لا يتكلمون الا اللغة البولونية . واما تار مدينة ويلنو . الذين هم في الحقيقة جالية ضئيلة مغمورة بالدهماء البولونية . فانهم قد وفقوا بين الاسلام والمدينة الغربية وحافظوا على المبادي العامة المحمدية . فلم مساجدهم التي لا يقل عددها عن ١٦ بجهة ويلنو منها جامع كبير بمدينة ويلنو نفسها وهو مبني بالحشب احسن البناء ولو كان بسيطا في حد ذاته الا انه نظيف معني به احسن اعتناء . وقد عزم مسلهو ورسو (اوفرسوفيه وهي عاصمة بلاد بولونية) على ان ينشثوا جامعا كبيرا بمدينة (ورسو) العاصمة وجعلوا شغلهم الشاغل جمع الاعانات والاموال اللازمة من كافة البلاد الاسلامية . فمدهم الملك قواد (رحمه الله) بستين الف فرنك . (يقول مترجه ان الاموال اللازمة لانشاء هذا الجامع قد جمعت وشرع في بنائه بعد . وهو سيكون من اكبر الجامعات في العالم الاسلامي . وقد اتصلنا في السنة الفارطة . ١٩٣٦ . بمناسير من لجنة بناء الجامع نشرتها الصحافة المحلية في ابانها) اه

القليل من المسلمين البولونيين من يصوم شهر رمضان . لكنهم مواظبون نساء ورجالا على الصلوات الخمس ولا سيما صلاة الجمعة فانهم يذهبون الى الجامع لاداء هذه الفريضة زرافات ووحدانا من رجال ونساء . وافراد منهم فقط قد ادوا فريضة الحج منهم مفتي ويلنو الحالي وهو الاستاد يعقوب شينكيويش

المستشرق المعبر . لكل جامع امام ومؤذن تصرف لهما اجرتهما من ميزانية الدولة . والامام يقوم في الآن نفسه بوظيفة قاض تحت اشراف المفتي . وتقام الصلاة بلسان عربي مبين اما الخطب الجمعية فهي تلقى باللغة البولونية . ولكل جامع مقبرة تعاقبه كائنة خارج المقبرة النصرانية بالتنام والكمال

التار البولونيون يعاقرون عادة بنت الحان غير ان البعض منهم ممن ينسب الى الاوساط العلية يترفعون عن هذه الوصمة . وجميعهم يستهلكون لحم الخنزير . والظاهر ان هؤلاء المسلمين يسلكون نحو بعضهم مبدأ الاغاثة المتبادلة وهي صورة من صور الزكاة مطبقة على احوال العصر . ومما تجب ملاحظته ان التعليم الاسلامي ضعيف وبسيط (يقول مترجمه ان هذا القص سيقع جيرة عند الانتهاء من بناء الجامع لانه سيشمل مدرسة عليا للديانة والاداب الاسلامية) لكن عند ما يبلغ الولد او البنت السنة السادسة من عمرها يذهبان الى المدرسة حيث يتعلمان الصلاة . وفي كل صورة لا يحفظون القرآن عن ظهر قلب كما هو الشأن في سائر البلاد الاسلامية . وما زال اهل البادية مصرين على تعلم الحروف العربية حتى ان بعض الريفيين اليوم يكتبون اللغة البولونية بحروف عربية وقد رايت عيانا نص وصاية مكتوبا بالبولوني بالخط العربي . وادا استثنينا بعض العلماء الذين درسوا بالقاهرة والذين منهم مفتي (ويلنو) فان معظم هؤلاء المسلمين لا يفهمون العربية التي بقيت بالنسبة اليهم لغة الفرائض الدينية مثل اللاتينية عندنا معشر النصارى)

على ان القرآن قد ترجم الى اللغة البولونية ولكن هذه الترجمة هي في الحقيقة عبارة عن نقل للترجمة الفرنسية التي قام بها كازيميرسكي . وقد علمت ان المفتي الدكتور يعقوب شينكياو يش يحضر الآن ترجمة اصلية مباشرة من العربية الى البولونية .

توجد في مدينتي ورسو وويلنو معهدان خاصان يتمتعان بمنحة حكومية تدرس بهما علم الاجتماع الاسلامي واللغات التركية والفارسية والعربية والصينية واليابانية . لكن هذا التعليم هو في الحقيقة تعليم عال مطابق - مع حفظ النسبة - للتعليم الموجود بمدرسة اللغات الشرقية في باريس .

وحالة البولونيين التار - من الناحية القانونية - خاصة ممتازة - فالحكومة الروسية كانت تظهر تساعا خارقا للعادة في مسائل الدين الذي مكن المسلمين من المحافظة على احوالهم الشخصية الاسلامية . ولما كان القانون الروسي هو الذي ما زال جاريا به العمل في جهات الشمال الشرقي فالشريعة الاسلامية هي السائدة اليوم بتلك الجهات بحيث ان البولوني التاري يستطيع - نظريا - ان يعدد زوجاته ولو كانت هذه العادة قد تركت - عمليا - في زوايا الاهمال ؛ وكل المسائل المتعلقة بالمواريث والزوجيات والطلاق يحكم فيها الايمة القائمون مقام القضاة اللهم الا اذا تواطأ الطرفان اللذان يهمهم الامر على ان يترافعا لدى المحاكم البولونية والمسلمون التار البولونيون - كسائر المسلمين الاوروبيين - يتبعون المذهب الحنفي . وتقول ختاما ان الحالية التارية البولونية - ولو كانت قليلة العدد - فانها تكون وسطا مفكرا في غاية النشاط . فهناك عدد عديد من التأليف والمصنفات التي نشرها التار بمدينة ويلنو متعلقة بتاريخهم ورغائبهم من جللتها مجلة تصدر كل ثلاثة اشهر بمدينة ورسطو في ٣٢ صفحة منذ سنة ١٩٣١ ومنها التقويم السنوي للبولونيين التار

حكم الله في التجنيس

بقية ما نشر بصحيفة ٤٩٠

الفرع الثالث - قال في الهندية ايضا : لو قال الرجل لغيره حكم الشرع في هذه الحادثة كذا . فقال انا افعل بالرسم لا بالشرع يكفر اهـ (صفحة ٢٧٢ من الجزء المذكور) ولا شك ان المتجنس لا يعمل بالشرع وانما يعمل بقانون الدولة التي اعتنق جنسيتها

الفرع الرابع - قال في الخيرية : اذا سلمت فتوى شرعية من شيخ الاسلام لرجل فالحقها على الارض محقرا لها فانه يكفر ونقل ذلك عن البحر اهـ (صفحة ١٠٥ طبعة بولاق) ولا شك ان المتجنس قد اظهر احتقاره لجميع احكام الشرع بالتزامه عدم العمل به .

الفرع الخامس - قال في الهندية : رجل عرض عليه خصمه فتوى علماء الشرع في حادثة فرماها الى الارض وقال : ما هذا الشرع ؟ يكون كافرا اهـ (صفحة ٢٧٢ جزء ٢ من الطبعة السابقة)

الفرع السادس - قال في الخيرية : سئل في رجل دعي الى الشرع ليتقاضى لديه فامتنع من الحضور وقال : انا لا انظر هذه الدعوى بالشرع بغلظة مستخفا بالشرع الشريف وثبت استخفافه بالينة المعدلة لدى الحاكم الشرعي فاجاب بانه يكون مرتدا وتطبق عليه احكام المرتدين من الحبس وكشف الشبهة والقتل ان لم يجدد الاسلام اهـ (صفحة ١٠٥ من الطبعة السابقة) ولا شك ان استخفاف المتجنس بالشرع لا يحتاج الى بينة لانه ثابت باقراره حيث امضى بنفسه على التزام عدم التقاضي الى قضاة المعرع اقول وقد وقفت على فتوى لشيخ الاسلام الشيخ محمد يرم الرابع رحمه الله يكفر من ينبد الاحكام الشرعية ويلتزم احكام الكفار . اثناء رسالته التي اجاب بها عن السؤال الذي وجه اليه المشير احمد باشا الاول في جمادى الاولى عام ١٢٦٠ في حكم العمل بالشهادات الواردة من الجزائر واعمالها فيما يعرض لاهل تلك النواحي من هذه الحقوق وانفصل على قبول شهادتهم . ونص ما به الحاجة من تلك الرسالة : نعم اذا كان حال هؤلاء - اي المحتمين - الخروج عن رتبة الاحكام الشرعية ونبذها والتزام احكام الكفار او كان امتناعهم - اي من التقاضي لدى قضاة الشرع - استخفافا فذلك موجب لكفرهم بلا ريب اذ صرح في الخيرية بحيا عن قال : لا نعمل بالشرع وانما نعمل بدعائم العرب بان قائل ذلك ان قتاله لا عقاده عدم حقية الشرع او استخفافا فلا ريب في كفره اهـ وهذا الفرع الذي استدلل به هو الفرع الاول من الفروع الستة التي ذكرناها سابقا .

فهذه الفروع صريحة في ارتداد المتجنس والعياد بالله . وفيها زيادة على ذلك فائدة اخرى يجب

ان يتنبه لها عموم المسلمين وهي وجوب تعظيم علماء الدين واحترامهم وتنزيلهم في المنزلة اللائقة بجماعتهم الرفيع ولقد وقفت على نصوص كثيرة تفيد كفر كل من يحتقر عالما من علماء الدين او يزدرى به او يشبهه على وجه التهكم وليس المقام مقام بسط ذلك فلنرجئه الى فرصة اخرى نعود فيها الى هذا الموضوع فنوفيه حقه من البيان والاستدلال بحول الله وانما نرجو من الله ان يرزقنا التوفيق وحسن الادب .

ادلة ذلك من القرءان

وبعد ما ذكرنا من كلام الفقهاء ما يفيد ردة المتجنس فمن الواجب ان نتعرض لادلة ذلك من

القرءان العظيم

ان من يقرأ القرآن بتدبر وإمعان . يقف على آيات كثيرة تدل دلالة صريحة او كالصريحة على كفر من يلتزم ترك العمل بالشرع ويعمل بغيره . وتقتصر على ذكر بعض تلك الآيات اذ الاحاطة بكل ما في كتاب الله مما تعجز عنه القوى البشرية .

ففي سورة آل عمران : (٨٥) ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين (٨٦) كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين (٨٧) اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين (٨٨) خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون (٨٩) الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم)

قال البيضاوي : قوله (ومن يتبع غير الاسلام ديناً) اي غير التوحيد والالتقاء لحكم الله تعالى وقوله (وهو في الآخرة من الخاسرين) اي الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران باطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها . وقوله (كيف الله يهدي قوما كفروا بعد ايمانهم الآية) استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ماوضح له منهك في الضلال بعيد عن الرشاد . وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد . وقوله (الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا) اي تابوا من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا . وذكر الفخر الرازي في قوله (كيف الله يهدي قوما كفروا الآية) اختلاف بين العلماء في سبب نزولها على ثلاثة اقوال ترجع كلها الى انها نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام . وانما الخلاف في تعيينهم ثم قال بعد كلام طويل : وقوله (الا الذين تابوا من بعد ذلك) المعنى الا الذين تابوا منه ثم بين ان التوبة وحدها لا تكفي حتى ينضاف اليها العمل الصالح فقال واصلحوا اي اصلحوا باطنهم مع الحق والمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات وذلك بان يعلنوا بانا كنا على الباطل حتى انه لو اغتر بطريقتهم الفاسدة مغتر رجع عنها اه

وفي سورة النساء : (٦٠) «الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا (٦١) واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المناققين يصدون عنك صدودا (٦٥) الى قوله (٦٥) فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هاته الآية عدة اقوال اشهرها انها نزلت في رجل منافق يقال له بشر تخاصم مع يهودي في حق بينهما واحتاجا الى التحاكم ، فطلب بشر من اليهودي ان يتحاكما الى كعب بن الاشرف . وهو المراد من الطاغوت في الآية على بعض الاقوال . وطلب منه اليهودي ان يتحاكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافعا الى رسول الله فحكم لليهودي على بشر فلما خرجا من عنده قال بشر : لا ارضى بهذا الحكم . بيني وبينك ابو بكر فذهبا اليه فحكم لليهودي على بشر فلم يرض بحكمه وقال لليهودي بيني وبينك عمر . فاتيلا . فقص اليهودي على عمر رضي الله عنه جميع ما جرى بينهما . فقال عمر لبشر : أحقيقة ما قال ، فقال له : نعم ، فدخل عمر الى بيته واخرج سيفا وضرب به عنق بشر فسقط ميتا . وقال رضي الله عنه : هكذا اقضي على من لم يرض بقضاء الله ورسوله . فلما بلغ الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر : انت الفاروق . اي الذي يفرق بين الحق والباطل . فصار هذا الوصف لقباً له رضي الله عنه

قال النيسابوري : وقد اختلف المفسرون في المراد من الطاغوت على اقوال متعددة ترجع كلها الى معنى واحد وهو التحاكم لغير كتاب الله وسنة رسوله . وبقطع النظر عن كون الطاغوت اي شيء هو فإنه تعالى جعل التحاكم اليه مقابلاً للكفر به . اي بالله . وجعل الكفر بالطاغوت ايمانا بالله ورسوله اي في قوله تعالى ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها . فيكون نصا في تكفير من لم يرض بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم تشككا او تمردا . ويؤيد قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الآية اه

وقال القاضي ابو بكر الحصص : وفي قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك الآية دلالة على ان من رد شيئا من اوامر الله تعالى او اوامر رسوله صلى الله عليه وسلم فهو خارج من الاسلام سواء رده من جهة الشك فيه او من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم اه

وقال الفخر الرازي في تفسير هذه الآيات : المسئلة الثالثة مقصود الكلام ان بعض الناس اراد ان يتحاكم الى بعض اهل الطغيان ولم يرد التحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم قال القاضي ويجب ان يكون التحاكم الى هذا الطاغوت كالكفر وعدم الرضا بحكم محمد صلى الله عليه وسلم كفر وبطل

عليه وجوه الاول انه تعالى قال يزيدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به فجعل التحاكم الى الطاغوت يكون ايمانا به ولا شك ان الايمان بالطاغوت كفر بالله كما ان الكفر بالطاغوت ايمان بالله . الثاني قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله ويسلموا تسليما . وهذا نص في تكفير من لم يرض بحكم الرسول عليه الصلاة والسلام الثالث قوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) وهذا يدل على ان مخالفته معصية عظيمة . وفي هذه الآيات دلائل على ان من رد شيئا من اوامر الله او امر الرسول عليه الصلاة والسلام فهو خارج عن الاسلام سواء رده من جهة الشك او من جهة التمرد وذلك يوجب صحة ما ذهبت الصحابة اليه من الحكم بارتداد مانعي الزكاة وقتلهم وسبي ذرارهم اهـ

وفي سورة النساء : (١١٥) ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين قوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

قال البيضاوي قوله (ويتبع غير سبيل المؤمنين) اي غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل . وقوله (نوله ما تولى) اي نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره اهـ وافاد الفخر الرازي ان الآية نزلت في رجل ارتد عن الاسلام وهو طعمة بن ابيرق فانه عند ماراي ان الله هتك ستره وبرأ اليهودي من تهمة السرقة ارتد وذهب الى مكة ونهب جدار انسان لاجل السرقة فهدم الجدار عليه ومات فنزلت هذه الآية اهـ

وفي سورة المائدة (٤٤) ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) قال البيضاوي : ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكراته فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره اهـ

وقال الجصاص : الظاهر ان المراد بالكفر الشرك والحيث فان المراد جحود حكم الله او الحكم بغيره مع الاخبار بانه حكم الله فهذا كفر يخرج عن الملة وفاعله مرتد ان كان قبل ذلك مسلما الخ وفي سورة المائدة ايضا (٤٤) يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٥) انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٦) ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون

وفي سورة النور (٤٦) لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (٤٧) ويقولون ءامنا بالله وبالرسل واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين (٤٨)

واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون (٤٩) وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين (٥٠) افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون (٥١) انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون (٥٢) ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفائزون

قال الفخر الرازي : هذه الآيات في دم قوم اعترفوا بالدين بالسنتهم ولكنهم لم يقبلوه بقلوبهم . وقوله (ويقولون ءمنا الى قوله وما اولئك بالمؤمنين) يدل على ان الايمان لا يكون بالقول (أي فقط) اذ لو كان به لما صح ان ينفى كونهم مؤمنين وقد فعلوا ما هو ايمان في الحقيقة (١) وقوله (وما اولئك بالمؤمنين) راجع الى الذين تولوا المشار اليهم بقوله ثم يتولى فريق منهم . وقوله (افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) ذمهم على كل واحد من هذه الاوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق . وكان فيها شك وارتباب . وكانوا يخافون الحيف من الرسول عليه الصلاة والسلام وكل واحد من ذلك كفر ونفاق . ثم بين تعالى بقوله (بل اولئك هم الظالمون) بطلان ما هم عليه لان الظلم يتناول كل معصية كما قال تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) اذ المرء لا يخلو من ان يكون ظالما لنفسه او ظالما لغيره . وقوله (انما كان قول المؤمنين الآية) معناه كذلك يجب ان يكون قولهم وطريقتهم اذا دعوا الى حكم كتاب الله ورسوله ان يقولوا سمعنا واطعنا فيكون اتيانهم اليه وانقيادهم له سمعا وطاعة ومعنى سمعنا اجبنا على تاويل قول المسلمين سمع الله لمن حمده اي قبل واجاب اه

وذكر ابن العربي في تفسير هاته الآية فرعا جديرا بالاهتمام . وهو انه اذا حدثت نازلة بين معاهد ومسلم فالذي ينظر فيها هم قضاة المسلمين ولا يجوز ان يقع التقاضي فيها لدى اهل الذمة . واذا كانت بين ذميين فذلك اليهما فاذا جاء آ إلى قاضي الاسلام ان شاء حكم وان شاء اعرض اه قلت وهذا الحكم قد صار العمل به معكوسا في غالب بلدان الاسلام في زماننا هذا فاذا كان احد المتخاصمين اجنبيا والآخر مسلما فالقضاة المسلمون محجور عليهم بمقتضى القوانين ان ينظروا في تلك القضية بل صار محجورا على قضاة المسلمين ان ينظروا في الخصومات التي تقع بين المسلمين والمتجنسين . وللقوة والسلطان . اثر ظاهر في هذا الشأن . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

هذا ما اردنا ان نستدل به على حكم التجنيس من نصوص القراءان وكلام علماء الاسلام في تفسيره . بعد ما نقلناه من صريح كلام الفقهاء ثم زيادة على ما تقدم نذكر - لزيادة التأييد - انه قد افق علماء الاسلام المعاصرون في مختلف الاقطار الاسلامية بارتداد التجنيس . فافق من علماء الهند

العالم الجليل الشيخ عبد العزيز الجيدر ابادي (١) ومن غرائب الصدف ان هذا العالم ايد فتواه بفتوى قديمة كانت صدرت من علماء تونس وهي الفتوى التي استصدرها المرحوم حسين وزير المعارف بالدولة التونسية قبل الاحتلال عندما كلفت الدولة بالنيابة عنها في قضية القائد شعلامه اليهودي الذي كان متوليا لرئاسة القباضة العامة وادارة المال بتونس وبعدهما سرق اموال الدولة ذهب لاطاليا وتجسس بجنسيته حتى لا تتمكن الدولة التونسية من الحاق العقاب به . فافق شيخ الاسلام المرحوم الشيخ احمد بن الحجة بعدم صحة اعتناقه للجنسية الطليانية ولو كان مقيما في دار الكفر ووافقه على ذلك اربعة من كبار فقهاء الحنفية في ذلك العصر وهم الشيخ حسن عباس المفتي . والشيخ . صطفى رضوان والشيخ الشاذلي ابن القاضي والشيخ محمود بيرم من مدرسي جامع الزيتونة عمرة الله وهي مؤرخة بيوم ٢٩ جمادى الاولى سنة ١٢٩٤ الموافق لعام ١٨٧٧ (٢)

وافق من علماء القدس مفتي بيت المقدس وعالمها العامل المجاهد في سبيل الله الشيخ محمد امين الحسيني .

وافق من علماء مصر الشيخ محمد شاكر وكيل مشيخة الجامع الازهر سابقا (٣) والشيخ يوسف الدجوي (٤) والشيخ على محفوظ والشيخ محمد عبد الباقي الزرقاني (٥)

والمرحوم العلامة الجليل الشيخ رشيد رضا (٦) وعلى عادته رحمه الله في التنويه بما يجرره وينشيه ختم فتواه بقوله (ارايت هذه الصراحة في بيان حقيقة دينكم التي قلما يتجرأ غير صاحب المنار على الجهر به في صحيفة تنشر؟ انها لبي بعض ما يجب ان تعلموه وتعملوا به ولو صرح لكم بكل ما يجب عليكم لرجت الارض رجاً . وقامت عليه دول اروبة وصحفها بل على الاسلام كله . على انه قد بين كل شيء في فرص اخرى . ولكن اكثر المسلمين لا يقرؤون . واكثر الذين يقرؤون منهم لا يفقهون .

(١) انظر جريدة (الخلافة) التي تصدر باللسان الهندي في بمباي في العدد ١٢ من الجزء ٣ المؤرخ بيوم ١١ جمادى الثانية سنة ١٣٤٢ الموافق ليوم ١٨ جانفي سنة ١٩٢٤

(٢) انظر الفتوى بنصها بصفحة ٤٧ من كتاب الشعب التونسي والتجنيس لناشره السيد الحيلالي الفلاح طبع بمطبعة العرب بتونس عام ١٣٤٢

(٣) انظر جريدة (المقطم) المصرية في عددها المؤرخ بيوم ١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٤٢ الموافق ليوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٣

(٤) انظر جريدة (الفتح) المصرية في عددها المؤرخ بيوم الخميس ١٣ ربيع الثاني ١٣٥٢

(٥) انظر فتواهما بعدد (الفتح) المذكور والعدد بعده . وهذه الفتوى هي التي نشرتها في هذه الايام جريدة (الارادة) في عددها المؤرخ بيوم الاربعاء ٢٩ ربيع الاول المنصرم الموافق ليوم ٩ جوان الجاري .

(٦) انظر صفحة ٢٢٤ من مجلة المنار جزء ٣ من المجلد ٣٣ المؤرخ بشهر المحرم عام ١٣٥٢

وأكر الذين يفقهون على قلتهم في انفسهم متحيرون ، لا يدرون ما يعملون (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون)

ومن ذلك كله يظهر ظهورا بينا لاشك فيه لاولي الالباب ولغير اولى الالباب ان المتجنس قد ارتد عن الاسلام وانسلخ عنه والعياذ بالله وصار في عداد المرتدين . واستبدل الهدى بالضلال . وباع الذي هو ادنى بالذي هو خير

ومن يبيع آجلا منه بمأجله يبين له الغبن في بيع وفي سلم
وحيث قد ثبت ان المتجنس مرتد فيجب ان تنطبق عليه جميع احكام المرتدين من حيث العقاب والاحكام وكل ما يترتب على ذلك .

لذلك رايانا اتعاضا للفائدة واستقصاء لهذا الموضوع ان نلخص احكام المرتد حتى تقع معاملة المتجنس بها فنقول :

عقاب المرتد

اذا ارتد المسلم والعياذ بالله فاول ما يفعل معه هو ان يعرض عليه الاسلام ليرجع الى ما كان فيه . ثم بعد ذلك تكشف شبهته ان كانت له شبهة ثم يحبس ثلاثة ايام يعاد عليه في اثنائها العرض وكشف الشبهة . فان رجع الى الاسلام فيها . والا فهناك تفصيل في حكمه بالنظر الى كونه رجلا او امرأة او خنثى مشكلا او صيبا

فان كان رجلا وجب قتله . واستدل لذلك في البدائع بالحديث الصحيح الذي رواه البخاري واحمد وهو قوله صلى الله عليه وسلم : من بدل دينه فاقتلوه .

وان كان امرأة فلا يجوز قتلها وانما تحبس حبسا مؤبدا ولا تجالس ولا تؤاكل وتظاهر الرواية انها لا تضرب . وفي رواية عن الامام الاعظم رضي الله عنه انها تضرب في كل يوم ثلاثة اسواط . وروى الحسن انها تضرب تسعة وثلاثين صوتا الى ان تموت او تسلم . واختار بعضهم انها تضرب خمسة وسبعين صوتا وهو ميل الى قول الامام ابي يوسف في نهاية التعزير (١)

وان كان خنثى شكلا فحكمه كحكم المرأة فلا يقتل وانما يحبس ويضرب حتى يرجع الى الاسلام (٢)

وان كان صيبا فهناك خلاف في قبول رده من اصلها . فذهب ابو يوسف الى عدم قبول رده الى ان يبلغ . وذهب الامام الاعظم ومعه محمد الى قبول رده قياسا على قبول اسلامه . ولكنهما اشترطا

(١) انظر ابن عابدين في حاشيته على الدر صفحة ٤٢٠ جزء ٣

(٢) نقله في البحر عن التارخانية صفحة ١٣٩ جزء ٥

في قبول رده ان يكون عاقلا . وضابط عقله ان يعرف ان الاسلام سبب للنجاة . ويميز الحثيث من الطيب . قال الطرسوسي : ولم ار احدا قد رده بمدة من العمر (١) وتلقبه شيخ الاسلام الشيخ محمد يرم الاول في كتابه بغية السائل في اختصار انفع الوسائل بانه قد وقف على تحديد سنه بسبعة اعوام في الفتاوى الهندية والنهر والمجتبي والسراجية . ثم على القول بقبول رده فحكمه انه لا يقتل وانما يحبس ويضرب حتى يعود الى الاسلام قلت وعلى هذا فابناء المتجنسين لا يحكم عليهم بالارتداد الا اذا بلغوا على ما اختاره ابو يوسف . او عقلوا على ما اختاره الامامان وكانوا راضين بذلك

ما ينشأ عن الردة من الاحكام

بمجرد ارتداد الانسان تنشأ عن رده عدة احكام . منها انه تبين عنه زوجته وتكون تلك الينونة فسحا عند الامام الاعظم وابي يوسف وقال محمد تكون فرقة طلاق واما اذا ارتدت المرأة فتكون الردة فسحا للنكاح باتفاق . ثم اذا تاب وعاد الى الاسلام فلا ترتفع تلك الينونة الا بنكاح جديد ولا يكفي فيها مجرد الاسلام (٢)

ومنها انه لا يجب عليه شيء من العبادات حال رده لعدم خطاب الكفار بالشرائع عندنا فلا يطالب بعد اسلامه بقضاء ما فاتته في حال الردة . ومنها احباط اعماله بطلان ثواب ما له من الاعمال الصالحة حال اسلامه ومنها انه لا ينكح ولا ينكح . ومنها ان ما ارتكبه من المعاصي في حال اسلامه يبقى بعد الردة ويكون مطالبا بتداركه ان رجع الى الاسلام . حتى اذا كان عليه قضاء صلوات او صيامات تركها حال اسلامه ثم عاد الى الاسلام بعد رده فانه يكون مطالبا بقضاء ما كان مطالبا به قبل الارتداد ومنها بطلان اوقافه سواء ما كان منها على قربة ابتداء او على ذريته ثم على المساكين لانه قربة ولا بقاء لها مع وجود الردة واذا عاد الى الاسلام لا يعود وقفه الا بتجديد منه . واذا مات او قتل كان وقفه ميراثا بين ورثته كما اوضحه الخصاص في اخر اوقافه (٣)

ومنها عدم قبول شهادته حتى على مرتد مثله بخلاف الكافر الاصلي فان شهادته تقبل على مثل قال شيخ الاسلام الرابع في رسالته التي الفها في احكام المحتمين من اهل الجزائر التي اشرنا اليها سابقا ما نصه : ان شهادة الكافر المقبولة على مثله انما هو في غير المرتد اما هو فلا ولو على مثله ففي البحر عن المحيط واختلف في شهادة مرتد على مثله والاصح عدم القبول بحال اهـ

(١) انظر انفع الوسائل للطرسوسي صفحة ٥٢

(٢) انظر ابن عابدين على الدرر صفحة ٤١٢ جزء ٣

(٣) انظر البحر صفحة ١٣٧ جزء ٥

وقد ظهر من مجموع هاته الاحكام ان المرتد اسوأ حالا من لكافر الاصلي وبذلك صرح في البحر فقال : الردة افحش من الكفر الاصلي في الدنيا والآخرة (١)

اموال المرتد وارثه

اذا ارتد الانسان زال ملكه عن ماله زوالا موقوفا فان اسلم عاد ملكه اليه وان مات او قتل على رده فاما المال الذي اكتسبه في حال الاسلام فانه يرثه عنه ورثته المسلمون لقضاء علي رضي الله عنه بذلك فقد ذكر في البدائع ان عليا رضي الله عنه لما قتل المستورد العجلي بالردة قسم ماله بين ورثته المسلمين وكان ذلك بمحض من الصحابة رضي الله عنهم من غير انكار فكان اجماعا . واما ما كسبه حال رده ففيه خلاف بين الامام وصاحبيه . قال الصحابان رضي الله عنهما هو ككسبه في حال اسلامه فيعطى لورثته المسلمين . وقال الامام رضي الله عنه انه فيء فيوضع في بيت مال المسلمين بناء منه على ان ما اكتسبه في حال رده لم يصير ملكا له عند ما مات او قتل عليها وما ليس ملكا له لا يورث عنه . واختلف في الوارث هل يشترط فيه ان تكون ثابتة له صفة الارث في يوم الارتداد او في يوم موت المرتد او فيهما اقوال ثلاثة اصحاب رواية محمد عن الامام وهي ان العبرة بيوم الموت . حتى لو كان ابن المرتد له مانع من الارث يوم الارتداد فان كان مرتدا ثم اسلم قبل موت ابيه ثم مات ابوه على رده فانه يرثه هذا بالنسبة لتوارث غير الزوجين . واما بالنسبة لهما فاذا مات الزوج وهو مرتد فان زوجته المسلمة ترثه ان مات وهي في العدة وتخرج المسئلة من باب طلاق الفار . وان مات بعد العدة فلا ترث . واذا ماتت الزوجة وهي مرتدة فاذا كان ارتدادها في حال المرض ورثها زوجها المسلم لانها قصدت ابطال حقه فتعامل بنقيض مقصودها . وان كانت قد ارتدت وهي صحيحة فانه لا يرثها لانها لا تقتل كما تقدم فلم يتعلق حقه بمالها بالردة بخلاف المرتد (٢)

هذا حكم الارث من المرتد . واما ان المرتد هل يرث من الغير ام لا . فالحكم هو ان المرتد لا يرث بحال فلا يرث من مسلم ولا من كافر يوافق في الملة ولا من مرتد آخر (٣)

قلت ومن هنا يعلم حكم استحقاق المتجنسين من الاوقاف وانهم محرومون منها لان المحسين يشترطون الاسلام في استحقاق ريع اوقافهم وعليه فالواجب على قضاة الاسلام ان يمنعوا نظار الاوقاف من تمكين ريعها . وهل يعتبر الوقف من منقطع الوسط ام لا فليحذر

(١) انظر البحر صفحة ١٣٨ جزء ٣

(٢) انظر الفتاوى الخانية صفحة ٥٨٠ جزء ٣ والهداية صفحة ٣٩١ جزء ٤ والبدائع صفحة ١٣٨

جزء ٧ والبحر صفحة ١٤١ جزء ٥

(٣) من الفتاوى الخانية صفحة ٥٨٠ جزء ٣

حكم ديون المرتد

اما حكم ديون المرتد فاما ما لزمه منها في حال اسلامه فانه يقضى من كسب اسلامه . واما ما لزمه في حال رده فقي قضائه روايات عن الامام اصحابها انه يقضى ايضا من كسب الاسلام الا اذا لم يف بخلاص الدين فعند ذلك يلجأ الى ما اكتسبه في حال الردة فيستخلص منه ما بقي من الديون حيثنذ (١)

حكم تصرفات المرتد

اعلم ان تصرفات المرتد على اربعة اقسام :

القسم الاول - ما هو نافذ بالاتفاق بين الامام وصاحبه وذلك كل ما لا يتوقف على ولاية تامة كقبول الهبة وتسليم الشفعة والطلاق في صورة ماذا أوقع على زوجته طلاقا وهي في عدة ينوتها منه بسبب الردة .

القسم الثاني - ما هو باطل باتفاقهم وذلك كل ما كان من الافعال يتوقف على كونه فاعله صاحب دين كالنكاح والذبيحة والصيد والشهادة والارث

القسم الثالث - ما هو موقوف باتفاقهم وذلك كل ما كان من الافعال متوقفا على المساواة في الدين بين المتعاقدين وذلك كالتصرف على ولده الصغير وكشركة المفاوضة فاذا فلوّض مرتد مسلما توقفت من اصلها عند الامام الاعظم وتقلب الى شركة عنان عندهما وحكم هذا النوع انه ان اسلم فقد وان مات او قتل بطل .

قلت وعلى هذا فاذا تجنس الانسان وكان له اولاد صغار فقد زالت ولايته عليهم ولم يبق له حق التصرف في اموالهم وعليه فالواجب نصب مقدمين على ابناء المتجنسين لينظروا في شؤونهم ويمنعوا اباؤهم من التصرف فيهم .

القسم الرابع - ما هو موقوف عند الامام ونافذ عند صاحبه وذلك كل ما كان مبادلة مال بمال او عقد تبرع كالبايعه والضرف والسلم والهبة والرهن والاجارة والصلح عن اقرار وقبض الدين والوصية وحكم هذا النوع عند الامام كالذي قبله وحكمه عند صاحبه النفاذ كالقسم الاول (٢)

دفن المتجنس

لا يجوز دفن المتجنسين في مقابر المسلمين ولا في مقابر غيرهم من اهل الاديان الاخرى قال في تنقيح الحامدية (صفحة ١١٦ جزء ١) سئل في المرتدة اذا ماتت اين تدفن فاجاب بانه اذا ثبت

(١) انظر الهداية صفحة ٣٩٤ جزء ٤ والبدائع صفحة ١٣٩ جزء ٧ والبحر صفحة ١٤٢ جزء ٥

(٢) انظر الدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه صفحة ٤١٦ ج ٣

ارتدادها بعد اسلامها بالوجه الشرعي ثم ماتت وهي كذلك في سير الاشياء : واذا مات او قتل على ردة لم يدفن في مقابر اهل مله وانما يلقي في حفرة . . . اه قلت فما صدرت به الاوامر العلية من لدن صاحب الجلالة ملكتنا المعظم ابقاه الله من احداث مقابر خاصة بالمتجنسين هو المطابق للشرع . وكل محاولة ترمي الى ابطال العمل بتلك الاوامر فهي محاولة لتغيير الاحكام الاسلامية في بلاد دينها الاسلام . وذلك لا يمكن ان يقع بحال .

توبة المتجنس

والمتجنس كسائر انواع المرتدين يمكن له ان يتوب من ردة ويرجع الى دين الاسلام فباب الاسلام مفتوح على مصراعيه ليدخل فيه الناس افواجا . ولكن لا يكفي في توبته النطق بالشهادتين او اقراره بالرجوع عما كان فيه بمجرد اللسان بل لا بد من الاقلاع عن الامر الذي كان سببا في كفره والندم على ما فرط منه على ما هو المشترك في التوبة اذ من المعلوم ان التوبة لا تتم الا بالاقلع وهي بدون كالعدم قال في البحر انه لو اتى بالشهادتين على وجه العادة لم ينفعه ما لم يرجع عما قال اذ لا يرتفع بهما كفر كذا في البزازية وجامع الفصولين (صفحة ١٣٨ جزء ٥)

وقد اسمعناك فيما تقدم كلام الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى (الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا الآية) ومحل الحاجة منه هو قوله : ان التوبة وحدها لا تكفي حتي ينضاف اليها العمل الصالح وبما ان الامر الذي كان سببا في ارتداد المتجنس هو التزامه بترك العمل بالشرع وعدم التقاضي لديه والرجوع اليه فانه لا يقبل اسلامه الا اذا اقلع عن ذلك وبهذا الجنسية التي دخل فيها ورجع الى جنسية الاسلام اقول ومن صرح من العلماء بقبول توبة المتجنس ولم يصرح بشرط الاقلع فذلك بناء منه على انه شرط معلوم ملازم للتوبة لا تتحقق التوبة الا به

والحاصل ان المتجنس بجنسية اجنبية لا يصح اعتباره مسلما ومعاملة المسلمين الا اذا ترك تلك الجنسية ورجع الى الاسلام قولاً وفعلاً . وكان راضخاً بقلبه الى احكام الشرع واوامره ونواهيه (فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً ما قضيت ويسلموا تسليماً) ثم اذا تاب المتجنس ورجع الى الاسلام فالعبادات التي كان مطالباً بها قبل ارتداده يجب عليه قضاءها بعد رجوعه الى الاسلام كما تقدمت الاشارة اليه واما العبادات التي كان فعلها قبل ارتداده فانه لا يطلب باعادتها الا الحج فانه يجب عليه ان يعيده واما في حال الارتداد فانه لا يطلب بشيء من العبادات لانه كافر والكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة على الاصح (١)

هل اذا تاب المتجنس تعود له حسناته

قال في شرح المقاصد للمحقق التفتزاني في بحث التوبة : ثم اختلفت المعتزلة في انه اذا سقط

(١) انظر الفتاوى الحانية صفحة ٥٨٢ جزء ٣ والبزازية صفحة ٣٢١ جزء ٣ والبحر صفحة

الحركة العلمية والادبية

تاريخ الحركة العلمية بجامع الزيتونة

اقامت (جمعية الزيتونيين) حفلتها التي كنا اشرفنا اليها في عدد سابق بقاعة الاجتماعات وقد حضرها كثير من العلماء والادباء وكان الغرض من هذه الحفلة افتتاح الجمعية لاعمالها وسعاع المحاضرة التي سيلقيها حضرة العلامة الحليل المحقق الشيخ محمد البشير النيفر الاستاذ بالجامع الاعظم . بدئت الحفلة بتلاوة القرآن العظيم ثم قام رئيس الجمعية حضرة العالم الفاضل الشيخ محمد المؤدب العضو بمحكمة الجنايات فافتتح الحفلة بخطاب طويل شكر فيه الحاضرين على تلبية الدعوة . ثم بين برنامج الجمعية وما تنوي ان تقوم به من الاعمال في دائرة العلم والادب . ثم قدم الاستاذ المحاضر ليلقي محاضرته . فتقدم حضرته وشرع في القاء محاضرته بأسلوبه الجزل . وبيانه الذي اشتهر به وعرفه منه كل من حضر بدروسه

استحقاق عقاب المعصية بالتوبة هل يعود ثواب الطاعة الذي ابطلته تلك المعصية فقال ابو علي وابو هاشم : لا . لان الطاعة تنعدم في الحال وادام يبق استحقاق الثواب وقد سقط والساقط لا يعود . وقال الكعبى : نعم لان الكبرية لا تزيل الطاعة وانما تمنع حكمها وهو المدح والتعظيم فلا تزيل ثمرتها فاذا صارت بالتوبة كان لم تكن ظهرت ثمرة الطاعة كنور الشمس اذا زال الغيم وقال بعضهم وهو اختيار المتأخرين لا يعود ثوابه السابق لكن تعود طاعته السالفة مؤثرة في استحقاق ثمراته وهو المدح والثواب في المستقبل بمنزلة شجرة احترقت بالنار اغصانها وثمارها ثم انطفأت النار فانه تعود اصل الشجرة وعروقها الى خضرتها وثمرتها . اهـ

اقول والظاهر من هذه الاقوال ما ذهب اليه ابو القاسم الكعبى رحمه الله من رجوع الثواب بعد التوبة لان فضل الله سبحانه وتعالى واسع ورحمته سبقت غضبه واحباط العمل كان ناشئا عن الارتداد فلما زال يزول اثره ويرجع الانسان كجوهرة ازيل عنها القمام . او شمس كشفت عنها الغمام . ورجاءنا في الله سبحانه وتعالى ان يثبت قلوبنا على الايمان . ويقينا من الخذلان . بمنه وكرمه . ونختتم هذا الفصل بتبني كل مسلم الى ان يتعود في الصباح والمساء بهذا الدعاء الذي ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من تعوذ به يكون معصوما من الزيف والغواية . ويكون محروسا من الله بعين الرعاية . وهو اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك شيئا وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم .

محمد المختار بن محمود

كان موضوع المحاضرة (تاريخ الحركة العلمية بجامع الزيتونة) . وقد افتتحها ببيان انه لم يتوصل بعد البحث الطويل الى ما يفيد عن تفصيل تاريخ الحركة العلمية قبل عام ٦٠٣ هـ لذلك سيطوي الكلام على ذلك العهد . ويتكلم على ما بعده .

وقد قسم ادوار التعليم بجامع الزيتونة الى ثلاثة . وهي الدور الحفصي والدور التركي والدور الحسيني .

الدور الحفصي - وهو من عام ٦٠٣ الى عام ٩٨١ اي من تاسيس الدولة الحفصية بتونس الى انقراضها - وقد ذكر ان هذا الدور قد ازدهر فيه العلم بجامع الزيتونة وكثر انتشاره . وتقنن الناس في مختلف العلوم والفنون . وتخصصوا فيها حتى اشتهر كل واحد بما تخصص فيه . وظهرت في هذا العصر تأليف كثيرة . واعتنى الناس بالدروس العليا حتى برعوا فيها . وكان هناك تبادل في الآراء والابحاث بين علماء جامع الزيتونة وبقية علماء المشرق والمغرب . وذكر اسماء كثيرين من مشاهير علماء هذا العصر منهم ابن عبد السلام وابن خلدون والابن البرزلي الخ

وقد لاحظ انه في القرن العاشر قد تفهقر العلم وضعف شأنه . وامتنح كثير من اهل العلم بالنفي والابعاد عن البلاد . ومن هؤلاء الشيخ محمد ماغوش الذي نفي الى مصر وتوفي فيها . والشيخ احمد العيسى الذي بقي الى طرابلس الغرب ومات بها سجيناً

الدور التركي وهو من عام ٩٨١ الى عام ١١٧ - اي من عام استيلاء الترك على تونس - وقد ذكر ان العلم في هذا الدور كان ضعيفاً جداً . فقل التقنن والتخصص في العلوم . وقلت التأليف العلمية . ولم يكن فيه اعتناء بتدريس الكتب العالية . بل كاد العلم ينقطع من البلاد . لولا محبي عالم من كبار علماء الروم وهو المولى احمد افندي الرومي من علماء القسطنطينية فقد رحل هذا العالم الى تونس واقام فيها واخذ عنه كثير من ابناءها ومن تخرج عليه واتفق به الشيخ محمد الغماد الكبير .

وقد امتاز هذا العصر بعودة ظهور المذهب الحنفي بتونس . اذ من المعلوم ان هذا المذهب قد اقتطع العمل به في هذه البلاد من ايام المعز بن باديس حيث انه كان ابطال العمل بذلك المذهب والزم الناس بالعمل بالمذهب المالكي . فلما دالت الايام وافضت النوبة الى الاثراك ارجعوا العمل بهذا المذهب ضرورة ان القضاة في ذلك العصر كانت تأتي بهم الدولة من بلادها فيقضون بين الناس بمقتضى المذهب الحنفي (وقد بقي هذا المذهب ممولاً به الى اليوم حيث ان البلاد التونسية يجري عمل سكانها على المذهبين الحنفي والمالكي)

الدور الحسيني وهو من عام ١١٧ الى عصرنا الحاضر - اي من عهد انتصاب الدولة الحسينية بتونس خلد الله ملكها وادام عزها -

وقد قسم هذا الدور الى قسمين - الاول من العام المذكور الى عام ١٢٥٨ والثاني منه الى يومنا هذا . فالدور الاول - قد تحسن فيه أمر العلم وظهر اقبال الناس عليه اكثر من ذي قبل وعاوده شيء من النشاط . وتنوعت فيه المشاركة . وكثر فيه التخصص وظهرت التأليف . ودرست فيه العلوم العالية .

وكان من اشهر علماء ذلك العصر النبغاء الاعلام من مال بيرم الكرام . الذين ابقوا من التأليف والرسائل والتحريرات وخصوصاً في الفقه الحنفي ما يدل على علو كعبهم ورفعة شأنهم ولم يكن التعليم في هذا الدور داخلاً تحت نظام خاص وترتيب محكم .
الدور الثاني - وهو الدور الذي يتبدي من تاريخ وضع قانون لتنظيم التعليم بجامع الزيتونة .

وهو القانون الذي وضعه المشير احمد باشا باي الاول في عام ١٢٥٨ . وكتبه بالذهب في المعلقة التي لا تزال الى اليوم موضوعة بجامع الزيتونة بالقرب من باب الشفاء .
وقد تضمن هذا القانون وضع نظام للتعليم . ووقع فيه تحديد عدد المدرسين وتقسيمهم الى قسمين منهم خمسة عشر من الحنفية وخمسة عشر من المالكية . وقرر لهم جريات قارة تعطى لهم من بيت المال الى غير ذلك من الترتيب .

ثم قسم هذا الدور الى ثلاثة اقسام - القسم الاول من عام ١٢٥٨ المتقدم الى عام ١٢٩٤ وهو العام الذي وضع فيه قانون جديد للتعليم وهو المعروف بقانون خير الدين نسبة لوضعه الوزير المصلح خير الدين باشا . الذي تولى الصدارة العظمى في الدولة التركية فيما بعد . وقد وضع على عهد المشير الثالث محمد الصادق باشا باي . والقسم الثاني من العام المذكور الى عام ١٣٢٩ وهو العام الذي نفع فيه قانون خير الدين والقسم الثالث من العام المذكور الى عام ١٣٥١ الذي وضع فيه قانون جديد للجامع وهو المعمول به الآن . وقد بسط القول في هذه الادوار كلها . وبين مزاياها وخصائصها وذكر اسماء غالب العلماء في اثنتائها الا القسم الثالث فانه وعد بسط القول فيه في فرصة اخرى .
ونعتقد اننا مهما تحريصنا في تلخيصها فانه لا مندوحة للشيخ عن نشرها بين الناس بنصها لما اشتملت عليه من الفوائد الجمية . والتحقيقات المهمة . بارك الله فيه . وامد في عمره .

ولما انتهى . وقت راحة بعشر دقائق ثم استوفت الحفلة لالقاء بقية ما قرر في برنامجها .
فالقى امير الشعراء السيد الشاذلي خزنة دار قصيدته التي نظمها في مدح جامع الزيتونة وماله من الآثار الظاهرة في الرقي بهذه البلاد . وانه رمز سيادتها وعزها . ثم تلاه الشيخ علي النيفر والشيخ الطاهر القصار المدرسان بجامع الزيتونة فلقى كل واحد منهما قصيدة عصماء في ذلك الموضوع .
(وقد طالع القراء هذه القصائد الثلاث في العدد السابع من المجلة) ثم وقف الشيخ علي بن عبد السلام العضو بمحكمة الدرية فلقى قصيدة لطيفة حبي فيها الجامع وبنيه . وغير عما يمكنه من العطف والاحلال نحو ذلك المعهد العظيم . ثم القى رئيس الجمعية ابياتا من نظمته عبر فيها عن ابتهاجه بتكوين هذه الجمعية وما يعلقه عليها من الامال . ثم وقف حضرة العالم الفاضل الشيخ محمد العزيز النيفر النائب الاول لشيخ الجامع الاعظم فلقى خطابا لطيفا شكر فيه المحاضر ومن تكلم من بعده .
ثم حث الزيتونيين على الاتحاد والعمل والظهور بالمظهر اللائق بمجدهم القديم ومركزهم الرفيع . وباتنائه انتهت الحفلة ونحن نشكر جمعية الزيتونيين على هذه الباكورة التي قدمتها لنا في مسهل حياتنا . ونرجو لها من الله الاعانة والتوفيق حتى تحقق ما لنا فيها من امال وتنفذ ما رسمته لنفسها من اعمال وعلى الله النجاح .

ذكرى المتني

احتفلت في العام الماضي كافة الاقطار العربية بذكرى ابي الطيب المتني . وارادت البلاد التونسية ان تشارك في تلك الذكرى باقامة حفلة كبرى يتباوى فيها الادباء والشعراء لاظهار فضل ذلك الشاعر الفحل الذي يعتبر بحق واسطة عمد شعراء العربية في جميع العصور . ثم منعت امور من اقامة تلك الذكرى لاداعي بسطها . وفي هذا العام لما زالت الموانع . نفذت تلك الفكرة واقامت في المدة الفارطة حفلة تحت اشراف جمعية الرابطة الادبية كانت مظهرا حيا من مظاهر الرقي الادبي في البلاد التونسية . وتكلم فيها السادة الاتية اسماءهم على ترتيبهم في الالقاء (١) رئيس الجمعية الخلدونية (٢) الطاهر صفر (٣) الشاذلي خزنة دار (قصيدة) (٤) الصادق مازيغ (٥) الطاهر القصار (قصيدة) (٦) علي النيفر (قصيدة) (٧) نور الدين بن محمود (٨) علي بن عبد السلام (قصيدة) (٩) مصطفى

المؤدب (قصيدة) (١٠) نصر المرزوقي (قصيدة) فاجادوا وافادوا . واجسنوا الاختيار . واجيوا للحاضرين سوق عكاظ ، ببلاغة اشعارهم . ورقة دراساتهم

ذكرى المرحوم البشير صفر

اقامت في يوم الجمعة ١٧ ربيع الاول و ٢٨ ماي المنصر من حفلة كبرى تخليدا لذكرى المرحوم البشير صفر بمناسبة مرور عشرين عاما على وفاته شاركت فيها جميع الطبقات على اختلاف مناحيهم ومبادئهم والقيت فيها خطاب رنانة . وقصائد بليغة قام بالقائها ثلة من اعيان الادباء والعلماء . فظهرت الامة التونسية بذلك اعترافا بالجميل نحو ذلك الرجل العظيم الذي كان صادقا في اقواله شجاعا في اعماله . حريصا على ترقية امته الى المستوى اللائق بعزها ومجدها . ذلك الرجل الذي لم يؤثر عليه الوظيف . ولم يحل بينه وبين تحقيق بعض مقاصده وامانيه . ولم يجعل من الوظيف مظية يصل بها الى التقرب السافل . والكيد والنيمة والتعفير في وجه ابناء وطنه .

اسندت رئاسة الحفلة لحضرة العالم الفاضل المؤرخ سيدي محمد بن الحوجه نظرا لماله . ومن القيمة المعترف بها من الجميع ونظرا لكونه من اتراب المحتفل بذكراه . لكنه لم يباشر الرئاسة بنفسه وكلف بها احد الحاضرين . وقد تكلم في هذه الحفلة بعد خطاب الافتتاح السادة الافاضل (١) عبد الحميد بن باديس (٢) العربي الكبادي (قصيدة) (٣) بلحسن بن شعبان (قصيدة) (٤) محمد المقداد الورتاني (قصيدة) (٥) محمد الورتاني (٦) محمد شاكر (قصيدة) (٧) محمد بن الحوجه رئيس الحفلة فكانت بحق مسك الحتام . واعجب بها الخاص والعام . لما اشتملت عليه من النكت المفيدة . والمرامي البعيدة ونشر بعض نصوص يعسر العثور عليها . وتحرير بعض نقط قل من يتنبه اليها .

فرحم الله فقيدنا العظيم وجازاه احسن الجزاء

الاحتفال بذكرى المولد

اقامت جمعية الشبان المسلمين في يوم الجمعة ٢٤ ربيع الاول المنصرم الموافق ليوم ٤ من شهر جوان الجاري . حفلة كبرى بمناسبة ذكرى المولد النبوي على صاحبه ازكى الصلاة والتسليم اقبل الناس عليها افواجا حتى امتلات قاعة الاجتماعات وقد افتتحت الحفلة على الساعة الرابعة ونصف مساء بتلاوة القرآن العظيم . ثم وقف رئيس الجمعية الشيخ الشاذلي النيفر المدرس بالجامع الاعظم ادام الله عمرانه فالتى خطابا تعرض فيه لاعمال الجمعية فيما سبق وما تنوي ان تقوم به من الاعمال المفيدة في المستقبل . ولما انتهى تخطى عن رئاسة الحفلة الى حضرة العالم الفاضل الشيخ سيدي محمد العزيز النيفر النائب الاول لشيخ الجامع الاعظم فوقف والتي خطابا اعتذر فيه عن صاحب الفضيلة مولانا شيخ الجامع الاعظم الذي تعذر عليه الحضور ومباشرة رئاسة الحفلة بنفسه . ثم بسط القول في نكتة تتعلق بالمولد وهي البحث عن السر في عدم شيوع الاحتفال بالمولد الا في القرن السابع . ولما انتهى من خطابه اعطى الكلمات للسادة الافاضل الذين شاركوا في هذا الاحتفال فكانوا على الترتيب الآتي :

(١) الشيخ علي النيفر (قصيدة) ولم يحضر بنفسه فلقاها نيابة عنه الشيخ محمد العناي (٢) محمد المختار بن محمود (٣) الحبيب بورقيبة (٤) سالم الشاذلي (٥) الطاهر القصار (٦) احمد النيفر (٧) الحيلاني حمزة (٨) محمد العناي (٩) محمد المرزوقي (١٠) محمد بن يوسف طفيش

وانتهت الحفلة على الساعة الثامنة ونصف فنشكر جمعية الشبان المسلمين وخصوصا رئيسها الشيخ الشاب على اعتنائها بالذكريات الدينية . والمواسم الشرعية ثبت الله خطاها وسدد اعمالها

تقاريط المجلة الزيتونية

اتصلنا من بعض الادباء بتقاريط شعرا ونشرا ونحن نثبت هنا منها القصيدتين الاتيتين شاكرين بجميع من اهتم بمشروعنا معتذرين عما لم نتمكن من نشره

(الاولى) اضاءت بنور الدين تسمو على البدر
عليها جلال من فصاحة معشر
اقاموا صروح العلم فينا وابدوا
مشائخ قد شاب الزمان وعلهم
تؤم لهم اهل السعادة مثلها
لقد اسنوا في القطر خير محلة
جريدة علم بنت اعظم معهد
من «المعهد الزيتوني» سلك ضيائها
رايت بها التفسير ابلج ناصعا
ترجم عن قوم من السلف الاولى
فشعري عن اوصافها غير قادر
فبالعهد الزيتوني قلبي مقيم

يقولون في التجديد للشعر رونق
وما انا الا بالقديم مولع
فكم قاد شعر القوم حيشا عرمرما
فمن ينكر العهد القديم الذي مضى
فيا قادة الدين الحنفي تدرعوا
وطهروا دين الله من كل بدعة
فمنكم يرحي كل خير وسؤدد
القيروان

وكل قديم فهو كالميت في القبر
فهل من قبول ان بسطت لكم عذري
فما رجعوا الا بالويرة النصر
وما فيه من عز وما فيه من فخر
بدرع به حسن الثبات مع الصبر
رمت امة الاسلام في حمأة الخسر
ونبلغ للحسنى وخاتمة الخير
صالح سويسي

القضاء الشرعي في مصر

وضع قانون له مستمد من المذاهب الاربعة
بعد ان كان المعمول به هو مذهب الامام الاعظم

عرض وزير العدلية بمصر معالي محمد غالب باشا على مجلس الوزراء مشروعا يقتضي تاليف لجنة لتعديل قانون الاحوال الشخصية ، ومهمتها وضع قانون جديد لذلك يكون مستمدا من مذاهب الائمة الاربعة رضي الله عنهم . وقد اسندت رئاسة هذه اللجنة الى صاحب الفضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر . ومعه عشرون عضوا وقع انتخابهم من بين رجال الدين والقضاء . وقد شرعت هذه اللجنة في اعمالها والى يوم افتتاحها رئيسها صاحب الفضيلة شيخ الازهر خطبة صور فيها طريقة العمل وحث الاعضاء على النشاط والاخلاص لهذا المشروع العظيم الذي القيت مقاليده اليهم . ونحن نرجو لهذه اللجنة التوفيق فيما اقدمت عليه من عمل عظيم . وان يكون عملها عائدا بالنفع . ومحاطا بالمحافظة التامة على نبراس الشريعة من ان تمتد اليه يد التغيير .

(الثانية)

هنا تكمل يا حماة الدين بالظفر
نشر العلوم وآداب تسجيلها
تلو الكتاب بتفسير يوضح ما
تروي الحديث بشرح في صراحته
من دأبها الأمر بالمعروف وهي لقد
ما جاءها سائل عن حل مشكلة
تسدى النصيحة ارشادا لمن تصح
تبدي من العدل والاحسان ما أمرت
فالشرع موردها والفقه يعضدها
تحیی لنا اللغة الفصحى وتنشرها
تقص انباء ماضينا وحاضرنا
خط اليراع بها الشعر الرقيق وما
علمان للدين والدنيا قد ارتسما
فيا لها روضة غنا بمنزلة
ويا لها آلة للنفس تطربها

* * *

هذي المجلة للزيتونة انتسبت
وزيتها الادب الراقي يضيء لنا
محرروها شيوخ هم اساتذة
اشياخ كلية في تونس اشتهرت
اعني بها جامع الزيتونة انتظمت
يؤم مورده الظمان من بعد

* * *

يا قادة القوم يا من في مجلتكم
دوموا على السعي في تزييد رفعتها
لا زال يعلو لها ذكر ويصحبها
فذاك من خير ما نرجو ونأمله
رسم الامير بها اضحى يورخها

٤٢٤ ٥٣٣ ١٠١ ٢٩٧

عام ١٣٥٥

محمد احمد المزوي

صفاقس

سيف الاسلام

ذكرنا في المقالة التي نشرناها بالعدد الثامن من المجلة الزيتونية تحت العنوان اعلاه ان السيف الذي اهدي لديكتاتور ايطاليا عند ما سافر الى طرابلس موروث من عائلة قرملي واعتمدنا في ذلك على ما نشره بالصيف اليومية فلاحظ لنا بعض اهل طرابلس ان هذا الخبر مكذوب . وان السيف الذي وقع اهداؤه صنع في رومة في العام الماضي . وغاية ما لاهل طرابلس فيه انهم تقاسطوا دفع ثمنه على طريقة الاكتاب . ونحن نعتذر عما كنا قلناه بالمثل المشهور : وما آفة الاخبار الا رواها .

الفهرس العام للسنة الاولى من المجلد الزيتونية

مرتب على حروف الهجاء

الموضوع	صاحبه	صفحة	جزء
« أ »			
أحتفال جمعية الطلبة الجزائريين بالهجرة	قلم التحرير	٤٠٦	٨
الاحتفال بتاين الشيخ ادريس بن محفوظ	»	١٣٩	٣
الاحتفال بذكرى الشيخ رشيد رضا	»	٣ ٨	٦
الاحتفال براس العام الهجري	»	٤٠٦	٩
الاختام بتونس	كاتب فاضل	١١٨	٣
الاخلاق ومبلغ عناية الشارع بها	الشيخ محمد الهادي ابن القاضي	١٩٢-٢٤٢	٥-٤
آداب الروحية وحكمها	»	٣٨٦	٨
الاسلام منقذ البشرية ومركبها الى شاطئ النجاة	حضرة الكاتب الشيخ محمد المهدي		
اشد الناس ضررا على الدين اعداؤه الذين يعملون ضده وهم يتسبون اليه	ابن ناصر المحامي بتونس	١٨٩-٢٣٩	٥-٤
الاشادة بفضل جامع الزيتونة عمرة الله - شعر	حضرة الشيخ محمد المختار بن محمود رئيس قلم التحرير	١٢٠	٣
»	الاستاد الشاذلي خزندار	٣٤١	٧
»	حضرة الشيخ الطاهر القصار	٣٤٢	٧
»	حضرة العالم الشيخ علي النيفر	٣٤٤	٧
الاعياد	حضرة الشيخ المختار بن محمود	١٥٤	٤
اقبل عام وادبر عام	»	٣١١	٧
اقتبال المجلة الزيتونية للعالم المصلح	قلم التحرير	٢٦٢	٥
الشيخ عبد الحميد بن باديس	الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي	٥٢٠	١٠
اهداء ثواب الاعمال			
« ب »			
البكاء في الشعر العربي	حضرة العالم المدرس الشيخ	١٤٢-٢٥٦-٢٥٣-٥	٥-٣-٢
»	الفاضل ابن عاشور	٥٣٤	١٠
التأليف المولدية	حضرة العلامة الجليل الشيخ عد الحلي الكتاني	٤٤٧-٥٠٢	١٠-٩
التجديد في الادب	حضرة الشيخ الطاهر القصار	٣٣-٧٩-٢٥٣	٥-٣-١
التجديد	الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي	٣٣١	٧
تحقيق خبر من احاديث شمائله صلى الله عليه وسلم	صاحب الفضيلة الشيخ بلحسن النجار المفتي المالكلي	٢٨٢	٦
ترجمة الشيخ احمد كريم شيخ الاسلام	حضرة العالم الشيخ الفاضل ابن عاشور	٢٩٨	٦
الاسبق			

الموضوع	صاحبه	صفحة	جزء
ترجمة الشيخ صالح الكواش	العالم المدرس الشيخ ابراهيم النيفر	٣٩٩	٨
ترجمة الشفاء قابلة الرسول عليه السلام	العلامة الشيخ محمد البشير النيفر	٤٥٠	٩
تسميته صلى الله عليه وسلم محمدا	حضرة العالم الهمام الشيخ محمد بن يوسف شيخ الاسلام الحنفي	٤٥٠	٩
التشريع الاسلامي والمرأة	صاحب الفضيلة الشيخ محمد العزيز جعيط الملقب بالمالكي	١٧٨	٤
تقرض المجلة	حضرة الشيخ مبارك الملي	٣٥٧	٧
تنبيه ونصيحة	الاستاذ الكبير الشيخ محمد الطاهر		
	ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي	٤٩٥	١٠
	»	٥٠١	١٠
التنبيه على احاديث ضعيفة او موضوعة	العالم المؤرخ السيد محمد صالح مزالي	٥٢٩	١٠
تاريخ سراية المملكة التونسية			
« ج »			
جمعية الزيتونيين	قلم التحرير	٢٦١	٥
جمعية اعانة الضعفاء من تلاميذ جامع الزيتونة وفروعه		٣٥٤	٧
« ح »			
الحج اكبر مؤتمر ديني اسلامي فهل فهم المسلمون مغزاه	حضرة الشيخ محمد المختار بن محمود	٢١٤	٥
الحديث الموضوع	العلامة الشيخ محمد الصادق النيفر	١٧٠-١١٦-٦٤	٤-٣-٢
حكم الله في التجنيس	حضرة الشيخ محمد المختار بن محمود	٤٨٨	١٠
حالة العرب الدينية قبل البعثة	العلامة الشيخ محمد الصادق المحرزي	٤٣٢	٩
الحمل والولادة ثم الوليمة والختان	الشيخ محمد الهادي ابن القاضي	٤٤٥	٩
الحياة العلمية	حضرة الشيخ محمد المختار بن محمود	٩٦	٢
« خ »			
خطاب صاحب الفضيلة شيخ الجامع الاعظم لوفد المجلة	الاستاذ الاكبر الشيخ صالح المالقي	٧	١
خطاب صاحب المجلة بين افراد هيئتها في اجتماع التأسيس	شيخ الجامع الاعظم وفروعه	١١	٢
خطبة منبرية في الحث على الصدقة	الشيخ محمد الهادي ابن القاضي	٣٢٩	٧
خطبة منبرية في المعاشرة بالمعروف	فضيلة الاستاذ الخطيب الشيخ محمد العزيز جعيط الملقب بالمالكي	٥١٧	١٠

الموضوع	صاحبه	صفحة	جزء
« د »			
دار الباي بتونس ديباجة التفسير	العالم المؤرخ الاستاذ محمد بن الخوجه الاستاذ الكبير الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي	٣٩٠	٨
الدعوة الى الاصلاح واشرها في المجتمع	الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي	٦٧-٢٥	٢-١
« ذ »			
ذكرى المتني (شعر) ذكرى ولادة منقذ البشرية الاعظم صلى الله عليه وسلم	حضرة الشيخ الطاهر القصار حضرة الشيخ محمد المختار بن محمود	٤٠٤	٨
« ر »			
رجال المجلة الزيتونية بمدينة باجة	قلم التحرير	٣١٠	٦
« ز »			
الزكاة زواج عبد الله بآمنة زيارة عالم اديب لادارة المجلة	الشيخ محمد الصادق المحرزي الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي قلم التحرير	٣٧٠ ٤٢٤ ١٥٢	٨ ٩ ٣
« س »			
سيف الاسلام يعطى لحامي الاسلام فما هو هذا السيف ومن هو هذا الحامي	حضرة الشيخ المختار بن محمود	٣٥٩	٨
« ش »			
شرح حديث موسى والخضر » (الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل) » (كلمتان حسيبتان الى الرحمن) » التوكل	العلامة الشيخ محمد البشير النيفر حضرة الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي حضرة العليم الهمام الشيخ محمد بن يوسف شيخ الاسلام الحنفي صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد العزيز جعيط المفتي المالكي	٢٢٧-٥٨-١٩ ١١١ ١٦٤	٥-٢-١ ٣ ٤
» (كل معروف صدقة) شرف الكعبة الشعر - قصيدة - الشعائل المحمدية	الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي الاستاذ الكبير الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي حضرة الشيخ محمد الطاهر القصار الاستاذ الكبير الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي	٤٩٦ ٢٦٩ ٧٧ ٤٥٢	١٠ ٦ ٢ ٩

الموضوع	صاحبه	صفحة	جزء
« ص »			
الصرة كيف كانت نشأتها وكيف استقر قرارها	العالم المؤرخ سيدي محمد بن الخوجه	٢٤٦	٥
الصيام واثاره في الفرد وفي المجتمع	العالم المدرس الشيخ الطاهر النيفر	١٣٢	٣
« ض »			
ضحايا المدينة الحقاء - شعر -	حضرة الشيخ الطاهر القصار	١٤٠	٣
« ط »			
طلب العلم فريضة على كل مسلم	حضرة العالم المدرس الشيخ محمد الخطاب بوشناق	٣٠	١
« ع »			
على هامش الاحتفال بذكرى الشيخ رشيد رضا	حضرة الشيخ محمد المختار بن محمود رئيس تحرير المجلة	٢٦٤	٦
عبد الزمان - شعر	الشيخ الطاهر القصار مدير المجلة	٤٤٨	٩
« ف »			
فاتحة العدد الاول في دار الشريعة المطهرة	الشيخ محمد المختار بن محمود قلم التحرير	٢	١
في جامع الزيتونة	قلم التحرير	٢١٢	٤
« ك »			
كرسي الملك الحسيني كيف كانت نشأته وتطوراته حول العصور	العالم المؤرخ سيدي محمد ابن الخوجه المستشار للحكومة التونسية	١٩٧	٤
كيف نشأت خزائن الكتب لدراسة العلوم بجامع الزيتونة	»	١٣٦-٧١	٣-٢
كيف نشأت الارباض حول مدينة تونس	»	٢٩٤	٦
كيف نشأ احتفال المولد في بلاد الاسلام	العالم الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور	٤٦٢	٩
كيف نشأت مصلحة البريد بتونس	العالم سيدي محمد ابن الخوجه	٥٢٤	١٠
« ل »			
لا صفر	صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور	٣٨١	٨
لمحة خاطفة من حياة الشباب	الاديب الشيخ محمد بن الشاذلي العنابي	٤٥	١٠
« مر »			
مرور مائة عام على تأسيس حفلة مولدية رسمية بترنس	حضرة العالم المؤرخ سيدي محمد ابن الخوجه	٤٦٧	٥

الموضوع	صاحبه	صفحة	جزء
المسلمون في فينلاندا	الاستاذ فاضل السيد عثمان الكعاك	٣٥٠-٣٠٥-٢٠٧	٧-٦-٤
المسلمون في بولونيا	»	٥٣٩	١٠
المشاريع بين العزائم الصادقة والمثبطين للعزائم	حضرة الشيخ المختار بن محمود	٤٧	٢
مشكلة المرأة التونسية من حيث التربية والتعليم	قلم التحرير	٢١١	٤
مظاهر العيد عندنا (شعر)	حضرة الشيخ الطاهر القصار	٢٠١	٤
المقدمة الاولى من مقدمات التفسير في التفسير والتأويل	الاستاذ الكبير الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي	٥٣	٢
المقدمة الثانية في استمداد علم التفسير	»	١٠٤	٣
المقدمة الثالثة في التفسير بغير المأثور وبالرأي وبالباطن والاشارة	»	٢٢٠-١٦١	٥-٤
المقدمة الرابعة في غاية المفسر من التفسير	»	٣٦٦-٣١٥	٨-٧
المقدمة الخامسة في اسباب النزول	»	٤٩١	١٠
المقاصد الشرعية واسرار التشريع او القواعد العامة في التشريع والحكم المنطوية في جزئياته	صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط الملقب بالمالكي والاساذ بجامع الزيتونة	١٢٤	٣
مكان الحمل برسول الله صلى الله عليه وسلم	فضيلة العلامة الاستاذ الشيخ محمد العزيز جعيط الملقب بالمالكي	٤٣٠	٩
المكتبات - عناية الامم الحية بها وتفریطنا فيها من خصائصه صلى الله عليه وسلم عصمته في هواله	الاديب الشيخ محمد بن الشاذلي المنابي	٣٤٦-٣٠٤-٢٠٢	٧-٦-٤
من المجلة الى قرائها	حضرة العالم المدرس الشيخ الناصر الصدام	١٧٤	٤
مولد طه (شعر)	قلم التحرير	٤٧-١٦٩	١
	العالم المدرس الشيخ علي النيفر	٤٥٧	٩

جريدة الاطلس

ظهرت في المغرب الاقصى منذ اعوام نهضة علمية وفكرية وسياسية ترمي الى النهوض بذلك القطر الشقيق الغني بتاريخه الحافل بالانوار العلمية والادبية . والحق ان المفكرين بالمغرب وخصوصا الشبان منهم قد شمروا الآن عن ساعد الجدل للوصول ببلادهم الى المركز اللائق بها بين بلدان الشرق . ولما كانت الصحافة في هذا العصر هي عنوان الامم . وترجماتها المعبر عن ءامالها وءالامها والمفصح عن قيمة رجالها . وكان المغرب في حاجة الى صحيفة من هذا القبيل تكون مرآة يطالع فيها العالم الاسلامي ما لانباء ذلك القطر الشقيق من المطالب والمقاصد . وما لهم من الافكار العالية والمبادئ السامية . فاصدرت (كتلة العمل الوطني) جريدة باسم (الاطلس) تعبر عن تلك الاغراض وترسم الدور الذي ستقوم به نحو ذلك القطر العزيز ونحن نرجو لهذه الجريدة التوفيق في خدمة ما اسست له كما نرجو لمديرها الاعانة والنجاح .

الموضوع	صاحبه	صفحة	جزء
« أ »			
اتصال الحنفى بالآدمى	حضرة العالم المدرس الشيخ الخطاب بوشناق	٢٣٧	٥
اخذ الاجرة على الخطابة	» » »	١٥١	٣
اعتبار ما يدفع للدولة من الاداء على الحيوان من الزكاة المفروضة	فضيلة الامام شيخ الاسلام المالكي سيدي الطاهر ابن عاشور	٥٠٨	١٠
الاضحية وما يتعلق بها من الاحكام	الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي صاحب المجلة	٢٨٨	٦
« ح »			
حكم الاقرار للزوجة بشيء من المال	حضرة العالم المدرس الشيخ محمود ابن الطاهر	٣٨٠	٨
حكم البيع والشراء عند الآذان الذي يقام في آخر وقت الجمعة لمن صلاحها في اول الوقت	فضيلة الاستاذ الشيخ محمد العزيز جميعط المفي المالكي	١٥٠	٣
حكم تخصيص بعض الانشاء بشيء من المال لا يشاركه فيه البقية	فضيلة الامام شيخ الاسلام المالكي	٣٧٧	٨
حكم تارك الصلاة والصيام وقضاء الفوائت	حضرة العالم المدرس الشيخ محمد الهادي ابن القاضي	٩١	٢
حكم استعمال الحشيشة المعروفة (بالدخان) او الحشيشة المعروفة بالتكروري	فضيلة الامام شيخ الاسلام المالكي	٥٠٨	١٠
حكم السيكورتاة والتعامل من صندوق الاغاثة الدولية	فضيلة الاستاذ الشيخ محمد العزيز جميعط المفي المالكي	٥١٠	١٠
حكم سماع احاديث القصاصين (الفداوية)	حضرة العالم المدرس الشيخ علي النيفر	٥١٥	١٠
حكم الصدقة عن الميت وما يفعله الناس من الاستجار على قراءة القرءان واهداء ثواب القراءة الى الميت	فضيلة الاستاذ الشيخ محمد العزيز جميعط المفي المالكي	٥١٠	١٠
حكم الله في التجنيس	حضرة الشيخ محمد المختار بن محمود رئيس التحرير	٤٨٨	١٠
الحلف باللازمة والحرام على مقتضى المذهب الحنفى	العلامة الشيخ احمد كريم شيخ الاسلام سابقا	٨٧	٢
الحلف باللازمة والحرام مع الجمع بينهما في يمين واحدة	فضيلة الامام شيخ الاسلام الحنفى	٣٢٢	٧

الموضوع	صاحبه	صفحة	جزء
« خ » ختان البالغ والمراهق	فضيلة الاستاذ الشيخ محمد العزيز جميعط الملقى المالكى	٢٣٢-١٥٠	٥-٣
« د » دفع زكاة الحبوب بقودا	حضرة العالم المدرس الشيخ الناصر الصدام	٤٤	١
« ز » زكاة الاموال	فضيلة الامام شيخ الاسلام المالكى	٣٢٥	٧
زكاة من وفر من مرتبه شيئا من المال حتى بلغ نصابا وهل يستقبل الحول من يوم اجتماع النصاب او يحسبه من ابتداء التوفير	حضرة العالم المدرس الشيخ علي النيقر	٣٧٨	٨
« س » سجود التلاوة هل يتكرر بتكرر آية السجدة ام لا	حضرة العالم المدرس الشيخ الخطاب بوشناق	٢٩٣	٦
« ش » شرح قول الفقهاء في باب الرضاع الا اخذ اخيه رضاعا استثناء من المحرمات من الرضاع	» » »	١٥١	٣
« ط » طلاق الثلاث بكلمة واحدة بعد قول الزوج لزوجته انت على ذمة نفسك من غير ارادة الثلاث	» » »	٢٣٩	٥
طلاق الثلاث بكلمة واحدة	فضيلة الامام شيخ الاسلام المالكى	٥٠٥	١٠
« ع » العفو عما يتعلق من اجزاء المبيع باناء البائع عند الكيل	» » »	٥٠٩	١٠
« ث » كيف تكون النفقة على الفاسرين من ورثة الميت وهل اذامات وعليه ديون تخلص ديونه من دخل الربيع والعقار او يباع ذلك في دينه	» » »	٣٧٧	٨

الموضوع	صاحبه	صفحة	جزء
كيف تقضى الصلاة الفائتة اذا جهل مقدارها	العالم المدرس الشيخ علي النيفر	٥١٦	١٠
« ل »			
لبس البرنيطة في دار الحرب ودار الاسلام	الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي	٣٧	١
« م »			
مسئلة التحسيس على البنين دون البنات	فضيلة الامام شيخ الاسلام المالكي	٥٠٧	١٠
« الوعد بالطلاق	العالم المدرس الشيخ علي النيفر	٥١١	١٠
« فرضية	» » »	٥١٥	١٠
معاملة ارباب المعاصر لمالكي الزياتين	فضيلة الامام شيخ الاسلام المالكي	١٨٢	٤
واقراضهم شيئا من المال ثم استيفاءه	سدى الطهر ابن عاشور		
مع اجرة العصر زيتا			
من لا يعمل بالقرآن هل يعد كارها له ام لا	العالم المدرس الشيخ علي النيفر	٣٧٨	٨
« ن »			
نقل دخول شهر رمضان بواسطة الهاتف	فضيلة الامام شيخ الاسلام المالكي	١٤٥	٣
(التلفون) او المذياع (الراديو) هل	سدى الطاهر ابن عاشور		
يثبت به الشهر ام لا			
« هـ »			
هل يقوم شيوع الحبسية مقام رسم التحسيس	فضيلة الاستاذ الشيخ محمد العزيز		
	جميعط المفتي المالكي	٥٠٩	١٠

تهنئة لمجلات بالدخول في اعوامها الجديدة

دخلت مجلة « الشباب » الغراء التي تصدر بقسنطينة (الجزائر) لصاحبها العالم الفاضل الشيخ عبد الحميد بن باديس في عامها الثالث عشر ودخلت مجلة (الازهر) الكبرى التي هي شيخة المجلات الدينية في عامها الثامن ودخلت جريدة (الفتح) الزاهرة التي تصدر بمصر لصاحبها الكاتب البارع السيد محيي الدين الخطيب في عامها الثاني عشر ودخلت مجلة (التقوى) التي تصدرها جمعية الوعظ والدعوة الاسلامية بالقاهرة في عامها الرابع . ودخلت مجلة (التمدن الاسلامي) التي تصدرها جمعية التمدن الاسلامي بدمشق الشام في عامها الثالث . ودخلت مجلة (الحكمة) التي يصدرها في بيروت حضرة الطبيب الماهر السيد عبد الغني شهنيدر في عامها الرابع عشر . فهني الرصيفات الكريمت على الاعوام التي قطعتها في خدمة الدين والعلم . وبث المبادي العالية والاخلاق الفاضلة . والدفاع عن القضية الاسلامية المقدسة . ونرجو لها الحياة الطيبة والانتشار المناسب ونرجو لاصحابها صدق العزم . وقوة الحزم . في خدمة ما تحملوا القيام باعبائه من المهمات الصعاب . شان خدمة المصلحة العامة وما ينشأ عنها من الاتعاب . كما نرجو لهم من الله الاعانة وحسن التوفيق والسلام

« انتهى العام الاول من المجلة الزيتونية »

ضيوف كرام من الاقطار الشقيقة

زار تونس في خلال الشهر الماضي حضرة الاديب الفاضل السيد محمد تيسير ضبيان صاحب جريدة الجزيرة التي تصدر بدمشق فاقبلته النوادي العلمية بمزيد الحفاوة والاكرام وكان له هيئة المجلة الزيتونية ارتباط خاص . وقد قضينا معه ساعات طويلة تمتعنا فيها بالحديث عن بلاد عزيزة واخوان كرام . زادها حسنا ان كانت في وقت اخذت فيه الميالة ترجع لمجاريها ويحل الامن والاطمئنان بوادها ويعود الى ضئ الاسلام ابناؤها ويعم خيرها ونماؤها

وقبل ان يبارح تونس القى مسامرة عن (سوريا الحديثة) فاجاد وافاد وخرج الحاضرون مسرورين مبتهجين بما سمعوه من الرقي الباهر والتقدم المطرد الذي بلغ اليه القطر العزيز

كما زار تونس حضرة الاديب الفاضل السيد يونس بحري المعروف بالسائح العراقي صاحب جريدة العقاب التي تصدر بالعراق فقبل بالحفاوة والاكرام . وزارنا في ادارة المجلة فانسنا باده وظرافته وخفة روحه وقد القى اثناء اقامته عدة مسامرات تحدث فيها عن العراق وما فيه من التقدم السياسي والعلمي واهيج سامعيه بما استخلصوه من حديثه عن اوضاع عواصم الاسلام ومطمح الانظار اليوم من السير الحثيث في طريق التقدم والرقي الباهر الذي هو غاية ما يتمناه كل شرقي لسائر الاقطار الشرقية خفف الله بلاءها وازال عنها

كما زار تونس حضرة العالم الفاضل الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر ورئيس تحرير مجلة الشهاب وكان الغرض الاصلي من قدومه المشاركة في الاحتفال بذكرى المرحوم البشير صفر وفلا قد شارك فيه والقى خطابا بليغا كان من ابلغ ما قيل في ذلك اليوم . ولا غرابة في ذلك فهو في الخطابة فارس مغوار لا يشق له غبار وقد زارنا في ادارة المجلة فانسنا بعلهم وفضلهم بآرك الله فيه وقبل رجوعه الى الجزائر التي محاضرة عن تاريخ الحركة العلمية والسياسية في الجزائر فاجاد كما هو المعتاد منه في جميع المواقف

اصلاح خطا

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٤٩٩	١٣	واما تعرض	واما تعرضن
٤٩٩	٢٢	ولا خير في نجواهم	لا خير في كثير من نجواهم
٥٠٧	١	فكل عن	فكل من
٥٢٠	١٨	اقلت	اقلت نفسها
٥٢٢	١	بذلك انما في	بذلك انما هو في
٥٢٢	٥	ابن القيم الجوزيه	ابن قيم الجوزيه

اصلاح خطا بالجزء التاسع

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٤٣٣	٢٦	لايفقهون	لايعقلون
٤٣٧	٦	ابنائهم	ابناءهم

صفحة	المواضيع	اسماء محرريها
٤٨٧	اتهاء العام الاول للمجلة	قلم التحرير
٤٨٨	حكم الله في التجنيس	بقلم الشيخ محمد المختار بن محمود
٤٩١	المقدمة الخامسة في اسباب النزول	» صاحب الفضيلة الامام الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
٤٩٥	تنبيه ونصيحة	» » » »
٤٩٦	شرح حديث كل معروف صدقة	» صاحب المجلة الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي
٥٠١	التنبيه على احاديث ضعيفة او موضوعة	» صاحب الفضيلة العلامة شيخ الاسلام المالكي
٥٠٢	التأليف المولدية (٢)	» العلامة الشيخ محمد عبد الحفي الكتاني الشريف
٥٠٥	طلاق الثلاث بكلمة واحدة	» صاحب الفضيلة العلامة شيخ الاسلام المالكي
٥٠٧	مسئلة التحجيس على البنين دون البنات ...	» » » »
٥٠٨	اعتبار ما يدفع للدولة من الاداء على الحيوان	» » » »
٥٠٨	من الزكاة المفروضة	» » » »
٥٠٨	حكم استعمال الحشيشة المعروفة بالدخان	» » » »
٥٠٩	وبيعها والحشيشة المعروفة بالتركوري ..	» » » »
٥٠٩	العفو عما يتعلق من اجراء المبيع باناء البائع	» » » »
٥٠٩	عند الكيل	» » » »
٥٠٩	هل يقوم شيوع الحبسية مقام رسم التحجيس	» صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط
٥١٠	حكم السيكورتالا والتعامل من صندوق	المفتي المالكي
٥١٠	الاعانة الدولية	» » » »
٥١٠	حكم الصدقة عن الميت وما يفعله الناس	» » » »
٥١١	من الاستعجار على قراءة القرآن واهداه	» » » »
٥١١	نواب القراءة الى الميت	» العالم المدرس الشيخ علي الايفر
٥١٥	مسئلة الوعد بالطلاق	» » » »
٥١٥	حكم سماع احاديث القصاصين (الفداوية)	» » » »
٥١٥	مسئلة قرضية	» » » »
٥١٦	قضاء الصلوات الفائتة اذا جهل مقدارها ..	» » » »
٥١٧	خطبة منبرية في المعاشرة بالمعروف	» صاحب الفضيلة الشيخ محمد العزيز جعيط
٥٢٠	اهداء نواب الاعمال	» صاحب المجلة الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي
٥٢٤	كيف نشأت مصلحة البريد بتونس	» العالم المؤرخ سيدي محمد بن الخوجة
٥٢٩	تاريخ سراية المملكة التونسية	مستشار الحكومة التونسية
٥٣٤	البكاء في الشعر العربي (٤)	» الاستاذ محمد صالح مزالي
٥٣٩	المسلمون في بولونيا	» العالم المدرس الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور
٥٣٥	الحركة العلمية والادبية	» الاستاذ عثمان الكعاك
	قلم التحرير	